

﴿ فهرسة كتاب خزانة الادب ﴾

• (تمت) •

﴿ترجمة الاديب تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموى منقولة من الضوء اللامع للحافظ السخاوى ومن كشف الظنون للاجلبى﴾

كان تقي الدين بن حجة اماما عارفا بفنون الادب متقدما فيها طويل النفس فى النثر والنظم ومن تصانيفه بروق الغيث الذى انسجم فى شرح لامية العجم وكشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام وقهوة الانشا فى مجلدين ضخمين والثمرات الشهيه من الفواكه الحمويه وأمان الخائفين من أمة سيد المرسلين وثمرات الاوراق فى المحاضرات وله ديوان شعر بديع وكتابه هذا خزانة الادب الذى جمع فيه من اللطائف ما يستلذ به كل أديب ولعل مقتنيه يستغنى عن غيره من الكتب الادبية ولو لم يكن فيه الاجودة الشواهد لكل نوع من الانواع مع ما امتاز به من الاستكثار من ايراد نوادر العصريين فان مصنفه مرتفع عن كلفة العارية وهذا وحده مقصود لكل حاذق كما نقل من خط العلامة ابن عجروسات رحمه الله سنة ٨٣٧ ودفن بحماة سقى الله ضريحه صيب الرضوان

﴿ترجمة أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى﴾

منقولة من يتيمة الدهر لابى منصور الثعالبى باختصار قال بديع الزمان هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذانى مفخر همذان ونادرة الفلك وبكر عطارد وفريد الدهر وغرة العصر لم ير أن أحدا بلغ مبلغه من لب الادب وسره وجاء بمثل اعجازه وسحره فارق همذان سنة ٣٨٠ وهو مقتبل الشبيبة غض الحداثة وورد حضرة الصاحب بن عباد فتزود من ثمارها وولى نيسابور سنة ٣٨٢ فنشر بها بزه وأظهر طرزه ثم ألقى عصاه بهراة فعاش فيها عيشة راضية الى أن ناداه الله فلباه وفارق دنياه فى سنة ٣٩٣ والله عز وجل يتولاه بعفوه وغفرانه

﴿ترجمة الاديبة التقية والشيخة الصالحة عائشة الباعونية﴾

بنت يوسف بن أحمد بن نصر الباعونى الشافعى قد أثنى عليها كثير من الادباء ووصفها سيدى عبد الغنى النابلسى بأنها فاضلة الزمان ومن تآليفها هذه البديعية الفريدة المسماة بالفتح المبين فى مدح الامين نظمتها على منوال بديعية تقي الدين بن حجة مع عدم تسمية النوع تمسكا بطلاقة الالفاظ وانسجام الكلمات وشرحتها بهذا الشرح المختصر أسفرت فيه عن لسان البيان بقدر الطاقة والامكان ولها ديوان شعر بديع فى المدائح النبوية كله لطائف ومن تآليفها مولد جليل للنبى صلى الله عليه وسلم اشتمل على فرائد النظم والنثر ولها بيتان فى جسر الشريعة لما بناه الملك الظاهر برقوق هدما كثيرا مما شيده فحول الشعراء من البيوت واذا تأملت فى سحر بلاغتهما فكأنما رأيت هاروت وماروت وهما

بنى سلطاننا برقوق جسرا * بأمر والانام له مطيعه
مجاز فى الحقيقة للبرايا * وأمر بالمرور على الشريعه

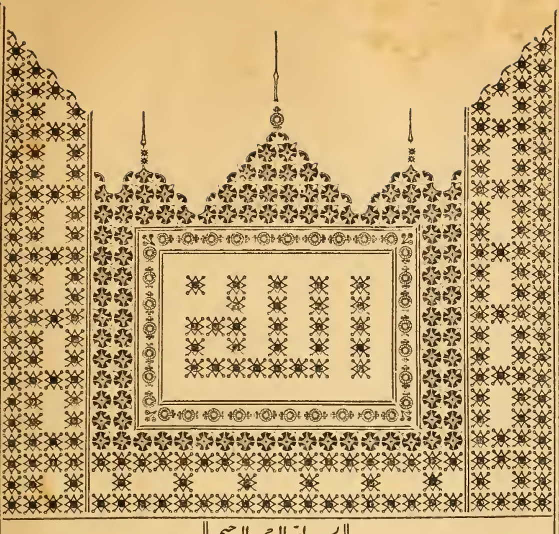
ومن مشايخها جمال الحق والدين قطب الوجود اسمعيل الحورانى والعلامة محيى الدين يحيى الارموى رضى الله عنهما وبالجملة فهى فى ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس بمكان عال رحمها الله برحمته الواسعة

خزانة الادب وغاية الارب للعالم الاديب
واللوذعي الاريب الشيخ تقي
الدين أبي بكر علي المعروف
بابن حجة الحموي
رحمه الله
م

وبهامشها رسائل أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى
ابن سعيد الهمذاني المعروف ببديع الزمان رحمه الله

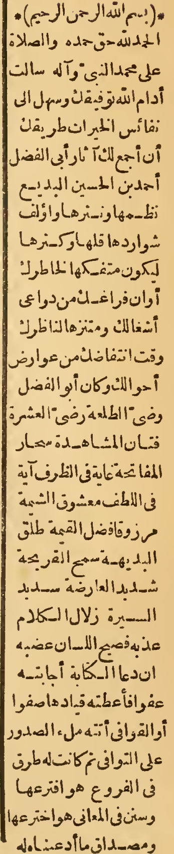
(ويليها) شرح البديعية الغريدة المسماة بالفتح المبين في مدح الامين تأليف العالمة
العاملة التقية الصالحة المصونه والجوهرة النقية المكنونه نادرة أهل زمانها
وكاملة أهل عصرها وأوانها الست عائشة الباعونية بنت يوسف بن أحمد بن
ناصر بن خليفة الباعوني الشافعي رحمها الله تعالى ورحم سلفها بمنه وكرمه آمين

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الخيرية المنشأة بحوش عطى بجمالية مصر المعزيه
سنة ١٣٠٤ هجريه



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله البديع الرفيع الذى أحسن ابتداء خلقنا بصنعته وأولانا جميل الصنيع فاستهلت الاصوات ببراعة توحيده وهو البصير السميع أدب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن تأديبه حتى أرشدنا جزاه الله عنا خيرا الى سلوك الادب وأوضح لنا بديعه وغريبه * نحمده حمدا يحسن به التخلص من غزل الشهوة الى حسن الختام ونشكره شكر من شعر ببديع صفاته فأحسن النظم وأعوذ بالله من قوم لا يشعرون بهذا النظام ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة شاعر بأنه الواحد * وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث من بيت عربى فصاحته على الأعراب والاعراب أعظم شاهد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم نظام هذا البيت الشريف وداثر بحره وأنواع بديعه وديباج صدره وسلم تسليما كثيرا (وبعد) فهذه البديعية التى نسجتها بمدحه صلى الله عليه وسلم على منوال طرز البردة كان مولانا المقر الاشرف العالى المولوى القاضوى المخدومى الناصرى سيدى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب ديوان الانشا الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة جمل الله الوجود بوجوده هو الذى ثقف لى هذه الصعدة وحلب لى ضرعها الحافل لحصول هذه الزبدة وماذاك الا أنه وقف بدمشق المحروسة على قصيدة بديعية للشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله تعالى التزم فيها بتسمية النوع البديعى وورى بها من جنس الغزل ليتميز بذلك على الشيخ صفى الدين الحلى تغمده الله تعالى برحمته لانه ما التزم فى بديعيته بحمل هذا العبء الثقيل غير أن الشيخ عز الدين ما أعرب عن بناء بيوت أذن الله أن ترفع ولا طالت يده لابهام العقادة الى شئ من اشارات ابن أبى الاصبع * وربما رضى فى الغالب بتسمية النوع ولم يعرب عن المسمى ونثر شمل الالفاظ والمعانى لشدة ما عقده نظما



(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله حق حمده والصلاة
على محمد النبى وآله سالت
أدام الله توفيقك وسهل الى
نفائس الخيرات طريقك
أن أجمع لك آثار أبى الفضل
أحمد بن الحسين البديع
نظمها ونثرها وأؤلف
شواردها قلها وكثرها
ليكون متفكها لخاطرك
أوان فراغك من دواعى
أشغالك ومتنزها لناظرك
وقت انتفاضك من عوارض
أحوالك وكان أبو الفضل
وضى الطلعة رضى العشرة
فتان المشاهدة سحار
المفاتحة غاية فى الظرف آية
فى اللطف معشوق الشيمة
مرزوقا فضل القيمة طلق
البديهة سمح القريحة
شديد العارضة سديد
السيرة زلال الكلام
عذبه فصيح اللسان عضبه
ان دعا الكتابة أجابته
عفوا فأعطته قيادها صفوا
أو القوافى أتته ملء الصدور
على التوافى ثم كانت له طرق
فى الفروع هو افترعها
وسنن فى المعانى هو اخترعها
ومصداق ما أدعيناه له

فبادارها

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

فاستخار الله مولانا الناصري المشار اليه و رسم لي بنظم قصيدة أطرز حلتها ببديع هذا الالتزام وأجاري الحلي برقة السحر الحلال الذي ينفث في عقد الاقلام فصرت أشيد البيت فيرسم لي بهدمه وخراب البيوت في هذا البناء صعب على الناس و يقول بيت الصفي أصفى موردا وأنور اقتباسا فاسن كل ما حده الفكر وأراجعه ببيت له على المناظرة طاقه فيحكم لي بالسبق و ينقلني الى غيره وقد صار لي فكرة الى الغايات سباقه فجاءت بديعية هدمت بها ما نحته الموصلي في بيوته من الجبال وجاريت الصفي مقيدا بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال وسميتها تقديم أبي بكر عالما انه لا يسمع من الحلي والموصلي في هذا التقديم مقال وكان المشار اليه عظم الله شأنه هو الذي مشى أمامي وأشار الى هذا السلوك وأرشد فاقتديت برأيه وهل يقتدي أبو بكر بغير محمد فقلت

* (لي في ابتدا مدحكم يا عرب ذي سلم * براعة تستهل الدمع في العلم) *

اعلم انه اتفق علماء البديع على أن براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها وأن لا يتجافى بجنوب الالفاظ عن مضاجع الرقة وأن يكون التشبيب بنسيبها مرقصا عند السماع وطرق السهولة متكفلة لها بالسلامة من تجشم الحزن ومطالعها مع اجتناب الحشو ليس له تعلق بما بعده وشرطوا أن يجتهد الناظم في تناسب قسميه بحيث لا يكون شطره الاول أجنبيا من شطره الثاني وقد سمى ابن المعتز براعة الاستهلال حسن الابتداء وفي هذه التسمية تنبيه على تحسين المطالع وان أخل الناظم بهذه الشروط لم يأت بشئ من حسن الابتداء وأورد في هذا الباب قول النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطيء الكواكب

قال زكي الدين بن أبي الاصبع لعمري لقد أحسن ابن المعتز الاختيار فاني أطنه نظر بين هذا الابتداء و بين ابتداء امرئ القيس حيث قال

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فرأى ابتداء امرئ القيس على تقدمه وكثرة معانيه متفاوت القسمين جدا لان صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعاني وليس في الشطر الثاني شئ من ذلك وعلى هذا التقدير مطلع النابغة أفضل من جهة ملاءمة ألفاظه وتناسب قسميه وان كان مطلع امرئ القيس أكثر معاني وما عظم ابتداء امرئ القيس في النفوس الا الاقتصار على سماع صدر البيت فانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في شطر بيت واذا تأمل الناقد البيت بكماله ظهر له تفاوت القسمين وقال أعني ابن أبي الاصبع اذا وصلت الى قول البحتري من هذا الباب وصلت الى غاية لا تدرك وهو قوله

بودي لو يهوى العذول ويعشق * ليعلم أسباب الهوى كيف تعلق

انتهى كلام زكي الدين بن أبي الاصبع ولقد أحسن أبو الطيب المتنبي حيث قال

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في المآقي

ومثله قوله (أي قول حبيب)

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا * فلم أدر أي الظاعنين أشيع

وما ألطف قول أبي تمام في هذا الباب

لا أنت أنت ولا الديار ديار * خف الهوى وتقضت الاوطار

ومثله قول أبي العلاء المعري

يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر * لعل بالجزع أعوانا على السهر

وقد خاب انقلوب ابن المعتز في تناسب القسمين بقوله

أخذت من شبابي الايام * وتولى الصبا عليه السلام

تشهد في أثناء شعره ونثره وكان في صفاء العقيدة بين الكفاة قدوة وفي حسن النظر لكافة نظرائه اسوة وقد أوتي حفظا لا يسمع كلمة الا اعتلقها فاعتقلها ثم اذا شاء أعادها ونقلها وقد أجبت الى مسؤلك وجعلت بعض أوقاتي مصروفة لتحصيل مأمولك وجمعت لك ما وجدته من الرسائل والرقاع لتنظر فيها وتستفيد ويقرب اليك منها ما تريد والله الموفق للصواب أولها (كتب) الاستاذ أبو الفضل الهمذاني بديع الزمان الى الشيخ أبي العباس الفضل بن أحمد الاسفرايني وهو أول ما استوزر لابي القاسم محمود ابن سبكتكين الناصر لدين الله فاتح السند والهند * كتبت أطال الله بقاء الشيخ الجليل السيد وأدام علوه وتمكينه عن سلامة والحمد لله رب العالمين وصلاته على محمد وآله وسلم ليس وإساءة بالباب تسعد بالحضرة وأخرى بالمغيب تكمد بالحسرة والله ما للساعة

وما أحلى ما ناسب ابن هانئ قسمي مطلعه بالاستعارات الفائقة حيث قال

بسم الصباح لاعين الندماء * وانشق جيب غلالة الظلماء

وقال الشريف أبو جعفر البياضي يشير الى الرفق بالابل عند السرى وتلطف ما شاء في تناسب القسمين حيث قال رفقا بهن فما خلقن حديدا * أو ما تراها أعظما وجلودا

وهذه القصيدة طريقها الغريب لم يسلكها غيره فانه نسجها جميعها على هذا المنوال ومنها

يفلين ناصية الفلا بمناسم * وسم الوجا بدمائهن البيدا

فكانهن نثرن درا بالخطا * ونظمن منه بسيرهن عقودا

ومما يعذب في الذوق من هذا الباب قول ابن قاضي ميلة

يزيد الهوى دمعي وقلبي المعنف * ويجني جفوني الوجد وهو المكلف

وقد نبه مشايخ البديع على يقظة الناظم في حسن الابتداء فانه أول شئ يقرع الاسماع ويتعين على ناظمه النظر في أحوال المخاطبين والممدوحين ويتفقد ما يكرهون سماعه ويتطيرون منه ليتجنب ذكره ويختار لاوقات المدح ما يناسبها وخطاب الملوك في حسن الابتداء هو العمدة في حسن الادب فقد حكي ان أبا النجم الشاعر دخل على هشام بن عبد الملك في مجلسه فأنشده من نظمه

صفراء قد كادت ولما تفعل * كأنها في الافق عين الاحول

وهشام بن عبد الملك أحول فأخرجه وأمر بحبسه وكذلك اتفق لجرير مع أبيه عبد الملك فانه دخل عليه وقد مدحه بقصيدة حائية أولها * أتصحو أم فؤادك غير صاح * فقال له عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة ومن هذه الجهة بعينها عابوا على أبي الطيب المتنبي خطابه لممدوحه في مطلع قصيدة حيث قال كفى بك داء ان ترى الموت شافيا * وحسب المنايا ان يكن أمانيا

ومن مستقبحات الابتداء قول البحتري وقد أنشد يوسف بن محمد قصيدته التي أولها * لك الويل من ليل تقاصر آخره * فقال بل لك الويل والخزي وأما قصة اسحق بن ابراهيم الموصلي في هذا الباب فاني انفعل وأخجل عند سماعها وما ذاك الا انه دخل على المعتصم وقد فرغ من بناء قصره بالميدان فشرع في انشاء قصيدة نزل بمطلعها الى الحضيض وكان هو وحكاية الحال في طرفي نقيض وهو يا دار غيرك البلا ومحاك * يا ليت شعري ما الذي أبلاك

فتطير المعتصم من قبح هذا المطلع وأمر بهدم القصر على الفور فنعوذ بالله من آفة الغفلة هذا مع يقظة اسحق وسير الركبان بحسن محاضرته ومنادمته للخلفاء ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكبو الجواد مع انه قيل ان أحسن ابتداء ابتدأ به مولد قول اسحق الموصلي حيث قال

هل الى أن تنام عيني سبيل * ان عهدي بالنوم عهد طويل

فانظر الى هذا الاديب الحاذق المتيقظ كيف استطردت به خيول السهو الى ان خاطب المعتصم في قصر رياحين تشييده غضة بخطاب الاطلال البالية وانظر الى حشمة أبي نواس كيف خاطب الدمن بخطاب تود القصور العالية ان تحلى بشعاره مع بلوغه في تناسب القسمين الطرف الاقصى حيث قال لمن دمن تزداد حسن رسوم * على طول ما أقوت وطيب نسيم

وقصة ذي الرمة مع عبد الملك تقارب قصة اسحق مع المعتصم فانه دخل عليه يوما فأمره بانشاد شئ من شعره فأنشد قوله * ما بال عينك منها الماء ينسكب * وكان بعين عبد الملك رمش فهي تدمع أبدا فتوهم أنه خاطبه وعرض به فقال له ما سؤالك عن هذا يا ابن الفاعلة فمقته وأمر باخراجه انتهى ما أوردته في حسن الابتداء للعرب والمولدين وفحول الشعراء ونبهت على حسنه وقبحه ولكن جذبتني يا أخا العرب نسبة المتأخرين الى ان أثبت في هذا المحل تشبيبها ونسيبها وأظهر في شرح هذه البديعية الآهلة بديعها وغريبها ليعلم من تنزه في هذه الحدائق الزاهرة ان ماربيع الآخر

من ولي النعمة غمن ولا كالاعتياض من لقائه غبن وغبن فليت كتاب الاذن شفى مما نجد وليت هذا أنجز تماما تعد معاذ الله ان اشتاق الى حضرته لكني افتقر اليها افتقار الجسد الى الحياة والحوت الى الفرات وانما مثل العبد مع الاصحاب مثل الارض مع السحاب أفيسمى القحط شوقا أم يكون الموت وجدا الى عبد الشيخ واسمي أحمد وهمذان المولد وتغلب المورد ومضر المحتد وعبد بهذه الصفة غريب نادر وللصدور والملوك بغريب الاعلاق ولوع والمولى أحق بعبده له ولاؤه وعليه بلاؤه واليه انتسابه وله وعليه كسبه واكتسابه ولا أزيده بحالي وباستقرائها علما وقد تطول عام أول وخواني من الغماية ما خول ووافقت القوم على نصف المال في العاجل وانظارهم في الباقي الى القابل ورأيت ارجاء الامر مظلمة فاغتنمت وانتهزت صفو المال ولم آخذ من القوم صفراء ولا بيضاء

من

من و يبدع الاول بمعبد واذا تحقق أن لكل زمان بديعا تمتع بلذة الجديد وهذا بحث لطيف وهو ان الاستشهاد بكلام المولدين وغيرهم من المتأخرين ليس فيه نقص لان البديع أحد علوم الادب الستة وذلك أنك اذا نظرت فى الكلام العربى اما أن تبحث عن المعنى الذى وضع له اللفظ وهو علم اللغة واما ان تبحث عن ذات اللفظ بحسب مايعتريه وهو علم التصريف واما ان تبحث عن المعنى الذى يفهم من الكلام المركب بحسب اختلاف أواخر الكلم وهو علم العربية واما أن تبحث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب الوضع اللغوى وهو علم المعانى واما ان تبحث عن طرق دلالة الكلام ايضاحا وخفاء بحسب الدلالة العقلية وهو علم البيان واما ان تبحث عن وجوه تحسين الكلام وهو علم البديع فالعلوم الثلاثة الاول يستشهد عليها بكلام العرب نظما ونثرا لان المعتبر فيها ضبط ألفاظهم والعلوم الثلاثة الاخيرة يستشهد عليها بكلام العرب وغيرهم لانها راجعة الى المعانى ولافرق فى ذلك بين العرب وغيرهم اذا كان الرجوع الى العقل وقال أبو الفتح عثمان بن جنى المولدون يستشهد بهم فى المعانى كما يستشهد بالقدماء فى الالفاظ قال ابن رشيق فى العمدة الذى ذكره أبو الفتح صحيح بين لان المعانى اتسعت باتساع الناس فى الدنيا وانتشار العرب بالاسلام فى أقطار الارض فانهم حضروا الحواضر وتفننوا فى المطاعم والملابس وعرفوا بالعيان مادلتهم عليه بداهة عقولهم من فضل التشبيه ونحوه ومن هنا يحكى عن ابن الرومى ان لائما لامه وقال له لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه فقال له أنشدنى شيأ من قوله أعجز عن مثله فانشده فى صفة الهلال

فانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

فقال له ابن الرومى زدنى فانشده

كان اذربونها * والشمس فيه كاليه
مداهن من ذهب * فيها بقايا غاليه

فقال واغوثاه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ذاك انما يصف ماعون بيته لانه ابن الخلفاء وأنا مشغول بالتصرف فى الشعر وطلب الرزق به أمدح هذا مرة واهجو هذا كرة وأعاتب هذا تارة وأستعطف هذا طورا انتهى كلام ابن رشيق *ورأيت الشيخ شمس الدين بن الصائغ رحمه الله تعالى قد استشهد فى شرح البردة الذى سماه بالرقم بغالب أهل عصره فيما عرض له من أنواع البديع حتى أورد لهم شيأ من محاسن الزجل * رجع الى ما كان فيه من حسن الابتداء وتناسب القسمين وايراد ماوعدنا به من كلام المتأخرين قال قاضى هذه الصناعة وفاضلها والمتأخر الذى لم يتقدم عليه بغير الزمان أوائلها

زار الصباح فكيف حالك يادجى * قم فاستدم بفرعه أوفانجا

انظر الى حسن هذا الابتداء كيف جمع مع اجتناب الحشو بين رقة النسيب وطرب التشبيب وتناسب القسمين وغرابة المعنى ومثله قوله يخاطب العاذل

اخرج حديثك من سمعى فما دخلا * لا ترم بالقول سهما ربما قتلا

وما ألطف ماقال بعده

ومايخف على قلبى حديثك لى * لا والذى خلق الانسان والجبلا

ومثله قوله

سمعتك والقلب لم يسمع * فكم ذا تقول وكم لا أعى

وما ألطف ماقال بعده

يقول وما عنده أننى * بغير فؤاد ولا أضلع
امامع هذا الفتى قلبه * فقلت نعم يافتى مامعى

واما مطلع قصيدة ابن النبيه فان الاذواق السليمة تنتبه به الى فتح هذا الباب وهو

ياساكنى السفح كم عين بكم سفحت * نزحتم فهى بعد البعد مانزحت

والقصيدة كلها تحف وطرف عارضها ابن نباتة فما حلا معها مكرر نباته وأجرى الصفى معها ينابيع فكره فما صفا له معها مورد وجاراها الصفدى فتصفدت سوابق قوافيه عن لحاقها ومنها

وروضة وجنات الورد قد خجلت * فيها ضحى وعيون النرجس انفتحت

انما أخذت منهم الحمار والحمارة والتبن والغرارة والطست والمنارة والكوز والغضارة والازار والغفارة والجبة والفارة ثم الطف الله فى تلك العقود فحلها وأحياها كلها وذلك بكريم عناية الشيخ الجليل السيد أدام الله تاييده فالله يحسن جزاءه وجعلنى وأهلى من كل مكروه فداءه وارتهن الباقى بعون الله تعالى ثم بعالى رأيه فان تدارك فقد أينعت الحقوق وحان قطافها وهناك النوائب واختلافها والايدى واجترافها والافواه واءتلافها والعمالة واعتسافها والزعامة والتقافها والاكرة وانتصافها والاعوان واسرافها هذه التى أعلمها ثم التى أخافها الجراد واجحافها والقمل وائتلافها والعساكر واجترافها والريح وانتسافها فاذا امتلأت اجوافها فالعطاش واغترافها والبطان واستخفافها والشفاه وارتشافها والصوفة وانترافها والقطنة

تشاجر الطير فى أفنانها سحرا * ومالت القضب للتعنيق فاصطلحت
والقطر قد رش ثوب الدوح حين رأى * مجامر الزهر فى أذياله نفحت
ومما يحسن نظامه فى هذا السلك قوله
رناوانثنى كالسيف والصعدة السمرا * فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى
ومما اختاره الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله من ديوان أبى الفتوح نصر الله بن قلاقس وهو حسن فى هذا الباب قوله كم مقلة للشقيق الغض رمداء * انسانها سابح فى بحر انداء
وقوله ففاوا سألا لامنى زفيرا وادمعا * اكانالهم الامصيفا ومربعا
وهو من الغايات التى اختارها الشيخ جمال الدين بن نباتة من شعر ابن قلاقس فانه قال طالعت ديوان الاديب البارع أبى الفتوح نصر الله بن قلاقس فطالعت الفن الغريب وفتح على بتأمل ألفاظه فتلوت نصر من الله وفتح قريب بيد أنى وجدت له حسنات تبهر العقول فضلا وسيآت يكاد يذكرها ابن قلاقس يقلى انتهى كلام الشيخ جمال الدين بن نباتة ومما وقع فى تناسب القسمين الى الغاية قول الشيخ ظهير الدين بن البارزى رحمه الله وهو
يذكرنى وجدى الحمام اذا غنى * لانا كلانا فى الهوى يعشق الغصنا
ذكر الصلاح الصفدى فى كتابه فوات الوفيات ان الشيخ أثير الدين أبا حيان قال رأيت الشيخ المذكور صوفيا بحماة المحروسة وأنشدنى لنفسه هذه القصيدة وعدة مقاطيع منها
أرالـ فاستحيى فأطرق هيبة * وأخفى الذى بى من هوالـ وأكتم
وهيهات أن يخفى وأنت جعلتنى * جميعى لسانا فى الهوى يتكلم
وتوفى بعد الثمانين والستمائة وأما مطلع الشيخ شمس الدين بن العفيف فى هذا الباب فظرافته لا تنكر لانه كان ينعت بالشاب الظريف قال فى شطره الاول
* أعز الله أنصار العيون * وفى الثانى * وخلد ملك هاتيك الجفون * وما أطرف ما قال بعده وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وجدد نعمة الحسن المصون
وما أحسن ابتدا آت الشيخ عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة فجميعها نسجت على هذا المنوال منها قوله حروف غرامى كلها احرف اغراء * على أن سقمى بعض أفعال أسماء
وقوله وبلاه من نوى المشرد * أواه من شملى المبدد
وقوله أهلا بطيفكم وسهلا * لو كنت للاغفاء أهلا
وما أحلى ما قال بعده لكنه وافى وقد * حالف السهاد على ان لا
وقد توارد هو وابن عنين فى هذا المعنى وكل كساه ديباجة تأخذ بمجامع القلوب ومطلع ابن عنين قوله
ماذا على طيف الاحبة لو سرى * وعليهم لو سامحونى بالكرى
وقول مهيار الديلمى فى هذا الباب مشهور والذى أقوله ان الشيخ جمال الدين بن نباتة نبات هذا البستان وقلادة هذا العقيان ومن مطالعه التى هى أبهج من مطالع الشمس قوله فى هذا الباب
فى الريق سكر وفى الاصداغ تجعيد * هذا المدام وهاتيك العناقيد
وقوله بدا ورنت لواحظه دلالا * فما أبهى الغزالة والغزالا
وقوله سلبت عقلى باحداق وأقداح * ياساحر الطرف بل ياساقى الراح
وما ألطف ما قال بعده
سكران من مقلة الساقى وقهوته * فاترك ملامك فى السكرين ياصاح
وقوله انسان عينى بتجميل السهاد بلى * عمرى لقد خلق الانسان من عجل
وقوله قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتنى الجنون بالسوداء

واستنطاقها والشمس واشراقها أوليس عما قريب جفافها هى أيد الله الشيخ الجليل اليد لا تسعها الرخصة انه لا ينبض للناحية بعد شهرين عرق ولا يوجد بأهلها طارق من ورد حوضها الآن ورده ملآن فان احتسب الشيخ الجليل ونشط القاصد ينهضه بمنشور يبذله عن عناية يؤكدها بكتاب يصحبه الى الشيخ الرئيس أبى عامر رجوت أن يرتفع المراد والا فلا وان استسقى عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب فسقى الناس وكشف الجدب فقد استسقيت بشيخى الجماعة والسنة وابنى سيدى شباب أهل الجنة وتجزت كلامهما (وايس امرؤ فى الروع كانا سلاحه * عشية يلقى الحادثات باعزلا) وللشيخ الجليل السيد ولى النعمة مولانا فى تشريف عبده وخادمه وتصريفه على أمره ونهيه عالى رأيه ان شاء الله تعالى
(وله اليه صدر كتاب) كتابى أطال الله بقاء الشيخ

وقوله نفس عن الحب ماحادت وماغفلت * باى ذنب وقالك الله قد قتلت

وقد تقدم شروط لا بد من اجتنابها فى حسن الابتداء منها الحشو ولكن وقالك الله حشو اللوز ينج

وقوله لام العذار أطالت فيك تسهيدى * كانها الغرامى لام توكيد

ولولا الاطالة لافعمت الاذواق من هذا السكر النباتى ورأيت للشيخ صفى الدين الحلى فى الارتقيات قصيدة قافية مطلعها فى هذا الباب غاية وهو قوله

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من يحيا الى حين نلتقى

وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلى قصيدة نونية نظمها بحماة ومطلعها فى حسن الابتداء حسن سمعنا حمام الدوح فى روضة غنا * فاذكرنا ربع الحبائب والمغنى

ولقد سهوت عن مطلع الشيخ علاء الدين على بن المظفر الكندى الشهير بالوداعى فانه ليس له فى تناسب القسمين قسيم وهو بدر اذا ما بدا محياه * أقول ربى وربك الله

وعارضه الشيخ جمال الدين ابن نباته فى هذه القصيدة بعينها ورقى الى مطلع بدره وزاحمه فى حسنه فطلع الشيخ جمال الدين له اذا غازلتك عيناه * سهام لحظ أجارك الله

ومن مطالعى التى حصل لى فيها الفتوح فى هذا الباب قولى

طلعتم بدورا فى أعز المطالع * فبشرنى قلبى بسعد طوالعى

وقولى اغراء لحظك مالى منه تحذير * ولا لتعريف وجدى فيك تنكير

وقولى فى عروض الجفا بحور دموعى * ما أفادت قلبى سوى التقطيع

وقولى لله قوم لنظم الوصل قد نثروا * شعرت فى حبهم ياليتهم شعروا

وقولى جردت سيف اللحظ عند تهددى * ياقاتلى فسلبتنى بمجرد

وقولى هواى بسفح القاسمية والجسر * اذا هب ذاك الريح فهو الهوى العذرى

وكانى بمنتقد تألم قلبه على المتقدمين بكثرة النقد ومالت نفسه الى مع المتأخرين ليستوفى الشروط الادبية فى مباشرة هذا العقد وقولى

قد مال غصن النقا عن صبه هيفا * ياليته بنسيم العتب لو عطفا

فاقول وبالله المستعان ان جماعة من المخاديم بدمشق رسموا ان أعارض شيأ من نظم الشيخ جمال الدين بن نباته وتخير والى خمس قصائد منها قصيدته الكافية التى مطلعها

تصرمت الايام دون وصالك * فمن شافعى فى الحب يا ابنة مالك

فلما انتهيت الى معارضتها وجدت بين الشطر الثانى من المطلع وبين الشطر الاول مباينة كما تقدم فى مطلع امرئ القيس من الكلام على أن فى شطره الاول ما ليس فى الثانى * وقد اتفق علماء البديع على أن عدم تناسب القسمين نقص فى حسن الابتداء * وقد تقدم قول زكى الدين بن أبى الاصبع ان مطلع النابغة أفضل من مطلع امرئ القيس لتناسب القسمين وان كان مطلع امرئ القيس أكثر معانى انتهى ولو قال الشيخ جمال الدين فى مطلعه

تمذهبت فى هجرى بطول مطالك * فمن شافعى فى الحب يا ابنة مالك

لجمع بين تناسب القسمين ومطلعى الذى عارضت به الشيخ جمال الدين

رضيع الهوى يشكو افطام وصالك * فداوى بنى الحب يا ابنة مالك

وكذلك من مطالع الشيخ صفى الدين الحلى فى قصيدته الجيمية التى هى من جملة القصائد الارتقيات التى امتدح بها الملك المنصور صاحب ماردين

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج

فالشطر الثانى ليس من جنس الشطر الاول فان الشطر الاول فى الطريق الغرامية ليس له مثل

عن سلامة يغبر فى وجهها الحرب والحصار وعافية معها الخوف والحذار وصنع الله حارس أثناء الخطوب والشيخ الجليل بحمد الله ملى القلب ثابت القدم وافر الاعوان والخدم مخيل بالظفر والسلاح يعض ويكلم ويهد ويهدم والحرب على ساق والفتيان على تلاق ونحن الى هذه الغاية متضعون ومستعلون والله ولى الكفاية

(وله اليه عتاب)

كانى والثمرة أدام الله عز الشيخ تخرج من أكمامها فتكون مرة قبل تمامها ثم تصير مزة كثيرا من أيامها ثم تكون فجة عفصة ثم لا يزال الليل والنهار ينضجانها حتى تصبح رطبا جنيا وتؤكل حلوا هنيا وقد تصورنى الشيخ الجليل حجر الابزن فى الماء والنار لا ينضجنى الليل والنهار وللشباب نزقة طيش ثم يربعون اذا جاء الاربعون و ينزعون وان كانوا لا يوزعون

ومن أنكر هذا النقد ينظر في مطلع الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض قدس الله سره فانه في هذا الباب طرفة وهو   ما بين معترك الاحداق والمهج * أنا القتيل بلا اثم ولا حرج
وهنا نكتة لطيفة تؤيد هذا النقد اتفق أن الشيخ نور الدين علي ابن سعيد الاندلسي الاديب المشهور الذي من نظمه قوله

واطول شوقي الى ثغور * ملأى من الشهد والرحيق
عنها أخذت الذي تراه * يعذب من شعري الرقيق

لما ورد الى هذه البلاد اجتمع بالصاحب بهاء الدين زهير وتطفل على موائد طريقته الغرامية وسأله الارشاد الى سلوكها فقال له طالع ديوان الحاجري والتلعفري وأكثر المطالعة فيهما وراجعني بعد ذلك فغاب عنه مدة وأكثر من مطالعة الديوانين الى ان حفظ غالبهما ثم اجتمع به بعد ذلك وتذاكرا في الغراميات فانشده الصاحب بهاء الدين زهير في غضون المحاضرة * يا بان وادي الاجرع * وقال أشتهي أن يكمل لي هذا المطلع فأفكر قليلا وقال * سقيت غيث الادمع * فقال والله حسن لكن الاقرب الى الطريق الغرامي أن تقول * هل ملت من طرب معي * وما ألطف مطلع الحاجري في هذا الطريق   لك أن تشوقني الى الاوطان * وعلي أن أبكي بدمع قاني
والآراء على هذا النوع تستحسن هنا مطلع ناصر الدين بن النقيب فانه أعدل شاهد مقبول والتشبيب بنفسه الطيب يغني في هذه الحضرة عن الموصول وهو

قلدت يوم البين جيد مودعي * دررا نظمت عقودها من أدمعي

وبالنسبة الى حسن الابتداء آن مطلع الشيخ برهان الدين القيراطي مع حسنه وبهجته فيه نقص وهو   قسما بروضة خدها ونباتها * وبآسها المخضل في جنباتها
فانه لم يأت بجواب القسم ولا ما يحسن السكوت على مطلعه ولا تتم الفائدة الا به ومشايخ البديع قرروا ان لا يكون المطلع متعلقا بما بعده في حسن الابتداء وقد آن ان أحبس عنان القلم فان الشرح قد طال ولم أطله الا ليزداد الطالب ايضاحا ويداوي علل فهمه بحكم المتقدمين ويتنزه في رياض الادب على النبات الغض من نظم المتأخرين انتهى ما أوردته في حسن الابتداء وقد فرع المتأخرون منه براعة الاستهلال في النظم والنثر وفيها زيادة على حسن الابتداء فانهم شرطوا في براعة الاستهلال ان يكون مطلع القصيدة دالا على ما بنيت عليه مشعرا بغرض الناظم من غير تصريح بل باشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم ويستدل بها على قصده من عتب أو عذر أو تنصل أو تهنئة أو مدح أو هجو وكذلك في النثر فاذا جمع الناظم بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال كان من فرسان هذا الميدان وان لم يحصل له براعة الاستهلال فليجتهد في سلوك ما يقوله في حسن الابتداء وما سمي هذا النوع براعة الاستهلال الا لان المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به ورفع الصوت في اللغة هو الاستهلال يقال استهل المولود صارخا اذا رفع صوته عند الولادة وأهل الحجيج اذا رفعوا أصواتهم بالتلبية وسمي الهلال هلالا لان الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته * ومما وقع من براعات الاستهلال التي تشعر بغرض الناظم وقصده في قصيده براعة قصيدة الفقيه نجم الدين عمارة اليمني حيث قال

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب

فاشارات العتب والشكوى لا تخفى على أهل الذوق في هذه البراعة ويفهم منها أن بقية القصيدة تعرب عن ذلك فان زكي الدين بن أبي الاصبع قال براعة الاستهلال هي ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله وهذه القصيدة في حكمها وتحشمها وتسيير أمثالها نهاية والموجب لنظمها على هذا النمط أنه كان بينه وبين الكامل بن شاور صحبة أكيدة قبل وزارة أبيه فلما وزر استطال عليه فكتب

ولقد نظرت في المرآة فوجدت الشيب يتلهب وينهب والشباب يتأهب ويذهب وما أمرج هذا الاشهب الالسير وأسأل الله خاتمة خير وأنا أرجو أن يكون ما نسبني اليه ولي النعمة أدام الله علاه من الظلم والعدوان مطايبة ومزاحا فان كان اعتقادا فلأمي الويل وسال بي السيل فأما الخراج وتوابعه فوالله ما أحوج عاملا الى اقتضائه انما الحديث في جزاف يطلب ومحال يكتب فاما حقوق الديوان أصلا وفرعا فلا يدعي العمال علي باقيا الاغرمت للدرهم دينارا أجنون أنا وأما الشركاء فهم يفدونني بالامهات والآباء وقد سمع الشيخ الجليل كلامهم والذكرى تنفع المؤمنين * ومما أطرف به المجلس العالي زاده الله شرفا انه كان في جيرتنا رجل يكنى أبا الهول كانسميه اسطوانة المسجد لكثرة صلاته وكان له عم موسر لا عقب له فرزق ولدا على كبر السن

اليه هذه القصيدة التي من جملتها

ولا تحتقر كيد اصغيرا فربما * تموت الافاعي من سموم العقارب

ومنها اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من الانفاق في غير واجب

فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

ومنها وماراعني غدر الشباب لانني * ألفت لهذا الخلق من كل صاحب

ومنها اذا كان هذا الدرمعدنه فمي * فصونوه عن تقبيل راحة واهب

رأيت رجالا حالهم في مآدب * لديكم وحالي عندكم في نوادب

تأخرت لما قدمتكم علاكم * على وتأبى الاسد سبق الثعالب

ترى اين كانوا في مواطني التي * غدوت لكم فيهن أكرم خاطب

ليالي اتلو ذكركم في مجالس * حديث الورى فيها بغمز الحواجب

ومن الطف البراعات واحشمها براعة مهيار الديلمي فانه بلغه انه وشي به الى ممدوحه فتنصل من ذلك بالطف عذر وابرزه في معرض التغزل والنسيب فقال

اما وهواها حلفة وتنصلا * لقد نقل الواشي اليك فامحلا

وما أحلى ما قال بعده

سعى جهده لكن تجاوز حده * وكثر فارتابت ولو شاء قللا

واذكرني مهيار بحسن براعته ما كتبت به الى سيدنا ومولانا قاضي القضاة صدر الدين ملك المتأدبين أبي الحسن على بن الآدمي الحنفي الناظر في الحكم العزيز بالديار المصرية والممالك الاسلامية جمل الله الوجود بوجوده من حماة المحروسة الى أبوابه العالية بدمشق المحروسة ورياحين الشبيبة غضة وكانت مطالعاتي قد تأخرت عن أبوابه العالية لعارض حجب الفكر عن هذا الفن وهي رسالة مشتملة على نظم ونثر فصدرت الجواب بقصيدة ترفل في حلل النسيب على طريق مهيار وكلها براعة استهلال أولها

وصلت ولكن بعد طول تشوقي * ودنت وقد رقت لقلبي الشيق

وما أحلى ما قلت بعده فثملت من طرب برجع حديثها * فكأنما قد نادمت بمعتق

وجميعها على هذا الطريق البديعي ومثله ان المقر المخدومي الاميني الحمصي لما انتقل من توقيع حمص المحروسة الى صحابة ديوان الانشاء بدمشق قصد نقلتي من حماة المحروسة الى أبوابه العالية وحب حماة بفتر العزم عن ذلك وهذا يفهم من قولي في بعض قصائدي فيها

يلذ عناق الفقر لي بفنائها * وفي غيرها لم ارض بالملك والرهط

ولكنه قطع اسئلته العالية بعد أن كانت كؤس الانشاء دائرة بينناف كتبت اليه بقصيدة تشعر بعتب لطيف وبلابل الغزل تغرد في أفنانها على طريقة مهيار الديلمي وطريق مولانا قاضي القضاة صدر الدين عظم الله تعالى شأنه وبراعة استهلالها

من باسياف هجرهم كلمونا * ماعليهم لوانهم كلمونا

ولم أعرب في نحو هذه القصيدة عن غير هذه الاشارات اللطيفة

ومنها غلقوا باب وصلهم فتح الله * له لهم بالهناء فتحا مبينا

وصلوا هجرنا وعيش هواهم * لم نحل عنهم ولوقطعونا

ملكوا رقنا فصرنا عبيدا * ليتهم بعد رقنا كاتبونا

ولم ازل أغازل عيون هذه المعاني الى المخلص فقلت

حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا في بعادنا مسنونا

أبا الهول فرط عمه ان زوى الله عنه ميراث عمه على ترك الصلاة أصلا فكان لا يؤدي فرضا ولا نفلا ولا يرد سلاما ولا يعمل في الخير عملا ولا يغسل استه مثلا وقد وجدت لابي الهول عدلا وهو أبو فلان وكان فيما مضى يعتق في كل شهر عبدا ويصلي بالليل وردا ويتخذ مصانع وربطا فرجع من الحضرة وقد سلخه الله من كل خير وضربه في قالب غير فهو الآن لا يشهد جامعا ولا جمعه ولا يصلي في الظاهر ركعة ولا يعطي فقيرا حبه ولا يرزق طفل منه محبه وقد اتخذ نقباء واعوانا وارتبط رجالة وفرسانا وقد ملأ الرستاق والبلد احجالا وما سجل أحد قبلي على سعاية ولولا أمر خصني لرأيت حقا لله ان انهض الى المجلس العالي لتصوير حاله وقد طويت هذا الكتاب على ماعاملني به واذا كانت هذه حالي وأنا أمشي بالنهار على الماء وأعرج بالليل الى السماء علم الشيخ الجليل حال العامة واذا أنعم بالنظر في الرقعة التي طويت كتابي

والحشا لم يخن عهودفا كم * فاسئلوا من غدا عليها أمينا

ومما يشعر بالتهنئة والنصر على الاعداء براعة الاملاء لسان الدين بن الخطيب وهى

الحق يعلو والاباطل تسفل * والحق عن أحكامه لا يسئل

فانه قال نظمت للسلطان أسعده الله وأنا بمدينة سلا لما انفصل طالبا حقه بالاندلس قصيدة كان صنع الله مطابقا لاستهلالها ووجهت بها الى رندة قبل الفتح ثم لما قدمت أنشدتها بين يديه بعد الفتح وفاء بنذرى وسميتها الفتح الغريب فى الفتح القريب منها

واذا استحالت حالة وتبدلت * فالله عز وجل لا يتبدل

واليسر بعد العسر موعود به * والصبر بالفرج القريب موكل

والمستعد بما يؤمل ظافر * وكفاك شاهد قيدوا وتوكلوا

ومنها

مجد والمجد منك سجية * يجليها بين الورى يتجمل

اما سعودك فهو دون منازع * عقد باحكام القضاء يسجل

ولك السجايا الغر والشيم التى * بغريبها يتمثل المتمثل

ولك الوقار اذا زلت على الربا * وهفت من الروع الهضاب المثل

ومنها

عوذ كمالك ما استطعت فانه * قد تنقص الاشياء مما تكمل

تاب الزمان اليك مما قد جنى * والله يأمر بالمتاب ويقبل

ان كان ماض من زمانك قد مضى * باساءة قد سرك المستقبل

هذا بذاك فشفع الثانى الذى * ارضاك فيما قد جناه الاول

والله قد ولاك أمر عباده * لما ارتضاك ولاية لا تعزل

واذا تغمدك الاله بنصره * وقضى لك الحسنى فمن ذا يخذل

ومنها

وظعنت عن أوطان ملكك راكبا * متن العباب فاى صبر يجمل

والبحر قد خفقت عليك ضلوعه * والريح تبلع الزفير وترسل

ولك الجوارى المنشآت قد اغتدت * تختال فى برد الشباب وترفل

خرقاء يحملها ومن حملت به * من يعلم الانى وماذا تحمل

صبحتهم غرر الجياد كأنما * سد الثنية عارض متهلل

من كل منجرد أغر محجل * يرمى الجياد به اغر محجل

زجل الجناح اذا اجد لغاية * واذا تغنى للصهيل فبلبل

جيد كما التفت الظليم وفوقه * اذن مشققة وطرف أكحل

ومنها

وخليج هند راق حسن صفائه * حتى يكاد به يقوم الصيقل

غرقت بصفحته النمال وأوشكت * تبغى النجاة فاوثقتها الارجل

فالصرح منه ممرد والصفح منه مورد والشط منه مهدل

وبكل أزرق ان شكت ألحاظه * مرء العيون فبالعجاجة يكحل

متأود أعطافه فى نشوة * مما يعل من الدماء وينهل

عجبا له ان الحميع بطرفه * رمد ولا يخفى عليه مقتل

لله موقفك الذى وثباته * وثباته مثل به يتمثل

والخيل خط والمجال صحيفة * والسمر تنقط والصوارم تشكل

والبيض قد كسرت حروف جفونها * وعوامل الاسل المثقف تعمل

وهى طويلة وجميعها افراد ولم أكثر منها الا لعلمى ان نظم الوزير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله

هذا عليها وفى جواب القاضى فى آخرها وعلى ظهرها علم صدق ما يقوله العبد وللشيخ الجليل فى تأهيل العبد للجواب وزجر هذا الطويل عما يتعاطاه رأيه العالى ان شاء الله تعالى

(وله اليه فى شأن أبى البحترى) جزى الله الشيخ الجليل السيد النبيل أفضل ما جازى مولى عن عبده ثم أضعف الله له من عنده ومن قال جزاك الله خيرا فقد أولى جميلا وأعطى جزيلا وما قصر من اتخذ الله وكيلا ومابى أدام الله تمكين الشيخ الجليل مال حصل أو حق وصل انى لا أعدم فى كنفه المال وابلغ فى دولته الآمال ولكن أبو البحترى حمانى لذيذ النوم ومنعنى بياض اليوم أنى يكون مثلى وأنا صحب ضرب يعبث به صفعان كانه درب وكنت أسمع بطرار كانه النبل ولم أسمع بمحتال كأنه الطبل ويقولون لص كالحية فى الظلم وطرار كالزلم فاما طرار كالسلم ولص فى طول المنارة وعرض الغرارة فلا الا هذا الحروعنوان الاحمق كنيته ثم بنيته ثم

تعالى غريب في هذه البلاد ومن البراعات التي يفهم من اشاراتها انها تهنئة بمولود قول أبي بكر بن الخازن رحمه الله تعالى بشرى فقد انجز الاقبال ماوعدا * وكوكب المجد في أفق العلا صعدا
ومما يشعر بقرينة الذوق أن الناظم يريد الرثاء قول التهامي
حكم المنية في البرية جاري * ماهذه الدنيا بدار قرار
وهذه القصيدة يرثي بها ولده وهي نسيج وحدها وواسطة عقدها
ومنها ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب في الماء جذوة نار
جبلت على كدر وأنت تريدها * صفوا من الاقذاء والاقذار
واذا رجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال ساري
وما أعلم ان أحدا استهل للمراثي بأحسن من هذه البراعات ومنها يشير الى ولده وهو من المعاني المستغربة جاورت أعدائي وجاور ربه * شتان بين جواره وجواري
وأما قصيدة الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى في تهنئة السلطان الملك الافضل بسلطنة حماة وتعزيته بوفاة والده الملك المؤيد سقى الله ثراه فانها من عجائب الدهر فانه جمع فيها بين نقيضي المدح والرثا في كل بيت وبراعتها هناء محا ذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما
ثغور ابتسام في ثغور ومدامع * شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما
يرد مجاري الدمع والبشر واضح * كوابل غيث في ضحى الشمس قد همى
سبحان المانح والله من لا يتعلم الادب من هنا فهو من المحجوبين عن ادراكه (وكتب اليه) الشيخ صلاح الدين الصفدي قصيدة ضمن فيها أعجاز معلقة امرئ القيس وصرح في براعتها بغليظ العتب ولم يأت في البراعة باشارة لطيفة يفهم منها القصد بل صرح وقال
أفي كل يوم منك عتب يسوءني * كجلمود صخر حطه السيل من عل
فاجابه الشيخ جمال الدين بقصيدة ضمن فيها الاعجاز المذكورة وبراعة استهلالها
فطمت ولائي ثم أقبلت عاتبا * أفاطم مهلا بعض هذا التدلل
والاشارة بقوله أفاطم مهلا بعض هذا التدلل لا يخفى على حذاق الادب مامراده منها وفي هذا القدر كفاية وما أحلى ماقال بعده وهو مما قصده في تلك الاشارة
فدونك عتب اللفظ ليس بفاحش * اذا هي نصته ولا بمعطل
(وهنا بحث) وهو اني وقفت على بديعية الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر الاندلسي الشهيرة ببديعية العميان فوجدته قد صرح في براعتها بمدح النبي صلى الله عليه وسلم وهي
بطيبة انزل ويمم سيد الامم * وانثر له المدح وانشر طيب الكلم
فهذه البراعة ليس فيها اشارة تشعر بغرض الناظم وقصده بل أطلق التصريح ونثر المدح ونشر طيب الكلم فان قال قائل انها براعة استهلال قلت ان البديعية لا بد لها من براعة وحسن تخلص وحسن ختام فاذا كان مطلع القصيدة مبنيا على تصريح المدح لم يبق لحسن التخلص محل ولا موضع ونظم هذه القصيدة سافل بالنسبة الى طريق الجماعة غير أن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبا جعفر الاندلسي شرحها شرحا مفيدا (وهنا فائدة) وهو ان الغزل الذي يصدر به المديح النبوي يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب ويتضاءل ويتشبب مطربا بذكر سلع ورامة وسفح العقيق والعذيب والغوير ولعلع وأكناف حاجر ويطرح ذكر محاسن المرد والتغزل في ثقل الردف ورقة الخصر وبياض الساق وحمرة الخد وخضرة العذار وما أشبه ذلك وقل من يسلك هذا الطريق من أهل الادب وبراعة الشيخ صفي الدين الحلي في هذا الباب من أحسن البراعات وأحشمها وهي

حليته ثم مشيته ووالله ما أعرف معنى أبي البحتري فهلا أبو حامد وأبو خالد وان امرأة تقعد مدة تعصر بطنها وظهرها وتعدو مها وشهورها ثم تسميه أبا البحتري لرعناء لا تستحق مهرها وخليقة ان تطم نهرها فلا تمد دهرها ثم الوجه اللعيم لا يحمله كريم والانف السمين لا ينقله الامين والقطف سير الحير والهر ولذمشية الخنازير وله اليه في هزيمة السامانية بباب سرخس
ما أظن اطال الله بقاء الشيخ السيد آل ساسان الا مدعين على الله مقاطعة أرضه ومساقاة ثمارها يا هؤلاء لا تكابروا الله في بلاده ولا تراودوا الله تعالى غير مراده ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده وما أرى آل سبعور الامعتقدين انهم يأخذون خراسان قهرا كانما كانت لامهم مهرا فلهم من حولها محيط والله من ورائهم محيط وبلغني ان صاحبهم آسر فان كان ما بلغني صحيحا فرحبا بالامر ولا لعا للعاثر حتام كفر الكافر وغدر الغادر وأبو الحسين بن كثير خذله الله لا يكادري

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم * واقر السلام على عرب بذى سلم
فقد شبب بذكر سلع والسؤال عن جيرة العلم والسلام على عرب بذى سلم ولا يشكل على من عنده أدنى ذوق ان هذه البراعة صدرت لمديح نبوى ومطلع البردة أيضا فى هذا الباب من أحسن البراعات أيضا وهو أمن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم فمزج دمعه بدمه عند تذكر جيران بذى سلم من ألطف الاشارات الى أن القصيدة نبوية وما أحلى ما قال بعده أم هبت الريح من تلقاء كاظمة * وأومض البرق فى الظلماء من اضم
وحشمة الشيخ جمال الدين بن نباتة فى براعة قصيدته الرائية النبوية يتعلم الاديب منها سلوك الادب وهى صحا القلب لولا نسمة تتخطر * ولمعة برق بالغضا تتسعر
وما أحشم قوله بعده
وذكر جبين المالكية ان بدا * هلال الدجى والشئ بالشئ يذكر
سقى الله أكناف الغضا سائل الحيا * وان كنت أسقى أدمعا تتحدر
وأما قصيدتى النبوية الموسومة بامان الخائف فانها عزيب هذا البارق وحابة مجرى هذه السوابق لانى لم أخرج فى تغزلها عن التبارى والتشبيب بذكر المنازل المعهودة وبراعتها
شدت بكم العشاق لما ترنموا * فغنوا وقد طاب المقام وزمزم
وقلت بعده وضاع شذاكم بين سلع وحاجر * فكان دليل الظاعنين اليكم
وحزتم بوادى الجزع فاخضر والتوى * على خده بالنبت صدغ منمم
ولما روى أخبار نشر ثغوركم * أراك الحمى جاء الهوى يتنسم
وما أليقه أن يكون صدرا للمدائح النبوية ومنها
فيا عرب الوادى المنيع حجابه * وأعنى به قلبى الذى فيه خيموا
رفعتم قبابا بانصباب عينى ونحوها * فجرذيول الشوق والقلب يجزم
ويامن اماتوا اشتياقا فاوصبروا * مدامعنا غسلا للنار تيمموا
منعتم تحيات السلام لموتنا * غراما وقد متنا فصلوا وسلموا
يقولون لى فى الحى أين قبابهم * ومن هم من السادات قلت هم هم
عريب لهم طر فى خباء مطنب * بدمعى وقلبى نارهم حين تضرم
ومن ألطف الاشارات الى ان هذا التغزل صدر قصيدة نبوية قولى منها
أورى بذكر البان والرند والنقا * وسفح اللوى والجزع والقصد أنتم
ولم أزل فى براعة الاستهلال استهل أهلة هذه المعانى الى ان وصلت الى حسن التخلص فقلت
تقنعت فى حى لهم فتعصبوا * على وهم سادات من قد تلثموا
لهم حسب عالى ببطحاء مكة * لان رسول الله فى الاصل منهم
ومن الاغزال التى لا تليق أن يكون غزلها المديح قصيدة نبوى قصيدة السرى الرفاء فانه مدح بها الفاطميين وجدهم صلى الله عليه وسلم وجرح القلوب بندبة الحسين عليه السلام فانه قال منها
مهلا فانقلوا آثار والده * وانما نقضوا فى قتله الدينا
وهذه القصيدة مشتملة على مدح النبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته وندبة الحسين بن على عليهما السلام فما ينبغى أن تكون براعتها
نطوى الليالى علما ان ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا
ما أحق هذه البراعة لبعدها من المديح بقول القائل
تمنيتهم بالرقتين ودارهم * بوادى الغضى يا بعد ما أتمناه

الخبر من ابن واحد افتر جوه من ابن كثير وهو الترياق المجرب للملك المقرب يقذف من كل جانب دحورا هذا المؤيد من السماء بيمن تدبيره يلتمس فى بيره وهذا اسنان الدولة ببركة ضميره وقد فى تحبيره ولا زال هذا البائس حتى يسأل الله العافية عن بدنه وحديث ما حديث هذا الجمال كان ابا ليس يقسم كل صبحة اللعى القاقصار يقسم الوفا سلطان آتاه الله وواسطة البر وحاشية البحر وأمكنه من طاغية الهند وسخر له ملوك الارض يريد جمال مراغمته * بالرجال لنازل الحدثان * انى لاعجب من رأس يودع تلك الفصول فلا ينشق ومن عنق يحمل ذلك الرأس فلا يندق وما أجد لابن محمود مثلا الا ابن الراوندى اذ ذهب الى ابن الاعرابى يسأله عن قول الله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف أتقول العرب ذقت اللباس فقال لا بأس ولا باس واذا حيا الله الناس فلا حيا ذلك الراس هبك تتهم محمدا لم يكن نبيا أتتهمه بأن لم يكن فصيحا عربيا وجئت تسأل ابن الاعراب أليس

وما كفاه حتى قال بعد ذلك

وتوجي بكؤس الراح راحتنا * فانما خلقت للراح أيدينا
قامت تهز قوامانا عما سرقت * شمائل البان من أعطافه اللينا
تدير خمرا انلقاها المزاج لها * ألقيت فوق جنى الورد نسرينا
فلست أدري أتسقينا وقد نفحت * روائح المسك منها أم تحيينا
وقد ملكنا زمان العيش صافية * لو فاتنا الملك راحت عنه تسلينا

أقول غفر الله له هذا الغزل فيه اساءة أدب على ممادحه فانه شبب بوصف القيان وبذكر الخمر وبينه وبين المديح مباينة عظيمة (رجع) الى البراعات البارعة التى تشعر انها صدر المديح النبوى بالاشارات اللطيفة فمنها براعة الشيخ برهان الدين القيراطى وهى قوله

ذكر الملتقى على الصفراء * فبكاه بدمعة حمراء

وأما براعة بديعيتى فانها ببركة ممدوحها صلى الله عليه وسلم نور هذه المطالع وقبلة هذا الكلام الجامع فانى جمعت فيها بين براعة الاستهلال وحسن الابتداء بالشرط المقرر لكل منهما وابرزت تسمية نوعها البديعى فى أحسن قوالب التورية وشنفت باقراط غزلها الاسماع مع حشمة الالفاظ وعذوبتها وعدم تجافى جنوبها عن مضاجع الرقة وبديعية صفى الدين غزلها لا ينكر غير أنه لم يلتزم فيها تسمية النوع البديعى مورى به من جنس الغزل ولو التزمه لتجافت عليه تلك الرقة وأما الشيخ عز الدين الموصلى فانه لما التزم ذلك نحت من الجبال بيوتا وقد أشرت الى ذلك فى الخطبة بقولى وهى البديعية التى هدمت بها ما نحته الموصلى فى بيوته من الجبال وجاريت الصفى مقيدا بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال وسميتها تقديم أبى بكر عالما أنه لا يسمع من الحلى والموصلى فى هذا التقديم مقال ومن أحسن اشارات براعتى التى تشعر انها صدر مديح نبوى تشبيبى بعرب ذى سلم وخطابى لهم بان لى فى مدائحهم براعة تستهل الدمع وكأنى وعدتهم بشئ لا بد من القيام به وهذا حسبما أراده ابن ابى الاصبع بقوله براعة الاستهلال هى ابتداء الناظم بمعنى ما يريد تكميله انتهى ما أوردته هنا من البراعات البارعة نظما وأما براعات النثر فانهم امثالها ان لم تكن براعة الخطبة أو الرسالة أو صدر الكتاب المصنف دالة على غرض المنشئ والا فليست ببراعة استهلال وقد رأيت غالب البديعيين قد اكتفوا عند استشهادهم على براعة الاستهلال فى النثر بقول الصاحب عمرو بن مسعدة كاتب المأمون فانه امتحن أن يكتب للخليفة يخبره أن بقرة ولدت عجلا وجهه كوجه الانسان فكتب الحمد لله الذى خلق الانام فى بطون الانعام ورأيت الشيخ صفى الدين الحلى فى شرح بديعيته قد ألقى عند الاستشهاد بها عصى التسيار واحتجبت عنه فى هذا الافق الشموس والاقمار أين هو من علو مقام القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وقد كتب عن السلطان الملك الظاهر الى الامير سنقر الغارقانى جوابا عن مطالعته بفتح سوس من بلاد السودان واستهل بقوله وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة الله أكبر ان من البلاغة لسحرا والله ما أظن هذا الاتفاق الغريب اتفق لناثر ولولا هلال كاتب المأمون فى هذا الاستهلال بزاهر وهذا المثال الشريف ليس له مثال منه صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامى تثنى على عزائمه التى دلت على كل أمر رشيد وأنت على كل جبار عنيد وحكمت بعدل السيف فى كل عبد سوء وما ربك بظلام للعبيد وبراعة الشيخ جمال الدين بن عبد الرزاق الاصفهانى فى رسالة القوس تجارى براعة القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى هذه الحلبة وتساويها فى علو هذه الرتبة فانه أتى فيها بالعجائب وأصاب غرض البلاغة بسهم صائب واستهلها بعد البسملة بقوله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض

الاعرابى نفسه جاء بهذا الكلام كذلك ابن محمود ينفض استه ويضرب مذرويه لينال الملك لا لوافر عدة ولا لكثرة عدد انما يطمع فى الملك لانه ابن محمود أفليس محمود نفسه بالملك أحق فالحمد لله الذى نصركم وأخزاهم وثبتكم ونفاهم واركب اخراهم أولاهم فلا رحم الله قتلاهم ولا جبر الله جرحاهم ولا فك اسراهم ولا أراكم الا قفاهم وان أقبلوا فافض الله فاهم ورحم الله عبدا قال آمينا

(وله اليه فى هزيمة السامانية بباب مرو)

وردت رقعة الشيخ الجليل أدام الله بسطته منى على صدر انتظرها وقلب استشعرها وانى لا أغلط فى قوم أميرهم صبى ولا فى دولة عميدها خصى وسنانها حلقى ونصيرها شقى وعدوها قوى انى اذا لغوى يا قوم بماذا ينصرون أبمال عليهم اعتمادهم أم بجمع هو مدادهم أم بعدل به اعتضادهم أم لرأى هو عمادهم هل هم الا سطور فى قطوران الله تعالى علم انهم ان ملكوا لم يصلحوا وأمرهم أن

وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا *(منها)* شيطان تطلع شمس النصرة من بين قرنيه مارد لا يصلح الا بتعريك اذنيه صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الا ماجمات ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم وأما براعة الشيخ جمال الدين بن نباتة فى خطبة كتابه المسمى بخبز الشعير فانها خاص الخاص ولا بد من مقدمة تكون هى النتيجة الموجبة لتسمية هذا الكتاب بخبز الشعير فانه مأكول مذموم ومن ذلك الا انه كان يخترع المعنى الذى لم يسبق اليه ويسكنه بيتا من أبياته العامرة بالمحاسن فيأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى بلفظه ولا يغير فيه غير البحر وربما عام به فى بحر طويل يفتقر الى كثرة الحشو واستعمال ما لا يلائم فلم يسع الشيخ جمال الدين الا انه جمعه من نظمه ونظم الشيخ صلاح الدين واستهل خطبته بقوله تعالى رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا ورتب كتابه المذكور على قوله (قلت أنا) فأخذه الشيخ صلاح الدين (وقال) فمن ذلك قول الشيخ جمال الدين قلت

ومولع بفخاخ * يمدها وشباك
قالت لى العين ماذا * يصيد قلت كراكى

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

اغار على سرح الكرى عند ما رمى الـ * ـكراكى غزال للبدور يحاكى
فقلت ارجعى يا عين عن ورد حسنه * الم تنظريه كيف صاد كراكى

ومن ذلك قال الشيخ جمال الدين قلت

اسعد بها يا قرى برزة * سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا * فما تعديت عن الواجب

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال من البحر

قلت له والطير من فوقه * يصرعه بالبندق الصائب
سكنت فى قلبى فحركته * فقال لم أخرج عن الواجب

قال الشيخ جمال الدين قلت

ومهفهف رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

فأخذه الصلاح وقال

وأهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل حمامات الاراك اليه
له عارض لما رأى الطرف ناعسا * أتى خده سرا فدب عليه

وأحسن ما وقع فى هذا الباب للشيخ جمال الدين أنه قال

بروحى عاطرا لانفاس ألمى * ملىء الحسن خالى الوجنتين
له خالان فى دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

فاخذه الصلاح وقال

بروحى خده المحمر أضحت * عليه شامة شرط المحبة
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

فلما وقف الشيخ جمال الدين على هذين البيتين قال لا اله الا الله الشيخ صلاح الدين سرق كما يقال من البيتين حبه قال الشيخ جمال الدين قلت

ياغادرا بى ولم أغدر بصحبته * وكان منى محل السمع والبصر
قد كنت من قلبك القاسى أخاف جفا * فجا ما خلته نقشا على حجر

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

مازلت أشكو حين وفرلى الضنا * فسما وأسلمنى الى البلوى وفر

لا يفلحوا فسمعوا وأطاعوا طائفة من المدابير وقوفهم بين النار والنيران أقاموا فالسيوف الهندوانية وان أمنوا فالاتراك والخانيه وان أيسروا فجرجان والجرجانيه وان استأخروا فالعطش والبريه هو الموت ان شاء الله آخذا بالحلاقيم محيطا بالظاعن منهم والمقيم جرجان يا مدابير جرجان ان بها أكلة من التين وموتة فى الحين ونظرة الى الثمار والاخرى الى التابوت والحفار وتجارا اذا رأى الخراسانى تجر التابوت على قده وأسلف الحفار على لحده وعطارا بعد الحنوط برمته وبها للغريب ثلاث فتحات للكيس أولها لكراء البيوت والثانية لابتياع القوت والثالثة لثمن التابوت أعلى الله بهم أسواق النجارين والحفارين والمكارين آمين يارب العالمين

(وله اليه فى فتح باضية)

ان الله وهو العلى العظيم المعطى ما شاء من على الانسان بهذا اللسان خلق ابن آدم وأودع فكيه مضغة لحم يصرفها فى القرون الماضية ويخبر بها عن الامم الآتية ويخبر

حتى توفر من شكايته لوعتى * لى قلبه فرأيت نقشا فى حجر

قال الشيخ جمال الدين قلت

ياعاذلى شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتى الذوائب أزين

فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتى هى أحسن

فاخذه صلاح الدين مع البحر بل أخذ الكل مع القافية وقال

بأبى فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين

كم قد دفعت عواذلى عن وجهها * لما تبدت بالتى هى أحسن

ومن ذلك قال الشيخ جمال الدين واجاد الى الغاية

فديتك أيها الرامى بقوس * ولحظ ياضنى قلبى عليه

لقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشئ منجذب اليه

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

تشرط من أحب فذبت وجدا * فقال وقد رأى جزعى عليه

عقيق دمى جرى فاصاب خدى * وشبه الشئ منجذب اليه

وما ظن الشيخ صلاح الدين غفر الله له لما سمع ماقاله الشيخ جمال الدين ونظم بعده هذين البيتين كان فى حيز الاعتدال وأين انجذاب القوس الى الحاجب من انجذاب الدم الى الخد ولينه فى براعة استهلاله بقول الله تعالى رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا قال بعدها اللهم ومن دخل بيتى كافرا بفوائدى المنعمة وبيت شعرى سارقا من ألفاظه ومعانيه المحكمة فاجعله فى سره وعلانيته وعاقبه على قوله ونيته * ومنها بلغنى ان بعض أدباء عصرنا ممن محنته ودى وانفقت على ذهنه الطالب ماعندى وافقه وهو لايدرى الوزن مقام من زكاه نقدى واودعته ذخائر فكرى فانفقها وأعرته أوراقى العتيقة فلا والله ماردها ولا أعتقها بل انه غير الثناء بالهجاء والولاء بالجفاء ونسبنى الى سرقة بيوت الاشعار مع الغناء عنها والغنى فتغاضيت وقلت هاز مشاء بنميم وغصة صديق أتجرعها ولو كانت من جحيم واخليت من حديثه باب فمى ومجلس صدرى وصرفت ذكره عن فكرى * ولكن وقفت له على تصانيف وضعها فى علم الادب والعلم عند الله تعالى ووشحها بشعره وشعرى المغصوب المنهوب يقول ياصاحبى الالا * ومايترضع من جيد تلك الاشعار لمة الا ومن لفظى مشكاتها ولا تتضوع زهرة الا ومنى فى الحقيقة نباتها فضحكت والله من ذهنه الذاهل وذكرت على زعمه قول القائل

وفتى يقول الشعر الا أنه * فيما علمنا يسرق المسروقا

وعجبت له كيف رضى لنفسه هذا الامر منكرا وكيف حلا لذوقه اللطيف هذا الحرام مكررا وقد أوردت الآن فى هذا الكتاب قدرا كافيا وزنا من الشعر وافيا وسميته خبز الشعير المأكول المذموم وعرضته على معدلة مولانا بالعلم أينا مع خليله مظلوم ولولا الاطالة لاوردت جميع أبيات الشيخ جمال الدين التى دخلها الشيخ صلاح الدين بغير طريق ليرتدع القاصر عن التطاول الى معانى الغير * ومن البراعات التى يستهل بها فى هذا الافق الذى مرآة سمائه صقيلة براعة المقر المخدومى القضائى الفخرى عبد الرحمن بن مكانس مالك أزمة البلاغة وملك المتأخرين نظما ونثرا فى رسالة كتبها الى المقر المرحومى القضائى الزينى أبى بكر بن العجمى عين كتاب الانشاء الشريف بالابواب الشريفة وبقية الفضلاء الذين فضلوا بالطريق الفاضلية بسبب عبد الله القير وانى الضرير فانى نقلت من خط المشار اليه ماصورته * ورد علينا شخص من القير وان ضرير يتعاطى نظم الشعر المقفى الموزون الخالى من المعانى فتردد الى فى مجالس متفرقة ثم بلغنى بعد ذلك أنه وشى الى صاحبى

بها عما كان بعد ماخلق وعما يكون قبل أن يخلق ينطق بالتوار يخ عما وقع من خطاب وجرى من حرب وكان من يابس ورطب وينطق بالوحى عما سيكون بعد وصدق عن الله بالوعد ولم ينطق التار يخ بما كان ولا الوحى بما يكون بأن الله تعالى خص أحدا من عباده ليس النبيين بما خص به الامير السيد يمين الدولة وأمين الملة ودون الجاحدان جد أخبار الدولة العباسية والمدة المروانية والسنين الحربيا والبيعة الهاشمية والايام الاموية والامارة العدوية والخلافة التيمية وعهد الرسالة وزمان الفترة ولولا الاطالة لعددنا الى عاد وغود بطنا بطنا والى نوح وآدم قرنا قرنا ثم لم يجد قائل مقالا أن ملكا وان علا أمره وعظم قدره وكبر سلطانه وهبت ريحه طرق الهند فأسر طاغيتها بسطة ملك ثم خلاه وعرض الارض قرة قلب وصبح سجستان وهى المدينة العذراء والخطة العوراء والطية الغراء فأخذ ملكها أخذة عزو عنف ثم خلاه تخلية فضل ولطف ثم لم يلبث ان خاض البحر الى

الشيخ زين الدين بن العجمي بانى اهتضمت من جانبه وانتقصته وغضضت منه بالنسبة الى الادب وانه يستعين بكلام الغير كثيرا فتأذى بسبب ذلك وتأذيت من كذب الناقل فكتبت اليه رقعة براعة استهلالها * ليس على الاعمى حرج * (أقول) انه يستغنى بهذه البراعة عن الرسالة * منها وبلغ المملوك أنه رماه بعض الاصحاب برمية مثل هذه فاصمى وتردد اليه مرة أخرى فعبس وتولى ان جاءه الاعمى * ولقد خسرت صفقته اذ المملوك مابرح مخلصا لمولانا فى ولائه ومباهيا له على سلطنة البلاغة وأجل من تشرف بحمل لوائه ومولانا بحمد الله أولى من استفتى قلبه واستدل على صفاء صدق محبته بشواهد المحبة والمسؤل من صدقاته أمران أحدهما الجواب فانه يقوم عند المملوك مقام الفرج من هذه الشدة والآخر رد كل فاسق عن هذا الباب العالى فان أبا بكر أولى من يصلب فى الردة انتهى كلام القاضى فخر الدين * ولقد كشف الشيخ جمال الدين بن نباته عن هذا الوجه القناع وأظهر من بهجته فى رسالة السيف والقلم ماليس لمطالع البدور عليه اطلاع فان الرسالة مبنية على المفاخرة بينهما ولما انتصب القلم لمفاخرة السيف كانت براعته ن والقلم ومايسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون واستهل بعدها بقوله الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم * وبراعة استهلال السيف قوله تعالى وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز واستهل بعده بقوله الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرع حدها فى ذوى العصيان فاغصتهم بماء الحتوف وما أظن ان أحدا من المتقدمين نسج على هذا المنوال ولا نفث فى عقد أقلامهم مثل هذا السحر الحلال * وممن طلع من العصريين فى هذا الافق الساطع فابدر ورقى ببلاغته أعواد هذا المنبر القاضى ناصر الدين بن البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية فانه اتفق له بحماة محنة كان لطف الله تعالى متكفلا له بالسلامة منها ولم يضرم نارها الا من غذى بلبان نعمته قديما وحديثا فالحمد لله الذى أسعف الاسلام والمسلمين بنجاته وامتع العلم الشريف والرياسة بطول حياته ولما هاجر من حماة المحروسة الى دمشق المحروسة كان اذ ذاك مولانا السلطان الملك المؤيد كافلها ففوض اليه خطابة الجامع الاموى فلم يبق أحد من أعيان دمشق حتى حضر فى تلك الجمعة لاجل سماع الخطبة فكانت براعة خطبته الحمد لله الذى أيد محمدا بهجرته ونقله من أحب البقاع اليه لما اختاره من تأييده ورفعته فعلا بالجامع الاموى أصوات ترنم حركت أعواد المنبر طربا وكاد النسر أن يصفق لها بجناحيه عجبا * وما ألطف براعة الشيخ العلامة نور الدين أبى الثناء محمود الشافعى الناظر فى الحكم العزيز بحماة المحروسة والشهير بخطيب الدهشة بحماة المحروسة فى كتاب أدعيته المسمى بدواء المصاب فى الدعاء المجاب وهى الحمد لله سامع الدعاء ودافع البلاء وفيها البناء والتأسيس فانه أشار بسامع الدعاء الى الدعاء المجاب وبدافع البلاء الى دواء المصاب * وأما براعة خطيب الخطباء أبى يحيى عبد الرحيم بن نباتة الفارقى فانها شغلت أفكارى مدة ولم يسعنى غير السكوت والاحجام عنها فانه استهلها فى خطبة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الحمد لله المنتقم ممن خالفه المهلك من آسفه ولقد اعتذر عنها جماعة من أكابر العلماء وأورد الشيخ سرى الدين بن هانئ فى شرحه الذى كتبه على ديوان الخطب على هذه البراعة عذرا لابى البقاء أرجو ان تهب عليه نسمات القبول * وما أحشم ما استهل الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزى فى خطبة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الحمد لله الذى استأثر بالبقاء وحق له أن يستأثر وحكم بالفناء على سكان هذا الفناء فأذعنوا لحكمه القاهر * وأما خطبة الشيخ صفى الدين فى صدر شرح بديعيته فان استهلالها نير ولكن فيه نظر وبعض مباينة عما نحن فيه فانه قال الحمد لله الذى حلل لنا سحر البيان وكتابه مبنى على البديع ولهذا استهليت خطبة شرح بديعيتى بقولى الحمد لله البديع الرفيع ولما جمعت ديوانى استهليت خطبتى

بقولى

بماضيه والسيل والليل جنودها والشوك والشجر سلاحها والضح والريح طريقها والبر والبحر حصارها والجن والانس أنصارها فقتل رجالها وغنم أموالها وساق أقيالها وكسر أصنامها وهدم اعلامها كل ذلك فى فسحة شتوة وقبل أن يتطرقها الصيف توسطها السيف وهو والله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ثم حكمت علماء الامة واتفق قول الائمة ان سيوف الحق أربعة وسائرها للنار سيف رسول الله فى المشركين وسيف أبى بكر فى المرتدين وسيف على فى الباغين وسيف القصاص بين المسلمين وسيوف الامير وفقه الله فى مواقفه لا تخرج عن هذه الاقسام فسيفه بظاهر هراة فيمن عطل الحد واتهم بأنه ارتد وسيفه بظاهر غزنة سد فى وجه العقوق نوعا من الكفر والفسوق وسيفه بظاهر مرو فيمن نقض العهد بعد تغليظه ونبذ اليمين بعد تأكيده وسيفه بظاهر سجستان فيمن نبه الحرب بعد ركودها وخلع الطاعة بعد قبولها وسيفه الآن

بقولي الحمد لله الذي لا يحصر مجموع فضله ديوان * وكان قد رسم لي أن أنشئ صداقا للملك الناصر وأنا إذ ذاك بدمشق وقد حل ركابه الشريف بها على بنت المرحوم الشريفي السيفي ككشبغا الظاهري الحموي فاستهليت بقولي الحمد لله الذي أيد السنة الشريفة بقوة وناصر وتمثلت بعد هذا التاريخ بالمواقف الشريفة الامامية الخليفية المستعينية العباسية زاد الله شرفها تعظيما فبرزت إلي أوامرها المطاعة أن أنشئ عهدا بكفالة السلطنة بالبلاد الهندية للسلطان العادل مظفر شاه شمس الدنيا والدين صاحب دهلي والفتوحات الهندية فاستهليت براعته بقولي الحمد لله الذي وثق عهد النجاح للمستعين به وقلت بعد الاستهلال وثبت أوتاده ليفوز من عمل من غير فاصلة بسببه وزين السماء الدنيا بمصابيح وحفظا فافرغ على أطراف الارض حلل الخلافة الشريفة وعلم أن في خلفها الزاهر زهرة الحياة الدنيا فقال عز من قائل إني جاعل في الارض خليفة واختارها من بيت براعة استهلاله من أول بيت وضع للناس وسبقت ارادته وله الحمد أن تكون هذه الهالة الشريفة من سقاية بني العباس وذلك في العشر الاواخر من رمضان سنة ثلاث عشر وثمانمائة * ومما أنشأته في الديار المصرية وقد استقريت منشئ ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تقليد مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي عظم الله شأنه بصحابة ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية بتاريخ شوال سنة خمس عشرة وثمانمائة واستهليته بقولي الحمد لله الذي أودع محمدا سره وقلت بعد الاستهلال وجعله ناصر دينه فحل به عقد الشرك وشد أزره وأرسله لينشئ مصالح الامة فهذبنا بترسلاته والله أعلم حيث يجعل رسالاته وبين ديوان الانشاء الشريف بصاحب من بيت ظهر التمييز بكتابته وأيد الاسلام والمسلمين بملك مؤيد عمل بمحمد وصحابته * وأنشأت بعد هذا التاريخ توقيعا لرئيس الطب بالديار المصرية فكانت براعته الحمد لله الحكيم اللطيف * وبراعة الشيخ صلاح الدين الصفدي في شرح لامية العجم في غاية الحسن فانه استهلها بقوله الحمد لله الذي شرح صدر من تأدب والكتاب مبني على شيء من علم الادب * وأما البراعات التي يحلو تقبيلها بوجنات الطروس فمنها براعة الشيخ جمال الدين بن نباتة من رسالة كتبها الى القاضي علاء الدين الحسني واستهلها بقوله يقبل الارض العلية على السحاب نسبا وقال بعد الاستهلال الموفية على حصباء الانجم حسبا هذا الادب ان أطنبت في وصفه فهو فوق الوصف وكتب اليه الشيخ برهان الدين القيراطي من القاهرة المحروسة الى دمشق المحروسة رسالة بليغة واستهلها بقوله يقبل الارض التي سقت السماء نباتها وقال بعد البراعة وحرس الله ذاتها وعمر بمعاني الحسن أبياتها * ومن أظرف ما وقع من البراعات المتوشحة برداء التبكيت براعة القاضي فخر الدين عبد الوهاب كاتب الدرج فانه كان له صديق منهم بعيده فكتب اليه رسالة يداعبه فيها واستهلها بقوله يقبل اليد الشهابية كثر الله عبيدها وقال بعد البراعة وضاعف خدمها وأضعف حسودها وقد خطر لي أن أوردها بكمالها لوجازتها وغرابة أسلوبها فانه قال بعد يقبل الارض الخ وينهي بعد ولاء يمتد ودعاء يستمد وثناء كأنه عنبر وكافور راوند أن مولانا توجه والاعضاء خلفه سائره وكل عين لغيبته ساهره ولا يخفى عليه شوق العليل الى الشفاء والظمآن الى صبيب الماء والغريب الى بلده والمحصور الى سعة مسلكه ومقعده فمولانا يطوي هذه الشقة ويقصر هذه المدة ويدع أحد غلمانه يسد مسده فالمملوك قلق لسماع أخبار التشويش في البلاد وتطرق أهل الجرائم والفساد فمولانا يرسم لغلمانه أن يشمروا في خدمته ذيلا ويسهروا عليه بالنوبة لمن يطرق ليلا والله المسؤول أن تكون هذه السفرة معجلة ويخص فيها بالتبرك مخرجه ومدخله ويبلغه من فضله مزيدا ويجعل يومه عليه مباركا وليله عليه سعيدا * وكتب المقر المخدومي فضل الله بن مكانس مجد الادب الذي ظهر من بيته فخره ورضيع لبانه الذي ما سقانا منه ذرة الا قلنا لله دره الى والده

في ديار الهند سيف قرنت به الفتوح وأثنت عليه الملائكة والروح وذلت به الاصنام وعز به الاسلام والنبي عليه السلام واختص بفضله الامام واشترك في خيره الانام وأرخت بذكره الايام وأحفيت لشرحه الاقلام وسنذكر من حديث الهند وبلادها وغلظ أكبادها وشدة أحقادها وقوة اعتقادها وصدق جلادها وكثرة أجنادها نبذا يعلم السامع أي غزوة غزاها الامير السيد أنها بلاد لم تجبها السحاب بدرها لا هلكتها الشمس بحرها فهي دولة بين الماء والنار ونوبة بين الشمس والامطار تقدمها صعاب الجبال وتحجبها رحاب القفار ويعصمها ملتف الغياض وتحفها طواغي الانهار حتى اذا خرقت هذه الحجب خلص الى عدد الرمل والحصى رجالا وشبه الجبال أفيالا وأزواج الخاض جلادا ومستاف الجبال طعانا وأركان الجبال ثباتا لا يعرفون غدرا ولا بياتا ولا يخافون موتا ولا حياتا ولا يبالون على أي جنبيه وقع الامر

المقر المرحومى الفخرى من القاهرة الى حلب وهو صحبة الركاب الشريف الظاهرى يشكو اليه ومدا حصل له بعده وكان مبدأ الرسالة قوله

ما الطرف بعدكم بالنوم مكحول * هذا وكم بيننا من ربعكم ميل

وقال بعد الاستهلال لا استهلت لولا نادموع ولا جفا جفنه مدى الليالى هجوع (منها) يطالع العلوم الكريمة بما قاساه طرف المملوك من الرمد وما حصل عليه من الكمد

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى

بدموع كأنهن الغوادى * لا تسل ماجرى على الخد منها

فلو رآه وقد أخذت عيناه من العناصر الثلاثة بنصيب وعوضها الهواء عن التراب بمضاعفة الماء واللهيب لرأى من نارها ما يفعم القلوب ومن دمعها ما هو البلاء المصبوب واستمرانهم الهاحتى أنشدها المتوجع قارنها الدمع فبئس القرين وطالت مدة رمده حتى لقد أتى على الانسان حين وتزايد خوف المملوك على مقلتيه وشحه بكريمتيه فقصد فى الذراعين وكاد أن يصير لولا أن من الله تعالى عليه أثرا بعد عين * وكتب الى المقر المخدومى المشار اليه سيدنا الامام العلامة الذى صلت جماعة أهل العصر خلف امامته وملك قياد البلاغة ببراعته وعبارته بدر الدين رحلة الطالبين أبو عبد الله محمد بن الدمامينى المخزومى المالكى جوابا عن حل لغز فى ورد أرسله اليه فاستهله بقوله يقبل الارض وينهى ورود الجواب الذى شفى الصدور وروده وقال بعد الاستهلال واللغز الذى نسى بوروده منه بان الحمى وزروده (منه) فاستحلى المملوك منه بالتحريف ورده وود لو اقتطف من أغصان حروفه ورده فرده ذل التقصير عاريا عن ملابس عزه وأنشد قول ابن قلاقس وهو يقلى بنار عجزه

اذا امتنعت أشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

فظهر من طريق سعده نصره وعلم ان هذا الورد لا يحسن من غير تلك الحضره وان هذه الفاكهة لا تخرجها الا أغصان أقلام لها بيدى الراحة المخدومية بهجة ونضره (ومنه) وغشى نظر المملوك من هذا اللغز فى بساتين الوزير على الحديقة فرأى كل وردة وأخت الوجنات الحمر فتحير أوردة هى أم شقيقة وعلمت ان الفكر القاصر لا يجارى من بديهته من بحار الفضل رويه وان الخاطر الذى هو على ضعف من رعايا الادب لا يقوى على سلطان هذا اللغز لان شوكته قوية (منه) وغنمت من ورده الوارد بالمشموم ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم فاستقطرا بن ماء الورد من حدقى * وكتبت اليه من القاهرة المحروسة فى منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة عند دخولى اليها فى البحر هاربا من طرابلس الشام وقد عضت على أنياب الحرب بثغرها رسالة مشتملة على حكاية الحال وربت فى براعتها بصنفين له * أحدهما الفواكه البدرية الذى جمعه من ثمار أدبه * والثانى نزول الغيث الذى نكت فيه على الغيث الذى انسجم فى شرح لامية العجم للشيخ صلاح الدين الصفدى واستهليتها بقولى يقبل الارض التى سقى دوحها بنزول الغيث واثمر بالفواكه البدرية وقلت بعد الاستهلال وطلع بدر كمالها من الغرب فسلمنا معجزاته المحمدية وجرى لسان البلاغة فى ثغرها فسمعا على العقد بنظمه المستجاد وأنشد لا فض الله فاه وقد ابتسم عن محاسنه التى لم يخلق مثلها فى البلاد

لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك فى فم الدنيا ابتسام

فأكرم به من مورد فضل ما برح منهله العذب كثير الزحام ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدى فعلى ساكنها السلام ومجلس حكم ما ثبت لمدعى الباطل به حجة وعرفات أدب ان وقفت بها وقفة صرت على الحقيقة ابن حجة وافق معان بالغ فى سمو بدره فلم يقنع بما دون النجوم وميدان عربية

و ينامون وتحتهم الجمر وربما عمد أحدهم لغير ضرورة داعية ولا حمية باعثة فاتخذ رأسه من الطين اكليلا ثم فوق قحفه فخشاه فتيلا ثم أضرم فى الفتيل نارا ولم يتأوه والنار تحطمه عضوا فعضوا وتأكله جزأ فجزأ فاما محرق نفسه ومغرقها وآكل لحمه ومفصل عظمه والرامى بها من شاهق فاكثر من ان يعد وأقلهم من يموت حتف أنفه واذا مات هذه الميتة أحدهم سب بها أعقابه وعظم عندهم عقابه بلاد هذه حالها وفيها تلك أهوالها وجبال فى السماء قلا لها وفلاة يلمع آلها وغياض ضيق مجالها وانهار كثيرة أوحالها وطريق طويل مطالها ثم الهند ورجالها والهندوانية واستعمالها زحم الامير السيد أدام الله ظله هذه الاهوال بمنكبه محتسبا نفسه معتمدا نصر الله وعونه فركض اليهم بعون من الله لا يخذل ومدد من التوفيق لا يفتر وقلب من الاهوال لا يجبن وحث على المطلوب لا يقصر وسيف على الضريبة لا ينكل فسهل الله له الصعب وكشف به الخطب

بجول فيه فرسان العربية من بنى مخزوم (منها) أورى بدخوله الى دمشق ومطارحته للجماعة وتالله ما الفرسان الشقر والبلق فى هذا الميدان مجال واذا عرفوا ماحصل للفارس المخزومى عندهم من الفتح كفى الله المؤمنين القتال وينهى بعد أدعيه مابرح المملوك منتصب الرفع لها وتغريد اثنيه ما سجع المطوق فى الاوراق النباتية مثل سجعها وأشواق برحت بالمملوك ولكن غلت فى مصر بالآثار

وابرح مايكون الشوق يوما • اذا دنت الديار من الديار

وهذه الرسالة لكونها نظمت فى طويل البحر ومديده يفتقر الى سرد غالبها المتعلقة بحكاية الحال وينهى وصول المملوك الى مصر مخيما بكنانتها وهو بسهم البين مصاب مذعور لما عاينه من المصارع عند مقاتل الفرسان فى منازل الاحباب مكاما من ثغر طرابلس الشام باسنة الرماح محمولا على جناح غراب وقد حكم عليه البين ان لا يبرح سفره على جناح

وكان فى البين ما كفانى • فكيف بالبين والغراب

(منها) يا مولانا وابثك مالاقيت من أهوال البحر واحدث عنه ولا حرج فكم وقع المملوك من أعاريضه فى زحاف تقطع منه القلب لما دخل الى دوائر تلك اللجج وشاهدت منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة غصبا ونظرت الى الجوارى الحسان وقد رمت أزرقلوعها وهى بين يديه لقلة رجالها تسبى فتحققت ان رأى من جاء يسعى فى الفلك غير صائب واستصوبت هنا رأى من جاء يمشى وهو راكب وزاد الظمأ بالمملوك وقد اتخذ فى البحر سبيله وكم قلت من شدة الظمأ يا ترى قبل الحفرة أطوى من البحر هذه الشقة الطويلة

وهل أبا كر بحر النيل منشرحا • واشرب الحلو من أكواب ملاح

بحر تلاطمت علينا أمواجه حتى متنا من الخوف وحملنا على نعش الغراب وقامت واوات دوائره مقام مع فنصبنا للغرق لما استوت المياه والاخشاب وقارن العبد فيه سوداء استرقت مواليها وهى جارية وغشيهم منها فى اليم ماغشيهم فهل أتاك حديث الغاشية واقعها الريح فحملت بنا ودخلها الماء فجاءها المخاض وانشق قلبها الفقد رجالها وجرى ماجرى على ذلك القلب فغاض وتوشحت بالسواد فى هذا المأتم وسارت على البحر وهى مثل وكم سمع فيها للمغاربة على ذلك التوشيح زجل برج مائى ولكن تعرب فى رفعها وخفضها عن النسر والحوت وتتناطح كالجبال وهى خشب مسندة من تبطنها عد من المصبرين فى التابوت تأتى بالطباق ولكن بالمقلوب لان بياضها سواد وتمشى مع الماء وتطير مع الهواء وصلاحها عين الفساد ان نقر الموج على دفوفها لعبت أنامل قلوعها بالعود ورقصنا على آلتها الحدبا فتقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود وتتشامم وهى كاقبل أنف فى السماء واست فى الماء وكم تطيل الشكوى الى قامة صاريها عند الميل وهى الصعدة الصماء فيها الهدى وليس لها عقل ولا دين وتتصابى اذا هبت الصبا وهى ابنة مائة وثمانين وتوقف أحوال القوم وهى تجرى بهم فى موج كالجبال وتدعى براءة الذمة وكم أغرقت لهم من أموال هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تناقل أرداف الامواج وكم وجلت القلوب لما صار لاهداب مجاذيفها على مقلة البحر اختلاج وكم أسبلت على وجنة البحر طرة قلعها فبالغ الريح فى تشويشها وكم مر على قريتها العامرة فتركها وهى خاوية على عروشها تتعاظم فتهزل الى ان ترى ضلوعها من السقم تعد ولقد رأيتها بعد ذلك التعاظم وقد تبت وهى حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد • وأما البراءة التى لخطبة كتابى المسمى بجرى السوابق فى وصف الخيول المسومة فانها أحرزت قصبات السبق وهى الحمد لله الذى يقف عند سابق فضله كل جواد ويقصر فى حلبة هذا الكرم الذى ليس له غاية فى بديع الاستطراد فن ألهمه الحزم وأرشده الى حد المعرفة حاز قصبات السبق

ورجع ثانيا من عنانه بالاسارى تنظمهم الاغلال والسبايا تنقلهم الجمال والفيلة كأنها الجبال والاموال ولا الرمال فتح ذخره الله عن الملوك السالفة الخالية الكفرة الطاغية الجبابرة العاتية حتى وسمه بناره وجوهله بعض آثاره والحمد لله معز الدين وأهله ومذل الشرك وحزبه وصلى الله على محمد وآله

(وله أيضا)

دواء الشوق أطال الله بقاء القاضى الامام ان يخلص قلم لا يطلب منه الخلاص وان انتظر حتى تمكنه قضية همته طال عليه وعلى منتجعى ماله يه وود الشيطان لوظفر بهذا منه فحاضر الوقت وموجود اليوم ان هذا العالم الاصيل متبرم بالمقام متنفض للمطار صوفى الطبع فى الانتظار نارى المزاج حار الامتاج ولا علاقة له بهراة الا القاضى الامام والسلام

(وله اليه أيضا) •

رقعتى هذه أطال الله بقاء الشيخ الجليل من بعض الفلوات ولو جهلت ان الحذق لا يزيد فى الرزق وان الدعة لا تحجب السعة لعذرت نفسى فى الرحل

ولا نقول كاد نحمده على ان جعل لنا الخير معقودا بنواصي الخيل ونشكره شكرا نعلو به على على أشهب الصبح ونمتطي أدهم الليل ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نرجوان نكون منها في ميادين الرحمة من السابقين ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله قائد الغر المحجلين وقد آن ان نقطع طول هذا البحث برسالة السكين فان استهلالها يسن ما كل من الذوق ويبرزه من قراب الشك الى القطع باليقين وماذاك الا أنه لما انفرد كمال الدين عبد الرزاق الاصفهاني برسالة القوس واستوفى جميع المحاسن وجاء الشيخ جمال الدين بن نباتة برسالة السيف والقلم واظهر فيها معجزات الادب أردت ان أعززهما من اختراع رسالة السكين بثالث واستهليتها بقولي يقبل الارض التي قامت حدود مكارمها وقطعت عنا مكروه الفاقة سنون عزائمها (منها) وينهي وصول السكين التي قطع المملوك بها أوصال الجفا وأضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفا وتالله ماغابت الا وبلغ الاقلام من تقشيرها الى الحفي (منها) ماشاهدها موسى الاسعد في محراب النصاب وذل بعد ماخضعت له الرؤس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعد ماخط وعلى الحقيقة مارؤى مثلها قط وكم وجد الصاحب بها في المضايق نفعا وحكم بحسن صحبتها قطعا من أجل انها تدخل في مضايق ليس للسيف قط فيها مدخل وكلما نفعله توجزه والرمح في تعقيده مطول تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب تركت السيف في بحر غمده كالغريق ولو سمع بها من قبل ضرب به ماحمل التطريق انتهى ما أوردته من براعة الاستهلال نثرا ونظما ومن لم ير بهجة ما أبرزته للمتأخرين فهو في هذه أعمى

(ذكر الجناس المركب والمطلق)

• (بالله سر بي فسربي طلقوا وطني • وركبوا في ضلوعي مطلق السقم) •

أما الجناس فانه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الادب وكذلك كثرة اشتقاق الالفاظ فان كلا منهما يؤدي الى العقادة والتقييد عن اطلاق عنان البلاغة في مضمار المعاني المبتكرة كقول القائل واستحيي ان أقول انه أبو الطيب

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا • قلاقل عيش كلهن قلاقل

ولقد تصفحت ديوانه فلم أجد لوافد هذا النوع نزولا الا ماقل في أبياته وهو نادر جدا ولا العرب من قبله خيمت بأبياتها عليه غير ان هذا البيت حكمت على أبي الطيب به المقادير ومثله قول القائل

وقبر حرب بمكان قفر • وليس قرب قبر حرب قبر

فقرب وقبر لاجل الجناس المقلوب هو الذي قلب عليه القلوب اللهم الا ان يقع الجناس في حشو بيت من البحور التي تحمل ثقله من غير اعتناء بامره كقول القائل

لله بني كلما ابناعلى • تعنيقها ونهودها تتقاعد

وبنارا سما وهي اسمى رتبة • لقد احترقت وريقها يتبارد

ففي طلعة شمس التورية هنا ما يغني عن النظر الى زحل الجناس ولقد أحسن من قال

انظر الى صور الالفاظ واحدة • وانما المعاني تعشق الصور

والجناس من صور الالفاظ وممن وافق على ذلك علامة عصره الشهاب محمود وقال انما يحسن الجناس اذا قل وأتى في الكلام عفوا من غير كد ولا استكراه ولا بعد ولا ميل الى جانب الركة ولا يكون كقول الاعشى

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني • شاو مشل شلول شلشل شول

ولا كقول مسلم بن الوليد

شلت وشلت ثم شل شليلها • فاني شليل شليلها امشلولا

(الجناس المركب والمطلق)

أشده والحبل أمده ولكني أعلم هذا واعمل ضده وأصل سراي بسيري ليعلم أن الامر لغيري والا فمن أخذني بالمطار في هذه الاقطار والمصار في هذه الامصار لولا الشقاء لم يأتني العمر مهجا والرزق نهجا انضيها حتى آتيه قصدا وانكاف له زرعا وحصدا وأعارضه شبا وطبخا واعرض له الشعاب والجبال الصعاب وازل بمناخ سوء لكن المرء يساق الى مايراد به لا الى ما يريد أما هذه الاشخاص ان تيسر منها الخلاص بعد ماسافرت وسفرت وناظرت ونظرت وحفرت وحرثت وبذرت ونذرت وزرعت وعمرت حمدت الله كثيرا ورأيته مغنما كبيرا وان لم يكن من اتمام القصة بد فلا غنى عن نظر كريم ومهلة فيها مجال وتسويغ يصلح به فاسد وقرض يتألف به شارد وما كل يوم لي بارضك حاجة وما كل يوم لي اليك رسول والسلام

نسخة ماجرى بينه وبين الاستاذ أبي بكر الخوارزمي من المناظرة يوم اجتماعهما في دار الشيخ السيد أبي القاسم المستوفي بمشهد

ولا بأس به فى مطالع القصائد ان تعذر على الناظم ان يركبه تورية فانه نوع متوسط بالنسبة الى مافوقه من أنواع البديع كما قرره مشايخه كالتورية والاستخدام والاستعارة والتشبيه وما قارب ذلك من أنواع البديع وحكى عن ابن جنى ان الاصمعى كان يدفع قول العامة اذا قالوا هذا يجانس هذا اذا كان من شكله ويقول ليس بعربى خالص وقال ابن رشيق صاحب العمدة هو من أنواع الفراغ وقلة الفائدة ومما لا يشك فى تكلفه وقد كثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون فى نظمهم ونثرهم حتى برد ورك انتهى كلامه ولم يحتج اليه بكثرة استعماله الا من قصرت همته عن اختراع المعانى التى هى كالنجوم الزاهرة فى أفق الانماط واذا خلت بيوت الالفاظ من سكان المعانى تنزلت منزلة الاطلال البالية وما أحلى قول الفاضل هنا

انما الدار قبل بالسكان * ثم بعد السكان بالجيران

فاذا ما الارواح شردها الحتف * فما اذا براد بالابدان

وكان الشيخ صلاح الدين الصفدى يستسمن ورمه ويظنه شحما فيشبع افكاره منه ويملأ بطون دفاتره ويأتى فيه بتراكيب تخف عندها جلاميد الصخور كقوله غفر الله له

ونم فى امان بالحبيب ولا تخف * لقائط واش فى اقاء طواشى

وقوله وكم ساق فى الظلماء والليل شاهد * رواحل واط فى رواح لواط

وقوله وابن اذا كان الفراق معاندى * مطالع اناء فى مطال عناء

وقوله فى الراح

وكم ألبست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار فى مدار عقار

وقوله اذا جرح العشاق قالوا أفت فى * مدار جراح فى مدارج راح

وقوله وكم شمت لما قست مقدار ودكم * بوارق ياس فى بوار قياس

وقوله ولا تفتحن باب الهدايا وعدها * مطار فراش لا مطارف راش

وقوله ثنت نحوه الاغصان قامة لينها * طواعن شاط فى طواع نشاط

وقوله ومر على غيرى سقام وصحة * ولم يرقان مثل ذى يرقان

ورأيت بخط الشيخ بدر الدين البشتكى تحت هذا البيت والذى قبله وهو الضعيف باليرقان وان من ذلك مبلغه من النظم لجدران يقعد مع صغار المتأدبين انتهى ومنه قوله

لجار واجرى حين جاورت واجترى * فافاته مما روم جناس

وقوله * زاروا وزانوا وزادوا * هذا الجناس المليح

وفى ذلك من الركة ما لا يخفى على أهل الذوق السليم ولولا الخشية من سام الاسماع لا وردت له كثيرا من هذا النمط وما أظرف ما وقع له مع الشيخ جمال الدين بن نباتة وذلك انه لما وقف على كتابه المسمى بجنان الجناس وقد اشتمل على كثير من هذا النوع قرأه جنان الخناس وجرى بينهما بسبب ذلك ما يطول شرحه وهذا مما يؤيد قولى انه غير مذهبى ومذهب من نسجت على منواله ويعجبنى هنا قول الشيخ زين الدين عمر بن الوردى رحمه الله تعالى

اذا أحببت نظم الشعر فاختر * لنظمك كل سهل ذى امتناع

ولا تقصد مجانسة ومكن * قوافيه وكله الى الطباع

وكان الاسعد بن مماتى أيضا ممن لم يجعل الجناس له مذهبا فى نظمه وما احلى ما قال

طبع المجنس فيه نوع قيادة * أوما ترى تأليفه للاحرف

ومن غريب ما يحكى ان الشيخ صلاح الدين الصفدى مع تهافته على الجناس والتزامه بما صنفه فى جنسه وأنواعه زاحم ابن مماتى فى لفظ بيته ومعناه فقال

من القضاة والفقهاء والاشراف وغيرهم من سائر الناس وهى باملاء الاستاذ أبى الفضل بديع الزمان رحمه الله

قال الاستاذ أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذانى بديع الزمان سأل السيد امتع الله ببقائه اخوانه ان أملى جوامع ما جرى بيننا وبين أبى بكر الخوارزمى أعزه الله من مناظرة مرة ومنافرة أخرى وموادعة أولا ومنازعة ثانيا املاء يجعل السماع له عيانا فما تلقيته الا بالطاعة على حسب الاستطاعة الا ان للقصة تشبيبا لا تطيب الا به ومقدمات لا تحسن الا معها وسأسوق بعون الله صدر حديثنا الى العجز كما يساق الماء الى الارض الجرز فنبدأ فيها باسم الله عز وجل والصلاة على النبى محمد صلى الله عليه وسلم ذهابا بالقصة ان تكون بتراء وصيانة لها عن ان تدعى جذماء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل خطبة لم يبدأ فيها باسم الله فهى بتراء وقد خطب زياد خطبته البتراء لانه لم يحمد الله عز وجل ولم يصل على رسوله عليه

الآن من عاني القريض بطبعه * يقود فارسه لمن صدوا حتشم

ألم تره ان قال شعرا مجانسا * يؤلف ما بين الحروف اذا نظم

فانظر كيف أخذ المعنى وغالب الالفاظ ولم يتمكن من نظم ذلك الا في بيتين أتى فيهما بكثرة الحشو مع قلة الادب على أهله فان الاسعد أثبت القيادة لطبع المجنس والشيخ صلاح الدين أثبت الحكم المذكور لمن يعانى نظم الشعر وقد طال الشرح وتعين الكلام على الجناس لان الشروع فيه يلزم لاجل المعارضة لمن تقدمني من ناظمي البديعيات اما هذا النوع فانه ما سمى جناسا الا لمجيء حروف ألفاظه من جنس واحد ومادة واحدة ولا يشترط فيه تماثل جميع الحروف بل يكفي في التماثل ما نعرف به المجانسة وأما اشتقاق الجناس فمنهم من يقول التجنيس هو تفعيل من الجنس ومنهم من يقول المجانسة المفاعلة من الجنس أيضا الا ان احدى الكلمتين اذا تشابهت بالاخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية والجناس مصدر جانس ومنهم من يقول التجانس التفاعل من الجنس أيضا لانه مصدر تجانس الشيئان اذا دخلا في جنس واحد ولما انقسم أقساما كثيرة وتنوع أنواعا عديدة تنزل منزلة الجنس الذي يصدق على كل واحد من أنواعه فهو حينئذ جنس وأنواعه التام والمحرف والمصحف والملفق وهلم جرا كما أن البديع جنس وأنواعه الجناس واللف والنشر والاستعارة والتورية والاستخدام وغير ذلك من أنواع البديع وأما حدود أنواع الجناس فقد اختلفت فيها عبارات البديعيين ولكن نأتي بحد كل واحد من الانواع في موضعه ونذكر ما وقع الاتفاق عليه وقد صدرت بديعيتي هذه بالجناس المركب والمطلق حسبما رتبه الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته ولكن فاته شنب التسمية وابرازها في شعار التورية من جنس التغزل حد المركب أن يكون أحد الركنين كلمة مفردة والاخرى مركبة من كلمتين وهو على ضربين فالاول ما تشابه به لفظا وخطا كقول الشاعر

عضنا الدهر بنابه * ليت ما حل بنابه

ومثله قول القائل ناظراه فيما جنى ناظراه * أودعاني امت بما أودعاني

وحفظت من شيخي العلامة الشيخ شمس الدين الهيتي الحسني النحوي وأنا في مبادى العمر والاشتغال من الجناس المركب المتشابه بقول القائل من دوبيت

في مصر من القضاة قاض وله * في أكل مواريث اليتامى وله

ان رمت عداله فقل مجتهدا * من عدله دراهما عدله

وكان يقول لا أعرف لهما ناظما وما ألطف قول القائل

ياسيدا حاز رقي * بما حباني واولى

أحسنت برا فقل لي * أحسنت في الشكر أولا

وقال العلامة شهاب الدين محمود أنشدني الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الوهاب لنفسه من المتشابه لفظا وخطا

حار في سقمي من بعدهم * كل من في الحي داوى أو رقا

بعدهم لا طل وادي المنحنى * وكذا بان الحمى لا أورقا

وأورد الشيخ صلاح الدين الصفدي لنفسه في كتابه المسمى بجنان الجناس من هذا النوع قوله

يا من اذا ما أتاه * أهل المودة أولم

أنا محبك حقا * ان كنت في القوم أولم

وهذا النوع لم يذكره الشيخ صفي الدين في بديعيته انتهى الكلام على المتشابه من المركب لفظا وخطا والثاني ما هو متشابه لفظا لا خطا ويسمى المفروق وهو الذي نظمه صفي الدين في بديعيته كقول الشاعر

السلام وهذا مقام نعوذ بالله منه ونسأله التوفيق والصواب يورده وصدره نعم أطال الله بقاء السيد وامتع ببقائه أحباءه ان قعد نا نعد آثاركم ونروى ما آثركم نفد الحصر قبل نفاد نقودها وفنيت الخواطر قبل أن تفنى المآثر فكيف لا وان ذكر الشرف فأنتم بنو بجدته أو العلم فانتم عاقد و ردته أو الدين فأنتم ساكنوا بلدته أو الجود فأنتم لابسو جلدته أو التواضع سيرتم لسدته أو الرأي صالتم بنجدته وان بيتا تولى الله عز وجل بناءه ولزم الرسول صلى الله عليه وسلم فناءه وأقام الوصي كرم الله وجهه عماده وخدم جبريل عليه السلام أهله لحقيق أن يصان عن مدح لسان قصير نعود للقصة نسوقها (وأولها) انا وطئنا خراسان فما اخترنا الا نيسابور دارا والاجوار السادة جوارا لاجرم أنا حططنا بها الرحل ومددنا عليها الطنب وقديما كنا نسمع بحديث هذا الفاضل فنتشوقه ونخبره على المغيب فنتعشقه ونقدر أنا لو وطئنا أرضه

لا تعرضن على الرواة قصيدة • مالم تكن بالغت فى تهذيبها
واذا عرضت الشعر غير مهذب • عدوه منك وساوساتهذى بها

ومثله قول القائل
يامن تدل بعقلة • وأنامل من عندم
كفى جعلت لك الفدا • أسياف لحظك عن دمى

ومثله قول ابن أسد الفارقى
غدونا بآمال ورحنا بخيبة • أماتت لنا افهامنا والقرائحا
فلا تلق منا غاديا نحو حاجة • لتسأله عن حاجة والقرائحا

ويحسن هنا قول أبى الفتح البستى فيه
وان أقر على رق أنامله • أقر بالرق كتاب الانام له

ومما ألطف قول العلامة شهاب الدين محمود من هذا النوع
ولم أر مثل نشر الروض لما • تلاقينا ببنت العامرى
جرى دمعى وأومض برق فيها • فقال الروض فى ذا العام ربى

ومن لطائف الشيخ جمال الدين بن نباتة
قرأزاه أم مليحا أمردا • ولحاظه بين الجوانح أم ردا

ومثله قول شمس الدين محمد بن العفيف
اسرع ومرطالب المعالى • بكل واد وكل مهمه
وان لحا عاذل جهول • فقل له يا عذول مه مه

ومثله قوله
ان الذى منزله • من سحب دمعى أمرعا
لم أدر من بعدى هل • ضيع عهدى ام رعى

ومثله قول القاضى بهاء الدين السبكى رحمه الله تعالى
كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهى • حتى تعود لى الحياة وانت هى

وأنشدنى قاضى القضاة تقى الدين بن الحسنى الحنفى بحماة فى مبادى العمر وقد ذكرت بين يديه الجناس المركب
قلت للعاذل الملح على الدمـ • ـع واجرائه على الخد نيلا
سل سبيلا الى النجاة ودع دمـ • ـع عيونى تجرى لهم سلسبيلا

ومن أنواع الجناس المركب نوع يسمى المرفو وهو أن يكون أحد الركنين جزأ مستقلا والآخر مجزأ من كلمة أخرى كقول الحريرى
والمكرمهما استطعت لا تأته • لتقتنى السودد والمكرمه

وقوله
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه • بدمع يحاكى المزن حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه • وروعة ملقاه ومطعم صابه

وهذا النوع لا يخلو من تعسف وعقادة فى التركيب انتهى الكلام على الجناس المركب واقسامه غير ان هنا بحثا لطيفا وهو أنه قد تقرر ان ركنى الجناس يتفقان فى اللفظ ويختلفان فى المعنى لانه نوع لفظى لا معنوى وهو نوع متوسط بالنسبة الى ما فوقه من أنواع البديع والتورية من اعز أنواعه وأعلاها رتبة فاذا جعلت الجناس تورية انحصر المعنيان فى ركن واحد وخلصت من عقادة الجناس وحركت الاذواق واهتزت خاطر السامع بما تحفته من بديع تركيبها وتأهله بغريبها وانا أذكر مثالين هنا ليتضح فى الاذهان الصحيحة ان النهار لم يحتج الى اقامة دليل قال صاحب الجناس المركب
اعن العقيق سألت برقا أومضا • أأقام حادى الركائب أومضى

وورد نا بلده بخرج لسانى العشرة عن القشرة وفى المودة عن الجلدة فقد كانت لحمة الادب جمعتنا وكلمة الغربة نظمتنا وقد قال شاعر العرب غير مدافع
أجارتنا انا غريبان ههنا
وكل غريب للغريب نسيب
فأخلف ذلك الظن كل الاخلاف واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف وقد كان اتفق علينا فى الطريق من العرب اتفاق لم يوجبه استحقاق من بزة بزوها وفضة فضوها وذهب ذهبوا به ووردنا نيسابور براحة أنقى من الراحة وكيس أخلى من جوف حمار وزى أوحش من طلعة المعلم بل اطلاعة الرقيب فما حللنا الا خصبة جواره ولا وطئنا الا عتبة داره وهذا بعد رقعة كتبناها وأحوال انس نظمناها فلما أخذنا الحظ عينه سقانا الدردى من أول دنه وأجنانا سوء العشرة من باكورة فنه من طرف نظر بشطره وقيام دفع فى صدره وصديق استهان بقدره وضيف استخف بأمره لكنا أقطعناه جانب أخلاقه ووليناه خطة رأيه وقاربناه اذ

قال صاحب التورية واذا ابتسم ضاحكا لم النفت * ان عاد برقا فى الدياجى أومضا
وهنا يحسن أن يتمثل بقول القائل
ومن يقل للمسك أين الشذا * كذبه فى الحال من شما
ومثله قول الشاعر نديمى لا تسقنى * سوى الصرف فهو الهنى
ودع كاسها اطلسا * ولا تسقنى معدنى
ومن التورية المركبة ما أنشدنى من لفظه علامة عصرنا القاضى بدر الدين ابن الدمامينى مما كتب به الى مولانا الحافظ الشيخ شهاب الدين ملك المتأدبين وعمدة المحققين أبى العباس أحمد بن حجر الشافعى
حمى ابن على حوزة المجد والعلا * ومن رام اشتات المعالى وحازها
وكم مشكلات فى البيان بفهمه * تبينها من غير عجب ومازها (ومازها)
فاجابه شيخنا المشار اليه
بروحى بدرا فى الندا ما أطاع من * نهاه وقد حاز المعالى فزانها
يسائل أن ينهى عن الجود نفسه * وها هو قد برّ العفاة ومانها (ومانهى)
وما أحلى ما قال متغزلا
سألت من لحظه وحاجبه * كالسهم والقوس موعدا حسنا
ففوق السهم من لواحظه * وانقوس الحاجبان وقترنا (واقترنا)
ومن نثر الشيخ بدر الدين المشار اليه فى التورية المركبة يشير الى تقريظ كتبه لبعض أهل الادب على مصنف سافل لم يمكن تسميته والتزم فى التقريظ نوع الايهام من الاول الى الآخر (٣) وكتب الشيخ بدر الدين على ذلك المصنف قوله ولقد كنت أرتجى بابا أدخل منه الى التقريظ ففتح لى المقر التقوى بابا مر تجاونهج الطريق الى المدح فاقتفيت آثاره واهتديت حين رأيت (٣) منهجا ومثله قوله فى التقريظ الذى كتبه على بديعيتى هذه كتبت واسياف الخطوب ليس لها الا الجوانح اغمادا والزمن قد كادنى بسهام أوتاره المصيبة ورمانى بعد (٤) ان كاد ومثله ما أنشدنى من لفظه لنفسه الكريمة احد اعيان العصر القاضى مجد الدين ابن مكانس حيث قال
أقول لحبى قم ومس يا معذبى * كميسة خود حرك السكر رأسها
ولا تنه عن شئ اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا وماسها
وأحجية الشيخ شهاب الدين ابن حجر فى هذا الباب من طرف الادب فانها تورية خفية مركبة فى الاصل
يا فاضلا هو فى الاحا * جى ليس يخلو من ولع
ما مثل قولك للذى * يشكو الحبيب اسكت رجع
فصه مرادف اسكت وبا مرادف رجع فحصلت التورية فى صهبا وصه با ومن النظم فى هذا النوع الغريب قول المعماز
وخادم يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو الحبيب محسن * وكم دموع فى الهوى اسالها (أساء لها)
ومثله قول الشيخ شمس الدين المزين فى غلام مليح وله لالا مليح
ومليح لالاه يحكيه حسنا * فهو كالبدر فى الدجا يتلالا
قلت قصدى من الانام مليح * هكذا هكذا والا فلالا
ومن نظمى الغريب فى هذا النوع
تصديتم لقتل ضعيف جسم * لغير الوجد فيكم ما تصدى

جانب وواصلناه اذ جاذب وشربناه على كدورته والبسناه على خشونته ورددنا الامر فى ذلك الى زى استغشه ولباس استرته وكاتبناه نستمد وداده ونسلس قياده ونستميل فؤاده ونقيم منا ده بما هذا نسخته
(بسم الله الرحمن الرحيم). الاستاذ أبو بكر والله يطيل بقاءه ازرى بضيفه أن وجده يضرب اليه آباط القلة فى أطمار الغربة فأعمل فى رتبته أنواع المصارفة وفى الاهتزاز اليه أنواع المضايقة من ايماء بنصف الطرف واشارة (المذيل واللاحق) بشطر الكف ودفع صدر القيام عن التمام ومضغ الكلام وتكلف لرد السلام وقد قلبت تربيته صغرا واحتملته وزراوا حتضنته نكرا وتأبطته شرا اولم آله عذرا فان المرء بالمال وثياب الجمال واستمع هذه الحال وفى هذه الاسمال أنغر زصف النعال فلو صدقته العتاب وناقشته الحساب لقلت ان بوادينا ثاغية صباح وراغية رواح وناسا يجرون المطارف ولا يمنعون المعارف (شعر)
وفيهم مقامات حسان وجوههم

(٣) (من هجا)
(٤) (أن كاد)

وعـد ضلوعه بالسـقم لما • تعدينم عليه وما تعدى (ومات عدا)

وقالت فيه بعد هنـد و بعـد سلمى تعطشـت الى رشف كل العس المى

وفؤادى يقول لا تطلب الرى • من الريق بعد هند وسلمى (وسل ما

وقالت من قصيدة مطولة

حين قابلت خده بدموعى • أثرت خات نوب نخز منمـم

وانظر اليوم خده مع دموعى • واحك ماشئت عن عقيق وعن دم (وعندم)

والبيت الاول من المعانى المخترعـة التى لم يسـبق اليها انتهى ما أوردته من الكلام على الجناس المركب واستجلاء عرائس التورية وأما الجناس المطلق فان للناس فى الفرق بينـه و بين المشـتق معارك وسماه السكاكى وغيره المتشابه والمتقارب لشـدة مشابهته وقربه من المشـتق وكل منهـما يختلف فى الحروف والحركات ولكن الفرق بينهما دقيق قل من أتى ببحثه ظاهرا فان المشـتق غلط فيه جماعة من المؤلفين وعدوه تجنيسا وليس الامر كذلك فان معنى المشتق يرجع الى أصل واحد والمراد من الجناس اختـلاف المعنى فى ركنيه والمطلق كل ركن منـه يباين الآخر فى المعـنى وأنا أذكر لكل واحد منهما شاهدا يزول به الالتباس فالمشتق كقوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم وقيل ان ما مصدرية أى لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى فعلى كل تقدير الجميع راجع الى العبادة والمعنى فى الاشـتقاق راجع الى أصل واحد ومنه قوله تعالى ومن شر حاسـد اذا حسـد وقوله تعالى اذا وقعت الواقعة وقوله تعالى أزفت الآزفة ومن النظم قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

الا لا يجهلن أحد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وما ألطف قول كشاجم فى خادم اسود مشهور بالظلم

يا مشـبها فى فعـله لونه • لم تخط ما أوجبت القسمه

فعلك من لونك مستخرج • والظلم مشتق من الظلمه

فان النبى صلى الله عليه وسلم قال الظلم ظلمات يوم القيامة ومن السحر الحلال قول بعض المتأخرين فى هذا الباب

عاتبت طيف الذى أهوى وقلت له • كيف اهتديت وجنح الليل مسدول

فقال آنست نارا من جوانحـكم • يضىء منها الذى السارين قنديل

فقلت نار الجوى معنى وليس لها • نور يضىء وهـذا القول مقبول

فقال نسبتنا فى الحال واحـدة • أنا الخيال ونار الشـوق تخييـل

وقد نبه على الاشـتقاق فى قوله نسـبتنا فى الحال واحـدة ورأيت الشيخ شمس الدين بن الصائغ فى شرحه على البردة لما انتهى الى قول المصنف

ظلمت سنة من أحيا الظلام الى • ان اشتـكت قدماه الضر من ورم

قال ظلمت وظـلام جناس اشـتقاق وهو كقوله تعالى وأسلمت مع سـليمان قلت أما ظلمت وظـلام فاشـتقاق بلا خلاف وأسلمت مع سليمان جناس مطلق لانه لم يرجع فى المعـنى الى أصل واحد وهو أعظم شواهد البـديعيين على الجناس المطلق انتهى الكلام على المشـتق وأما الجناس المطلق فلشدة تشابهه بالمشـتق يوهم أحد ركنيه ان أصلهما واحـد وليس كذلك كقوله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله وكقوله تعالى ليريه كيف يوارى سوأة أخيه ومنه ما كتب به الى المأمون فى حق عامل له وهو فلان ما ترك فضة الا فضها ولا ذهبا الا أذهبه ولا مالا الا مال عليه ولا فرسا الا افترسه ولا دارا الا أدارها ملكا ولا غلة الا غالها ولا ضيعة الا ضيعها ولا عقارا الا عقره ولا حالا الا أحاله ولا جليلا الا أجلاه ولا دقيقا الا دقه فهـذه الاركان هنا شواهد على الجناس المطلق ليس فيها

وأندية يتشابه القول والفعل ولو طوّحت بأبى بكر أيده الله طوائح الغربة لوجد منال البشر قريبا ومحط الرحل رحيبا ووجه المضيف خصيبا ورأى الاستاذ أبى بكر فى الوقوف فى هذا العتاب الذى معناه ودو المر الذى يتلوه شهد موفق ان شاء الله تعالى

• (فأجاب بما نسخته) •

• (بسم الله الرحمن الرحيم)

• وصلت رقعة سيدى ومولاى و رئيسى أطال الله بقاءه الى آخر السكباج وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه ومؤلم عتبه وعتابه وصرفت ذلك منه الى الضجر الذى لا يخلو منه من مسه عسر ونبا به دهر والحمد لله الذى جعلنى موضع انسه ومظنة مشتكى ما فى نفسه أما ما شكاه سيدى ورئيسى من مضايقتى اياه فى القيام فقد وفيته حقه أيده الله سلاما وقياما على قدر ما قدرت عليه ووصلت اليه ولم أرفع عليه الا السيد أبا البركات العلوى أدام الله عزه وما كنت لارفع أحدا على من جده الرسول وأمه البتول وشاهداه التوراة والانجيل وناصراه التأويل والتنزيل

وكان رجعان الى أصل واحد كالمشتق بل جميع ماذكرنا أسماء أجناس وهي محمولة على عدم الاشتقاق ومثل ذلك من النظم قول الشاعر

عرب تراهم أعجمين عن القرى * متنزلين على الضيوف النزل
فالقت بين الازد غير مزود * ورحلت عن خولان غير مخول

ومثله قول الآخر

بجانب الكرخ من بغداد عن لنا * ظبي ينفره عن وصلنا نفر
ضفيرتاه على قتلي تظافرتا * يامن رأى شاعرا أودى به الشعر

وما أحلى قول القائل   سلم على الربع من سلمى بذي سلم

فالثلاثة عنان جنسها مطلق في المطلق وقال الآخر وأجاد

اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى * وهامة همته في الثريا

وما أحلى قول أبي فراس في هذا النوع

فما السلاف ازدهتني بل سوالفه * ولا الشمول دهتني بل شمائله

ومثله قول الصاحب بهاء الدين زهير

يامن لعبت به شمول * ما ألطف هذه الشمائل

وللبحتري   واذا مارياح جودك هبت * صار قول العذول فيها هباء

ويحسن هنا قول الشاب الظريف محمد بن العفيف

أراك فيمتلي قلبي سرورا * واخشى أن تشط بك الديار
فجر واهجر وصد ولا تصلني * رضيت بان تجور وأنت جار

وما أحسن ماقال الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماة رحمه الله تعالى بمنه وكرمه

تولى شبابي فولى الغرام * ولازم شيبي لزوم الغريم
ولو لم يصدني بازيه * لما صار مثنى مهاة الصريم

انتهى الكلام على المطلق وعلى الفرق بينه و بين المشتق منه نظما ونثرا وقد رسم لي ان أثبت في بديعيتي هذه أبيات من تقدمني في النظم كالشيخ صفي الدين الحلي والشيخ عز الدين الموصلي وما ورد في بديعية العميان من القدر الذي استعملوه ليشاهد المتأمل في هذا الميدان مجرى السوابق فان الشيخ صفي الدين جمع بين الجناس المركب والمطلق في بيت واحد وهو المطلع فقال

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم * واقر السلام على عرب بذي سلم

والعميان لم يأتوا في البيت الا بنوع واحد فقالوا في المركب

دع عنك سلمى وسل ما بالعقيق جرى * وأم سلعا وسل عن أهله القدم

وقالوا في الجناس المطلق

جار الزمان فكفوا جوره وكفوا * وهل أضام لدى عرب على اضم

فالمطلق في أضام واضم وأما جار وجور فمشتق ولكن لم يخف ما في البيتين من الثقل مع خفة الالتزام وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

خفي سلمى وسل ماركبت بشذا * قد أطلقته أمام الحي عن أمم

فالشيخ أتى بالنوعين في بيت واحد وورى بالاسمين من جنس الغزل ومع ذلك تلطف وتضاءل عليهم واحتشم وبيتي تقدم ذكره ولكن دعت الضرورة الى ذكره هنا حسب المرسوم وهو

بالله سر بي فسر بي طلقوا وطني * وركبوا في ضلوعي مطلق السقم

والبشير به جبريل وميكائيل فاما القوم الذين صدر سيدي عنهم فكما وصف حسن عشرة وسداد طريقة وكمال تفصيل وجملة ولقد جاورتهم فاحمدت المراد ونلت المراد

فان كنت قد فارقت نجدا وأهله
فما عهد نجد عندنا بذميم

والله يعلم نيتي للاخوان كافة ولسيدي من بينهم خاصة فان أعانني الدهر على مافي نفسي بلغت اليه مافي الفكرة وجاوزت مسافة القدرة وان قطع على طريق عشرني بالمعارضة وسوء المؤاخذة صرفت عناني عن طريق الاختيار بيد الاضطرار فما النفس الانطفة بقرارة فان لم تكدر كان صفوا معينها وبعد فمجند عتاب سيدي اذا استوجبنا عتبا واقترفنا ذنبا فاما أن يسلفنا العربدة فنحن نصونه عن ذلك ونصون أنفسنا عن احتماله ولست أسومه أن يقول استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ولكني أسأله أن يقول لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين

وفى تسمية النوع هنا مايغنى عن التنبيه عليهما وقد تقدم الشرح على كل واحد منهما والشيخ صفى الدين والعميان لم يثقل التقييد بتسمية النوع لهم كاهلا مع ان يكون مورى به من جنس الغزل وشتان بين عالم الاطلاق والتقييد بضيق هذا الخناق لان الرقيق لم يقم له سوق بل يصدق اذا ما ادعى عتقه والله المسؤل أن يقيم لنا سوق القبول فى متاجر الرقة فان الشيخ صفى الدين قال فى خطبته مع اطلاق قياده فانظر أيها العالم الاديب الى غزارة الجمع وهى ضمن الرياقة فى السمع ثم قال بعد ذلك

ودع كل صوت غير صوتى فاننى ٭ أنا الصائح المحكى والآخر الصدى

(ذكر الملفق)

٭(ورمت تلفيق صبرى كى أرى قدمى ٭ يسعى معى فسعى لكن أراق دمى)٭

حد الملفق ان يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين وهذا هو الفرق بينه وبين المركب وقل من أفرده عنه وغالب المؤلفين ما فرقوا بينهما بل عدوا كل واحد منهما مركبا كالحاتمى وابن رشيق وأمثالهما ولعمرى لو سموا الملفق مركبا والمركب ملفقا لكان أقرب الى المطابقة فى التسمية لان الملفق مركب فى الركنين والمركب ركن واحد كلمة مفردة والثانى مركب من كلمتين وهذا هو التلفيق وما ألم بالملفق أحد من أصحاب البديعيات غير الشيخ صفى الدين الحلى وماذاك الا أنه قال فى خطبة بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن وهذا دليل على انه لما عارضه الشيخ عز الدين والتزم تسمية الانواع التى ذكرها الشيخ صفى الدين لم يجد بدا من نظمه لاجل المعارضة ولكن نحت فيه بيتا من الجبال وسيأتى وأما العميان فانهم عدوه فى بديعيتهم من المركب فاختصرته هنا وكذلك بقية أبياتهم فى أنواع الجناس تعين اختصارها فانهم لم يأتوا فى البيت الا بالنوع الواحد ومن الملفق فى النظم قول الشاعر

وكم لجباه الراغبين اليه من ٭ مجال سجود فى مجالس جود

وما الطف ما قال القاضى أبو على عبد الباقى بن أبى حصين فى هذا النوع وقد ولى القضاء بالمعرة وهو ابن خمس وعشرين سنة وأقام فى الحكم خمس سنين وهو

وليت الحكم خمسا وهى خمس ٭ لعمرى والصبا فى العنفوان

فلم تضع الاعادى قدر شانى ٭ ولا قالوا فلان قد رشانى

وما أحلى قول الشيخ شرف الدين بن عنين فى هذا الباب

خبروها بأنه ما تصدى ٭ لسلو عنها ولو مات صدا

ويعجبنى قوله بعد المطلع وسلوها فى زورة من خيال ٭ ان تكن لم تجد من الهجر بدا اه

وبيت الحلى فى الملفق فقد ضمنت وجود الدمع من عدم ٭ لهم ولم استطع مع ذاك منع دمى

ولم يمكن الشيخ صفى الدين ان يحصر مع الملفق غيره من أنواع الجناس فى بيت واحد لما تقدم من صعوبة مسلكه وهو عزيز الوقوع ولكن له رونق وموقع فى الذوق لطلاوة تركيبه وغرابة أسلوبه وبيت الشيخ صفى الدين فى غاية الرقة والانسجام غير ان التحريف حكم عليه فصار مشوشا والمشوش كل جناس تجاذبه طرفان من الصنعة فلا يمكن اطلاق أحدهما على الآخر وبيت صفى الدين تجاذبه المحرف والملفق انتهى وبيت الشيخ عز الدين

ملفق ظاهر سرى وشان دمى ٭ لما جرى من عيونى اذ وشى ندمى

هذا البيت فيه الجناس الملفق على الصنعة وتسميته على الشروط المذكورة ولكن عجزت لعقادة تركيبه عن الطيران باجنحة الفهم لا أحوم له على معنى ونظرت بعد ذلك فى شرحه فوجدته قد قال ان لفظة ملفق صفة للعار والجر وفى قوله فى سلمى وسل مارك بث بشذا يعنى ان الشذا الذى أطلقته سلمى امام الحى كان ملفقا وبيتى المسؤل له من الله السلامة

ورمت تلفيق صبرى كى أرى قدمى ٭ يسعى معى فسعى لكن أراق دمى

(الملفق)

لحين وردالجواب وعين العذر رائدة تركناه بعره وطويناه على غره وعمدنا لذكره فمحوناه عن صحيفتنا ومحوناه وصرنا الى اسمه فأخذناه ونبذناه وتركنا خطته وتجنبنا خلطته فلا طرنا اليه ولا طرنا به ومضى على ذلك الاسبوع ودبت الايام ودرجت الليالى وتطاولت المدة وتصرم الشهر وصرنا لا نعير السماع ذكره ولا نودع الصدور حديثه وجعل هذا الفاضل يستزيد ويستعيد بالفاظ تقطعها الاسماع من لسانه وتوردها الى وكلام تخطفه الالسنة من فيه وتعيده على فكاتبناه بما هذه نسخته

٭(بسم الله الرحمن الرحيم)٭ أنا أردمن الاستاذ سيدى أطال الله بقاءه شرعة وده وان لم تصف وألبس خلعة بره وان لم تضف وقصارى أن أكيله صاعا عن مد وان كنت فى الادب دعى النسب ضعيف السبب ضيق المضطرب سيئ المنقلب أمت الى عشرة أهله بنيقة وازع الى خدمة أصحابه بطريقة ولكن بقى أن يكون الخليط منصفا فى الوداد ان زرت زار وان

والكلام فى رقة قولى ورمت تلفيق صبرى الخ البيت انما وقع من أصحاب الغراميات لا من أصحاب البديعيات وقد تقدم قولى ان الفرقة الناجية من التعسف والتكلف فى النظم لم ترض بالجناس اذا أمكنت التورية وقال المقرا المرحومى الفخرى فى التورية التى سماها اجناسا ملفقا

ان الهوا بن يامعشوق قد عبثا • بالروح والجسم فى سرى وفى علنى
فالروح تفديك بالممدود قد تلفت • والجسم حوشيت بالمقصور فيك فنى (فى كفنى)

وأنشدنى من لفظه لنفسه علامة عصره الشيخ بدر الدين الدمامينى

تدرى لماذا أتاك قلبى • فى عسكر الوجد وهو ذائب
اذنب ثم اختشى فوافى • من ذلك الذنب فيك تائب (فى كاتب)

وأنشدنى من لفظه لنفسه الكريمة احد أعيان العصر ابن مكانس

كمال أوصافى يامنيتى • فى الحب أن اصبحت مثل الخلال
وملت من سكر الهوى نشوة • فارحم معنى مغرما فيك مال (فى كمال)

ومن نظمى فى هذا النوع الغريب

رأت حياة شبابى قد قضت أجلا • والسقم قد زاد للماقل مصطبرى
قالت سرقت نحول الخصر قلت لها • مايحمل الشيخ هذا وهو فى كبر (فيك برى)

انتهى والله عز وجل أعلم

•(المذيل واللاحق)•

•(وذيل الهم همل الدمع لى فجرى • كلاحق الغيث حيث الارض فى ضرم)•

المذيل اختلف جماعة المؤلفين فى اسمه ولم يتقرر له أحسن من هذه التسمية فان فيها مطابقة للمسمى وماذاك الا أن المذيل هو مازاد احد ركنيه على الآخر حرفا فى آخره فصار له كالذيل وهو الفرق بينه و بين المطرف و يأتى الكلام على المطرف فى موضعه فالمذيل كقول كعب بن زهير

ولقد علمت وأنت خير علمية • أن لايقربنى الهوى لهوان

وما الطف من قال

وسألتها باشارة عن حالها • وعلى فيها للوشاة عيون
فتنفست صعدا وقالت ما الهوى • الا الهوان فزال عنه النون

ومنه قول أبى تمام

يمدون من أيد عواص عواصم • تصول بأسياف قواض قواضب

وقال آخر

عذيرى من دهر موار موارب • له حسنات كلهن ذنوب

ومن النثر فلان حام حامل لأعباء الامور كاف كافل لمصالح الجمهور ومثله فلان سال عن اخوانه سالم من زمانه ومن غراميات البهاء زهير فى الجناس المذيل قوله من قصيدة

أشكو وأشكر فعله • فاعجب لشاك منه شاكر
طرفى وطرف النجم فيك كلاهما ساه وساهر

ولم يخرج عما نحن فيه قوله منها

ياليل بدرك حاضر • ياليت بدرى كان حاضر
حتى يبان لناظرى • من منهما زاه وزاهر

وما أحلى ماختم القصيدة بقوله

بدرى أرق محاسنا • والفرق مثل الصبح ظاهر

وقد تأتى الزيادة فى آخر المذيل بحرفين كقول حسان بن ثابت

وكنا متى يغزو النبى قبيلة • نصل جانبيه بالقنا والقنابل

(المذيل واللاحق)

عدت عاد وسيدى أطال الله بقاءه ناقشنى فى الحساب القبول أولا وصار فنى فى الاقبال ثانيا فاما حديث الاستقبال وأمر الأنزال والانزال فنطاق الطمع ضيق عنه غير متسع لتوقعه منه و بعد فكلفة الفضل بينة وفروض الود متعينة وأرض العشرة لينة وطرقها هينة فلم اختار قعود التعالى من كان صعود التغالى مذهبا وهلا ذاد الطير عن شجر العشرة وذاق الحلو من ثمرها فقد علم الله أن شوقى اليه قد كد الفؤاد برحا الى برح ونكاه قرحا على قرح ولكنها مرة ونفس حرة لم تقد الا بالاعظام ولم تلق الا بالاجلال واذا استعفانى من معاتبته وأعفى نفسه من كلف الفضل بتجشمها فليس الاغصص الشوق أتجرعها وحلل الصبر أتدرعها ولم أعره من نفسى فما الواعرت جناح طائر لما طارت الا اليه ولا وقعت الا عليه و بقينا نلتقى خيالا ونقنع بالذكر وصلا حتى جعلت عواصفه تهب وعقاربه تدب وهو لا يرضى بالتعريض حتى يصرح ولا يقنع بالنفاق حتى يعلن وأوضت الحال

ومنه قول النابغة لها نارجن بعد انس تحولوا • وزال بهم صرف النوى والنوائب
ومنه فى رثاء قوله فيالك من حزم وعزم طواهما • جديد الردى تحت الصفا والصفائح
وأرق ما سمعته فى هذا الباب قول القائل

ان البكاء هو الشفا • من الجوى بين الجوانح

انتهى الكلام على الجناس المذيل وأما اللاحق فقل من فرق بينه وبين المضارع والمراد بالمضارع هنا المشابه والفرق بينهما دقيق فان اللاحق هنا ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه ومتى كان الحرف المبدل من مخرج المبدل منه سمى مضارعا وان كان قريبا منه كان مضارعا أيضا وانا أذكر شاهد كل منهما فان الفرق بينهما يدق عن كثير من الافهام ولم يساعده على ظلمة شكه غير ضياء الحسن والمضارع هو المتشابه فى المخرج كقوله تعالى وهو الى الغاية التى لاندرك وهم ينهون عنه وينأون عنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة ومثله قول بعضهم البرايا أهداف البلايا ومن النظم قول الشريف الرضى رحمه الله لايذكر الرمل الاحن مغترب • له الى الرمل أوطار وأوطان
فاللام والراء والنون من مخرج واحد عند قطرب والجرمى وابن دريد والفراء قال بعض أهل الادب فى كاب راش سهامه بالعقوق ولوى ماله عن الحقوق فالعين والحاء من مخرج واحد ويعجبنى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى هذا الباب

رق النسيم كرقتى من بعدكم • فكاننا فى حبكم نتغاير
ووعدت بالسلوان واش عابكم • فكاننا فى كذبنا نتخاير

فالغين والخاء من مخرج واحد انتهى الكلام على المضارع ومقاربه فى مخارج حروفه على الابدال واللاحق قد تقدم انه ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه كقوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وكتب بعضهم فى جواب رسالة وصل كتابك فتنا ولته باليمين ووضعته مكان العقد الثمين ومن النظم قول البحترى وأجاد الى الغاية

عجب الناس لاعتزالى وفى الاطـراف تلفى منازل الاشراف
وقعودى عن التقلب والار • ض لمثلى رحيبة الاكناف
ليس عن ثروة بلغت مداها • غير أنى امرؤ كفانى كفافى

فكفانى وكفافى هو اللاحق الذى لا يلحق وهنا نكتة لطيفة تؤيد قول البحترى فى بيته الاول وهو

عجب الناس لاعتزالى وفى الاطـراف تلفى منازل الاشراف

قيل لبعضهم فى أى موضع فى القرآن الاطراف منازل الاشراف فقال فى قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين فهذا أشرفهم وكان صلى الله عليه وسلم ينزل من أقصى المدينة والاطراف والاشراف مما نحن فيه • وما أحلى قول أبى هلال العسكرى فى اللاحق

أراعى تحت حاشية الدياجى • شقائق وجنة سقيت مداما
وان ذكرت لواحظ مقلتيه • حسبت قلوبنا طرت سهاما
وان مالت بعطفيه شمول • سقانا من شمائله سقاما

انتهى الكلام على الجناس اللاحق والفرق بينه وبين المضارع ومن الناس من يسمى كل ما اختلف بحرف تجنيس التصريف سواء كان من المخرج أو من غيره ولكن رأيت استجلاء الفرق أنور ولا يشترط أن يكون الابدال فى الاول ولا فى الوسط ولا فى الآخر فان حل القصد الابدال كيفما اتفق وبيت الشيخ صفى الدين يشتمل على المذيل واللاحق وهو

أبيت والدمع هام هامل سرب • والجسم فى اضم لحم على وضم

به وبنا معه الى أن قال لو أن بهذا البلد رجلا تأخذه أريحية الكرم وتملكه هزة الهمم يجمع بينى وبين فلان يعنينى فلما وردت عليه الرقعة حشر تلامذته وخدمه وزم عن الجواب فله وجشم الايجاف قدمه وطالع مع الفجر علينا طلوعه وتظمتنا حاشيتا دار الامام أبى الطيب فقلت الآن تشرق الحشمة وتنور ونجد فى الفضل وتغور وقصدناه شاكرين لما أتاه فانتظرنا عادته وتوقعنا مادة فضله فكان خلبا شمناه وآلا وردناه وصرفنا الامر فى تأخره وتأخرنا عنه الى ما قاله ابن المعتز

انا على البعاد والتفرق
لنلتقى بالذكر ان لم نلتق

وأنشدنا قول ابن عصرنا أبى الطيب

أحبك يا شمس البلاد وبدرها
وان لامنى فيك السها والفراقد
وذاك لان الفضل عندك باهر
وليس لان العيش عندك بارد

وقول آخر وقد أحسن وزند

أحبك فى البتول وفى أبيها
ولكنى أحبك من بعيد
نم رأى اذا انجلى الغبار

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

يذيل الدمع جار جارح بأذى * كلاحق ماحق الآثار في الأكم

قال شيخنا الشيخ شمس الدين الهيتي وقد تقدمت ترجمته لما أنشدته هذا البيت والذي قبله بعد حفظي لهما من المصنف بحماة لو عزا أحد هذين البيتين الى الجان ما شككت في قوله وبيت بديعيتي وذيل الهم همل الدمع لي فجرى * كلاحق الغيث حيث الارض في ضرم

فالمذيل في هم وهمل واللاحق في غيث وحيث

(التام والمطرف)

*(ياسعد مانم لي سعد يطرفني * يقربهم وقليل الحظ لم يلم)*

أما الجناس التام فهو ماتماثل ركناه واتفقا لفظا واختلفا معنى من غير تفاوت في تصحيح تركيبهما واختلاف حركتهما سواء كانا من اسمين أو من فعلين أو من اسم وفعل فانهم قالوا اذا انتظم ركناه من نوع واحد كاسمين أو فعلين سمي مماثلا وان انتظما من نوعين كاسم وفعل سمي مستوفي وحد القصد تماثل الركنين في اللفظ والخط والحركة واختلافهما في المعنى سواء كانا ٢ من اسمين أو من غير ذلك فان المراد أن يكون الجناس تاما على الصفة المذكورة من حيث هو أكمل الانواع ابداعا واسماها رتبة وأولها في الترتيب فمنه قول الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه صولة الباطل ساعة وصولة الحق الى الساعة وقيل ماوقع في القرآن العظيم غير هذين الركنين وهو قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة ولكن استخرج ابن حجة من القرآن جناسا آخر تاما عظيما وهو قوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار * ومن الشعر قول بعضهم واجاد

وسميته يحيى ليحيى فلم يكن * الى رد أمر الله فيه سبيل

ومن ملح هذا النوع قول ابن الرومي

للسود في السود آثار تركن بها * وقعا من البيض يثني أعين البيض

ومنه قول أبي الفتح البستي

سما وحماني سام وحام * فليس كمثله سام وحام

أما أبو الفتح فانه ثابر على استعمال الجناس كثيرا ولكن ما أعلم أنه نظم أحسن من هذا البيت وقد تجمل به نوع الجناس وكاد ان يكون تورية وما أحسن قول المعري فيه واحشمه

لم نلق غيرك انسانا يلاذ به * فلا برحت لعين الدهر انسانا

ومطلع الشيخ صفي الدين في قصيدته البائية التي عارض بها المتنبي وامتدح بها السلطان الملك الناصر سقى الله عهده حسن في هذا الباب وهو

أسبلن من فوق النهود ذوائبا * فتركن حبات القلوب ذوائبا

ومن محاسنها عاتبته فتضرجت وجناته * وازور ألحاظا وقطب حاجبا

فأذابني الخد الكليم وطرفه * ذو النون اذ ذهب الغداة مغاضبا

ومطلع قصيدة ابن نباتة التي امتدح بها الملك الافضل صاحب حماة غاية في هذا النوع وقد عارض أبا الطيب المتنبي ولكن أتى فيها بما لو سمعه ابو العلاء لرجع عن ديوان أحمد واقر بمعجزات محمد فمطلع المتنبي ارق على ارق ومثلي يأرق * وجوى يزيد وعبرة تترقرق

ومطلع ابن نباتة مابت فيك بدمع عيني اشرق * الا وأنت من الغزالة اشرق

ولا جل اطنابي في هذه القصيدة تعين ايراد شئ من محاسنها هنا * فمنها

انفقت عيني في البكاء وحبذا * عين على مرآى جمالك تنفق

أفرس تحتي أم حمار وعلم يقينا أينا يبرز خلابه عقوا وأينا يغادر في المكر وود فلان بوسطاه بل بعناه لو رحلنا وقلنا في المناخ له ثم الى كلمات تحذو هذا الحذو ونحو هذا النحو وألفاظ أنتنا من عل وكان من جوابنا ان قلنا بعد الوعيد يذهب بالبيد وقلنا الصدق ينبئ عنك لا الوعيد وقلنا ان أجرأ الناس على الاسد أكثرهم رؤية له وقد قال بعض أصحابنا قلت افلان لا تناظر فلانا فانه يغلبك فقال أمثلي يغلب وعندي دفتر مجلد ووجدنا عندنا دفاتر مجلده وأجزاء مجوده وأنشدناه قول حجل بن نضله

جاء شقيق عارضا رمحه

ان بني عمك فيهم رماح

بل أحدث الدهر بنا نكبة

أم بل رقت أم شقيق سلاح

وقلنا انا نقتحم الخطب ونتوسط الحرب فنردها مقحمين ونصدرها بلغاء وأسنانا قبل النزال قصيره * ولكنها بعد النزال طوال فأرضك أرضك ان تأتنا تنم نومة ليس فيها حلم

(٢) قوله سواء كانا الخ المناسب حذف من وكذا فيما بعد

وتكاثرت في الجفن أنجم أدمعي * فكان غرب الجفن مني مشرق
وأخافني فيك العذول ومادري * أني لجورك في الهوى أتشوق
قسما بمن جعل الاسى بك لذة * والدمع راحة من يحب ويعشق
ان العذول هو الغبي وان من * يفني عليك حياته لموفق
لي من نصيب هواك سهم وافر * وسهام سحر من جفونك ترشق
عثار من دمعي عليك ذووا البكا * فاعجب له من سائل يتصدق
ولقد سقيت بكاس فيك مدامة * في غيظ عذالي عليك فلا سقوا
وضممت من عطفيك غصن ملاحة * بالحلي يزهر والغلائل يورق
وقرأت من خديك بعد تأمل * خطابه حب القلوب معلق
ورزقت من جفنيك ماحسد الورى * حظي عليه وهو رزق ضيق
ونعمت باللذات وهي جديدة * ولبست ثوب الراح وهو معتق
في ليل أفراح كأن هلاله * للشرب مابين الندامى زورق
حتى استطال الفجر يطعن في الدجى * فهو السنان أو العدو الازرق
ياحبذا ليل نبيع به الكرى * لكننا لاعن رضا نتفرق
حيث الشباب الى المسرة راكض * لايستقر وطالب لا يرفق
ماسرني أن الكميت يحثها * نحوي السقاة وأن فودي أبلق
زار الضنا ونأى الحبيب وعادني * ارق على أرق ومثلي يأرق

والعذر عن طول ما أوردته واضح لغرابة اسلوبها غزلا ومدحا * منها في المدح

قوم لذكراهم على صحف العلا * أصل الفخار وكل ذكر ملحق
الملك بعض ديارهم فليستنزلوا * والنجم بعض جدودهم فليرتقوا
ان يسجع الدين الحنيف بعدهم * فلانه بابي الفتوح مطوق
أو يبق ماضيهم على سنن الوفا * فلانهم ببقاء أفضلهم بقوا
ملأت مواهبه القلوب مهابة * فالقلب قبل الطرف فيها مطرق
وكأنما اقلامه بسوادها * غربان بين في الخزائن تنعق
لاعيب فيه سوى العزائم قصرت * عنها الكواكب وهي بعد تحلق

منها
يا أيها الملك المكمل فضله * وقيت من حدق البلى تحدق
وبقيت للمداح تجلب عيسهم * جلبا بغير بلادكم لا ينفق
أذكرتنا زمن المؤيد لاعدت * مثواه باكية الغمامة تشهق
حتى تجر به ذيول حديقة * أكمامها بيد النسيم تفتق

منها
وبديعة كالروض الا أنها * تجلى بجارحة السماع وتنشق
نظمتها عقدا بدون مثاله * في النظم شاب من الوليد المفرق
لافضل لي فيها وبحرك قاذف * درر الصفا بقول للناس انفقوا
من عش بيتك قد درجت فطار لي * في الخافقين جناح ذكرك يخفق
ولكم علقت من القريض صناعة * ماكنت لولا كم بها أتعلق
لكم الولا مني لان نداكم * في كل حادثة لفقري يعتق

ومن مطالعي في الجناس التام قولي

ياطيب الاخبار يا ريح الصبا * يامن اليه كل قلب قد صبا

فمن ظن أن سيلاقي الحروب وان لايصاب فقد ظن عجزا فانك متى شئت لقيت منا خصما ضخما ينهشك هضما ويأكلك خضما وحثثناه على الاخذ بأدب الله من قوله والصلح خير وان جنحوا للسلم فاجنح لها وأنشدناه قول القائل
السلم تأخذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من أنفاسها جرع
(وقلت له)
نعتك فالتمس يا أو بك غيري
طعاما ان لحمي كان مرا
ألم يبلغك ما فعلت ظباء
بكاظمة غداة ضربت عمرا
وجعل الشيطان ينقل بذلك أجفان طرفه ويقيم به شعرات أنفه
وحتى ظن ان الغش نعمى
وخالفني كأني قلت هجرا
واتفق ان السيد أباعلي نشط للجمع بيني وبينه فدعاني فأجبت ثم عرض على حضور أبي بكر فطلبت ذلك وقلت هذه عدة كنت أستنجزها وفرصة لاأزال انتهزها فتجشم السيد أبو الحسين وكاتبه يستدعيه فاعتذر أبو بكر بعذر في التأخر فقلت لولا كرامة للدهر أن نقعد تحت حكمه أو نقبل خسف ظلمه ولاعزازة

وهذه القصيدة كتبت بها من القاهرة المحروسة سنة اثنتين وعمانمائة الى القاضى تاج الدين بن البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف تشوقا اليه والى حماة المحروسة وقلت بعد المطلع أخاطب النسيم بما هو أرق منه

يا صادق الانفاس يا أهل الذكا * يا طاهر الاذيال كم لك من نبا
يا من نراه عبارة عن حاجر * يا روح نجد مرحبا بك مرحبا
يا نسمة الخبر الذى من طيبه * تتنشق الاخبار عن تلك الربا
بالله ان رنحت ذيلك بالحمى * ووردت شعبا من دموعى معشبا
وهززت فيه كل عود أراكة * أضحى بهاتيك الثغور مطيبا
ولثمت من ثغر الاقاحى مبسما * أبدى بدر الطل ثغرا أشنبا
ودخلت كل خباء زهر قد غدا * بدموع أجفان الغمام مطنبا
وطرقت حى العامرية ظامئا * فنعمت فى الوادى بريا زينبا
وحملت من نشر الخزامى نفحة * مشمولة بالطيب من ذاك الخبا
عج بالعذيب فان محجر عينه * أضحى لما حملته مترقبا
واسحب عبير المسك منه فانه * لشوارد الغزلان أضحى مشربا
واذا تنسمت الشذا وتعطرت * منك الذيول وطبت يا ريح الصبا
عرج على وادى حماة بسحرة * متيمما منه صعيدا طيبا
واحمل لنا فى طى بردك نشره * فبغير ذاك الطيب لن نتطيبا
واسرع الى ودادى فى مصربه * قلبا على نار البعاد مقلبا
لله ذاك السفح والوادى الذى * مازال روض الانس فيه مخصبا
وانعم بمصر نسبة لكن أرى * وادى حماة والطفه لى أنسبا
أرض رضعت بها ثدى شبيبتى * ومزجت لذاتى بكاسات الصبا
يا ساكنى مغنى حماة وحقكم * من بعدكم ماذقت عيشا طيبا
ومهالك الحرمان تمنع عبدكم * من أن ينال من التلاقى مطلبا
واذا اشتهيت السير نحو دياركم * قرأ النوى لى فى الاواخر من سبا
وقد التفت اليك يادهرى بطو * ل تعتبى ويحق لى أن أعتبا
قررت لى طول الشتات وظيفة * وجعلت دمعى فى الخدود مرتبا
وأسرتنى لكن بحق محمد * يادهر كن فى مخلصى متسببا
فمحمد ومدينة قد حلها * لم ألق غيرهما لقلبى مطلبا
مولى اذا قصد الزمان بجنه * خفضى غدا عن رفع قدرى معربا
ذو رتبة نصب السعود بيوتها * من فوق هام الفرقدين وطنبا
وفضائل أمست على حلل العلو * م برقها الزاهى طرازا مذهبا
وكتابة منسوبة لكن الى * عين الكمال وحقها أن تنسبا
واذا تسنم ذروة من منبر * لخطابة فابن الخطيب هنا هبا
من بيت فضل قد علت طبقاته * وأراه للعلم الشريف مبوبا
واذا وقفت لحاجة فى بابه * تلقاه بابا للنجاح مجربا
يا كاتب الاسرار يا من فصله * قد جل الدنيا وزان المنصبا
أقلامك السمر الرشاق اذا انثنت * أغنت نهار الخطب عن بيض الظبا

للعوائق أن تضيعنا ولا نضيعها وتعيننا ولا ندفعها وكاتبته أنا أشحذ عزيمته على البدار وألوى رأيه عن الاعتذار وأعرفه مافى ذلك من ظنون تشتبه وتهم تتجه وتصاور تختلف واعتقادات تخالف وقد نا اليه من كوبالنكون قد ألزمناه الحج وأعطيناه الراحلة فجاءنا فى طبقة أف وعدد تف

كل بغيض قده أصبع
وانفه خمسة أشبار

مع أرباب عانات وأصحاب جربانات لاتنال العين منهم الاجبسا وسرحنا الطرف منهم ومنه فى أحمى من است النمر وأعطس من أنف النغر فظننا انه يريد أن يلقى كتيبة أو يهزم دوسرا أو يفل الانكدين أو يرد الوفدين ثم رأينا رجالا جوفا قد حاقوا صوفا فأمنا المعرة ولم نخش المضرة وقناله واليه وجلس يحرق أرمه ويتمثل ببيت لا تقتضيه الحال

* من انا فى الحبالة نستبق *

فتركاه على غلوائه حتى اذا انفض مافى راسه وفرغ جعبة وسواسه عطفنا عليه فقلنا ياعافاك الله دعوناك وغرضنا غير المهارشة واستدناك وقصدنا غير المناوشة فلتهد أضلوعك وليفرخ روعك

سود العيون كأنما ألحاظها * قد كحلت بسواد احداق الظبا
لكن الى وجه الطروس اذا رنت * أبدت لنا سحرا حلالا طيبا
وسرى نسيم الذوق فى قصباتها * فغدا بها بين الانام مشببا
فلاجل ذا ان رجعت أقوالها * لم تلق الا مرقصا أو مطربا

رجع الى ما كافيه من الجناس التام * ومن نظمى فيه أيضا مع زيادة التورية

طلبت تقبيل من أحب وقد * أنكرت فى الخد نقطة حسنه
فرق لى قلبه وقال اذا * لثمت خدى لا تنكر الحسنه

انتهى الكلام على الجناس التام وقد تقدم قولى ان جميع من نهلت من شرابهم الصافى لم يرضوا بالجناس التام اذا أمكن استدراك التورية من ركنيه لعلمهم بعلو رتبتها عنه والتفات الاذواق الصحيحة السليمة الى حسن موقعها واذا راجعت النظر فى كلامهم وجدت غالب ما نظموه من التورية جناسا تاما فمن ذلك قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل من دو بيت

كم قال معاطفى حكتها الاسل * والبيض سرقن ما حوته المقل
والآن أوامرى عليهم حكمت * البيض تحد والقنا تعتقل

ففى تحد وتعتقل جناسان تامان اذا أبطلت الاشتراك وأبرزت كلا من الركنين فى موضعه على طريق من له رغبة فى الجناس ومثله قول محيى الدين بن عبد الظاهر فى كوز

وذى أذن بلا سمع * له قلب بلا قلب
اذا استولى على حب * فقل ما شئت فى الصب

ومثله قول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى

تعشقته لدن القوام مهفهفا * شهى اللمى أحوى المراشف أشنبا
وقالوا بدا حب الشباب بوجهه * فيا حسنه وجها الى محببا

ومثله قول الشيخ شرف الدين الانصارى شيخ شيوخ حماة

لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره
تعاملنى بما يحلو وتلوى * ولكن ليس فى جوفى مراره

ومثله قول الشيخ ظهير الدين البارزى سقى الله ثراه

يا حية الحب التى * طال لها تلفتى
هل أنت من الترك أو * هل أنت من تبتى

ومثله قول الشيخ علاء الدين الوداعى

أثخنت عينها الجراح ولا اثم عليها لانها نعساء
زاد فى عشقها جنونى فقالوا * ما بهذا فقلت بى سوداء

ومثله قول لسان الدين بن الخطيب

جلس المولى لتسليم الورى * واتصل البرد فى الجو احتكام
فاذا ما سألوا عن يومنا * قلت هذا اليوم برد وسلام

ومثله قول الشيخ سراج الدين الوراق فيمن بخل بالراح والتورية ثلاثية وهو

لا تطمعن براحة من معشر * سادوا بغير مآثر السادات
قطعت عن المعروف أيديهم وقد * سرقوا العلا فخلت من الراحات

ومثله قول نصير الدين الحمامى لى منزل معروفه * ينهل غيثا كالسحب
اقبل ذا العذيبه * واقبل الجار الجنب

يا مار سرجس لا نريد قتالا * وما اجتمعنا الا الخير فلا تسكن سورتك ولتلن فورتك ولا ترقص لغير طرب ولا تحم لغير سبب وانما ذكرناك لتملأ المجلس فوائد وتذكر أبياتا شوارد وأمثالا فرائد وتبادئك فنسعد بما عندك وتسألنا فتسرع بما عندنا ويقف كل واحد منا موقفه من صاحبه وقد كنت أسمع بحديثك فيعجبنى الالتقاء بك والاجتماع معك والآن اذ سهل الله ذلك فهلم الى الادب نتفق يوما عليه والى الجدل نتجاذب طرفيه فاسمع خبرا واسمعنا مثله ولتبدأ بالفن الذى ملكت به زمانك وفت به أقرانك وملكت به عنانك وأخذت منه مكانك فطار به اسمك بعد وقوعه وارتفع له ذكرك عقب خضوعه وأفحمت به الرجال حتى أذعن العالم وقلد الجاهل وقالوا قول الصوفية يا دهشا كله فخارنا بفرسك وجدلنا بنفسك فقال وما هو فقلت الحفظ ان شئت والنظم ان أردت والنثر ان اخترت والبديهة ان نشطت فهذه أبوابك التى أنت فيها ابن

ومثله قول شهاب الدين الحاجبي

لها عين لها غزل وغزو * مكحلة ولي عين تباكت

وحاكت في فعائلها المواضي * فيالك مقلة غزلت وحاكت

ومثله قول ابن الوردي قالت اذا كنت ترجو * وصلي وتخشى نفوري

صف ورد خدي والا * أجور ناديت جوري

ومثله قول ابن الصائغ

هجرت فاحشائي لذاك توقدت * جمرا وليست في المحبة فاتره

هذا وتحرمني الثقيل في الهوى * من ذا الذي يرضى بنار الهاجره

ومثله قول ابن نباتة في الملك المؤيد صاحب حماة

لنا ملك قد قاسمتنا هباته * فنثر الهطامنه ونظم الثنا منا

يذكرنا أخبار معن بجوده * وننشي له افظا فيتشي لنا معنى

ومثله قوله وهو أعدل شاهد في هذا الباب

دمعي عليك مجانس قلبي * فانظر على الحالين في الصب

فذكر التجانس هنا أحد لازمي التورية والدمع هو اللازم الآخر وقد نبهنا الشيخ جمال الدين على أنه لم يرض بالجناس ويؤيد ذلك قوله على الحالين ومنه قول القيراطي

أباح لي نرجس ألحاظه * في مجلس ما فيه ما نكره

فقلت وردا لخد دل به * أيضا فقال الكل في الحضره

ومثله قول بدر الدين بن الصاحب

فتنت بنبت من عوارض خده * فها أنا في قيد الغرام أسير

وما كان لي بالعشق قط تعلق * ولا بالهوى قبل العذار شعور

ومثله قول صلاح الدين الصفدي

ان لم تصدقني تصدق بالكرى * ليزورني فيه الخيال الزائل

وانظر الى فقري لوصلك واغتنم * أجري وقل للدمع قف يا سائل

ومثله قول ابن أبي حجلة

يا صاح قد حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس

وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس

وما أظرف قول يحيى الخباز الحموي

أصبحت في العالم أعجوبة * عند ذوي المعقول والفهم

جدي حموي فاسمعوا واعجبوا * وما كذا في حتى أبي أمي

ومثله قول المعمار قدبت من كربي لفقد النسا * أفور كالتنور من ناريه

وقد طغى الماء فمن لي بأن * أحمل بالجود على جاريه

ومثله قول الشيخ شرف الدين حسن المشهور بالزغاري

قيل لي اذا رأيت أقمار تم * عن بدور السماء للطرف تلهي

أي وجه أضناك قلت دعوني * فسقامي قد صح من كل وجه

ومثله قول عز الدين الموصلي

حديث عذار الحب باد وساقه * له أوجه تبدي لقلبي اشتياقه

درى اننا نصغي الى الحسن دائما * فابدى لنا ذاك الحديث وساقه

دعوالك غلا منها فالك فأحجم عن الحفظ رأسا ولم يجل في النثر قدحا وقال أباد هك فقلت أنت وذاك فمال الى السيد أبي الحسين يسأله بيتا يجيز فقلت يا هذا أنا أكفيك ثم تناولت جزأ فيه أشعاره وقلت لمن حضر هذا شعر أبي بكر الذي كد به طبعه وأسهر له جفنه وأجال فيه فكره وأنفق عليه عمره واستنزف فيه يومه ودونه في صحيفة ما ثره وجعله ترجمان محاسنه وعبر به عن باطنه وأخذ مكانه وهو ثلاثون بيتا وساقرن كل بيت بوفقه وأنظم كل معنى الى افقه بحيث أصيب أغراضه ولا أعيد ألفاظه وشرطي ان لا أقطع النفس فان تهيأ لواحد أو أمكن لناقد ممن قد حضر يريد النظر ان يميز قوله من قولي ويحكم على البيت انه له أولى أو يرجح ما نظمه بنار الروية على ما أمليته على لسان النفس فله يد السبق أو يكون غيرها فاعفاء عن هذه المقاومة ويتنحى لنا عن أرض المماتنة ويخلي بنا الطريق لمن يبني المنار به فقال أبو بكر ما الذي يؤمننا من أن تكون نظمت من قبل ما تريد

ومثله قول ابن مكانس يقول معذبي اذ همت فيه • بخد خلت فيه الشعر غلا
أتعرف خده للعشق أهلا • فقلت له نعم أهلا وسهلا

وأنشدني من لفظه لنفسه بقية السلف ومن كان للفروع النباتية نعم الخلف الشيخ زين الدين أبو بكر ابن العجمي عين كتاب الانشاء الشريف بالديار المصرية وقد تمثلت بين يديه بالقاهرة المحروسة سنة احدى وعمانمائة وطالبته بشئ من لفظه في المواليا فانه كان امام فنونه المتشعبة فقال

للحب قالوا معناك الذي اذبلتو • جد لو بقبلة فقلبو فيك خبلتو
فقال اقسم لوان البوس سبلتو • ومات للشرق مادر تو وقبلتو

ومنه قول ابن خطيب داريا تقول وقد أتتني ذات يوم • مخبرة عن الظبي الجموح
يسرك ان أروح اليه أجرى • فقلت لها خذي مالي وروحي

ومنه قول بدر الدين الدماميني قم بنا نركب طرف الشلهو سبقا للمدام
واثن يا صاح عناني • لكميت ولجام

ومثله قول ابن حجر سألوا عن عاشقي في • قمر باد سناه
أسقمته مقلتاه • قلت لا بل شفتاه

ومثله قولي عاتبته ودموعي غير جارية • لان دمعي من طول البكا نشفا
فقال لم أر وكف الدمع قلت له • حسبك الله يا بدر الدجى وكفى

ولم استطرد الى هذا الا لتأييد قولي ان جميع من نسجت على منوالهم لم يرضوا بالجناس التام اذا أمكنت التورية التامة وصح الفرق بينهما بحمد الله ظاهر وبدر مثاله في ليالي السطور سافرانتهى ما أوردته من محاسن التورية التامة ووجوب تقديمها على الجناس التام اذا كان عند الناظم يقظة وكان ممن يميل الى هذا المذهب واما الجناس المطرف فهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا في طرفه الاول وهذا هو الفرق بينه وبين المذيل فان الزيادة في المذيل تكون في آخره واما المطرف فتكون زيادته في أوله لتصيرله كالطرف ويسمى الناقص والمردف وفي تسميته اختلاف كثير ولكن مطابقة المطرف في التسمية طرفة كقوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق والزيادة تارة تكون في أول الركن الثاني كما تقدم وتارة في أول الركن الاول كقول أبي الفتح البستي

أبا العباس لا تحسب باني • بشئ من حلى الاشعار عاري
فلي طبع كسلسال معين • زلال من ذرى الاحجار جاري
اذا ما أكبت الادوار زندا • فلي زند على الادوار واري

ومثله

وكم سبقت منه الى عوارف • ثنائي على تلك العوارف وارف
وكم غرر من بره ولطائف • فشكري على تلك اللطائف طائف

ومثله قول القائل قام يسعى ما بين شرب أعزه • من بني الترك أغيد فيه عزه

وقصيدة هذا المطلع رأيتها في بعض التذاكر بخط الشهاب محمود ولم أعرف لها ناظما وأعجبني فيها أبيات منها

يقظ ما يشير طرف اليه • بمرام الا ويعرف رمزه
كلما تفعل الصوارم تغني • عنه ألحاظه المراض بغمزه

ومن نظم ابن نباتة الذي جعله نفثا
عطفت كامثال القسي حواجبا • فرمت غداة البين قلبا واجبا

ومثله قولي والله ما هب النسيم بحاجر • الا ترقرق مدمعي بمحاجري

انتهى الكلام على الجناس التام والمطرف وهما في بيت البديعية ظاهران وبيت صفي الدين الحلي قوله

من شأنه حمل اعباء الهوى كمدا • اذا هم شأنه بالدمع لم يلم

انشاده الآن فقلت اقترح لكل بيت قافية لا أسوقه الا اليها ولا أقف به الا عليها ومثال ذلك ان تقول حشر فاقول بيتا آخره حشر ثم عشر فانظم بيتا قافيته عشر ثم هلم جرا الى حيث يتضح الحق ويفتضح الزرق وتستقر الحجة وتستقل الشبهة وتنطرد فيعرف الحالي من العاطل ويفرق بين الحق والباطل فابى أبو بكران يشاركني هذا العنان ومال الى السيد أبي الحسين يسأله بيتا لجيز فتبعنا رأيه فيما رآه ولم نرض الارضاء وأعمل كل منا لسانه وفمه وأخذ دواته وقلمه فاجزنا البيت الذي قاله وكلما أجزناه اجازة جاري القلم فيها الطبع وباري اللسان بها السمع وسارق الخاطر بها الناظر وسابق الجنان فيها البنان اذ قلنا هذا الاديب على تعسف فتكه •

وبروكه عند القريض بركه متسرع في كل ما يعتاده •
من نظمه متباطئ عن تركه والشعر أبعد مذهبا ومصاعدا •
من أن يكون مطيعه في فكه والنظم بحر والخواطر معبر •
فانظر الى بحر القريض وفلكه

وبيت عز الدين الموصلي   مذ تم للعين انس حين طرفها * مرأى الحبيب ببذل العين لم يلم

وبيتي   يسعد مانم لى سعد بطرفى * بقربهم وقايل الحظ لم يلم

وللمتأمل ان يستحلى و يستجلى ما يظهر فى مرآة ذوقه ولا يميل عن جادة الانصاف

(المصحف والمحرف)

*(هل من ينى و يتى ان صحفوا عذلى * وحرفوا وأتوا بالكلم فى الكلم)*

ينى و يتى فيهما جناس التصحيف ومنهم من يسميه جناس الخط وهو ما تماثل ركناه خطا واختلفا لفظا والمقدم فى هذا قوله تعالى والذى هو يطعمنى و يسقين واذا مرضت فهو يشفين ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى ابن أبى طالب كرم الله وجهه قصر ثوبك فانه أنقى وأتقى وأبقى وقول النبى صلى الله عليه وسلم حين سمع رجلا ينشد على سبيل الافتخار وقيل سأله عن نسبه فقال

انى امرؤ حميرى حين تنسبنى * لا من ربيعة آبائى ولا مضر

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ذلك والله الأم لجدك وأقل لحدك ومنه قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو كنت تاجرا ما اخترت غير العطر ان فاتنى ربحه لم تفتنى ريحه ومنه قول القاضى الفاضل فى بعض رسالاته فانتم يابنى أيوب أيديكم آفة أنفس الاموال كما ان سيوفكم آفة انفس الابطال فلو ملكتم الدهر لاعطيتم لياليه أداهم وقلدتم بيض أيامه صوارم ووهبتم شموسه واقماره دنانير ودراهم واوقاتكم اعراس وما تم الاعلى الاموال فهى ماتم والجود خاتم فى أيديكم ونفس حاتم نقش فى ذلك الخاتم وقال أهل الادب خاف الوعد خاق الوغد والاربعة أركان بغير حشو وغاية فى هذا الباب ومن النظم قول الشاعر   فان حلوا فليس لهم مقر * وان رحلوا فليس لهم مفر

ومثله قول أبى فراس   من بحر جودك اغترف * وبفضل علمك اعترف

ولم أذكر هنا من جناس التصحيف الا النوع السالم من اختلاف الحركة بالتحريف فانه اذا اجتمع فيه النوعان صار مشوشا كقول الحريرى *ربت زينب بقد يقد* وهذا فيه التحريف والتصحيف وقد تقدم ان الركنين اذا تجاذبهما نوعان من التجنيس ولم يخلص للواحد كان الجناس مشوشا ومثله قول أبى تمام* فى حده الحد بين الجد واللعب * ومن المصحف السالم ما كتبت به الى المقر المخدومى فخر الدين بن مكانس فى رسالتى التى ذكرت فيها حريق دمشق وهو وأضحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيره ولقد كان أهلها فى ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم وضاع من غير تورية عطره الناسم ومن غراميات البهاء زهير ولطائفه فى الجناس المصحف قوله

وليس مشيبا ماترون بعارضى * فلا تمنعونى ان أهيم وأطربا

وما هو الانور ثغر لثمته * تعلق فى أطراف شعرى فالهبا

وأعجبنى التجنيس بينى و بينه * فلما تبدى اشنبا رحت اشيبا

وما أظرف قول شمس الدين بن العفيف وقد كنى باحد الركنين عن الآخر وهو

ياذا الذى صد عن محب * فيه ذاب الغرام قلبه

مالك فى الهجر من دليل * لكن هذى علوقبه

ولم يطالب فيه بالتشويش لظرافته ولطافته انتهى الكلام على الجناس المصحف وأما قولى وحرفوا وأتوا بالكلم فى الكلم فهذا جناس التحريف وهو ما اتفق ركناه فى عدد الحروف وترتيبها واختلفا فى الحركات سواء كانا من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك فان القصد اختلاف الحركات كما تقرر والمقدم فيه وهو الغاية التى لا تدرك قوله تعالى ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر

(المصحف والمحرف)

فتى توانى فى التقريض مقصر * عرضت اذن الامتحان بعركه هذا الشريف على تقدم بيته * فى المكرمات ورفعه فى سمكه قد رام منى أن أقارن مثله وأنا القرين السوء ان لم أنكه واذا نظمت قصمت ظهر مناظرى وحطمت جارحة القرين بدكه ودبغت منه أديمه وتركته نهج الاديم بدبغه وبدلكه أصغوا الى الشعر الذى نظمته كالدر رصع فى مجرة سلكه فتى عجزت عن القرين بديهة فدمى الحرام له اراقة سفكه وقال أبو بكر أبينا تاجهدنا به أن يخرجها عن الغلاف ويبرزها من اللفاف فلم يفعل دون أن طواها وجعل يعركها ويفركها فقلت ان البيت لقائله كالولد لناجله فمالك تعق ابنك أو تضيمه أبرزها للعيون

كيف كان عاقبة المنذرين ولا يقال ان اللفظين متحدان فى المعنى لانهما من الانذار فلا يكون بينهما تجنيس فاختلاف المعنى ظاهر اذ المراد بالاول الفاعلون وهم الرسل و بالثانى المفعولون وهم الذين وقع عليهم الانذار وقول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى ومثله قولهم جبة البرد جنة البرد ومثله قولهم رطاب الرطب ضرب من الضرب ومنه قول القاضى الفاضل لازالت الملوك ببابه وقوفا والاقدار له سيوفا والخلق له فى دار الدنيا ضيوفا ودين دين الحق اذا جردوا التقاضيه سيوفا سيوفى ومن النظم قول أبى تمام

هن الحمام فان كسرت عيافة ✱ من حائهن فانهن حمام

وما أحلى قول أبى العلاء المعرى

لغيرى زكاة من جمال فان تكن ✱ زكاة جمال فاذكرى ابن سبيل

ومثله قول ابن الفارض رحمه الله تعالى

هلا نهاك نهاك عن لوم امرئ ✱ لم يلف غير منعم بشقاء

ومثله قول الشيخ عبد العزيز شيخ شيوخ حماة

لعينى كل يوم فيه عبره ✱ تصيرنى لاهل العشق عبره

وغاص هو والقاضى الفاضل فى هذا البحر وأظهروا من هذا الروى جواهر العقود فن قصيد شيخ الشيوخ بحماة اذا غفل الوشاة بعثت دمعى ✱ فيغدو مرسلا من غير فتره

علامة شقوتى فى الحب انى ✱ ثقلت عليك لا من طول عشره

سألزم باب خمار الثنايا ✱ ليطلق لى ولو فى العمر سكره

وظريف هنا قول الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف من قصيدة

لا أجازى حبيب قلبى بظلمه ✱ انا أحنى عليه من قاب أمه

جوره مثل عدله عند من يهـ ✱ ـواه مثلى وظلمه مثل ظلمه

وما أظرف قول الصاحب بهاء الدين زهير من غرامياته فى هذا النوع

زها ورد خديك لكنه ✱ بغير النواظر لم يقطف

وقد زعموا أنه مضعف ✱ وما علموا أنه مضعفى

وأورد الشيخ كمال الدين الدميرى فى كتابه المسمى بحياة الحيوان عندما انتهى الى ذكر المها أبياتا تعجبنى فى هذا الباب أولها تام وآخرها مطرف وباقى الابيات تحريفها ممتزج بالاذواق حلاوته المعتدلة والابيات لجميل بثينة

خليلى ان قالت بثينة ماله ✱ أتانا بلا وعد فقولا لها لها

أتى وهو مشغول لعظم الذى به ✱ ومن بات طول الليل يرعى السها سها

بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى ✱ اذا برزت لم تبق يوما بها بها

لها مقلة كحلاء نجلاء خلقة ✱ كأن أباها الظبى أو أمها مها

دهتنى بود قاتل وهو متلفى ✱ وكم قتلت بالود من ودها دها

ويعجبنى قول من قال ان الصديق الصدوق أول العقد وواسطة العقد ومثله قولهم البدعة شرك الشرك وما أحلى قول ابن نباتة

قوامك تحت شعرك بالامامه ✱ غدا لك حاملا علم الامامه

ولى مع زيادة التورية

ولما أرانى الشعر وهو مذيل ✱ وجانب ذاك الصدغ وهو مطرف

بدا بخمار من خمار بريقه ✱ فقلت لهم هذا الجناس المحرف

وخلصها من الظنون فكره أبو بكر أيده الله ان تكون الهزة أعقل منه لانها تحدث فتغطى فلم يستجرئ أن يظهر ثم مسح جبينه و بسط عينه للبديهة نفسا دون ان يكتب فقلنا أنت وذاك واقترح علينا أن نقول على وزن قول أبى الطيب المتنبى حيث يقول

أرق على ارق ومثلى يأرق ✱ وجوى يزيد وعبرة تترقرق

وابتدرأ أبو بكر أيده الله الى الاجازة ولم يزل الى الغايات سباقا فقال

واذا ابتدهت بديهة ياسيدى ✱ فأراك عند بديهتى تتقلق

واذا قرضت الشعر فى ميدانه ✱ لاشك أنك يا أخى تتشقق

انى اذا قلت البديهة قلتها ✱ عجلا وطبعك عند طبعى يرفق

مالى أراك ولست مثلى عندها ✱ متموها بالترهات تمخرق

انى أجيز على البديهة مثل ما ✱ تريانه واذا نطقت أصدق

لو كنت من صخر أصم لهاله ✱ منى البديهة واغتدى يتفلق

لو كنت ليثا فى البديهة خادرا ✱ لرؤيت يامسكين منى تفرق

وبديهة قد قلتها متنفسا ✱ فعل الذى قد قلت ياذا الأخرق

انتهى الكلام على الجناس المصحف والمحرف وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

من لي بكل غرير من ظبائهم * غزير حسن يداوي الكلم بالكلم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي الحنبلي

هل من تقي نقي حين صحف لي * محرف القول زان الحكم بالحكم

أما التصحيف والتحريف في هذا البيت فظاهران وأما المعنى فالسريرة عند الله وبيتي

هل من يقي ويفي ان صحفوا عذلي * وحرفوا وأتوا بالكلم في الكلم

(ذكر اللفظي والمقلوب)

*(قد فاض دمعي وفاظ القلب اذ سمعا * لفظي عذل ملا الاسماع بالالم)*

أما اللفظي فهو النوع الذي اذا تماثل ركناه وتجانسا خطا خالف أحدهما الآخر بابدال حرف منه فيه مناسبة لفظية كما يكتب بالضاد والظاء وشاهده قولي في البيت فاض وفاظ فان الاول من فيض الماء والثاني من التلف وجاء في هذا النوع من القرآن العظيم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فالاول من النضارة والثاني من النظر وألحقوا به ما يكتب بالهاء والتاء كقولهم جبلت القلوب على معاداة المعادات وقيل هو حديث أو بالنون والتنوين كقول الأرجاني

وبيض الهند من وجدي هواز * باحدى البيض من عليا هوازن

أو بالالف والنون كقول الشاعر ابن العفيف

أحسن خلق الله وجها وفما * ان لم يكن أحق بالحسن فمن

ولم ينظم هذا النوع غير الصفي وهو قليل جدا وأصعب مسلكه تركيبه بالضاد والظاء لاجل ابدال الحرف الذي فيه المناسبة اللفظية وقد تقدم قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ انه أورد في شرحه الذي سماه رقم البردة شيأ من محاسن الزجل على هذا النوع البديعي الذي أطلق عنان القلم في الكلام عليه والزجل فن يتمكن الناظم فيه من المعاني لجولانه في ميادين الاغصان والخرجات وهو لا يحسن رسمه في الكتابة الا من عرف اصطلاحه وكان الشيخ علاء الدين بن مقاتل اذا ذكر الزجل كان ابن بجدته وأبا عذرته وممن سلمت اليه مقاليد هذا الفن وأورد الشيخ صلاح الدين الصفدي له نبذة من غرر أزجاله في تذكرته وتاريخه تغني عن الاكثار في ترجمته وله في الجناس اللفظي زجل جانسه بالظاء والضاد لم يسبق اليه ومطلعه قوله

ان مع معشوقي جفون ولحاظ * لو رآهم عابد لهام وحاض
ومع أنوار من سحر عينيه اذا * حفظوه باب أناه صلا تودا
ان ماعو عيون فواتر حور * في سحور ولدانها بواتر جفون
كيف لا يفتن عشاقو ذاك الفتور * وعلى خده شامه بنقطة فنون
من نظرهم نظره بقي مسحور * وكيف أنو ماينسحر من عيون
يعتقدهم رقود وهم ايقاظ * وجفون كل جفن بسيف أي قاض
يقضي فيمن يسر وباح وهذي * حكمه ممن أضل ناس وهدى
حضر في لساني يغيب عني * في غيابو ياما بحفظ فصول
حتى نوايصير قريب مني * ولو انو يكون في ميدان يجول
ايش تضيق الدنيا على ذهني * ولا يدري ايش كان يريد لو يقول
وأنس ما قد حفظتو من الالفاظ * ويضيق بي رحب المكان الفاض
ولا أطلب يومي شراب وغدا * فابقى سكران طول ليلتي وغدا
يا نسيم السحر عرج لي حبي * بث مني طيب السلام كلو

(اللفظي والمقلوب)

ثم وقف يعتذر ويقول ان هذا كما يجيء لا كما يجب فقلت قبل الله عذرك لكني أراك بين قواف مكروهة وقافات خشنة كل قاف بجبل قاف منها تتقلق وتتشقق وتتفلق وتغرق وتحرق وتطلق وتعلق وتبرق وتشرق وأحمق واخرق الى أشياء لا أكثرها العدد فخذ الآن جزاء عن قرضك وأداء لفرضك وقافات

مهلا أبا بكر فزندك أضيق * فاخرس فان أخاك حي يرزق
دعني أعرك اذا سكت سلامة * فالقول يجد في ذويك ويعرق
ولقافاتك قسكات سوء فيكم * تدع الستور وراءها لاتخرق
وانظر لاشنع ما أقول وأدعي * أله الى اعراضكم متسلق
يا أحمقا وكفاك ذلك مخزية * جربت نار معرق هل تحرق

فلما أصابه حر الكلام ومسه لفح هذا النظام قطع علينا فقال يا أحمقا لا يجوز فان أحمق لا ينصرف فقلنا يا هذا الانقطع فان شعرك ان لم يكن عيبه عيب فليس بظرف ظرف ولو شئنا لقطعنا عليك ولوجد الطعن سبيلا اليك واما أحمق فلا يزال يصفعك لتصفعه حتى ينصرف وتنصرف معه وعرفناه أن للشاعر أن يرد مالا

لله وأوصيه بالعاشق المسبي ٭ وبقلبي ذاك الذي استلو
وان تيسر لك أن ترى قلبي ٭ وان يدل عن جسمي الضعيف قلو
انو يحيل من بعدك الى ان فاظ ٭ واغتسل مما من عيونو فاض
وعلى حدو الدارجين قد حدا ٭ وفي نايو حادي المنايا حدا
اذكرني في عتبو وخد البهار ٭ عصتو حتى وقف على ماجرا
وبقي هو يحمرونا بصفار ٭ ونوادر منى ومنو ترا
فلا تعجب من خد وكيف بحمار ٭ فوق ورد الخدود وتحتو جرا
ماء الحباني وجنا ولما انغاظ ٭ ونشف ماء لوني الى ان غاض
وما ينكر حالي وحالو فدا ٭ سر فيه ممن أنا لو فدا

ونظمت في هذا النوع الغريب تورية فجاءت في غاية الحسن ولم أسبق اليها الا من الشاب الظريف محمد بن العفيف كقوله

عبتم من المحبوب حمرة شعره ٭ وأظنكم بدليله لم تشعروا
لا تنكروا ما احمر منه فانه ٭ بدماء أرباب الغرام مضفر

وقولي

خاطرت في عشقي له بامهجتي ٭ لا تشغلي قلبي الحزين وخاطري
فالطرف شاهد منه ناضر قده ٭ فغدا يهيم بكل غصن ناضر

وقولي

مرج حماه بنواغيره ٭ زاد على المقياس في روضته
واغتاظ غرور ذدمشق له ٭ فقلت لا أفكر في غيضته

وقولي

حضبت عزمي اليك شوقا ٭ فلم أطق مكثة بأرض
وحيث لم أحظ بالتلاقي ٭ فغايتي أن ألوم حضي

انتهى الكلام على الجناس اللفظي وأما الجناس المقلوب وسماه قوم جناس العكس وهو الذي يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقص ويخالف أحدهما الآخر في الترتيب كقوله تعالى حكاية عن هرون خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارق وما ألطف ما أشار الصاحب بن عباد الى الجناس المقلوب بقوله لأبي العباس بن الحرث في يوم قيظ وقد طلب مروحة الخيش ما يقول الشيخ في قلبه يعني الخيش ومروحة الخيش أحدثها بنو العباس وذكرها الحريري في المقامات وقال اسمعوا وقيتم الطيش وأنشد لغزا في مروحة الخيش

وجارية في سيرها مشمعلة ٭ ولكن على أثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها ٭ على انه في الاحتثاث رسيلها
ترى في أوان القيظ تنطف بالندى ٭ ويبدو اذا ولى المصيف نحولها

وكان السبب في حدوث هذه المروحة ان هرون الرشيد دخل يوما على أخته علية بنت المهدي في يوم قيظ فألفاها وقد صبغت ثيابها من زعفران وصندل ونشرتها على الحبال لتجف فجلس هرون قريبا من الثياب المنشورة فصارت الريح تمر على الثياب فتحمل منها رائحة عطرة فوجد لذلك راحة من الحر واستطابه وأمر أن يصنع له مثل ذلك وقال ابن الشريشي في شرح المقامات وهذه المروحة شبه الشراع للسفينة تعلق بالسقف ويشدها حبل وتبل بالماء وترش بالماورد فاذا أراد الرجل في القائلة أن ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجيء فيهب على النائم منها نسيم بارد رطب انتهى كلامه ٭ رجع الى الجناس المقلوب ٭ فمنه قول بعضهم

حكاني بهار الروض حين ألفته ٭ وكل مشوق للبهار مصاحب

ينصرف الى الصرف كما ان له رأيه في القصر والحذف وأنشدناه حاضر الوقت من أشعار العرب فقال يجوز للعرب ما لا يجوز لك فلم يدر كيف يجيب عن هذا الموقف وهذه الموافقة وكيف يسلم من هذه المصارفة لكنا قلنا أخبرنا عن بيتك الاول أمدحت أم قدحت وزكيت أم جرحت ففيه شيئان متفاوتان ومعنيان متباينان منها انك بدأت تخاطبت ياسيدي والثانية انك عطفت فقلت تتقلق وهما لا يركضان في حلبة ولا يخطان في خطة ثم قلت له خذو زنا من الشعر حتى اسكت عليك فتستوفي من القرل حظك واسكت علينا حتى نستوفي حظنا ثم اني أحفظ عليك أنفاسك وأوافقك عليها واحفظ علي أنفاسي ووافقني عليها فان عجزت عن اختلافها حفظتها لك فسلني عنها بعد ذلك وأخذنا بيت أبي الطيب المتنبي

أهلا بدار سباك اغيدها ٭ أبعد ما بان عنك خردها

فقلت

يا نعمة لا تزال تجحدها ٭ ومنة لا تزال تكندها

فأخذ يخنق البيت قبل

فقلت له مابال لونك شاحبا * فقال لانى حين اقلب راهب

وما أحلى قول ابن العفيف مع زيادة التورية

أسكرنى باللفظ والمقلة الـكحلاء والوجنة والكاس
ساق يرينى قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس

وبديع هنا قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى الامير شجاع الدين بهرام

قيل كل القلوب من * رهب الحرب تضطرب
قلت هذا تحرّص * قلب بهرام مارهب

وبيت عبد الله بن رواحة غاية فى هذا النوع وقيل أمدح بيت قالته العرب فانه من جملة مديح النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله

تحمله الناقة الادماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى نوره الظلما

وما أحلى قول القائل وألفيتهم يستعرضون حوائجا * اليهم ولو كانت عليهم جوائحا

ومثله ان بين الضلوع منى نارا * تتلظى فكيف لى ان أطيقا
فبحقى عليك يامن سقانى * أرحيقا سقيتنى أم حريقا

ومن الغايات فى هذا الباب قول القائل

لبق أقبل فيه هيف * كل ما أملك ان غنى هبه

فهذا البيت كل كلمة منه بانعكاسها الى أختها تجانسها فى القلب وأعلى منه رتبة قول سيف الدين ابن المشد ليل أضاء هلاله * أنى يضىء بكوكب

وهذا البيت كل كلمة منه تقرأ مستوية ومقلوبة وهو مما لا يستحيل بالانعكاس كقول الحريرى ساكب كاس وهذا النوع يأتى الكلام عليه فى موضعه لان المراد هنا جناس القلب وللشيخ علاء الدين بن مقاتل الحموى أيضا زجل فى هذا النوع سارت به الركبان أنشده المصنف فى حماة بحضرة الملك المؤيد والشيخ صفى الدين والشيخ جمال الدين بن نباتة فوقع فى المجلس شئ اذا استوعبت الزجل كتابة علمته

قلبى يحب تياه * ليس يعشق الاإياه * فازمن وقف وحياه * يرصد على محياه
بدر السما لو يطلع * من رام وصالو يعطب
صغير يحير فى أمرو * غزال قهر بسمرو * ليث الهوى وغرو * فاعجب لاصغر عمرو
ريم ابن عشر وأربع * أردى الاسود وأرعب
اذ كرتها رتبعتو * وروحى كنت بعتو * وخيب مافيه طمعتو * فقال وقد سمعتو
ارجع ولا لى تتبع * أخشى عليك لا تتعب
كم قد امو وخلفو * مشيت مطيع لحلفو * ورمت لثم كفو * قال دع منالك وكفو
فان لثم أصبع * من الثريا أصعب
مازلت لونداري * حتى حصل فى دارى * ناديت ودمعى جارى * ايش كان يصيب ياجارى
لو كنت من فيك أشبع * قال ايش يكن لك أشعب
من حاز حسن خدو * لحظو لقتلى حدو * وورد خد وندو * مافى الرياض شئ ندو
روض الحيا مبرقع * عليه ساج معقرب
من فى الجمال فريدو * للصب من وريدو * يذبح وهو يزيدو * وكم ذا شيخ مريدو
خلاه دموعو يبلع * وهو بعقلو يلعب
كم خصم فى المقاتل * صابوا بن مقاتل * وكم ذا فى المحافل * قد أنشا لو محافل

تمامه ومضيق الشعر قبل نظامه فقال ماممعنى تسكندها فقلت ياهذا كند النعمة كفرها فرفع يديه ورأسه وقال معاذ الله أن يكون كند بمعنى جحد وانما الكنود القليل الخير فاقبلت الجماعة عليه يوسعونه زريا وفريا يتلون له قول الله تعالى ان الانسان لربه لكنود وقلت له أليس الشرط أملك والمهد بيننا ان تسكت وتسكت حتى تتم وتتم ثم نبحث ونفحص فنبذ الادب وراء ظهره وصار الى السخف يكيلنا بصاعه ومده وينفض فيه جهده وأفضى الى السفه يغرف علينا غرفا ويستقى من جرفه جرفا فقلت ياهذا ان الادب غير سوء الادب وللمناظرة حضرنا لا للمنافرة فان نفضت عن هذا السخف يدك وثنيت عن هذا السفه قصدك والا تركت مكالمتك ولو كان فى باب الاستخفاف شئ أعظم من الاحتقار وانكارا أبلغ من ترك الانكار لبلغته منك فاخذ يمضى على غلوائه ويمعن فى هرائه وهذائه فاستندت الى المسند ووضعت اليد على اليد وقلت أستغفر الله من مقالتك ونفضتها قائمة معه

من كل بيت مربع * ملحون بألف معرب

والشئ اللطيف الذى وقع فى المجلس المشار اليه ووعدت بذكره ذكروا ان الشيخ علاء الدين بن مقاتل لما وصل الى قوله ملحون بألف معرب صار الشيخ جمال الدين بن نباتة ينظر الى الشيخ علاء الدين بن مقاتل ويشير الى الشيخ صفى الدين الحلى ويقول ملحون بألف معرب والملك المؤيد يتبسم لذلك اه واذا نظر المتأمل الى بعض هذه الاحرف فى رسم كتابة الزجل لا ينتقد فان شرط رسمه ان يوضع كذا لاجل تحرير وزنه انتهى الكلام على الجناس اللفظى والمقلوب وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فيهما بكل قد نضير لا نظيرله * لا ينقضى أملى منه ولا ألمى

وبيت الشيخ عز الدين

لفظى حض على حظ بمانعه * مقلوب معنى ملا الاحشاء من ألم

وبيتى قد فاض دمعى وفاط القلب اذ سمعا * لفظى عذول ملا الاسماع بالالم

انتهى والله أعلم

(ذكر الجناس المعنوى)

*(أبا معاذ أخا الخنساء كنت لهم * يا معنوى فهدونى بجو رهم)*

أما الجناس المعنوى فانه ضربان تجنيس اضمار وتجنيس اشارة ومنهم من سمى تجنيس الاشارة تجنيس الكناية وكل منهما مطابق التسمية ولم ينظم الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته غير نوع الاضمار وهو أصعب مسلكا من جناس الاشارة ولا بد أن أنوع هذا الشرح بمحاسن النوعين فان المعنوى طرفة من طرف الادب عزيز الوجود جدا ولم يذكره الشيخ جلال الدين القزوينى فى التلخيص ولا فى الايضاح ولا ذكره ابن رشيق فى العمدة ولا زكى الدين بن أبى الاصبع فى التحرير ولا ابن منقذ فى كتابه والعميان ذكروه فى شرح بديعيتهم ولكن ما تيسر لهم نظمه وذكر الشهاب محمود فى كتابه المسمى بحسن التوسل فى صناعة الترسل منه نوع الاشارة لا نوع الاضمار ولكن ما نظمه ولم يذكر نوع الاضمار فى بديعيته غير الشيخ صفى الدين الحلى وقد تقدم القول أنه قال عن بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن وكان شيخنا قاضى القضاة علاء الدين بن القضامى رحمه الله يقول وهو امام هذا العلم ما أعلم لبيت أبى بكر بن عبدون فى اضمار الركنين ثانيا غير بيت الشيخ صفى الدين الحلى ولولم يفتح ابن عبدون هذا الباب فى بيته ما حصل للشيخ صفى الدين دخول الى نظم هذا النوع انتهى والكلام على البيتين يأتى بعد تعريف النوع والمعنوى المضمر هو أن يضمر الناظم ركنى التجنيس ويأتى فى الظاهر بما رادف المضمر للدلالة عليه فان تعذر المرادف أتى بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمر بالمعنى كقول أبى بكر بن عبدون المشار اليه وقد اصطبح بخمرة ترك بعضها الى الليل فصارت خلا

ألا فى سبيل اللهو كأس مدامة * أتتنا بطعم عهده غير ثابت

حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة * وأمست كجسم الشنفرى بعد ثابت

فبنت بسطام بن قيس كان اسمها الصهباء والشنفرى قال

اسقنيها يا سواد بن عمرو * ان جسمى من بعد خالى لخل

والخل هو الرقيق المهزول فظهر من كناية اللفظ الظاهر جناسان مضمران فى صهباء وصهباء وخل وخل وهما فى صدر البيت وعجزه ومن هنا أخذ الشيخ صفى الدين الحلى وقال

وكل لحظ أتى باسم ابن ذى يزن * فى فتكه بالمعنى أو أبى هرم

فابن ذى يزن اسمه سيف وأبو هرم اسمه سنان فظهر له جناسان مضمران من كنايات الالفاظ الظاهرة فظهر قول شيخنا قاضى القضاة علاء الدين ان هذا الباب ما فتحه للشيخ صفى الدين غير ابن

وسكت حتى عرف الناس وأيقن الجلاس انى أملك من نفسى مالا يملكه وأسلك من طريق الحلم مالا يسلكه ثم عطفت عليه وقلت يا أبا بكر ان الحاضرين قد عجبوا من حلمى أضعاف ما عجبوا من علمى وتعجبوا من عقلى أكثر مما تعجبوا من فضلى وبقى الآن ان يعلموا ان هذا السكوت ليس عن عى وأن تكلفى للسفه أشد استمرارا من طبعك وغربى فى السخف أمتن عودا من نبعك وسنقرع باب السخف معك ونفترع من ظهر السفه مفترعك فتكلم الآن فقال لى انا قد كسبت بهذا العقل دية أهل همذان مع قلته فما الذى أفدت أنت بعقلك مع غزارته فقلت أما قولك دية أهل همذان فما أولانى أن لا أجيب عنه لكن هذا الذى تتمدح به وتتبجح وتتشرف وتتصلف من انك شحذت فأخذت وسألت فحصلت واجتديت فاقتنيت فهذا عند ناصفة ذم يا عافاك الله ولأن يقال للرجل يا فاعل يا صانع أحب اليه من ان يقال يا شحاذ ويا مكدى وقد صدقت أنت فى هذه الحلبة اسبق وفى هذه الحرفة أعرف واعمرك انك اشحذ وانك فى الكدية أنفذ وأقرب

عبدون وكنت أود أن يكون شيخنا رحمه الله حيا ويرانى وقد عززتهما بثالث وهو

أبا معاذ أخا الخنساء كنت لهم * يا معنوى فهدونى بجور رهم

أبو معاذ اسمه جبل وأخو الخنساء اسمه صخر فظهر له من كنايات الالفاظ الظاهرة أيضا جناسان مضمران فى صدر البيت وهما جبل وجبل وصخر وصخر وبالنسبة الى الجبل فى الركن الواحد يحسن قولى فهدونى بجورهم وقد أظهرت محاسن هذا الجناس المضمر وكشفت عن جماله الباهر ستور الاشكال ليتمتع به صاحب الذوق السليم فان فحول المتأخرين وقفوا عن المجاراة فى حلبته ولم يتعلق أحد منهم الا بأذيال الضرب الثانى وهو جناس الاشارة ويأتى الكلام عليه * ومن غريب ما يحكى أن الشيخ صلاح الدين الصفدى قال فى شرح لامية العجم وفى كتابه المسمى بجنان الجناس لما اعترضه الجناس المعنوى قال هذا النوع عندى باطل ولم يتيسر له منه نظم بيت واحد مع كثرة تهافته على الجناس وأنواعه والذى ظهر لى انه عجز عن نظمه فانه قال فى غضون ذلك وقد استخرجت من شعر أبى الطيب المتنبى من الجناس المعنوى قوله

حاولن تقربى وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا

وهذا دليل على انه لم يفهمه انتهى الكلام على الجناس المعنوى الذى يضمر فيه الركنان وما أخرت بيت الشيخ عز الدين الموصلى ونثرت نظم الترتيب الذى تقدم الا لتنحيه عن نظم الجناس المعنوى المضمر الركنين وميله الى جناس الاشارة لسهولة مأخذه فلم يبق لبيته طاقة على المناظرة لتحوله عن النوع الذى عارض فيه الشيخ صفى الدين والظاهر انه قنع بقول القائل

اذا امتنعت أشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

والضرب الثانى من المعنوى وهو جناس الاشارة والكناية هو غير الاول وسبب ورود هذا النوع فى النظم أن الشاعر يقصد المجانسة فى بيته بين الركنين من الجناس فلا يوافقه الوزن على ابرازهما فيضمر الواحد ويعدل بقوته الى مرادف فيه كناية تدل على الركن المضمر فان لم يتفق له مرادف الركن المضمر يأتى بلفظة فيها كناية لطيفة تدل عليه وهذا لا يتفق فى الكلام المنثور والذى يدل عليه المرادف قول امرأة من عقيل وقد أراد قومها الرحيل عن بنى ثهلان وتوجه منهم جماعة يحضرون الابل وهو

فما مكثنا دام الجمال عليكما * بثهلان الا أن تشد الاباعر

وأرادت أن تجانس بين الجمال والجمال فلم يساعدها الوزن ولا القافية فعدلت الى مرادفة الجمال بالاباعر والذى يدل على مضمره اللفظة الظاهرة بالكناية اللطيفة قول دعبل فى امرأته سلمى

انى أحبك حبا لو تضمنه * سلمى سميك ذاك الشاهق الراسى

فالكناية اللطيفة فى سميك لانها أشعرت ان الركن المضمر فى سلمى يظهر منه جناس الاشارة بين الركن الظاهر والمضمر فى سلمى وسلمى الذى هو الجبل ومثله قول الآخر

وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد تلك الخدود

فكنى عن العقارب بمقلوب البراقع ولا شك ان بين اللفظ المصرح به والمكنى عنه تجانسا ومثله قول الآخر يهجو مغنيا ثقيلا

قال غنيت ثقيلا * قلت قد غنيت نفسك

ومن الكنايات بالمرادف قول شرف الدين بن الحلاوى وهو غاية فى هذا النوع

وبدت نظائر ثغره فى قرطه * فتشابها متخالفين فأشكلا
فرأيت تحت البدر سالفة الطلا * ورأيت فوق الدر مسكرة الطلا

أراد أن يجانس بين سالفة الطلا وسلافة الطلا فلم يساعده الوزن فعدل بقوته الى المسكرة وهى مرادفة السلافة وقد تقدم ان الشيخ عز الدين الموصلى لم ينظم من المعنوى الا هذا الضرب وهو

الذى

العهد بهذه الصنعة حديث الورد لهذه الشرعة مرمد اليد فى هذه الرقعة فأما مالك فعندنا يهودى يماثلك فى مذهبه ويزيد بذهبه ومع ذلك لا يطرف الا بعين الرهبة ولا يمد الى الايد الرغبة ولو كان حظ الاخطاء مثل هذا العقل ولو كان المال غنما لما أدرك بهذا السعى ولكن عرفنى هل كنت فيما سلف من زمانك ونبت من أسنانك الاهار باذمائك مضرجا بدمائك مرتهنا بقولك بين وجنة موشومه وجوارح مهشومه ودار مهدومه وخدود مطلومه ومتى صفت مشارعك أو أخصبت مرابعك الا فى هذه الايام القذرة وستعرف غدك من بعد وتنكر أمسك وتعلم قدرك فى غد وتعرف نفسك وما أضيع وقتا انطقته بذكرك ولسانا دنسته باسمك ومات الى القوال فقلت أسمعنا خيرا فدفع القوال وغنى أبياتا منها

وشبهنا بنفسج عارضيه
بقايا اللطم فى الخد الرقيق

فقال أبو بكر أحسن ما فى الامر انى احفظ هذه القصيدة وهو لا يعرفها فقلت يا عافاك الله أعرفها وان أنشدتكها سالك مسموعها ولم يسرك مصنوعها فقال أنشد فقلت أنشد ولكن

الذى أوجب تأخير بيته عن المناظرة وقد تقرر ان الشاعر يريد فى هذا النوع اظهار الركنين فلا يساعده الوزن فيعدل بحسن تصرفه الى مرادفه وأراد الشيخ عز الدين أن يمشى على هذا الطريق فحصل له فى الطريق عقلة فانه قال

وكافر يضمر الاحسان فى عذل • كظلمة الليل عن ذا المعنوى عمى

فالليل يسمى كافرا وهو الذى يستر الاشياء وكافر هنا بمعنى ساتر وهذا هو الركن الذى أضمره عز الدين ورادفه بالظلمة وكنى بها عنه فظهر منه اجناس الاشارة بين كافر وكافر غير ان الوزن ما عصى على عز الدين حتى عدل الى المرادف فلو أراد أن يبرز الركنين لكان الوزن داخلا تحت طاعته اذا قال

وكافر يضمر الاحسان فى عذل • ككافر الليل عن ذا المعنوى عمى

ولما وقف مولانا الشيخ شهاب الدين بن حجر على هذا النوع قال هذا عزيز الوجود وأنشدنى بعد أيام مولانا السلطان الملك المؤيد هذين البيتين وهما فى نوع المضمر المقدم ذكره غاية وهما

جمع الصفات الصالحات مليكنا • فغدا بنصر الحق منه مؤيدا

كأبى الامين برأيه وبجده • أنى توجه وابن يحيى فى الندى

ومن نظمى فى نوع الاشارة الغريبة قولى من جملة قصيد فى سكر حماة

وجناس ذاك السكر يحلو للورى • تحريفه ويروق فى تشرين

ففى صريح الجناس وتورية التحريف كنايتان لطيفتان يظهر منهما اجناس الاشارة محرفا بين السكر والسكر والمراد بقولى يروق فى تشرين ان عاصى حماة يروق فى هذا الفصل الى أن يرى قراره من أعالى شطوطه وهذه القصيدة كتبت بها من القاهرة المحروسة فى عام ثمان عشرة وثمانمائة الى مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى كاتب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية وقد حل ركابه الكريم بحماة المحروسة وقالت شطوطها أهلا بعيش أخضر يتجدد وروى عاصيها بعد نار شوقه الكامل عن المبرد وعادت الى عصر الشبيبة وقد شاهدت الملك المؤيد ومطلع القصيد

خلى التعلل فى حمى يبرين • فهوى حماة هو الذى يبرينى

وأطع ولا تذكر مع العاصى حمى • مافى وراء النهر ما يرضينى

انا سائل والنهر فيها لذلى • ومع افتقارى نظرة تغنينى

والنبت يضبطها بشكل معرب • لما يزيد الطير فى التلحين

والغصن يحكى النون فى ميلانه • وخياله فى الماء كالتنوين

والله ما انا آيس من قربها • بالله صدقنى وخذ بيمينى

فالطرف قد أبقى بقايا أدمع • وهناك أجريها برجع انينى

فاحذر ملامى عند فيض مدامعى • فالدمع دمعى والعيون عيونى

قالوا تسلى عن ثمار شطوطها • فاجبت لا والتين والزيتون

يالائمين على شريعتها الحكم • فى ذاك دينكم ولى أنا دينى

فلمنا سلى الاعراف من ريحانها • قصص أتت بتناسخ اليشنين

و بشط شرعا يالنا كم شرعت • أعوادها وتثقفت باللين

لكن اذا اشتبكت رأيت الظل قد • ألقته مضطربا شبيه طعين

وخيال ضوء الشمس فى تدويره • يحكى فم الطعنات فى التكوين

وعيونها كم قال هدب نباتها • ما للنباتى مثل شرح عيونى

تلك المعالم والمعاهد بغيتى • بحماة لا الجيران من جيرون

روايتى تخالف هذه الرواية وأنشدت

وشبهنا بنفسج عارضيه
بقايا الوشم فى الوجه الصفيق

فانته السكتة واضجرته النكتة وانطفأت تلك الوقدة وانحلت تلك العقدة واطرق مليا وقال والله لاضربنك وان ضربت ولاشتمنك وان شتمت ولتعلمن نبأه بعد حين ولتعلمن اينا الضارب واينا المضروب وقلت يا أبا بكر مهلا فانك بين ثلاثة فصول لم تخطها من عمرك وثلاثة أحوال لم تعدها فى أمرك وأنت فى جميع الثلاثة ظالم فى وعيدك متعد فى تهديدك لانك كهل وأنت شاعر وكنت شابا وأنت مقامر وكنت صبيا وأنت مؤاجر فنطاق القدرة فى الفصول الثلاثة ضيق عن هذا الوعيد الكا نصفعك الآن وتضربنا فيما بعد فقد قبل اليوم قصف وغدا خسف وقبل اليوم خمر وغدا أمر فقال أبو بكر والله لو دخلت الجنة واتخذت السندس والاستبرق جنة لصفعت فقلت والله لو ان قفالك غدا فى درج فى خرج فى برج لاخذك من النعال ما قدم وما حدث وشملك من الصفع ما طاب وخبث وانشدت قول ابن الرومى

كم قال دمع الصب ليتهم على • تلك الرسوم بفضلهم يجروني
يا نازلين حمى حماة نعمتم • فيها صباحا نوره يهديني
قد كنت أنساها برؤيتكم وقد • صرتم بها فالصبر غير معيني
غبتم وهذا محضري لي شاهد • بالعسر من صبري وبالمضمون
وحللتم دار السعادة بالحمى • فبحقكم بالبعد لا تشقوني
ذنبي عظيم لانقطاعي عنكم • فلأجله في مصر لا تبقوني
وتكونت نار اشتياقي في الحشا • لفساد تكويني فدع تكويني
وعجزت ضعفا عن وفادين اللقا • فترفقوا بفؤادي المرهون
فعسى بزول ظلام بعدي عنكم • وأرى ضياء القرب من شمسين
ولرقة فيكم أظن بأنكم • حنيتم طربا لرجع حنيني
هذي غراميات صب ماله • أرب بتورية ولا تضمين
لكن اذا ذكروا بديع مدائح • في البارزي فكل فوق دوني
ما القصد فخري انما أنا عبده • فالشك أدفعه بحسن يقيني
الغصن أسقيه وغصن براعه • يسقي الورى لكن أنا يشقيني
فالطرس وهو مطوق بيمينه • ينسي السواجع معرب التلحين
هو كامل في فضله وعلومه • والله أعطاه كمال الدين
حسنت لياليه وأيام له • فهدى الزمان بطرة وجبين
يا صاحب البيت الذي عن وصفه • قد أعجزت شعراء هذا الحين
ان جاء نظمي قاصرا عن وصفه • عذرا فهذي نشطة الخمسين
ونعم كبرت وبان عجزي انما • كانت مسرات اللقا تصبيني
وجنيتموني عن حماة وغبتموا • عني فهذا من فنون جنوني
وقعدت عن ديوان شيخ شيوخنا • في مصر جار عويس والمتيني
برهان شوقي قد أتت دليله • بسنا نجوم مع ضياء الدين
لا زلتم بكمالكم في نعمة • مقرونة بالنصر والتمكين

انتهى

(ذكر الاستطراد)

(واستطرد واخيل صبري عنهم فكبت • وقد مرت كليا ليناو صلهم)

الاستطراد في اللغة مصدر استطرد الفارس من قرنه في الحرب وذلك ان يفر من بين يديه يوهمه الانهزام ثم يعطف عليه على غرة منه وهو ضرب من المكيدة وفي الاصطلاح ان تكون في غرض من اعراض الشعر توهم أنك مستمر فيه ثم تخرج منه الى غيره لمناسبة بينهما ولا بد من التصريح باسم المستطرد به بشرط أن لا يكون قد تقدم له ذكر ثم ترجع الى الاول وتقطع الكلام *فيكون المستطرد به آخر كلامك وهذا هو الفرق بينه وبين المخلص فان الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول وقطع الكلام بعد المستطرد به والامران معدومان في المخلص فانه لا يرجع الى الاول ولا يقطع الكلام بل يستمر الى ما يخلص اليه وحد صاحب الايضاح الاستطراد بحد أتى فيه بالغرض بعد ما بالغ في الايجاز فانه قال الاستطراد هو الانتقال من معنى الى معنى آخر متصل به ثم يقصد بذكر الاول التوصل الى الثاني وفي قوله متصل به بل القصد وعدم الاحتياج الى الكلام الكثير وذكر الحاتمي في حلية المحاضرة أنه نقل هذه التسمية عن البحتري وذكر غيره ان البحتري نقلها عن أبي تمام وقال ابن المعتز الاستطراد هو الخروج من معنى الى معنى وفسره بان قال هو ان

ان كان شيخا سفيها
يفوق كل سفيه
فقد أصاب شبيها
له وفوق الشبيه
ثم لما أبت نفس العقل
وزال سكر الغيظ تمثلت
بقول القائل
وأنزلني طول النوى دار غربة
اذا شئت لاقيت امرأ لا أشاكله
أحامقه حتى يقال سجية ولو
كان ذا عقل لكنت أعاقله
ودفع القوال فبدأ بابيات
ولحن باصوات وجعل
النعاس يثني الرؤس ويمنع
الجلوس فقمنا عن الليل
وهو يجر مائل الذقن الى
ماوطأ من مضجع ومهد
من مهجع ولم يكن النوم
ملء الجفون ولا شغل
العيون حتى أقبل وفد
الصباح وجعل المؤذن
بالفلاح وندب الى النهوض
بالمفروض فاجبنا فلما قضينا
لفرض فارقنا الارض
فأوى الى أم مثواه وأويت
الى الحجرة ولي ان هذا
الفاضل يأكل يده ندما
ويبكي على ما جرى دمعا
ودما فانه اذا سمع بحديث
همزان قال الهاء هم والميم
موت والذال ذل والالف
آفة والنون ندامة وانه
اذا نام هاله مناصيف واذا

*قوله فيكون المستطرد الخ صوابه فلا يكون المستطرد كما يفهم من سابقه ولاحقه

يكون المتكلم فى معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط أو الاخبار أو غير ذلك الى معنى آخر يتضمن مدحا أو هجوا أو وصفا وغالب وقوعه فى الهجاء فمنه قوله تعالى فى كتابه العزيز الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود فذكر ثمود استطراد وقيل ان أول شاهد ورد فى هذا النوع وسار مسير الامثال قول السموأل وانا القوم لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

فانظر الى خروجه الداخل فى الافتخار الى الهجو وحسن عوده الى ما كان عليه من الافتخار بقوله

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

ومنه قول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فنجوت منجى الحرث بن هشام

ترك الاحبة أن يقاتل دونهم * فنجا برأس طمره ولجام

فانظر كيف خرج من الغزل الى هجو الحرث بن هشام والحرث هو أخو أبى جهل أسلم يوم الفتح وحسن اسلامه ومات يوم اليرموك بالشام ومنه قول البحترى من قصيدة فى وصف فرس

كالهيكل المبنى الا أنه * فى الحسن جاء كصورة فى هيكل

ملك العيون فان بدا أعطينه * نظر المحب الى الحبيب المقبل

ما ان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

ومنه قول أحمد بن يحيى البلاذرى يرثى أبا تمام

أمسى حبيب رهن قبر موحش * لم يدفع الاقدار عنه بكيد

لم يجنه لما تناهى عمره * أدب ولم يسلم بقوة أيد

قد كنت أرجو أن تنالك رحمة * لكن أخاف قرابة ابن حميد

ما أحسن ما خرج من الرثاء الى الهجو فى حميد بن قحطبة والقرابة التى بينه وبين ابن حميد انهما كانا طائيين ومنه قول الحسين بن على القمى

جاورت أجبالا كأن صخورها * وجنات نجم ذى الحياء البارد

والشوك يفعل فى ثيابى مثل ما * فعل الهجاء بعرض عبد الواحد

ومنه قول أبى محمد بن مكدم وهو غاية فى هذا الباب

وليل كوجه البرقعيدى ظلمة * وبرد أغانيه وطول قرونه

قطعت فنومى عن جفونى مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه

بذى أولق فيه اعوجاج كأنه * أبو جابر فى خبطه وجنونه

الى أن بدا ضوء الصباح كأنه * سنا وجه قرواش ونور جبينه

فانظر الى قوة الاستطراد من وصف حاله مع الليل الى هجاء الثلاثة ومدح قرواش * ومنه

اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه * فليس به باس وان كان من جرم

انظر ما أبلغ ما خرج من الوعظ الى الهجو المؤلم فى قبيلة جرم ومثله

وشادن بالدلال عاتبنى * واميتى من تدلل العاتب

فكان ردى عليه من خجل * أبرد من شعر خالد الكاتب

ومنه قول ابن المعتز ولقد شربت مدامة كرخية * مع ماجد طلق اليدين حميد

علت بماء بارد فكأنما * علت ببرد قصيدة ابن سعيد

ومثله قول بعضهم يصف خمرا طبخت حتى راقت وصفت

لم يبق منها وقود الطابخين لها * الا كما أبقت الانواء من دارى

انظر ما أحلى استطراده من وصف الخمر الى وصف داره بالخراب بألطف كناية والغريب فى هذا

انتبه راعه مناسيف وأخذ الناس يترامزون بما جرى ويتغامزون وراب هذا الفاضل غمزاتهم مثل ما راب المريض تغامز العواد فجعل يحلف للناس بالاحق وتحرير الرق والمكتوب فى الرق انه أخذ قصب السبق وانه ينطق عن الحق والناس أكايس لا يقنعهم عن المدعى يمين دون شاهدين وسعوا بيننا بالصلح يحكمون قواعده ويعاقده وعرفناه فضل السن فقصدناه معتذرين اليه فأوما اعاءة مهيضة واهتز اهتزازة مغيضة وأشار اشارة مريضة بكف سحبها على الهواء سحبا وبسطها فى الجو بسطا وعلمنا أن للمقمور ان يستخف ويستهين وللقامر ان يحتمل ويلين فقلنا ان بعد الكد رصفوا كما ان عقب المطر صحوا فهل لك فى خلق فى العشرة نستأنفها وطرق فى الخلطة نسلكها فان غرة الخلاف ماقد بلوتها فقال ظهر الوفاق انظا كما ذكرت والجيل أجل كما علمت وسنشترك هذا المنان وعرض علينا الاقامة عنده سحابة ذلك اليوم فاعتللنا بالصوم فلم يقبل العذر وألح فقلت أنت وذاك فطعمنا عنده وأخذنا دندان مزده

الباب الاستطراد من الهجو الى الهجو وهو كقول جرير يهجو أم الفرزدق

لها رص بأسفل اسكتيها * كعنفقة الفرزدق حين شابا

ومثله قوله وكأنى اقرا بحرف أبى عمرو على القوم سورة الانعام

محنة تصفع ابن عمرو بن يحيى * فى دماغ الاعشى بنعل القطامى

ولقد أردت ان استطرد هنا الى ذكر ماوقع لى وللمتأخرين من الاستطرادات الغريبة فلم أجد أبدع من بيت البديعية فاكتفيت عند قضاة الادب بحسن آدابه فانه أعدل شاهد فى هذا الباب وحبست عنان القلم عن الاستطراد فى وصفه علما ان فى انصاف علماء الادب اذا وقفوا عليه ما يغنى عن ذلك وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

كأن آناء ليلى فى تطاولها * تسويف كاذب آمالى بقربهم

الذى يظهر لى ان الشيخ صفى الدين عبر على الاستطراد ٢ بتقديم اداة التشبيه فى أول البيت وقد تقدم قول صاحب الايضاح أن يقصد بذكر الاول التوصل الى الثانى وماخرج أحد من الاستطراد بطريق التشبيه الا جعل اداة التشبيه مع المستطرد به فى آخر الكلام كقول السرى الرفاء

لنا روضة بالدار صيغ لزهرها * قلائد من حلى الندى وشنوف

يمر بنا فيها اذا ما تبسمت * نسيم كعقل الخالدى ضعيف

فاداة التشبيه جاءت هنا فى الآخر مع المستطرد به كما تقرر ولم يقدم الناظم فى أول البيت ما يتوصل به الى آخره اه ومثل هذا الايراد قول ابن جلنك الحلبى وهو أطرف ما رأيت فى هذا الباب حكى أنه كتب رقعة الى بعض الحكام وقيل الى قاضى القضاة كمال الدين بن الزملكانى يسأله فيها شيأ فوقع له بخبز وأستحيى أن أقول انه رطلان فتوجه ابن جلنك يوما الى بستان يرتاض فيه فقيل انه لقاضى القضاة المشار اليه فكتب على حائط البستان

لله بستان حللنا دوحه * فى جنة قد فتحت أبوابها

والبان تحسبها سنانيرا رأت * قاضى القضاة فنفشت أذنابها

فاستطراده من وصف البستان وتشبيه البان التشبيه المخترع الى هجو قاضى القضاة مرقص عند سماعه * وماشك أحد من أهل الادب أن التشبيه غريب فى اختراعه وقيل ان الشيخ بدر الدين بن مالك أملى عليهما كراسة فى البديع وأنا بالاشواق الى رؤيتها ٣ ومن استطرادات أبى عبد الله محمد بن حجاج البغدادى فى طريقه التى لم ينسج على منوالها غيره فان الشيخ جمال الدين بن نباتة قال فى خطبة كتابه المسمى بتلطيف المزاج فى شعر ابن حجاج فانى رأيت نتائج أفكار الشعراء ذرية بعضها من بعض وأمم أشعارهم تبعث جميعها فى صعيد واحد من الارض الا أشعار الاريب الفريد أبى عبد الله الحسين بن حجاج فانها أمة غريبة تبعث وحدها وذرية عجيبة تبلغ باتقان اللهو واللعب رشدها لم يحط خاطر احد بمثلها خبرا ولا استطاع على معارضة شهدها صبرا انتهى قول الشيخ جمال الدين واستطراده الموعود بذكره

قوله

تفديك أمى وأبى * وابنى وان كان صبى

يامن اليه حيثما * وجدته منقلبى

يامن مديح غيره * عندى عزيز المطلب

لحية من يشنالك فى * حال رضا أو غضب

من عين من يطلبها * بالليل فى استى تختبى

وأمه أم الشكو * ك فى استها والريب

ذات حر أوسع من * شارع باب اللعب

ونحرجنا والنية على الجميل موفورة وبقعة الود معمورة وصرنا لا نتعلل الا بعده ولا نتنقل الا بذكره ولا نعتد الا بوده لا بل ملأنا البلاد شكوا والاسماع نشرا وبتنا نحن من الحال فى أعذبها شرعة ومن الثقة فى أطيبها جرعة ومن الظنون فى أملجها فرعة ومن المودة فى أعزها بقعة واوسعها رقعة حتى طرأ علينا رسولان منحملان لمقالته مؤديان لرسالته ذاكران ان أبا بكر يقول قد تواترت الاخبار وتظاهرت الآثار انى ملك قهرت وانى قهرت ولا أشك ان ذاك التواتر عنك صدرت أوائله والخبر اذا تواتر به النقل قبله العقل ولا بد ان نجتمع فى مجلس بعض الرؤساء فنتناظر بمشهد

٢ قوله على الاستطراد كذا فى النسخ وصوابه الى الاستطراد وقوله بعد ذلك من الاستطراد كذا فى النسخ وصوابه الى الاستطراد

٣ قوله ومن استطرادات الخ كذا فى النسخ وهو خبر مقدم لم يذكر مبتدأه ولو قال ولنذكر بعض استطرادات الخ لسلم من هذا

وشعرة غليظة * ذات نبات أشيب

قد شاب منها بعضها * وبعضها لم يشب

نتفت منها طاقة * بشدة أو تعب

فاشككت انها * لحية بن الحاجبي

ومنها في الاستطرادات الغريبة لما بلغه ان المهذب يعشق ابن أخيه وينكر ذلك ويعقد الايمان عليه بسببه قوله

جارية مثل شمرا * ع المضرب المطنب

صعدت من عليها * بالليل فوق مرقب

حتى رأيت ابن أخي * بحضرة المهذب

ومثله قوله من قصيدة حتى متى أفديك ياستي * بندف قطن استه دقاسي

متى أرى سرمك منهدما * وخصيتي تنهز من تحتي

قالت بهذا الاير واستحقرت * وكان قد نام على بختي

قلت نعم هذا على مابه * قد ضرط البخت فما أنت

هذا اذا قام استوى طوله * بطول ساقيك اذا قمت

فلو رأيتيه على بعضه * مثل أبي منصور في الدست

خريت بالطول على عارضي * صاحب ديوان أو بلت

يا أيها الاستاذ يامن به * عمي كما أملته وقتي

خذ بيدي انني في محنة * زلقت فيها في خرا تحتي

وأما قول القاضي الفاضل في هذا الباب على طريقته الفاضلية فانه عجيب وهو

لي عندكم دين ولكن هل له * من طالب وفؤادي المرهون

فكأنني ألف ولام في الهوى * وكأن موعد وصلكم تنوين

ومثله قول مسلم بن الوليد

سريت بها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيى حين يذكر خالد

وغاية الغايات في هذا الباب قول عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة * ولو تسلت أسلناها على الاسل

لا ينزل المجد الا في منازلنا * كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

أنظر الى هذه البلاغة الهاشمية كيف جمعت بين حشمة الافتخار وتفخم الحماسة وبديع الافتنان وغريب الاستطراد ورقة الانسجام انتهى الكلام على بيت الشيخ صفي الدين الحلي وبيت العميان

قد أفصح الضب تصديقا بمقته * افصاح قس وسمع القوم لم يهم

وهذا البيت على طريق الشيخ صفي الدين الحلي فان ناظمه قصد بذكر الاول التوصل الى الثاني وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

يستطرد الشوق خيل الدمع سابقة * فيفضل الدهب فضل العرب للعجم

الذي أقوله ان الشيخ عز الدين رحمه الله أحرز قصبات السبق بما استطرده هنا على الشيخ صفي الدين وعلى العميان مع التزامه بتسمية النوع المورى به من جنس الغزل ومراعاة جانب الرقة ونظم الاستطراد على الشرط المذكور وبيت بديعيتي

واستطردوا خيل شوقي عنهم فكبت * وقصرت كليالينا بوصلهم

وهذا البيت غريب ولابد لاهل الادب من تأهيل غريبه انتهى

•(ذكر الاستعارة)•

الخاصة والعامة فانك متى لم تفعل ذلك لم آمن عليك تلامذتي أو تقتر بعجزك وقصورك عن بلوغ أمدي وما أبدي فعجبت كل العجب مما سمعت وأجبته فقلت أما قولك قد تواتر الخبر بانك قهرت وان ذلك عن جهتي صدر ومن لساني سمع فوالله ما أتمدح بقهرك ولا أتبجح بقصرك وان لتفضل عندك لشأنا ان ظننتني أقف هذا الموقف أنا ان شاء الله تعالى أبعد مرتقى همة ومصعد نفس أسأل الله سترا يمتد ووجها لا يرد فاما التواتر من الناس والتظاهر على اني قهرتك فلو قدرت على الناس لخطت أفواههم ولقبضت شفاههم فما الحيلة وهل الى ذلك سبيل فأتوسل أم ذريعة فأتوصل ثم هذا التواتر غرة ذلك التناظر مع ذلك التساتر فان كان قد ساءك فاحرى أن يسوءك عند مجتمع الناس ومحتفل أولي الفضل ولان يترك الامر محتملا فيه خير لك من أن يتفق عليه وان أحببت ان تطير هذا الواقع وتهيج هذا الساكن فرأيك موفقا فاما هذا الوعيد فقد عرضته على جوانحي

(ذكر الاستعارة)

(وكان غرس التمنى يانعا فذوى * بالاستعارة من نيران هجرهم)

الاستعارة عندهم أفضل من المجاز وهى أخص منه اذ قصد المبالغة شرط فى الاستعارة دون المجاز وموقعها فى الاذواق السليمة أبلغ وليس فى أنواع البديع أعجب منها اذا وقعت فى مواقعها وللناس فيها اختلاف كثير وأما أصحاب المعانى والبيان فانهم أطلقوا فيها أعنة أقلامهم وجالوا بها فى ميادين البحوث وليس الغرض هنا الا نفس الاستطراد الى ماوقع فيها من المحاسن نظما ونثرا بعد تقريبها الى الاذهان بحدود يزول بها الالتباس * حد الرمانى الاستعارة فقال هى تعليق العبارة على غير ماوضعت له فى أصل اللغة على سبيل النقل وذكر الخفاجى كلام الرمانى وقال تفسير هذه الجملة قوله عزوجل واشتعل الرأس شيبا استعارة لان الاشتعال للنار ولم يوضع فى أصل اللغة للشيب فلما نقل اليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه لان الشيب لما كان يأخذ من الرأس شيأ فشيأ حتى يحيله الى غير لونه الاول كان بمنزلة النار التى تسرى فى الخشب حتى تحيله الى غير حاله المتقدمة فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة فى الوضع للبيان ولابد أن تكون الاستعارة أبلغ من الحقيقة لاجل التشبيه العارض فيها لان الحقيقة لو قامت مقامها لكانت أولى بها ولا يخفى على أهل الذوق أن قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا أبلغ من كثر شيب الرأس وهو حقيقة ولابد للاستعارة من مستعار منه ومستعار ومستعار له فالنار مستعار منها والاشتعال مستعار والشيب مستعار له انتهى * ومنهم من قال هى ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه وهذا يؤيد قول ابن جنى ان لم تكن الاستعارة للمبالغة والا فهى حقيقة وكلام ابن جنى حسن فى موضعه فان الشئ اذا أعطى وصف نفسه لم تكن استعارة وقال ابن المعتز هى استعارة الكلمة لشئ لم يعرف بها من شئ عرف بها كقول النبى صلى الله عليه وسلم ضموا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء فاستعار صلى الله عليه وسلم الفحمة للعشاء لقصد حسن البيان ومنهم من قال هى استعارة الشئ المحسوس للشئ المعقول قال فخر الدين الرازى هى جعلك الشئ للشئ للمبالغة فى التشبيه وقال ابن أبى الاصبع فى تحرير التحبير هى نقل اسم الراجح الى المرجوح لطلب المبالغة فى التشبيه وحسن البيان فانك اذا قلت زيد اسد فقد نقلت اسم الاسد الى زيد لكن الاسد راجح فى الجراءة وزيد مرجوح وقد بالغت فى تشبيه زيد بالاسد وأحسنت البيان انتهى ولا تحسن الاستعارة الا اذا كان التشبيه مقررا وكلما زاد التشبيه خفاء زادت الاستعارة حسنا وما أحسن قول ذى الرمة هنا

أقامت بها حتى ذوى العود فى الثرى * وكف الثريا فى ملاءته الفجر

فاستعار للفجر ملاءة وأخرج لفظه مخرج التشبيه وكان أبو عمرو بن العلاء لا يرى أن لاحد مثل هذه الاستعارة وأحسن الاستعارات ماقرب منها دون مابعد واعظمها فى هذا الباب قوله تعالى والصبح اذا تنفس فان ظهور الانوار من المشرق من أشعة الشمس قليلا قليلا بينه وبين اخراج النفس مشابهة شديدة القرب ومن هذا النور استضاء الحريرى فى مقاماته بقوله الى أن عطس أنف الصباح وقد تقدم أن بعد الاستعارة يبعدها من القلوب عند أهل الذوق كقول أبى نواس مع يقظته

بح صوت المال مما * منك يشكو ويصيح

فاى شئ أبعد استعارة من صوت المال وكيف يصيح ويبح من الشكوى ومثله قول بشار

وجدت رقاب الوصل أسياف هجرنا * وقدت لرجل البين نعلين من خدى

قال ابن رشيق فى العمدة ما أقبح رجل البين واهجن استعارتها وكذلك رقاب الوصل ومثله قول ابن المعتز وهو من أنقد النقاد * كل يوم يبول زب السحاب * وأين هذا البعد من قرب استعارة ابن نباتة القديم فى قوله حتى اذا نهر الاباطح والثرى * نظرت اليه باعين النوار فنظر أعين النوار من أشبه الاستعارات وأليقها وأقربها لان النوار يشبه العيون اذا كان مقابلا

أجمع وجوارحى كلها فلم تنشد الابيت القائل وعيد تخرج الآرام منه وتكره نية الغنم الذئاب فكم تشكو كبد تلامذتك ويتعسكرون ويتجيش أصحابك ويتحرفون واست أراك الا بين ثنتين احداهما (تروح الى أنثى وتغدو الى طفل) والاخرى تجيب دعوة المضطر اذا دعاك بملفات فان كان الله قضى أن القتل بأخس السلاح فلا مفر من القدر المتاح رزقنا الله عقلا به نعيش ونعوذ بالله من رأى بنا يطيش وقلنا من بعد ان رسالتك هذه وردت مورد المحتسبه ووصلت موقفا لم ترتقبه فلذلك خرج الجواب عن البصل يوما وعن البخل لوما فلما ورد الجواب عليه وسع من الغيظ فوق ملئه وحمل من الحقد فوق عبئه وقال قد بلغ السيل الزبا وعلت الوهاد الربا فى أمرك وسترى فى يومك وتعرف فى قومك ثم مضت على ذلك أيام ونحن منتظرون لفاضل ينشط لهذا الفصل وينظر بيننا بالعدل فاتفقت الآراء على أن يعقد هذا المجلس فى دار الشيخ أبى القاسم الوزير

لمن يمر به كأنه ناظر اليه ويعجبنى هذا قول القائل ولم يلحق فيما قاله

مجرة جدول وسماء آس • وانجم نرجس وشموس ورد
ورعد مثالث وسحاب كاس • وبرق مدامة وضباب ند

ومن الغايات فى هذا الباب قول مجير الدين ابن تميم

وليلة بت أسقى فى غياهبها • راحا تسل شبابى من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى • غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

والذى اتفق عليه علماء البديع ان الاستعارة المرشحة هى المقدمة فى هذا الباب وليس فوق رتبتها فى البديع رتبة وأعلاها وأغلاها قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فان الاستعارة الاولى وهى لفظ الشراء رشحت الثانية وهى لفظ الربح والتجارة ومن الاستعارات المرشحة قول الامام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه الدنيا من أمسى فيها على جناح امن أصبح فيها على قوادم خوف فان الاستعارة الاولى التى هى لفظ الجناح رشحت الثانية وهو لفظ القوادم مع زيادة المطابقة بين الامن والخوف والصباح والمساء وناهيك بالبلاغة الهاشمية وباب المدينة وما أحلى قول بعض العرب فيها جعلنا رماحنا أرشية الموت فاستقينا بها أرواح العدا ومثله قول الشاعر سلامة بن نجاح • بجدحث الراح

اذا تغنى زمرنا • عليه بالاقداح

ومثله لابن سكرة وشتان بين قوله هنا وبين قوله فى الكافات

قيل ما أعددت للبرد • دفقد جاء بشده
قلت دراعة عرى • تحتها جبة رعده

والذى بنشأ هنا قول القائل

والشمس لاتشرب خمر الندى • فى الروض الا بكؤس الشقيق

ومثله قول ابن رشيق رحمه الله

يا كرالى اللذات واركب لها • سوابق اللهو وذوات المراح
من قبل ان ترشف شمس الضحى • ريق الغوادى من ثغور الاقاح

وما ألطف قول أبى زكريا المغربى وقد ترجمه ذو الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب فى تاريخه المسمى بالاحاطة فى تاريخ غرناطة وهو

نام طفل النبت فى حجر النعامى • لاهتزاز الطل فى مهد الخزامى
كحل الفجر لهم جفن الدجى • وغدا فى وجنة الصبح لثاما
• تحسب البدر محيا ثملا • قد سقته راحة الصبح مداما

ويعجبنى هنا قول ابن قلاقس

وفى طى ابراد النسيم خميلة • باعطافها نور المنى يتفتح
تضاحك فى سر المعاطف عارضا • مدامعه فى وجنة الروض تسفح
وتورى به كف الصبا زند بارق • شرارته فى فحمة الليل تقدح

وقال أبو الحسن على بن ظافر العسقلانى فى كتابه المسمى ببدائع البداية اجتمعت أنا والقاضى الاعز يوما فى روضة فقلت له اجز • طار نسيم الروض من وكر الزهر • فقال • وجاء مبلول الجناح بالمطر • وما أبدع قول ابن خفاجة فى هذا الباب

وقد نظرت شمس الاصيل الى الربا • باضعف من طرف المريب وافترا
وصفرة مسواك الاصيل تروقنى • على لعس من مسقط الشمس اسمرا

واسند عيث فسرحت الطرف من ذلك السيد فى عالم أفرغ فى عالم وملاك فى درع ملاك ورجل نظم الى التنزل تبذلا والى الترفع تواضعا ونطق فودت الاعضاء لوانها اسماع مصغيه واستمع فتمنت الجوارح لو أنها السن ناطقه فقلت الحمد لله أن عقد هذا المجلس فى دار من يفرق بين من يحق ومن يرزق وكنت أول من حضر وانتظرت مليا حضور من ينظر وقدوم من يناظر وطلع الامام أبو الطيب وأخذ من المجلس موضعه والامام أبو الطيب بنفسه أمة ووحده عالم ثم حضر السيد أبو الحسين وهو ابن الرسالة والامامة وعامر أرض الوحى والمجتبى بفناء النبوة والضارب فى الادب بعرقه وفى المنطق بحذقه وفى الانصاف بحسن خلقه فجشم الى المجلس قدم سبقه وجعل يضرب عن هذا الفاضل بسيفين لامر كان قدموه عليه وحديث كان شبه لديه وفطنت لذلك فقلت أيها السيد أنا اذا سار غيرى فى التشيع برحلين طرت بجناحين واذا مت سواى فى موالاة أهل

ومن تلطف فى استعمال الاستعارة المرشحة الى الغاية مجد الدين الاربلى بقوله

اصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنكم بغير ملال
لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

وممن جاراه فى هذه الحلبة أبو الوليد بن حيان الشاطبى بقوله

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحى * بعد ماسال يجفف

وظريف قول مجير الدين بن تميم منها

كيف السبيل لان أقبل خد من * أهوى وقد نامت عيون الحرس
وأصابع المنثور تومى نحونا * حسدا وتغمزها عيون النرجس

ومثله قوله

لما ادعى المنثور أن الوردلا * يؤنى وأن يصلى بنار سعير
ودت ثغور الاقحوان لوانها * كانت تعض أصابع المنثور

ومثله قوله

كيف السبيل للثم من أحببته * فى روضة للزهر فيها معرك
مابين منثور وأقام ونرجس * مع اقحوان فضله لايدرك
هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنوا الى وثغر هذا يضحك

وما احلى قول محيى الدين بن قرناص الحموى

قد أتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندا بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الاغصان

وقال البدر الذهبى واجاد

هلم ياصاح الى روضة * يجلو بها العانى صدا همه
نسيمها يعثر فى ذيله * وزهرها يضحك فى كمه

ومثله قول ابن عمار

يا ليلة بتنا بها * فى ظل اكناف النعيم
من فوق اكمام الريا * ض وتحت اذيال النسيم

وأما مطلع قصيد ابن النبيه فى هذا الباب فانها هى من مطالع الاقمار ودياجة الاستعارة من حليه تستعار وهو

تبسم ثغر الزهر عن شنب القطر * ودب عذار الظل فى وجنة النهر

وهذا المعنى مولد من قول ابن خفاجة الاندلسى

* وطرة ظل فوق وجه غدير * ولكن ابتسام ثغر الزهر عن شنب القطر فى قول ابن النبيه غاية وتلطف الشريف العقيلى فى هذا الباب بقوله

وروضة الجام فيها * من زهرة الراح ورد
فاشرب على وجه روض * له من الماء خد

وما أحلى قول القاضى السعيد بن سنا الملك هنا

ولبعدهم طالت ذوائب ليلهم * فيها تغطى ضوء وجه نهارهم

وأحلى منه قوله

سرى طيفه لابل سرى لى سرابه * وقد طار من وكر الظلام غرابه
أتت مع نقس الليل صفحة خده * فقلت حبيب قد أتانى كتابه

وقال من غيرها

بشوك القنا يحمون شهد رضابها

وما أحلى تكميله بقوله

* ولا بد دون الشهد من ابر النحل *

ومثله قوله

ألقى حبائل صيد من ذوائبه * فصاد قلبى بأشراك من الشعر

البيت بلمعة ذاته توسلت بغرة لامحة فان كنت أبلغت غير الواجب فلا يحملنك على ترك الواجب ثم ان لى فى آل الرسول صلى الله عليه وسلم قصائد قد نظمت حاشيتى البر والبحر وركبت الافواه ووردت المياه وسارت فى البلاد ولم تسر بزاد وطارت فى الآفاق ولم تسر على ساق ولكنى أتسوق بها لديكم ولا أتنفق بها عليكم وللآخرة قلتها لا للمعاصرة وللدين أدخرتها لا للدنيا فقال أنشدنى بعضها فقلت

يالمة ضرب الزما
ن على معرسها خيامه
لله درك من خزا
مى روضه عادت ثغامه
لرزية قامت بها
للدين اشراط القيامه
لمضرج بدم النبو
ة ضارب بيد الامامه
متقسم بظبا السيو
ف مجرع منها حمامه
منع الورود وماؤه
منه على طرف الثمامه
نصب ابن هند رأسه
فوق الورى نصب العلامه
ومقبل كان النبى
بلثمه يشفى غرامه
قرع ابن هند بالقضيب
غذابه فرط استضامه
وشدا بنغمته عليه
وصب بالفضلات جامه

وأحلى منه قوله　خصر ادير عليه معصم قبلة * فكأن تقبيلي له تعنيق

وغاية الغايات قوله　بعثت لي على فم الطيف قبله * فأتاني بعض المسرة جمله

ومن الاستعارات الحسنة في هذا الباب قول شمس الدين بن العفيف في مديح النبي صلى الله عليه وسلم　حياك يا تربة الهادي الرسول حيا * بمنطق الرعد باد من فم السحب

وظريف هنا قول ابن قلاقس

هدتنا للسرور نجوم راح * بها قذفت شياطين الهموم
وكف الصبح تلقط ما تبدى * بجيد الليل من درر النجوم

ومن اللطائف في هذا الباب قول أبي الحسن العقيلي

لنا أخ يحسن ان يحسنا * رضاه للعانين عذب الجنى
قد عرفت روضة معروفه * بانها تنبت زهر الغنى
اذا تبدى وجه احسانه * تنزهت فيه عيون المنى

ويعجبني في الاستعارة المرشحة قول ابن سعيد الموصلي من قصيدة يتشوق فيها الى دمشق المحروسة فانه أتى فيها في بيت واحد باستعارات كثيرة مع اجتناب الحشو ومطلع القصيدة قوله

سقى دمشق وأياما مضت فيها * مواطر السحب ساريها وغاديها

وبيت الاستعارة بعده　ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن في أحشا أراضيها

ومن أغرب الاستعارات وأبدعها وأحشمها قول ابن زيدون من قصيدته النونية المشهورة

سران في خاطر الظلماء يكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

وقد عن لي أن أنثر في حدائق الاستعارة نبذة من زهر المنثور وأورد منه ما زهر بوروده على روضات الزهور كقول القائل وطفقنا نتعاطى شموسا من أكف بدور وجسوم نار في غلائل نور الى ان ذاب ذهب الاصيل على لجين الماء وشبت نار الشفق في فحمة الظلماء ومثله قول علي بن ظافر الحداد في دوحا نعطفت قدود أشجاره وابتسمت ثغور ازهاره وذر كافور مائه على عنبر طينه وامتدت بكاسات الجلنار أنامل غصونه وقال آخر وأجاد وقد عرق بالندا جبين النسيم وابتل جناح الهواء وضربت خيمة الغمام واغرورقت مقلة السماء وقام خطيب الرعد فنبض عرق البرق ولقد حاز القاضي الفاضل قصبات السبق في هذا الميدان بقوله كتبها المملوك وقد عمشت مقلة السراج وشابت لمة الدواة وخرس لسان القلم وكل خاطر السكين وضاق صدر الورق وما أحلى قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر والاغصان قد اخضر نبات عارضها ودنانير الازهار ودراهمها قد تهيأت لتسليم قابضها وقال جمال الدين بن نباتة كتبها المملوك ودمع الغيث قد رقا ووجه الارض قد راق وقدود الاغصان قد راسات أهواء القلوب بالاوراق وقيان حمائمها قد ترنمت وجذبت القلوب بالاطواق والورد قد احمر خده الوسيم وفككت أزراره من أجياد القضب أنامل النسيم وخرجت أكفه من أكمامه لاخذ البيعة على الازهار بالتقديم ومما كتبته في البشارة الصادرة عن الملك المؤيد عند عوده من البلاد الرومية وحلول ركابه الشريف بحلب المحروسة المتضمنة ما من الله به من الفتح الذي صار له في الروم قصص سنة عشرين وثمانمائة فمن ذلك قولي عند حصار قلعة طرسوس وفتحها ورأوا ألسن السهام في أفواه تلك المرامي فقالوا أينا المصائب ناطقة وما رموا على سماء برج غيوم ستائر الا لمعت فيها من بوارق نقوطها بارقة وحكم عليهم القضاء بالاعتقال ولم يأتوا عند ذلك الحكم بدافع هذا بعد ما صفق مقبلهم جماد وجهه فبصقت فيه أفواه المدافع وقولي في الاستعارة المرشحة أيضا عند حصار قلعة درندة وفتحها وقررناه صدع سورها باختلاف الآلات فلباما قررناه نقشا على حجر وادعت ان صخرها أصم فاسمعناه من آذان المرامي تنقير المدافع

والدين أبلج ساطع
والعدل ذو خال وشامه
ياويح من ولى الكتا
ب قفاه والدنيا امامه
ليضرسن يد الندا
مة حين لا تغني الندامه
وليدركن على الغرا
مة سوء عاقبة الغرامه
وحمى اباح بنو أمية
عن طوائلهم حرامه
حتى اشتفوا من يوم بد
ر واستبدوا بالزعامه
لعنوا أمير المؤمنين
بمثل اعلان الاقامه
لم لا تخري يا سما
ء ولم تصبي يا غمامه
لم لا تزولي يا جبا
ل ولم تشولي يا نعامه
باللعنة صارت على
اعناقهم طوق الحمامه
ان العمامة لم تكن
للئيم ما تحت الغمامه
من سبط هند وابنها
دون البتول ولا كرامه
يا عين جودي للبقيع
فذري بدمع رغامه
جودي بمذخور الدمو
ع وراسلي بدرا نظامه
جودي بمشهد كربلا
فوفري مني ذمامه
جودي بمكنون الدمو
ع أجد بما جاد ابن مامه
فلما أنشدت ما أنشدت
وسردت ما سردت وكشف
له الحال فيما اعتقدت

وتحريك الوتر وقرع ناس جبلها بنابات المدافع وكسر نامنه السنية وأمست حلوق مراميها كالخواتم فى أصابع سهامنا المستوية ومثله قولى عند حصار قلعة تكتار وفتحها على لسان حال القلعة فى سموها وافراط علوها فانا الهيكل الذى ذاب قلب الاصيل على تذهيبه وود دينار الشمس ان يكون من تعاويذه والشجرة التى لولا سموفرعها تفككهت به حبات الثريا وانتظمت فى سلك عناقيده وتشامخ هذا الحصن ورفع أنف جبله وتشامم فارمد ناعيون مراميه بدم القوم وأميال سهامنا على تكحيلها تتزاحم وغاية الغايات فى هذا الباب قولى عند حصار قلعة كركر وتنكرت اكراد كركر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسى وألفات السهام وعطست أنوف مراميها بأصوات مدافعنا وكان بها زكام ومن حسن ختامها ولم نخرج عما نحن فيه من بديع الاستعارة وغريبها قولى فلا بكر قلعة الا افتضينا بكارتها بالفتح وابتذلنا من ستائرها الحجاب ولا كاس برج أترعوه بالتحصين الا توجنا رأسه من حبات مدافعنا بالحباب انتهى ولم أحبس عنان القلم عن الاستطراد الى ما وقع لى من محاسن الاستعارة نظما الا للتخفيف عن بيت البديعية وقلت تكفيه المزاحمة فى مناظرة الشيخ صفى الدين الحلى ومبارزة الشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله وحمل ثقل العميان فبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله فى بديعيته وهو الشاهد على نوع الاستعارة

ان لم أحث مطايا العزم مثقلة * من القوافى تؤم المجد عن أمم

وبيت العميان يقول صحبى وسفن العيس خائضة * بحر السراب وعين القيظ لم تنم

بيت الشيخ صفى الدين وبيت العميان لم يحسن السكوت عليهما ولا تتم الفائدة بهما فان بيت الشيخ صفى الدين متعلق بما قبله وبيت العميان متعلق بما بعده وبيت الشيخ عز الدين صالح للتجريد وهو

دع المعاصى فشيب الرأس مشتعل * بالاستعارة من أزواجها العقم

أقول ولو بلغت ما عسى ان يكون ان فى قوله من أزواجها العقم ما رعب السامع وبيت بديعيتى

وكان غرس التمنى يانعا فذوى * بالاستعارة من نيران هجرهم

وقد تقدم ان المقدم عند علماء البديع الاستعارة المرشحة فلفظة غرس رشحت بيانع وأما قولى بالاستعارة من نيران هجرهم بعد ذوى فما أعده الا من المنح الالهامية فان اسم النوع الذى هو الاستعارة جمع بين التورية والاستعارة والترشيح مع عدم الحشو وصحة التركيب والمشى على جادة الرقة والالتزام بتسمية النوع مورى به من جنس الغزل انتهى

(ذكر الاستخدام)

(واستخدموا العين منى وهى جارية * وقد سمحت بها أيام عسرهم)

الاستخدام هو استفعال من الخدمة وأما فى الاصطلاح فقد اختلفت العبارات فى ذلك على طريقين الاولى طريقة صاحب الايضاح ومن تبعه ومشى عليها كثير من الناس وهى ان الاستخدام اطلاق لفظ مشترك بين معنيين فتريد بذلك اللفظ أحد المعنيين ثم تعيد عليه ضميرا تريد به المعنى الآخر أو تعيد عليه ان شئت ضميرين تريد باحدهما أحد المعنيين وبالآخر المعنى الآخر وعلى هذه الطريقة مشى أصحاب البديعيات والشيخ صفى الدين الحلى والعميان والشيخ عز الدين وهلم جرا الثانية طريقة الشيخ بدر الدين بن مالك رحمه الله تعالى فى المصباح وهى ان الاستخدام اطلاق لفظ مشترك بين معنيين ثم يأتى بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن الآخر المعنى الآخر ثم ان اللفظين قد يكونان متأخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين وقد يكون اللفظ المشترك متوسطا بينهما والطريقتان راجعتان الى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين وهذا هو الفرق بين التورية والاستخدام فان المراد من التورية هو أحد المعنيين وفى الاستخدام كل من المعنيين مراد ونقل الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية

(ذكر الاستخدام)

انحلت له العقدة وصار سلما يوسعنا حلما وحضر بعد ذلك الشيخ أبو عمر البسطامى وناهيك من حاكم يفصل وناظر بعدل يسمع فيفهم ويقول فيعلم ثم حضر بعد ذلك القاضى أبو نصر والادب أدنى فضائله وأيسر فواضله والعدل شمة من شيمه والصدق مقتضى هممه وحضر بعد الشيخ أبو سعيد محمد ابن أرمد أيده الله وهو الرجل الذى يحميه لالاؤه ولو ذعيته من ان يدال عن أو من الرجل وهو الفاضل الذى يحطب فى حبل الكتابة مشاء ويركض فى حلبة العلم ما أراد وحضر بعده أبو القاسم بن حبيب وله فى الادب عينه وفراره وفى العلم شعلته وناره وحضر بعده الفقيه أبو الهيثم ورائد الفضل يقدمه وقائد العقل يخدمه وحضر بعده الشيخ أبو نصر بن المرزبان والفضل منه بدا واليه يعود وحضر بعده أصحاب الامام أبى الطيب الاستاذ

* وما منهم الا أغر نجيب *

وحضر بعدهم أصحاب الاستاذ الفاضل أبى الحسن الماسرجسى وكل اذا عد الرجال مقدم

والاستخدام ما يؤكد هذا فانه قال المشترك اذا لزم استعماله فى مفهوميه معا فهو الاستخدام وان لزم فى أحد مفهوميه فى الظاهر مع لمح الآخر فى الباطن فهو التورية ومنهم من قال الاستخدام عبارة عن أن يأتى المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا متوسطة بين قرينتين تستخدم كل قرينة منهما معنى من معنى تلك اللفظة المشتركة وهذا مذهب ابن مالك وعلى كل تقدير فالطريقتان راجعتان الى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين بضمير وغير ضمير وأعظم الشواهد على طريقة ابن مالك ومن تبعه قوله تعالى لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت فان لفظة كتاب يحتمل ان يراد بها الاجل المحتوم والكتاب المكتوب وقد توسطت بين لفظتى أجل ويمحو فاستخدمت أحد مفهوميها وهو الامد بقرينة ذكر الاجل واستخدمت المفهوم الآخر وهو الكتاب المكتوب بقرينة يمحو ومنه قوله من القصيدة النباتية

حويت ريقا نباتيا حلا فغدا * ينظم الدر عقدا من ثناياك

فان لفظة نباتى يحتمل الاشتراك بالنسبة الى السكر والى ابن نباتة الشاعر وقد توسطت بين الريق وحلاوته وبين الدر والنظم والعقد فاستخدمت أحد مفهوميها وهو السكر النباتى بذكر الريق والحلاوة واستخدمت المفهوم الآخر وهو قول الشاعر النباتى بذكر النظم والدر والعقد وليس فى جانب من المفهومين اشكال وأما شاهد الضمائر على طريق صاحب الايضاح فجميع كتب المؤلفين لم يستشهدوا فيها على عود الضمير الواحد الا بقول القائل

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

فلفظة السماء يراد بها المطر وهو أحد المعنيين والضمير فى رعيناه يراد به المعنى الآخر وهو النبات وأما شاهد الضميرين فانهم لم يخرجوا به عن قول البحترى وهو

فسقى الغضى والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانحى وضلوعى

فان لفظة الغضى محتملة الموضع والشجر والسقيا صالحة لكل منهما فلما قال والساكنيه استعمل أحد معنى اللفظة وهو الموضع بدلالة القرينة عليه ولما قال شبوه استعمل المعنى الآخر وهو الشجر بدلالة القرينة عليه انتهى والشيخ صفى الدين رحمه الله لم يستطرد فى شرح بديعيته الى غاية ذلك ولكن رأيته فى شرحه قد أورد على بيت البحترى نقدا حسنا ليس فيه تحمل ولا اشكال فانه قال شرط علماء البديع ان يكون اشتراك لفظة الاستخدام اشتراكا أصليا والنظر هنا فى اشتراك لفظة الغضى فانه ليس بأصلى لان أحد المعنيين منقول من الآخر والغضى فى الحقيقة الشجر وسموا الوادى غضى لكثرة نبته فيه وقالوا جمر الغضى لقوة ناره فكل منقول من أصل واحد ولم يرد فى كتب المؤلفين غير هذين البيتين وقول أبى العلاء

قصد الدهر من أبى حمزة الاواب مولى حجى وخدن اقتصاد

وفقيها أفكاره شدن للنعمان مالم يشده شعر زياد

فالنعمان يحتمل هنا أبا حنيفة رضى الله عنه ويحتمل النعمان بن المنذر ملك الحيرة فان الزمخشرى صنف كتابا فى مناقب أبى حنيفة سماه شقائق النعمان فى حقائق النعمان وأما أبو العلاء فانه أراد بلفظ النعمان أبا حنيفة وأراد بالضمير المحذوف ابن المنذر ملك الحيرة وزياد هذا هو النابغة وكان معروفا بمدح النعمان بن المنذر وهذا يصح على طريقة ابن مالك فان فقيها يخدم أبا حنيفة وشعر زياد يخدم النعمان بن المنذر ولا يصح على مذهب صاحب الايضاح فان ضمير يشده لم يعد على واحد منهما لان شرط الضمير فى الاستخدام ان يكون عائدا على اللفظة المشتركة ليستخدم بها معناها الآخر كما قال البحترى فى شبوه فهذا الضمير عائد على الغضى وهذا جعل الضمير فى يشده غير عائد على اللفظة المشتركة التى هى النعمان فصار طيب الذكر الذى يشيده زياد لا يعلم لمن هو لان الضمير

وحضر بعدهم أصحاب الاستاذ أبى عمر البسطامى وهم فى الفضل كأسنان المشط ومنه بأعلى مناط العقد وحضر بعدهم الشيخ أبو سعيد الهمدانى وله فى الفضل قدحه المعلى وفى الادب حظه الاعلى وحضر بعد الجماعة أصحاب الاسبلة المسبلة والاسوكة المرسلة رجال يلعن بعضهم بعضا فصاروا الى قلب المجلس وصدره حتى رد كيدهم فى نحرهم وأقيموا بالنعال الى صف النعال فقلت لمن حضر من هؤلاء فقالوا أصحاب الخوارزمى فلما أخذ المجلس زخرفه ممن حضروا انتظر أبو بكر فتأخر اقترحوا على قوافى أثبتوها واقتراحات كانوا بيتوها فاظنن بالحلفاء أدنيت لها النار من لفظ الى المعنى نسقته وبيت الى القافية سقته على ريق لم أبلعه ونفس لم أقطعه وصار الحاضرون بين اعجاب بما أوردت وتعجب مما أنشدت وقال أحدهم بل أوحدهم وهو الامام أبو الطيب لن نؤمن لك حتى نقترح القوافى ونعين المعانى وننص على بحر فان قلت حينئذ على الروى الذى

لا يعود على النعمان اللهم الا أن يكون التقدير مالم يشد له فيعود الضمير على النعمان بهذا التقدير انتهى وما أحلى قول بعض المتأخرين مع عدم التعسف والسلامة من النقد وصحة الاشتراك الاصلي وهو

وللغزالة شيء من تلفته * ونورها من ضيا خديه مكتسب

وأنا بالاشواق الى معرفة الناظم وهذا النوع أعني الاستخدام قل من البلغاء من تكلفه وصح معه بشروطه لصعوبة مسالكه وشدة التباسه بالتورية وقد تقدم ما أورد نافيه من النقد على بيتي البحتري وأبي العلاء وهو أعلى رتبة عند علماء البديع من التورية وأحلى موقعا في الاذواق السليمة ولكن قل من ظفر منه بسلامة التخلص من علائق النقد وصعد من غور التعسف الى نجد السهولة قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام ومن أنواع البديع ما هو نادر الوقوع ملحق بالمستحيل الممنوع وهو نوع التورية والاستخدام الذي تقف الافهام حسرى دون غايته عند مرامي المرام

نوع يشق على الغبي وجوده * من أي باب جاء يغدو مقفلا

لا يقرع هضبته فارع ولا يقرع بابه قارع الا من نحا البلاغة نحوه في الخطاب ويجري ريحها بأمره رخاء حيث أصاب على أن المتقدمين ما قصدوه جملة كافيه ولا شعروا به لما شعروا انه دخل معهم في بيت تحت قفل قافيه وأما المولدون من الشعراء كالفرزدق وجرير ومن عاصرهما وخاض معهما لجة بحر البلاغة فلم يرد أحد منهم ورد هذا الغدير وأما الذين تفقهوا من بعدهم في الادب وتنبهوا لتخلل طرقه بالطلب فربما قصدوا بعض أنواع البديع فجادت اذ جاءت وفاتت مرة أخرى وأخرى فاتت وقد قصد أبو تمام كثيرا من الجناس وفتح أبوابه وشرع طرقه للناس وأما التورية والاستخدام فما تنبه لمحاسنهما وتيقظ وتحرى وتحرر وتحفد وتحفظ الا من تأخر من الشعراء والكتاب وتضلع من العلوم وتطلع من كل باب وأظن ان القاضي الفاضل رحمه الله تعالى هو الذي ذلل منهما الصعاب وأنزل الناس بهذه الساحات والرحاب حتى ارتشف هذه السلافة أهل عصره وأصحابه الذين نزلوا ربوع مصره وخفقت رياحهم بالاخلاص في نصره كالقاضي السعيد هبة الله ابن سناء الملك ومن انخرط معه في هذا السلك ولم يزل هو ومن عاصره على هذا المنهج في ذلك الاوان ومن جاء بعدهم من التابعين باحسان الى ان جاء بعدهم حلبة أخرى وزمرة تترى فكلهم يرمون في هذا الاحسان عن قوس واحده وينفقون من مادة هي في الجود معن بن زائده ويصلون المقطوع بالمقطوع فلا تخلو فيه كلمة فائتة من فائده وغالب شعرهم على هذا النمط وأكثره درر اسماع متى تلتق تلتقط كأبي الحسين الجزار والسراج الوراق والنصير الحمامي والحكيم شمس الدين بن دانيال والقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر فهؤلاء هم الفحول الذين جدوا بعد القاضي الفاضل الى هذه الغايه ورفعوا راية هذا النوع وكان كل منهم عرابة تلك الرايه تسابقوا جيادا والديار المصرية لهم حلبه وتلاحقوا أفرادا وهم في شرف هذا الفن من هذه النسبه وجاء من شعراء الشام جماعة تأخر عصرهم وتأزر نصرهم ولان في هذا النوع هصرهم وبعد حصرهم فيما أرادوه كما زاد حصرهم كل ناظم تود الشعرى لو كانت له شعرا ويود الصبح لو كان له طرسا والغسق مدادا والنثرة نثرا منهم شرف الدين عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماة والامير مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي ومحيي الدين بن قرناص وشمس الدين بن محمد بن العفيف وسيف الدين بن المشد ثم ان الشيخ صلاح الدين قال في آخر هذا الفصل وهؤلاء معهم جماعة يحضرني ذكرهم عند شعرهم ويعز علي ان لم أرهم على تكاثرهم لفوات عصرهم وكأني بقائل يقول لقد أفرطت في التعصب لاهل مصر والشام على من دونهم من الانام وهذا باطن باطل وعدوان وجنة لاوطانك وما جاورها من البلدان فالجواب ان الكلام في التورية والاستخدام لا غير ومن هنا

أسومه وذكرت المعنى الذي أرومه فأنت حي القلب كما عهدناك منشرح الصدر كما شاهدناك شجاع الطبع كما وجدناك وشهدنا انك قد أحسنت وان لا فتى الا أنت فما خرجت من عهدة هذا التكليف حتى ارتفعت الاصوات بالهيللة من جانب والحوقلة من آخر وتعجبوا اذ أرتهم الايام مالم ترهم الاحلام وجاءهم العيان بما يخل به السماع وانجزهم الفهم ما أحلفهم الوهم ثم التفت فوجدت الاعناق تلتفت وما شعرت الا بهذا الفاضل وقد طلع في شملته وهب بجملته باوداج ما يسعها الزران وعينين في رأسه تزران ومشى الى فوق أعناق الناس وجعل يدس نفسه بين الصدور ويريد الصدر وقد أخذ المجلس أهله فقلت يا أبا بكر تزحزح عن الصدر قليلا الى مقابلة أخيك فقال لست برب الدار فتأمر على الزوار فقلت يا عافاك الله حضرت لتناظرني والمناظرة اشتقت اما من النظر أو من النظير فان كان اشتقاقها من النظر فمن حسن النظر ان يكون

تنقطع

تنقطع المادة فى السير ومن ادعى انه يأتى بدليل وبرهان فالمقياس بيننا والشقراء والميدان وقد رجح صاحب يتيمة الدهر شعراء الشام على شعراء العراق وقال انهم حازوا قصبات السبق عليهم فى حلبة السباق فانهم قوم جبلت طباعهم على اللطافه وطبعت جبلتهم على الكيس والظرافه انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدى قلت واتصل هذا الحديث القديم بالشيخ جمال الدين بن نباتة فاينع فرعه النباتى بغضه وورقه واستعبد التورية والاستخدام فى سوق رقيه فمن استخداماته ما أرانا من استخدام البحترى عيب الوليد وقلنا بعده فى استخدام أبى العلاء ليس على الاعمى حرج فانه مشى على الحس فى ظلمة التعقيد واستخدام الشيخ جمال الدين الموعود به قوله من قصيدة رائية امتدح بها النبى صلى الله عليه وسلم

اذا لم تفض عينى العقيق فلا رأت * منازله بالقرب تبهى وتبهر
وان لم تواصل عادت السفح مقلتى * فلا عادها عيش بمغناه اخضر

انظر أيها المتأمل الى صحة الاشتراك بين الاستخدامين وانسجام البيت الاول مع البيت الثانى وسيلان الرقة لذا القطر النباتى والتشبيب المرقص بالمنازل الحجازيه والغزل الذى يليق ان تصدر به المدائح النبويه ولعمرى انه مشى على طريق صاحب الايضاح فزاده ايضاحا ولو دعى الى عروس الافراح زاده افراحا وهذه القصيدة التى ظفرت منها بهذين الاستخدامين محاسنها غرر فى جباه القصائد ولانواع البديع بها صلة ومن أبياتها عائد منها

سقى الله اكناف الغضى سائل الحيا * وان كنت أسقى ادمعا تتحدر
وعيشا نضى عنه الزمان بياضه * وخلفه فى الرأس يزهو ويزهر
تغير ذاك اللون مع من أحبه * ومن ذا الذى يا عز لا يتغير
وكان الصبا ليلا وكنت كحالم * فوا أسفى والشيب كالصبح يسفر
يعللنى تحت العمامة كتمه * فيعتاد قلبى حسرة حين أحسر
ويذكرنى ايلى وماخلت انه * اذا وضع المرء العمامة يذكر

ومنها

وغيداء أما جفنها فمؤنث * كليل وأما لحظها فمذكر
يروقك جمع الحسن فى لحظاتها * على أنه بالجفن جمع مكسر
يشف وراء المشرفية خدها * كما شف من دون الزجاجة مسكر
خليلى كم روض نزلت فناءه * وفيه ربيع للنزيل وجعفر
وفارقتها والطير صافرة بها * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

ومنها فى وصف الناقة

ورب طموح العزم أدماء جسرة * يظل بها عزمى على البيد يجسر
طوت بذراعى وخدها شقة الفلا * وكف الثريا فى دجى الليل يشبر
ومدتجناحى ظلها ألف الضحى * فشدت كما شد النعام المنفر
بصم الحصى ترمى الحداة كانما * تغار على محبوبها حين يذكر
اذا ماحروف العيس خطت بقفرة * غدت موضع العنوان والعيس أسطر
فلله حرف لا ترام كأنها * لوشك السرى حرف لدى الشد مضمر

وعارض الشيخ جمال الدين بن نباتة جماعة نسجوا على منواله فى عصره لكن الذوق السليم يشهد أنهم كانوا خلاصة قطره وهذا الشرح هو جامعهم الكبير واذا كرت فيه نظائرهم فاعلم انه ليس له فيهم نظير نرجع الى الاستخدام وشواهده وايراد أبيات البديعيات فيه فبيت صفى الدين قوله

من كل ابلج وارى الزندى يوم قرى * مشمر عنه يوم الحرب مصطلم

مقعدنا واحدا حتى يتبين الفاضل من المفضول ثم يتطاول السابق و يتقاصر المسبوق فقضت لجماعة بما قضيت وغص هذا الفاضل من تلك الحكمة وانحط عن تلك العظمة وقابلنى بوجهه فقلت أراك أيها الفاضل حريصا على اللقاء سريعا الى الهيجاء (ولوز بنتك الحرب لم تترمرم) ففى أى علم تريد أن نتناظر فأومأ الى النحو فقلت يا هذا ان اليوم قد متع والنهار قد ارتفع والظهر قد أزف ولئن قرعنا باب النحو أضعنا اليوم فيه فبماذا يخرج الناس فعلا هتاف الناس أيهما رد الجواب هنالك ما يدرى المجيب فان شئت أن أناظرك فى النحو فسلم الآن لى ما كنت تدعيه من سرعة فى البديهة وجودة فى الرويه وقدرة على الحفظ ونفاذ فى الترسل ثم أنا أجاريك فى هذا فقال لا أسلم ذلك ولا أناظر فى غير هذا وارتفعت المضاجة واستمرت الملاحة حتى أبلغ الاستاذ الفاضل أبو عمر اليه وقال أيها الاستاذ أنت أديب خراسان وشيخ هذه الديار وبهذه الابواب التى قد عدها هذا الشاب كنا

و بيت العميان ان الغضى لست أنسى أهله فهم * شاوه بين ضلوعى يوم بينهم

أقول لو عاش البحترى ماصبر للعميان على هذه السرقة الفاحشة فانهم أخذوا لفظه ومعناه وضميره وما اختشوا من الحرج ولا سلموا من النقد و بيت عز الدين

والعين قرت بهم لما بها سمعوا * واستخدموها من الاعدا فلم تنم

قوله والعين قرت بهم لما بها سمعوا فى غاية الحسن فانه أتى بالاستخدام وعود الضمير فى شطر البيت مع الانسجام والرقة واستخدامه فى العين الناظرة وعين المال وأما قوله فى الشطر الثانى واستخدموها من الاعدا فلم تنم ما أعلم ما المراد به فان الاستخدام فى العين التى هى الجارحة قد تقدم والذى يظهر لى ان اضطراره الى تسمية النوع ألجأه الى ذلك و بيت بديعيتى

واستخدموا العين منى فهى جارية * وكم سمحت بها أيام عسرهم

فالتورية فى جارية بعد استخدموها لم يوجد فى سوق الرقيق مثلها والعود بالضمير مع تمكن القافية وعدم التكلف والحشو لا يخفى على أهل الذوق السليم فان قافية مصطلم فى بيت صفى الدين تمجه الاذواق انتهى الكلام على الاستخدام

(ذكر الهزل الذى يراد به الجد)

*(والبين هازلنى بالجد حين رأى * دمعى وقال تبرد أنت بالديم)*

قال صاحب التلخيص ومنه يعنى فن البديع الهزل الذى يراد به الجد كقوله

اذا ما تميمى أتاك مفاخرا * فقل عدّ عن ذا كيف أكلك للضب

ولم يزد على ذلك شيأ والهزل الذى يراد به الجد هو ان يقصد المتكلم مدح انسان أو ذمه فيخرج من ذلك المقصد مخرج الهزل والمجون اللائق بالحال كما فعل أصحاب النوادر مثل أشعب وأبى دلامة وأبى العيناء ومزيد ومن سلك مسلكهم كما حكى عن أشعب انه حضر وليمة بعض ولاة المدينة وكان رجلا بخيلا فدعا الناس ثلاثة أيام وهو يجمعهم على مائدة فيها جدى مشوى فيحوم الناس حوله ولا يعبه أحد منهم لعلمهم ببخله واشعب كان يحضر مع الناس و يرى الجدى فقال فى اليوم الثالث زوجته طالق ان لم يكن عمر هذا الجدى بعد ان ذبح وشوى أطول من عمره قبل ذلك ومن شواهد الهزل الذى يراد به الجد ما أنشده ابن المعتز من قول أبى العتاهية

ارقيك ارقيك بسم الله أرقيكا * من بخل نفسك على الله يشفيكا

ماسلم كفك الا من يناولها * ولا عدوك الا من يرجيكا

والفاتح لهذا الباب امرؤ القيس وقوله أبلغ ما سمع فيه وألطف وهو

وقد علمت سلمى وان كان بعلها * بأن الفتى يهذى وليس بفعال

قال زكى الدين بن أبى الاصبع ما رأيت أحسن من قوله ملتفتا وان كان بعلها انتهى وهذا النوع أعنى الهزل الذى يراد به الجد ماسبكه فى قوالبه الا من لطفت ذاته وكان له ملكة فى هذا الفن وحسن تصرف ومن أظرف ما وقع فى هذا الباب انه حصل لى بالديار المصرية جرب أشرفت منه على التلف فوصف لى الحكيم بطيخا وهو عزيز الوجود فى تلك الايام فبلغنى انه أهدى الى مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية عظم الله تعالى شأنه بطيخ فكتبت اليه

مولاى عاقبنى الزمان بجربة * وقد انقطعت بحمى المسلوخ

وعميت من حزنى على ما نالنى * لكن شممت روائح البطيخ

فالكناية على طلب البطيخ سبكت فى أحسن قوالب الهزل مع حسن التضمين ومثله قولى

جاء الشتاء فرآمى * والجسم صار اشماته

ذكر الهزل الذى يراد به الجد

نعتقد لك السبق والحذق وتثاقلك عن مجاراته فيها مما يتهم ويوهم واضطره الى منازلة أو نزول عنها ومقارة فيها أو اقرار بها فقال سلمت الحفظ فانشدت قول القائل

ومستلم كشفت بالرمح ذيله * أقمت بعضب ذى شقاشق ميله

جمعت به فى ملتقى الحى خيله * تركت عتاق الطير تحجل حوله

وقلت يا أبا بكر خفف الله عنك كما خففت عنا فى الحفظ قد كفيتنا مؤنة الامتحان ولم نضع وقتا من الزمان فلو نفضات وسلمت البديهة أيضا مع الترسل حتى نفرغ للنحو الذى أنت عليه أكبر واللغة التى أنت بها أعرف والعروض الذى أنت عليه أجرأ والامثال التى لك فيها السبق والقدم والاشعار التى أنت فيها تقدم فقال ما كنت لاسلم الترسل ولا سلمت الحفظ فقلت الراجع فى شيئه كالراجع فى قيئه لكنا نقيلك عن ذلك السماح فهذه أنشدنا خمسين بيتا من قبلك مرتين حتى أنشدك عشرين بيتا من قبلى عشرين مرة فعلم أن

بطيلسان ابن حرب • وفروة ابن نباته

فني طيلسان ابن حرب وفروة ابن نباتة مع ما فيهما من الهزل الظاهر كنايتان عن الفقر الذى تزايد حده وطيلسان ابن حرب معروف لشهرته وأما فروة ابن نباتة ففيها اشارة الى قوله

زرقة جسمى وبياض لحيها • سنجابى الابلق فى فصل الشتا

ومثله قولى وصاحب تسمح لى نفسه • بغدوة لكن اذا ما انتشا

يضحك سنى للغداء عنده • لكننى اقلع ضرسى للعشا

فيه على الهزل الذى يراد به الجد زيادة لطف الاستدراك ومراعاة النظير وكان هذا الصاحب تغمده الله برحمته ورضوانه من أعز الاصحاب على ولكن التصريح باسمه غير ممكن هنا وبين الهزل الذى يراد به الجد وبين التهكم فرق لطيف وهو أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل وهذا النوع بالعكس وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

أشبعت نفسك من ذمى فهاضلها • تأتى وأكثر موت الناس بالتخم

فقوله وأكثر موت الناس بالتخم كناية يهزلون بها على من يفرط فى أكل شئ ويخص به نفسه وبيت العميان قل للصباح اذا ما لاح نورهم • ان كان عندك هذا النور فابتسم

لم أر فى بيت العميان هزلا يراد به الجد والله أعلم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

هزل أريد به جد عتابك لى • كما كتمت بياض الشيب بالكتم

الشيخ عز الدين غفر الله له حكى هنا حكاية لم يسعنى الكلام عليها لئلا يطول الشرح وبيت بديعيتى

والبين هازلنى بالجد حين رأى • دمعى وقال تبرد أنت بالديم

انظر أيها المتأمل هنا بنور الله تعالى فان الهزل الذى يراد به الجد ما ملتزم تتميته وقد استوعب شطر البيت وانظر كيف أفرغت هذا النوع الغريب فى أحسن القوالب وأغرب المعانى فان الدمع تزايد انهماله الى ان صار كالديم الهاطلة والبين يغبطنى بذلك مهازلا ويقول لى تبرد أنت بهذه الديم

(ذكر المقابلة)

• (قابلتهم بالرضا والسلم منشرحا • ولوا غضابا فيا حربى لغيظهم) •

المقابلة ادخلها جماعة فى المطابقة وهو غير صحيح فان المقابلة أعم من المطابقة وهى التنظير بين شيئين فأكثر وبين ما يخالف وما يوافق فبقولنا وما يوافق صارت المقابلة أعم من المطابقة فان التنظير بين ما يوافق ليس بمطابقة وهذا مذهب زكى الدين بن ابى الاصبع فانه قال صحة المقابلات عبارة عن توخى المتكلم بين الكلام على ما ينبغى فاذا أتى بأشياء فى صدر كلامه أتى باضدادها فى عجزه على الترتيب بحيث يقابل الأول بالاول والثانى بالثانى لا يخرم من ذلك شيأ فى المخالف والموافق ومتى أخل بالترتيب كانت المقابلة فاسدة وقد تكون المقابلة بغير الاضداد والفرق بين المطابقة والمقابلة من وجهين أحدهما أن المطابقة لا تكون الا بالجمع بين ضدين والمقابلة تكون غالبا بجمع بين أربعة أضداد ضدان فى صدر الكلام وضدان فى عجزه وتبلغ الى الجمع بين عشرة أضداد خمسة فى الصدر وخمسة فى العجز والثانى أن المطابقة لا تكون الا بالاضداد والمقابلة بالاضداد وغير الاضداد ولكن بالاضداد أعلا رتبة وأعظم موقعا ومن معجزات هذا الباب قوله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فانظر الى مجىء الليل والنهار فى صدر الكلام وهما ضدان ثم قابلهما فى عجز الكلام بضدين وهما السكون والحركة على الترتيب ثم عبر عن الحركة بلفظ الارداف فاستلزم الكلام ضربا من المحاسن زائدا على المقابلة فانه عدل عن لفظ الحركة الى لفظ ابتغاء الفضل لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة وهى تشير الى الاعانة بالقوة وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل وسلامة الحس واضافة

دون ذلك خرط القتاد تهاب شوكتها اليد فسلمه ثانيا كما سلمه باديا وصرنا الى البديهة فقال أحد الحاضرين هاتوا على شعر أبى الشيص فى قوله

أبقى الزمان به ندوب عضاض ورمى سواد قرونه ببياض

فأخذ أبو بكر يعضد ويحصد مقدرا انا نغفل عن أنفاسه أو نوليه جانب وسواسه ولم يعلم انا نحفظ عليه الكلام ثم نواقفه عليها فقال

ياقاضيا ما مثله من قاض أنا بالذى تقضى علينا راض

فلقد لبست غضبة ملومة من نسج ذلك البارق الغضفاض

لا تغضبن اذا ظمت تنفسا ان الغضا فى مثل ذلك تعاض

فلقد بليت بشاعر متقادر ولقد بليت بناب ذئب غاض

ولقد قرضت الشعر فاسمع واستمع لنشيد شعر طائع وقراض

فلا غلبن بديهه ببديهتى ولارمين سواده ببياض

فقلت يا أبا بكر ما معنا قولك غضبة ملومة وما الذى أردت بالبارق الغضفاض فانكر أن يكون قاله قافية فواقفه على ذلك أهل المجلس وقالوا وقد قلت ثم قلت فما معنى قولك ذئب غاض فقال هو الذى يأكل الغضا فقلت

الطرف الى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ليهتدى المتحرك الى بلوغ المآرب ويتقى أسباب المهالك والآية الشريفة سيقت للاعتداد بالنعم فوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ هو ردفه ليتم حسن البيان فتضمنت هذه الكلمات التى هى بعض آية عدة من المنافع والمصالح التى لو عددت بألفاظها الموضوعة لها لاحتاجت فى العبارة عنها الى ألفاظ كثيرة فحصل فى هذا الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن الا تراه سبحانه وتعالى كيف جعل العلة فى وجود الليل والنهار حصول منافع الانسان حيث قال لتسكنوا ولتبتغوا بلام التعليل فجمعت هذه الكلمات من أنواع البديع المقابلة والتعليل والاشارة والارداف وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن البيان وحسن النسق فلذلك جاء الكلام متلائما آخذا أعناق بعضه باعناق بعض ثم أخبر بالخبر الصادق ان جميع ماعدده من النعم باللفظ الخاص وما تضمنته العبارة من النعم التى تلزم من لفظ الارداف بعض رحمته حيث قال بحرف التبعيض ومن رحمته وهذا كله فى بعض آية عدتها عشر كلمات فالحظ هذه البلاغة الباهرة والفصاحة الظاهرة انتهى ومن أمثلة صحة المقابلة فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم ماكان الرفق فى شئ الا زانه ولا كان الخرق فى شئ الا شانه فانظر كيف قابل الرفق بالخرق والزين بالشين بأحسن ترتيب وأتم مناسبة وهذا الباب فى مقابلة اثنين باثنين ومنه قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا جعلهم مفاتيح الخير مغاليق الشر ومنه وهو ظريف فى مقابلة اثنين باثنين أن المنصور قال لمحمد بن عمران انك لبخيل فقال يا أمير المؤمنين لا أجمد فى حق ولا أذوب فى باطل ومنه فى النظم قول النابغة

فتى كان فيه مايسر صديقه * على أن فيه مايسوء الاعاديا

وقول الحلى

ورنح الرقص منه عطفا * خف به اللطف والدخول
فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

وأخبرنى مولانا قاضى القضاة الشافعى نور الدين الحاكم بحماة المحروسة المشهور بخطيب الدهشة أنه كان بحماة يهودى يطوف بالحناء والصابون على رأسه ويقول معى حناء أخضر جديد وصابون يابس عتيق وأما مقابلة ثلاثة بثلاثة فقيل ان المنصور سأل أبا دلامة عن أشعر بيت فى المقابلة فأنشده

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

فالشاعر قابل بين أحسن وأقبح وبين الدين والكفر والدنيا والافلاس قال ابن أبى الاصبع انه لم يقل قبله مثله ومن مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المقابلة بين قوله واستغنى وقوله واتقى لان معناه زهد فيما عنده واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وذلك يتضمن عدم التقوى ومن مقابلة أربعة بأربعة قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى وصيته عند الموت هذا ما أوصى به أبو بكر عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها وأول عهده بالآخرة داخلا فيها فقابل أولا بآخر والدنيا بالآخرة وخارجا بداخل ومنها بفيها فانظر الى ضيق هذا المقام كيف صدر عنه مثل هذا الكلام قال علماء البديع كلما كثر عددها كانت أبلغ فمن مقابلة خمسة بخمسة قول أمير المؤمنين على كرم الله وجهه لعثمان بن عفان رضى الله عنهما ان الحق ثقيل مرى والباطل خفيف وبى وأنت رجل اذا صدقت سخطت وان كذبت رضيت وأوردوا لابى الطيب فى مقابلة خمسة بخمسة

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وانثنى وبياض الصبح يغرى بى

قال صاحب الايضاح ضد الليل المحض هو النهار لا الصبح والمقابلة الخامسة بين بى ولى فيها نظر لان الباء واللام صلتا الفعلين ورجح بيت أبى دلامة المتقدم على بيت أبى الطيب بجودة المقابلة ولكن القافية مستدعاة فان الذى ذكره مختص بالرجل وبغيره والمعنى قد تم بدون الرجل قال زكى الدين بن

استنوق الجمل يا أبا بكر وانقلبت القوس ركوة وصار الذئب جملا أكل الغضا فمامعنى قولك ان الغضا فى مثل ذلك تغاض فان الغضا لا أعرفه بمعنى الاغضاء فقال لم أقل الغضا فقلت ماقلت فانكر البيت جملة فقلت يا بخيل ما أغناك عن بيت تهرب منه وهو يتبعك وتتبرأ منه وهو يلحق بك فقال لى ما معنى قراض فلم أسمعه مصدرا من قرضت الشعر ولكن هلا قلت كما قلت وسقت الحشو الى القافية كما سقته فقال هذه طريقة لم تسلكها العرب فلا أسلكها ثم دخل الرئيس أبو جعفر والقاضى أبو بكر الحربى والشيخ أبو زكريا الحيرى وطبقة من الافاضل مع عدة من الاراذل فيهم أبو رشيدة فقلت ما أحوج هذه الجماعة الى واحد يصرف عنهم عين الكمال وأخذ الرئيس مكانه من الصدر والدست وله فى الفضل قدم وقدم وفى الادب هم وهمم وفى العلم قدم وحديث فتم المجلس وظهر الحق بنظره وقال قد أدعيت عليه أبياتا أنكرها فدعونى من البديهة على النفس واكتبوا ما تقولون وقولوا على هذا فقلت

أبي الاصبع لو كان لما اضطر الى القافية أفادها معنى زائدا بحيث يقول بالابشر اكان البيت نادرا وعلى كل تقدير بيت أبي دلامة أفضل من بيت المتنبي لصحة المقابلة لانه قابل بالاضداد والمتنبي بغير الاضداد والمقابلة بالاضداد أفضل وهو مذهب السكاكي فانه قال المقابلة ان تجمع بين شيئين متوافقين فأكثر ثم اذا شرطت هنالك شيأ شرطت هنالك ضده انتهى وبيت المتنبي أفضل بالكثرة عند غير السكاكي وان المقابلة عنده لا تصح الا بالاضداد وأسلم من بيت أبي الطيب في التركيب ما أورده الصاحب شرف الدين مستوفي أربل

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفي رجل حر قيد ذل يشينه

وبيت صفي الدين الحلي

كان الرضا بدنوي من خواطرهم * فصار سخطي لبعدي عن جوارهم

فقابل الرضا بالسخط والدنو بالبعد ولفظة من بعن فاذا قلنا ان من ضد عن سلم له أربعة بأربعة وخواطرهم بجوارهم على مذهب من يرى أن المقابلة تجوز بالاضداد وبغيرها وبيت العميان

بواطئ فوق خد الصبح مشتهر * وطائر تحت ذيل الليل مكتتم

بيت العميان أمكن من بيت صفي الدين في المقابلة لانهم قابلوا واطئا بطائر لان الواطئ هو الماشي على الارض والطائر السائر في الهواء وفوق بتحت وخد بذيل لما بينهما من معنى العلو والسفل والصبح بالليل ومشتهر بمكتتم وانظر لفظة مشتهر مع مكتتم وهي القافية التي لا يمكن أمكن منها ولفظة خواطرهم ومقابلتها بجوارهم في بيت صفي الدين وما بينهما من المباينة غير ان ثقل قولهم بواطئ يشق حمله على لطيف الذوق وبيت الشيخ عز الدين

ليل الشباب وحسن الوصل قابله * صبح المشيب وقبح الهجر واندمي

قابل بين ليل وصبح وشباب وشيب وحسن وقبح والوصل والهجر وهي مقابلة صحيحة بين الاضداد وأتى بلفظة قابله اضطرارا لتسمية النوع وأما قوله واندمي فقافية مستدعاة أجنبية من المقابلة فانه لم يؤهلها المقابلة بضد ولا لغيره بل تركها بمنزلة الاجانب وبيت بديعيتي

قابلتهم بالرضا والسلم منشرحا * ولوا غضابا فيا حربي لغيظهم

قد تقرر ان الشيخ عز الدين لم يأت بلفظة قابله في بيته الا اضطرارا لتسمية النوع فانه لم يقابلها بشئ فانظر كيف أتيت بلفظة قابلتهم في أول البيت وقابلتها في الشطر الآخر بلفظة ولوا ومقابلة بقية الاضداد من الرضا والغضب والسلم والحرب ظاهرة وتمكين القافية بغيظهم ومقابلتها بالانشراح اظهر فان القافية اذا كانت ممكنة وهي جارية في عدد المقابلات كانت من أعلى رتب هذا النوع كما تقدم في بيت المتنبي وبيت أبي دلامة وقافية العميان منتظمة في هذا العقد بخلاف بيت صفي الدين وبيت عز الدين انتهى

(ذكر الالتفات)

(وما أروني التفاتا عند نفرتهم * وأنت يا ظبي أدرى بالتفاتهم)

فسر قدامة الالتفات بان قال هو أن يكون المتكلم آخذا في معنى فيعترضه اما شك فيه أو ظن ان رادا يرده عليه أو سائلا يسأله عن سببه فيلتفت اليه بعد فراغه منه فاما ان يجلي الشك أو يؤكده أو يذكر سببه كقول الرماح بن ميادة

فلا صرمه يبدو وفي اليأس راحة * ولا وصله يصفو لنا فنكارمه

فكأن الشاعر توهم ان قائلا يقول له وما تصنع بصرمه فقال لان في اليأس راحة وأما ابن المعتز فقال الالتفات انصراف المتكلم عن الاخبار الى المخاطبة ومثاله في الكتاب قوله تعالى بعد الاخبار بان الحمد لله رب العالمين اياك نعبد واياك نستعين وكقوله تعالى ان أراد النبي أن

برز الربيع لنا برونق مائه * فانظر لروعة أرضه وسمائه
فالترب بين ممسك ومعنبر * من نوره بل مائه ورواته
والماء بين مصندل ومكفر * في حسن كدرته ولون صفائه
والطير مثل المحسنات صوادح * مثل المغني شاديا بغنائه
والورد ليس بمسك رياه اذ * يهدي لنا نفحاته من مائه
زمن الربيع جلبت أزكى متجر * وجلوت للرائين خير جلائه
فكأنه هذا الرئيس اذا بدا * في خلقه وصفائه وعطائه
يحمي أعز مجير وندى أغر * محجل في خلقه ووفائه
يعشوا اليه المحتوي والمجتدي * والمجتوي هو هارب بذمائه
ما البحر في تزخاره والغيث في * أمطاره والجو في أنوائه
بأجل منه مواهبا ورغائبا * لا زال هذا المجد حلف فنائه
والسادة الباقون سادة عصرهم * متمدحون بمدحه وثنائه

فقال أبو بكر تسعة أبيات قد غابت عن حفظنا لكنه جمع فيها بين اقواء واكفاء واخطاء وايطاء فرددنا عليه بعد ذلك عشرين ردا ونقدنا عليه فيها كذا نقدا ثم قلت لمن حضر من وزير ورئيس وفقيه وأديب أرأيتم لو أن

يستمسكها خالصة لك من دون المؤمنين وكقوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم ومثال ذلك من الشعر قول جرير

متى كان الخيام بذى طلوح * سقيت الغيث أيتها الخيام

وانصراف المتكلم عن الخطاب الى الاخبار وهو عكس الاول كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة ومثاله أيضا قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظنى غيره * منى بمنزلة المحب المكرم

ثم قال يخبر عن هذه المخاطبة كيف المزار وقد تربع أهلها * بعنيزتين وأهلنا بالغيلم

أو انصراف المتكلم عن الاخبار الى التكلم كقوله تعالى والله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت أو انصراف المتكلم عن التكلم الى الاخبار وهو كقوله تعالى ان نشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز والقراءة فى الكلمات الثلاث بالنون شاذة نقلها صاحب البحر الزاخر وفى هذا الكتاب سبعة آلاف رواية وقد جمع امرؤ القيس الالتفاتات الثلاث فى ثلاثة أبيات متواليات وهو قوله تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة * كليلة ذى العائر الارمد

وذلك من نبإ جاءنى * وخبرته عن أبى الاسود

فخاطب فى البيت الاول وانصرف عن الخطاب الى الاخبار فى البيت الثانى وانصرف عن الاخبار الى التكلم فى البيت الثالث على الترتيب وما أحلى قول مهيار بن مرزويه فى قصيدته التى سارت بمحاسنها الركبان وامتدح بها الوزير زعيم الدين فى يوم نوروز سنة ثمان وعشرين وأربعمائة والمطلع

بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الرى يا دار أماما

فانصرف عن الاخبار الى المخاطبة فى بيت واحد ومثله فى اللطف قول القاضى الارجانى

وهل هى الا مهجة يطلبونها * فان أرضت الاحباب فهى لهم فدى

اذا رمتم قتلى وأنتم أحبتى * فماذا الذى أخشى اذا كنتم عدى

ومثله قول أبى الطيب لولا مفارقة الاحباب ماوجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلا

بما بجفنيك من سحر صلى دنفا * يهوى الحياة وأما ان صددت فلا

ومثله قول أبى العلا يود أن ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

ومن لطائف الالتفات بالانصراف من الخطاب الى الاخبار قول ابن نبيه

من سحر عينيك الامان الامان * قتلت رب السيف والطيلسان

اسمر كالرمح له مقلة * لولم تكن كحلاء كانت سنان

فقوله عن المقلة بعد تشبيه القوام بالرمح أنها لولم تكن كحلاء كانت سنان بديع وغريب ومن أغرب ماوقع لى فى هذا النوع اللطيف اننى صرحت باسم الالتفات عند وقوعه بقولى من قصيد

والله ان لم أفهم من بعد ذا * فلى زمانى لم أزل متعتبا

وقد التفت اليك يادهرى بطو * ل تعتبى ويحق لى ان اعتبا

قررت لى طول الشتات وظيفة * وجعلت دمعى فى الخدود مرتبا

واتفق لى أيضا نظير ذلك فى رسالة كتبت بها الى العلامة بدر الدين ابن قاضى أذرعات رحمه الله منها سكن القلب وغير بدع اذا كان القلب للبدر منزلا ورام هلال الافق ان يباهى سموه بمطلعه فقلنا ما أنت من براعة هذا الاستهلال ولا وتطاول الرامح الى الطعن فى محله الذى يجل قدرا عن مناظر ومباهى فقلنا له اقصر مكتفيا او الا فعند التناهى وقد شوقتنى ظباء المعالى فى هذا المسرح الى

رجلا حلف بالطلاق الثلاث لا أنشد شعرا قط ثم أنشد هذه الابيات فقط هل كنتم تطلقون امرأته عليه فقالت الجماعة لا يقع بهذا طلاق ثم قلت أنقد على فيما نظمت واحكم عليه كما حكمت فأخذ الابيات وقال لا يقال نظرت لكذا وانما يقال نظرت اليه فكفتنى الجماعة اجابته ثم قال شبهت الطير بالمحصنات وأى شبه بينهما فقلت يارقيع اذا جاء الربيع كانت شوادى الاطيار تحت ورق الاشجار فيكن كانهن المخدرات تحت الاستار ثم قال لى لم قلت مثل المحصنات مثل المغنى فقلت هن فى الخدر كالمحصنات وكالمغنى فى ترجيع الاصوات ثم قال لم قلت زمن الربيع جلبت ازكى متجر وهلا قلت أربح متجر فقلت ليس الربيع بتاجر يجلب البضائع المربحة ثم قال ما معنى قولك الغيث فى أمطاره والغيث هو المطر نفسه فكيف يكون له مطر فقلت لاسقى الله الغيث أديبا لا يعرف الغيث وقلت له ان الغيث هو المطر وهو السحاب كما أن السماء هو المطر وهو السحاب وقال الجماعة قد علمنا أى الرجلين أشعر وأى الخصمين أقدر وأى

الالتفات فقات ملتفتا الى تلك الليالى المقمرة بنوره وقطوف الفواكه البدرية دانيات

أيابدر اسما أفق المعالى • واوقع طائرا من كل نسر
ذكرت لياليا لك قد تقضت • فياشوقى الى ليلات بدر

وأما بيت القصيدة أعنى البديعية فانه البيت الذى حظيت من بابه بالفتح وناداه الغير من وراء حجراته وتغايرت ظباء الصريم وهو فى سرب بديعه على حسن التفاته وودت ربوع البديعيات ان يسكن منها فى بيت ولكن راودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت ولقد انصف الحريرى فى المقامة الحلوانية عند ايراد البيت الجامع لمشبهات الثغر بقوله يارواة القريض واساة القول المريض ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك وها أناقد عرضت خبيئتى للاختبار وعرضت حقيبتى على الاعتبار وقلت وأنا ماش فى عرض بيت بديعيتى على هذا السنن وارجو أن يكون بحسن التفاته فى مرآة الذوق مثل الغزال نظرة ولفتة وسارزه بين أقرانه واذا انسدلت غدائر الاشكال ظهر الفرق من نور بيانه فبيت الشيخ صفى الدين

وعاذل رام بالتعنيف رشدنى • عدمت رشدك هل أسمعت ذاصمم

ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وأما بيت عز الدين

وما التفت لساع حج فى شغف • ما أنت للركن من وجدى بملتزم

وبيت بديعيتى

وماأرونى التفاتا عند نفرتهم • وأنت ياظبى أدرى بالتفاتهم

فهذا البيت فيه التورية بتسمية النوع وقد برزت فى أحسن قوالبها ومراعاة النظير فى الملاءمة بين الالتفات والظبى والنفرة والانسجام الذى أخذ بمجامع القلوب رقة والتمكين الذى ما تمكنت قافية باستقرارها فى بيت كتمكين قافيته والسهولة التى عدها التيفاشى فى باب الطرافة وناهيك بظرافة هذا البيت والتوشيح وهو الذى يكون معنى أول الكلام دالا على آخره ورد العجز على الصدر والالتفات الذى هو المقصود ودون غيره من الانواع فقد اشتمل هذا البيت على ثمانية أنواع من البديع مع عدم التكلف والله تعالى أعلم

(ذكر الافتنان)

• (تغزلى وافتنانى فى شمائلهم • أضحى رثا لاصطبارى بعد بعدهم) •

الافتنان هو ان يفتن الشاعر فيأتى بفنين متضادين من فنون الشعر فى بيت واحد فأكثر مثل النسيب والحماسة والمديح والهجاء والهناء والعزاء فأما ما افتن به الشاعر من النسيب والحماسة كقول عنترة

ان تغد فى دونى القناع فاننى • طب بأخذ الفارس المستلئم

فأول البيت نسيب وآخره حماسة وكقول أبى دلف ويروى لعبد الله بن طاهر

أحبك ياظلوم وأنت منى • مكان الروح من جسد الجبان
ولو أنى أقول مكان روحى • خشيت عليك بادرة الطعان

ومما جمع فيه بين التهنئة والتعزية قوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ومما جمع فيه بين التعزية والفخر قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ومن انشاء العلامة الشهاب محمود ما كتب به من رسالة تهنئة وتعزية لمن رزقه الله تعالى ولدا ذكرا فى يوم وماتت له بنت قوله ولا عتب على الدهر فيما اقترف ان كان قد ساء فيما مضى فقد أحسن الخلف واعتذر بما وهب عما سلب فعفا الله عما سلف ومما جمع فيه من النظم بين التهنئة والتعزية قول بعض الشعراء ليزيد بن معاوية لما دفن أباه وجلس للتعزية

اصبر يزيد فقد فارقت ذاثقة • واشكر حباء الذى بالملك أصفاكا
لارزء أصبح فى الاسلام نعلمه • كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

(ذكر الافتنان)

البديهتين أسرع وأى الرويتين أصنع فقال أبو بكر فاسبقونى على الظفر فقالوا كفالك ماسقال ثم ملنا الى الترسل فقلت اقترح على غاية مافى طوقك ونهاية مافى وسعك واخترما تبلغه بذرعك حتى أقترح عليك أربعمائة صنف فى الترسل فان سرت فيها برجلين ولم أطر بجناحين بل ان أحسنت القيام بواحد من هذه الاصناف ولم تخالف كل الاخلاف فلك يد السبق وقصبه ومثال ذلك ان أقول لك اكتب كتابا يقرأ منه جوابه هل يمكنك ان تكتب أو أقول لك اكتب كتابا على المعنى الذى أقترح لك وانظم شعرا فى المعنى الذى أقترح وأفرغ منهما فراغا واحدا بل كنت تمده ساعدا أو أقول لك اكتب كتابا فى المعنى الذى أقول وأنص عليه وأنشد من القصائد ما أريده من غير تثاقل ولا تغافل حتى اذا كتبت ذلك قرئ من آخره الى أوله وانتظمت معانيه اذا قرئ من أسفله بل كنت تفوق لهذا الغرض سهما أو تخيل قد حاور

(قوله ثم ننجى الآية) الذى فيها انما هو تبشير وانذار

وقال زكي الدين بن أبي الاصبع أحسن شعر افتن فيه صاحبه بالجمع بين التعزية والتهنئة قول أبي نواس للعباس بن الفضل بن الربيع يعزيه بالرشيد ويهنيه بالامين حيث قال

تعزابا العباس عن خير هالك • باكرم حي كان أو هو كائن
حوادث أيام تدور صروفها • لهن مساوىء مرة ومحاسن
وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى • فلا أنت مغبون ولا الموت غابن

ولعمري ان جمال الدين بن نباتة رحمه الله قال في تعزية الملك المؤيد صاحب حماة وتهنئة ولده الافضل بالسلطنة بعد أبيه ماهو أحسن من قول أبي نواس الذي استحسنه ابن أبي الاصبع وقول من تقدمه وان تأخر ابن نباتة فقد تقدم بنباته فانه استطرب في قصيدة مطولة بالجمع بين التهنئة والتعزية الى آخرها وأنى بمعان منها سلامة الاختراع والذي يؤدي اليه اجتهاد ذوقي ان هذه القصيدة من العجائب في هذا النوع وأوردت مطلعها في براعة الاستهلال لكن تعين ارادة هنا لندخل منه الى بيوت القصيدة المشتملة على هذا النوع ليتأيد ما أشرت اليه من غرابة أسلوبها وهو قوله رحمه الله تعالى

هناء محاذاك العزاء المقدما • فما عبس المحزون حتى تبسما
ثغور ابتسام في ثغور مدامع • شبيهان لا يمتاز ذوالسبق منهما
نرد مجاري الدمع والبشر واضح • كوابل غيث في ضحى الشمس قدهمى
سقى الغيث عنا تربة الملك الذي • عهدنا سجاياه أعز وأكرما
ودامت يد النعمى على الملك الذي • تدانت به الدنيا وعز به الحمى
مليكان هذا قد هوى اضريحه • برغمي وهذا للاسرة قدسما
وروضة أصل شاذوي تكافأت • فغصن ذوى منها وآخر قدنما
فقد نال الاعناق البرية مالكا • وسمنا لانواع الجميل متمما
كأن ديار الملك غاب اذا انقضى • به ضيغم أنشا به الدهر ضيغما
كأن عماد الدين غير مقوض • وقد قمت يا أزكى الانام وأحزما
فان يك من أيوب نجم قد انقضى • فقد أطلعت أوصاف الغرانجما
وان تك أيام المؤيد قدمضت • فقد جددت علياك وقتا وموسما
هو الغيث ولى بالثناء مشيعا • وأبقاك بحرا بالمواهب منعما

وكانت وفاة الملك المؤيد في شهر المحرم فقال ولم يخرج عما نحن فيه

بك انبسطت فينا التهاني وأنشأت • ربيع الهنا حتى نسينا المحرما

والجمع بين التهنئة والتعزية في نوع الافتنان أصعب مسلكا من الجمع بين النسيب والحماسة لشدة التناقض بينهما ومن أظرف ما رأيت في هذا النوع ان ابن حجاج جمع في الافتنان بين التعزية والمدح المؤدي الى التهكم بقوله في تعزية بعض الرؤساء بأبيه في بيت واحد وهو

أبوك قد جل أهل الثرى • فجمل الله به المقبره

وأما الغزل المخمس فكثير في نظم الفحول وغيرهم وما أحلى قول مهيار الديلمي في بيت واحد

وأتعب من حاولت ياقلب وصله • حبيب سنان السمهري رقيبه

وممن أتحف الاذواق بحلاوة هذا النوع وجمع فيه بين النسيب والحماسة القاضي الارجاني رحمه الله تعالى في قوله

نزل الاحبة ساحة الاعداء • فغدا لقاءمنهم بلقاء

وما أحلى ما قال بعده

كم طعنة نجلاء تعرض بالحمى • من دون نظرة مقلة نجلاء
فتحدثا سمرا لخول قبابها • سمر الرماح يملن للاصغاء

من

تصيب نحرها أوقلت لك اكتب كتابا اذا قرئ من أوله الى آخره كان كتابا فان عكست سطوره مخالفة كان جوابا بل كنت في هذا العمل واري الزند قاصد القصد أوقلت لك اكتب كتابا في المعنى الذي يقترح ولا يوجد فيه حرف منفصل من راء تتقدم الكلمة أودال تنفصل عن الكلمة بديهة ولا يجم فيها قلمك بل كنت تفعل أوقلت لك اكتب كتابا خاليا من الالف واللام تصب معانيه على قالب ألفاظه ولا تخرجه عن جهة أعراضه بل كنت تقف من ذلك موقفا محمودا أو يبشلك بك مقاما محمودا أوقلت لك اكتب كتابا يخلو من الحروف العواطل بل كنت تحظى منه بطائل أو تبل لهاتك بنائل أوقلت لك اكتب كتابا أوائل سطوره كلها ميم وآخرها جيم على المعنى الذي يقترح بل كنت تغلو في قوسه غلوة أو تخطو في أرضه خطوة أوأقول لك اكتب كتابا اذا قرئ معرجا وسرد معوجا كان شعرا بل كنت تقطع في ذلك شعرا بلى والله تصيب ولكن من بدنك وتقطع ولكن من ذقنك أو أقول لك اكتب كتابا

من كل باكية دما من دونها • يوم الطعان بعقله زرقاء
يا دمية من دون رفع سجوفها • خوض القنا بالخيل بحر دماء
لو ساعد الاحباب قلت تجلدا • أهون على بملتقى الاعداء

ومثله قول أبي الطيب في بيت وكل من النصفين كامل في معناه

عدوية بدوية من دونها • سلب النفوس ونار حرب توقد

وممن تفنن في هذا النوع وجمع بين رقة النسيب وفخامة الحماسة ابراهيم بن محمد الانصاري الساحلي المنبوز بطويجن جرى ذكره في التاج بما نصه جواب الآفاق ومحالف الرفاق رفع له ببلده راية للادب لا تحجم وأصبح نسيج وحده فيما يسدي وألحم فان نسب صار للنسيب شرف ونسب وان مدح قدح من أنوار فطنته ما قدح كم حرك الجامد ونظم الجمان في سلوك المحامد فمن قوله في الافتنان الذي جمع فيه بين الحماسة والتشبيب

خطرت كميادالقنا المتأطر • ورنت بالحاظ الغزال الاعفر
وأتتك بين تطاعن وتداعب • في فتك قسورة وعطفة جؤذر

وما أبدع قوله منها وبملعب الصدغين مطرد وجنة • زحفت عليه كتائب ابن المنذر
وله ولم يخرج عما نحن فيه

زارت وفي كل مرمى لحظ محترس • وحول كل كناس كف مفترس

وما أحلى ما قال بعده

مهما تلا خدها الزاهي الضحى نطقت • سيوف آماقها عن آية الحرس

ويعجبني قول أبي الفتوح بن قلاقس

عقدوا الشعور معاقد التيجان • وتقلدوا بصوارم الأجفان
ومشوا وقد هزوا رماح قدودهم • هز الكماة عوالي المران
وتدرعوا زردا لخلت أراقما • خلعت ملابسها على الغزلان

وممن افتن في قصيدة كاملة وتفنن وخاض من تفخيم الحماسة والتغزل الى رقة الغزال وأحسن القاضي السعيد هبة الله بن سناء الملك رحمه الله فانه قسم القصيدة شطرين وتلاعب في ميدان البلاغة بالفنين وهذه القصيدة تقف دونها فرسان الحماسة ويكبو الجواد من خولها ويثنى من لطائف غزلها من لعبت بالطف شمائله خمر لطف شمولها وهي

سواي يخاف الدهر أو يرهب الردى • وغيري يهوى أن يكون مخلدا
ولكنني لا أرهب الدهر ان سطا • ولا أحذر الموت الزؤام اذا عدا
ولو مد نحوي حادث الدهر طرفه • لحدثت نفسي أن أمد له يدا
• توقد عزم يترك الماء جمرة • وحلية حلم تترك السيف مبردا
• وفرط احتقار للانام فانني • أرى كل عار من حلا سؤددي سدى
وأظمأ أن أبدى الى الماء منة • ولو كان لي نهر المجرة موردا
ولو كان ادراك الهدى بتذلل • رأيت الهدى أن لا أميل الى الهدى
وقدما بغيري أصبح الدهر أشيبا • وبي بل بفضلي أصبح الدهر أمردا
• وانك عبدي يا زمان وانني • على الكره مني ان أرى لك سيدا
وما أنا راض انني واطئ الثرى • ولي همة لا ترتضي الافق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتي • لخرت جميعا نحو وجهي سجدا
وبذل نوالي زاد حتى لقد غدا • من الغيظ منه ساكن البحر مزبدا

اذا فسر على وجه كان مدحا واذا فسر على وجه كان قدحا بل كنت تخرج عن هذه العهدة أو قلت لك اكتب كتابا اذا كتبته تكون قد حفظته من دون أن تحفظه بل كنت تشق من نفسك به الى ما لا أطاولك بعده بل است البائن اعلم فقال أبو بكر هذه الابواب شعبذة فقلت وهذا القول طرمذة فما الذي تحسن أنت من الكتابة وفنونها حتى أباحثك على مكنونها وأكاثرك بمخزونها وأشبر فيها قلمك وأسبر فيها لسانك وفمك فقال الكتابة التي يتعاطاها أهل الزمان المتعارفة بين الناس فقلت أليس لا تحسن من الكتابة الا هذه الطريقة الساذجة وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم المتناول بكل يد وفم ولا تحسن هذه الشعبذة فقال نعم فقلت هات الآن حتى أطاولك بهذا الحبل وأناضلك بهذا النبل ثم تقاس ألفاظي بالفاظك ويعارض انشائي بانشائك واقترح كتابا يكتب في النقود وفسادها والتجارات ووقوفها والبضاعات وانقطاعها والاسعار وغلائها فكتب أبو بكر بما نسخته

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ولى قلم فى أنملى ان هززته * فما ضرنى أن لا أهز المهندا
اذا جال فوق الطرس وقع صريره * فان صليل المشرفى له صدا

والمخلص من الحماسة والفخر الى الغزل قوله

ومن كل شئ قد صحوت سوى هوى * أقام عذولى بالملام وأقعدا
اذا وصل من أهواه لم يك مسعدى * فليت عذولى كان بالصمت مسعدا
يحب حبيبى من يكون مفندا * فياليتنى كنت العذول المفندا
وقال لقد آنست نارا بخده * فقلت وانى ماوجدت بها هدى
وكم لى الى دار الحبيب التفاتة * تذكرنى عهدا قديما ومعهدا
ولم أدم ذاك الخد باللحظ انما * عملت خلوقا حين أبصرت مسجدا
راقب طرفى أن يلوح هلالها * فقد طالما قد قام حين تعبدا
عبرت عليها واعتبرت تجلدى * فياحسرتى لما اعتبرت التجلدا
كأن بطرفى ما بقلبى صبابة * فلم ير تلك الدار الا تقيدا *
وكم لجوادى وقفة فى عراصها * تعود منها جيده ماتعودا
* تعود ذاك الجيد منى أننى * أصيره من در عينى مقلدا
ويارب ليل بت فيه وبيننا * عناق أعاد العقد عقدا مبددا
ولم أجعل الكف الشمال وسادة * فبات على كفى اليمين موسدا
* وجردته من ثوبه وأعدته * بثوب عفافى كاسيا متجردا
وقربنى حتى طربت الى النوى * وأوردنى حتى صديت الى الصدا
شهدت بان الشهد والمسك ريقه * وما كنت لولم أختبره لأشهدا
وأن السلاف البابلية لحظه * والا سلوا انسانه كيف عربدا

ومن حذا هذا الحذو ونسج على هذا المنوال ومشى فيه على طريق ماسلكها أحد قبله الصاحب بهاء الدين زهير فانه كتب الى كمال الدين بن العديم أبياتا معناها أنه انتخبه لقضاء حاجة له ولم يؤهل غيره لها وتخلص منها الى الغزل بما تجلى منه عرائس البيان ويظهر به الافتنان وهى

دعوتك لما أن بدت لى حاجة * وقلت رئيس مثله قد تفضلا
لعلك للفضل الذى أنت ربه * تغار فلا ترضى بأن تتبدلا
اذا لم يكن الا تحمل منة * فمنك وأما من سواك فلا ولا
* حملت زمانا عنكم كل كلفة * وخففت حتى آن لى أن أثقلا
ومن مذهبى المشهور مذ كنت أننى * لغير حبيب قط لن أتذللا *
وقد عشت دهرا ماشكوت لحادث * بلى كنت أشكو الاغيد المتدللا
وماهمت الا للصبابة والهوى * ولا خفت الا سطوة الهجر والقلا
أروح وأخلاقى تذوب حلاوة * وأغدو وأعطافى تسيل تغزلا

وقد طال الشرح ولكن رأيت الافتنان نوعا غريبا فطلبت بالكثرة زيادة ايضاحه ليستضئ المتأمل فى ظلمات الاشكال بنور مصباحه وبيت الشيخ صفى الدين

ما كنت قبل ظبا الالحاظ قط أرى * سيفا أراق دمى الا على قدم

كان المطلوب من الشيخ صفى الدين فى هذا النوع غير هذا النظم مع عدم تكلفه بتسمية النوع وأما العميان فانهم لم ينظموا هذا أيضا فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

كان افتنانى بثغر راق مبسمه * صار افتنانى بثغر فيه سفك دمى

الدرهم والدينار عن الدنيا والآخرة بهما يتوصل الى جنات النعيم ويخلد فى نار الجحيم قال الله تبارك وتعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وقد بلغنا من فساد النقود ما أكبرناه أشد الاكبار وأنكرناه أعظم الانكار لما نراه من الصلاح للعباد وتنويه من الخير للبلاد وتعرفنا فى ذلك ماربح للناس فى الزرع والضرع ويعود اليه أمر الضر والنفع الى كلمات لم تعلق بحفظنا فقلت ان الاكبار والانكار والعباد والبلاد وجنات النعيم ونار الجحيم والزرع والضرع أسجاع قد نبتت فى المعدة ولم تزل فى اليد وقد كتبت وكتبت ولا أطالبك بمثل ما أنشأت فافر أولئك اليد وناولته الرقعة فبقى وبقيت الجماعة وبهت وبهتت الكافة وقالوا الى اقرأ فجعلت اقرؤه منكوسا وأسرده معكوسا والعيون تزرق وتحار وكانت نسخة ما أنشأناه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الله شاء ان المحاضر صدور بها وعلاء المنابر ظهورها وتفرع الدفاتر وجوهها وتشق المحابر بطون لها ترشق آثارا كانت فيه آمالنا مقتضى على أياديه

وبيت

وبيت بديعيتي تغزلي وافتناني في شمائلهم * أضحى رثا الاصطباري بعد بعدهم

والجمع في افتنان هذا البيت بين النسيب الخالص والتعزية وكل من الشطرين مستقل بمعناه وهو جمع غريب والكناية عن موت الصبر بان التغزل أضحى رثاء له من ألطف الكنايات ويؤيد ذلك قولي بعد بعدهم ذكر ابن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير نوعا يسمى التمريج لم ينظمه أصحاب البديعيات وهو قريب من الافتنان ولكن بينهما فارق دقيق لان الافتنان لا يكون الا بالجمع بين فنين من أغراض المتكلم كما تقدم والتمريج بخالف ذلك وهو الجمع بين الفنون والمعاني والله تعالى أعلم

•(ذكر الاستدراك)•

•(فالوازري لك الحما بعد فرقتنا * فقلت مستدركا لكن على وضم)•

الاستدراك على قسمين قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد وقسم لا يتقدمه ذلك فمن أمثلة الاول قول القائل

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادي

قال ابن أبي الاصبع لم أسمع في هذا الباب أحسن من قول ابن دويدة المغربي يخاطب رجلا أودع بعض القضاة مالا فادعى القاضي ضياعه وهو

ان قال قد ضاعت فيصدق أنها * ضاعت ولكن منك يعني لو تعي
أو قال قد وقعت فيصدق أنها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

وممن تلطف في هذا الباب وأجاد للغاية القاضي الارجاني بقوله

غالطتني اذ كست جسمي ضنا * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

ولقد أحسن القائل في شكوى الزمان بقوله

ولي فرس من نسل أعوج سابق * ولكن على قدر الشعير بحمحم
وأقسم ماقصرت فيما يزيدني * علوا ولكن عند من اتقدم

وهذه كلها شواهد القسم الاول من الاستدراك وأما شواهد القسم الثاني وهو الذي لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد مثل قول زهير

أخو ثقة لا يهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

ومتى لم يكن في الاستدراك نكتة زائدة عن معنى الاستدراك لم تدخله في أنواع البديع والا فلا بعد بديعا ولا يخفى على الذوق السليم ما في بيت زهير من الزيادة على معنى الاستدراك بقوله ولكنه قد يهلك المال نائله فانه لو اقتصر على صدر البيت دل على أن ماله موفور وتلك صفة ذم فاستدرك ما يزيل هذا الاحتمال ويخلص الكلام للمدح المحض واذا تأمل الذائق بيت الارجاني متع ذوقه بحلاوة الادب من قوله ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما فالنكتة الزائدة على معنى الاستدراك لا تخفى الا على من حجب عن ذوق هذا العلم وهو من شواهد القسم الاول فانه قرر ما أخبرت به من قولها أنت عندي في الهوى مثل عيني ثم أكد بقوله صدقت ثم نكت بالزيادة على معنى الاستدراك التنكيت الذي يتطفل النسيم على رقته ولولاه ما سكن هذا النوع بيتا بديعيا ولا تأهل بعد غربته وأصحاب البديعيات على هذا المنوال نسجوا وأداروا كؤس السلافة على أهل الاذواق ومازجوها بلطف مزاجهم فامتزجوا والذي أقوله ان الشيخ صفي الدين حلا في هذا المنهل الصافي مورده وعلا في هذا السلك البديعي منظمه ومنضده وبيته

•(ذكر الاستدراك)•

في تأييده الله أدام الامير حري فاذا المسلمين ظهور عن الثقل هذا ورفع الدين أهل عن الكل هذا بحط أن في اليه نتضرع ونحن واقفة والتجارات زائفة والنقود صارفة أجمع الناس صارفقد كرعنا نظرا لينظر شيمه مصاب وانتجعنا كرمه بارقة وشمنا همه على آمالنا رقاب وعاقنا أحوالنا وجوه له وكشفنا آمالنا وفود اليه بعثنا فقد نظره بجميل يتداركنا أن ونعماه تأييده وأدام بقاءه الله أطال الجليل الامير رأي ان وصلى الله على محمد وآله الاخبار فلما فرغت من قراءتها انقطع ظهر أحد الخصمين وقال الناس قد عرفنا الترسل أيضا فلننا الى اللغة فقلت يا أبا بكر هذه اللغة التي هددتنا بها وحدثتنا عنها وهذي كتبها وتلك مؤلفاتها خذ غريب المصنف ان شئت واصلاح المنطق ان أردت وألفاظ ابن السكيت ان نشطت ومجمل اللغة ان اخترت فهو ألف ورقة وأدب الكاتب ان أردت واقترح علي أي باب شئت من هذه الكتب حتى أجعله لك نقدا واسرده عليك سردا

رجوت أن يرجعوا يوماوقد رجعوا • عند العتاب ولكن عن وفاذممي

فانه قرر ما أخبر به قبل الاستدراك وأكده بقوله وقد رجعوا وفي قوله عند العتاب تكميل بديعي وأما العميان فانهم ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت عز الدين

فكم جبت بالاستدراك ذا أسف • لكن عن المشتهى والبرء من سقمي

وأما هذا البيت فانه عاص بقاق البناء مع عقادة التركيب وبيت بديعيتي

قالوا ترى لك لحما بعد فرقتنا • فقلت مستدركا لكن على وضم

وفي انصاف أهل العلم والذوق السليم ما يغني عن التطويل في محاسن هذا البيت

(ذكر الطي والنشر)

(والطي والنشر والتغيير مع قصر • للظهر والعظم والاحوال والهمم)

الطي والنشر هو أن تذكر شيئين فصاعدا اما تفصيلا فتنص على كل واحد منهما واما اجمالا فتأتي بلفظ واحد يشتمل على متعدد وتفوض الى العقل رد كل واحد الى ما يليق به لا أنك تحتاج أن تنص على ذلك ثم ان المذكور على التفصيل قسمان قسم يرجع الى المذكور بعده على الترتيب من غير الاضداد لتخرج المقابلة فيكون الاول للاول والثاني للثاني وهذا هو الاكثر في اللف والنشر والاشهر وقسم على العكس وهو الذي لا يشترط فيه الترتيب ثقة بأن السامع يرد كل شيء الى موضعه تقدم أو تأخر وأما المذكور على الاجمال فهو قسم واحد لا يتبين فيه ترتيب ولا عكس مثاله ان يقول لي منه ثلاثة بدر وغصن وظبي فحصل من هذا ان اللف والنشر على ثلاثة أقسام واذا كان المفصل المرتب في اللف والنشر هو المقدم نبدأ بشواهده فمنه بين شيئين قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فالسكون راجع الى الليل والابتغاء راجع الى النهار ومنه قول الشاعر ألست أنت الذي من ورد نعمته • وورد راحته أجني واغترف

وقد جمع هذا البيت مع حشمة الالفاظ بين جناس التحريف والاستعارة واللف والنشر وما ألطف قول شمس الدين محمد بن دانيال الحكيم

ماعاينت عيناي في عطلتي • أقل من حظي ومن بختي
قد بعت عبدي وحماري وقد • أصبحت لا فوقي ولا تحتي

ومن غراميات البهاء زهير

ولي فيك قلب بالغرام مقيد • له خبر يرويه طرفي مطلقا
ومن فرط وجدي في لماه وثغره • أعلل قلبي بالعذيب وبالنقا

ومثله قوله يا ردفه يا خصره • من لي بنجد أو تهامه

ومثله قول ابن نباتة له قلب ولي دمع عليه • فهذا قاسيون وذا يزيد

ومثله قوله مع زيادة التورية

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا • يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة في البرايا • تلك غزالة وذي قتاله

ومثله قوله مع زيادة التورية

سألته عن قومه فانثنى • يعجب من اسراف دمعي السخي
وأبصر المسك وبدر الدجى • فقال ذا خالي وهذا أخي

ولابن حيوس بين ثلاثة وثلاثة

ومقرطق يغني النديم بوجهه • عن كاسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها • من مقلتيه ووجنتيه وريقه

(ذكر الطي والنشر)

فقال قرأ من اغرب ب المصنف رجل ماس خفيف على مثال مال وما أمساه فاندفعت في الباب حتى قرأته فلم أتردد فيه وأتيت على الباب الذي يليه ثم قلت اقترح غيره فقالوا كفي ذلك فقلت له اقرأ الآن باب المصادر من اخبار فصيح الكلام ولا أطالبك بسواه ولا أسألك عما عداه فوقف حماره وخمدت ناره وقال الناس اللغة مسلمة لك أيضا فهات غيره فقلت يا أبا بكر هات العروض فهو أحد أبواب الادب وسردت منه خمسة أبحر بالقابها وأبياتها وعللها وزحافها فقلت هات الآن فاسرد كما سردته فلما برد ضجر الناس وقاموا عن المجلس يفدونني بالامهات والآباء ويشيعونه باللعن والسب وقام أبو بكر فغشي عليه وفت اليه فقلت

يعز علي في الميدان أني • قتلت مناسبي جلدا وقهرا
ولكن رمت شيئا لم يرمه • سواك فلم أطق يا ليث صبرا

وقبلت عينه ومسحت وجهه وقلت أشهد أن الغلبة له فهلا يا أبا بكر

قوله عبدي في نسخة ثوبي بدل من عبدي وهو اللائق

ومثله قول ابن الرومى

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم • فى الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح • تجلو الدجى والاخريات رجوم

ومثله قول حيدة الاندلسيه وهو

ولما أبى الواشون الافراقنا • ومالهم عندى وعندك من ثار
غزوناهم من ناظريك وأدمعى • وأنفاسنا بالسيف والسيل والنار

قال الشيخ شهاب الدين أبو جعفر الاندلسى نزيل حلب وقد أورد هذين البيتين فى شرحه على بديعية صاحبه أبى عبد الله محمد بن جابر الاندلسى ان حيدة كانت من ذوى الالباب وفحول أهل الآداب حتى ان بعض المتحلين تعلق بهذه الاهداب وادعى نظم هذين البيتين لما فيهما من المعانى والالفاظ العذاب وما غره فى ذلك الا بعد ديارها وخلو هذه البلاد من أخبارها وقد تلبس بعضهم بشعارها وادعى هذا من أشعارها وهو قولها

وقانا لفحة الرمضاء روض • وقاه مضاعف الطل العميم
تظل غصونه تحنو علينا • حنو الوالدات على الفطيم
وأسقانا على ظماز لالا • ألذ من المدامة للنديم
تروع حصاه حالية الغوانى • فتلمس جانب العقد النظيم

فهذه الابيات نسبوها الى المنازى من شعرائهم وركبوا التعصب فى جادة ادعائهم وهى أبيات لم يحكها غير لسانها ولا رقم بردها غير حسانها وقد رأيت بعض المؤرخين من أهل بلادنا أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازى من العدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود انتهى كلام الشيخ شهاب الدين المذكور • ومنه بين ثلاثة وثلاثة قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى وعفا عنه آمين

عرج على حرم المحبوب منتصبا • لقبلة الحسن واعذرنى على سهرى
وانظر الى الخال فوق الخد تحت لمى • تجد بلالا يراعى الصبح فى السحر

ومنه بين أربعة وأربعة

ثغر وخد ونهد واحمرار يد • كالطلع والورد والرمان والبلح ٣

ومثله قول شمس الدين بن العفيف رحمه الله تعالى

رأى جسدى والدمع والقلب والحشا • فاضنى وأفنى واستمال وتيما

ومثله قولى من قصيدة

مس محياه والدلال ومسك الخال والثغر ياشيوخ البديع
انظروا فى التكميل واللف والنشر وحسن الختام والترصيع

وللشيخ شهاب الدين أبى جعفر الشارح المذكور بين خمسة وخمسة ولكن لم يخل من التعسف وهو

ملك يحيى بخمسة من خمسة • كفى الحود بها فات لمابه
من وجهه ووقاره وجواره • وحسامه بيديه يوم ضرابه
قمر على رضوى تسير به الصبا • والبرق يلمع من خلال سحابه

ولابن جابر ناظم البديعية بين ستة وستة

ان شئت ظبيا أو هلالا أو دجى • أو زهر غصن فى الكثيب الاملد
فللعظها ولوجهها واشعرها • ولخدها وارالقد والردف اقصد

صبرنا على الاملد لكونه صفة الكثيب ولكن لم نصبر على دخول القصد فانه زيادة اجنبية وقد جمع قاضى القضاة نجم الدين عبد الرحيم بن البارزى بين سبعة وسبعة

جئتنا من باب الخلاطة وفى باب العشرة وتفرق الناس وحبسنا للطعام مع أفاضل ذلك المقام ولما حلقنا على الخوان كرعت فى الجفان واسرعت الى الرغفان وأمعنت فى الالوان وجعل هذا الفاضل يتناول الطعام بأطراف الاظفار ولا يأكل الا قضما ولا ينال الا شماوهو مع ذلك ينطق عن كبد حرا ويفيض عن نفس ملأى فقلت ياأبا بكر بقيت لك منة وفيك مسكة (ياقوم انى ارى الاموات قد نشروا • والارض تلفظ موتاكم اذا قبروا) فأخبرنى ياأبا بكر لم غشى عليك فقال لحمى الطبع وحمى الفرو فقلت أين أنت عن السجع هلا قلت حمى الطبع وحمى الصفع وقال السيد أبو القاسم أيها الاستاذ أنت مع الجد والهزل تغلبه فقلت لاتظلموه ولا تطعموه طعاما يصير فى بطنه مغصا وفى عينه رمصا وفى جلده رصا وفى حلقه غصصا فقال أبو بكر هذه اسجاع كنت حفظتها فقل كما أقول يصير فى عينك قذى وفى حلقك اذى وفى صدرك شجى فقلت ياأبا بكر على الالف تريد خذ الآن بفيك البرا

٣ قوله والبلح فى نسخ والوهج وحرر الروى

يقطع بالسكين بطيخة ضحى • على طبق فى مجلس لأصاحبه
كبدر ببرق قد شمسا أهلة • لدى هالة فى الافق بين كواكبه

قال شهاب الدين المذكور فى شرح بديعية صاحبه ابن جابران اللف والنشر فى هذين البيتين غير كامل التفصيل لانه نص فى اللف على ستة ونص فى النشر على سبعة وكل منهما راجع الى منصوص عليه فى اللف الا الاهلة فانه راجع الى الاشطار وهى غير مذكورة فى اللف قلت هذا يفهم من قوله يقطع قال الشيخ شهاب الدين قوله ضحى فى بيت اللف مطرح لا نظير له فى النشر قلت ضحى ليس لها فى الحسن نظير فانه جعل البطيخة شمسا وهى أنور من قول صاحبه فى بيته أملدوا قصد فانه لم ينص عليهما فى اللف وهما أجنبيان مما نحن فيه ووصلوا فى الجمع بين اللف والنشر المفصل المرتب الى اثنى عشر لكن تكلفوا وتعسفوا وأتوا به فى بيتين ولم تسفر لهم وجوه المعانى المسفرة عن بهجة ولابن بلدتنا الشيخ علاء الدين بن مقاتل مالك أزمة الزجل وقد تقدم ذكره فيما أوردته من أزجاله على الجناس المقلوب واللفظى الجمع فى اللف والنشر بين ثمانية وثمانية مع عدم الحشو والفرار من التعسف وصحة الانسجام وهو

خد ودواصداغ وقد ومقلة • وثغر وارياق ولحن ومعرب
فورد وسوسان وبان ونرجس • وكاس وجريال وجنك ومطرب

ومما سمعت فى هذا النوع وفيه الجمع بين عشرة وعشرة قول بعضهم

شعر جنين محيا معطف كفل • صدغ فم وجنات ناظر ثغر
ليل صباح هلال بانة ونقا • آس أقاح شقيق نرجس در

وجل القصد هنا ان يكون اللف والنشر فى بيت واحد خاليا من الحشو وعقادة التركيب جامعا بين سهولة اللفظ والمعانى المخترعة انتهى الكلام على اللف والنشر المفصل المرتب • وأما القسم الذى هو العكس أعنى غير المرتب فكقول الشاعر

كيف أسلو وأنت حقف وغصن • وغزال لحظا وقدا وردفا

فعدم الترتيب ظاهر فى البيت وأما القسم المذكور على الاجمال فهو قسم واحد لا يتبين فيه ترتيب ولا عكس كما تقدم ومثله قول ابن سكرة فى بيت الكافات الشتائية

جاء الشتاء وعندى من حوائجه • سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا • مع الكباب وكس ناعم وكسا

وظريف هنا قول من قال

جاء الصفاع وعندى من حوائجه • سبع اذا الصفع فى ميدانه وقفا
نطع وطرق وزربول وغاشية • وركوة وجراب ناعم وقفا

ففى قوله بعد ماذكره من آلات الصفع وقفا غاية فى اللطف وقوة فى تمكين القافية انتهى الكلام على اللف والنشر المفصل المرتب وعلى غيره • وأما أصحاب البديعيات فانهم ما نظموا الا المفصل المرتب لانه المقدم عند علماء البديع فى هذا الباب ولم يأتوا به الا فى بيت واحد بحيث يكون مثالا شاهدا على هذا النوع وماشيا على سنن الابيات المفردة المشتملة على أنواع البديع وبيت صفى الدين غاية فى هذا الباب لما اشتمل عليه من السهولة والرقة وعدم الحشو وهو قوله

وجدى حنينى أنينى فكرتى ولهى • منهم اليهم عليهم فيهم بهم

والعميان لم يأتوا بهذا النوع الا فى بيتين مع عقادة التركيب ولقد حبست عنان القلم عن الكلام عليهما لكونهما من جملة مديح النبى صلى الله عليه وسلم وهما

حيث الذى ان بدا فى قومه وحبى • عفاته ورمى الاعداء بالنقم

وعلى هامتك الثرى ولا أطعمك الخرا الامن وراء كاثرى فقال أيها الاستاذ السكوت أولى بك ومالوا الى وقالوا اما يكت فأسمح فأبى أبو بكران يبقى لنفسه حمة لم ينفضها أو يدخر علينا كلمة لم يعرضها فقال والله لاتركنك بين الممات فقلت مامعنى الممات فقال بين مهزوم ومهذوم ومهشوم ومغموم ومحموم ومرجوم فقلت وأتركك بين الممات أيضا بين الهيام والصدام والجذام والحمام والزكام والسام والبرسام والهام والسقام وبين السينات فقد علمنا طريقة بين منحوس منخوس منكوس معكوس متعوس محسوس معروس وبين الخاآت فقد فتحت علينا بابا بين مطبوخ مشدوخ منسوخ ممسوخ مفسوخ وبين الباآت فقد علمتنى الطعن وكنت ناسيا بين مغلوب ومسلوب ومرعوب ومصلوب ومركوب ومنكوب ومنهوب ومغصوب وان شئنا كلنا بهذا الصاع وطاولنا بهذا الذراع وعرضنا عليك من هذا المتاع وكاثرناك بهذه الانواع ثم خرجت واحتجر فقد كان اجتمع الناس وغلث السكروش ولما خرجت لم

فالبدر

فالبدر فى شبهه والغيث جاد لذى * محل وليث الشرى قد جال فى الغنم

وبيت عز الدين الموصلى

نشر ويسر وبشر من شذا وندى * وأوجه فتعرف طى نشرهم

قوله فتعرف طى نشرهم ليس له نص فى اللف لانه نص فيه على ثلاثة وعجز عن ترتيب اللف والنشر فى نص اللف وعلى كل تقدير فلا بد له من تسمية النوع فسماه ولكن أتى به فضلة ولو التزم الشيخ صفى الدين أن يسمى هذا النوع البديعى فى بيته لتجافت عليه تلك الرقة وبيتى

فالطى والنشر والتغيير مع قصر * للظهر والعظم والاحوال والهمم

فالطى والنشر فى نص اللف قبالة الظهر والعظم والتغيير مع القصر قبالة الاحوال والهمم هذا مع زيادة العدة على الشيخ عز الدين وعدم التكلف ولولا الالتزام بتسمية النوع ومراعاة السهولة والانسجام وصلت الى أكثر من هذه العدة

(ذكر الطباق)

(بوحشة بدلوا انسى وقد خفضوا * قدرى وزادوا علوا فى طباقهم)

المطابقة يقال لها التطبيق والطباق والمطابقة فى اللغة ان يضع البعير رجله فى موضع يده فاذا فعل ذلك قيل طابق البعير وقال الاصمعى المطابقة أصلها وضع الرجل موضع اليد فى مشى ذوات الاربع وقال الخليل بن أحمد يقال طابقت بين الشيئين اذا جمعت بينهما على حد واحد انتهى وليس بين تسمية اللغة وتسمية الاصطلاح مناسبة لان المطابقة فى الاصطلاح الجمع بين الضدين فى كلام أو بيت شعر كالايراد والاصدار والليل والنهار والبياض والسواد وليس فى الالوان ما تحصل به المطابقة غيرهما أعنى البياض والسواد فقد قال الرمانى وغيره البياض والسواد ضدان بخلاف بقية الالوان لان كلا منهما اذا قوى زاد بعدا من صاحبه انتهى واذا ألحقوا بقية الالوان بالمطابقة فالتدبيج أحق منها بذلك فانهم أوردوا فى المطابقة من التدبيج قول ابن حيوس على جهة الكناية فانخر بعم جود يمينه * وأب لا فعال الدنية آبى

ببياض عرض واحمرار صوارم * وسواد نقع واخضرار رحاب

وقد تقرر أن المطابقة الجمع بين الضدين عند غالب الناس سواء كانت من اسمين أو من فعلين أو من غير ذلك وقال الاخفش وقد سئل عنها أجد قوما يختلفون فيها فطائفة وهم الاكثر انها الشئ وضده وطائفة يزعمون انها اشتراك المعنيين فى لفظ واحد منهم قدامة بن جعفر الكاتب وأوردوا فى ذلك قول زياد الاعجم

ونبئتهم يستنصرون بكاهل * وللؤم فيهم كاهل وسنام

فكاهل الاول اسم رجل والثانى العضو المعروف فاللفظ واحد والمعنيان مختلفان وهذا هو الجناس التام بعينه وقال الاخفش من قال ان المطابقة اشتراك المعنيين فى لفظ واحد فقد خالف الخليل والاصمعى فقيل أو كانا يعرفان ذلك فقال سبحان الله من أعلم منهما بطيبه وخبيثه وما أحسن ما أتى الاخفش فى الجواب بالمطابقة (ومنهم) من أدخل المقابلة فيها وليس عالج اذ لم يبق للفرق بينهما محل فان السكاكى قال المقابلة ان تجمع بين شيئين فأكثر وتقابل بالاضداد ثم اذا شرطت هنا شيأ شرطت هناك ضده والمطابقة هى الاتيان بلفظتين والواحدة ضد الاخرى وكان المتكلم طابق الضد بالضد اقدشنى زكى الدين بن أبى الاصبع القلوب فيما قرره فانه قال المطابقة ضربان ضرب يأتى بألفاظ الحقيقة وضرب يأتى بألفاظ المجاز فما كان بلفظ الحقيقة سمى طباقا وما كان بلفظ المجاز سمى تكافؤا (فمثال التكافؤ) وهو من انشادات قدامة

حلو الشمائل وهو مر باسل * يحمى الذمار صبيحة الارهاق

يلقونى الا بالشفاه تقبيلا وبالافواه تبجيلا وانتظروا خروجه الى ان غابت الشمس ولم يظهر أبو بكر حتى حضره الليل بجنوده وخلع الظلام عليه فروته فهذا ما علقناه عن المجالس وأدبناه والسيد أطال الله بقاءه يقف عليه ان شاء الله (تم ما أملاه أبو الفضل من مناظرته مع أبى بكر الخوارزمى وكتب اليه بعض من نزل عن ولاية حسنه يستمد وداده ويستميل فؤاده فأجابه عما نبهته وردت رقعتك فأعرتها طرف التعزز ومددت اليها يد التقزز وجمعت عنها ذيل التحرز فلم تند على كبدى ولم تحظ بناظرى ويدى وخطبت من مودتى مالم أجدك لها كفؤا وطلبت من عشرتى مالم أرك لها رضا وقلت هذا الذى رفع عنا أجفان طرفه وشال بشعرات أنفه وتاه بحسن قده وزها بورد خده ولم يسقنا من نوئه ولم نسر بضوئه والآن اذ نسخ الدهرية حسنه وأقام مائد غصنه وفثأ غرب عجبه وكف زهو زهره وانتصر لنا منه بشعرات كسفت هلاله واكسفت باله ومسخت جماله وغيرت

فقوله حلو ومر يجرى مجرى الاستعارة اذ ليس فى الانسان ولا فى شمائله ما يذاق بحاسة الذوق ومن أمثلة التكافؤ قول ابن رشيق وهو حسن

وقد أطفؤا شمس النهار وأوقدوا ✽ نجوم العوالى فى سماء عجاج

ومثله

ان هذا الربيع شئ عجيب ✽ تضحك الارض من بكاء السماء

ذهب حيثما ذهبنا ودر ✽ حيث درنا وفضة فى الفضاء

وما أحلى قول القائل فى هذا الباب

اذا نحن سرنا بين شرق ومغرب ✽ تحرك يقظان التراب ونائمه

فالمطابقة بين اليقظان والنائم ونسبتهما الى التراب على سبيل المجاز وهذا هو التكافؤ عند ابن أبى الاصبع واما المطابقة الحقيقية التى لم تأت بغير الفاظ الحقيقة فأعظم الشواهد عليها قوله تعالى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى وكقول النبى صلى الله عليه وسلم للانصار رضى الله تعالى عنهم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع فانظر الى هذه البلاغة النبوية والمناسبة التامة ضمن المطابقة ومن الشواهد الشعرية قول الحماسى

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد ✽ لنفسى حياة مثل أن أتقدما

(ولآخر)

لئن ساءنى أن نلتنى بإساءة ✽ لقد سرنى أنى خطرت ببالك

ولآخر فى وصف فرس وأجاد

وأرى الوحش فى يمينى اذاما ✽ كان يوما عنانه بشمالى

والمعجز الذى لا تصل اليه قدرة مخلوق قوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات فانظر الى عظم هذه المطابقة ومافيها من الوجازة ✽ ومن ذلك فى الحديث قول النبى صلى الله عليه وسلم فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة للكبر ومن الحياة للممات فوالذى نفسى بيده مابعد الحياة مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة والنار انتهى ماقررته فى المطابقة لغة واصطلاحا وما أوردته من الفرق بينها وبين التكافؤ على رأى ابن أبى الاصبع (ولهم مطابقة السلب بعد الايجاب) وهى المطابقة التى لم يصرح فيها باظهار الضدين كقوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فالمطابقة حاصلة بين ايجاب العلم ونفيه لانهما ضدان ومثله قول البحترى

يقيض لى من حيث لا أعلم النوى ✽ ويسرى الىّ الشوق من حيث أعلم

فالمطابقة باطنة ومعناها ظاهر فان قوله لا أعلم كقوله جاهل والسابق الى هذا امرؤ القيس بقوله

جزعت ولم أجزع من البين مجزعا ✽ وعزيت قلبا بالكواعب مولعا

فالمطابقة حاصلة بين ايجاب الجزع ونفيه ومن المستحسن فى ذلك قول بعضهم

خلقوا وما خلقوا لمكرمة ✽ فكأنهم خلقوا وما خلقوا

رزقوا وما رزقوا سماح يد ✽ فكأنهم رزقوا وما رزقوا

ومثله قول بشر بن هرون وقد ظهر منه الفرح عند الموت فقيل له أتفرح بالموت فقال ليس قدومى على خالق أرجوه كمقامى عند مخلوق لا أرجوه فالمطابقة حاصلة بين ايجاب الرجاء ونفيه انتهى الكلام على مطابقة السلب بعد الايجاب (ولهم ايهام المطابقة) كما لهم ايهام التورية والشاهد على ايهام المطابقة قول الشاعر

يبدى وشاحا أبيضا من سيبه ✽ والجو قد لبس الوشاح الاغبرا

فان الاغبر ليس بضد الابيض وانما يوهم بلفظه أنه ضده ومثله قول دعبل

حاله وكدرت شرعنه جاء يستقى من حرفنا حرفا ويغرف من طيبنا غرفا فمهلا يا أبا الفضل مهلا أرغبت فينا اذ علا لنا الشعر فى خدخل وخرجت عن حد الظبا وصرت فى حد الابل الآن تطلب عشرتى عد للعداوة يا خجل وتناسيت أيامنا اذ تكلمنا تزاورا ولحظنا شزرا وتجالس من حضر ونسترق اليك النظر ونهتز لكلامك ونهش لسلامك (ومن لك بالعين التى كان مدة اليك بها فى سالف الدهر ينظر) أيام كنت تمايل والاعضاء تتزايل وتتغانج والاجساد تتفالج وتتلفت والاكباد تتفتت وتخطر وترفل والوجد يعلو بنا ويسفل وتدبر وتقبل فتمنى وتخبل وتصد وتعرض فتضنى وتمرض (وتبسم عن المى كان منورا تخلل حر الرمل غض له ندى) فاقصر الآن فانه سوق كسد ومتاع فسد ودولة عرضت وأيام انقضت وعهد نفاق مضى وخطب كساد نزل وخد كان لم يكن وحظ كان لم يزل ويوم صار أمس وحسرة بقيت فى النفس وثغر غاض ماؤه فلا رشف وريق خدع فلا نشغف وتمايل لا يعجب

لا تعجبي يا سلم من رجل • ضحك المشيب برأسه فبكى

فالضحك هنا من جهة المعنى ليس بضد البكاء لانه كناية عن كثرة الشيب ولكنه من جهة اللفظ يوهم المطابقة (ولهم) الملحق بالطباق وهو راجع الى الضدين كقوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم طابق الاشداء بالرحماء لان الرحمة فيها معنى اللين ومثله قوله تعالى مما خطاياهم أغرقوا فأدخلوا نارا فالمطابقة بين الغرق ودخول النار فان من دخل النار احترق والاحتراق ضد الغرق (ومنه) قول الحماسي لهم جل مالي ان تتابع لي غنى • وان قل مالي لا أكلفهم رفدا

في قوله تتابع لي غنى معنى الكثرة وأما قول أبي الطيب

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها • سرور محب أو اساءة مجرم

فتفق عليه انه من الطباق الفاسد فان المجرم ليس بضد للمحب بوجه ما ليس للمحب ضد غير المبغض انتهى وذكروا في آخر الباب (طباق الترديد) وهو أن ترد آخر الكلام المطابق على أوله فان لم يكن الكلام مطابقا فهو من رد الاعجاز على الصدور ومنه قول الاعشى

لا يرقع الناس ما أوهوا وان جهدوا • طول الحياة ولا يوهون ما رقعوا

وجل القصد في هذا الباب المطابقة في الحقيقة التي قررها ابن أبي الاصبع وتقدم ذلك في أول الباب مع الشواهد عليه ومثله قول بشار

اذا أيقظتك حروب العدا • فنبه لها عمرا ثم نم

ومن لطيف هذا الطباق ما أورده القاضي جلال الدين القزويني في ايضاحه على تلخيصه وهو قول القاضي الارجاني ولقد نزلت من الملوك بماجد • فقر الرجال اليه مفتاح الغنى

والذي أقوله ان المطابقة التي يأتي بها الناظم مجردة ليس تحتها كبير أمر ونهاية ذلك أن يطابق الضد بالضد وهو شئ سهل اللهم الا أن تترشح بنوع من أنواع البديع تشاركه في البهجة والرونق كقوله تعالى تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ففي العطف بقوله تعالى وترزق من تشاء بغير حساب دلالة على أن من قدر على تلك الافعال العظيمة قدر على ان يرزق بغير حساب من شاء من عباده وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الرب سبحانه وتعالى فانظر الى عظم كلام الخالق هنا فقد اجتمع فيه المطابقة الحقيقية والعكس الذي لا يدرك لوجازته وبلاغته ومبالغة التكميل التي لا تليق بغير قدرته ومثل ذلك قول امرئ القيس

مكر مفر مقبل مدبر معا • كجلمود صخر حطه السيل من عل

فالمطابقة في الاقبال والادبار ولكنه لما قال معا زادها تكميلا في غاية الكمال فان المراد بها قرب الحركة في حالتي الاقبال والادبار وحالتي الكر والفر فلو ترك المطابقة مجردة من هذا التكميل ما حصل لها هذه البهجة ولا هذا الموقع ثم انه استطرد بعد تمام المطابقة وكمال التكميل الى التشبيه على سبيل الاستطراد البديعي ولم يكن قد ضرب لانواع البديع في بيوت العرب وتد ولا امتد له سبب وقد اشتمل بيت امرئ القيس على المطابقة والتكميل والاستطراد على طريقة فان ابن المعتز قال هو ان يكون المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق التشبيه الى معنى آخر وممن كسا المطابقة ديباجة التورية أبو الطيب المتنبي حيث قال

برغم شبيب فارق السيف كفه • وكانا على العلات يصطحبان

كان رقاب الناس قالت لسيفه • رفيقك قيسي وأنت يماني

لعمري لقد رفع أبو الطيب قدر المطابقة وأزال حقارتها بمجاورة هذا النوع البديعي الذي عظم عند أهل الادب قدرا ومثله قول الصاحب بن عباد في رثاء الوزير كثير بن أحمد

وتبن لا يطرب ومقلة لا تجرح ألحاظها رشفة لا تفتن ألفاظها ختام تدل والام ولم تحتمل وعلام وآن أن تدعن الآن وقد بلغني الآن ما أنت متعاطيه من تمويه يجوز بعد الامثال في الغسق وتشبيه يفتضح عند ذوي البصر وافتنانك لتلك الشعرات حفا وحصا واسباغك لها نتفا وقصا وسيكفينا الدهر مؤنة الانكار عليك بما يرنق اليك من بنات الشعر وامهاته فاما ما استأذنت رأيي فيه من الاختلاف الى مجالسي فما أقل نشاطي لك وأضيق بساطي عنك واشبع قلبي منك واشد استغنائي عن حضورك فان حضرت فانت كغاش تروض عليه الحلم وتتعلم به الصبر وتتكلف فيه الاحتمال وتغضي منه الجفن على قذى وتطوي منه الصدر على أذى وتجعله للعيون تأديبا وللقلوب تأنيبا مالك يا أبا الفضل تعتاض من الرغبة عنا رغبة فينا ومن ذلك التدلل علينا تذللا لنا ومن ذلك التعالي تبصصا ومن ذلك التغالي ترخصا وما بال الدهر أبدلك من التزايد تنقصا ومن التصعب على الاخوان تقمصا ولئن اعتضت عن

يقولون قد أودى كثير بن أحمد • وذلك رزء فى الانام جليل
فقلت دعونى والعلا نبكه معا • فمثل كثير فى الانام قليل

وأبو تمام كساها ديباجة المجانسة بقوله

بيض الصفائح لاسود الصحائف فى • متونهن جلاء الشك والريب

وما أحلى قول الارجانى من قصيدة

تعلق بين الهجر والوصل مهجتى • فلا أربى فى الحب أقضى ولا نحبى

فشد أزر المطابقة ببديع اللف والنشر وأهلها بغريب هذا المعنى بعد ما سال رقة وعلق بخاطرى من هذه القصيدة فلا تعجب أنى عشت بعدهم • فانهم روحى وقد سكنوا قلبى

ومنها وحرف نجوب القاع والوهد والربا • كحرف مديم الجر والرفع والنصب
نجائب يقدحن الحصى كل ليلة • كان بايديها مصابيح للركب

ومن المطابقة باللف والنشر أيضا قول شيخ شيوخ حماة المحروسة

ان قوما يلحون فى حب ليلى • لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها ولاموا عليها • أخذوا طيبا وردوا خبيثا

ومثله قوله يخاطب العاذل أرائك بخيلا بعونى فهبنى • سكوتك عنى اذا لم تعنى
ذممت الهوى ورجوت السلو • فابكيت عينى وأضحكت سنى

ومثله قوله ياوجوها ازانت سناها فروع • حالكات أغنتكم عن حلاكم
لى من حسنكم نهار وليل • أنعم الله صبحكم ومساكم

ومثله قوله من قصيد توغل حرقتى أجرى دموعى • فقل ماشئت فى دخل وخرج

ومنه قول أبى حفص المطوعى فى الباب

أوما ترى نور الخلاف كأنه • لما بدا للعين نور وفاق

فالمطابقة هنا بزيادة التورية مع الاستعارة البديعة ويعجبنى قوله بعد هذا البيت

كأكف سنور ولكن نشره • يسعى بفأر المسك فى الآفاق

وأما سحر البلاغة هنا فقول القاضى الفاضل

دام صاحى وداده عمر الدهر جنينا السكرى النشوان

انظر أيها المتأمل ما أبدع ما أبرز المطابقة فى حلل هاتين الاستعارتين الغريبتين وما ألطف ما أبدع معنى المطابقة بقوله بعدها

وبنات الصدور أوقع فيما • زعم المجد من بنات الدنان

فالفاضل أبرز هذه المطابقة فى حلل الاستعارة ولكن من أين للمستعير صحو الوداد ونشوة السكر سبحان المانح ماهذه الامواهب ربانية وأما الذين تقدم القول بالاقتداء برأيهم فى هذا الفن فانهم ما أبرزوها الا فى شعار التورية فمن ذلك قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى موصول

وناطقة بالنفخ عن روح ربها • تعبر عما عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت • فنحن سكوت والهوى يتكلم

فانه جمع بين التورية والتضمين والمطابقة وما أحلى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض فى المطابقة بالتورية فى قوله أرج النسيم سرى من الزوراء • سحرا فاحيا ميت الاحياء

ومثله قول الوداعى فى قصيد وهو فى غاية الحسن

يفتن بالفاتر من طرفه • وريقه البارد يا حار

وما ألطف قول الشيخ شمس الدين الواسطى فى دوبيت

ذلك الدهاب رجوع القصد اعتضنا عن هذا النزاع نزوعا فأنا برحالك وجانبك ملقى حبلك على غاربك لا أوثر قربك ولا أنده سربك ولو أحببت ان أوجعك لقلت

مايفعل الله باليهود
ولا بعاد ولا ثمود
ولا بفرعون اذ عصاه
مايفعل الشعر بالحدود

• (وله أيضا الى الشيخ أبى جعفر الميكالى) •

الامير الفاضل الرئيس رفيع مناط الهمة بعيد منال الخدمة فسيح مجال الفضل رحيب مخترق الجود • طيب معجم العود

ولو نظمت الثريا
والشعريين قريضا
وكامل الارض ضربا
وشعب رضوى عروضا
وصفت للدر ضدا
أو للهواء نقيضا
بل لو جلوت عليه
سود الذوائب بيضا
أو ادعيت الثريا
لاخمصيه حضيضا
والبحر عبد اللهاه
عند العطاء مغيضا

لما كنت الا فى ذمة القصور وجانب التقصير فكيف وأنا قاعد الحال فى المدح قاصر الآلة عن الشرح ولكنى أقول الثناء منجح انى سلك والسخى جوده عاملك وان لم تكن غرة لائحة فلامعة دالة وان

ان ضمرني بجذوة التذكار * حي وبرى عظمي شكرت الباري
فالعاذل في هواي لا عقل له * ما أبلد عاذلي وأذكى ناري

ومثله قول سراج الدين الوراق

وبي من البدو كحلاء الجفون بدت * في قومها كمهاة بين آساد
فلو بدت لحسان الحضر قلن لها * على الرؤس وقلن الفضل للبادي

ومثله قول أبي الحسين الجزار

أمولاي ما من طباعي الخروج * ولكن تعلمته من خمولي
أتيت لبابك أرجوا الغنى * فأخرجني الضرب عند الدخول

ومثله قول الوداعي في مطلع قصيد

ما كنت أول مغرم محروم * من باخل بادي النفار كريم

ومثله قول مجير الدين بن تميم

لما لبست لبعده ثوب الضنا * وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
أجريت واقف مدمعي من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

وكتبت من هذا النوع الى القاضي كمال الدين بن النحاس وكيل بيت المال بدمشق المحروسة

كمال الدين يا مولاي يا من * يغير البحر من بذل النوال
أيجمل أن يقول الناس اني * أتيت لحاجة لم تقضها لي
وأصبح بينهم مثلا لاني * أتاني النقص من جهة الكمال

ومثله قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى

اني اذا آنست هما طارقا * عجلت باللذات قطع طريقه
ودعوت ألفاظ الحبيب وكأسه * فنعمت بين حديثه وعتيقه

ومثله قوله

قصدت معاليك أرجوا الندى * وأشكوا من العسر داء دفينا
فما كان بيني وبين اليسار * سوى أن مددت اليك اليمينا

ومثله قوله

حزني من مهفهف القد رام * أسهم اللحظ ما أسد وأرشق
كلما قلت يفتح الله بالوصل * رماني من سحر عينيه بغلق

ومثله قوله

ان أساء الحبيب قامت بعذر * وجنة منه فوقها شامات
بالها وجنة أقابل منها * حسنات يمحي بها سيآت

ومثله قوله

قام غلام الامير يحسب في * يوم طهور البنين طاوسا
فازل الحاضرون من شبق * وعاد ذاك الطهور تنجيسا

وما ألطف قوله من هذا النوع

يا غائبين تعللنا لغيبتكم * بطيب لهو ولا والله لم يطب
ذكرت والكاس في كفي لياليكم * فالكاس في راحة والقلب في تعب

ومثله قوله في براعة قصيد * يوم صحو فاجعله لي يوم سكر * وما أحلى ما قال بعده في الشطر الثاني * فأدر لي كأسي رضاب وخمر * منها ولم يخرج عما نحن فيه

جفن عينيه فاتر مستحي * انما خده المشعشع جمري

ومثله قوله من قصيد

فريد وهو فتان التثني * فيالله من فرد تثنى

وله في روضة من قصيدة

مطابقة الاوصاف أما نسيمها * فصح وأما ماؤها فتكسرا

انظر ما أحسن تصريحه بالنوع هنا في قوله مطابقة الاوصاف * ومثله قول الشيخ برهان الدين

لم يكن صدر فناء أو لم تكن خمر نخل أو لم يصب وابل فطل وبذل الموجود غاية الجود وبعض الحمية آخر المجهود وماش خير من لاش ووجود ما قل خير من عدم ما جل وقليل في الجيب خير من كثير في الغيب وجهد المقل أحسن من عذر المخل وحمار هو خير من فرس ليس وكوخ في العيان خير من قصر في الوهم وزيت خير من ليت وما كان أجود من لو كان وقد قيل عصفور في الكف خير من كركي في الجو ولان تقطف خير من أن تقف ومن لم يجد الجميم رعى الهشيم ومن لم يحسن صهيلا نهق ومن لم يجد ماء تيمم والامير لا تظر من قوافي صنيعه الى ركة ألفاظها وبعد أغراضها لكن الى وفور جدزها وثقل مهرها وقلة كفئها فاني منذ فارقت قصبة جرجان ووطئت عتبة خراسان ما زففتها الا الى أذى ولا زوجتها سوى هذي على تمرغي في اعطان المحن وضرورتي الى ابناء الزمن وان كان الامير الرئيس يرفع لكل لفظ حجاب سمعه ويفسح لكل شعر فناء طبعه فها أنا من الشعر ما يقرى ومن النظم ما ترى اذهب بكأس فعرف الفجر قد كاد يلوح

ابراهيم القيراطي من قصيد بابي غني ملاحة أشكوله * فقري فيصبح بالغني يتطرب
ومنها في هذا النوع وغدا ينادمني وكأس حديثه * اشهى الي من العتيق واطيب
ومثله قوله في جفنه سيف مضاربه * ياصاح أسبق لي من العذل
وبخده والردف لي خبر * قد سار بين السهل والجبل
ومثله قول الشيخ زين الدين بن الوردي
تجادلنا أماء الزهر أزكى * أم الخلاف أم ورد القطاف
وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف
ومثله قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب وهو في غاية الظرف
كم جاد صرف الدهر في حكمه * وضرني من حيث بي يعتني
ألبسني من شيبتي حلة * قلت له والله عريتني
ومنه قول الشيخ صلاح الدين الصفدي وقد أهدى الى الشيخ جمال الدين بن نباتة تخفيفة
أيا فاضلا تدنو الافاضل نحوه * وتشكر في جمع المناقب تصريفه
اذا كنت بالاحسان ثقلت كاهلي * فلا عجب ان كنت تقبل تخفيفه
ومنه قول الشيخ صفي الدين الحلي من قصيدة
والريح تجري رخاء فوق بحرتها * وماؤها مطلق في زي مأسور
قد جمعت جمع تصحيح جوانبها * والماء يجمع فيها جمع تكثير
ومنه قول المعمار أصاب قلبي خطائي * بلحظه لشفائي
فرحت من فرط وجدي * أشكوا الى الحكماء
قالوا أصبت بعين * فقلت من عظم دائي
ان كان هذا صوابا * فتلك عين الخطاء (الخطائي)
وحسن هنا قول البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي
وحديقة مطلوله باكرتها * والشمس ترشف ريق أزهار الربا
يتكسر الماء الزلال على الحصى * فاذا عدا بين الرياض تشعبا
ومنه قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي
بروحي افدي خاله فوق خده * ومن أنا في الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن في ذلك الخال (الخالي)
ومثله قول الشيخ عز الدين الموصلي
سموا مني مهجتي سعيدا * ولي شقا به يزيد
اذا اجتمعنا يقول ضدي * هذا شقي وذا سعيد
وظريف قول جمال الدين عبد الله السوسي
ورب أقطع بشدو * ساروا وما ودعوني
ما أنصفوا أهل ودي * واصلتهم قاطعوني
وألطف منه قول الشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا
يا معشر الاصحاب قد عن لي * رأي بزيل الحق فاستظرفوه
لا تحضروا الا بأخفافكم * ومن تثاقل منكم خففوه
ومثله قوله تصفحت ديوان الصفي فلم أجد * لديه من السحر الحلال مرامي
فقلت لقاسي دونك ابن نباتة * ولا تتبع الحلي فهو حرامي

وهو للناس صباح
ولذي الرأي صبوح
والذي يمرح بي في
حلبة اللهو جموح
واسقنيها والاماني
لها عرف يفوح
ان في الايام اسرا
رابها سوف تبوح
لا يغرنك جسم
صادق الحس وروح
انما نحن الى الآ
جال نغدو ونروح
ويك هذا العمر تفريـ
ـع وهذا الروح ريح
بينما أنت صحيح الـ
ـجسم اذ أنت طريح
فاسقنيها مثل ما يلـ
ـقطه الديك الذبيح
قبل ان يضرب في العـ
ـر الى القاع السفيح
ها كم الدنيا فسيحوا
ووقعنا الانصيح
انما الدهر عدو
ولمن أصغى نصيح
ولسان الدهر بالوعـ
ـظ لواعيه فصيح
نستميح الدهر والايام منا
تستميح
نحن لاهون وآجا
ل المنى لا تستريح
ضاع ما نحميه من أعـ
ـراضنا وهو يبيح
يا غلام الكاس فالياً
س من الناس مريح
وقنوعاً فمقام الذل بالحر قبيح
أنا يا دهر بأبنا
ئك شق وسطيح
وبأبكار القوافي

وظريف هنا قول الشيخ بدر الدين البشتكي وان لم يكن فيه تورية فقد صرح باسم النوع من جنس الغزل

وقالوا يا قبيح الوجه تهوى • مليحا دونه السمر الرشاق
فقلت وهل أنا الا أديب • فكيف يفوتني هذا الطباق

ومن المطابقة بالتورية قول القاضي بدر الدين بن الدماميني رحمه الله

بدر اذا شمت فوق الخد عارضه • يوما أرى الصبح بالظلماء مختلطا
وظن ان صوابا هجر عاشقه • لما رأى منه شيبا بادياوخطا

ومن العجيب في هذا النوع قول شيخنا العلامة شهاب الدين بن حجر فسح الله في أجله

خليلي ولي العمر مناولم نتب • وننوي فعال الصالحين ولكنا
فحتى متى نبني بيوتا مشيدة • وأعمارنا منا تهد وما تبنا (تبنى)

وما أحلى قوله فيه

أتى من أحبابي رسول فقال لي • ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا • فصار عزيزا حين ذاق هوانا

ومثله قوله

نأى رقيبي وحبيبي دنا • وحسنه للطرف قد أدهشا
آنسني المحبوب يوم اللقا • لكن رقيبي فيه ما أوحشا

وما أظرف قوله فيه

اشكو الى الله مابي • وما حوته ضلوعي
قد طابق السقم جسمي • بنزلة وطلوع

انظر كيف جمع بين قصر الوزن وعدم الحشو وصحة التركيب والمطابقة بالتورية وتسمية النوع من جنس الغزل ومثله قوله

قال حبي اكتم الهوى • خوف لاح وواشيه
كيف اسطيع كتمه • وسقامي علانيه

وأنشدني من لفظه لنفسه ابن مكانس وقد أوقفته في الشرح على هذا النوع فقال

ياسادتي والعشق لم يبق لي • من بعدكم روحا ولاحسا
صبحني الهم لهجرانكم • والضر لما بنتم مسا (مسى)

وله

لثغرك طعم ونشر يلذ • وتقى به يا أخا البدر عشقا
فدع ناعتينا نعش في الهوى • غراما ونتيم ذوقا ونشقا (ونشق)

ومثله قوله

رب خذ بالعدل قوما • أهل ظلم متوالي
كافوني بيع خيلي • برخيص وبغالي

ونقلت من ديوان والده المقر الفخري

زارت معطرة الشذا ملفوفة • كي تختفي فأبى شذا العطر
يامعشر الادباء هذا وقتكم • فتناظموا في اللف والنشر

ونقلت أيضا من ديوانه

لم أنس معشوقة زارت بجنح دجى • فبت في مسك انفاس وطيب سمر
حتى الصباح وعيناها أظن بأن • هاروت حل عشاء فيهما وسحر

ونقلت منه ما امتدح به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

يا ابن عم النبي ان أناسا • قد تولوك بالسعادة فازوا
أنت للعلم في الحقيقة باب • يا اماما وما سواك مجاز

وقوله

علقتها معشوقة خالها • ان عمها بالحسن قد خصصا
يا رصلها الغالي ويا هجرها • لله ما أغلى وما أرخصا

وقلت في هذا المعنى من قصيدة

لا على كف شحيح
يا بني ميكال والجو
د ملاني مريح
شرفا ان مجال الـ
فضل فيكم لفسيح
وعلى قدرسنا المم
دوح يأتيك المديح
فهناك الشرف الار
فع والطرف الطموح
والندى والخلق الطا
هر والوجه الصبيح
مرتقي مجد بحار الطر
ف فيه وبطيح
ما الكم فيه مغيض ا
ماء والعرض صحيح
أيهذا الكرم الما
ثل والخلق السجيح
كان هذا الجد مينا
عاده منك المسيح
هذه أطال الله بقاء الامير
الشهم هدية الوقت وعفو
الساعة وفيض البديهة
ومسارقة القلم ومسابقة
اليد للفم وجرات الحدة
وغرات المدة ومجاراة الخاطر
للناظر ومباراة الطبع
للسمع ومجاوبة الجنان
للبنان والشعر اذا لم
تتقدمه نية ولم تنضجه
روية لم يفتح له السمع حجابه
واذا لبس الامير هذه على
علاتها رجوت أن يكون
مابعد امتن وأحسن
وأرصن ورأيه في الوقوف
عليه موفق ان شاء الله
(وله اليه أيضا)

وكيف أكتم حبانى هواه ولى * من أحمر الدمع فوق الخد تشهير

ونار خديه قلبى أرخصت وغلت * لما غدت ولها فى القلب تسعير

وقال أغمدت سيف اللحظ عنك فكيـ * ـف الحال قلت له والله مشهور

وقلت من قصيدة وصرحت باسم النوع

طابقت رقة حالى بالجفاء بنا * فما طباقك الارقة وجفا

وقلت من قصيدة شرقونا بعدمع العين عجبا * ليتهم عند موتنا قبلونا

وقلت بعده حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا فى بعادنا مسنونا

حتى تخلصت الى مدح أمين الدين من غزل هذه القصيدة ولم أخرج عما نحن فيه من المطابقة بالتورية بقولى والمشالم تخن عهود وفاكم * واسالوا من غدا عليها أمينا

ومن غريب ماوقع لى فى هذا النوع قولى من قصيدة

بدر منير فسار رؤيته * لكن برى عند خده شفقه

وقلت من قصيدة

لى فى حماكم أهيف من عامر * وخراب بيت تصبرى بالعامرى

سلطان حسن ظاهر لما بدا * جال الهوى فى باطنى بالظاهر (بالظاهرى)

وضفرت شعرك اذ ظفرت بمهجتى * بقد بك محلول العرامن ظافر

وجنت برد الثغر اذ طابقته * فى ضمن تورية بجفن فاتر

انظر ما احلى قولى فى ضمن تورية والمراد المطابقة بالتورية وقلت مطابقا والتورية ثلاثية

بمر هجرك عجبا قد قضيت لنا * وشاهد الحسن بالاحسان حلاك

وكتبت الى بعض المخاديم بحماة المحروسة حرسها الله تعالى أطلب منشورا أبيض قطاتى مدة والمنشور الابيض عزيز بحماة

زهر الوعود ذوى من طول مطلكم * لانه من نداكم غير ممطور

والعبد قد جهز المنظوم ممتدحا * فطابقوه اذا رانى بمنشور

وقلت هويت غصنا الاطيار القلوب على * قوامه فى رياض الوجد تغريد

قالت لواحظه انا نسود على * بيض الظباقلت أنتم أعين سود (سودوا)

وقد طال الشرح ولكن هذا الطول تنشرح له الصدور وتعلو به همة الطالب ولم يرض بعدها بالرخيص من هذا الفن و يتأيد قولى ان الذين اقتدينا برأيهم ومشينا على سننهم لم يرضوا بالمطابقة المجردة ولم ينظموها الا فى سلك التورية وقد أوردت لهم هنا من ذلك ماشنف الاسماع ورقص عند السماع والكمال لله فان الشيخ صفى الدين لم يأت بالمطابقة الا مجردة و بيته

قد طال ليلى واجفانى به قصرت * عن الرقاد فلم أصبح ولم أنم

و بيت العميان مثله لكنه عامر بالركة العقادة وهو

واسهر اذا نام سار وانهض حيث ونى * واسمح اذا شح نفسا واسران يقم

و بيت عز الدين ابكى فيضحك عن درمطابقة * حتى تشابه منثور بمنتظم

لعمرى ان بيت صفى الدين و بيت العميان يتنزلان عند هذا البيت العامر بالمحاسن منزلة الاطلال البالية فان الشيخ عز الدين جمع فيه بين تسمية النوع من جنس الغزل و بين غرابة المعنى وحسن الانسجام ورقة النسيب وبديع اللف والنشر ولم يأت كل منهما الا بمجرد المطابقة وأما قول العميان فى آخر بيتهم واسران يقم فهذا اللفظ من بقية ماسقط من حجارة البيت و بيت بديعتى

بوحشة بدلوا انسى وقد خفضوا * قدرى وزادوا علوا فى طباقهم

لئن ساءنى ان نلتنى بمساءة * لقد سرنى أنى خطرت ببالك الامير اطال الله بقاءه الى آخر الدعاء فى حالى بره وجفائه متفضل وفى يومى ادنائه وابعاده محسن وهنيأ له من جانا ما يحله ومن عرانا ما يحله ومن اعراضنا مايستحله بلغنى انه ادام الله عزه استزاد صنيعه فكنت اظننى مجنيا عليه مساء اليه واذا أنا فى قرارة لذنب ومثارة العتب وليت شعرى أى محظور فى العشرة حضرته أو مفروض من الخدمة رفضته أو واجب فى الزيارة أهملته وهل كنت الا ضيفا أهداه نزع شاسع واداه امل واسع وحداه فضل وان قل وهداه رأى وان ضل ثم لم يلق الا فى آل ميكال رحله ولم يصل الا بهم حبله ولم ينظم الا فيهم شعره ولم يقف الا عليهم شكره ثم مابعدت صحبة الادنت مهانة ولا زادت حرمة الا نقصت صيانة ولا تضاعفت منة الا تراجعت منزلة ولم تزل الصفة بنا حتى صار وابل الاعظام قطرة وعاد نبض القيام صدرة ودخلت مجلسه وحوله من الاعداء كتيبة فصار ذلك التقريب ازورارا وذلك السلام اختصارا والاهتزاز ايماء

فالمطابقة والتورية وتسمية النوع البديعي اجتمعت هنا في قافية هذا البيت الذي علا بطباقه وتفيأ أهل البديع بظل رواقه

(ذكر النزاهة)

(نزهت لفظي عن فحش وقلت هم * عرب وفي حيهم يا غربة الذمم)

النزاهة ما نظمها أحد في بديعيته الا الصفي الدين الحلي وقد تقدم القول أنه ذكر عن بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا في هذا الفن وهو نوع غريب تجول سوابق الذوق السليم في حلبة ميدانه وتغرد سواجع الحشمة على بديع افنانه لانه هجو وفي الاصل ولكنه عبارة عن الاتيان بألفاظ فيها معنى الهجو الذي اذا سمعته العذراء في خدرها لا تنفر منه وهذه عبارة عمرو بن العلاء لما سئل عن أحسن الهجو وقد وقع من النزاهة في الكتاب العزيز عجائب منها قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون فان ألفاظ الذم المخبر عنها في كلام الآية أتت منزهة عما يقع في غير هذا القسم من الفحش في الهجاء والمرض هنا عبارة عن ابطان الكفر ومن النزاهة البديعية في النظم قول أبي تمام

بني فعيلة ما بالي وبالكم * وفي البلاد مناديح ومضطرب
لحاجة لي فيكم ليس يشبهها * الا لجاجكم في انكم عرب

ومن غريب هذا النوع قول عبد الله بن الحسين بن جبارة لرجل كان يدعو قوما الى سماع قينة له ثم انكشف له بعد هذا انهم كانوا ينالون منها القبيح

ألم أقل لك ان القوم بغيتهم * في ربة العود لا في رنة العود
لا تأسفن على الشاة التي عقرت * فأنت غادرتها في مسرح السيد

فانظر الى مصاحبة هذه المعاني ونزاهة ألفاظها عن الفحش ومن ذلك قول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقالوا أحسن ما وقع في هذا الباب قوله أيضا

لو ان تغلب جمعت أنسابها * يوم التفاخر لم تزن مثقالا

فانظر الى هذا الهجو المنكي كيف بالغ في تنزيه ألفاظه عن الفحش وفيه معنى الهزل الذي يراد به الجد وهو غاية في هذا النوع وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

حسبي بذكرك لي ذما ومنقصة * فيما نطقت فلا نقص ولا ذم

وقال انها بالذال المعجمة فان حل قصده الذم هنا والذي أقوله ان هذا البيت شموس ايضاحه آفلة في غيوم العقادة وليته استضاء بما قاله جرير ومشى على سننه والعميان لم ينظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين نظمه في بديعيته لاجل معارضة الصفي وقال في بيته يخاطب العاذل

لقد تفيهقت بالتشديق في عذلي * كيف النزاهة عن ذا الاشدق الخصم

قد تقرر ان النزاهة هجو ولكن شرطوا أن لا ينظم هجوها الا بالفاظ لا تنفر منها العذراء في خدرها والذي أقوله وأنا أستغفر الله ان ألفاظ عز الدين في بيته ينفر منها الجان فكيف حال العذرا وحاصل القضية انه نزه ألفاظه عن النزاهة ولم يتفيهق ولم يتشدق غيره وما أحقه بقول القائل

وما مثله الا كفارغ حمص * خلي من المعنى ولكن يفرقع

وبيت بديعيتي نزهت لفظي عن فحش وقلت هم * عرب وفي حيهم يا غربة الذمم

حشمة النزاهة لا تخفى على أهل الذوق السليم والعلم مع ما فيهما من عدم التكليف في الميل عن التعسف والذي أقوله ان بيتي في هذا الباب جر اذيال البلاغة مع جرير وشاركه في العذوبة والتباري

والعبارة اشارة وحين عاتبته آمل اعتابه وكاتبته أنتظر جوابه وسألته أرجو ايجابه أجاب بالسكوت فما ازددت الا ولاء وعليه ثناء لاجرم اني اليوم أبيض وجه العهد واضح محجة الود طويل لسان القول رفيع حكم العذر وقد حملت فلانا من الرسالة ما تجافى القلم عنه والامير الرئيس أطال الله بقاءه ينعم بالاصغاء لما يورده موفقا ان شاء الله عز وجل

* (وله اليه أيضا) *

أنا في خدمة الامير مرجح بين ان أشر بها رتقة لا أسيغها والحلج مضغة لا أجيزها وبين ان أطويها على غرها ولا أرتضع اخلاف درها فلا نفسي تطاوعني لرفض ولا همي توطنني لخفض وبقي أن أفرصه بأنامل العتب وأجشه بالحاط العذل وأعرفه اني ما أطوي مسافة مزارا الا متجشما ولا أطأ عتبة دار الامتبرما ولست كمن يبسط يده مستجديا أو ينقل قدمه مستجديا فان كان الامير الرئيس أطال الله بقاءه يسرح طرفه في طامح أو طامع فليبعد للفراسة نظرا فما الفقر من أرض العشيرة ساقنا *

ولكن له نبأ فى التسمية صدر عن خبير

(ذكر التخيير)

(تخيير والى سماع العذل وانتزعوا • قلبى وزادوا نحولى مت من سقمى)

التخيير هو ان يأتى الشاعر ببيت يسوغ فيه ان يقفى بقواف شتى فيتخير منها قافية يرجحها على سائرها يستدل بتخييرها على حسن اختياره كقول الشاعر

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن • فكيف حال غريب ماله قوت

فانه يسوغ أن يقال ماله مال ماله سبب ماله أحد ماله قوت فاذا تأملت ماله قوت وجدتها أبلغ من الجميع وادل على القافية وأمس بذكر الحاجة وأبين للضرورة وأشجى للقلوب وأدعى للاستعطاف فالذلك رجحت على ماذكرناه ومن هذا النوع فى الكتاب العزيز قوله تعالى ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم ومايبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيى به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون فالبلاغة تقتضى أن تكون فاصلة الآية الاولى للمؤمنين لانه سبحانه وتعالى ذكر العالم بجملته حيث قال السموات والارض ومعرفة مافى العالم من الآيات الدالة على أن المخترع قادر عليم حكيم ولابد من التصديق أولا بالصانع حتى يصح أن يكون مافى المصنوع من الآيات دليلا على انه موصوف بتلك الصفات والتصديق هو الايمان وكذلك قوله تعالى فى الآية الثانية لقوم يوقنون فان خلق الانسان وتدبير خلق الحيوان والتفكر فى ذلك مما يزيده يقينا فى معتقده الاول وكذلك معرفة جزئيات العالم من اختلاف الليل والنهار وانزال الرزق من السماء واحياء الارض بعد موتها وتصريف الرياح يقتضى رجاحة العقل ليعلم ان من صنع هذه الجزئيات هو الذى صنع العالم الكلى بعد قيام البرهان على ان للعالم الكلى صانعا مختارا فلذلك اقتضت البلاغة ان تكون فاصلة الآية الثالثة لقوم يعقلون وان احتيج للعقل فى الجميع الا ان ذكره هنا اتى بالمعنى من الاول ويروى أن اعرابيا سمع شخصا يقرأ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم فقال ما ينبغى ان يكون الكلام هكذا فقيل ان القارئ غلط والقراءة والله عزيز حكيم فقال نعم هكذا تكون فاصلة هذا الكلام فانه لما عز حكم واذا تأملت فواصل القرآن وجدتها كلها لم تخرج عن المناسبة كقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر ولا يجوز التبديل بينهما اذ لا يجوز النهى عن انتهار اليتيم لمكان تهذيبه وتأديبه وانما نهى عن قهره وغلبته كما لا يجوز ان ينهر السائل اذا حرم بل يرده ردا جميلا ويعجبنى قول ديك الجن

قولى لطيفك ينثنى * عن مضجعى عند المنام

عند الرقاد عند الهجوع عند الهجود عند الوسن

فعسى أنام فتنطفى * نار تأجج فى العظام

فى الفؤاد فى الضلوع فى الكبود فى البدن

جسد تقلبه الاكف على فراش من سقام

من قتاد من دموع من وقود من حزن

أما انا فكما علمت * فهل لوصلك من دوام

من معاد من رجوع من وجود من غن

فهذه القوافى المثبتة يقابل كل بيت بما يليق به منها والاولى أولى وأرجح وبيت صفى الدين الحلى رحمه الله تعالى عدمت صحة جسمى اذ وثقت بهم * فما حصلت على شئ سوى الندم

فلذكر عدمت فى صدر البيت يليق أن تكون القافية العدم ولذكر الصحة يليق ان تكون القافية

اليك ولكنا بقربك نتجمع واجدنى كلما استفزنى الشوق الى تلك المحاسن أطير اليها بجناحين عجلا وارجع بعرجاوين خجلا ولولا ان الرضا بذلك ضرب من سقوط الهمة وان العتب نوع من أنواع الخدمة اصنت مجلسه عن قلمى كما أصونه عن قدمى وملت الى أرض الدعاء فهو أنفع والى جانب الثناء فهو أوقع وسأفعل ذلك لتخف مؤنتى ولا تثقل وطأتى

اذا ما عتبت فلم تعتب
وهنت عليك فلم تعن بى
سلوت فلوكان ماء الحيا
ه اعفت الورود ولم أشرب

وكتب الى القاسم الكرجى انا اطال الله بقاء الشيخ سيدى ومولاى وان لم ألق تطاول الاخوان الا بالتطول وتحامل الاحرار الا بالتحمل أحاسب الشيخ أيده الله على اخلاقه ضنا بما عقدت يدى عليه من الظن به والتقدير فى مذهبه ولولا ذلك لقلت فى الارض مجال ان ضاقت ظلالك وفى الناس واصل ان رثت حبالك وأواخذه بأفعاله فان أعارنى أذنا واعية ونفسا مراعية وقلبا متعظا ورجوعا عن ذهابه ونزوعا عن هذا الباب الذى يقرعه ونزولا عن الصعود الذى

السقم ولذكر الوثوق يليق ان تكون القافية الندم والبيت فى غاية الرقة والانسجام وبيت عز الدين

تخيير قلبى هوى السادات صح به * عهدى وانى لحزنى ثابت الالم

أما تخيير هذا البيت فانى تركته لاهل الذوق السليم بل تخيير البيت بكماله ولم تنتظم النعميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيتى

تخير والى سماع العذل وانتزعو * قلبى وزادوا نحولى مت من سقمى

فسماع العذل يليق به السأم وانتزاع القلب يليق به الالم وزيادة النحول يليق بها السقم وتقديم السقم هنا لقربه من النحول ولم يدخل الى هذا البيت من الاجانب قافية

(ذكر الابهام)

(وزاد ابهام عذلى عاذلى وجا * ليلى فهل من بهم يشتفى ألمى)

الابهام بباء موحدة وهو ان يقول المتكلم كلاما يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما عن الآخر ولا يأتى فى كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد بل يقصد ابهام الامر فيهما والابهام مختص بالفنون كالمدح والهجاء وغيرهما ولكن لا يفهم من ألفاظه مدح ولا هجاء بل يكون لفظه صالحا للامرين ومثاله ما يحكى أن بعض الشعراء هنأ الحسن بن سهل باتصال ابنته بالمأمون مع من هنأه فأثاب الناس كلهم وحرمه فكتب اليه ان أنت تماديت على حرمانى عملت فيك بيتا لا تعلم مدحتك فيه أم هجوتك فاستحضره وسأله عن قوله فاعترف وقال لا اعطيك أو تفعل فقال

بارك الله للحسن * ولبوران فى الختن

ياامام الهدى ظفر * ت ولكن ببنت من

فلم يعلم ما أراد بقوله ببنت من فى الرفعة أو فى الصغر واستحسن منه الحسن ذلك وناشده أسمعت هذا المعنى ام ابتكرته فقال لا والله بل نقلته من شعر شاعر مطبوع كثير العبث بهذا النوع اتفق انه فصل قباء عند خياط أعور واسمه زيد فقال له الخياط على طريق العبث به سآتيك به لا تدرى اقباء هو أم دواج فقال له الشاعر ان فعلت ذلك لاعملن فيك بيتا لا يعلم أحد ممن سمعه ادعوت لك ام دعوت عليك ففعل الخياط فقال الشاعر

خاط لى زيد قباء * ليت عينيه سواء

فما علم أحد ان الصحيحة تساوى السقيمة أو بالعكس فاستحسن الحسن صدقه اضعاف استحسانه حذقه وغالب الناس يسمون الخياط عمرا ويقولون

خاط لى عمرو قباء * ليت عينيه سواء

ولكن نقل زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير أن الخياط كان اسمه زيدا وأورد البيت مصرعا مرفوع العروض والضرب ووجه الرفع ظاهر فيهما ولم يتفق للمتأخرين ولا للسلف من قبل فى هذا الابهام غير البيت المتعلق بالخياط زيد والبيت المتعلق بالحسن بن سهل وقد تقدم ذكرهما وقد عززتهما بثالث لما وقفت على تاريخ زين الدين بن قرناص الحلبى ووجدته قريبا من قباء زيد الخياط فقلت

تاريخ زين الدين فيه عجائب * وبدائع وغرائب وفنون

فاذا أتاه مناظر فى جمعه * خبره عنى انه مجنون

وكذلك الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته وتبعه الشيخ عز الدين الموصلى لاجل المناظرة ويأتى الكلام على بيتيهما وقد كشفت عنه قناع الاشكال وابرزت بدوره المحجبة فى أفق الكمال فانى كتبت فيه تقريضا لم ارض بقراضة الذهب ان تكون له رملا ولا سبقنى اليه أديب ولا ولدمنه على هذا الطريق شكلا وماذاك الا انه وردالى الديار المصرية وانا منشئ دواوين الانشاء المؤيدى

(ذكر الابهام)

يفرعه فرشت لمودته خوان صدرى وعقدت عليه جوامع خصرى ومجامع عمرى وان ركب من التمالى غير مركبه وذهب من التغالى فى غير مذهبه أوطعته خطة اخلاقه ووليته جانب اعراضه و

لا أذود الطير عن شجر

قد بلوت المر من ثمره

فانى وان كنت فى مقتبل السن والعمر قد حلبت شطرى الدهر وركبت ظهرى البر والبحر ولقيت وفدى الخير والشر وصافحت يدى النفع والضر وضربت ابطى العسر واليسر وبلوت طعمى الحلو والمر ورضعت ضرعى العرف والنكر فما تكاد الايام ترينى من أفعالها غريبا وتسمعنى من احوالها عجيبا ولقيت الافراد وطرحت الآحاد فما رأيت احدا الاملأت حافتى سمعه وبصره وشغلت حيزى فكره ونظره واثقلت كتفه فى الحزن وكفته فى الوزن وودلو بادر القرن صحيفتى أولتى صفحتى فمالى صغرت هذا الصغر فى عينه وما الذى ازرى بى عنده حتى احتجب وقد

قوله ظاهر فيهما انظر ماوجهه فى العروضة

خلد الله ملكه الشيخ شمس الدين محمد بن ناهض الفقاعى فى شهر شوال سنة ثمانية عشر وثمانمائة وقد صنف سيرة مشتملة على نظم ونثر للسلطان الملك المؤيد ولم يكن للمشار اليه المام بتعاطى الادب فى مبادى عمره فسألنى أن أكتب له عليها تقريظا قبل تقديمها فامتنعت من ذلك مدة فدخل على بمن لا يمكن مخالفته فحسنت له كتابة شيخنا القاضى بدر الدين بن الدمامينى أولا فتوجه اليه فالتزم بالايمان المغلظة انه لا يكتب لها الا اذا كتبت له فلزمتنى الكتابة من وجوه فكتبت له هذا التقريظ الذى صلت البلغاء خلفه فانه للمحاسن جامع وأوضحت طريقه فضاع نشره الذى كان من غير تورية ضائع (وهو) وقفت على قواعد الادب من هذه السيرة الناهضيه فوجدت مطرب لحنها قد اعرب عن التنكيت لاهل النكت الادبيه ونويت معها سلوك الادب لاحتشامها بالصفات المؤيديه فانها ما قوبلت بأدب الا تقوت بسلطانها ولا جارتها سيرة مطولة الا كانت قاصرة عن الجرى فى ميدانها ولاذكرت التواريخ المقدمة معها الا تأخرت وكبت خلفها ولا ناظرها ذو قصص الا ثقل عليه امرها ونظر الى قصصه فاستخفها ولا بالغ أهل التقاريض فى تقاريضهم الا وكانت دونها واستحق لها هذا الوصف فى ذمة أهل الادب فاستوفت منه دونها فلو نظر الصفدى الى هذا التاريخ وراجع النظر لسلخ جلده أو تصفحه الكتبى لعدد على تاريخه وماعده أو كاثره ابن كثير لرأى نقصه متزايدا عنده أو عاصره ابن خلكان لقال لم أمازج شراب الفقاعى بخلى فان عنده حمضة ورده أو لحه الذهبى وموه بتاريخه لقيل له هذا ما ينطلى معه وعلم ان خلاصة الذهب تظهر بالسبك فضم من جانبه ووضعه ولو ادركه البديع لرمى بديعه وعلم انه بدعة أولحقه الوهرانى لرآه فى المنام ان حصل له بعد مطالعته هجعة نسب هذا التأليف الى الدولة المؤيدية فصار له على كل أهل الارض صوله فلو ناظره مؤلف بجملد لقلنا هذا جراب الدوله تحمس فى شعره وتغالى فالتى لنا فى سوق الكلام رخصه ولو زايده ابو تمام لتحقق عجزه وارانا بنفسه نقصه ثم هذه الاشعار التى مازجها شاعر بديوانه الاتات عليه بعد الزلزلة الواقعه وتقوم القيامة وهى الى الحشر مرمية على القارعة ولقد اقام أوزانها بالقسط ولكن رجحها على القيراطى بفضله ونقص عنها الراح الحلى لان فيها زيادة على مثله فيالها من شعر قصر عن بحره الطويل بل كل معارض وكيف لا وناظمه ذو همة علية وناهض وابن ناهض وقد وقف ابن حجة وقوف معترف ان عنده فى نظمه وقفه وسيكتب المقر البدرى على اعترافه انه قاضى الادب رامه الذى صلت البلغاء خلفه وفتحت لعلماء الادب هذا الباب وارجو ان يكون فتحا مبينا فان رضونى براعة بحسن الختام واذا حصل الملل من هذا النهر رو بنا نعم وقفت وغير خاف عن علومهم الكريمة ان شرط الواقف مايهمل وامتثلت مراسيم المصنف مع سلوك الادب الذى يذوقه من له فيه أعذب منهل والله يجمعنا على هذا الشرب لتحلو موارده بالموارده ولا يحجبنا عن الكلام الذى يحسن السكوت عليه وتتم به الفائده (وكتب بعد ذلك سيدنا القاضى بدر الدين المشار اليه) وقفت نارولا أكاد أثبت نظرى لشدة الخجل وسألت المهلة فى وصف هذه الالفاظ فاذا هى قد جاءت على عجل فقلت أما المقام الشريف الممدوح عز نصره ولا زالت تفخر بدولته القاهرة مصره فلك مد على الرعية جناح العدل وحمى بيضة الاسلام وتواردت على تجريح عداته وتعديل صفاته السنة السيوف والاقلام وسار على أقوم طريق فاذكرنا السيرة العمريه وطلع فى سماء الكواكب كالبدر فقل ماشئت فى الطلعة القمريه ودعا الى نسك طاعته فلبته فى ذلك الموقف النفوس ونادى على أعدائه منادى الحتف فارانا كيف يكون الترخيم بحذف الرؤس ناهيك بها مناقب سرت القلوب وسارت ونافست النجوم جواهر الالفاظ فى مدحها فغارت وشملت البرايا بالمن والمنح وقابلت المسىء بالعفو والصفح حماها الله تعالى من الغير وجعل صفاتها الشريفة جمال الكتب والسير وأما منشئ السيرة فاذا أقول وقد

قصدته ولزم ارضه وقد حضرته اما احاشيه ان يجهل قدر الفضل أو يجحد فضل العلم أو يتعاطى ظهر التيه على أهليه واسأله ان يختصنى من بينهم بفضل اعظام ان زلت بى مرة قدم فى قصده وكانى به وقد غضب لهذه المخاطبة المجحفة والرتبة المتحيفة وهو فى جنب جفائه يسير فان اقلع عن عادته ونزع عن شيمته فى الجفاء فاطال الله بقاء الاستاذ الفاضل وأدام عزه وتاييده

(وله أيضا اليه)

يعز على أطال الله بقاء الشيخ الرئيس ان ينوب فى خدمته قلمى عن قدمى ويبعد برؤيته رسولى دون وصولى ويرد مشرعة الانس به كتابى قبل ركابى ولكن ما الحيلة والعوائق جمة وعلى ان أسعى وليس على ادراك النجاح وقد حضرت داره وقبلت جداره ومابى حب الحيطان لكن شغفا بالقطان ولا عشق الجدران ولكن شوقا الى السكان وحين عدت العوادى عنه أمليت ضمير الشوق على لسان القلم معتذرا الى الشيخ على الحقيقة عن تقصير وقع وفتور فى الخدمة عرض ولكنى أقول ان يكن تركى لقصدك ذنبا

رأيت الخطب جليلا وماذا أصف وقد حملني العجز عبأ ثقيلا هو كبير اناس حزمل من البلاغة بانواع وأجناس يأتم به الهداة كانه علم وتروم الادباء المقايسة به فيقاسون ولكن من شدة الالم له في الادب صريمه وشهامه وفراهة تجري به الى المقامات الرائقة فلا تمتري بها تمه ماهم بتركيب معنى الاوشرح الصدور بذلك الهم ولا شن فارس فكره غارة الاوتم منها على بيوت الشعراء ماتم طالما أظهر برغم انوف الحسدة في المجالس فضله وصعبت الآداب على غيره لكنها أصبحت عليه سهله وعقل غرائب نكته عم اسواه فلله ما ابدع عقله كدر عيش الحلى بما ابتدعه من العجائب ولا ينكر لمثله تكدير الصفى واكتفى في ميدان البراعة بجواد فكره الذي حال وهو مكر مفر وهكذا يكون المكتفى أنى في تاريخه بالفاظ لو رآها ابن الاثير لتأثر وابن سعيد لتعثر وابن بسام لاصيب منها بالقارعة فعبس وتولى أو الحجازي لرمى منها بالداهية التي هدمت ما بناه وثقلت عليه حملا وكتب خطا لو لمحه ابن مقلة لاصيب منه بنظره أو ابن البواب لهتك ستره وجاء بادب لو وازن أحد به الراجح الحلى لما أقام له وزنا ولا رجحه ولو تأمل المابحي ملاحة لفظه الذي ما مر مثله بالذوق الاقال لسان التعجب ما أملحه ولو قيس به ابن الرومي المتعاظم لانشد الناظم

ولواني بليت بهاشمي • خؤولته بنو عبد المدان

اهان على ما القى ولكن • تعالوا انظروا بمن ابتلاني

ولو تشبه به مادح كافور لعاد من برده بكبد حرا ولو كاف مجاراته صاحب القطر النباتي لقال ربنا أفرغ علينا صبرا ولو تعرض ديك الجن لعزائمه في الادب لمازادته الاخبالا ولرأى سطورا تتوالد منها المعاني العجيبة والليالي كما علمت حبالى ولو أصبح ابن قادوس نخارا ابتل أدبه لقاناله حسبه ان يدور في الدولاب ولو تسرح الزغاري الى تصيد معانيه الشاردة لقطعت عليه اذناب الكلاب ولو تسلق المعمار عليها العلم انه ينحت من الجبال بيوتا ولو رآه أبو نواس لقال هذا الذي نعل الادب خبرا وعلم من أين يؤتى ولو عورض به ابن مماتي لطال على قريحته المميتة التعجب أو ذكر الصابي لقال الذوق السليم ليس لعصرنا من صاب سوى هذا الاديب ولو أدرك آدابه الحكيم ابن دانيال لعلم انه ماتخيل نظيرها في الوهم ولا تصور مثلها في الخيال واذا كان الامر كما قال حسان بن ثابت الانصاري

وانما الشعر عقل المرء يعرضه • على البرية ان كيسا وان حمقا

فما أوفر عقل هذا الشاعر وأوفاه وما أقدره على تخيل المعاني الغريبة وأقواه وما أحق من قاسه على قرنائه من هذه الصناعة التي تعاطاها بـواه كم تصور معنى في الذهن فابرزه في الخارج أغرب الاشياء اسلوبا وكم ركب جناسا اذا ذكر البستي عنده قال الأدب دعنا من تركيبه للجناس مقلوبا ولقد كنت ارتجي بابا أدخل منه للتقريض ففتح لي المقر التقوى بابا من نجا ونهج الطريق الى المدح فاقتفيت آثاره واهتديت حيث رأيت منهجا ابقاه الله لابهام يوضحه وفساد عاجز يصلحه والله تعالى يحفظ على منشئ هذه السيرة قريحته التي هي العجائب الأدب حائزه ويجعله ممن يسرح في رياض الصدقات الشريفة بما يسوقه اليه من وفور الجائزه والح المصنف بعد ذلك على المقر المجدي فضل الله ابن مكانس فكتب بالحيف نظرت هذه السيرة التي يعرض عنها المعارض وينزو مؤلفها في رياض الأدب على بكر من سوام المعاني وفارض فوجدته قد نهض بعبء ثقيل من الكلام وقام وأوقف البلغاء في مقام العجز وبعذر العاجز اذ نمرفها اذكره ولا نا السلطان في هذا المقام خلد الله ملكه الشريف وعم بعدله المبسوط مدائن فضل ذات ظل وريف وجعل أيامه الزاهرة تواريخ السعود ومغانم الوفود ومواسم الكرم والجود وثبت قواعد سلطانه على النجوم ورفع جنابه المنظم على الافلاك حتى تسير لخدمته ممنطقات بمناطق النجوم واعز دولته عزا يذل له الدر والاماس وتلبس أثوابه في الارض ويخص محله الرفيع من تلك الافلاك بالاطلس هنالك يخي

فكفى ان لا أزال عقابا وله أيضا رسالة كتبها ببشكند وقد قطع عليه العرب الى سعيد الاسمعيلى كأني أطال الله بقاء الشيخ الفاضل بل رقعني وقد بكرت على مغيرة الاعراب ككهمس وربيعة بن مكدم وعتبة ابن الحرث بن شهاب وانا أحمد الله الى الشيخ وأذم الدهر فما ترك لي فضة الا فضها ولا ذهبا الاذهب به ولا علقا الا علقه ولا عقارا الا عقره ولا ضيعة الا أضاعها ولا مالا الا مال اليه ولا حالا الا حال عليه ولا فرسا الا افترسه ولا سبدا الا استبد به ولا لبدا الا لبد فيه ولا بزة الا بزها ولا عارية الا ارتجعها ولا وديعة الا انتزعها ولا خلعة الا خلعها رانادا خل نيسابور ولا حلية الا الجلدة ولا بردة الا القشرة والله تعالى ولى الخلف بمنه والفرج بيسره وهو حسبي ونعم الوكيل

(وله الى الشيخ الامام أبي الطيب)

أنا أطال الله بقاء الشيخ الامام بصير بابناء الذنوب وأولاد الدروب أعرفهم بسامة وأثبتهم بعلامة والعلامة بيني وبينهم ان يفسدوا الصنيع على صانعه ويحرفوا الكلم

الهلال لتقبيل اقدامه ويمتد كف الثريا لاستجداء صوب غمامه ويتضائل كل منهما فيصير هذا نعل فرسه وهذا حلية لجامه وملكه رقاب العباد وامضى أحكام سيوفه فى رقاب أهل العناد حتى يشهد الدين انه قام بحقوقه نافلة وفرضا وسعى فى مراضى الله فزلزل ديار الكفار سماء وأرضا ضاعف الله ثواب عمله المقبول وأنشد بشكره لسان العالم حتى ينطق ويقول

السيد المالك الملك المؤيد سيف الدين شيخ حوى العليا وارضاها
وشيد الدين والدنيا ببيض ظبا * ان لم تضاه به فى الحرب أمضاها

ثم كررت النظر فيها وانتهضت القلم للكتابة عليها حسب سؤال منشيها فنكس القلم من الخجل راسه وصعد من صريره انفاسه وقال لست ممن يجيد فى هذا التقريض عباره ولا ينهض فى وصف ماجاء به هذا الرجل من متين كلمه الذى أخرس الفحول فكأنما ألقمهم حجاره فلقد ترفع قلمه فى أرض قرطاسه وسما وأتى من الرقيق بشئ يحسبه الظمآن ما وقذف الرعب فى القلوب بذكر الوقائع فورمت خوفا وشكت مما قذف بها اورما فلو وازنه القيراطى لثقل فى الحقيقة عليه أوحام على حى ابن أبى حجلة لفر طائرا من بين يديه أوجلا على ابن نباته سلاف نظمه لم يقل الى بكاسك الاشهى الى أو أورى زنده مع الشواء لاحرق قلبه ولم يستحسن منه شى أوعاصر ابن الساعاتى لم يلتذ بطيب المنام أوجارى النصير الحمامى لالتى شعره فى سرب الحمام أوتقدم لزمان أبى تمام وناظره لعلم الناس أنه غير لبيب وقال له علماء البديع هذا ضدك يا حبيب أوابن حجاج لاظهر فساد عقله السخيف ورمى بجميع ماقاله فى الكنيف فهو أولى منهم بمآجره الفضل وجذب وأحق وان اشتهرت فضائلهم أن يشتهر بالادب فانه لوكاف الغريب من القول لاتى به على كنهه أوأقام الاعتذار عن قبيح لقام العذر عما جاء به وذهب على وجهه ولو تصدى لتهجين حسن لزان بما علا الطروس من ذلك وشحن أوحاج بالباطل من يعرب عن الحق لدحض بحجته واستمر يلحن فسبحان من أقدره على ماتقصر عن ادراكه الافهام وتعجز عن تصوره عقول الانام ولقد استعفاه القلم عن الكتابة خشية من عرض فصاحته وساله طى هذه الصحيفة خوفا من نشر قبائحه فابى الاظهار المكتوم وفض المختوم فياخجلتاه لما كتب ويافضيحتاه اذا الام الفاضل على ماجاء به وعتب ولكنه جرى خلف الجوادين السابقين واقتدى بامامتهما التى اعترف الآفاق انهما ملآت الخافقين ابقاهما الله مدى الزمان واسبغ عليهما اغطاء الفضل وبلغهما غاية الامانى يوم الخوف والامان وامتع بجناب منشئها الاحباب وأقر به أعين الاخوان وبسط به انفس الاصحاب والهمنا أجمعين تجنب ماخفى علينا من عوراتنا وكشف حجب قلوبنا بمنه وكرمه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

ليت المنية حالت دون نصحك لى * فيستريح كلانا من اذى التهم

هذا البيت ليس له نظير فى هذا الباب فانه اشتمل على الرقة والسهولة والانسجام ومازاده حسنا الا تقويته بليت التى استعان بها الشاعر فى ابهام بيته على زيد الخياط فان الشيخ صفى الدين لما قال لعاذله * ليت المنية حالت دون نصحك لى * حسن ابهامه بقوله * فيستريح كلانا من اذى التهم * وصار الامر مبهما بينه وبين العاذل وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته يخاطب فيها العاذل

أبهمت نصحى مشيرا بالاصابع لى * ليت الوجود رمى الابهام بالعدم

وهذا الابهام هنا يشار اليه بالاصابع وتعقد عليه الخناصر فان الشيخ عز الدين رحمه الله تعالى أجاد فيه الى الغاية ولم يتفق له فى نظم بديعيته بيت نظيره ولا اتفق لغيره ممن نظم بديعية فانه جمع بين السهولة والانسجام والتصور والتورية البارزة فى أحسن القوالب بتسمية نوع الابهام الذى هو المقصود ولعمرى انه بالغ فى عطف القلوب بهذا السحر الحلال ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيت بديعيتى

عن مواضعه ويرموا فى الحكاية سهم الشكاية ويجيلوا فى الشكاية قدح النكاية ثم لايرون الشكاية الا السعاية وان أعوزهم الصدق مالوا الى الكذب وان حل لهم الجد عرضوا باللعب ومن علاماتهم قبح مقاماتهم وايراد ظلاماتهم موارد النصيحة لكبرائهم ومن آياتهم كثرة جناياتهم على الفضلاء وشدة حنقهم على من لم يخطرهم بباله ولا يحطهم فى حباله فاذا انضاف الى ضيق اكتافهم سعة آنافهم والى قبح مقاماتهم قصر قاماتهم والى خبث محضرهم خبث منظرهم والى صعر خدودهم غلظ جلودهم والى سوء بالهم خشونة سبالهم والى مرض فؤادهم صفرة أجسادهم والى لين فقاحهم غلظ الواحهم فذلك من أعلى القوم طبقة فى السفال وأبعدهم غاية فى النكال والذى فاوضنى القاضى فى معناه جلى فى بابه ماحكاه يجمع هذه الخصال وقيادة وينظم هذه الاوصاف وزيادة فلم يبعد الشيخ عن مثله ان يكذب الطهارة أصله أم نجابة نسله أم حصانة أهله أم رجاحة عقله أم ملاحة شكله

وزاد ابهام عذلي عاذلي ودجا • ليلي فهل من بهيم يشتفي أملي

فان الابهام هنا بين بهيم الليل و بين العاذل فان اشتراك البهيم صالح لهما ولكن لم يحصل التمييز لاحدهما عن الآخر كما وقع الشرط بين الامر بينهما مبهم ولا يعلم من هو المقصود منهما وهذا هو الفرق بين الابهام والتورية اذ المراد من التورية المعنى البعيد الموري عنه بالقريب

(ذكر ارسال المثل)

(وكم ثمثات اذا ارخوا شعورهم • وقات بالله خلوا الرقص في الظلم)

ارسال المثل نوع لطيف في البديع ولم ينظمه في بديعيته غير الشيخ صفي الدين وهو عبارة عن ان يأتي الشاعر في بعض بيت بما يجري مجرى المثل من حكمة أو نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثل به كقوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة وقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ وقوله تعالى صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة وقوله تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها ومما جاء من ذلك في السنة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار وقوله صلى الله عليه وسلم خير الامور أوساطها وقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وقوله صلى الله عليه وسلم المستشار مؤتمن وهو بالخيار مالم يتكلم وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم البلاء موكل بالمنطق وقد احتوى كتاب أبي أحمد العسكري على كثير من هذا الباب ومن أمثلته في الشعر قول زهير

وهل ينبت الخطي الا وشيجه • وتغرس الا في منابتها النخل

ومثله قول النابغة ولست بمستبق اخا لا تلمه • على شعث أي الرجال المهذب

ومثله قول بشار فعش واحدا أو صل أخاك فانه • مقارف ذنب مرة ومجانبه

وما أحلى ما قال بعده

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى • ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وقول أبي تمام فلو صورت نفسك لم تزدها • على ما فيك من كرم الطباع

وكقوله نقل فؤادك حيث شئت من الهوى • ما الحب الا للحبيب الاول

وذكر ابن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير انه استخرج أمثال أبي تمام من شعره فوجدها تسعين نصفا وثمانمائة بيت وأربعة وخمسين بيتا واستوعب أمثال أبي الطيب المتنبي فوجدها مائة نصف وثلاثة وسبعين نصفا وأربعمائة بيت ولكنه أخرج من أمثال أبي الطيب ما ولده من امثال أبي تمام وصدر الجميع بما وقع في الكتاب العزيز من الامثال بزيادات على ذلك وهي أمثال الاشعار السنية والحماسة وامثال أبي نواس بعد أن ألحق امثال القرآن بامثال دواوين الاسلام السنية وختم الجميع بأمثال العامة في كتاب الامثال له ومما سار من أمثال الطغرائي في لامية العجم قوله

حب السلامة يثني عزم صاحبه • عن المعالي ويغري المرء بالكسل

لو أن في شرف المأوى بلوغ منى • لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

أعلل النفس بالآمال أرقبها • ما أضيق العيش لولا فسحة الامل

وعادة النصل ان يزهى بجوهره • وليس يعمل الا في يدي بطل

ما كنت أوثر ان يمتد بي زمني • حتى أرى دولة الاوغاد والسفل

هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا • من قبله فتمنى فسحة الاجل

وان علاني من دوني فلا عجب • لي اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

أم غزارة فضله ولم يجوز على ما حكاه ألم يؤوني طريدا ويلمني حصيدا او يؤنسني وحيدا او يصطنعني مبديا ومعيدا وكان يقدري انه اذا رآني أفعل شيئا أو سمع اني الفظ بنكر لم يبال في تحسين أمري فعل الوالد بولده من جهته ونظر المولى لصنيعه أقرب والآن اذ عدا الامر الى العتاب فهلم الى الحساب ان كنت أخللت بطرف من طاعتي من جهة فقد نقصني ما عودني من وجوه وذلك انه كان لا يتجاسر أحد على ان يغريني عنده فقد صار يغريني عنده ويبري جلده وكان يقوم قناتي فقد صار يخبط حسناتي وكان يثمر مالي فقد صار يبطل آمالي وكان يحشد لامري احتشاده لامره فقد نبذت وراء ظهره وقد كان يحمل فقد صار يتحامل وكان لا يضايقني في الالوف من الدراهم والدنانير فقد ضايقني في الشعير في حمل بعير وللعبودية ذل اليهودية وذل المرودية والادلال مع الاذلال والطاعة مع الافضال فليستأنف الشيخ حال المولى ليستأنف حال العبد والله

فاصبر لها غير محتال ولا ضجر * فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل
اعدى عدوك أدنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول فى الدنيا على رجل
يا واردا سؤر عيش كله كدر * انفقت صفوك فى أيامك الاول
فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وأنت تكفيك منه مصة الوشل
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا * يحتاج فيه الى الانصار والخول
ترجو البقاء بدار لا بقاء لها * فهل سمعت بظل غير منتقل
ويا أمينا على الأسرار مطلعا * اصمت ففى الصمت منجاة من الزلل

وممن سار فى مجرى هذه القصيدة ووزنها أبو الطيب المتنبى فى قصيدته التى أولها

أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل * دعا فلباه قبل الركب والابل
وما صبابة مشتاق على أمل * من اللقاء كمشتاق بلا أمل
والهجر أقتل لى مما أراقبه * أنا الغريق فما خوفى من البلل
قد ذقت شدة أيامى ولذتها * فما حصلت على صاب ولا عسل
خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

انظر الى محاسن هذين الفحلين الى الغاية التى تملأ بها فى الشمس وزحل وتأخر سوابق الافهام عن معرفة السابق منهما الى الغاية ومنها قوله

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * وان وجدت لسانا قائلا فقل
لعل عتبك محمود عواقبه * فربما صحت الاجسام بالعلل
لان حلمك حلم لا تكلفه * ليس التكحل فى العينين كالكحل
وما ثناك كلام الناس عن كرم * ومن يسد طريق العارض الهطل

وقد عن لى ان أجمع هنا ما حلا بذوقى من أمثال أبى الطيب المتنبى وان كان فيها ما ولده من شعر أبى تمام كما ذكره ابن أبى الاصبع فان القصد ان نصيرها عمدة لاهل الانشاء اذا أوردوها فى الوقائع التى تليق بها على اختلاف أنواعها فمن ذلك قوله

اذا صديق نكرت جانبه * لم تعينى فى فراقه الحيل
فى سعة الخافقين مضطرب * وفى بلاد من أختها بدل

وقوله من قصيدة
أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا
ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

وقوله من قصيدة
ذل من يغبط الذليل بعيش * رب عيش أخف منه الحمام
كل حلم أتى بغير اقتدار * حجة لاجئ اليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام
خبرا عضائنا الرؤس ولكن * فضلتها بقصدك الاقدام

وقوله
ما كل من طلب المعالى نافذا * فيها ولا كل الرجال فحولا
تلف الذى اتخذ الجراءة خلة * وعظ الذى اتخذ الفرار خليلا

وقوله
ومكايد السفهاء واقعة بهم * وعداوة الشعراء بئس المقتنى

ويعجبنى قوله فى الهجو وهو مما نحن فيه

فلو كنت امرأ تهجى هجونا * ولكن ضاق قطر عن مسير

وقوله
فقر الجهول بلا لب الى أدب * فقر الحمار بلا رأس الى رسن

من وراء التهديد ونعم الوكيل

(وله أيضا اليه)

كتبتها أطال الله بقاء الشيخ الامام شمس الاسلام والحمد لله الذى أعاد اليها الاشواق وآنس بها الآفاق بعد ما كادت الظلمة وأمكنت راميها الثلمة واسلمت صاحبها العقدة وحرقت بثوبها البدعة ووهنت الجماعة والجمعة ومرض الاسلام والسنة وبعد ما أطلع الشيطان قرنه واتلع وفغر فمه وأولع ومد يده الى الدين ليقلع وشحافاه الى العلم ليبلع وكبر بالاسلام الصخرة حيث ملك البحرة ثم ادال الله الهدى على الضلال وأهل السابط بالذبال وتصدق بالشيخ الامام على الانام وابقى جماله للاسلام والله يقرن هذه النعمة بالتمام ثم يربط تمامها بالدوام من هراة عن سلامة بسلامة امام نجيب وبنضارة أيامه تطيب والله عليهما محمود وصلى الله على النبى محمد وآله ونفتح للامام من الصدور ما ليس فى الفؤاد ومن القلوب ما ليس للاولاد فكانما اشتق من جميع الاكباد وكانما ولد لجميع البلاد سواء

قد هوّن الصبر عندي كل نازلة * ولين العزم خد المركب الخشن
لا يعجبن مضيما حسن بزته * وهل تروق دفينا جودة الكفن

وقال من أبيات قوله

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا * فلما دهتني لم تزدني بها علما
وكنت قبيل الموت استعظم النوى * فقد صارت الصغرى التي كانت العظمى
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني * ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

وقوله أيضا

وانا الذي اجتاب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل
انعم ولذ فللامور أواخر * أبدا كما كانت لهن أوائل
للهو آونة تمر كأنها * قبل تزودها حبيب راحل
جمح الزمان فما لذيذ خالص * مما يشوب ولا سرور كامل
واذا اتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي باني فاضل

وقال من قصيدة وهي أبلغ ما يكون في المدح

اعجازوالك عن محل نلته * لا تخرج الأقمار من هالاتها

وقال من قصيدة

واشجع مني كل يوم سلامتي * وما ثبتت الا وفي نفسها أمر
ذر النفس تاخذ وسعها قبل بينها * تفترق جاران دارهما عمر
ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر
واستكبر الاخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبر الخبر
واني رأيت الضر أحسن منظرا * واهون من مرأى صغير به كبر

ويعجبني من المديح منها (شعر)

وما با وحدي قلت ذا الشعر كله * ولكن لشعري فيك من نفسه

وقال من قصيدة

وما لي بأطول من نهار * يظل بلحظ حسادي مشوبا
ولا موت بانقص من حياة * أرى لهم معي فيها نصيبا
عرفت نوائب الحدثان حتى * لو انتسبت لكنت لها نقيبا

وما أظرف ما قال منها

وشيخ في الشباب وليس شيخا * يسمى كل من بلغ المشيبا
قسا فالاسد تفزع من يديه * ورق فنحن نفزع ان يذوبا

وقال من قصيدة وهي التي ذكروا انه ادعى فيها النبوة

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وقال من قصيدة

قد كنت اشفق من دمعي على بصري * فاليوم كل عزيز بعدكم هانا
اذا اقدمت على الاهوال شيعني * قلب اذا شئت أن يسلاكم خانا
أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني * ولا اعاتبه صفحا واهوانا
وهكذا كنت في أهلي وفي وطني * ان النفيس عزيز حيثما كانا
لا اشرئب الى ما لم يفت طمعا * ولا ابيت على ما فات حسرانا
ولا اسر بما غيري الحميد به * ولو حملت الي الدهر ملآنا

وقوله من قصيدة

فمالي وللدنيا طلابي نجومها * ومسعاي منها في شدوق الاراقم

العاكف فيه والباد فلقد رأيتها كلها الشكانة متقسمة ثم رأيت الوجوه كلها النجاته متبسمة ولا اعتد عليه فاني منه واليه على أني نذرت بسلامته النذور وسالت الله ان يصرف عنه المحذور وان يأخذ أحدنا مكانه وليكن من كانه وان أشفق الناس من فدائه في وحدي وولدي بعدي والحظ له بعدي هذا ماله عندي تناله يدي ويبلغه جهدي هذا هو الولاء الذي الباطن والظاهر فيه سواء كيف يرى الشيخ الامام سماحة الضمير لما بلي وودائع الصدر فيما يغلي وما أشبه في ذلك صدري الابهر منع طريقه فابتلع ريقه ولم يبق بالسكر فهر النهر وغمر الحرو غرق الجرو وقلع الشجر كذلك مولاي الشيخ الامام سكرت عنه زمانا ثم عند الشدائد تذهب الاحقاد وترق الاكباد فرفعت سكره فخرف اليه طريقي ومتالدي وروحي وجسدي ووالدي وولدي ولم أخل في خلال الوحشة من شكر لاياديه وصفح من يعاديه وتجهيز السلام الى ناديه والغمام لواديه وكل افعال الشيخ

من الحلم ان يستعمل الجهل دونه * اذا اتسعت فى الحلم طرق المظالم
ومن عرف الايام معرفتى بها * وبالناس روّى سيفه غير راحم
ولولا احتقارى الاسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة فى البهايم
وكاد سرورى لا يفى بندامتى * على تركه فى عمرى المتقادم

وقال من قصيدة

وأحسب انى لو هويت فراقكم * لفارقتكم والدهر أخبث صاحب
فياليت ما بينى وبين احبتى * من البعد ما بينى وبين المصائب
يهون على مثلى اذا رام حاجة * وقوع العوالى دونها والقواضب
كثير حياة المرء مثل قليلها * يزول وباقى عيشه مثل ذاهب
بأى بلاد لم أجر ذوائبى * وأى مكان لم تطأه ركائبى

وتخلص الى مدح طاهر ولكنه اتى فى تخلصه بالعجائب فقال

كان رحيلى كان من كف طاهر * فاثبت كورى فى ظهور المواهب

ما يقول اثبت كورى فى ظهور المواهب الا المتنبى ومن أبياته التى سارت امثالا قوله

اذا غامرت فى شرف مروم * فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير * كطعم الموت فى امر عظيم
وكل شجاعة فى المرء تغنى * ولا مثل الشجاعة فى الحليم
وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الأسماع منه * على قدر القرائح والفهوم

وقال من قصيدة والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبى ويهرم
ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله * وأخو الجهالة فى الشقاء منعم
لا تخدعنك من عدوّ دمعة * وارحم شبابك من عدوك ترحم

وما أعظم ما قال بعده

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم *
ومن البلية عذل من لا يرعوى * عن جهله وخطاب من لا يفهم
والذل يظهر فى الذليل مودة * واود منه لمن يود الارقم
ومن العداوة ما ينالك نفعه * ومن الصداقة ما يضر ويؤلم
افعال من تلد الكرام كريمة * وفعال من تلد الاعاجم اعجم

وقوله كريشة بمهب الريح ساقطة * لا تستقر على حال من القلق

ويعجبنى قوله من ابيات يتمثل بها فى كثرة الاحسان المفرط

ولم غلل تفقدك الموالى * ولم تذم اياديك الجساما
ولكن الغيوث اذا توالت * بارض مسافر كره المقاما
وصار أحب ما يهدى اليه * لغير قلى وداعك والسلاما

وقال والغنى فى يد اللئيم قبيح * قدر قبح الكريم فى الاملاق

وقال من قصيدة وقد يتزيا بالهوى غير أهله * ويستصحب الانسان من لا يلائمه
بليت بلا الاطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه
وما استغربت عينى فراقا رأيته * ولا علمتنى غير ما أنا عالمه

الامام غرة فى ناصية الايام وزهرة فى جنح الظلام الا ان ما أوجب اقلال روض انا نسيمه وشجر انا غرته وعود جمره لسانى وجود شكره ضمانى وستر سفر الايام والليالى عن وجوه تلك اللآلى فيعلم انه لم يزوع فى سبخة والله على ذلك معين ووددت لو يسمع الشيخ فى مجلسى والفقيه أبو سعيد حاضرى فيرى تساكب الثناء بينى وبينه وتناهب الدعاء منى ومنه ولو كان لسمعت أذناه ما تقر به عيناه وللشيخ الامام فى الوقوف على ما كتب به الرأى الموفق ان شاء الله تعالى

(وله اليه أيضا)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ وقليل فى الولاء ان احتذى من العين واتخذ نعلين أن يسوقنى هذا المساق الا الشوق الهائج والوجد اللاعج وانا فى هذه الحرقة كثير الشوق ولكن وردت لغير ما أردت انما ضربت فى جنب ما نسبوا الى من الذنب وطعنت فى عين ما قذفت به من المين وخرجت على مقام يومين وسأرد فادحض المهمه وأمحض الخدمه ان شاء الله واجدد عهدا بين ذلك وآخذ موثقا من أولئك لئلا

وقوله واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

وقال من قصيدة اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فاهون ما يمر به الوحول

وقوله رمانى الدهر بالارزاء حتى * فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت اذا أصابتنى سهام * تكسرت النصال على النصال

وقوله يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل
ولو زلتم ثم لم ابككم * بكيت على حبى الزائل

وقوله هل الولد المحبوب الا تعلة * وهل خلوة الحسناء الا اذى البعل
وقد ذقت حلواء البنين على الصبا * فلا تحسبنى قلت ماقلت عن جهل
وما الدهر اهل ان تؤمل عنده * حياة وان يشتاق فيه الى النسل

وقال اذا ما الناس جربهم لبيب * فانى قد اكلتهم وذاقا

وقوله فما ترجى النفوس من زمن * أحمد حاليه غير محمود

وقوله ووجه البحر يعرف من بعيد * اذا يسجو فكيف اذا يموج

وقال ليس الجمال لأنف صح مارنه * انف العزيز بقطع العز يجتدع
من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شئ ولا يضع
ان السلاح جميع الناس تحمله * وليس كل ذوات المخلب السبع

وقوله مفتخرا وانا اذا ما الموت صرح فى الوغى * لبسنا الى حاجاتنا الضرب والطعنا

وقوله اهم بشئ والليالى كأنها * تطاردنى عن كونه وأطارد
وحيد من الخلان فى كل بلدة * اذا عظم المطلوب قل المساعد
ولكن اذا لم يحمل القلب كفه * على حالة لم يحمل الكف ساعد

منها بذا قضت الايام مابين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد
وكل يرى طرق الشجاعة والندى * ولكن طبع النفس للنفس قائد
فان قليل الحب بالعقل صالح * وان كثير الحب بالجهل فاسد

وقوله وما كل وجه أبيض بمبارك * ولا كل جفن ضيق بنجيب
كان الردى عاد على كل ماجد * اذا لم يعوذ مجده بعيوب
ولولا أيادى الدهر فى الجمع بيننا * غفلنا فلم نشعر له بذنوب
فرب كئيب ليس تندى جفونه * ورب كثير الدمع غير كئيب
وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها * ويجهد ان يأتى لها بضريب

وقوله ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت * على عينه حتى يرى صدقها كذبا
ومن تكن الاسد الضوارى جدوده * يكن ليله صبحا ومطعمه غصبا
ولست أبالى بعد ادراكى العلا * أكان تراثا ماتناولت أم كسبا

ويعجبنى من هذه القصيدة قوله فى مدح سيف الدولة وقد كسر الدمستق على مرعش
أنى مرعشا يستقرب البعد مقبلا * وأدبر اذ أقبلت تستبعد القربا
كذا يترك الاعداء من يكره القنا * ويقفل من كانت غنيمته رعبا
مضى بعد ما التف الرماحان ساعة * كما يتلقى الهدب فى الرقدة الهدبا
ولكنه ولى وللطعن سورة * اذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا
فخب الجبان النفس أورده البقا * وحب الشجاع الحرب أورده الحربا

ينهمنى كل ما كذب كاذب أو استحل كاذب أو نمرع حاسد بكفران نعمته قل لى أيستحل ان يسمع فى المحال ولم يكشف فيه الحال وما هذا التصديق لرجل ليس فى المروءة رأسا ولا فى الدين ذنبا والله يكفى شاهدا وان كان واحدا فاما غير الله فلا أقل من شاهدين ولا كل شاهدين حتى يكونا عدلين وما أرى الشيخ فى دخوله بينى وبين أبى الحسين بن مهران الا داخلا بين العصا ولحائها انه جلدة بين العين والانف وغدة بين الذفرى والشنف على ان أبا الحسين لو أوحشنى ما استوحشت ولو استوحشت لاوحشت ولو أوحشت لاخشت فمن وطئ العقرب أوجعته ومن قرص الحية لسعته واذا قالت الحية دعنى فلا تلسعنى فقد تحتك وما سألتك شططا كيف القاه بخرطوم فيل ولم يلقنى بانف طويل ولم ابتاعه بثمن نزر ولم يلحظنى بنظر نزر وهل كان يعوزنى ان كانت له حرمة الخلافة فلى حرمة الضيافة وان توسل بما مضى فلى الوسيلة بما بقى وهذا خطب لا برفعه

وما أحلى ما قال بعده

ويختلف الرزقان والفعل واحد * الى أن ترى احسان هذا الذاذنبا

ومن أنصاف مطالعه التى يتمثل بها الناس * واحر قلباه ممن قلبه شبم *

ونصفه الثانى لاجل تمام نقص المطلع * ومن بجسمى وحالى عنده سقم *

ويعجبنى من هذه القصيدة قوله يخاطب سيف الدولة ويشير اليه انه سمع فيه كلام الاعداء وقد أحضرهم لمواجهته ولم يخرج عن ارسال المثل

يا أعدل الناس الا فى معاملتى * فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

أعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم

ومما سار من أمثالها قوله

اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظنن أن الليث مبتسم

يا من يعز علينا ان نفارقهم * وجداننا كل شئ بعدكم عدم

ان كان سركم ما قال حاسدنا * فما لجرح اذا أرضاكم ألم

وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة * ان المعارف فى أهل النهى ذمم

كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم * ويكره الله ما تأتون والكرم

منها وليس لمثله مثيل اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وما أحلى ما قال بعده شر البلاد مكان لا صديق به * وشر ما يكسب الانسان ما يصم

وقال من أبيات وان كان ذنبى كل ذنب فانه * محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

وقال من قصيدة وما كمد الحساد شيأ قصدته * ولكنه من يزحم البحر يغرق

والطراق طرف العين ليس بنافع * اذا كان طرف القلب ليس بمطرق

وقوله لولا مفارقة الاحباب ما وجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلا

وقوله لا بقومى شرفت بل شرفوا بى * وبنفسى فخرت لا بجدودى

وما أحلى ما قال من غزلها أى يوم سررتنى بوصال * لم ترعنى ثلاثة بصدود

منها أين فضلى اذا قنعت من الدهـ * ـر بعيش معجل التنكيد

عش عزيزا أو مت وأنت كريم * بين طعن القنا وخفق البنود

وقال من قصيدة وعذلت أهل العشق حتى ذقته * فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقوله من قصيدة تحقر عندى همتى كل مطلب * ويقصر فى عينى المدى المتطاول

وما أحلى ما قال بعده وما زلت طودا لا تزول مناكبى * الى أن بدت للضيم فى زلازل

وله من قصيدة ليس التعلل بالآمال من أربى * ولا القناعة بالاقلال من شيمى

ولا أظن بنات الدهر تتركنى * حتى تسد عليها طرقها هممى

وما الطف ما قال منها

أرى أناسا ومحصولى على غنم * وذكر جود ومحصولى على الكلم

لقد تصبرت حتى لات مصطبر * فالآن أقحم حتى لات مقتحم

وقال وكاتم الحب يوم البين منهتك * وصاحب الدمع لا تخفى سرائره

وقوله اذا قيل رفقا قال للحلم موضع * وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

وقال من قصيدة ذرينى فى الوغى عيشى لانى * رأيت العيش من أرب النفوس

وقال من أخرى ان ترمنى نكبات الدهر عن كثب * ترمى امرأ غير رعديد ولا نكس

فلم رطب ولكن هذا عنوانه حتى رأيت عيانه وكنت أرد من الشيخ على شرعة من البر تروى الظماء العشر وأخاف ان تكون هذه التعاذير بتسيم لا بل بكذب بهيم لا بل بهتان عظيم لا بل بكشحان عقيم قد كدر على تلك الشرعة وانا أنشده الله فيها وسأرد فان وجدت الحال كما زلت فدار الشمل جامعة وان تغيرت عما عهدت فارض الله واسعة

ان لم تمن بما سألت بمعروف * فامنن على بتسريح باحسان

وفى الجملة ان ابن الهمذانى اذا رضى بان يخدم ولا يخدم فان العبودية لا تعدم

(وله اليه أيضا)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ والناس تذاكروا التبرى يصفون قدرها وفى الوزارة يعظمون صدرها وتحت الرغوة صريح لو علموه والشيخ أولى بان يعظموه فوالله لقد زف منه اليها أعظم مما زف منها اليه وسيديرها على القطب ويضع الهناء مواضع النقب ومن صحب كفاية الشيخ احتاج اليه الملك طوعا والا من الفرط ورضا والا من السخط ومن وجد الرشاء استقى متى شاء ومن سادلم يعدم الرشاد وأقسم

وقال خير الطيور على القصور وشرها * يأوى الخراب ويسكن الناووسا
وقال أيضا يخفى العداوة وهى غير خفية * نظر العدو بما أسر يبوح
وقال أيضا وهبنى قلت هذا الصبح ليل * أيعمى العالمون عن الضياء
وقال أيضا وشغل النفس عن طلب المعالى * ببيع الشعر فى سوق الكساد
ومنها وما ماضى الشباب بمسترد * ولا يوم يمر بمستعاد
متى لحظت بياض الشيب عينى * فقد وجدته منها فى السواد
وما العضب الطريف وان تقوى * بمنتصف من الكرم التلاد
فان الجرح يدمى بعد حين * اذا كان البناء على فساد
وكيف يبيت مضطجعا جبان * فرشت لجنبه شوك القتاد

وما أحلى قوله من قصيدة

انى وان لمت حاسدى فما * انكر انى عقوبة لهم
كفانى الذم انى رجل * أكرم مال ملكته الكرم

وما أحلى ما قال بعده يجنى الغنى للئام لو عقلوا * ما ليس يجنى عليهم العدم
وقال أيضا خليلك أنت لا من قلت خلى * وان كثر التجمل والكلام
ولو لم يعل الا ذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام
وما أحلى قوله منها تلذ له المروءة وهى تؤذى * ومن يعشق يلذ له الغرام
ومما سار من أمثالها لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك فى فم الدنيا ابتسام
تروع ركانة وتذوب ظرفا * فما ندرى أشيخ أم غلام
وقال من قصيدة اظمتنى الدنيا فلما جئتها * مستسقيا مطرت على مصائبا
وقال منها خذ من ثناى عليك ما أسطيعه * لا تلزمنى فى الثناء الواجبا
وقال من غيرها ومن لبه مع غيره كيف حاله * ومن سره فى جفنه كيف يكتم
وقوله أنا صخرة الوادى اذا ما زوحمت * واذا نطقت فاننى الجوزاء
واذا خفيت على الغبى فعاذر * أن لا ترانى مقلة عمياء
ان الكريم اذا أقام ببلدة * سال النضار بها وقام الماء
وقال من قصيدة لا تعذل المشتاق فى أشواقه * حتى يكون حشاك فى أحشائه

وما أحلى ما قال بعده

ان القتيل مضرجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه

وما أحلى ما قال من قصيدة

اذا ما قدرت على نطقة * فانى على تركها أقدر
أصرف نفسى كما أشتهى * وأملكها والقنا أحمر

ويطربنى من مديحها قوله منها أيضا

كفتك المروءة ما تتقى * وآمنك الود ما تحذر

وقال فلا تطمعن من حاسد فى مودة * وان كنت تبديها له وتنيل
يهون علينا ان تصاب جسومنا * وتسلم أعراض لنا وعقول
وقوله وما أخصك فى برء بتهنئة * اذا سلمت فكل الناس قد سلموا
وقال ومن يجعل الضرغام للصيد بازه * تصيده الضرغام فيما تصيدا
وما قتل الاحرار كالعفو عنهم * ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا

لو نطق ذلك الدست لقال بأبى أنت ما خلعت حدادى منذ فارقت مسندى ووسادى فالآن ردت الدولة الى نصابها وجرت الامور على اذلالها وأتى الامر من وجهه واستنزل النصر من بابه وطلب المراد من مطلبه وأعطى القوس باريها وعلى الآن ضمان الدرك ثم عونك اللهم تأخرت كتبى عن الشيخ وما أخرتها اخلالا بالخدمة ولا كفرانا للنعمة ولكن لتلك الحضرة رسوم وابتداء معلوم ولا سيما فى المخاطبات وضيقها والجواد لا يجزع من الاكاف جزعى من مخاطبة الكاف فان جاز ان امتاز عن جملة الناس بهذا المزيد فالتك من الشيخ المكاتبة فان لم يره الصواب فالجواب ان لا جواب والسلام

(وله اليه أيضا)

كتبت وليست التجربة خمسة أحربة ولا سبعين ذراعا انما التجربة دفعة والتقدمة لفظة ثم العاقل بفطنته يكيس ويقيس والجاهل بغفلته يخس ويخيس يا أبا الفضل ليس هذا زمانك وليست هذه بدارك ولا السوق سوق متاعك بئست الكتب وما وسقت والاقلام وما نسقت والمحابر وما سقت

وما أحلى ما قال بعده

* اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا *

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف فى موضع الندى

ويعجبنى منها فى افتخاره

وما الدهر الا من رواة قصائدى * اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

فسار به من لا يسير مشمرا * وغنى به من لا يغنى مغردا *

ومن أمثالها فدع كل صوت بعد صوتى فاننى * أنا الصائح المحكى والآخر الصدى

وقيدت نفسى فى ذراك محبة * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

ولقد أجاد فى مديحها بقوله

اذا سأل الانسان أيامه الغنى * وكنت على بعد جعلنك موعدا

ومن الامثال السائرة مطلع هذه القصيدة * لكل امرئ من دهره ما تعودا *

وقال من قصيدة وما التيه طبى فيهم غير اننى * بغيض الى الجاهل المتغافل

وقوله وكيف يتم بأسك فى اناس * تصيبهم فيؤلمك المصاب

وما ألطف ما قال بعده ترفق أيها المولى عليهم * فان الرفق بالجانى عتاب

وما تركوك معصية ولكن * يعاف الورد والموت الشراب

وما جهلت أياديك البوادى * ولكن ربما خفى الصواب

وكم ذنب يولده دلال * وكم بعد يولده اقتراب

وجرم جره سفهاء قوم * وحل بغير جارمه العذاب

ومن مطالعه التى سارت أمثالا

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم

ويعجبنى من مديحها

اذا كان ما تنويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

وقفت وما فى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائم

وقال من قصيدة وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا * اذا لم يكن فوق الكرام كرائم

وقال من غيرها وما الحسن فى وجه الفتى شرف له * اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وقال من قصيدة وما فى سطوة الارباب عيب * ولا فى زلة العبدان عار

وقال من قصيدة واذا لم تجد من الناس كفوا * ذات خدر ارادت الموت بعلا

واذا الشيخ قال أف فما مل حياة وانما الضعف ملا

آلة العيش صحة وشباب * فاذا وليا عن المرء ولى

وما احلى ما قال بعده ابدا تسترد ما تهب الدنيا فيا ليت جودها كان بخلا

وقال من قصيد رب امر أتاك لا تحمد الفعال فيه و تحمد الافعالا

واذا ما خلا الجبان بارض * طلب الطعن وحده والنزالا

ومن انصافها هكذا هكذا والا فلالا وقال من قصيدة مطلعها

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهى المحل الثانى

ولربما طعن الفتى اقرانه * بالرأى قبل تطاعن الاقران

لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان

ولما تفاضلت النفوس ودبرت * أيدى الكماة عوالى المران

والاستماع اذا أنصفت
واللوم ولا هذه العلوم
وليت لنا مكان الملك عمرو
رغوثا حول قبتنا تدور
ولو استقبلت من أمرى ما
استدبرت لواجرت وقامرت
لكنى أصبت وجه الرأى
والعود يابس واللحية
بيضاء ولقد صدق الشاعر
اذ قال
لا يصير الغلام جلدا ذكيا
ناقدا فى الامور حتى وحتى
وعلى الشاعر ان يقول
وعلى السامع القبول
ولعمرى لقد سمعت هذا
البيت كما سمعه فلان ولكنه
وفق لاعتقاده ملة واتخاذه
قبلة واعتماده حرفة لا جرم
انه اجتنى ثمراتها ولا بى
حسراتها فهو يصل اذا
حجبت ويعطى اذا حرمت
وعند الله احتسبت عمرا
أضعناه فى الادب واتلفناه
فى العلوم ونسأله خاتمة خير
(وله اليه أيضا)
كتابى أطال الله بقاء الشيخ
عن سلامة لا هم الا مرة
سوداء حببت الى الوحدة
وزينت لى العزلة فوليت
الناس جانبى الوحشى فلا
عشرة ولا انبساط ولا الفة
ولا ابتسام وأظن الشيخ لو
رآنى لقال وقال تحرك
أيها الثقلان وما أنس
لا انس الحديث أسمعنيه
وما أقض لا أقض العجب
منه وفيه وجح البيت بعض

واذا الرماح شغلن مهجة ثائر * شغلته مهجته عن الاخوان

وقال أيضا واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل
وكثير من السؤال اشتياق * وكثير من رده تعليل
ما الذي عنده تدار المنايا * كالذي عنده تدار الشمول

وقال من قصيدة ومن تفكر في الدنيا ومهجته * اقامه الفكر بين العجز والتعب

ومن مطالعه التي سارت أمثالا
كفى بك داء أن ترى الموت شافيا * وحسب المنايا ان يكن امانيا

وقوله منها اذا كنت ترضى ان تعيش بذلة * فلا تستعدن الحسام اليمانيا
وللنفس أخلاق تدل على الفتى * أكان سخاء ما أتى أم تساخيا
اذا الجود لم يرزق خلاصا من الاذى * فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا
خلقت ألوفا لو رددت الى الصبا * لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

ومن انصافها السائرة ومن قصد البحر استقل السواقيا

وقال أيضا فارمي بي ما أردت مني فاني * أسد القلب آدمي الرواء
وفؤادي من الملوك وان كا * ن لساني يرى من الشعراء

وقال من قصيد فما الحداثة عن حلم بمانعة * قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

ويعجبني من مديحها كان كل سؤال في مسامعه * قميص يوسف في أجفان يعقوب
اذا اعترته أعاديه بمسئلة * فقد عرته بجيش غير مغلوب

وقال أيضا وأتعب خلق الله من زاد همه * وقصر عما تشتهي النفس وجده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وما أحلى ما قال بعده
وفي الناس من يرضى بميسور عيشة * ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلبا بين جنبي ماله * مدى ينتهي بي في مراد أحده

وقال اذا حلت مكانا بعد صاحبه * جعلت فيه على ما قبله تيها

وقوله وما منزل اللذات عندي بمنزل * اذا لم أبجل عنده وأكرم

منها اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته * واصبح في ليل من الشك مظلم
أصادق نفس المرء من قبل جسمه * واعرفها من فعله والتكلم
وأحلم عن خلي واعلم انه * متى أجزه حلما من الجهل يندم
وما كل هاو للجميل بفاعل * ولا كل فعال له بمتمم
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

منها رضيت بما ترضى به لي محبة * وقدت اليك النفس قود المسلم

وقوله واذا الحلم لم يكن في طباع * لم يحلم تقدم الميلاد
واذا كان في الانابيب خلف * وقع الطيش في صدور الصعاد

وقوله وما الخيل الا كالصديق قليلة * وان كثرت في عين من لا يجرب
وكل امرئ يولي الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

منها وأجاد الى الغاية
واظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب

الخنافس فسئل عما رأى فقال رأيت الصفا والجون وقوما بموجون وكعبة ترف عليها الستور وترفرف حوالها الطيور وبيتا كبيتي ولكن سل عن البخت لا عن البيت وابتاع بعض الهنود هذا الشاعر المشوي فاتزن بدانق ارطالا ثم وجد الكمثرى تباع فقال ما أغلاه نيا وما أرخصه مشويا نويت ان اعتزل الناس حتى يعرفوا الكمثرى من الشلغم ان لم يعرفوا الدينار من الدرهم وآوى اليوم حتى ينصف المظلوم والعاقل أيد الله الشيخ يسكن المكان النظيف ولا يألف الكنيف ما أرى ذلك الا لما يعاف من خبث الخرء ويشم من كريه الريح فلا طرف من اللحظ ما للانف وللسمع من الغم ما للشم وما أطن معرض العين لهذه الوجوه الا معرضها للمكروه ولا صان الاذن عن هذه الانفاس الا صانها عن الوسواس سكن أبو موسى الاشعري المقابر فقال أجاور قوما لا يغدرون كلا أبا موسى لا يغدرون لانهم لا يقدرون ولكنها الاطلال الخالية والرسوم البالية والانهار الصافية والاشجار الوافية والظلال الضافية

وقال من قصيدة لا تلق دهرك الا غير مكترث * مادام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرور ما سررت به * ولا يرد عليك الفائت الحزن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن
رأيتكم لا يصون العرض جاركم * ولا يدر على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل * وحظ كل محب منكم ضغن
وتغضبون على من نال رفدكم * حتى يعاقبه التنغيص والمنن
وقال من قصيدة ومراد النفوس أهون من أن * تتعادى فيه وان تتعانى
غير ان الفتى يلاقى المنايا * كالحات ولا يلاقى الهوانا
ولو ان الحياة تبقى لحى * لعددنا أضلنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز أن تكون جبانا
وله من قصيدة ولله سر فى علاك وانما * كلام العدا ضرب من الهذيان
وقال لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال
وقال ومن يجد الطريق الى المعالى * فلا يذر المطى بلا سنام
وما أحلى ما قال بعده
ولم أر فى عيوب الناس نقصا * كنقص القادرين على التمام
وملنى الفراش وكان جنبى * يمل لقاءه فى كل عام
ومن اختراعاته المخترعة قوله منها ويشير الى حمى أصابته وكانت تغشاه اذا أتى الليل
وزائرتى كأن بها حياء * فليس تزور الا فى الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا * فعافتها وباتت فى عظامى
يضيق الجلد عن نفسى وعنها * فتوسعه بأنواع السقام
اذا ما فارقتنى غسلتنى * كأنا عاكفان على حرام
كأن الصبح يطردها فتجرى * مدامعها بأربعة سجام
اراقب وقتها من غير شوق * مراقبة المشوق المستهام
وتصدق وعدها والصدق شر * اذا ألقاك فى الكرب العظام
فان أمرض فما مرض اصطبارى * وان أحمم فما حم اعتزامى
وان أسلم فما أبقى ولكن * سلمت من الحمام الى الحمام
وقوله وللسر منى موضع لا يناله * نديم ولا يفضى اليه شراب
وما العشق الا غرة وطماعة * يعرض قلب نفسه فيصاب
اعز مكان فى الدنا ظهر سابح * وخير جليس فى الزمان كتاب
منها فى المديح قوله فى كافور
تجاوز قدر المدح حتى كأنه * بأحسن ما يثنى عليه يعاب
اذا نلت منك الود فالكل هين * وكل الذى فوق التراب تراب
وما أحلى ما قال بعده
وما كنت لولا أنت الا مهاجرا * له كل يوم بلدة وصحاب
وقوله من اقتضى بسوى الهندى حاجته * أجاب كل سؤال عن هل بلم
منها ولم تزل قلة الانصاف قاطعة * بين الرجال ولو كانوا ذوى رحم
لا تشكون الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

والغاشية الماشية والزاوية توفيها العافية وسترى ان لا استنزل عن عزمى شفاعة ولا اتلبث عن الشيخ سمعا ولا طاعة والسلام

(وله اليه يعزيه)
وتالله ما يضرب الكاتب كما يضرب هذا القلب ولا يقطر الشمع كما يقطر هذا الدمع والنار ارفق بالزناد من هذه المصيبة بالاكباد وما للسم سلطان هذا الغم ولا للخمر طغيان هذا الامر ونفسى الى القبر اعجل منها الى الصبر واذ ناى بالموت آنس منها بهذا الصوت أولم يكفنا الجرح حتى ذر عليه الملح ألم أكن من أبى القاسم مثقل الظهر فما هذه العلاوة على الحمل ولم هذه الزيادة على الثقل من هراة وانا بين القول والعمل اعمل فى السفا واقول واسفا والحمد لله الذى كدر وصفا وصلواته على نبيه المصطفى وآله المجتبى ولولا ان يتطير الشيخ عن مقدمى فيقول لا يأتينى الا عند مصيبة لسقيت تربة هذا النجم الآفل من دموعى وقدمت احداثه بضلوعى ولكنه ألقى فى روعى ان خدمتى هذه طيرة وان تاخرى عنها خيرة فكلما استخفنى اليه الجزع

وكن على حذر للناس تستره * ولا يغرك منهم ثغر مبتسم

منها
أتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم
سبحان خالق نفسى كيف لذتها * فيما النفوس تراه غاية الألم

ومن أمثاله التى سارت فى هجو كافور قوله
العبد ليس لحر صالح باخ * لو انه فى ثياب الحر مولود
لا تشتر العبد الا والعصى معه * ان العبيد لأنجاس مناكيد
ما كنت أحسبنى أبقى الى زمن * يسئ بى فيه كلب وهو محمود
من علم الاسود المخصى مكرمة * أقومه البيض أم آباؤه السود

ومن أمثاله
ومن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه مالا يرى

ومن أنصافه التى سارت أمثالا
ولا بد دون الشهد من ابر النحل

وقال من قصيد
قد كنت أحذر بينهم من مثل ذا * لو كان ينفع خائفا ان يحذرا
أعطى الزمان فما قبلت عطاءه * وأراد بى فأردت ان أتخيرا

وقال من قصيدة
وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدان

وقوله
نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف مالا بد من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا * على زمان هى من كسبه
لو فكر العاشق فى منتهى * حسن الذى يسبيه لم يسبه
يموت راعى الضأن فى جهله * موتة جالينوس فى طبه
وغاية المفرط فى سلمه * كغاية المفرط فى حربه
فلا قضى حاجته طالب * فؤاده يخفق من رعبه

وقال من قصيد
اذا اشتبكت دموع فى خدود * تبين من بكى ممن تباكى

ولقد رأيت هنا فى هذا القدر الذى أوردته من شعر أبى الطيب من ارسال المثل ما تطيب به الاذواق وتجول به فرسان الانشاء بالجرمن جياد الاقلام فى ميادين الاوراق وعلى كل تقدير فما لأبى الطيب فى حكمه وأمثاله نظير * وهنا نكتة لطيفة وهى ان صلاح الدين الصفدى كان مذهبه تقديم أبى الطيب المتنبى على أبى تمام وهو مذهب أبى العلاء المعرى فانه سمى ديوانه بعد ما شرحه معجز احمد فاتفق ان صلاح الدين اجتمع بابن نباتة بالديار المصرية وذاكره فى أبى الطيب وأبى تمام فوجده على مذهبه واجتمعا بعد ذلك بالشيخ أثير الدين أبى حيان وذاكراه فى ذلك فقدم أبا تمام فلاماه على ذلك فقال أنا لا أسمع لوما فى حبيب انتهى ومذهبى فى ذلك مذهب الشيخ صلاح الدين ومذهب الشيخ جمال الدين وان كان الشيخ أثير الدين ما سمع فى حبيبه لوما وخالف من لامه فيه وفند فمن المستحيل رجوع أبى بكر عن حب أحمد وقد عن لى أن أورد هنا ما سارت فى الخافقين حكمه وأمثاله وانقاد أهل الذوق السليم لطاعته لما ورد عليهم مثاله وهو أليق الذى وسمته بتغريد الصادح وما ذاك الا ان سيدنا ومولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى نور الله ضريحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه كان يقول أود ان انتزع من الصادح والباغم أرجوزة مشتملة على أمثلة مرقصة وحكم بديعة بشرط أن يكون البيت منه بجامع الذى قبله والذى بعده ولم يتيسر لى ذلك لصعوبة المسلك انتهى ولما قدر الله تعالى ما قدره من الاختفاء بدمشق سنة ثلاث عشرة وثمانمائة عند حلول الملك الناصر بها وأنا فى خدمة المقر الاشرف القاضوى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان الصادح والباغم بين كتبه فنظر فيه يوما وذكر قول قاضى القضاة صدر الدين ورسم لى بذلك فانتزعت له هذه الارجوزة التى سارت غرر

أقعدنى عنه الفزع ولو كان أحد من البرية فوق ان يذكر بالله لكانه الشيخ أدام الله عزه لما أوتى من تمام النفس وكمال الفضل والمعرفة بأحوال الدهر والعض على ناجذ الحلم ولكن لفقد الكريم لوعة وللفجأة المصيبة روعة ليس لها الا التدبر والتذكير والتذكر فانا أذكر الله عز وجل الذى أنفذ فى مشارق الارض أمره وأجرى بين اللحوم والجلود حكمه وجعل أكثر هذا العالم دونه وصان مع ذلك من الشوائب دينه وأبقى له من صالح الاولاد من يقر عينه ومن طيب النسل ما يقوى ظهره ويغيظ عدوه وان ينسى الكثير من آلائه القليل من بلائه والله يجعل هذه المصيبة خاتمة المصائب ولا ريبه فى الاعزة سوا أبدا

(وله اليه أيضا)
وفيما يقول الناس فى حكاياتهم ان اعرابيا نام ليلا عن جمله ففقده فلما طلع القمر وجده فرفع الى الله يده فقال أشهد لقد أعليته وجعلت السماء بيته ثم نظر الى القمر فقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء قدرك واذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا أسأله لك ولئن أهديت الى قلبى سروره لقد

أمثالها ولم يسمح الزمان لمؤلف بمثالها ومن سافر فيها ناظره وكان الذوق السليم رفيقه علم انها تضرب بها الامثال على الحقيقة وسميتها بتغريد الصادح وصدرتها من نظمي بأبيات تقوم مقام الديباجة والخطبة هي

الحمـــد لله الذي هـذبنا * واختارنا للعـلم اذ أدبنا
فان للآداب فضـلا يذكر * فلا تخاطب كل من لا يشعر
يامدعي الحـكمة في كلامه * ومن يروم السحر في نظامه
خذ حكما وكلها أمثال * ليس لها في عصرنا مثال
ألفها ابن حجـــة للنجبا * لان فيها رأس مال الادبا
واختارها من مفردات الصادح * فكان ذا من أكبر المصالح
من كل بيت ان تمثلت به * سكنت من سامعه في قلبه
وقد تهجمت على الشريف * لكنني خاطبت بالمعروف
وجئت من كلامه بنبذه * تجلب للسامع كل لذه
وترفع الاديب ان تمثـلا * بها اذا خاطب أرباب العلا
من حكم تتبعها وصايا * مقبولة من أحسن السجايا
من أول وأوســط وآخر * جمعتها جمع أديب شاعر
حتى دنا البعيـد للقـريب * وانتظم البديع بالغريب
وانسجمت في جمعها أرجوزه * بديعـة غريبـة وجيزه
وكل من أنكر ما أحكمت في * ترتيبها يكون غير منصف
فلينظر الاصل ليعرف السبب * ويعترف ان كان من أهل الادب
أول ما رغب في استهلاله * من نظمه المحكم في مقاله

وهذا أول الصادح والباغم

العيش بالرزق وبالتقـدير * وليس بالرأى ولا التدبير
في الناس من تسعده الاقدار * وفعله جميعه ادبار

ومن هنا يأتي هذا التأليف جميعه على هذا النمط وما أردت بهذا التنبيه الا يقظة المتأمل

من عرف الله ازال التهمه * وقال كل فعله للحكمه *
من أنكر القضاء فهو مشرك * ان القضاء بالعباد أملك
ونحـن لا نشرك بالله ولا * نقنط من رحمته اذ نبتـلى
عار علينا وقبيح ذكر * أن نجعل الكفر مكان الشكر
وليس في العالم ظـلم جاري * اذ كان ما يجري بأمر الباري
واسعد العالم عنـد الله * من ساعد الناس بفضل الجاه
ومن أغاث البائس الملهوفا * أغاثه الله اذا أخيفا
ان العظيـم يدفع العظيما * كما الجسيم يحمل الجسيما
فان من خلائق الكرام * رحمة ذي البلاء والاسقام
وان من شرائط العلو * العطف في البؤس على العدو
قد قضت العقول ان الشفقه * على الصديق والعدو صدقه
وقـد علمت واللبيب يعلم * بالطبع لا يرحم من لا يرحم
فالمـرء لا يدري متى يمتحن * فانه في دهـــره مرتهن

أهـدى الله اليك نوره فالشيخ ذلك القمر المضيء والناذ لك الاعرابي لقد أعلى الله قدره وأنفذ بين الجلود واللحم أمره ونظر اليه والى الذين يحسدونه فجعله فوقهم وجعلهم دونه فلا اعـلم مزيدا الا الدوام فالله يديم له ظلال النعمة ومجال القـدرة ومساق الدولة ومراد البغية انه على ما يشاء قـدير والمرء ادام الله عز الشيخ جزوع ولكنه جـول والانسان في النوائب شموس ثم ذلول وقد عشت بعد فراق الشيخ ولكن عيشة الحوت في البر وبقيت ولكن بقاء الثلج في الحر (وأخبرني الخطيب) انه سعد بلقائك ولي النعمة فلم تره يتوجع لشكاية العارضة فسجدت لله شكرا وقدمت صدقة ونذرا وكانت في نفسي حاجات اعتمدت بها أيام التشييع فلما تلقاني الامر العالي بالرجوع بقيت حاجاتي في نفسي ولم يعطس بها رأسي وهو يعلم حال الراس في احتباس العطاس خاتما صدري على سري ولو كنت كلي صدرا ما وسعت الا نزرا فلا أسأله حاجة ولكني أصف له حال عبده وابن عبده والمتوسل بعبده فلان فربما يسعد من ولي النعمة بكريم نظر

وان نجا اليوم فما ينجو غدا * لايأمن الآفات الاذو الردى
لاتغتر بالحفظ والسلامه * فانما الحياة كالمدامه
والعمر مثل الكاس والدهر القذر * والصفو لابد له من الكدر

انظر أيها المتأمل كيف اتبعت قوله فانما الحياة كالمدامة بقوله فالعمر مثل الكاس واذا نظرت الى آخر البيت رأيت الاتفاق العجيب منها

وكل انسان فلا بد له * من صاحب يحمل ما أثقله
جهد البلاء صحبة الاضداد * فانها كي على الفؤاد
أعظم ما يلقى الفتى من جهد * ان يبتلى فى جنسه بالضد
فانما الرجال بالاخوان * واليد بالساعد والبنان
لا يحقر الصحبة الا جاهل * أومارق عن الرشاد غافل
صحبة يوم نسب قريب * وذمة يحفظها اللبيب
وموجب الصداقة المساعده * ومقتضى المودة المعاضده
لاسيما فى النوب الشدائد * والمحن العظيمة الاوابد
فالمرء يسعى أبدا أخاه * وهو اذا ماعد من أعداه
وان من عاشر قوما يوما * ينصرهم ولا يخاف لوما
وان من حارب من لايقوى * لحربه جر اليه البلوى
فحارب الاكفاء والاقرانا * فالمرء لايحارب السلطانا
واقنع اذا حاربت بالسلامه * واحذ رفعالا توجب الندامه
فالتاجر الكيس فى التجاره * من خاف فى متجره الخساره
يجهد فى تحصيل رأس ماله * ثم يروم الربح باحتياله
وان رأيت النصر قد لاح لكا * فلا تقصر واحترز أن تهلكا
واسبق الى الاجود سبق الناقد * فسبقك الخصم من المكايد
وانتهز الفرصة ان الفرصه * تصير ان لم تنتهزها غصه
كم نظر الغالب يوما فترك * عنه التوقى واستهان فهلك
ومن أضاع جنده فى السلم * لم يحفظوه فى لقاء الخصم
وان من لا يحفظ القلوبا * يخذل حين يشهد الحروبا
والجند لايرعون من أضاعهم * كلا ولا يحمون من أجاعهم
وأضعف الملوك طرا عقدا * من غره السلم فاقصى الجندا
والحزم والتدبير روح العزم * لاخير فى عزم بغير حزم
والحزم كل الحزم فى المطاوله * والصبر لافى سرعة المزاوله
وفى الخطوب تظهر الجواهر * ماغلب الايام الا الصابر
لاتيأسن من فرج ولطف * وقوة تظهر بعد ضعف
فربما جاءك بعد الياس * روح بلا كد ولا التماس
فى لحة الطرف بكاء وضحك * وناجذ باد ودمع ينسفك
تنال بالرفق وبالتأنى * مالم تنل بالحرص والتعنى
ما أحسن الثبات والتجلدا * وأقبح الحيرة والتبلدا
ليس الفتى الا الذى ان طرقه * خطب تلقاه بصبر وثقه

فان خط تلك الديار وغلاء الاسعار والتردد فى الاسفار استنطف ماله واستنزف ماءه فورد هراة فقمش من ههنا مقدارا وأعطاه فلان خمسين دينارا معونة للطريق وليتبلغ الى الماء بالريق فاذا عرف ولى النعمة هذه الحال عنى به فيما راه هذه واحدة والاخرى حاجتى التى عرضتها مرارا وكررتها ليلا ونهارا وأوردتها سرا وجهارا ثم شغل الرحيل الميمون والنهوض المسعود عن استنجازها فبقيت فى أكمامها وحال القدر دون عامها وفضل الله به زعيم وكرم الشيخ فيها كفيل وهى الحكومة التى طلبتها للفقيه الذى كان يخلف القاضى أبا عمرو على عمله بنيسابور ثم اللهم اياك أسأل ومنك أطلب وعليك أتوكل ان ناصية الشيخ بيدك وان التوفيق من عندك وللشيخ فى تشريف العبد بالجواب ومايقيم له من الايجاب العين العالية والرأى السديد ان شاء الله تعالى

(وله اليه مع الوفد طلبا للنظر لاهل هراة)

كتبت اطال الله بقاء الشيخ والجبل عنوان نعم الله والشيبة فى الاسلام ضمان من أمان الله فاذا أحسن

اذا الرزايا أقبلت ولم تقف * فسنم أحوال الرجال تختلف
وكم لقيت لذة فى زمنى * فأصبر الآن لهذى المحن
فالموت لايكون الا مره * والموت أحلى من حياة مره
انى من الموت على يقين * فاجهد الآن لما يقينى
صبرا على أهوالها ولاضجر * وربما فاز الفتى اذا صبر
لايجزع الحر من المصائب * كلا ولايخضع للنوائب
فالحر للعبء الثقيل يحمل * والصبر عند النائبات يجمل
لكل شئ مدة وتنقضى * ماغلب الايام الا من رضى
قد صدق القائل فى الكلام * ليس النهى بعظم العظام
لاخير فى جسامة الاجسام * بل هو فى العقول والافهام
فالخيل للحرب وللجمال * والابل للعمل وللترحال
لاتحتقر شيأ صغيرا محتقر * فربما أسالت الدم الابر
لاتحرج الخصم فى احراجه * جميع ماتكره من لجاجه
لاتطلب الفائت باللجاج * وكن اذا كويت ذا انضاج
فعاجز من ترك الموجودا * طماعة وطلب المفقودا
وفتش الامور عن أسرارها * كم نكتة جاءتك مع اظهارها
لزمت للجهل قبيح الظاهر * وما نظرت حسن السرائر
ليس يضر البدر فى سناه * ان الضرير قط لا يراه
كم حكمة أضحت بها المحافل * نافقة وأنت عنها غافل
ويغفلون عن خفى الحكمه * ولو رأوها لازالوا التهمه
كم حسن ظاهره قبيح * وسمج عنوانه مليح
والحق قد تعلمه ثقيل * يأباه الا نفر قليل
فالعاقل الكامل فى الرجال * لا ينثنى لزخرف المقال
ان العدو قوله مردود * وقلما يصدق الحسود
لاتقبل الدعوى بغير شاهد * لاسيما ان كان من معاند
أيؤخذ البرىء بالسقيم * والرجل المحسن باللئيم
كذلك من يستنصح الاعادى * يردونه بالغش والفساد
ان أكل من ترى أذهانا * من حسب الاساءة الاحسانا
فادفع اساءة العدا بالحسنى * ولاتخل يسرالذ مثل اليمنى
وللرجال فاعلمن مكايد * وخدع منكرة شدائد
فالندب لايخضع للشدائد * قط ولا يغتاظ بالمكايد
فرقع الخرق بلطف واجتهد * وامكر اذا لم ينفع الصدق وكد
فهكذا الحازم اذ يكيد * يبلغ فى الاعداء مايريد
وهو برىء منهم فى الظاهر * وغيره مختضب الاظافر
والشهم من يصلح أمر نفسه * ولو بقتل ولده وعرسه
فان من يقصد قلع ضرسه * لم يعتمد الاصلاح نفسه
وان من خص اللئيم بالندا * وجدته كمن يربى أسدا

معها الخلق أضاء بنورهما الافق ومايكاد مثلى يفعل وان حسنت اخلاقه انما الخطر العظيم ان تحسن اخلاق من بيده الآفاق وعن أمره الارزاق وباذنه الحبس والاطلاق وبرأيه الغنى والاملاق واليه تنقطع الاعناق وله لواء خراسان والعراق وترعد الشاش والايلاق فاذا كانت هذه حاله حسنت اخلاقه وعظم عند الله خلاقه والمرء لايكرم خصاله حتى يكرم جله وفصاله ولا يسعد به جاره حتى يسعد بالطهارة نجاره ولا ينفس عن مؤمن كربه الامن طاب ماؤه وتربه ولوعلم الناس مابين أيديهم لتركوا ماخلفهم ولوذكروا ماأعد الله أمامهم لنسوا ماوراءهم انما الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار ولا أزيد الشيخ علما بهراة وأهلها انه قد شاهد أحوالهم ونقد أموالهم وبرز دخالهم وعرف ماعليهم ومالهم ومايغيب عن ثاقب فطنته الا القليل ولكنى أخبره بماعرض لها ولهم بعد فصول أصلها عنها فيهم فشت الامراض الحادة نخبطت عشواء وأفنت رجالا ثم جد الغلاء وفقد الطعام ووقع الموت العام فن الناس من لم يطعم

وليس فى طبع اللئيم شكر * وليس فى أصل الدنىء نصر
وان من ألزمه وكافه * ضد الذى فى طبعه ما أنصفه
كذاك من يصطنع الجهالا * ويؤثر الارذال والانذالا
لو أنكم أفاضل أحرار * ماظهرت بينكم الاسرار
ان الاصول تجذب الفروعا * والعرق دساس اذا أطيعا
ماطاب فرع أصله خبيث * ولا زكا من مجده حديث
قد يدركون رتبا فى الدنيا * ويبلغون وطرا من بغيا
لكنهم لا يبلغون فى الكرم * مبلغ من كان له فيها قدم
وكل من غايات أطرافه * فى طيها وكرمت اسلافه
كان خليقا بالعلا وبالكرم * وبرعت فى أصله حسن الشيم
لولا بنو آدم بين العالم * مابان للعقول فضل العالم
فواحد يعطيك فضلا وكرم * فذاك من يكفره فقد ظلم
وواحد يعطيك للمصانعه * أو حاجة له اليك واقعه
لا تشرها الى حطام عاجل * كم أكلة أودت بنفس الآكل
واحذر أخى يافتى من الشره * وقس بما رأيته مالم تره
فليس من عقل الفتى أو كرمه * افساد شخص كامل لقرمه
فالبغى داء ماله دواء * ليس لملك معه بقاء
والبغى فاحذره وخيم المرتع * والعجب فاتركه شديد المصرع
والغدر بالعهد قبيح جدا * شر الورى من ليس يرعى العهدا
عند تمام الامر يبدو نقصه * وربما ضر الحريص حرصه
وربما ضرك بعض مالكا * وساءك الحسن من رجالكا
فالمرء يفدى نفسه بوفره * عساه أن ينجو به من أسره

تمت وختمها شيخنا رحمه الله بقوله

لا تعطيا شيأ بغير فائده * فانها من السجايا الفاسده
هذا الذى ألفته واخترته * من رجز الشريف وانتخبته
وحرمة الآداب يا أهل الادب * ان الشريف قد أتانا بالعجب
قلنا جميعا اذ سمعنا رجزه * كم قد أتى محمد بمعجزه
من كل بيت شطره قصيد * وكلنا لبيته عبيد
فرحمة الله له فى الآخره * خاتمة مع الهبات الوافره
ثم الصلاة والسلام دائما * على الذى للرسل جاء خاتما

انتهى ماأوردته من أمثال أبى الطيب المتنبى وأمثال الصادح والباغم ولم أقصد بذلك الأخذ مايحتاج المتأدب اليه فى ارسال المثل على أنواعه خصوصا أهل الانشا فانه حلية جولانهم وعمدة فرسانهم وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته

رجوتكم نصحاء فى الشدائد لى * لضعف رشدى واستسمنت ذا ورم

فقوله استسمنت ذا ورم من الامثال السائرة ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته أنوار بهجته ارسالها مثلا * يلوح أشهر من نار على علم فقوله أشهر من نار على علم من الامثال السائرة وبيتى

اسبوعا حتى هلك جوعا ومنهم من تبلغ بالميتة الى يومنا هذا وهو ينتظر نحبه ليلحق صحبه ومنهم من لا يجد القوت والدرهم على كفه حتى يموت والباقون أحياء كأنهم أموات ترعد فرائصهم من هذه البوائق وان هول السلطان أعظم وأطم وأمر المطالبات أكبر وأهم فنظر الله لعبد من عباده خولهم نظرا وأحسن من أمورهم محضرا وجمل الشيخ ذلك العبد ووفقه لمصالح القول والعمل ولما أهم الناس ما أهمهم من هذا الامر خلصوا نجيا ثم أفكروا مليا ثم اتفق رأيهم على ان يبعثوا وفدا ثم عملوا الخطيب أبا على لذلك المجلس فوجدوه الى اجابتهم سريعا ليدرك حظا من سعادة نفسه بحضرة موسم الخيرات ومقسم الموت والحياة ومطلع البركات حضرة الشيخ أدام الله نضارتها مهاجرا اليها متوكلا على الله مستعينا بالله متوجها الى الله وذا الصالة منتجزا من الشيخ جميل وعده فى التماس النظر وسابق قوله فى تصوير هذه الحال والخطيب ينتظر بصلاح أبويه ويرجوان يعطف الله بقلب الشيخ عليه

وكم غنلت اذا رخوا شعورهم * وقلت بالله خلوا الرقص فى الظلم
فالرقص فى الظلم من الامثال السائرة ولكن قولى لهم بعد ارخاء الشعور خلوا الرقص فى الظلم لا يخفى على الحذاق من أهل الادب

(ذكر التهكم)

*(ذل المذول بهم وجد انقات له * تهكما أنت ذو عزو ذو شمم)*

التهكم نوع عزيز فى أنواع البديع لعلو مناره وصعوبة مسالكه وكثرة التباسه بالهجاء فى معرض المدح وبالهزل الذى يراد به الجد ويأتى الفرق بينها بعد ايضاح حده والتهكم فى الاصل التهدم يقال تهكمت البئر اذا تهدمت وتهكم عليه اذا اشتد غضبه والمتهكم المحتقر قال أبو زيد تهكمت غضبت وتهكمت تحقرت وعلى هذا يكون المتهكم لشدة الغضب قد أوعد بالبشارة أو لشدة الكبر أو لتهاونه بالمخاطب قد فعل ذلك فهذا أصله فى الاستعمال وفى المصطلح هو عبارة عن الاتيان بلفظ البشارة فى موضع الانذار والوعد فى مكان الوعيد والمدح فى معرض الاستهزاء فشاهد البشارة فى موضع الانذار قوله تعالى بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما وشاهد المدح فى معرض الاستهزاء بلفظ المدح قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم قال الزمخشرى ان فى تأويل قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله تهكما فان المعقبات هم الحرس من حول السلطان يحفظونه على زعمه من أمر الله على سبيل التهكم فانهم لا يحفظونه من أمره فى الحقيقة اذا جاء والله أعلم ومنه قوله تعالى قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين فقوله ايمانكم تهكم ومن التهكم فى السنة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم بشر مال البخيل بحادث أو وارث شاهد المدح فى موضع الاستهزاء من النظم قول ابن الذروى فى ابن أبى حصينة من أبيات

لا تظنن حدبة الظهر عيبا * فهى فى الحسن من صفات الهلال
وكذاك القسى محدودبات * وهى أنكى من الظبا والعوالى
واذا ما علا السنام ففيه * لقروم الجمال أى جمال
وارى الانحناء فى مخلب البا * زى ولم يعد مخلب الرئبال
كون الله حدبة فيك ان شئـ * ـت من الفضل أو من الافضال
فأت ربوة على طود علم * وأنت موجة ببحر نوال
ما رأتها النساء الا تمنت * أن غدت حلية لكل الرجال

وما أحلى ما ختمها بقوله وإذا لم يكن من الهجر بد * فعسى ان تزورنى فى الخيال

وقول ابن الرومى فياله من عمل صالح * يرفعه الله الى أسفل

وقيل ان اظرف ما نظم فى التهكم قول حماد عجرد

فيا ابن طرح يا أخا الحلس ويا ابن القتب * ومن نشا والده * بين الربا والكثب
يا عربى يا عربى * يا عربى يا عربى

وهذا النوع أعنى التهكم ذكر ابن أبى الاصبع فى كتابه تحرير التحبير أنه من مخترعاته ولم يره فى كتب من تقدمه من أئمة البديع والبيان لم ينظموه فى بديعيتهم وقنع الشهاب محمود فى كتابه المسمى بحسن التوسل من أشجار معاليه بالشميم فانه ذكر بعض شواهده ولم يأت له بحد تمشى الافهام فيه على صراط مستقيم ولكن ابن أبى الاصبع ازال بكارة اشكاله وكان أبا عذرته وأرضع الاذواق لبان فهمه وكان فارس حلبته وقال الفرق بينه وبين الهزل الذى يراد به الجد أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل وهو ضد الاول لان الهزل الذى يراد به الجد يكون ظاهره هزلا وباطنه جدا وذكر بعضهم الفرق بين التهكم والهجاء فى معرض المدح فقال الفرق بينهما التصريح بلفظه فى الآخر

وعلا بهذا النظر يديه وان والعياذ بالله لم يوافق مراده قدرا ولم يصادف هؤلاء الوفد نظرا فبطن الارض للخطيب خير من ظهرها والله ولى الآمال والكفيل بصلاح الحال

(وكتب الى أبى بكر الخوارزمى)

أنا لقرب الاستاذ أطال الله بقاءه (كما طرب النشوان مالت به الخمر) ومن الارتياح للقائه (كما انتفض العصفور بلله القطر) ومن الامتزاج بولائه (كما التقت الصهباء والبارد العذب) ومن الابتهاج بمرآه (كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب) فكيف نشاط الاستاذ لصديق طوى اليه ما بين قصبتى العراق وخراسان بل ما بين عتبتى نيسابور وجرجان وكيف اهتزازه لضيف فى بردة جمال وجلدة جمال رث الشمائل منهج الاثواب بكرت عليه مغيرة الاعراب وهو أيده الله ولى انعامه بانفاذ غلامه الى مستقرى لافضى اليه بسرى ان شاء الله تعالى

(وله الى شمس المعالى)

لم تزل الآمال تعدنى هذا اليوم والايام تمطلنى بالسنة

يخالف معناها معنى الالتزام في الكلام الاول وهو في هذا دون الاول والشيخ صفي الدين نظم التهكم في بديعيته ولكن ما أسكن بيته قرينة صالحة لبيانه ولا غردت حمائم الايضاح على أفنانه وبيته

محضتني النصح احسانا على بلا * غش وقلدتني الانعام فاحتكم

لم يظهر لي من هذا البيت غير صريح المدح والشكر ولم أجد فيه لفظة تدل على الحقارة والاستهزاء ولا على البشارة في موضع الانذار ولا على الوعد في موضع الوعيد ولم يشر في بيته الى نوع من هذه الانواع وقد تقدم ان العميان لم ينظموه في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

لقد تهكمت فيما قد مختلن من * قولي بانك ذو عز وذو كرم

فالشيخ عز الدين ذكر في بيته انه تهكم على العذول لما خاطبه بلفظ العز والكرم ولكنه لم يأت بصيغة التهكم وبيتي   ذل العذول بهم وجدا فقلت له * تهكما أنت ذو عز وذو شمم

فخطاب العذول هنا بلفظ العز والشمم بعد وقوف العاذل في موقف الذل هو التهكم بعينه

(ذكر المراجعة)

*(قال اصطبر قلت صبري ما راجعني * قال احتمل قلت من يقوى اصدهم)*

المراجعة ليس تحتها كبير أمر ولو فوض الي حكم في البديع ما نظمتها في أسلاك أنواعه وذكر ابن أبي الاصبع انها من اختراعاته وعجبت من مثله كيف قربها الى الذي استنبطه من الانواع البديعة الغريبة كالتهكم والافتنان والتدبيج والهجاء في معرض المدح والاشتراك والالغاز والنزاهة ومنهم من سمى هذا النوع أعني المراجعة السؤال والجواب وهو ان يحكي المتكلم مراجعة في القول ومحاورة في الحديث بينه وبين غيره بأوجز عبارة وأرشق سبك وألطف معنى وأسهل لفظ اما في بيت واحد أو في أبيات كقول عمر بن أبي ربيعة

بينما ينعتنني أبصرتني * مثل قيد الرمح يعدو بي الاغر
قالت الكبرى ترى من ذا الفتى * قالت الوسطى لها هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها * قد عرفناه وهل يخفى القمر

قال ابن أبي الاصبع لما أورد هذه الابيات واستشهد بها على هذا النوع في كتابه المسمى بتحرير التحبير ان هذا الشاعر عالم بمعرفة وضع الكلام في مواضعه وماذاك الا أن قوافي الابيات لو أطلقت لكانت مرفوعة وأما بلاغته في الابيات فانه جعل التي عرفته وعرفت به وشبهته تشبيها يدل على شغفها به هي الصغرى ليظهر بدليل الالتزام انه فتى السن اذ الفتية من النساء لا تميل الا الى الفتى من الرجال غالبا وختم قوله بما أخرجه مخرج المثل السائر موزونا ولا يقال انما مالت الصغرى اليه دون اختيها لضعف عقلها وقلة تجربتها فاني أقول انه تخلص من هذا المدخل بكونه أخبر ان الكبرى التي هي أعقلهن ما كانت رأته قبل ذلك وانما كانت تهواه على السماع فلما رأته وعلمت أنه ذلك الموصوف لها أظهرت من وجدها به على مقدار عقلها ما أظهرت من سؤالها عنه ولم تتجاوز ذلك وقنعت بالسؤال عنه وقد علمته بلذة السؤال وبسماع اسمه وأظهرت تجاهل العارف الذي موجبه شدة الوله والعقل يمنعها من التصريح وأما الوسطى فسارعت الى تعريفه باسمه العلم فكانت دون الكبرى في الثبات وأما الصغرى فنزلتها في الثبات دون الاختين لانها أظهرت في معرفته وصفه مادل على شدة شغفها به فكل ذلك وان لم يكن كذلك فالفاظ الشاعر تدل عليه انتهى كلام ابن أبي الاصبع ومن جيد أمثلة هذا النوع قول أبي نواس

قال لي يوما سليما * ن وبعض القول أشنع
قال صفني وعليا * أبنا أبقى وانفع
قلت اني ان أقل ما * فيكما بالحق تجزع

صروفها على اختلاف صنوفها بين حلو استرقني ومر استخفني وشر صار الى وخير ماصرت اليه وأنا في خلال هذه الاحوال انتجع الآفاق فأكون طورا مغربا للمغرب الاقصى وطورا مشرقا للمشرق ولا مطمح الا حضرته الرفيعة وسدته المربعة ولا وسيلة الا المنزع الشاسع والامل الواسع وقد صرت أطال الله بقاء الامير بين أنياب النوائب وتجشمت هول الموارد وركبت أكتاف المكاره ورضعت أخلاف العوائق ومسحت أطراف المراحل حتى حضرت الحضرة البهية أو كدت وبلغت الامنية أو زدت وللامير في الاصغاء الى الجد والبسط من عنان الفضل بتمكين خادمه من المجلس يتلقاه بيده والبساط يتقبله بفمه الرأي العالي ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

لو كان للكرم عن جناب الشيخ الامام منصرف لانصرفت أو للامل منحرف الى سواه لانحرفت أو للنجح باب غيره لولجت أو للفضل خاطب لزوجت ولكن أبى الله ولا يزال كذا تتسم الجد بسمته

قال كلا قلت مهلا * قال قل لى قلت فاسمع
قال صفه قلت يعطى * قال صفنى قلت تمنع

ومثله قول البحترى بت اسقيه صفوة الراح حتى * وضع الرأس مائلا يتكفا
قلت عبد العزيز تفديك نفسى * قال لبيك قلت لبيك ألفا
هاكها قال هاتها قلت خذها * قال لا استطيعها ثم أغفى

وعلماء البديع اجمعوا على استحسان قول وضاح اليمن من أبيات

قالت ألا لا تلجن دارنا * ان أبانا رجل غائر
قلت فانى طالب غرة * منه وسيفى صارم باتر
قالت فان البحر ما بيننا * قلت فانى سابح ماهر
قالت فان القصر عالى البنا * قلت فانى فوقه طائر
قالت أليس الله من فوقنا * قلت بلى وهو لنا غافر
قالت فقد أعييتنا حيلة * فأت اذا ماهجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لاناه ولا آمر

وظريف هنا قول بعضهم

قالت لقد أشمت بى حسدى * مذ بحت بالسر لهم معلنا
قلت أنا قالت والافن * قلت أنا قالت والا أنا

وهى أبيات طويلة جميعها على هذا المنوال منسوج ولكن اكتفيت بالتمثيل منها على هذا القدر وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

فالوا اصطبر قلت صبرى غير متبع * قالوا اسلهم قلت ودى غير منصرم

ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

راجعت فى القول اذ أطلقت سلوتهم * قال اسلهم قلت سمعى عنك فى صمم

والمراجعة ان لم تتكرر لم يبق لها فى القلوب حلاوة ولا يطابق اسمها مسماه وقد تقدم قول الشاعر وتكراره فى قوله قلت أنا قالت والافن * قلت أنا قالت والا أنا
وعز الدين لم يكرر مراجعته ولم يأت بها الا فى مكان واحد والذى أقوله انه ما صده عن ذلك الا اشتغاله بتسمية النوع ولكن ليته لو دخل الى سوق الرقيق وبيت بديعيتى

قال اصطبر قلت صبرى ما راجعنى * قال احتمل قلت من يقوى لصدهم

وهذا البيت متعلق ببيت التهكم الذى قبله وهو البيت المبنى على خطاب العاذل وهو

ذل العذول بهم وجدا فقلت له * تهكما أنت ذو عز وذو شمم

(ذكر التوشيح)

(توشيحهم علا انالك الشعور اذا * لفوه طيا بنشرهم)

اتفق علماء البديع على أن التوشيح أن يكون معنى أول الكلام دالا على لفظ آخره ولهذا سموه التوشيح فانه ينزل فيه المعنى منزلة الوشاح وينزل أول الكلام وآخره منزلة محل الوشاح من العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح وهذا النوع فرعه قدامة من ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت وقال فيه التوشيح هو أن يكون فى أول البيت معنى اذا فهم فهمت منه قافية البيت بشرط أن يكون المعنى المقدم بلفظه من جنس معنى القافية بلفظه وأورد ابن أبى الاصبع فى تحرير التحبير من أعظم الشواهد على هذا قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فان فى معنى اصطفى المذكورين ما يعلم منه الفاصلة لان المذكورين نوع من جنس

العالمين

ويجذب العلا بهمته ويسعد الجد بنظره والدنيا بجماله وغلامه انالوا استعار الدهر لساناوا تخذ الريح ترجمانا لبشيع انعامه حق الاشاعة لقصرت به يد الاستطاعة فليس الآن يلبس مكارمه ضافية بالغة ويرد مشارعه صافية سائغة ويحيل الجزاء على يد قصور والشكر على لسان قصير ثم ان حاجتى اذ الم يعر من قلائد الحمد نحرها ولم يعطل من حلى الحمد صدرها كثر مهرها وثقل صدرها وعز كفؤها ولم أرض لها الا واحدا أخضر الجلدة فى بيت العرب أو ماجدا املأ الدلو الى عقد الكرب وهذه حاجة أنا أزفها الى الشيخ الامام فأسوقها منظومة الصدر الى العجز كما يساق الماء الى الارض الجرز وأنا من مفتتح اليوم الى مختتمه ومن قرن النهار الى قدمه قاعد كالكركى أو الديك الهندى فى هذا الادحى بربى أولوا الحلى والحلل ويجتاز ذووا الخيل والخول وأرباب النعم والدول وما أنا والنظر الى ما يلهينى والسؤال عما لا يعنينى واليوم لما اقتضناغد وة الصباح ملأت أجفانى من منظر

العالمين ومن الامثلة الشعرية قول الراعى النميرى

فان وزن الحصى و وزنت قومى * وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فان السامع اذا فهم ان الشاعر أراد المفاخرة برزانة الحصى وتحقق أن القافية مجردة مطلقة رويها النون وحرف اطلاقها الالف ورأى فى صدر البيت ذكر الرزانة تحقق أن تكون القافية رزينا اليس الا ومن عجائب أمثلة هذا النوع ماحكى عن عمر بن أبى ربيعة انه أنشد عبد الله بن العباس رضى الله عنهما * تشط غدا دار جيراننا * فقال له عبد الله * وللدار بعد غد أبعد * فقال عمر هكذا والله قلت فقال عبد الله بن العباس وهكذا يكون و يقرب من هذه القصة قصة عدى بن الرقاع حين أنشد الوليد بن عبد الملك بحضرة جرير والفرزدق قصيدته التى مطلعها

* عرف الديار توهما فاعتادها * حتى انتهى الى قوله * تزجى أغن كأن ابرة روقه * ثم شغل الوليد عن الاستماع فقطع عدى الانشاد فقال الفرزدق لجرير ماتراه يقول فقال جرير أراه يستلب بها مثلا فقال الفرزدق انه سيقول * قلم أصاب من الدواة مدادها * فلما عاد الوليد الى الاستماع وعاد عدى الى الانشاد قال البيت فقال الفرزدق والله لما سمعت صدر بيته رحمته فلما أنشد عجزه انقلبت الرحمة حسدا قال زكى الدين بن أبى الاصبع الذى أقوله ان بين ابن العباس و بين الفرزدق فى استخراجهما العجزين كما بينهما فى مطلق الفضل وفضل ابن عباس رضى الله عنهما معلوم وأنا أذكر الفرق فان بيت عدى بن الرقاع من جملة قصيدة تقدم مطلعها وسامع معظمها وعلم انها دالية مردفة بألف وهى من وزن قد عرف ثم تقدم فى صدر البيت ذكر ظبية تسوق خشفا لها قد أخذ الشاعر فى تشبيه طرف قرنه بالقلم فى سواده وهذه القرائن لا يخفى على أهل الذوق الصحيح ان فيها مايدل على عجز البيت بحيث يسبق اليه من هو دون الفرزدق من حذاق الشعراء و بيت عمر بيت مفرد لم تعلم قافيته من أى ضرب هى من القوافى ولا رويه من أى الحروف ولا حركة رويه من أى الحركات فاستخراج عجزه ارتجالا فى غاية العسر ونهاية الصعوبة لولا ما أمد الله تعالى به هؤلاء الاقوام من المواد التى فضلوا بها عن غيرهم انتهى كلام ابن أبى الاصبع و بين التوشيح والتصدير فرق ظاهر مثل الصبح ولم يحصل الالتباس الا لكون كل منهما يدل صدره على عجزه وافرق ان دلالة التصدير لفظية ودلالة التوشيح معنوية والفرق بين التوشيح والتمكين أيضا ان التوشيح قد تقدم انه لابد ان يتقدم قافيته معنى يدل عليها والتمكين بخلاف ذلك والعميان لم ينظموا أنواع التوشيح فى بديعيتهم و بيت صفى الدين

هم أرضعونى ثدى الوصل حافلة * فكيف يحصل منها حال منفطمى

فقصيدة صفى الدين قد علم انها ميمية وقدم على السامع منها عدة أبيات وقد صدر بيت التوشيح بذكر الرضاع والثدى فما ينبغى أن تكون القافية منفطما الا على كل أجنبى من هذا العلم ولقد برز فى حسن هذا التركيب باستجلاب الرقة على من تقدمه و بيت الشيخ عز الدين

نومى وعقلى بتوشيح الهوى سلبا * فبت صبا بلاحلم ولا حلم

قال فى شرحه الهوى وشحنى برداء غطانى فسلب نومى وعقلى فصرت بلا حلم ولا حلم وهذه عبارته بنصها و بيتى توشيحهم علا تلك الشعور اذا * لفره طيبا يعرفنا بنشرهم

هذا النوع أعنى التوشيح يفتقر الناظم الى قدح زناد الفكر فى سبك معانيه مع الملكة والبسطة فى علم الادب وحسن التصرف لاسيما اذا التزم بتسمية النوع وأبرز التسمية منتظمة فى سلك التورية من جنس الغزل فتسمية النوع هنا قد عرفت والاتيان فى هذا البيت بلفظة الملاهو الذى رشح جانب التوشيح الجائل على العاتق والكشح وأما توشيح الهوى فى بيت الشيخ عز الدين فلم ينسج على

ما أحوجه الى عيب يصرف عين كماله عن جماله فقلت لمن حضر من هذا فأخذوا يعركون الرؤس استظرافا لحالى و يتغامزون تعجبا من سؤالى وقالوا هو الشيخ الفاضل أبو ابراهيم اسمعيل بن أحمد فقلت حرس الله مهجته وأدام غبطته فكيف الوصول الى خدمته وأين مأتى معرفته فقالوا ان الشيخ الامام يضرب فى مودته بالمعلى و يأخذ بالحظ الاوفى فان رأى الشيخ الامام أطال الله بقاءه ان يجعل عنايته حرف الصلة وتفضله لام المعرفة فعل ان شاء الله تعالى

(وله الى أبى نصر المرزبان) الشيخ الفاضل أطال الله بقاءه وأدام تأييده يجل قدمه أن يقصد خدمه ويذهب بنفسه عن مباسطة الاوساط فكيف عن مخالطة السقاط وقد رضينا منه ان يألف صدر بيته ويعمر بطن دسته ونحن على قدم الصغر نأتيه فلم يهرب بل كم يحجب وقد ترددت الى زيارته حتى استحييت من جيرانه وما كنت لاحرص على من لا يشره الى لولا ما أسمع من شريف أخلاقه و بلغنى ان خزانته تشتمل

منوال مقبول لان استعارة الوشاح للهوى المقصور الذى هو الغرام لم يفهم منها شئ يقرب من التشبيه فان علماء البديع قالوا الاستعارة هى ذكرا شئ باسم غيره واثبات ما لغيره له لاجل المبالغة فى التشبيه وعلى هذا التقدير تكون استعارة الملا للشعور فى حالة توشيح الاحباب بها هى الاستعارة التى يستعار منها المحاسن الادبية فان حسن التشبيه قد غازل بعيون كماله غزلها والتصريح فى البيت بلفظ اللف والنشر والطى يعرفه من له أدنى ذوق مع انى ما اكتفيت بذلك حتى قلت بعد اللف والطى نعرفنا و تعرفنا فيها الاشتراك بين المعرفة والعرف فاذا تقرر أن القافية مميمة ما يتصور فى ذوق ان تكون القافية غير نشرهم وقد اجتمع فى هذا البيت من أنواع البديع التورية وحسن الاستعارة والترشيح والمطابقة والبسط والانسجام والتمكين والسهولة والتوشيح الذى هو العمدة والله أعلم بالصواب

(ذكر تشابه الاطراف)

*(شابهت أطراف أقوالى فان أهم * أهم الى كل وادفى صفاتهم)*

هذا النوع الذى سموه تشابه الاطراف هو أيضا مثل المراجعة التى تقدمت ليس فى كل منهما كبير أمر وتالله ما خطرلى يوما ولاحسن فى الفكر ان الحق طرفا من تشابه الاطراف بذيل من أبيات شعرى ولكن شروع المعارضة ملتزم وتشابه الاطراف هو ان يعيد الناظم لفظة القافية فى أول البيت الذى يليها وهذا النوع كان اسمه التسبيغ بسين مهملة وغين معجمة وانما ابن أبى الاصبع قال هذه التسمية غير لائقة بهذا المسمى فسماه تشابه الاطراف فان الابيات فيه تتشابه اطرافها وأحسن ما وقع فى هذا النوع قول أبى نواس

خزيمة خير بنى حازم * وحازم خير بنى دارم
ودارم خير تميم وما * مثل تميم فى بنى آدم

ولما كان هذا النوع لا يأتى الا فى بيتين والشيخ عز الدين لما التزم ان يأتى به لاجل التورية بالتسمية فى بيت واحد شطر البيت شطرين وجعل كل شطر بمنزلة بيت كامل وأعاد لفظ القافية فى الشطر الثانى فجاء به فى غاية اللطف فان الشيخ صفى الدين أورد قبله بيت الاكتفاء و يأتى الكلام عليه فى موضعه وانما المراد هنا معرفة تشابه الاطراف وهو

قالوا ألم تدر ان الحب غايته * سلب الخواطر والالباب قلت لم
لم ادر قبل هواهم والهوى حرم * ان الظباء تحل الصيد فى الحرم

تشابه الاطراف بين لم ولم فى آخر البيت الاول وأول الثانى و بيت الشيخ عز الدين

اطرافك اشتبهت قولا متى تلم * تلم فتى زائد البلوى فلم يلم

اما قوله اطرافك اشتبهت يضيق الكلام فيه و بيت بديعيتى

شابهت اطراف أقوالى فان أهم * أهم الى كل وادمن صفاتهم

والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم و ياليتنى كنت معهم

(ذكر التغاير)

*(اغاير الناس فى حب الرقيب فقد * اراه ابسط آمالى بقربهم)*

التغاير سماه قوم التلطف وهو ان يتلطف الشاعر بتوصله الى مدح ما كان قد ذمه هو أو غيره فامامدح الانسان ماذمه غيره فان الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه أتى فيه بما يمتزج صافى مشربه بالارواح و ينقلنا ببديع بلاغته من الابهام الى الايضاح فمن ذلك خطبته التى مدح فيها الدنيا مغايرا الامثاله فى ذمها حيث قال أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها بم تذمها أنت

من كتب الادب على ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فان كان فى جملتها ما يستغنى عنه سحابة أسبوع عقد به منة لدى رأعارنيه وله فى الفضل رأيه ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

لا أزال أطال الله بقاء ولاى الشيخ اسوء الانتقاد وحسن الاعتقاد أبسط بين الجهل وامسح جبين الخجل واضعف الحاسة فى الفراسة أحسب الورم شحما والسراب شرابا حتى اذا تجشمت موارده لاشرب بارده لم أجده شيأ وما حسبت الشيخ ممن تجتنه هذه الحلة وتشمله هذه الجلة حتى عرضت على النار عوده وسبرت بالسؤال جوده وكاتبته استعير حليه كال سحابة يوم أوشطره بل مسافة ميل أوقدره فغاص فى الفطنة غوصا عميقا ونظر فى الكيس نظرا دقيقا وقال هذا مشحوذ المديه فى أبواب الكدية قد جعل الاستعارة طريق افترا سها وسببا الى احتباسها وادمنى ضرسه وحدث بالمحال نفسه ولا أضيفه فى هذا الباب أحسن من التغافل عن الجواب فضلا عن الايجاب وكلا نا فى أبواب الرداقح مما قرع ولا فى شرائع البخل

المتجري عليها أم هي المتجرية عليك متى استهوتك أم متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى كم عللت وليدك وكم مرضت بالديك تبغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء لم ينفع أحدهم اشفاقك ولم تشف لهم بطبك ولم تدفع عنهم بقوتك قد مثلت لك بهم الدنيا نفسك وخيلت لك بمصرعهم مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباب الله ومصلى ملائكته ومهبط وحي الله ومتجر اوليائه اكتسبوا منها الرحمة وربحوا منها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلائها البلى وشوقتهم بسرورها الى السرور وراحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيبا وترهيبا فذمها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون ذكرتهم الدنيا فذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا ونظم ابن أبي الاصبع معاني هذه الخطبة فقال

من يذم الدنيا بظلم فاني * بطريق الانصاف اثني عليها
وعظتنا بكل شيء وانا * حين جدت بالوعظ من مصطفيها
نصحتنا فلم نزل النصح نصحا * حين أبدت لاهلها ما لديها
* أعلمتنا ان المآل يقينا * للبلى حين جددت عصريها
كم أرتنا مصارع الاهل والاحباب لو نستفيق يوما اليها
يوم بؤس لها ويوم رخاء * فتزود ما شئت من يوميها
وتيقن زوال ذاك وهذا * تسل عما تراه من حادثيها
دار زاد لمن تزود منها * وغرور لمن يميل اليها
مهبط الوحي والمصلى الذي كم * عفرت صورة بها خديها
متجر الاولياء قد ربحوا الجنة منها وأوردوا عينيها
رغبت ثم رهبت ليرى كل لبيب عقباه في حالتيها
واذا أنصفت تعين ان يثـ * ني عليها ذوا البر من ولديها

فاما من ذم ما مدحه الناس قاطبة فابن الرومي فانه ذم الورد وهو مشهور ووصف البحتري يوم الفراق بالقصر وقد أجمع الناس على طوله فقال

ولقد تأملت الفراق فلم أجد * يوم الفراق على امرئ بطويل
قصرت مسافته على متزود * منه لوهن صبابة وغليل

وهذا النوع أعني المغايرة أورده الحريري في المقامة الدينارية بالغ في مدح الدينار وذمه فقال في مدحه

أكرم به أصفر راقت صفرته * جواب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته * قد أودعت سر الغنى أسرته
وقارنت نجح المساعي خطرته * وحببت الى الانام غرته
كأنما من القلوب نقرته * به يصول من حوته صرته
وان تفانت أو توانت عترته * يا حبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته * كم آمر به استتبت امرته
ومترف لولاه دامت حسرته * وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم أنزلته بدرته * ومستشيط تتلظى جمرته
أسر نجواه فلانت شرته * وكم أسير أسلمته أسرته
أنقذه حتى صفت مسرته * وحق مولى أبدعته فطرته

اظهر مما شرع ثم العذر من جهتي مبسوط ان بسطه الفضل ومقبول ان قبله المجد وانما كاتبته لاعيد الحال القديمة واشترط له على نفسي ان اريحه من سوم الحاجات من بعد فمن لا يستحي من اعطى لم يستح له من اعفى وعلى حسب جوابه أجري المودة من بعد فان رأى ان يجيب فعل ان شاء الله

(وله الى سهل ابن محمد بن سليمان) أنا اذا طويت اليوم عن خدمة الشيخ والآن لم ارفع له بصري ولم اعده من عمري وكأني بالشيخ اذا اخللت بفروض خدمته من قصد حضرته والمثول في جملة حاشيته وجملة غاشيته يقول ان هذا الجائع لما شبع وتضلع واكتسى وتقشقع وتجلل وتبرقع وتربع وترفع نابطوف بهذا الجناب ولا يطير بهذا الباب وانا الرجل الذي آواه من قفر واغناه من فقر وآمنه من خوف اذ لاحر بوادي عوف حتى اذا وردت عليه رقعتي هذه واعارها طرف كرمه وظرف شيمه ونظر من عنوانها في اسمي قال بعدا وسحقا وتبا وحتا ونحتا وطعنا ولعنا فما أكذب سراب اخلاقه واكثر اسراب نفاقه فالآن انحل

لولا التقى لقلت جلت قدرته

وقال فى ذمه تباله من خادع مماذق * أصفر ذى وجهين كالمنافق

يبدو بوصفين لعين الرامق * زينة معشوق ولون عاشق

وحبه عند ذوى الحقائق * يدعو الى ارتكاب سخط الخالق

لولاه لم تقطع يمين سارق * ولا بدت مظلمة من فاسق

ولا اشمأز باخل من طارق * ولا شكا الممطول مطل العائق

ولا استعيذ من حسود راشق * وشر ما فيه من الخلائق

أن ليس يغنى عنك فى المضائق * الا اذا فر فرار الآبق

واها لمن يقذفه من حالق * ومن اذا ناجاه نجوى الوامق

قال له قول المحق الصادق * لا رأى فى وصلك لى ففارق

ومن المغايرة تفضيل القلم على السيف اذ المعتاد عكس ذلك كقول ابن الرومى

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم

فالموت والموت لاشئ يعادله * مازال يتبع ما يجرى به القلم

كذا قضى الله فى الاقلام اذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وغاير المتنبى ذلك وقال

حتى رجعت واقلامى قوائل لى * المجد للسيف ليس المجد للقلم

والمغايرة هنا لمجة لكن المعنى مأخوذ من قول أبى تمام * السيف اصدق انباء من الكتب والمعنى فى قول أبى تمام أبلغ فان ابن أبى الاصبع قال لم يرض أبو تمام أن يقول السيف أصدق انباء من القلم حتى قال من الكتب التى لا تكتب الا بالاقلام والدواة والقرطاس والكاتب المطلق اليد واللسان والجنان فالحظ الفرق بينه وبين كلام المتنبى انتهى كلام ابن أبى الاصبع وقد عن لى هنا ان أرفع للمتأخرين فى التقديم رايه ليعلم المنكر الفرق بين البداية والنهاية فان الشيخ جمال الدين أظهر فى المغايرة بين السيف والقلم ما صدق به قول القائل

وانى وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

من ذلك قوله فى رسالة المفاخرة بينهما والمغايرة فى مدح كل واحد منهما وذمه فبرز القلم بافصاحه ونشط لارتياحه ورقى من الانامل على أعواده وقام خطيبا بمحاسنه فى حلة مداده والتفت الى السيف فقال بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم وخط به ما قدر وقسم وصلى الله على سيدنا محمد الذى قال جف القلم بما هو كائن وعلى اله وصحبه ذوى المجد المبين وكل مجد بائن صلاة واضحة السطور فائحة من أدراج الصدور ما نقلت صحف البحار غرادها وكتبت أقلام النور على مهارق الدياجى حكمة باريها اما بعد فان القلم منار الدين والدنيا ونظام الشرف والعليا ومجاديح سحب الخير اذا احتاجت الهمم الى السقيا ومفتاح باب اليمن المجرب اذا أعيا وسفير الملك المحجب وعذبق الملك المرجب وزمام أموره السائره وقادمة أجنحته الطائره ومطلق ارزاق عفاته المتواتره وأئمة الهدى المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخرة به رقم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التى تهذب الخواطر الخواطل فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنة وحسبه ما جرى على يده الكريمة من منه وفى مراضى الدول عونة للشاكرين وبه يبين الله فى ليالى النفس تقلب وجهه فى الساجدين ان نظمت فرائد العلوم فانما هو سلكها وان علت اسرة الكتب فانما هو ملكها وان رقت برود البيان فانما هو جلالها وان تشعبت فنون الحكم فانما هو أمامها ومآلها واذا انقسمت أمور الممالك

فانما

عن عقدته وانتبه من رقدته وكاتبنى يستعيدنى كلا لا ازوجه الرضا ولا قلامة ولا امنحه ولا كرامة وادعه يركب رأسه فستأتينى به الليالى والكيس الخالى ثم اريه ميزان قدره وأذيقه وبال امره واذا بلغ موضع الحاجة من الرقعة قال مأربة لاحفاوة وطرساقه لانزاع شاقه فهذا بذا ولا ابعد من تلك الهمم العاليه والاخلاق الساميه أن يقول مرحبا بالرقعة وكاتبها وأهلا بالخاطبة وصاحبها وقضاء الحاجة باخفائها وابرازها وهى الرقعة التى سالت الى من التمسته كما اقترحته عاطالبه فرأيه فيه موفق ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

الشيخ السيد اطال الله بقاءه اذا أوصل بيدى يده لم المس الجوزاء الا قاعدا وقد ناطها منه فى عنق الدهر وصاغها اكليلا لجبين الشكر وما أقصر يدى عن المقابلة ولسانى عن الثناء وهذا الجاهل قد عرف نفسه وقلع ضرسه ورأى ميزان قدره وذاق وبال أمره وجهز الى كتيبة عجائز عاجزات فاطلقن العويل والاليل وبعثنى شفيعا الى واستعن بى على

فانما هو عصمتها وغمالها وان اجتمعت رعايا الصنائع فانما هو امامها المتدافع بسواده وان زخرت بحار الافكار فانما هو المستخرج دررها من ظلمات مداده وان وعد أوفى بجب النفع وان أوعد أخاف كانما يستمد من النقع هذا وهو لسان الملوك المخاطب ورسيلها الابكار الفتوح والخاطب والمنفق فى تعميرد ولها محصول انفاسه والمتحمل أمورها الشاقة على عينه وراسه والمتيقظ لجهاد أعدائها والسيف فى جفنه نائم والمجهز لبأسها وكرمها جيشى الحروب والمكارم والجارى بما أمر الله من العدل والاحسان والمسود الناصر فكانما هو لعين الدهر انسان طالما ذب عن حوزتها فشد الله أزره ورفع ذكره وقام فى المحامات عن دينها أشعث أغبر لو أقسم على الله لابره وقاتل على البعد والصوارم فى القرب وأوتى من معجزات النبوة نوعا من النصر بالرعب وبعث جحافل السطور فالقسى دالات والرماح الفات واللامات لامات والهمزات كواسر الطير التى تتبع الجحافل والاتربة عجاجها المحمر من دم الكلى والمفاصل فهو صاحب فضيلتى العلم والعلم وصاحب ذيلى الفخار فى الحرب والسلم لا يعاديه الا من سفه نفسه ولبس لبسه وطبع على قلبه وفل الجدال من غربه وخرج فى وزن المعارضة عن ضربه وكيف يعادى من اذا كرع فى نقسه قيل انا أعطيناك الكوثر واذا كرشانئه السيف قيل ان شانئك هو الابتر أقول قولى هذا واستغفر الله من الشرف وخيلائه والفخار وكبريائه وأتوكل على الله فيما احكم وأسأله التدبير فيما جرى به القلم ثم اكتفى بما ذكره من ادواته وجلس على كرسى دواته متمثلا بقول القائل

قلم يفل الجيش وهو عرمرم * والبيض ماسلت من الاغماد

وهبت له الاجام حين نشابها * كرم السيول وصولة الآساد

فعند ذلك نهض السيف قائما عجلا وتلفظ لسانه بقول مرتجلا وقال بسم الله الرحمن الرحيم وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرع حدها فى ذوى العصيان فاغصتهم بماء الحتوف وشيد مراتب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وعقد مرصوف وأجناهم من ورق حديدها الاخضر ثمار نعيمها الدانية القطوف وصلى الله على سيدنا محمد هازم الالوف وعلى آله وصحبه الذين طالما محوا بريق بريق الصوارم سطور الصفوف صلاة عاطرة فى الانوف حالية بها الاسماع كالشنوف وسلم أما بعد فان السيف زند الحق الورى وزنده القوى وحده الفارق بين الرشيد والغوى والنجم الهادى الى العز سبيله والثغر الباسم عن تباشير فلوله به أظهر الله الاسلام وقد جنح خفاء وجلى شخص الدين الحنيفى وقد جمح جفاء واجرى سيوفه بالاباطح فاما الحق فمكث والباطل فذهب جفاء وحملته اليد الشريفة النبويه وخصته على الاقلام بهذه المزيه وأوضحت به للحق منهاجا وأطلعته فى ليالى النقع والشك سراجا وهاجا وفتحت باب الدين بصباحه حتى دخل فيه الناس أفواجا فهو ذو الرأى الصائب وشهاب العزم الثاقب وسماء العز التى زينت من آثاره بزينة الكواكب والحد الذى كانه ماء دافق يخرج عند قطع الاجساد من بين الصلب والترائب لا تجحد آثاره ولا ينكر تراره اذا اشتبت فى الدجى والنقع ناره يجمع بين الحالتين البأس والكرم ويصاغ فى طوق الحليتين فهو اما طوق فى نحور الاعداء واما خلخال فى عراقيب أهل النقم ويحسم به أهواء الفتن المضله ويحذف بهمته الجازمة حروف العلة واذا انحنى فى سماء القتام بالضرب فقل يسألونك عن الاهلة فهو القوى الاستطاعة الطويل المعمر اذ اقصف سواه فى ساعة فما أولاه بطول الاحسان وما أجل ذكره فى أخبار المعمرين ومقاتل الفرسان كان الغيث فى غمده للطالب المنتجع وكانه زناد يستضاء به الا ان دفع الدماء شرره الملتمع كم قد ... د فادرك الطلاب ودعا النصر بلسانه المحمر من أثر الدماء فاجاب وتشعبت الدول القائم نصره

ونوسل بكلمة الاسلام ولحمة الاسلام فى معنى هذا الغلام فان أحب الشيخ ان يجمع فى الطول رداء الحوض الى الغمر وينظم فى الفضل بين الروض والمطر شفع فى اطلاقه مكارمه وشرف بذلك خادمه وانجز لنا بالافراج عنه موفقا ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

خلقت أطال الله بقاء السيد مروح عنان الصبر جموح جنان الحلم فسيح رقعة الصبر جولا لو تعمدنى الردى لصرت اليه مشرق الوجه راضيا

ألوفا لو رددت الى الصبا ... لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

ووالله لا حيلن استمالة السيد على الايام وليحيلنه ولا كان احالة رأيه فى الى الليالى وليكلنه ولا دعنه يبرى القدح فوالله ليريشنه ولا ازال اصفيه الولاء واسنيه الثناء وأفرش له من صدرى الدهنا واعيره أذنا صماء حتى يعلم أى علق باع وأى فتى أضاع وليقفن السيد منى موقف اعتذار وليعلمن بنصح اتى الواشون أم بجبول ولست أقول يا حالف حلا ولكن يا عاقد اذكر حلا ولست ممن

المنتظر وحازت ابكار الفتوح بحده الذكر وغدت أيامها به ذات حجول معلومة وغرر وشدت به الظهور وجدت علائقه فى الامور واتخذته الملوك حرزا لسلطانها وحصنا على أوطانها وقطانها وحردته على صروف الاقدار فى شانها وندب فما أعيت عليه المصالح وبامر اللمم فهو على الحقيقة بين الهدى والضلال فرق واضح وأغاث فى كل فصل فهو اما الغمده سعد الاخبية واما الحامله سعد السعود وأما الضده سعد الذابح يجلس على رؤس الاعداء قهرا ويشرح أنباء الشجاعة قائلا للقلم ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا وهل يفاخر من وقف الموت على بابه وعض الحرب الضروس بنابه وقذفت شياطين القراع بشهبه ومنح آيات شريفة منها طلوع الشمس من غربه ومنها أن الله أنشأ برقه فكان للمارده صرعا وللرائد مرتعا ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا كم اتخذ من جسد طرسا وكتب عليه حرفا لا ينسى فيه للالباب عبره وللاذهان السابحة غمرة بعد غمره أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم من لفظ يجمح ورأى الى الخصام يجنح ولسان بخوجه اللدد الى أن يخرج فيجرح وأتوكل عليه فى صد الباطل وصرفه وأسأله الاعانة على كل باحث عن حتفه بظلفه ثم اختفى فى بعض الخمائل وتمثل بقول القائل

سل السيف عن أصل الفخار وفرعه * فانى رأيت السيف أفصح مقولا

فلما وعى القلم خطبته الطويلة الطائلة ونشأته الجليلة الجائلة وفهم كنايته وتلويحه وتعريضه بالذم وتصريحه وتعديله فى الحديث وتجريحه استغاث باللفظ النصير واحتد وما ادراك ماحدة القصير وقام فى دواته وقعد واضطرب على وجه القرطاس وارتعد وعدل الى السب الصراح ورأى أنه ان سكت تكلم ولكن بافواه الجراح فانحرف الى السيف وقال أيها المعتز بطبعه المغتر بلمعه الناقص حبل الانس بقطعه الناسخ بهجيره من ظلال العيش فيأ السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ الحبيس الذى طالما عادت عليه عوائد شره الكمين الابليس الذى لو أمر لى بالسجود لقال خلقتنى من نار وخلقته من طين أتعرض لى وتتعرض لمكايد حربى ألست ذا الخدع البالغة والحرب خدعة والمنن النافعة ولا خير فيمن لا تبغى الانام نفعه ألست المسود الاحق بقول القائل

نفس عصام سوّدت عصاما * وعلمته الجود والاقداما

اتفاخرنى وأنا للوصل وأنت للقطع وأنا للعطاء وأنت للمنع وأنا للصلح وأنت للضراب وأنا للعمارة وأنت للخراب وأنا المعمر وأنت المدمر وأنت المقلد وأنا صاحب التقليد وأنت العابث وأنا المجوّد ومن أولى من القلم بالتجويد فما أقبح شبهك وما أشنع يوما ترى فيه العيون وجهك أعلى مثلى يشق القول ويرفع الصوت والصول وأنا ذو اللفظ المكين وأنت ممن دخل تحت قوله تعالى أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فقد تعديت حدك وطلبت مالم تبلغ به جهدك هيهات أنا المنتصب لمصالح الدول وأنت فى الغمد طريح والمتعب فى تمهيدها وأنت غافل مستريح والساهر وقد مهد لك فى الغمد مضجع والجالس عن يمين الملك وأنت عن يساره فاى الحالتين أرفع والساعى فى تدبير حال القوم والمغنى لنفعهم العمر اذا كان نفعك يوما أو بعض يوم فاقطع عنك أسباب المفاخرة واستر أنيابك عند المكاشرة فما يحسن بالصامت محاورة المفصح والله يعلم المفسد من المصلح على أنه لا ينكر لمثلك التعدى ولا يستغرب منه على مثلى التعدى ما أنا أول من أطاع البارى وتجرأت عليه ومددت يد العدوان اليه أولست الذى قيل فيه

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج فى الحرم

قد سلبت الرحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء وجلبت القسوة فكم هيجت هيبة حمراء وأثرت دهماء وخمشت الوجوه وكيف لا وأنت كالظفر كونا وقطعت اللذات ولم لا وأنت كالصبح لونا أبيض

بطشن

شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذى رهطه لو يشتاق الى الكفر من يدى سبطه ولكنى أقول

هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

وانا أعلم ان السيد لا يخرج عن تلك الحلمية بهذه الرقية وان جوابه يكون اخشن من القائه فان نشط للاجابة فلتكن الخاطبة قرأت رقعتك فهو أخف مؤنة وأقل تبعة والسلام

(وله أيضا الى بعض الرؤساء)

مرحبا بسلام الشيخ ولا كالسرور بطلعته قد وصلت تحيته فشكرتها وعدته الجميلة بالحضور غدا فانتظرتها ودعوت الله أن يطوى ساعات النهار ويزج الشمس فى المغار ويقرب مسافة الفلك ويرفع البركة عن سيره ويجهز الحركة الى دوره ويسرى بوفد الظلام وقد نزل ثم لا يلبث الا ريثما رحل وبعثت عاطلب سمعا وطاعة والنفحة اسقم من أجفان الغضبان والشيخ سيدى اعزه الله ان يركض قلمه فى اصلاحها تم معروفه وحبذا فى غد هو وقد طلع كالصبح اذا سطع والبرق اذا لمع

يا مرحبا بغد ويا أهلا به ان كان المام الاحبة فى غد

بطشك من حلمي وجهلك من علمي وجسمك من جسمي

شتان ما بين جسم صيغ من ذهب * وذاك جسمي وجسم صيغ من بهق

أين عينك الزرقاء من عيني الكحيلة وريتك الشنعاء من رؤيتي الجميلة أين لون الشيب من لون الشباب وأين نذر الاعداء من رسول الاحباب هذا وكم أكات الا كادغيظا وحميت الاضغان قيظا وشكوت الصد أفسقيت ولكن بشواظ من نار واخذت عليك الايام حتى انتعل بابعاضك الحمار وإلا لا تعرضك الى المناوءة في المقت ولولا اساءتك لما كنت تعقل في كل وقت فدع عنك هذا الفخر المديد وتأمل وصفي اذا كشف عنك الغطاء فبصرك اليوم حديد وافهم قول ابن الرومي

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم

فالموت والموت لاشئ يعادله * مازال يتبع ما يجري به القلم

بذا قضى الله في الاقلام اذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

فعند ذلك وثب السيف على قده وكاد الغضب يخرجه عن حده وقال أيها المتطاول على قصره والماشي على طريق غروره والمتعرض مني الى الدمار والمتحرش بي فهو كما تقول العامة ذنبه قش ويحترس بالنار لقد شمرت عن ساقك حتى أغرقتك الغمرات واتعبت نفسك فيما لا تدرك الى أن أذهبها التعب حسرات أولست الذي طالما أرعش السيف للهيبة عطفك ونكس للخدمة رأسك وطرفك وأمر بعض وعيته وهو السكين فقطع قفاك وشق أنفك ورفاك في مهمات خاملة وحطك وجذبك للاستعمال وقطك فليت شعري كيف جسرت وعبست على مثلي وبسرت وانت السوقة وانا الملك وأنا الصادق وأنت المؤتفك وأنت صون الحطام وأنا صون الممالك وأنت لحفظ المزارع وأنا لحفظ المسالك وأنت للفلاحة وأنا فلاح وأنت حاطب الليل من نقسه وأنا ساري الصباح وأنا الباصر وأنت الارمد وأنا المخدوم الابيض وأنت الخادم الاسود واقسم بمن صيرني قبضتي أنواع اليمن المسخرة وجعل شخصك وشخصي كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة انك عن بلوغ قدري لاذل رتبة وعن بري كفي لاخيب طلبة فاني لا أنكر قول بعض أربابك حيث قالوا

اف لرزق الكتبه * أف له ما أصعبه

يرتشف الرزق به * من شق تلك القصبه

ياقلما يرفع في الطرس لوجهي ذنبه

ما أعرف المسكين الا كاتبا ذا متربه

ان عاينت الديوان وقعت في الحساب والعذاب أو البلاغة سحرت وبالعت فانت ساحر كذاب أونخرت بتقييد العلوم فما لك منها سوى لمحة الطرف أو برقم المصاحف فانك تعبد الله على حرف أو جمت عملا فانما جعلك لتكسيرا أو رفعت الى طرفك رجع البصر خاسئا وهو حسير وهل أنت في الدول الاخيال تكتني الهمم بطيفه أواصبع يلعق بها الرزق اذا أكل الضارب بقائم سيفه وساع على رأسه قل ما أجدى وسار ربما أعطى قليلا وأكدى ثم وقف وأكدى أين أنت من حظي الاسنى وكفي الاغنى وما خصصت به من الجوهر الفرد اذا عجزت أنت عن العرض الادنى كم برزت فما أغنيت في مهمه وكم خرجت من دوائك لسطر سيئة فخرجت كما قيل من ظلمة الى ظلمة وهب أنك كاقات مفتوق اللسان جرىء الجنان مداحل بمخلبك بين ذوي الاقتناص معد ودمن شياطين الدول وأنت في الطرس والنقس بين بناء وغواص فلو جريت خلفي الى ان تحفي وصحت بصريرك الى ان تخفت وتخفي فما كنت مني الا بمنزلة المدرة من السماك الرامح والبعرة على تيار الخضم الطافح فلا تعد نفسك بمجزي فانك ممن يمين ولا تحلف لها ان تبلغ مداي فليس لمخضوب البنان يمين ومن

حاجتي أطال الله بقاء الشيخ الى أمثال أفعل شديدة وحسرني على رد هذا الكتاب أشد الكن مولاي أدلا يعبر حتى يرد فان رأى أن يرد هما جميعا جمع في الطول بين الروض والمطر والافر أيه أولى

(وله الى أبي سعيد بن شابور حين دخل عليه فقام له فلما خرج من عنده ترك القيام فكتب)

كان يجبني من الشيخ أطال الله بقاءه بعد ان عرف حق خدمتي له وهجرتي اليه ومدحتي فيه ان لا يصير مع الخطوب خطبا وجمع الخصوم حزبا ومع الزمان الباوما كنت لاعتب عليه لولا ثقة كانت به منوطة وآمال كانت اليه مبسوطة ثم اختلفت بكل الاختلاف واخلفت كل الاخلاف وكاني بالشيخ يسألني عن جرم هذا اليوم وموجب هذا اللوم وأنا أكفيه مؤنة هذا السؤال وانفض اليه جمة الحال ولم لا أحاسبه على الصغار وانا قشه من دقاق الجرائر ولم أشر به غير سائغ الاصل لا يباهي الفرع وأمر قديم لا يضاهي الحديث فاول ما اعتب عليه قعوده في المجالس عما بذله في أوله وتثاقله في عجز الامر عما حرص عليه في

صلاح نجمك ان تعترف بفضلي الاكبر وتؤمن بمعجزتي التي بعثت منك الى الاسود والاحمر لتستوجب حقا وتسلم من نار حر تلظى لا يصلاها الا الاشقى وان لم يتضح لرأيك الا الاصرار وأبت حصائد لسانك الا ان توقعك في النار فلا رعى الله عزائمك القاصره ولا جمع عقارب ليل نفسك التى ان عادت فان نعال السيوف لها حاضره ثم قطع الكلام وتمثل بقول أبي تمام

السيف أصدق انباء من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في * متونهن جلاء الشك والريب

فلما تحقق تحريف القلم حرجه وفهم مقدار الغيظ الذي أخرجه وسمع هذه المقالة التي يقطر من جوانبها الدم ورأى انه هو البادي بهذه المناقشة والبادي أظلم رجع الى خداعه وتخلى عن طريق قراعه وعلم ان الدهر دهره والقدر على حكم الوقت قدره وانه احق بقول القائل

لحنها معرب واعجب من ذا * ان اعراب غيرها ملحون

فالتفت اليه وقال ايها المتاهب في قدحه والخارج عما نسب اليه من صفحه ما هذه الزيادة في السباب والتطفيف في كيل الجواب واين علم الشيوخ عند جهل الشباب اما كان الاحسن لك ان تترك هذا الرفث وتعلم أخاك على الشعث وتحلم كما زعمت انك السيد وتزكو على الغيظ كما تزكو على النار الجيد اما تعلم اني معينك في تشييد الممالك ورفيقك فيما تسلكه لنفعها من المسالك اما انا وأنت للملك كاليدين وفي تشييده كالركنين الاشدين وما أراك عبتني في الاكثر الا بنحول جسدي الذي ايس خلقه على وضعفه الذي ليس امره الي على ان انهى الخصور احفها واقوى الجفون اضعفها وازكى النسمات اعلها وادنفها وهذه سادات العرب تعد ذلك من فضلها الاظهر وحسنها الاشهر ولوانك تقول بالفصاحة وتقف في هذه الساحة لامتدت في ذلك من اشعارهم وتحققت مما يفخرون به من آثارهم وكذلك عبتك سواد خلقتي التي

اكسبها الحب حلية صبغت * صبغة حب القلوب والحدق

فبالله وبالعبير الاسود من هذه الحجة البائره والنكرة الخاسره وعلى هذه النسبة ما عبتني به من فقر الانبياء وذل الحكماء على ان الطلاقات معروفي معروفة وسطوات أمري في وجوه الاعداء المكسوفة مكشوفة فاستغفر الله مما فرط في مقالك والتقويض من عوائد احتمالك فلا تشمت بنا الاضداد ولا تسلط بفرقتنا المفسدين في الارض ان الله لا يحب الفساد واغض الآن من خيلائك بعض هذا الغض ولا تشك اني قسيمك ولو قيل لك يا داود انا جعلناك خليفة في الارض وان أبيت الا ان تهدد وتجرد الشغب وتحدد فاذكر محلنا من اليد الشريفة السلطانية الملكية المؤيدية ابد الله نعمها وجازى بالاحسان شيمها وايقظ في الآجال والآمال سيفها وقلمها ولا عطل مشاهد المدح من انسها ولا أخلى فرائض الباس والكرم من قيام خمسها فاقسم من بأسه بالليل وما وسق ومن بشر طلعته بالقمر اذا اتسق لو تجاوز الاسد والظباء بتلك اليد لو رد ابا الامن في منهل ورتعا في روض لا يجهل ولو لجا اليها النهار لما راعه بعشيئة الله الليل بزجر أو الليل لما غاب على خيطه الاسود الخيط الابيض من الفجر وعلى ذلك فما ينبغي لنا بين تلك الانامل غير سلوك الادب والمعاضدة على محو الازمات والنوب والاستقامة على الحق ولا عوج والحديث من تلك الراحة عن البحر ولا حرج هذه نصيحتي اليك والدين النصيحة والله تعالى يطلعك على معاني الرشد الصريحة ويجعل بينك وبين الغي حجابا مستورا وينسيك ما تقدم من القول وكان ذلك في الكتاب مسطورا فعند ذلك نكس السيف طرفه وقبل خديعة القلم قائلا الامر ما جدع قصير انفه وامسك عن المشاغبة خيفة الزلل فان السيوف معروفة بالخلل ثم قال أيها الضعيف الجبار البازغ في ليل المداد نجما وكم في النجوم غرار لقد تظلمت من أمر أنت البادي بظلمه وتسورت الى فتح باب أنت السابق الى فتح ختمه وقد فهمت

صدره من توفير سلام وايفاء قيام على اني دخلت عليه وأنا أحمد الهمذاني وخرجت من عنده وأنا أحمد الهمذاني فان كان قيامه قد سر فقعوده ماضر وبلغني ان كاتبه أبا الفضل بن نصرويه حكم للخوارزمي على بالفضل فقلت ولم أملك سوابق عبرتي * متى كان حكم الله في كرب النخل واما ذلك الوقح الوقح ولا أعرف اسمه وأحسب ان كنيته أبو الفضل أو أبو المطهر وما كان فهو اسم مفخم ومعنى مرخم فما أحوجه الى شونيز عقل وسعتر فطانة حتى تحل مكالمته وما كان أحسن حال السادة عند اللقاء حتى يكون حاله نعم استنت الفصال حتى القرعى وفي غد ان شاء الله نجتمع عند الشيخ أبي القاسم فان رأى ان يأسوا ما جرح بان يغشى ذلك المطرح وينضو حاشية التيه وطرف الحمية عن العصبية فالحق أولى ما يغضب له والعدل خير ما حكم به فعل ان شاء الله

(وله أيضا الى أبي نصر ابن المرزبان)

كنت أطال الله بقاء سيدي ومولاي في قديم الزمان أتمنى للكتاب الخير

الآن

الآن ماذكرت من أمر اليد الشريفة ونعم ماذكرت وأحسن بما أشرت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره وقد تغافلت عن قولك الاحسن ورددتك الى أملك الدواة كى تقر عينها ولا تحزن وسألت الله تعالى ان يزيد محاسن تلك اليد العالية تماما على الذى أحسن فانها اليد التى

لو أثر التقبيل فى يد منعم * لمحا رواجم كفها التقبيل

والراحة التى تسعى القلوب لغوثها ولغيثها * فيجيبه التأمين والتأميل

والانامل التى علمها الله بالسيف والقلم ومكنها من رتبتى العلم والعلم ودارك بكرمها آمال العفاة بعدان ولاولم ولولا ان هذا المضمار يضيق عن وصفه السابق الى غاية الخصل ومجده الذى اذا جر ذيله وذو الفضل لو تمسك منه بالفضل لاطلت الآن فى ذكر مجدها الاوضح وأفصحت فى مدحها ولا ينكر لمثلها ان أنطقت الصامت فافصح ثم انك بعد ما تقدم من القول المزيد والمجادلة التى عز أمرها على الحديد أقررت أنت أننا للملك كاليدين ولم تقر اينا اليمين وفى آفاقه كالقمرين ولم تذكر أينا الواضحة الجبين ومايشفى ضناى ويروى صداى الاان يحكم بيننا من لا يرد حكمه ولا يتهم فهمه فيظهر أينا المفضول من الفاضل والمخذول من الخاذل ويقصر عن القول المناظر ويستريح المناضل وقد رأيت ان يحكم بيننا المقام الاعظم الذى أشرت الى يده الشريفة وتوسلت بمحاسنها اللطيفة فانه مالك زمامنا ومنشئ غمامنا ومصرف كلامنا وحامل اعبائنا الذى ما هوى للهوى وصاحب أمرنا ونهينا وتالله ماضل صاحبكم وما غوى ليفصل الامر بحكمه ويقدمنا الى مجلسه الشريف فيحكم بيننا بعلمه فقدم خيرة الله على ذلك الاشتراط وقل بعد تقبيلنا الارض له فى ذلك البساط خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط فنشط القلم فرحا ومشى فى أرض الطرس مرحا وطرب لهذا الجواب وخر راكعا وأناب وقال سمعا وطاعة وشكر الله على هذه الساعة * يا برد ذلك الذى قالت على كبدى * الآن ظهر ما تبغيان وقضى الامر الذى فيه تستفتيان وحكم بيننا الرأى المنير ونبأنا بحقيقة الامر ولا ينبئك مثل خبير ثم تفاصلا على ذلك وتراضيا على ما يحكم به المالك وكانوا أحق بها وأهلها وانتبه المملوك من سنة فكره وطالع بما اختلج سواد هذه الليلة فى سره والله تعالى يديم أيام مولانا السلطان التى هى نظام المفاخر وقائم المآثر وغوث الشاكى وغيث الشاكر ويمتع بظلال مقامه الذى لا تكسر الايام مقدار ما هو جابر ولا تجبر ما هو كاسر ان شاء الله تعالى تمت رسالة الشيخ جمال الدين التى كشف بها عن قناع المغايرة وأتى فيها بكل مثال ليس له مثيل وسمها بصاحب حماة فاطاعه عاصى الادب ووهب الله له على الكبر اسمعيل * نرجع الى أبيات البديعيات فبيت الشيخ صفى الدين

فالله يكلأ عذالى ويلهمهم * عذلى فقد فرجوا كربى بذكرهم

الشيخ صفى الدين غاير الناس فى الدعاء لعذاله وما ذاك الا أن العذول ما برح ممتزجا بذكر الاحباب فكلما كرروا عذله وذكروا أحبابه فرجوا كربه بذلك الذكر والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

تغاير الحال حتى للنوى فئة * أصبحت منتظرا أيام وصلهم

أما الشرح فى نوع المغايرة فقد طال * والكلام فى بيت عز الدين يضيق عنه المجال * فانه نظم المغايرة ولكن غاير بها الافهام * وما أرانا من عقادة بيته غير الابهام * وبيت بديعيتى

أغاير الناس فى حب الرقيب فقد * أراه أبسط آمالى بقربهم

الناس قد أجمعوا على ذم الرقيب وغايرتهم فى مدحه لمعنى وما ذاك الا أننى لما أراه أتحقق أنه بمجرد المراقبة الا وقد علم بزيارة الحبيب فانظر الى حسن المغايرة وغرابة المعنى وحسن التركيب

(ذكر التذييل)

وأسأل الله أن يدر عليهم أخلاف الرزق ويمد لهم اكناف العيش ويوطئهم اعراف المجد ويؤتيهم أصناف الفضل ويركبهم اكتاف العز وقصاراى ان أرغب الى الله تعالى فى أن لا ينيلهم فوق الكفاية ولا يمد لهم فى حبل الرعاية فشد ما يطغون للنعمة ينالونها والدرجة يعلونها وشرع ما ينظرون من عال بما ينظمون من حال ويجمعون من مال وتنسيهم أيام اللدونة أوقات الخشونة وأزمان العذوبة ساعات الصعوبة وللكتاب مزية فى هذا الباب فبيناهم فى العطلة اخوان كما انتظم السمط وفى العزلة اعوان كما انفرج المشط حتى لحظهم الجد لحظة حمقاء بمنشور عمالة أوصلك جعالة فيعود عامر ودهم خرابا وينقلب شراب عهدهم سرابا فما غلت أمورهم حتى أسلبت ستورهم ولا علت قدورهم الا خلت بدورهم ولا اتسعت دورهم الا ضاقت صدورهم ولا أوقدت نارهم الا انطفأ نورهم ولا زاد مالهم الا نقص معروفهم ولا ورمت اكياسهم الا ورمت انوفهم ولا تجلت عناقهم الا قطعت أخلاقهم ولا صلحت أحوالهم الا فسدت

(والله ماطال تذييل اللقا بهم * ياعاذلى وكفى بالله فى القسم)

التذييل هو ان يذيل الناظم أو الناثر كلاما بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ماقبلها من الكلام وتزيده توكيدا وتجرى مجرى المثل بزيادة التحقيق والفرق بينه و بين التكميل أن التكميل يرد على معنى يحتاج الى الكمال والتذييل لم يفد غير تحقيق الكلام الاول وتوكيده ومن أعظم الشواهد عليه قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فالجملة الاخيرة هى التذييل الذى خرج كلامه مخرج المثل السائر ومثله قوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور فالجملة الاخيرة هى تذييل خرج فى الكلام مخرج الامثال التى ليس لها مثيل وقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقران ومن أوفى بعهده من الله ففى هذه الآية الشريفة تذييلان أحدهما قوله تعالى وعدا عليه حقا فان الكلام كان قد تم قبل ذلك وحسن السكوت عليه والآخر قوله تعالى ومن أوفى بعهده من الله فخرج هذا الكلام مخرج المثل السائر ووقع ذلك فى السنة الشريفة وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة ولا يهلك على الله الاهالك فقوله صلى الله عليه وسلم لا يهلك على الله الاهالك هو التذييل الذى تتعلق البلاغة بأذياله وخرج الكلام فيه مخرج الامثال وهذا التذييل انفرد باخراجه مسلم ومن هذا الباب قول النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

اتفق أهل البديع على أن قوله أى الرجال المهذب من أحسن تذييل وقع فى شعر لانه خرج مخرج المثل ومثله قول بعض العرب

ودعوا نزال فكنت أول نازل * وعلام أركبه اذا لم أنزل

فعجز هذا البيت كله تذييل وهو فى غاية الكمال ولقد أحسن بعضهم فى هذا الباب حيث قال

صدقتكم الودا بغى الوصال * وليس المكاذب كالصادق
فجاز يتمونى بطول البعاد * وكم أخجل الحب من واثق

فكل من عجزى البيتين تذييل وخرج الكلام فيهما مخرج المثل وأحسن منه قول الحطيئة

تزورفتى يعطى على الحمد ماله * ومن يعط أثمان المحامد يحمد

فان عجز البيت كله تذييل خرج مخرج المثل وصدر البيت استقل بالمعنى المراد على انفراده وفيه أيضا مع اتصاله بالعجز تعطف حسن فى قوله يعطى و يعط و بالتعطف صار بين العجز والصدر ملاحمة وملاءمة شديدة ورابطة وثيقة قال ابن أبى الاصبع عجز هذا البيت اذا انفرد استقل مثلا وتذييلا كما ان الصدر اذا انفرد استقل بالمعنى المقصود من جملة البيت والغرض المطلوب من التمثيل أيضا وقل ان يوجد بيت بين صدره وعجزه مثل هذا التلاحم على استقلال كل قسم بنفسه وتمام معناه ولفظه ومن التذييل الحسن قول أبى الشيص

وأهنتنى فاهنت نفسى عامدا * مامن يهون عليك ممن يكرم

فعجز البيت كله تذييل فى ضمنه مطابقة لذكره الهوان والكرامة ومن بديع التمثيل قول ابن نباتة السعدى لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل فانه استوفى ما أراده من المدح فى الشطر الاول ثم احتاج الى تتميم البيت وأراد تمامه بتكرار المعنى المتقدم فيه استحسانا وتوكيدا فأخرجه مخرج المثل السائر حيث قال تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل ليحصل ما أراده من التوكيد وزيادة المعنى لان المدح اذا خرج مخرج المثل كان أسير فى الارض قال

ابن

أفعالهم ولا حسنت حالهم الا قبحت خلالهم ولا فاض جاههم الا غاضت مياههم ولا لانت برودهم الا صلبت حدودهم ولا علت جدودهم الا سفل جودهم ولا طالت أيديهم الا قصرت أياديهم وقصارى أحدهم من الجدان ينصب تحته ويوطئ استه دسته ويقف غلامه امامه ونائبه من الكرم دار يبهرج أرضها ويزوج بعضها ويزوق سقوفها ويعلق شفوفها وكفاه من الفضل ان تحمل الغاشية قدامه وتعدو الحاشية أمامه وناهيه من الشرف ألفاظ قعاقعه وثياب مشقاعة يلبسها لوما ويحشوها لوما ولوما وهذه صفة فاضلهم ومنهم من يحتمل الود أيام خشكاره حتى اذا أيسر جعل ميزانه وكيله واسنانه أكيله وأليفه رغيفه وأنيسه كيسه وأمينه يمينه ودنانيره سميره ومفاتحه نجيعه وصناديقه صديقه ثم جمع الذرة الى الذرة ووضع البدرة على البدرة فلم يضع النظر من طرفه ولا الصرة من كفه ولا يخرج ماله من عهدة خاتمه الا يوم ماتمه فهو يجمع لحادث حياته أو وارث مماته يسلك فى

ابن أبي الاصبع هذا البيت ان نظر فيه الى قول أبي الطيب المتنبي

تمسي الاماني صرعى دون مبلغه * فما يقول لشئ ليت ذلك لي

فبيت ابن نباتة أفضل من بيت المتنبي لانه أحسن الادب مع ممدوحه اذ لم يجعله فى حيز من يتمنى شيا وجعل فى قدرته وجوده ما يبلغ مادحه كل أمنية فلم يبق له أمل وان كان فى بيت المتنبي زيادة من جهة المبالغة فى قوله دون مبلغه واستعارة فى اللفظ بقوله تمسي الاماني صرعى ففي بيت ابن نباتة أن كل ماجعله المتنبي لممدوحه جعله ابن نباتة لمادحه مع زيادة المبالغة فى المدح بكونه أخرجه مخرج المثل السائر كما بينا فهو أشهر وأسير وأبقى واذا تامل الناظر فى البيتين وجد معنى بيت المتنبي بكماله فى صدر بيت ابن نباتة لان حاصل بيت المتنبي أن الممدوح قدر على كل الاماني وهذا قد استقل به صدر بيت ابن نباتة والعجز لزوم صدره لان من نال كل أمل صحب الدنيا بلا أمل غير ان ابن نباتة لكونه أخرج العجز مخرج المثل صار كأنه استأنف معنى آخر مستقلا بجميع معنى بيت المتنبي مع كونه زاد بان جعل للمادح ماجعله المتنبي للممدوح وهذا غاية فى حسن الادب وقد ترجح بيت ابن نباتة على بيت المتنبي من وجوه انتهى كلام ابن أبي الاصبع فى النقد الحسن الذي قرره على بيتي أبي الطيب وبيت ابن نباتة وقد يختلط على بعض الناس هذه الابواب الاربعة وهي باب الايغال والتذييل والتمكين والتكميل والفرق ظاهر فان الايغال لايكون الا فى الكلمة التي فيها الروي ومايتعلق به وهو أيضا مما يأتي بعد تمام المعنى كالتكميل والتذييل وأما التمكين فليس له مدخل فى هذه الابواب لانه عبارة عن استقرار القافية فى مكانها الا انها لاتزيد معنى البيت بل اذا حذفت نقص معنى البيت لانها ممكنة فى قواعده وأما التكميل فانه وان أتى بعد تمام المعنى فهو يفارق الايغال والتذييل من وجهين أحدهما كونه يأتي فى الحشو والمقاطع والايغال والتذييل لايكونان الا فى المقاطع دون الحشو والايغال والتذييل لايخرجان عن معنى الكلام المتقدم والتكميل لابد أن يأتي بمعنى يكمل الغرض على التكملة المتقدمة اما تكميلا بديعيا أو تكميلا عروضيا والتذييل يفارق الايغال لكونه يزيد على الكلمة التي تسمى ايغالا ويستوعب غالبا عجز البيت وبيت صفي الدين فى التذييل لله لذة عيش بالحبيب مضت * فلم تدم لي وغير الله لم يدم والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت عز الدين الموصلي

تذييل عيشي ورزقي قسمة حصلت * فى أول الخلق والارزاق بالقسم

وبيت بديعيتي والله ماطال تذييل اللقا بهم * ياعاذلي وكفى بالله فى القسم

فقولي وكفى بالله فى القسم هي الجملة التي جاءت بعد تمام الكلام وحسن السكوت عليه واشتملت على معناه وزادته فى القسم تحقيقا وتوكيدا وجرت مجرى المثل الذي مايجاري فى شرفه وكماله وأما لفظة التذييل التي هي تسمية لهذا النوع المقصود ففات الشيخ عز الدين فيها لفظة طال فاني لولم أذكر الطول مارشحت تورية التذييل ولاوقع لها فى القلوب موقع فان الطول من لوازم الاذيال وطول ذيل اللقاء فى البيت من ألطف الاستعارات وقولي ياعاذلي هو التكميل الذي يأتي فى الحشو وقد تقدم الكلام عليه وتقرر

(ذكر التفويف)

خشن ألن احزن افرح امنع اعط أنل * قوّ أجد وش رفق شد حب لم

التفويف تأملته فوجدته نوعا لم يفد غير ارشاد ناظمه الى طرق القادة والشاعر اذا كان معنويا وتجشم مشاقه تقصر يده عن التطاول الى اختراع معنى من المعاني الغريبة ويجفوه حسان الالفاظ لم يعطف عليه برقة وتأنف كل قرينة صالحة ان تسكن له بيتا ولكن شروع المعارضة ملزم به ولم يسع غير تشريع الطباق فى بيته وهو فى اللغة مشتق من الثوب المفوف الذي فيه خطوط بيض

الغدر كل طريق ويبيع بالدرهم ألف صديق وقد كان الظن بصديقنا أبي سعيد أيده الله انه اذا أخصب آوانا كنفا من ظله وحبانا من فضله فمن لنا الآن بعدله انه أطال الله بقاء الشيخ حين طارت على رأسه عقاب المخاطبة بالرئيس وجلس من الديوان فى صدر الايون اقتض عذرة السياسة ببعض المختلفة الحو وجعل بعرضه للهلاك ويسب عليه عمال الاتراك ويشحن داره بالرجالة ويكده بالفرسان والرجالة وجعلت اكاتبه مرة وأقصده أخرى فاذكر له ان الراكب ربما استنزل والوالي ربما عزل ثم يجف ريق الخجل على لسان العذر ويبقى الحرازة فى الصدر فلا ومايجمعنى والشيخ ان زاده قولي الا غلوا فى تهكمه وعلوا فى تحكمه وجعل معنى الجر فى ظلمه ويبرأ الى من علمه وأقول اذ رأيت ذلة السؤال وعزة الرد منه قل لي متى

فرزنت سر
عة ما أرى يابيدق

وما أضيع وقتا بذكره قطعته هلم الى الشوق وشرحه فقد نكا القلب بقرحه وكيف أكاد أصف

والمراد تلوينه ونقشه ومن ظريف قول ابن قاضى ميلة

بعيشى ألم أخبر كأنه فتى * على لفظه رد الكلام المفوف

والتفويف فى الصناعة عبارة عن اتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والغزل وغير ذلك من الفنون والاغراض كل فن فى جملة من الكلام منفصلة عن اختها مع تساوى الجمل فى الوزنية ويكون بالجملة الطويلة أو المتوسطة أو القصيرة وأحسنها وأبلغها وأصعبها مسلكا القصار فمثال ماجاء منه بالجملة الطويلة قول النابغة

وأعظم أحلاما وأكبر سيدا * وأفضل مشفوعا وأكرم شافع

وبالجملة المتوسطة قول أبى الوليد بن زيدون

ته أحتمل واحتكم أصبر وعز أهن * وذل أخضع وقل أسمع ومر أطع

ومثال ماجاء بالجملة القصيرة قول أبى الطيب المتنبى

أقل أنل أقطع احمل عل سل أعد * زد هش بش تفضل ادن سر صل

أقل من الاقالة فى العثرة أنل من الانالة والاعطاء أقطع من الاقطاع احمل من قولهم حمله على فرسه عل من الاستعلاء والعلو سل من السلو أعد أى أعدنى الى موضعى من الجوائز زد أى زدنى مما كنت أعهده منك هش من الهشاشة وهى التهلل والبشر من بش البشاشة وهى البشر وطلاقة الوجه تفضل من الافضال ادن أى قربنى اليك وقوله سر من التسرى وهو أن يعطيه جارية يتسراها صل من الصلة ولم أقصد بحل هذه الالفاظ الا ايناسا تزول به وحشة العقادة عن المتأمل فان هذه الجملة مااستوات عليها عقادة التركيب الا لكون كل كلمة منها فعل أمر ولم يأت فى الجملة القصيرة على هذه الصفة شئ من فصيح الكلام وعلى هذا المنوال نسج أصحاب البديعيات وبالله المستعان وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله

أقصر أطل اعذل أعذر سل خل اعن * خن هن عن ترفق كف لج لم

وهذا النوع مانظمه العميان وبيت الشيخ عز الدين

فوف أزف انظم انثر خص عم أفد * اعتب أدر أبرق ارعد اضحك ابك لم

هذا البيت بيت مانحت من الجبال ولكن الجبال نحتت منه وبيت بديعيتى

خشن ألن احزن افرح امنع اعط أنل * فوف اجد وش رقق شد حب لم

قد تقدم قولى للعاذل والله ماطال تذييل التقائى بهم * ياعاذلى وكفى بالله فى القسم)

ولما قررت له ذلك قلت له فى بيت التفويف ان شئت تخشن فى عذلك وان شئت تلين وان شئت تحزن وان شئت تفرح وان شئت تمنع وان شئت تعطى وان شئت تفوف العذل وتجيد نقشه وتوشيته وترقق فيه أو تشد معناه أن الكل بالنسبة الى صدق المحبة سهل ولكن النكتة فى قوله أعنى للعاذل حب لم يعنى اذا حب لم بعد ذلك كانى أقول له

من لم يبت والحب يقرع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وما أحلى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض مخاطبا العاذله

دع عنك تعنيفى وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

(ذكر الموارية)

(ياعاذلى أنت محبوب لدى فلا * تو ارب العقل منى واستفد حكمى)

الموار بة براء مهملة وبا موحدة وهى مشتقة من الارب وهى الحاجة لكن ذكر ابن أبى الاصبع أنها مشتقة من ورب العرق بفتح الواو والراء اذا فسد فهو ورب بكسر الراء كان المتكلم أفسد مفهوم ظاهر الكلام بما أبداه من تأويل باطنه وحقيقة الموار بة ان يقول المتكلم قولا يتضمن

شوقا لا يفرع الدهر فروة حاله ولا ينقض عروة انحلاله فأولانى ان أذكره مجملا وأتركه مفصلا

(وله أيضا)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ وأنا متألم والحمد لله رب العالمين كيف تقلب الشيخ فى درع العافية وأحواله بتلك الناحية فانى بفراقه منغص شريعة العيش مقصوص أجنحة الانس ورد كتابه المشتمل من خبر سلامته على مارغبت الى الله فى ادامته وسكنت اليه بعد انزعاجى لتأخره وقد كان رسم ان أعرفه سبب خروجى من جرجان ووقوعى فى خراسان وقد كانت القصة انى لما وردت من ذلك السلطان حضرته التى هى كعبة المحتاج لا كعبة الحجاج ومشعر الكرام لا مشعر الحرام ومنى الضيف لا منى الخيف وقبلة الصلات لا قبلة الصلاة وجدت فيها ندماء من نبات العام اجتمعوا قيضة كاب على تلفيق خطب أزعجنى من ذلك الفناء وأشرف بى على شرف الفناء لولا ما تداركنى الله بجميل صنعه وحسن وقعه ولا أعلم

(قوله والراء) صوابه وكسر الراء

ماينكر عليه فيه بسببه ويتوجه عليه المؤاخذة فاذا حصل الانكار عليه استحضر بحذقه وجها من الوجوه التى يمكن التخلص بها من تلك المؤاخذة امابتحريف كلمة أوتصحيفها أوبزيادة أونقص أوغيرذلك فاماشاهدماوقع من المواربة بالتحريف فقول عتبان الحروز

وان يك منكم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنا حصين والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فلما بلغ الشعر هشاماوظفر به قال أنت القائل ومنا أمير المؤمنين شبيب فقال يا أمير المؤمنين ماقلت الا ومنا أمير المؤمنين شبيب فتخلص بفتح الراء بعدضمها وهذا ألطف مواربة وقعت فى هذا الباب وشاهد الحذف قول أبى نواس فى خالصة جارية أمير المؤمنين الرشيدى هاجياها

لقد ضاع شعرى على بابكم * كما ضاع حلى على خالصه

فلما بلغ الرشيد ذلك أنكر عليه وتهدده بسببه فقال لم أقل الا

لقد ضاء شعرى على بابكم * كما ضاء حلى على خالصه

فاستحسن الرشيد مواربته وقال بعض من حضر هذا بيت قلعت عيناه فأبصر وشاهد التصحيف فى المواربة يأتى فى أبيات البديعيات ويعجبنى قول الشيخ عزالدين الموصلى فى المواربة من غير البديعية لما بلغه وفاة القاضى فتح الدين بن الشهيد وكان القاضى فتح الدين يرجح جانب الشيخ شمس الدين المزين على الشيخ عزالدين لبغض كان فى خاطره لالاستحقاق

دمشق قالت لنا مقالا * معناه فى ذا الزمان بين
اندمل الجرح واستراحت * ذاتى من الفتح والمزين

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

لأنت عندى أخص الناس منزلة * اذ كنت أقدرهم عندى على السلم

المواربة فى أخص يريد بها أخس بالسين المهملة وأقدرهم يريد بها أقذرهم بالذال المعجمة والمواربة فى أقدرهم بالتصحيف وهذا النوع لم ينظمه العميان فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلى

لأنت افتح ذهنا فى مواربة * وبالتعقل منسوب الى النعم

مراد الشيخ بافتح أقبح وبالتعقل التغفل وقال فى شرحه انه أراد بالنعم النعم وهو اسم جامع للابل وغيرها وأراد بذلك المواربة بالتحريف أيضا سلمناله ذلك ولكن لم أرفى بيته قبل المواربة معنى يستأنس به الذوق وبيت بديعيتى أنا مستمرفيه على ماتقدم من خطاب العاذل

ياعاذلى أنت محبوب لدىّ فلا * توارب العقل منى واستفد حكمى

قولى للعاذل أنت محبوب لدى من له أدنى ذوق يفهم منه أن مرادى المواربة بمجنون والمراد بلفظة توارب توازن والمعنى قبل المواربة مستقيم وهو فى غاية الكمال واذا حصلت المواربة صار البيت

ياعاذلى أنت مجنون لدىّ فلا * توازن العقل منى واستفد حكمى

وانتقل من صيغة المدح المقبول الى صيغة الهجو الصريح

(ذكر الكلام الجامع)

(جمع الكلام اذا لم تغن حكمته * وجوده عند أهل الذوق كالعدم)

الكلام الجامع هو أن يأتى الشاعر ببيت مشتمل على حكمة أووعظ أوغيرذلك من الحقائق التى تجرى مجرى الامثال ويتمثل الناظم بحكمها أووعظها أوبحالة تقتضى اجراء المثل كقول زهير بن أبى سلمى

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم

وقول أبى نواس

اذا كان غيرالله فى عدة الفتى * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

وقول المتنبى

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

كيف احتالوا ومالذى قالوا لكن الجملة ان غيروا السلطان وأشار لى اخوانى بمفارقة مكانى وبقيت لا أعلم أعنة أضرب أم شآمة ونجدا أقصد أم تهامة

ولو كنت من سلمى أجاور شعابها
لكان الحجاج على دليل

فقد علم الشيخ ان ذلك السلطان سماء اذا تغيم لم يرج صحوه وبحراذا تغير لم يشرب صفوه وملك اذا سخط لم ينتظر عفوه فليس بين رضاه والسخط عرجه كماليس بين غضبه والسيف فرجه وليس من وراء سخطه مجاز كماليس بين الحياة والموت معه مجاز فهو سيد يغضبه الجرم الخفى ولا يرضيه العذر الجلى وتكفيه الجناية وهى أرجاف ثم لا تشفيه العقوبة وهى اجحاف حتى انه ليرى الذنب وهو أضيق من ظل الرمح ويعمى عن العذر وهو أبين من عمود الصبح وهو ذو أذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ويحجب بهذه العذر وهو برهان وذو يدين يبسط احداهما الى السفك والسفح

(قوله الحروز) فى نسخة الحرورى
قوله ذاتى فى نسخة نفسى

و بيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته

من كان يعلم أن الشهد مطلبه * فلا يخاف للدغ النحل من ألم

فانه حصر فيه الكلام الجامع بشروطه وأجراه مجرى المثل مع ما أودع فيه من الحكمة وزاد على ذلك بما كساه من ديباجة الرقة ولطف السهولة وحسن الانسجام وأما العميان فنظموا هذا النوع فى بديعيتهم و بيت الشيخ عز الدين الموصلى

كلامه جامع وصف الكمال كما * يهيج الشوق أنواعا من الريم

قد تقرر ان الكلام الجامع هو أن يأتى الناظم ببيت جملته حكمة أو موعظة أو غير ذلك من الحقائق التى تجرى مجرى الامثال وليس بين الشطر الاول من البيت و بين الشطر الثانى مناسبة ولا ايناس ملاءمة ولم أر لجريان المثل دخولا فى باب هذا البيت و بيت بديعيتى

جمع الكلام اذا لم تغن حكمته * وجوده عند أهل الذوق كالعدم

حكمة هذا البيت ما أجريت مثلها على هذا النمط الا ليعلم المتيقظ أن فيه اشارة لطيفة الى بيت عز الدين فانى قررت أن ليس فى كلامه الجامع ما يشعر بحكمة تجرى مجرى الامثال فوجوده عند أهل الذوق كالعدم والله الموفق

(ذكر المناقضة)

(انى أناقضهم ان أزمعوا ونأوا * وجرّ غل ثبير اثر عيسهم)*

المناقضة تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق عدم وقوع المشروط فكأن المتكلم ناقض نفسه فى الظاهر اذ شرط وقوع أمر بوقوع نقيضين ومثاله قول النابغة

وانك سوف تحكم أو تباهى * اذا ما شبت أو شاب الغراب

فان تعليقه وقوع حكم المخاطب على شيبه ممكن وعلى شيب الغراب مستحيل ومراده الثانى لا الاول لان مقصوده أن يقول انك لا تحكم أبدا والفرق بين المناقضة و بين نفى الشئ بايجابه أن هذا الباب ليس فيه نفى ولا ايجاب ونفى الشئ بايجابه ليس فيه شرط و بيت الشيخ صفى الدين فى المناقضة

وانى سوف اسلوهم اذا عدمت * روحى وأحييت بعد الموت والعدم

فتعليق الشرط بين النقيضين الممكن والمستحيل ظاهر والبيت فى غاية الحسن والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم و بيت عز الدين

انى أناقض عهد الناز حين اذا * ماشاب عزمى وشبت شهوة الهرم

الشيخ عز الدين قرر فى بيته وشرحه ان شيب العزم ممكن وشباب شهوة الهرم مستحيل فرأيت تصوير شيب العزم وامكانه وسبك استعارته فى قالب التشبيه كما تقرر فى باب الاستعارة فيه اشكل فانهم قالوا الاستعارة هى ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه ولم أر فى شيب العزم وجها للمبالغة فى التشبيه وعلى كل تقدير فالممكن والمستحيل فى بيت عز الدين فيه ما نظر و بيت بديعيتى انى أناقضهم ان أزمعوا ونأوا * وجر غل ثبير اثر عيسهم

تعليق الشرط على الممكن والمستحيل فى هذا البيت أوضح من الكلام عليه والله أعلم بالصواب

(ذكر التصدير وهو رد العجز على الصدر)

(ألم أصرح بتصدير المديح لهم * ألم أهذّد ألم أصبر ألم ألم)

هذا النوع الذى هو رد الاعجاز على الصدور وسماه المتأخرون التصدير والتصدير هو أخف على المستمع وأليق بالمقام وقد قسمه ابن المعتز على ثلاثة أقسام الاول ما وافق آخر كلمة فى البيت آخر كلمة فى صدره أو كانت مجانسة لها كقول الشاعر

(ذكر المناقضة)

(ذكر التصدير وهو رد العجز على الصدر)

ويقبض الاخرى عن العفو والصفح وذو عينين يفتح احداهما الى الجرم ويغمض الاخرى عن الحلم فرحه بين القد والقطع وحده بين السيف والنطع ومراده بين الظهور والكمون وأمره بين الكاف والنون ثم لا يعرف من العقاب غير ضرب الرقاب ولا يهتدى من التأنيب الا لازالة النعم ولا يعلم من التأديب غير اراقة الدم لا يحتمل الهنة على حجم الذرة ودقة الشعرة ولا يعلم عن الهفوة كوزن الهبوة و لا يغضى عن السقطة بحرم النقطة ثم ان النعم بين لفظه وقلمه والارض تحت يده وقدمه لا يلقاه الولى الا بفمه ولا العدو الا بدمه والارواح بين حبسه واطلاقه كما الاجسام بين حله ووثاقه ونظرت فاذا أنا بين جودين اما ان أجود بباسى واما أن أجود براسى و بين ركوبين اما المفازة واما الجنازة و بين طريقين اما الغربة واما التربة و بين فراقين اما ان أفارق أرضى

قوله مطلبه فى نسخة راحته

قوله تعليق الشرط المناسب المشروط وكذا يقال فيما بعد

قوله فتعليق الشرط المناسب المشروط على الخ

بلى اذا ما كان يوم عرمرم * فى جيش رأى لا يفل عرمرم

والثانى ما وافق آخر كلمة فى البيت أول كلمة منه وهو الاحسن كقول الآخر

سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعى الندى بسريع

ومثله تمنت سليمى أن أموت صبابة * وأهون شئ عندنا ما تمنت

ومثله سكران سكر هوى وسكر مدامة * أنى يفيق فتى به سكران

وشاهد الجناس فى هذا الباب للسرى الرفاء

يسار من سجيتها المنايا * ويمنى من عطيتها اليسار

والاكثر أن تكون الكلمة التى فى العجز عين الكلمة التى فى الصدر لفظا وان قبل اللفظ اشترا كازاد النوع حسنا مثاله

ذوائب سود كالعناقيد أرسلت * فمن أجلها منا النفوس ذوائب

والقسم الثالث ما وافق آخر كلمة فى البيت بعض كلام فى أى موضع كان كقول الشاعر

سقى الرمل صوب مستهل غمامه * وما ذاك الا حب من حل بالرمل

هكذا عرف ابن المعتز هذا القسم الثالث من التصدير لكن قال ابن أبى الاصبع ان هذا التعريف مدخول وصدق فان ابن المعتز قال فى أى موضع كان والكلمة اذا كانت فى العجز لم تسم تصديرا الا ان اشتقاق التصدير من صدر البيت فلابد من زيادة قيد فى التعريف يسلم به من المدخل بحيث يقول بعض كلمات البيت فى أى موضع كانت من صدره قال ابن أبى الاصبع أيضا الذى يحسن أن يسمى به القسم الاول تصدير التقفية الثانى تصدير الطرفين الثالث تصدير الحشو وقد وقع من القسم الاول فى الكتاب العزيز قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ومن القسم الثانى قوله تعالى وأحسنوا ان الله يحب المحسنين ومن القسم الثالث قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قال ابن أبى الاصبع وفى التصدير قسم رابع ذهب عنه ابن المعتز وهو أن يأتى فيما الكلام فيه منفى واعتراض فيه اضراب عن أوله كقول الشاعر

فان تلثم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد

وقد جاء قدامة من التصدير بنوع آخر كذكرناه وسماه التبديل وهو ان يصير المتكلم الاخير من كلامه أولا أو بالعكس كقولهم اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك قال ابن أبى الاصبع لم أقف لهذا النوع على شاهد شعرى فقلت

اصبر على خلق من تصاحبه * واصحب صبورا على أذى خلقك

أصحاب البديعيات نظموا القسم الثانى الذى قرره ابن المعتز وهو ما وافق آخر كلمة من البيت أول كلمة فيه وهو الذى وقع الاتفاق على انه الاحسن وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله

فى تحدث عن سرى فما ظهرت * سرائر القلب الا من حديث فى

هذا النوع أعنى التصدير مارحت السهولة نازلة بأكناف أذياله فانه سهل المأخذ ويتعين على الاديب المعنوى ان لا يتركه ساذجا من نكتة أدبية تزداد بها بهجة فان الشيخ صفى الدين مع عدم تكلفه بتسمية النوع وسبكه فى قالب التورية من جنس الغزل لم يأت به الا ساذجا وبيت العميان فى بديعيتهم

وحقهم ما نسينا عهدهم * ولا طلبنا سواهم لا وحقهم

لعمرى ان بيت الشيخ عز الدين فى هذا النوع أعمر من بيت الصفى ومن بيت العميان فانه مع التصريح بتورية التسمية حلى نوع التصدير بتكررها فى طرفى بيته وهو

فهم بصدر جمال عجز عاشقه * عن وصله ظاهر عن باحث فهم

أو أفارق عرضى وبين راحلتين اما ظهور الجمال أو أعناق الرجال فاخترت السماح بالوطن على السماح بالبدن وأنشدت

اذا لم يكن الا الاسنة مركب * فلا رأى للمضطر الا ركوبها

ورسم الشيخ ان أعلمه موجب غضبه لنتلافى الامر بموجبه وهذا داء لا أعرف نتاجه فكيف أطلب علاجه وأمر لم الابس باطنه فكيف أمارس ظاهره وخطب لم أفسد أوله فكيف أصلح آخره وشئ لا أعرف سببه فكيف أتلافى ذنبه وحال لم أضع صدرها فكيف أتدارك عجزها اللهم لا كفران ولعن الله الشيطان كان ذنبى الى ذلك السلطان موالاة دمتها وخدمة أقتها وشيبة أرقتها وحياة أنفقتها وحرم أسلفتها وأموال أتلفتها وقصائد نظمتها وموائد خدمتها وآلة عرضتها وخمة نقضتها فهل أتيت الا من حيث أتيت وهل أخطأت الامن حيث حسبت أنى أصبت وهل بعدت الامن حيث قربت وهل خبثت الامن حيث طبت وهل قبلنى هذا

قوله يلطم وجهه فى نسخة يشتم عرضه

وبيت بديعيتي

ألم أصرح بتصدير المديح لهم * ألم أهدد ألم أصبر ألم ألم

ديباجة التورية في عجز هذا البيت وصدره لا تخفى على صاحب الذوق السليم ولو استقل هذا البيت بنظم نوع التصدير بمجرده لم يكن تحته كبير أمر كبيت الحلي وبيت العميان

(ذكر القول بالموجب)

قولي له موجب اذ قال أشفقهم * تسل قلت بناري يوم فقدهم

القول بالموجب ويقال له أسلوب الحكيم وللناس فيه عبارات مختلفة منهم من قال هو أن يخصص الصفة بعد أن كان ظاهرها العموم أو يقول بالصفة الموجبة للحكم ولكن يثبتها الغير من أثبتها المتكلم وقال ابن أبي الاصبع هو ان يخاطب المتكلم مخاطبا بكلام فيعمد المخاطب الى كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم وذلك عين القول بالموجب لان حقيقته رد الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه قال صاحب التلخيص في تلخيصه وايضاحه القول بالموجب ضربان أحدهما ان تقع صفة من كلام الغير كناية عن شئ أثبت له حكم فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشئ من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم وانتفائه كقوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالاذل عن فريق المؤمنين واثبتوا للاعز الاخراج فاثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم انتهى كلام صاحب التلخيص ومنه قول القبعثرى للحجاج لما توعده فقال لاحملنك على الادهم والمراد به القيد فرأى القبعثرى ان الادهم يصلح للقيد والفرس فحمل كلامه على الفرس وقال مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب فصرف الوعيد بالهوان الى الوعد بالاحسان وفي هذا ما لا يخفى على المتأدب من حسن التلطف وشدة الباعث على فعل الخير اذ لا يليق بمن له همة عالية ان يقال له مثلك من يفعل الخير فيقول لا بل أفعل الشر والقسم الثاني من كلام صاحب التلخيص ان القول بالموجب هو حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه وهذا القسم الذي تداول بين الناس ونظمه أصحاب البديعيات كقول ابن حجاج

قال ثقلت اذ أتيت مرارا * قلت ثقلت كاهلي بالايادي

قال طولت قلت أوليت طولا * قال ابرمت قلت حبل ودادي

وحذاق البديع ادخلوا هذا الباب من لفظة لكن فانهم خصصوا بها نوع الاستدراك بحيث يفرق بينهما فرق دقيق وهذا هو الفرق ومن أحسن ما وقع في هذا النوع قول محاسن الشواء

ولما أتاني العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا للعمى قارض

وقد بهتوا لما رأوني شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

وأورد الشهاب محمود في كتابه المسمى بحسن التوسل الى صناعة الترسل بيت الارجاني في الاستدراك شاهدا على هذا النوع وهو

غالطتني اذ كست جسمي ضنى * كسوة أعرت من اللحم العظاما

ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

قد تقرر ان لفظة لكن خص بها أهل البديع نوع الاستدراك لاجل الفرق بينه وبين القول بالموجب ولم يستشهدوا على نوع الاستدراك بغير بيتي الارجاني قال الشهاب محمود في البيتين انه اعجبه معناهما ونظم فيه قوله وهو شاهد على القول بالموجب

رأتني وقد نال مني النحول * وفاضت دموعي على الخد فيضا

السلطان بما نفاني ذلك وهل رفعني ههنا الا ما وضعني هنالك لئلا يشغل الشيخ قلبه بهذا الامر فانها حضرة يرجح فيها ابن الجان ويكون أشيل في الميزان بحر تعلو جيفه وتسفل صدفه وهذا أمر قد غطى أوله الجفاء فليغط آخره العفاء لا أزال أحمد الى الشيخ أبا عبد الله فيما يوليه من رفق بأسبابه واعتناء بأكرته وأصحابه وما يفعل ذلك الا ما يوجبه فضله ويأتيه مثله ويدعو اليه أصله وما يأتي من الخير الا ما هو أهله وحقا أقول قد عاشرت هذا الفاضل فطابت عشرته ولانت قشرته وواصلته فاحسنت وصاله وأحمدت خصاله وسألته فاغزرت جوده وجمته فاصلبت عوده وما بقيت في الامتحان عرقا الا جسته ولا نظرا الا تفرسته فما أتتني خصلة من خصاله الا وهي أكرم من أختها حتى حالت الغربة بيني وبينه فكان في الغربة أكثر في الجد جهدا وأطيب في الغيب عهدا وأتم على البعد ودا ولعمري ان ودا لحضرة اخاء واخوة وود الغيبة وفاء ومروءة وقد جمع هذا الفاضل حبليهما وراش نبليهما وما خسر على

فقالت بعيني هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

وبيت الحلى قالوا سلوت لبعد الالف قلت لهم * سلوت عن صحتي والبرء من سقمي

فقوله سلوت عن صحتي هو حمل لفظ وقع من كلام الغير على خلاف مراده وبيت العميان أو رده بحرف الاستدراك وهو

كانوا غيوثا ولكن للعفاة كما * كانوا ليوثا ولكن في عداتهم

رأيت ترك الكلام على هذا البيت اليق بالمقام وبيت عز الدين الموصلي

قالوا مدام الهوى قول بموجبه * تسل قلت شبابي من يد الهرم

لما قال الشيخ عز الدين بعد تسل شبابي من يد الهرم علمنا انها الكلمة التي أشار اليها ابن أبي الاصبع وقال ان المخاطب يعكس بها معنى كلام المتكلم وهو عين القول بالموجب وتسل هنا أحسن من سلوت في بيت الحلى فان تسل يقبل الاشتراك ومراد المتكلم هنا داء السل فعاكسه المخاطب بسل الشباب من يد الهرم ونقله باشتراك التورية الى الوجه الذي أراده ولم يخرج عن موضوعها في معنى السل الذي لم يخرج عن الوجهين غير ان قول الموصلي مدام الهوى قول بموجبه لم يخل من شدة العقادة وبيت بديعيتي

قولي له موجب اذ قال اشفقهم * تسل قلت بناري يوم فقدهم

فلفظة تسل هي الكلمة المعتمد عليها في عكس معنى كلام المتكلم من المخاطب فان المتكلم أراد السلو في لفظة تسل وهي فعل أمر فعاكسه المخاطب بالاشتراك ونقلها بالتورية الى صفة التسلي بالنيران فانه لما قال له تسل قال بناري يوم فقدهم ورقة البيت وانسجامه لا تخفى على أهل الذوق السليم والله أعلم

(ذكر الهجو في معرض المدح)

(وكم بمعرض مدح قد هجوتهم * وقلت سدتم بحمل الضيم والتهم)

هذا النوع من مستخرجات ابن أبي الاصبع وهو ان يقصد المتكلم هجاء انسان فيأتي بالفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه كقول الحماسي

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا

كأن ربك لم يخلق لخشيته * سواهم من جميع الناس انسانا

فظاهر هذا الكلام المدح بالحلم والعفة والخشية والتقوى وباطنه المقصود أنهم في غاية الذل وعدم المنعة وظريف قول بعضهم في الشريف ابن الشجري

ياسيدي والذي يعيذك من * نظم قريض يصدى به الفكر

مافيك من جدك النبي سوى * انك لا ينبغي لك الشعر

ومن ملح هذا الباب قول ابن سناء الملك في قواد

لي صاحب افديه من صاحب * حلو التأني حسن الاحتيال

لو شاء من رقة ألفاظه * ألف ما بين الهدى والضلال

يكفيك منه أنه ربما * قاد الى المهجور طيف الخيال

قال الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع لقد تشبثت باذيال القاضي السعيد بن سناء الملك في هذا النوع بقولي فيمن ادعى الفقه والكرم

ان فلانا أكرم الناس لا * يمنع ذا الحاجة من فلسه

وهو فقيه ذو اجتهاد وقد * نص على التقليد في درسه

فيحسن البحث على وجهه * ويوجب الدخل على نفسه

(ذكر الهجو في معرض المدح)

المكرم كريم كالم يربح على اللؤم لئيم ولن يبطل العرف في القياس ولا يذهب الخير بين الله والناس أعانني الله على تأدية حقه وفرضه وقضاء الواجب أو بعضه وقد أطلنا ولا أحسبني أطلت وفي النفس أضعاف ما كتبت والشيخ أيده الله لا يعرض كلامي على من يعرف عوار كلامه واختلال نظامه فان ما يكتب عن صوب البديهة بفيض القلم من دون روية تعمل لا يكاد يطيب وأنا أخدمه والجماعة بالسلام

(وله الى أبي علي بن مشكويه)

ويا عزان واش وشى بي عندكم فلا تمهليه ان تقولي له مهلا كما لو وشى واش بعزة عندنا لقلنا تزحزح لا قريبا ولا أهلا

بلغني أطال الله بقاء الشيخ ان قيضة كلب واقتة باحاديث لم يعرها الحق نوره ولا الصدق ظهوره وانه أدام الله عزه اذن لها على مجال اذنه وفسح لها فناء ظنه ومعاذ الله ان أقولها واستجيز معقولها

والفرق بين الهجاء فى معرض المدح وبين التهكم ان التهكم لا تخلو ألفاظه من اللفظ الدال على نوع من أنواع الذم أو لفظة توهم من فحواها الهجو والفاظ المدح فى معرض الذم لا يقع فيها شئ من ذلك ولا تزال تدل على ظاهر المدح حتى يقرن بها ما يصرفها عنه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

من معشر يرخص الاعراض جوهرهم * ويحملون الاذى من كل مهتضم

فقوله ويحملون الاذى من كل مهتضم ينظر الى قول الحماسى (يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة) والمراد بهما أبطنه الذل وعدم المنعة والعميان لم ينظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى معرض المدح تهجى من قبيلته

أعراضهم بين معمور ومنهدم

الذى أقوله ان الشيخ عز الدين قفل مصراعى بيته ومنع الافهام من الدخول اليه فانى لم أجد فيه ما يدل على مجرد المدح ولا اقترن به ما يصرفه الى صيغة الهجو بل أقول وأنا استغفر الله ان هذا البيت اجساد الفاظه ما دب فيها من المعانى روح وليس له بهذا النوع المام وبيت بديعيتى

وكم بعرض مدح قد هجوتهم * وقالت سدتم بحمل الضيم والتهم

لحمل الضيم ينظر الى قول الحماسى اذ ظاهره الحلم والحسن وباطنه الذل وعدم المنعة ولكن حمل التهم هو الغاية القصوى فى ظاهره وباطنه والله أعلم

(ذكر الاستثناء)

*(عفت القدود فلم استثن بعدهم * الا معاطف أغصان بذى سلم)

الاستثناء استثناآن لغوى وصناعى فاللغوى اخراج القليل من الكثير وقد فرع النحاة من ذلك فى كتبهم فروعا كثيرة والصناعى هو الذى يفيد بعد اخراج القليل من الكثير معنى يزيد على معنى الاستثناء ويكسوه بهجة وطلاوة ويميزه عما يستحق به الاثبات فى أبواب البديع كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس فان فى هذا الكلام معنى زائدا على مقدار الاستثناء وذلك لعظم الكبيرة التى أتى بها ابليس من كونه خرق اجماع الملائكة وفارق جميع الملأ الاعلى بخروجه عما دخلوا فيه من السجود لآدم وذلك مثل قولك أمر الملك بكذا وكذا فأطاع أمره جميع الناس من أمير ووزير الا فلانا فان الاخبار عن معصية هذا العاصى بهذه الصيغة مما يعظم أمر معصيته ويفخم مقدار كبريائه بخلاف قولك أمر الملك بكذا فعصاه فلان ومثاله قوله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فان فى الاخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة تهويلا على السامع لتمهيد عذر نوح عليه السلام فى الدعاء على قومه وان فى حكمة الاخبار عن المدة بهذه الصيغة العظيمة تعظيمها لكون اول ما يباشر السمع ذكر الالف والايجاز فى اختصار هذا اللفظ بهذه البلاغة العظيمة ظاهر فان لفظ القرآن اخصر واوجز من قولنا تسعمائة سنة وخمسين عاما ولفظ القرآن بتقييد حصر العدد المذكور لا يحتمل الزيادة عليه ومثله قوله تعالى فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فانه تعالى لما علم ان وصف الشقاء يعم المؤمن العاصى والكافر استثنى من خلودهم فى النار بلفظ مطمع حيث أثبت الاستثناء المطلق واكده بقوله ان ربك فعال لما يريد أى أنه لا اعتراض عليه فى اخراج أهل الشقاء من النار ولما علم ان أهل السعادة لا خروج لهم من الجنة استثنى من خلودهم ما ينفى الاستثناء حيث قال عطاء غير مجذوذ أى مقطوع وهذه المعانى فى هذه الآيات الشريفة زائدة على الاستثناء اللغوى ومن أمثال الاستثناء اللغوى فى الشعر قول النميرى

فلو كنت بالعنقاء أو بأطومها * لخلتك الا أن تصد ترانى

هذا الاستثناء فى غاية الحسن فانه تضمن المبالغة فى زيادة مدح الممدوح وذلك ان هذا الشاعر يقول

بل قد كان بينى وبين الشيخ الفاضل عتاب لا ينزل كنفه ولا يحدف حديث لا يتعدى النفس وضميرها ولا يعرف الشفة وسميرها وعربدة كعربدة أهل الفضل لا تتجاوز الدلال والادلال ووحشة لا يكشفها عتاب لحظة كعتاب لحظة فسبحان من ربى هذا الامر حتى صار أمرا وتابط شرا وأوجب عذرا وأوحش حرا سبحان من جعلنى فى جنب العدو أشيم بارقته وأستجلى صاعقته وأنا المساء اليه والجنى عليه لكن من بلى من الاعداء بمثل ما بليت ورمى من الحسد بما رميت ووقف من التوحد والوحدة حيث وقفت واجتمع عليه من المكاره ما وصفت اعتذر مظلوما وضحك مشتوما ولو علم الشيخ عدد أولاد الجدد وابناء العدد بهذا البلد ممن ليس لهم الا فى سعاية أو شكاية أو حكاية أو نكاية لضن بعشرة غريب اذا بدر وبعيد اذا حضر ولصان مجلسه عمن لا يصونه عما رقى اليه فهبنى قد قلت ما حكى ابليس الشاتم من أسمع والجانى من بلغ فلقد بلغ من كيد هؤلاء القوم

انى لو كنت فى حيز العدم لان العرب تضرب المثل بالعنقاء لكل شئ متعذر الوجود فلما تمكنت من رؤيتى ليس لك مانع عنعك عنى فالزيادة هنا فى غاية اللطف وهى قوله الا أن تصدقا انت فى القدرة على غير ممنوع وهذا غاية المبالغة فى المدح ومن الاستثناء نوع سماه ابن أبى الاصبع استثناء الحصر وهو غير الاستثناء الذى يخرج القليل من الكثير ونظم فيه قوله

اليك والا ما تحث الركائب * وعنك والا فالمحدث كاذب

فان خلاصة هذا البيت قول الناثر للممدوح * لا تحث الركائب الا اليك ولا يصدق المحدث الا عنك وهذا الحصر لا يحسن فى الاستثناء الاول فانه لو قال سبحانه وتعالى فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وعاما صح لولا توخى الصدق فى الخبر وقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس لا يمنع ان يقال ورهطه لولا مراعاة الصدق فى الخبر وعلى منوال الاستثناء الاول الذى هو العمدة فى هذا الباب نظم أصحاب البديعيات وهو اخراج القليل من الكثير بزيادة معنى بديع يزيد على معنى الاستثناء فبيت الشيخ صفى الدين الحلى

فكل ما سر قلبى واستراح به * الا الدموع عصانى بعد بعدهم

فبيت صفى الدين هنا غير خال من الانتقاد ومراده فيه أن كل شئ كان يسره قبل الفراق ويطيعه عصاه الا الدموع فانها اطاعته ومعنى هذه الزيادة اللطيفة لا يخفى على أهل الذوق والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

الناس كل ولا استثنا لى عذروا * الا العذول عصانى فى ولائهم

مراد عز الدين فى زيادة معناه على معنى الاستثناء ان عذوله خالف الاجماع وبيت بديعيتى

عفت القدود فلم استثن بعدهم * الا معاطف أغصان بذى سلم

قال الله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون * هذا البيت ما أعلم اننى اذا أطنبت فى وصفه يكون الاطناب لشدة فرحى به لكونه نظمى أولان الامر على حقيقته فان زيادة معناه على معنى الاستثناء وغرابة أسلوبه وشرف نسيبه وحسن انسجامه وسهولة ألفاظه ومراعاة نظيره لا تخفى على المنصف من أهل الادب وأما ترشيح تورية الاستثناء بذكر القدود والمعاطف فانه من النسمات التى حركت القدود والمعاطف والتكميل بذى سلم لكون القصيدة نبوية فى غاية الكمال والذى أقوله انه ما يدخل نظر المتأمل الى بيت أعمر منه فى هذا الباب والله أعلم بالصواب

(ذكر التشريع)

(طاب اللقا لذ تشريع الشعور لنا * على النقا فنعمنا فى ظلالهم)

هذا النوع أعنى التشريع سماه ابن أبى الاصبع التوأم وأراد بذلك مطابقة التسمية للمسمى فان هذا النوع شرطه أن يبنى الشاعر بيته على وزنين من أوزان القريض وقافيتين فاذا أسقط من أجزاء البيت جزأ أو جزأين صار ذلك البيت من وزن آخر غير الاول كقول الحريرى

يا خاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار

دار متى ما أضحكت فى يومها * ابكت غدا تبا لها من دار

وهى قصيدة كاملة معروفة فى مقاماته من ثانى الكامل وتنتقل بالاسقاط الى ثامنه فتصير

يا خاطب الدنيا الدنيـ ـة انها شرك الردى

دار متى ما أضحكت * فى يومها ابكت غدا

وزيادة القافيتين ظاهرة ووقع قبل كلام الحريرى من كلام العرب فى هذا الباب

واذا الرياح مع العشى تناوحت * هوج الرمال بكثبهن شمالا

الفيتنا نقرى الغبيط لضيفنا * قبل القتال ونقتل الابطالا

انهم حين صادفوا من الاستاذ نفسا لا تستفز وجبلا لا يهز وشوا الى خدمه بما أرسوا نارهم وردعلى ما قالوه فالبيت

ان قلت وان تك حرب بين قومى وقومها * فانى لها فى كل نائبة سلم

وليعلم الاستاذ ان فى كبد الاعداء منى جمرة وان فى أولاد الزنا عندنا كثرة وقصاراهم نار يشبونها وعقرب يدبونها ومكيدة يطلبونها ولولا أن العذر اقرار بما قيل وأكره ان أستقيل لبسطت فى الاعتذار شاذروانا ودخلت فى الاستقالة ميدانا لكنه أمر لم أضع أوله فلم أتدارك آخره وقد أبى الشيخ أبو محمد أيده الله الا أن يوصل هذا النثر الفاتر بنظم مثله فها كه يلعن بعضه بعضا

مولاى ان عدت ولم ترض بى
ان أشرب البارد لم أشرب
امتط خدى وانتعل ناظرى
وصد بكفى حمة العقرب
بالله ما أنطق عن كاذب
فيك ولا أبرق عن خلب
فالصفو بعد الكدر المفترى
كالصحو عقب المطر الصيب
ان اجتنى الغلظة من سيد
فالشوك عند الثمر الطيب
أو يفسد الزور على ناقد
فالخمر قد يعصب بالثيب

ولعل الشيخ أبا محمد أيده

فان هذا الشاعر لو اقتصر على الرمال والقتال لكان الشعر من الضرب المجزو المرفل من الكامل وهو
واذا الرياح مع العشى * وتناوحت هوج الرمال
الفيتنا نفرى الغبيط * طاضيفنا قبل القتال

فاذا أتممت البيتين صارا من الضرب التام المقطوع منه وصار لكل بيت من هذين البيتين قافيتان ولا شك أن هذا النوع لا يأتى الا بتكلف زائد وتعسف فانه راجع الى الصناعة لا الى البلاغة والبراعة اذ وقوع مثل هذا النوع فى الشعر من غير قصد له نادر ولا يحسن أن يكون فى النثر فانه مايقع فيه الا رصيما ولا يظهر حسنه الا فى النظم لان فيه الانتقال من وزن الى وزن آخر فيحصل بذلك من الاستحسان ما لا يحسن فى النثر لان النثر على كل حال كلام مسجوع ليس فيه انتقال من وزن الى وزن وأوسع البحور فى هذا النوع الرجز فانه قد وقع مستعملا تاما ومجزوا ومشطورا ومنهوكا فيمكن أن يعمل للبيت منه أربع قواف فاذا أسقطت ما بعد القافية الاولى بقى البيت منهوكا فاذا أسقطت ما بعد الثانية بقى البيت مشطورا فاذا أسقطت ما بعد الثالثة بقى مجزوا واذا لم تسقط شيأ كان تاما ولابى عبد الله محمد بن جابر الضرير الاندلسى ناظم البديعية فى غير بديعيته المذكورة هنا

يرنو بطرف فاتر مهما رنا * فهو المنى لا أنتهى عن حبه
يهفو بغصن ناضر حلو الجنى * يشفى الضنا لاصبر لى عن قربه
لو كان يوما زائرى زال العنا * يحلو لنا فى الحب أن نسمى به
أزلته فى ناظرى لما دنا * قد سرنا اذلم يحل عن صحبه

فهذه الابيات من الرجز التام وهو الضرب الاول منه فاذا تركتها على حالها فهى من التام واذا أسقطت من البيت الاول لا أنتهى عن حبه ومن الثانى لاصبر لى عن قربه ومن الثالث فى الحب أن نسمى به ومن الرابع اذلم يحل عن صحبه صارت من الرجز المجزو وان أسقطت من البيت الاول قوله فهو المنى الى آخره ومن الثانى يشفى الضنا الى آخره ومن الثالث يحلو لنا الى آخره ومن الرابع قد سرنا الى آخره صارت من الرجز المشطور وان أسقطت من الاول قوله مهما رنا ومن الثانى حلو الجنى ومن الثالث زال العنا ومن الرابع لما دنا صارت من الرجز المنهوك ولكن القوة فى ذلك والمكنة فى ملكة الاديب أن يأتى بالتشريع فى بيت واحد وهذا هو المطلوب من نظام البديعيات لاجل الاستشهاد بابياتهم على كل نوع لاسيما الملتزم بتسميته على الصيغة فانه لو جاء بالتسمية والنوع فى بيتين بطل حكم التورية وخرج عن شروط البديعيات وبيت الشيخ صفى الدين

فلو رأيت مصابى عندما رحلوا * رثيت لى من عذابى يوم بينهم

يخرج له من هذا البيت * فلو رأيت مصابى * رثيت لى من عذابى وهو مجزو المجتث وبيته عند العروضيين
البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال

وقد تعين ايراد ما نظمه أبو عبد الله الضرير فى البيتين لاجل المعارضة وهما

واف كريم رحيم قد وفى ووقى * فعم نفعا فكم ضرا شفى فقم
فقم بنا فلكم فقرا كفى كرما * وجود تلك الايادى قد صفا فقم

أقول لو اختصر العميان هذين البيتين واضافوهما الى ما اختصروه من البديع لكان أجمل بهم فانهم أسقطوا من أنواع البديع نحو السبعين وقصد الناظم فيهما أعنى البيتين انك اذا أسقطت من البيت الكلمة الموازنة لغيرها من آخر كل نصف وهى قوله ووقى وقوله فكم صار الوزن من الضرب الاول من البسيط وهو التام الى الضرب الثالث منه وهو المجزو لانه قد حذف منه جزء من آخر كل نصف فصار
واف كريم رحيم قد وفى * وعم نفعا فكم ضرا شفى
فقم بنا فلكم فقرا كفى * وجود تلك الايادى قد صفا

وهذا

الله يقوم من الاعتذار بما قعد عنه القلم والبيان فنعم رائد الفضل هو والسلام

(وله الى الشيخ العميد)

أنا أطال الله بقاء الشيخ العميد مع أحرار نيسابور فى صنعة لا فيها أعان ولا عنها أصان وشيمة ليست بى تناط ولا عنى تماط وحرفة لا فيها أدال ولا عنى تزال وهى الكدية التى على تبعتها وليست لى منفعتها فهل للشيخ أن يلطف بصنيعته لطفا يحط عنه دون العار وسمت التكسب والافتقار ليخف على القلوب ظله ويرتفع عن الاحرار كله ولا يثقل على الاجفان شخصه باتمام ما كان عرضه عليه من أشغاله ليعلق بأذياله وليستفيد من خلاله فيكون قد صان الفضل عن ابتذاله والادب عن اذلاله واشترى حسن الثناء بجاهه كما يشترى بماله وللشيخ العميد فيما يجيب به صنيعته من وعد يعتمده ووفاء يتلو ما بعده على رأيه ان شاء الله تعالى

(وله الى القاضى أبى القاسم على بن أحمد يشكو أبا بكر الحيرى)

الظلامة أطال الله بقاء القاضى اذا أتت من

وهذا مع ركته وثقالة نظمه غير المشهور من البسيط فانه لم يشتهر منه سوى العروض الاولى المخبونة ووزنها فعلن ولها ضربان المشهور منها الاول وهو مخبون مثلها او بيت الشيخ عز الدين

وفى الهوى ضل تشريع العذول لنا * وكم هوى فى مقال ذل من حكم

أخبر أن تشريع العذول فى حكم الهوى ضلال حتى يرشح بتورية التشريع فى تسمية النوع ويخرج من بيت الشيخ عز الدين بيت من قافية أخرى من منهوك الرجز فنصفه فى الشطر الاول وفى الهوى وفى الشطر الثانى وكم هوى وهذه عبارته فى شرحه بنصها فصار باقى البيت بدون الجزأين الاولين

ضل تشريع العذول لنا * فى مقال ذل من حكم

وهذا البيت من العروض الثالثة المحذوفة المخبونة من المديد ووزنها فعلن وشاهدها

للفتى عقل يعيش به * حيث تهدى ساقه قدمه

ولقد برز الشيخ عز الدين فى ذلك على متقدميه فان الشيخ صفى الدين لم يحصل له بيتان من بيت ولا للشيخ أبى عبد الله الضرير ولكن قال الشيخ عز الدين فى شرحه ان هذا النمط ما وقع للمتقدمين وهو معجز ليس لاديب عليه قدرة وبسط العبارة فى الدعوى بسببه فأردت ان لا انسج فى الشرح على غير منوال الدفقات

طاب اللقا لذ تشريع الشعور لنا * على النقا فنعمنا فى ظلالهم

فيخرج من بيتى

* طاب اللقا * على النقا *

وهو بيت بقافية أخرى من منهوك الرجز كبيت الشيخ عز الدين ولكن شتان بين قولى * طاب اللقا * على النقا * وبين قوله * وفى الهوى * وكم هوى * فان بيته لا تتم به فائدة ولا يحسن السكوت عليه وصار باقى بيتى بدون الجزأين الاولين

لذ تشريع الشعور لنا * فنعمنا فى ظلالهم

وهو بيت من العروض الثالثة المحذوفة المخبونة من المديد وهى التى رتب عز الدين عليها ما بقى من بيته

ضل تشريع العذول لنا * فى مقال ذل من حكم

ولكن الفرق فى تشريع الشعور ظاهر والتورية فى قوله فنعمنا فى ظلالهم عند ذكر الشعور كلام ماسائغ عند أهل الادب وهذا البيت مع صعوبة مسالك هذا النوع اجتمع فيه من أنواع البديع السهولة والانسجام والتورية فى موضعين والتمكين فى القافية والجناس المطلق بين تشريع وشعور والتذييل البديعى فانى أتيت بجملة بعد تمام الكلام الاول زادت معناه تحقيقا وتوكيدا وجرت مجرى المثل وفيه نوع التشريع الذى هو المقصود هنا والله أعلم

(ذكر التتميم)

(بكل بدر بليل الشعر يحسده * بدر السماء على التتميم فى الظلم)

التتميم كان اسمه التمام وانما سماه الحاتمى التتميم وسماه ابن المعتز اعتراض كلام فى كلام لم يتم معناه والتتميم عبارة عن الاتيان فى النظم والنثر بكلمة اذا طرحت من الكلام نقص حسنه ومعناه وهو على ضربين ضرب فى المعانى وضرب فى الالفاظ فالذى فى المعانى هو تتميم المعنى والذى فى الالفاظ هو تتميم الوزن والمراد هنا تتميم المعنى ويجىء للمبالغة والاحتياط كقول طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الغمام وديمة تهمى

فقوله غير مفسدها احتراس واحتياط ويجىء فى المقاطع والحشو وأكثر مجيئه فى الحشو ومثاله قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة فقوله من ذكر أو أنثى تتميم وقوله وهو مؤمن تتميم ثان فى غاية البلاغة التى بذكرها تم معنى الكلام وجرى على الصحة ولو حذفت الجملتان نقص معناه واختل حسن البناء ومن هذا القسم قول النبى صلى الله عليه وسلم مما انفرد به مسلم ما من عبد مسلم يصلى لله كل يوم ثنتى عشرة ركعة من غير الفرائض الا بنى الله له بيتا فى الجنة

مجلس القضاء لم ترق الا الى سيد القضاة وما كنت لاقصر سيادته على الحكام دون جميع الانام لولا اتصالهم بسببه وانسامهم بلقبه وهم القضاة اتسموا بسمته متطفلين على قسمته ألهم أديم فى الصحة كأديمه أو قديم فى الشرف كقديمه أو حديث فى الكرم كطريقه فهنيأ لهم الاسماء وله المعانى ولا زالت لهم الظواهر وله الجواهر ولا غرو أن سموا قضاة فما كل مائع ماء ولا كل سقف سماء ولا كل سيرة عدل العمرين ولا كل قاض قاضى الحرمين وبالشارات القضاء ما أرخص ما بيع وأسرع ما أضيع وألبسته الانذال قبل خلو الديار وموت الخيار الا يغارون لحلى الحسناء على السوداء ومركب أولى السياسة تحت الساسة ومنزل الانبياء من تصدر الاغبياء وحمى البزاة من صيد البغاث ومربع الذكور من تسلط الاناث ويا للرجال وأين الرجال ولى القضاء من لا علم من الآية غير السبال ولا يعرف من أدواته غير الاختزال ولا يتوجه من أحكامه الا فى الاستحلال ولا يرى التفرقة الا فى الاموال ولا

فوقع التتميم فى هـذا الحديث فى أربعة مواضع منها قوله مسـلم ومنها قوله لله ومنها كل يوم ومنها قوله من غير الفرائض ومن أناشيد قدامة على هذا القسم

اناس اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عاذوا بالسيوف القواضب

فقوله ويعطوه تتميم فانه فى غاية الحسن فانه شاهد على ماجاء منه للاحتياط ومثال ماجاء منه للمبالغة قول زهير

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

فقوله على علاته تتميم للمبالغـة وغاية الغايات فى التتميم للمبالغة قوله تعالى ويطعـمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا فقوله على حبه هو تتميم للمبالغة التى تعجز عنها قدرة المخلوقين وأما التتميم الذى جاء فى الالفاظ فهو الذى يؤتى به لاقامة الوزن بحيث انه لو طرحت الـكلمة استقل معنى البيت بدونها وهو على ضربين أيضا كلمة لا يفيـد مجيئها الا اقامة الوزن وأخرى تفيـد مع اقامة الوزن ضربا من المحاسن فالاولى من العيوب والثانيـة من النعوت والمراد هنا الثانية لا الاولى ومثالها قول المتنبى

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * ياجنتى لظننت فيه جهنما

فانه جاء بقوله ياجنتى لاقامة الوزن فافاد تتميم المطابقـة وهو ضرب من المحاسن المشار اليها ولقـد وهـم جماعة من المؤلفـين وخلطوا التـكميـل بالتتميم وساقوا فى باب التتميم شواهـد التـكميل وبالعكس وتأتى شواهد التـكميـل فى مواضـعها والفرق بين التـكميـل والتتميم ان التتميم يرد على الناقص فيتمه والتـكميل يرد على المعنى التام فيكمله اذ الكمال أمر زائد على التمام وأيضا ان التمام يكون متمما المعانى النقص لا لاغـراض الشـعر ومقاصـده والتـكميل بكملها وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

وكم بذلت طريفى والتليد لكم * طوعا وأرضيت عنكم كل مختصم

فالتتميم فى قوله طوعا فانه أراد به انه لم يبذل ذلك كرها فتمم بهذا المعنى والعـميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

والبدر مذلاح فى التتميم دان له * والشمس مذعنة طوعا لمحتكم

قوله فى التتميم هو التتميم بعينـه مع زيادة التورية فى التشبيه وقوله طوعا تتميم ثان لكن تقدمه الشيخ صفى الدين بقوله طوعا وأرضيت عنـكم كل مختصم وبيت بديعيتى متعلق ببيت التشريع الذى قبله وهو

طاب اللقا لذ تشريع الشعور لنا * على اتقا فنعمنا فى ظلالهم

بكل بدر بليـل الشـعر يحسـده * بدر السماء على التتميم فى الظلم

فقولى بليـل الشعر هو التتميم الذى يستعار من استعارته المحاسن فانى لو قلت بكل بدر يحسده بدر السماء لصح المعـنى ولـكن زدت البـدر الارضى بقولى بليـل الشعر تتميما وحسـنا وقولى على التتميم تتميم ثان مع زيادة التورية التى فيها تسمية النوع الملتزم بها وقولى فى الظـلم تتميم ثالث ليس له نظير فان به تم المعنى وتمت رتبة اللف والنشر

(ذكر تجاهل العارف)

(وافتر عجبا تجاهلنا بمعرفة * قلنا أبرق بدا أم ثغر مبتسم)

تجاهل العارف تسميته لابن المعتز وسماه السكاكى بسوق المعلوم مساق غـيره لنـكتة المبالغـة فى التشبيه وهو عبارة عن سؤال المتـكلم عما يعـلم سؤال من لا يعـلم ليوهم ان شدة التشبيه الواقع بين المتناسـبين احدثت عنده التباس المشبه بالمشبه به وفائدته المبالغة فى المعنى نحو قولك أوجهك هذا أم بدر فان المتـكلم يعلم ان الوجه غير البدر الا انه لما أراد المبالغـة فى وصف الوجـه بالحسن استفهم أهذا وجه أم بدر فيفهـم من ذلك شدة الشبه بين الوجه والبدر فان كان السؤال عن الشئ الذى يعرفه المتـكلم خاليا من الشبه لم يكن من هذا الباب بل يكون من باب آخر كقوله تعالى وما تلك

يحسن من الفقه غير جمع المال ولم يتقن من الفرائض الاولة الاحتفال وكثرة الافتعال ولم يدرس من أبواب الجـدل الاقبح الفعال وزور المقال ذاك أبو فلان الفلانى أضاعه الله كما أضاع أمانتـه وخان خزانته ولا حاطه من قاض فى صولة جندى وسبلة كردى فما أشبهه فى قضاياه وتحـبيره بين خطاياه الا بالصبى يسـلم الى عدله ويلف وجهـه فى منديله ويجتمع عليـه اترابه فيجـنى قـذاله كل رفعة بصفعه ويسأل عن ضاربها فان غلط فى صاحبها أعيد على وجهه اللف وعلى قذاله الـكف وكذا من شغل أيام صباه بما شغل وفعل أيام الشباب ما فعل ثم جلس للقضاء كهلا ووسع كل شئ جهلا وبعـد فان القضاء من القضية والحية لا تلد غير الحية من اعتزى الى أب كأبيه واقترن بأخ كأخيه لم يلم على جهله فهو الشئ من أهله والفرع فى أصله والعلم أطال الله بقاء القاضى شئ كما تعرفه بعيد المرام لا يصاد بالسهام ولا يقسم بالازلام ولا يرى فى المنام ولا يضبط باللجام ولا يورث عن الاعمام ولا يكتب للئام وزرع لا يزكو

بيمينك ياموسى فان السؤال هنا ماوقع لاجل المبالغة فى التشبيه المشار اليه فى تجاهل العارف بل هو لفائدة أخرى اما الايناس لموسى عليه السلام لان المقام مقام هيبة واحترام واما اظهار المعجز الذى لم يكن موسى يعلمه ومنه قوله لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله فان السؤال هنا لم يكن للتشبيه وانما هو توبيخ لمن ادعى فيه ذلك ومن الناس من جعل تجاهل العارف مطلقا سواء كان على طريق التشبيه أو على غيره اذا تقرر هذا فاعلم ان تجاهل العارف من حيث هو انما يأتى لنكتة من نحو مبالغة فى مدح أو ذم أو تعظيم أو تحقير أو توبيخ أو تقرير أو من تدله فى الحب وأنا أذكر أمثلة الجميع هنا فمنه للمبالغة فى الغزل قول الشاعر

اجفون كحيلة ام صفاح * وقدود مهزوزة ام رماح

ومنه للمبالغة فى الشوق وطول الليل

وشوق ما أقاسى أم حريق * وليل ما أكابد أم زمان

وللمبالغة فى النحول

وقفت وقد فقدت الصبر حتى * تبين موقفى أنى الفقيد
وشككت فى عذالى فقالوا * لرسم الدار أيكما العميد

ومنه للمبالغة فى الغزل

فى الخيف من ظبيانه سمراء * اقوامها أم صعدة سمراء

ومثله

اثغرك ياهند أبدى ابتساما * أم البرق سل عليه حساما

ومثله قول شرف الدين راجح الحلى

من أطلع البدر فى ديجور طرته * وأودع السحر فى تكسير مقلته
ومن أدار يواقيت الشفاه على * كاس من الدر يحمى خمر ريقته

ويعجبنى من هذا القصيد قوله وان كان من غير ما نحن فيه

يحنو النسيم عليه من لطافته * والدهر ألين منه عند قسوته

ومثله فى اللفظ والمعنى قول ابن نباتة

فى مرشفيه سلاف الراح من عصره * ومعطفيه قوام البان من هصره
وفى ابتسام ثناياه ومنطقه * من نظم الدر اسلاكا ومن نثره

ومن تجاهل العارف للمبالغة فى تعظيم الممدوح قول ابن هانئ المغربى

أبنى العوالى السمهرية والموا * ضى المشرفية والعديد الاكبر
من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوابغ تبع فى حمير

قيل انه لما تجاهل فى هذا البيت عن معرفة الممدوح ترجل الجيش بكماله تعظيما للممدوح اذ هو ملكهم وهذه القصيدة سارت بها الركبان والحداة تشدو ببلاغتها * وهى أحب من قفا نبك فى الشهرة لفصاحتها * ومطلعها

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر

وما أحلى ما قال بعده

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

أقول ان هذه الاستعارات المرشحة ترشح ندى البلاغة من بين أوراقها * وتتعثر خيول الشعراء فى حلبة سباقها * ومنها

فى فتية صدأ الدروع عبيرهم * وخلوقهم علق النجيع الاحمر
لا يأكل السرحان شلو طعينهم * مما عليه من القنا المتكسر
قوم يبيت على الحشايا غيرهم * ومبيتهم فوق الجياد الضمر
وتظل تسبح فى الدماء قبابهم * فكأنهن سفائن فى أبحر
حى من الاعراب الا انهم * يردون ماء الامن غير مكدر

فى كل ارض حتى يصادف من الحرص ثرى طيبا ومن التوفيق مطرا صيبا ومن الطبع جوا صافيا ومن الجهد روحا دائما ومن الصبر سقيا نافعا والعلم علق لا يباع ممن زاد وصيد لا يألف الاوغاد وشئ لا يدرك الا بنزع الروح وغرض لا يصاب الا بافتراش المدر واستناد الحجر ورد الضجر وركوب الخطر وادمان السهر واصطحاب السفر وكثرة النظر واعمال الفكر ثم هو معتاص على من زكا روعه وخلا ذرعه وكرم أصله وفرعه ووعى بصره وسمعه وصفا ذهنه وطبعه فكيف يناله من أنفق صباه على الفحشاء وشبابه على الاحشاء ونهاره على الجمع وليله على الجماع وشغل سلوته بالغنى وخلوته بالغنا وأفرغ جسده على الكيس وهزله على الكاس والعلم غرلا يصلح الا للغرس ولا يغرس الا فى النفس وصيد لا يقع الا فى البذر ثم لا ينشب الا فى الصدر وطائر لا يخدعه الا قفص اللفظ ثم لا يعلقه الا شرك الحفظ وبحر لا يخوضه الملاح ولا تطيقه الالواح ولا تهيجه الرياح وجبل لا يتسنم الا بخطا الفكر وسماء لا يصعد الا بمعراج الفهم ونجم لا يلمس الا بيد الجد أيمكنى أن يصبح المرء بين

لى منهـم سيف اذا جردته * يوماضربت به رقاب الاعصر
صعب اذا نوب الزمان استصعبت * متنمـر للحادث المتنمـر
واذا عفا لم تلق غـير مهلل * واذا سطا لم تلق غـير معفر
فغمامه من رحمـة وعراصـه * من جنـة ويمينـه من كوثر

ولم استطرد الى هـذا القدر من نظم ابن هانئ الاعلى انه عزيز الوجود وغـريب فى هـذه البلاد * ومن تجاهـل العارف للمبالغـة فى المدح قول امام هـذه الصناعه * ومالك ازمة البـلاغة والبراعة القاضى الفاضل * من مديح العادل

أهذى كفه أم غيث غوث * ولا يلغ السحاب ولا كرامه
وهـذا بشره ام لمع برق * ومن للبرق فينا بالاقامـه
وهذا الجيش ام صرف الليالى * ولا سبقت حوادثها زحامه
وهـذا الدهر ام عبـد لديه * يصرف عن عزيمته زمامه
وهـذا نـصل غمـدام هلال * اذا أمسى كنون ام قلامه
وهـذا الترب أم خـد لثمنا * فآثار الشفاه عليه شامه

سبحان المانح هـذا الاديب الذى لم ينسج الاوائـل عـلى منواله * ولا تتعلق الافاضـل من المتأخرين بغبار أذياله * ومنها وليس من تجاهل العارف ولـكنه من المرقص والمطرب

وهـذا الدر منثور ولكن * اروني غير اقـلامى نظامـه
وهذى روضة تندى وسطرى * بها غصن وقافيـتى حمامـه
وهـذا الكاس روق من بنانى * وذكرك كان من مسك ختامه

وقوله أيضا من تجاهل العارف للمبالغة فى المديح

أهـذه سـير فى المجـد امسـور * وهذه أنجم فى السـعد ام غرر
وأنمـل أم بحار والسـيوف لها * مـوج وافرندها فى لجها درر
وأنت فى الارض ام فوق السماء وفى * يمينك البحر ام فى وجهك القمر

(ومما جاء فى تجاهـل العارف) للمبالغة فى التعظيم قول سـيدنا القطب الفرد الجامع عبد القادر الـكيلانى قدس الله ضريحه وأعاد علينا من بركته فى الدنيا والآخرة بمحمد وآله

أأظما وأنت العذب فى كل منهل * وأظلم فى الدنيا وأنت نصيرى
وعار على حامى الحـى وهـو قادر * اذا ضاع فى البيدا عقال بعير

ومثله بدا فراع فؤادى حسن صورته * فقلت هل ملك ذا الشخص أم ملك

ومما جاء فى تجاهل العارف للمبالغة فى الذم قول زهير

وما أدرى وسوف اخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

ومما جاء للتحقير قول الشاعر وتجاهل وتظارف الى الغاية

لما ادعى غصن الرياض بأنه * فى لينـه مـع قدها موصوف
قلنا له هل أنت تشـبه قدها * ما أنت هذا القد يا مقصوف

ومما جاء منه للتوبيخ قول ليلى بنت طريف الخارجية فى أخيها الوليد

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

وهذا البيت من قصيدة غريبة أثبتها بكمالها ابن خلكان فى تاريخه والخابور نهر أصله من رأس عين بديار بكر يصب الى الفرات (ومن أظرف ماوقع فى تجاهل العارف) على سبيل التوبيخ قول سراج الدين الوراق فانه صرح بذكر التوبيخ فى بيتيه وهما

الزق والعود ويمشى بين موجبات الحدود حتى يتم شبابه وتشيب أترابه ثم يلبس دنيته ليخلع دينته ويطوى طيلسانه ليحرف يده ولسانه ويقصر سباله ليطيل حباله ويبدى شقاشقه ليغطى مخارقه ويبيض لحيته ليسود صحيفته ويظهر ورعه ليخفى طمعه ويغشى محرابه ليملأ جرابه ويكثر دعاءه ليحشو وعاءه ثم يخدم بالنهار امعاءه ويعالج بالليل وجعاءه ويرجو ان يخرج من بين هذه الاحوال عالما ويقعد حاكما هذا اذا المجد كالوه بقفزان كلا حتى ينهى الشهوات ويجوب الفلوات ويمتضد المحابر ويحتضن الدفاتر وينتج الخواطر ويحالف الاسفار ويعتاد القفار ويصل الليل باليوم ويعتاض السهر من النوم ويحمل على الروح ويجنى على العين وينفق من العيش ويخزن فى القلب ولا يستريح من النظر الا الى التحديق ولا من التحقيق الا الى التعليق وحامل هذه الكاف ان أخطأه رائد التوفيق فقد ضل سواء الطريق وهذا الحيرى رجل سفلة طلب الرياسة بغير تحصيل آلاتها وأعجله حصول الامنية عن تحصيل أدواتها

واخجلـتى وصحائـفى مسـودة * وصحائف الابرار فى اشراق
وموبخ فى الحشر وهو يقول لى * أكذا تكون صحائف الوراق

ومما وقع للتقرير قول مهيار

سلا ظبية الوادى وما الظبى مثلها * وان كان مصقول الترائب أكحلا
أأنت أمرت الصبح أن يصدع الدجا * وعلمت غصـن البان أن يتميـلا

ومما وقع منه قول العرجى للتدله فى الحب

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن أم ليلى من البشر

قد قررت هنا اختلاف أقسام هذا النوع أعنى تجاهل العارف من مدح وذم وتعظيم وتحقير وتوبيخ وتقرير وغير ذلك اذا عرفت ذلك فانى أوردت هنا ما استطرفته فى هذا الباب ولم أحتج فيه الى التنبيه وأظرف ما سمعته فى هذا الباب قول عبد المحسن الصورى

بالذى ألهم تعذيـ * ـبى ثناياك العذابا
والذى صير حظى * منك هجرا واجتنابا
والذى ألبس خديـ * ـك من الورد نقابا
ما الذى قالته عينا * ك لقلبى فأجابا

ومثله دعوه ونجدا انها شان نفسه * ولو أن نجدا تلعة ما تعداها
وهبكم منعتم أن يراها بعينه * فهل تمنعون القلب أن يتمناها

وقول المتنبى أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى المآقى

وقول الفاضل فاذا قلت أين دارى وقالوا * هى هذى أقول أين زمانى

وقال ابن الفارض أوميض برق بالابيرق لاحا * أم فى ربا نجد أرى مصباحا
أم تلك ليلى العامرية أسفرت * ليلا فصيرت المساء صباحا

ويعجبنى قول الشيخ علاء الدين الوداعى

ترى يا جيرة الرمل * يعود بقربكم شملى
وهل تقتص أيدينا * من الهجران للوصل
وهل ينسخ لقياكم * حديث الكتب والرسل

ومن لطائف هذه القصيدة ولم أبعد فى الاستطراد عما نحن فيه قوله

بروحى ليلة مرت * لنا معكم بذى الاثل
وساقينا وما عـلا * وشادينا وما عـلى
وظبى من بنى الأترا * ك حلو التيه والدل
له قد كغصن البا * ن ميال الى العـدل
وطرف ضيق ويلا * ه من طعناته النجـل
أقول لعاذلى فيـه * رويدك يا أبا جهـل
فقلبى من بنى تيم * وعقلى من بنى ذهل
وما يبرى هوى المشتا * ق الا ذلك المغلى

لقد زاحمه الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله هنا بقوله

حلفت بما علا النديم وما على * لقد صان ذاك الحسن سمعى عن العذل
من المغل أشكو نحوه ألم الهوى * وطب الهوى عندى كما قيل بالمغلى

ومن الذى أعجبنى فى هذا النوع أعنى تجاهل العارف قول بعضهم

والكاتب أحسن حالة وهو النهاية فى الخساسة ممن تصدر للرياسة قبل ابان الرياسة فولى المظالم وهو لا يعلم أسرارها وحمل الامانة وهو لا يعرف مقدارها والامانة عند الفاسق خفيفة المحمل على العاتق تشفق منها الجبال وتحملها الجهال وقعد مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كتاب الله يتلى وحديث رسوله يروى وبين البينة والدعوى فقبحه الله من حاكم لا شاهد أعدل عنده من السلة والجام يدلى بهما الى الحكام ولا مزكى أصدق لديه من الصفر ترقص على الظفر ولا وثيقة أحب اليه من غمزات الخصوم على الكيس المختوم ولا وكيل أوقع بوفاقه من خبيئة الذيل وحمال الليل ولا كفيل أعز عليه من المنديل والطبق فى وقتى الغسق والفلق ولا حكومة أبغض اليه من حكومة المجلس ولا خصومة أوحش لديه من خصومة المفلس ثم الويل للفقير اذا ظلم فما يغنيه وقف الحكم الا بالقتل من الظلم ولا يجيره مجلس القضاء الا بالنار من الرمضاء وأقسم لو أن

أقول له علام تميل عجبا * على ضعفي وقدك مستقيم
فقال تقول عني في ميل * فقلت له كذا نقل النسيم

ومليح هنا قول ابن نباتة السعدي
فوالله ما أدري أكانت مدامة * من الكرم تجنى أم من الشمس تعصر

وأورد صاحب الصناعتين في هذا الباب ما كتبه اليه بعض أهل الادب وهو * سمعت بورود كتابك فاستفزني الفرح قبل رؤيته * وهزعطفي المرح امام مشاهدته * فما أدري أسمعت بورود كتاب * أم رجوع شباب * ولم أدر أرأيت خطا مسطورا * أم روضا ممطورا * أو كلاما منثورا * أم وشيا منشورا * وبيت الشيخ صفي الدين غاية في هذا الباب
ياليت شعري اسحرا كان حبكم * أزال عقلي أم ضرب من اللمم

وبيت العميان في بديعيتهم
اذا بدا البدر تحت الليل قلت له * أأنت يابدر أم مرأى وجوههم

هذا البيت لم يعمر بشئ من محاسن الادب لما فيه من الركة وبيت الشيخ عز الدين الموصلي
وعارف مذ بدا بدري تجاهل لي * وقال حبك أم ذا البدر في الظلم

الشيخ عز الدين مع التزامه بالتورية في تسمية النوع الذي استوعب كلمتين من البيت بيته أرق من بيت العميان واعمر بالمحاسن وبيت بديعيتي
وافتر عجبا تجاهلنا بمعرفة * قلنا أبرق بدا أم ثغر مبتسم

هذا البيت شاهد في تجاهل العارف على المبالغة في التشبيه وهو القسم الذي تقرر في أول الكلام على النوع وقلنا انه المقدم على بقية الاقسام من تجاهل العارف فان فيه سوق المعلوم في مقام غيره لنكتة المبالغة في التشبيه كما قرره السكاكي وقولي تجاهلنا بمعرفة لا يخفى ما فيه من الحسن على أهل الذوق السليم والله أعلم

(ذكر الاكتفاء)

(لما اكتفى خده القاني بحمرته * قال العواذل بغضا انه لدمي)

الاكتفاء هو ان يأتي الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم يفتقر الى ذكر المحذوف لدلالة باقي لفظ البيت عليه ويكتفي بما هو معلوم في الذهن فيما يقتضي تمام المعنى وهو نوع ظريف ينقسم الى قسمين قسم يكون بجميع الكلمة وقسم يكون ببعضها والاكتفاء بالبعض أصعب مسلكا لكنه أحلى موقعا ولم أره في كتب البديع ولا في شعر المتقدمين فشاهد الاكتفاء بجميع الكلمة كقول ابن مطروح لا أنتهي لا أنثني لا أرعوي * مادمت في قيد الحياة ولا اذا
فمن المعلوم أن باقي الكلام ولا اذا مت لما تقدم من قوله الحياة ومتى ذكر تمامه في البيت الثاني كان عيبا من عيوب الشعر مع مايفوته من حلاوة الاكتفاء ولطفه وحسن موقعه في الاذهان ومنه قول شيخ شيوخ حماة أهلا بطيفكم وسهلا * لو كنت للاغفاء أهلا
لكنه وافى وقد * حلف السهاد على أن لا

ومنها قوله فيما نحن فيه راموا فطامي عن هوى * غذيته طفلا وكهلا
فوضعت في طوفي يدي وقلت خلوني والا

وما أظرف قول الصاحب بهاء الدين زهير
ياحسن بعض الناس مهلا * صيرت كل الناس قتلى
لم تبق غير حشاشة * في مهجتي وأخاف أن لا

وما أظرف ما قال بعده ولم يخرج عن المراد

وكشفت

اليتيم وقع في انياب الاسود بل الحيات السود لكانت سلامته منهما أحسن من سلامته اذا وقع بين غيابات هذا القاضي وأقاربه وما ظن القاضي بقوم يحملون الامانة على متونهم ويأكلون النار في بطونهم حتى تغلظ قصراتهم من مال اليتامى وتسمن أكفالهم من مال الايامى وما ظنك بدار عمارتها خراب الدور وعطلة القدور وخلاء البيوت من الكسوة والقوت وما قولك في رجل يعادي الله في الفلس ويبيع الدين بالثمن البخس وفي حاكم يبرز في ظاهر أهل السمت وباطن أصحاب السبت فعله الظلم البحت وأكله الحرام السحت ومارأيك في سوس لا يقع الا في صوف الايتام وجراد لا يسقط الا على الزرع الحرام ولص لا ينقب الا خزانة الاوقاف وكردي لا يغير الا على الضعاف وذئب لا يفترس عباد الله الا بين الركوع والسجود ومحارب لا ينهب مال الله الا بين العهود والشهود ومازلت أبغض حال القضاة طبعا وجبلة حتى أبغضتهم دينا وملة وألعنهم دربة حتى لعنتهم قربة بما شاهدت من هذا الحبري

وكشفت فضل قناعه * بيدى عن قمر تجلى
وانثمه فى خـــده * تسعين أو تسعين الا

وجمع الشيخ سراج الدين الوراق بين تضمينين واكتفاءين فى بيت واحد وأجاد الى الغاية

بالاثمى فى هواها * أفرطت فى اللوم جهلا
مايعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا *

وجمع ابن نباتة بين الاكتفاء وتضمين المثل السائر

اسقنى صرفا من الرا * ح تحت الهم حتى
ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

ومن لطائف شيخ شيوخ حماة فى هذا النوع

صلى ودعى نفارك عن محب * بذكرك آنس والليل ساكن
ولا تستقبحى شيبا برأسى * فما ان شبت من كبر ولكن

وقول ابن سنا الملك من قصيدة

رأيت طرفك يوم البين حين همى * والدمع نغر وتكحيل الجفون لما
فاكفف ملامك عنى حين ألثمه * فاشكت بأنى قد ألممت فما
لو كان يعلم مع علمى بقسوته * تألم القلب من وخز الملام لما

وله من قصيدة يا عاذلين جهلتم فضل الهوى * فعذلتم وفيه ولكنى أنا

ويعجبنى قول القائل هنا من قصيدة مطلعها

هزوا القدود فأخجلوا سمر القنا * وتقلدوا عوض السيوف الاعينا
وتقدموا للعاشقين فكلهم * طلب الامان لقلبـــه الا أنا

وتلطف ابن سنا الملك فى مطلع قصيدة بقوله

دنوت وقد أبدى الكرى منه ما أبدى * وقبلته فى الثغر تسعين أو احدى

ومثله فى اللطف قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

ولقد كملت فما يقال لقد * حزت الجمال جميعه الا
وابعضهم وأجاد فان المنية من يخشها * فسوف تصادمه أينما

ومما رشف الذوق حلاوته فى هذا النوع قول الشيخ شرف الدين ابن الفارض من قصيدة

ما للنوى ذنب ومن أهوى معى * ان غاب عن انسان عينى فهو فى

ومثله فى اللطف مع الترشيح باكتفاء ثان قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

أفدى التى تاجها وقامتها * كأنه همزة على ألف
أذكر ثغرا لها فأسكر من * وورد خدلها فارتع فى

ومثله قول الشيخ شمس الدين بن العفيف

رأى رضابا عن تسليه أولو العشق سلوا
ماذاقه وشاقه * هذا وما كيف ولو

ومن لطائف الصاحب بهاء الدين زهير فى هذا النوع قوله من أبيات

فما كان أحسن من مجلسى * فخذت بما شئت عن ليلتى
بشمس الضحى وببدر الدجى * على يمنتى وعلى يسرتى
وبت وعن خبرى لا تسل * بذاك الذى وبتلك التى

ومن لطائفه أيضا انه كتب الى بعض أصحابه وكان اسمه يحيى وقد بلغه انه شرب دواء أبياتا أولها

وقاسيت وعاينت من خبطه وخطبه ما عاينت وسأسوق حديثى معه انه أصلحه الله قد فتش أعطاف نيسابور فما وجد الا رأسى دبة والا لحيتى مذبة فجنى لى على خمسة آلاف درهم أرقت فى كسبها ماء العمر وأخرجتها من أنياب الخطوب الحمر وخمسة أشهر من عمرى كل يوم منها خير من عمر شريح القاضى فى أمر الباغ المعروف بباغ أسد عقد لى اجارة ثلاث سنين واحتملت دخله أياما قلائل ثم لم يكن مثلى معه الا مثل البخارى الذى ضاع حماره وخرج فى طلبه حتى عبر جيحون بسببه يطلبه فى كل منهلة وينشده فى كل مرحلة وهو لا يجده حتى جاوز خراسان وانتهى الى طبرستان وأتى العراق وطاف الاسواق فلما لم يجده وأيس عاد وقد طالت أسفاره ولم يحصل حماره حتى اذا حصل فى بلده بين أهله وولده أحب الله ان يلطف له لطفا ليعتبر به فنظر ذات يوم الى اصطبله فاذا الحمار بسرجه ولجامه وثفره وحزامه قائما على المعلف ينش وانا أيضا مازال يرددنى فى هذا الباغ بامل يرخيه ويشده وطمع يرسله ويمده حتى صار الباغ

سلمت من كل ألم * ودمت موفور النعم
فى صحة لا ينتهى * شبا بها الى الهرم
يحيى بك الجود كما * يموت بابى العدم
و بعد ذا قل لى ما * كان من الامر وكم

وأظرف منه ولم يخرج عما نحن فيه من بديع الاكتفاء وزيادة التورية ماوقع لشهاب الدين التلعفرى مع شمس الدين الشيرجى بين يدى الملك الناصر وهما ذاك الاان ماحضرا بين يديه فى ليلة أنس فاتفق ان شمس الدين الشيرجى ذهب الى ضرورة وعاد فأشار اليه الملك الناصر أن يصفع التلعفرى وكان شمس الدين رجلا ألحى فلما صفع التلعفرى نهض على الفور وقبض على لحية الشيرجى وأنشد ارتجالا ويده فيها

قد صفعنا فى ذا المحل الشريف * وهو ان كنت ترتضى تشريفى
فارث للعبد من مصيف صفاع * يا ربيع الندى والاخريفى

وما أحلى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى هذا النوع مع زيادة اللف والنشر والاكتفاء فى البيتين

قالت اذا غمضت جفونك فارتقب * طيفى فقلت لها نعم لكن اذا
وسمعت عن سيف ورمح قبلها * حتى انثنت ورنت فقلت هما اللذا

ومنه قول الشيخ صدر الدين بن عبد الحق ولم أكثر من هذا النوع الالانه قليل فى أيدى الناس

جهنم حمامكم نارها * تقطع أكبادنا بالظما
وفيها عصاة لهم ضجة * وان يستغيثوا يغاثوا بما

ومنه قول المقر الفخرى بن مكانس مع زيادة التورية

من شرطنا ان أسكرتنا الطلا * صرفا تداوينا برشف اللمى
نعاف مزج الماء من كأسها * لا آخذ الله السكارى بما

ومنه قول المقر المرحومى الامينى صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة رحمه الله وهو مما أنشدنيه مرارا وكان عند عوده من أذربيجان صحبة المقر المرحومى سيفى تنم كافل المملكة الشريفة بتاريخ كذا وقد ضل غالب العسكر فى بعض الليالى عن الماء وفيه الزيادة على الاكتفاء بالاقتباس والتورية وهو

ضلوا عن الماء لما ان سروا سحرا * قومى فظلوا حيارى يلهثون ظما
والله أكرمنى بالماء دونهم * فقلت ياليت قومى يعلمون بما

ومثله قولى وفيه أيضا زيادة الاقتباس والتورية على الاكتفاء

قالوا وقد فرطت فى تصبرى * وماشفى بقربه سقاما
اصبر عسى تشفى بماء ريقه * قلت لهم ياحسرتى على ما

وأنشدنى من لفظه لنفسه القاضى عماد الدين بن القضامى أخو شيخى قاضى القضاة علاء الدين الحنفى سقى الله من غيث الرحمة ثراه وشعرا امتدح به المقر المرحومى الاوحدى صاحب ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان تغمده الله برحمته ورضوانه والموشح مانسج ابن سنا الملك فى دار الطراز على منواله منه فى نوع الاكتفاء بالكل مع زيادة التضمين

أرخت ذوائبها الثانى الاربع * لتضل فاستغنت بها عن برقع
وعدوت أسهر فى ليالى شعرها * ويقول فجر الفرق هذا مطلعى
وتبسمت فعلاها * نور فزاد سناها
فلثمت فاها آخذا مستغنما * ورشفته رشف النزيف لبردما

بارضه ومائه وزرعه وبنائه فى يد الهمذانى اليس اطال الله بقاء القاضى يعامل مثلى بمثلها الاسخى أو سخيف أما السخى فالذى يجعل حرمه طعمه وبصيره فى فى لقمه وأما السخيف فالذى لايبالى بما يؤل اليه عقباه ولا يوجعه الصفع على قفاه والله المستعان والقاضى الفاضل المختار ولعن الله الحيرى ووقتا قطعته بذكره وقرطاسا دنسته باسمه والحمد لله

(وله الى بعض أهل همذان) كتابى أطال الله بقاءك غرة شهر رمضان عرفنا الله بركة مقدمه وعن تجشمه وخصك بتقصير ايامه واتمام صيامه وقيامه فهو وان عظمت بركته ثقيل حركته وان جل قدره بعيد قعره وان عمت رأفته طويل مسافته وان حسنت قربته شديد صحبته وان كبرت حرمته كبير حشمته وان سرنا مبتداه فلن يسوءنا منتهاه وان حسن وجهه فلن يقبح قفاه وما أحسنه فى القذال واشبه ادباره بالاقبال جعل الله قدومه سبب ترحاله وبدره فداء هلاله وأمر فلكه تحريكا لتنقضى مدته وشيكا واظهر هلاله نحيفا ليزف

ومنه وفيه حسن التخلص مع الاكتفاء

حكم الزمان بينهم وتشتتي * وشماتة الاعداء أكبر محنتي
واسيد الرؤساء رمت تخلصا * من محنتي فشددت رحل مطيتي
فغدت تمد خطاها * وأقول عند عياها
الأوحدى الأوحدى لتغنما * يا ناقتى فزمامك بيدى وما

وظريف هنا قول الشيخ زين الدين بن الوردى

ماذا تقولون فى محب * عن غير أبوابكم تخلى
وجاء كم زائرا عفيفا * عن مالكم هل يجوز أم لا

ومنه قوله مع زيادة التضمين مولاى انك محسن * قسما وانك ثم انك
فلا شكرنك ما حييت وان أمت فلتشكرنك

ويعجبنى قول الشيخ برهان الدين القيراطى هنا مع زيادة التورية والاقتباس

حسنات الخدمنه * قد أطالت حسراتى
كلما سا ءوما لا * قلت ان الحسنات

ومرسيدنا ومولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى الحنفى نور الله ضريحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه على حماة المحروسة سنة سبع وثمانمائة وهو اذذاك صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة ومولانا السلطان الملك المؤيد خلد الله ملكه كافلها فى تلك الايام وركابه الشريف متوجه الى حلب المحروسة والامير حكم فى خدمته بحيث يوصله الى محل كفالته بها وكنت فى تلك الايام بحلب المحروسة امام كافلها علان تغمده الله برحمته ورضوانه فهرب علان واختفيت بعده فلما حل ركاب قاضى القضاة صدر الدين المشار اليه بحلب المحروسة توصل بحنوه وصدق محبته وخبره الى أن عرف أين كنت مختفيا فكتب الى

قصدنا حماة فلم نلق من * أردنا فلم نرعهد اوالا
وجئنا الى حلب خلفه * فان كان فيها اجتمعنا والا

فكتبت اليه الجواب أمولاى والله حال الجريض دون القريض الذى قد تولى
وأرجو وقد عفت هذى البلاد * خلاصى بالاصدر منها والا

فقدر الله بالسلامة وتوجهت فى خدمته متنكرا لى دمشق المحروسة ومن نظمى فى هذا النوع مع زيادة ايهام التورية

تطلبت منه قبلة وهو نافر * فقال وقتلى حبنا ان تقبلا
فقلت له بالوصل عدنى الى غد * فبعدك مات الصبر قال نعم الى

وقولى أيضا مع زيادة التضمين

صهباء ريقته رشفت سلافها * فتغلبت فعجزت ان أتكلما
واذا سئلت أقل ان هو سائل * انى لأعلم ما تقول وانما

القسم الثانى الاكتفاء بالبعض وقد تقدم انه عزيز الوقوع جدا ولم يوجد فى كتب البديع فمن ذلك قول ابن سنا الملك من قصيد

أهوى الغزالة والغزال وانما * نهنهت نفسى عفة وتدينا
ولقد كففت عنان عينى جاهدا * حتى اذا أعييت أطلقت العنا

ومنه قول شيخ شيوخ حماة اليكم هجرتى وقصدى * وأنتم الموت والحياة
أمنت ان توحشوا فؤادى * فآنسوا مقلتى ولاتو

وقول ابن مكانس مع زيادة التورية

الى اللذات زفيفا وعفا الله عن فرح بكرهه ومجون يسخطه ورد كتابك فأى سرور لم يرد بوروده وأى حبور لم أجد بوجوده وسرنى ترايد بيانك كما ساءنى البعد عن عيانك وأعجبنى كتابك كما ازعجنى عتابك ولست أملك مقابلتك على ما توليه من جميل فى حفظ تلك المعايش وصيانتها أكثر من تقلد المنة وأحسن من اذاعة الشكر والسلام

(وله جواب كتاب رئيس هراة عدنان بن محمد)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ من نيسابور وقد غلت على بصلها وضاقت على برحبها شوقا اليه عن سلامة وردنها بحضرته اسبع بقين من شهر رمضان أرانى الله وفاءه فما أحسنه واسمنه والحمد لله وقد ورد كتاب الرئيس فأتت ورود النعم تترى الى ومثلت لدى وبين يدى ووجدت الشيخ قد أخذ مكارم نفسه فجعلها قلادة غرسه وتتبع المحاسن من عنده فحلى بها نحر عبده وما أشبه رائع حليه فى نحر وليه بالغرة اللائحة على الدهمة الكالحة لا وآخذ الله الشيخ بوصف نزعه عن عرضه وزرعه فى غير أرضه ونعت سلخه

لله ظبي زارني في الدجى * مستوطنا ممتطيا بالخفر
فلم يقم الاعقدار أن * قلت له أهلا وسهلا ومر

ومنه قول العلامة بدر الدين بن الدماميني

الدمع قاض بافتضاحي في هوى * ظبي يغار الغصن منه اذا مشى
وغدا بوجدي شاهدا ووشى بما * أخفي فيالله من قاض وشا

ومثله قوله يقول مصاحبي والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهر
هلم نبا كر الروض المفدى * وقم نسعى الى ورد ونسر

ومثله قوله ورب نهار فيه بادمت أغيدا * فما كان أحلاه حديثا وأحسنا
منادمتي فيها مناي فحبذا * نهار تقضى بالحديث وبالمنا

ومنه قول شهاب الدين ابن حجر

أطيل الملام لمن لامني * واملأ في الروض كاس الطلا
وأهوى الملاهي وطيب الملاذ * فها أنا منهمك في الملا

وأنشدني المقر المجدي بن مكانس لنفسه

نزل الطل بكرة * وسروري تجددا
والندامى تجمعوا * فاجل كاسي على الندا

ومنه قول ابن حجر دع يا عذول رقى الملام فقد سرى * عني الحبيب فثبت دام لك البقا
والطرف من فقد الرقاد بكى بما * يحكي الغمام فليس يهدي بالرقا

وأنشدني من لفظه لنفسه قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي الحنفي وأنا بين يديه بدمشق المحروسة وريا حين الشبيبة غضة بيتين فيهما الاكتفاء بالبعض والتورية في القافيتين مع عدم الخروج عن الوزن في البيتين اذا قصد شق التورية الثاني وهذا الباب عزيز الوقوع جدا وسبكه في هذا القالب من غير عوبه ينطلي على الحاذق في صناعة الكلام هذا مع الاتفاق البديعي وحسن المطابقة ولم أذكر الاتفاق الا ان الذي كتب اليه القاضي صدر الدين البيتين مشهور بالحسن والادب وصحبته المشار اليه وهو غرس الدين خليل بن بشارة وهما

يا متهمي بالسقم كن منجدي * ولا تطل رفضي فاني علي
أنت خليلي فبحق الهوى * كن لشجوني راحما يا خلي

وتقاضاني عند الانشاد أن أنظم له شيأ على هذا الطريق فانشدته في المجلس قولي

يقولون صف أنفاسه وجبينه * عسى للقا يصبو فقلت لهم صبا
وغالطت اذ قالوا أباح وصاله * والا أبى قربا فقلت لهم أبا

ونظم الشيخ جمال الدين بن نباتة هذا النوع وكساه ديباج التورية ولم يسلم له الوزن اذ اجمع بين طرفي الاكتفاء كما فعلنا حيث قال

أقول وقد جاء الغلام بصحفة * عقيب طعام الفطر يا غاية المنا
بحقك قل لي جاء صحن قطايف * وبح باسم من أهوى ودعني من الكنا

وكتب الشيخ برهان الدين القيراطي لنور الدين ابن حجر والد قاضي القضاة شهاب الدين

مولاي نور الدين ضيفك لم يزل * يروي مكارمك الصحيحة عن عطا
صدقت قطايفك الكبار حلاوة * بفمي وليس بمنكر صدق القطا

انتهى ما أوردته من هذا النوع الغريب * وبيت صفي الدين

قالوا ألم تدر أن الحب غايته * سلب الخواطر والالباب قلت لم

من خلقه وخلقه فاهداه الى غير مستحقه وفضل استفاده من فرعه وأصله وأوصله الى غير أهله ذكر حديث الشوق ولو كان الامر بالزيارة حتما أو الاذن أطلق حزما لكان آخر نظري في الكتاب أول نظري الى الركاب ولاستعنت على كلف السير بأجنحة الطير لكنه أدام الله عزه صرفني بين يدي سريعة النبذ ورجل وشيكة الأخذ وأراني زهدا في ابتغاء كسوفي ارتقاء ونزاعا في نزوع كذهاب في رجوع ورغبة في كرغبة عني وكلاما في الغلاف كالضرب تحت اللحاف فلم أصرح بالاجابة وقد عرض بالدعاء ولم أعلن بالزيارة وقد أمر بالنداء ولم يدعني بلسان المحاجات ولم يجاهرني بفم المناجاة ولو فعل لكنت اليه أسرع من الكرم الى طرفيه وفكرت في مراد الرئيس فوجدته لا يتعدى الكرم بسبب تارة والفضل تارة فاذا كان الامر كذلك فما أولاه بترفيه مولاه عن زفرة صاعدة بفرة باعدة ونكباء جاهدة في شتوة باردة فليستفتح كل منا الى صاحبه بما عنده فابعث بما عندي وهو المدحة ليبعث بما عنده وهو المنحة

بيت صفى الدين هنا شاهد على الاكتفاء بجميع الكلمة ولكن لم ترض التورية أن تكون له سكنا لشدة برده * وعجبت للشيخ صفى الدين كيف استحسن هذا البيت ونظمه فى سلك أبيات بديعيته مع مافيه من الركة والنظم السافل وقرر موضع الاكتفاء بلفظة لم هذا مع انه غير مكلف بتسمية النوع ولا ملتفت الى تورية والعميان لم ينظموا هذا النوع * وبيت الشيخ عز الدين شاهد على النوعين مع التزامه بالتورية فى تسمية النوع البديعى واستجلاب الرقة ولطف المعنى وهو

وما اكتفى الحب كسف الشمس منه اذا * حتى انثنى بخجل الاغصان حين غمى

فشاهد الكل قوله اذا المعروف ان بعده بد لما تقدم من ذكر كسف الشمس وشاهد البعض قوله حين غمى فدل حرف الكلمة انه انميل أو غميس وبيت بديعيتى شاهد على الاكتفاء بالبعض بزيادة التورية التى تتوارى من حسنها بهجة الشموس مع سلامة الوزن فى طرق الاكتفاء على مذهب الجماعة كما تقدم * واما التورية بتسمية النوع فهى محصول الحاصل اذ لا بد منها وبيتى

لما اكتفى خده القانى بحمرته * قال العواذل بغضا انه لدمى

المعنى هنا ان الخد لما تزايدت حمرته قال العواذل بغضا فى الظاهر انه لدمى وورو بالاكتفاء وقصدوا فى الباطن انه دميم حسداله وهذا الاكتفاء ينظر الى قول القائل

كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغضا انه لدميم

وهو بالدال المهملة للحقارة ومن تأمل هذا البيت تأمل أهل الادب المنصفين علم أن الحيلة فى تركيب توريته حيلة دقيقة مع مافيه من المعنى وجزالة الاسلوب * وهذا النوع على هذا النمط الغريب لا يجرى فى مضماره من فحول الادب الا كل ضامر مهزول

(ذكر مراعات النظير)

(ذكرت نظم اللاكى والحباب له * راعى النظير بثغر منه منتظم)

هذا النوع أعنى مراعاة النظير يسمى التناسب والائتلاف والتوفيق والمواخاة وهو فى الاصطلاح ان يجمع الناظم أو الناثر أمرا ومايناسبه مع الغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة وسواء كانت المناسبة لفظا لمعنى أو لفظا للفظ أو معنى لمعنى اذ القصد جمع شئ الى مايناسبه من نوعه أو ما يلائمه من احدى الوجوه كقول البحترى فى ابل أنحلها السير

كالقسى المعطفات بل الاسـ * ـهم مبرية بل الاوتار

فانه لما شبه الابل بالقسى وأراد ان يكرر التشبيه كان يمكنه ان يشبهها بالعراجين أو بنون الخط لان المعنى واحد فى الانحناء والرقة ولكنه قصد المناسبة بين الاسهم والاوتار لما تقدم ذكر القسى ولعمرى لقد أصاب الغرض فى هذا المرمى وظريف هنا قول بعضهم فى وصف فرس

من جلنار ناضر خده * وأذنه من ورق الآس

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة ومثله قول بعضهم فى آل النبى صلى الله عليه وسلم

أنتم بنو طه ونون والضحى * وبنو تبارك فى الكتاب المحكم

وبنو الاباطح والمشاعر والصفا * والركن والبيت العتيق وزمزم

هذا الناظم أحسن فى مراعاة النظير وأتى فى البيت الاول بحسن المناسبة بين أسماء السور وفى الثانى بحسن المناسبة بين الجهات الحجازية انتهى ويعجبنى قول السلامى فى هذا الباب

والنقع ثوب بالسيوف مطرز * والارض فرش بالجياد مخمل

وسطور خيلك انما ألفاتها * سمر تنقط بالدماء وتشكل

فانه ناسب بين الثوب والتطريز وبين الفرش والخمل وبين السطور والالفات والنقط والشكل ومثله قول أبى العلاء المعرى

وها هو قد أوردت ساعتى فليصدر خلعته وقد أنفذت واذا أنفذ أخذت ويا سبحان الله ما أكثر الكدية فى هذا الفضل وقد صدر مصدر الهزل فلا يشغل الشيخ قلبه بشئ منه فانى صنيعته وصل أم قطع وغلامه أعطى أو منع وأبو فلان قد أجبت عن كتبه فلم يقذعنا بعتبه وازلحت العلة فى جوابه فلم يحرقنا بنابه أنا استعفيه من سخطه كما استجرته من شططه واسأله الدوام على معهود وصاله كما أمنعه الخروج عن محمود خصاله واشكره على ما أتى كما اشكره على مابقى وقد زاد فى أمر المخاطبة وما أحسن الاعتدال وقد كفانا انية الاستاذ واسأله ان لا يزيد وقد يد أو يجب ان لا يعيد فلا تنفع كثرة الدمع قلة المعدود والزيادة فى الحد نقصان من المحدود ورب ربح أدى الى خسران وزيادة أفضت الى نقصان ورأى الشيخ فى تشريفه بجوابه موفق ان شاء الله

(وله أيضا)

ورد يا سيدى فلان وهو عين بلد تناوانسانها وقلبها ولسانها فاظهر آيات فضله لاجرم انه وصل الى الصميم

دع اليراع لقوم يفخرون بها * وبالطوال الردينيات فافتخر
فهن اقلامك اللاتى اذا كتبت * مجدا أتت بمداد من دم هدر

قالوا العلاء أيضا ناسب بين الاقلام والكتابة والمداد * وغاية الغايات فى هذا الباب قول بديع الزمان الهمدانى من قصيدة يصف فيها طول السرى

لك الله من ليل اجوب جيوبه * كانى فى عين الردى أبدا كحل
كان السرى ساق كان الكرى طلا * كانا له شرب كان المنى نقل
كأنا جياع والمطى لنا فم * كان الفلا زاد كان السرى أكل
كان ينابيع الثرى ثدى مرضع * وفى حجرها منى ومن ناقتى طفل
كانا على أرجوحة فى مسيرنا * لغور بنا تهوى ونجد بنا تعلو

ومنها فى المديح ولم يخرج عما نحن فيه من حسن المناسبة

كأنى فى قوس لسانى له يد * مديحى له فرع به أملى نبل
كان دواتى مطفل حبشية * بنانى لها بعل ونقشى لها نسل
كان يدى فى الطرس غواص لجة * له كلمى در به قيمتى تغلو

انظر أيها المتأمل الى ملكة هذا الشاعر المغلق الذى ما دخل الى بيت الا وأسكن فيه ما يلائمه من المناسبات البديعية نعم هذه الغايات التى تقف عندها فحول الشعراء وهذا الامام المتقدم الذى صلى الحريرى خلفه وأشار اليه بقوله فى مقاماته

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

فان البديع هو الذى سبق الحريرى الى نظم المقامات وسلك العلوم فى تلك القوالب الغريبة وعلى منواله نسج الحريرى واستعمل بعض أسماء مقاماته وقفى اثر عيسى بن هشام بالحرث بن همام وعارض طرح الاسكندرى بما نسجه أبو زيد السروجى وعلى كل تقدير فالبديع عرابة هذه الراية وعباس هذه السقاية نرجع الى ما كنا فيه من حسن المناسبة فى مراعاة النظير فن المستحسن فى هذا النوع قول بعضهم فى مليح معه خادم يحرسه

ومن عجب أن يحرسوك بخادم * وخدام هذا الحسن من ذاك أكثر
عذارك ريحان وثغرك جوهر * وخدك ياقوت وخالك عنبر

هذا الاديب المتمكن ناسب بين العذار والثغر والخد والخال اذ الوجه لمصابيح هذه المحاسن جامع وبين ريحان وجوهر وياقوت وعنبر للملاءمة فى أسماء الخدام فلو ذكرشيأ عن غير تناسب كان نقصا وعيبا وان كان جائزا فانهم عابوا على أبى نواس قوله

وقد حلفت يمينا * مبرورة لا تكذب
برب زمزم والحو * ض والصفا والمحصب

فالحوض هنا أجنبى من المناسبة لانه ما يلائم المحصب والصفا وزمزم وانما يناسب الصراط والميزان وما هو منوط بيوم القيامة ومثله فى عدم المناسبة قول الكميت

وقد رأينا بها حوراء منعمة * بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فانهم قالوا الدلال لا يناسب الشنب وهو صحيح فان الشنب من لوازم الثغر فلو ذكر معه اللعس وما ناسب ذلك مشى على سنن المناسبة وخلص من النقد * ويعجبنى من ملاءمة التناسب فى مراعاة النظير قول العلامة أبى بكر بن اللبانة فى موشح

بعضى يخاصمنى فى بعض * جسمى مقيم وقلبى يمضى

من الايجاب الكريم وهو الآن مقيم بين روح وريحان وجنة نعيم تحيته فيها سلام وآخر دعواه ذكرك ياسيدى وشكرك وأحسن الثناء عليك بما أنت أهله وانا اصدق دعواه وأفخر بمالك افتخار الخصى بمتاع مولاه وقد عرفت فلانا واسنه وكيف يجرى فى الخطابة رسنه فاظنك به وقد ملكته المحاسن ولحظته العيون وسل صارما من فيه بعيد شكرك ويبديه وينشر ذكرك ويطويه والجماعة تمدح بمدحه وتجرح بجرحه فرأيك فى تحفظ اخلاقك التى اغرت هذا الشكر وانتجت هذه المآثر انغره وفقا ان شاء الله

(وله أيضا الى الرئيس ابى جعفر الميكالى)
الشيخ تملك من قلبى مكانا فارغا فنزله غير منزل قلعه ومن مودتى نوبا سابغا فلبسه غير لابسه خلعه ومن نصب تلك الشمائل شبكا وأرسل تلك الاخلاق شركا اقتنص الاحرار واستعبدهم وصاد الاخوان واسترقهم وبالله ما يغبن الا من اشترى عبدا وهو يجد حرا بارخص من العبد ثمنا واقل من البيع غبنا ثم لا ينتهز فرصة امتلاكه

وكيف اسلو وبدرى الارضى * يدير فى الاقحوان الغض

وردية سرقت أنفاسه بالالتماس * رقت فكانت مثل دمعة فى جفن كاس

انظر الى ما ناسب بين الاقحوان والورد وجذب القلوب وانشأ الاذواق فى المناسبة بين الدمعة وجفن الكاس مع الاستعارة التى تستعار منها المحاسن * ومن أحلى ما يستحلى فى الذوق من هذا النوع قول ابن مطروح

لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

ومن شدة اعجابى بهذا البيت ضمنته تضمينا لو سمعه ابن مطروح لاطرح نفسه خاضعا وسلم الى مفاتح بيته طائعا وهو

ولما خلعنا العذار * فكنا طوق الخجل

لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

لولا خوف الاطالة لتكلمت على بيت ابن مطروح وعلى التضمين وما فيهما من حسن التناسب والاستعارات بما يليق بمقامهما وغاية الغايات قول القاضى الفاضل فى هذا الباب

فى خده فخ لعطفة صدغه * والخال حبته وقلبى الطائر

ويعجبنى فى هذا الباب قول مجير الدين بن تميم

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغى * فى موقف ما الموت فيه بمعزل

لترى انابيب القناة على يدى * تجرى دما من تحت ظل القسطل

انظر أيها المتأمل الى حسن ما ناسب بين الانابيب والقناة والجريان والقسطل مع انقياد التورية الى طاعته وحسن تصرفه فانى أنا محقق ان الامير مجير الدين بن تميم من فرسان هذا الميدان وممن أجاد فى هذا الباب وبالغ فى الاحسان الى غريب المناسبة وراعى جانب مراعاة النظير حسن الزغارى بقوله

كان السحاب الغر لما تجمعت * وقد فرقت عنا الهموم بجمعها

نياق ووجه الارض قعب وبحرها * حليب وكف الريح حالب ضرعها

فانه أتى بالمعنى الغريب والتشبيه البديع وحسن المناسبة فى مراعاة النظير مع حلاوة الانسجام ولطف الاستعارة وأنشدنى لنفسه الشيخ عز الدين فى هذا النوع قوله

بخد الحب ريحان نضير * لاحرفه سطور ليس تقرا

فراعيت النظير وقلت بدرى * عذارك أخضر والنفس خضرا

الذى يظهر لى ان خضرة النفس هنا من ايهام المناسبة ومما نظمته فى هذا النوع قولى

أبرزت معصما نهار وداعى * شف بالوره فزاد حريقى

راح دمعى يرعى النظير ويبدى * عند لثمى سلاسلا من عقيق

فحسن المناسبة هنا بين المعصم والسلاسل والعقيق والبلور مع ابراز تسمية النوع البديعى والنسيب المطرب الغزلى فى معنى توريته وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

تجار لفظى الى سوق القبول بها * من لجة الفكر تهدى جوهر الكلم

المناسبة فى بيت الشيخ صفى الدين بين التجار والسوق واللجة والجوهر وهو بيت عامر بمحاسن هذا النوع وبيت العميان فى بديعيتهم

يروى حديث الندى والبشر عن يده * ووجهه بين منهل ومبتسم

هذا البيت ما رأيت له وجها يظهر به مراعاة النظير ولا بينه وبين المناسبة البديعية نسب ثابت ولكن رأيت الشيخ أبا جعفر شارح هذه البديعية أعنى بديعية العميان قال ان العنعنة فى البيت بعن تناسب الرواية فى الحديث والندا والبشر فيهما مناسبة للكرم ولعمرى ان الشيخ رحمه الله استسمن من وجه هذا البيت ذا ورم ونفخ من نفسه فى غير ضرم وهذا لعمرى جهد من لا جهد له

ولا يهتبل جدة حوزه وانا أنم للشيخ على مكرمة يتممه وسعى ذى شامة وشيمة فليعتزل من الرأى ما كان بهما وليطلق من النشاط ما كان عقيما وليحل حبوة التقصير وليجتنب جانب التأخير وليفتض عذرتها وليقض حجتها وعمرتها برأى يجذب الجد باعه ويعمر النشاط رباعه وتلك حاجة سيد أبى فلان فقد ورد من الشيخ بحرا وعقد منه جسرا وما عسر وعد وهو منتجزه ولا بعد أمر وهو منتهزه ولا ضاعت نعمة أنا ريد ذكرها وضامن شكرها وغريم نشرها وولى أمرها وهذا الفاضل قرارة بنائها ومثابة ادائها فقد شاهدت من ظرفه ما أعجز عن وصفه وعرفت من باطنه مالم يرز بظاهره ورأيت من أوله ما نم على آخره ثم له البيت المرموق والنسب المحوق والاوابة القديمة والشيم الكريمة وقد جمعنا فى الود خلقه ونظمنا فى السفر رفقه وعرفنى ما نهض له وفيه فضمنت عن الشيخ كرما لا يغلق بابه وغيثا لا يخلف سحابه وبقى ان يخرج الشيخ عن عهدة الثقة زاده الله تأكدا فان رأى ان اسال الشيخ فى معناه

وبيت عز الدين الموصلي

وارع النظير من القوم الاولى سلفوا * من الشباب ومن طفل ومن هرم

المناسبة في بيت الشيخ عز الدين بين الشباب والطفل والهرم اظن انه قصد بها النسبة الى آدم عليه السلام وبيت بديعتي ذكرت نظم اللآلى والحباب له * راعى النظير بثغر منه منتظم

المناسبة هنا ما بين اللآلى ونظم الحباب ونظم الثغر بديعة عند أهل النظم هذا مع حسن التشبيه بالمناسبة البديعية وفي نور هذا المثال ما يجعو ظلمة الاشكال عند مراعاة النظير هذا مع رقة الانسجام ومغازلة عيون الغزل في تسمية النوع البديعي وحلاوة توريته وقد حبست عنان القلم وان كانت المهجة في هذا المعرك الضيق قد ذابت لئلا يقال كثر فارتابت

(ذكر التمثيل)

(وقلت ردفك موج كي أمثله * بالموج قال قد استسمنت ذا ورم)

التمثيل مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وقال هو ان يريد المتكلم معنى فلا يدل عليه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ قريب من لفظه وانما يأتي بلفظ هو أبعد من لفظ الارداف يصلح ان يكون مثالا للفظ المعنى المذكور كقوله تعالى وقضى الامر وهذا التمثيل العظيم في غاية الايجاز والحقيقة أى هلك من قضى هلاكه ونجا من قدرت نجاته وما عدل عن اللفظ الخاص الى لفظ التمثيل الالامرين أحدهما الاختصار لبلاغة الايجاز والثاني كون الهلاك والنجاة كانا بامر مطاع ولا يحصل ذلك من اللفظ الخاص ومن شواهد ذلك في السنة الشريفة قول النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن بعض النسوة في حديث أم زرع زوجي كليل تهامه لاحر ولا برد ولا مخافة ولا سآمة فانها أرادت وصفه بحسن العشرة مع نسائه فعدلت عن اللفظ الموضوع له الى لفظ التمثيل لما فيه من الزيادة وذلك تمثيلها الممدوح بليل تهامة المجمع على وصفه بانه معتدل فتضمن ذلك وصف الممدوح باعتدال المزاج المستلزم حسن العشرة وكمال العقل اللذين ينتجان لين الجانب وطيب المعاشرة وخصت الليل بالذكر لما في الليل من راحة الحيوان وخصوصا الانسان لانه يستريح فيه من الكد والفكر ولكون الليل جعل سكنا والسكن محل الاجتماع بالحبيب لاسيما وقد جعلته معتدلا بين الحر والبرد والطول والقصر وهذه صفة ليل تهامة لان الليل يبرد فيه الجو مطلقا بالنسبة الى النهار لغيبة الشمس وخلوص الهواء من اكتساب الحر فيكون في البلاد الباردة شديد البرد وفي البلاد الحارة معتدل البرد مستطابا فلهذا قالت زوجي كليل تهامة وحذفت اداة التشبيه ليقرب المشبه من المشبه به وهذا مما يبينه لفظ التمثيل لكونه لا يجيء الا مقدرا مثلا غالبا وقال ابن رشيق في العمدة التمثيل والاستعارة ضرب من التشبيه ولكنهما بغير اداة والتمثيل هو المماثل عند بعضهم وذلك ان تمثل شيأ بشئ فيه اشارة منه كقول امرئ القيس

وماذرفت عيناك الا لتضربي * بسهميك في اعشار قلب مقتل

فمثل عينيها بالسهمين ومثل قلبه باعشار الجزور ومعناه ما بكيت الا لتقدحي في قلبي كما يقدح القادح في الاعشار فتمت له جهات التمثيل والاستعارة وقد تقدم ان التمثيل ضرب من الاستعارة والتشبيه وهو قريب التذييل ولكن بينهما فرق دقيق وهو خلو التذييل من التشبيه والحقوا بهذا الباب أعني التمثيل ما يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر وأبلغ ما سمعته من الشواهد البليغة المستوعبة لشروط هذا الباب قول أبي تمام

أخرجتموه بكره عن سجيته * والنار قد تنتضى من ناضر السلم

أوطأتموه على جمر العقوق ولو * لم يحرج الليث لم يخرج من الاجم

ففي عجز كل من البيتين تمثيل حسن فانه مثل فيهما حالته عند اخراجه كرها عن سجيته يخاطب

احبابه

عرفني كيف المآتي له وانما اطلب ليعلم صدق اهتمامي وفرط تقلدي اليه (وله يصف ماجرى بينه وبين الاستاذ أبي بكر الخوارزمي) ما الوم هذا الفاعل على سياط أنس طواه وموقد حرب احتواه لكني ألومه على مانواه (وله الى الشيخ أبي اسحق ابراهيم ابن حمزة) لو كانت الدنيا أطال الله بقاء الشيخ على مرداى لاخترت ان اضرب على هذه الحضرة اطناب عمري وانفق على هذه الخدمة أيام دهري لكن في أولاد الزنا كثرة ولعين الزمان نظرة وقد كنت خطبت من خدمة الشيخ شرعة قد نغصها على بعض الوشاة وذكراني أقصد طوس بعد استئذاني الى مرو وفي هذا ما يعلمه الشيخ فان رأى أن يحسن تجهيزي في هذه الرقعة بكتاب يطرزه مقدمي فعل ان شاء الله

(وله اليه أيضا)

خادم الشيخ قد اتبع في الخدمة قلبه وأتلى لسانه في الحاجة بنانه وقد كان استأذنه في توفير هذا اليوم على مجلس السيد فاذن على عادته الكريمة وشيمته اليتيمة ومن وجد كلأ رتع ومن صادف غيثا انتجع ومن أجيب الى الحاجات سأل وبقي أن يشفع الشيخ بازاء الحوض

أحبابه وقد أثر وابه تلك الحالة والنار قد تلتظى من ناضر السلم * قد هنا للتقليل ومراده ان وقوع هذا منكم وأنتم أحباب عجيب ومثل الحال بقوله * والنار قد تلتظى من ناضر السلم وقال فى عجز البيت الثانى عند ما أوطؤه على جمر العقوق ان الليث لولم يحرج ماخرج من الاجم * وهذا التمثيل والذى قبله فى البيت الاول غايتان فى هذا الباب وقد أخرج كلا منهما مخرج المثل السائر على مذهب من يرى ذلك وبيت الشيخ صفى الدين

ياغائبين لقد أضنى الهوى جسدى * والغصن يذوى لفقد الوابل الردم

الشيخ صفى الدين أجاد فى نظم هذا النوع وأتى بشروطه كاملة فانه مثل حاله لما أضنى الهوى جسده لغيبة أحبابه بالغصن لما يذوى لفقد المطر وأخرج كلامه مخرج المثل السائر كما تقرر ولكن لوحط موضع الهوى الجفا لكان أقرب الى المراد ولو كانت القافية غير الردم لكانت أخف على القلوب والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

من التعاظم تمثيل الزمان به * وقد يكون اتضاع القدر بالشمم

هذا البيت غير صالح للتجريد وقد كل الفكر وعجزت ان أتوصل فيه الى حد يتوصل به الى فهم معناه أوالى صورة التمثيل فى تركيبه فلم أجد بدا من مطالعة الشرح فلما نظرت فى شرحه وجدته قد قال فيه ان العذول يتعاظم فى كلامه وأفعاله فاذلك مثل الزمان به من استهتار السامع به والتهكم وعدم الاصغاء اليه وفى ذلك تهجين له وربما استجيب فيه الدعاء ثم قال فى آخر الشرح وقد أرسلت النصف الثانى من البيت مثلا فما ازدادت مرآة ذوقى بذلك الا صدأ والله أعلم وبيت بديعيتى

وقات ردفه موج كى أمثله * بالموج قال قد استسمنت ذاورم

انظر أيها المتأمل الى التمثيل الذى مثلت فيه شيأ بشئ فيه اشارة منه كما قرره ابن رشيق فى العمدة وحذفت اداة التشبيه لتقريب المشبه من المشبه به كما تقدم وتقرر ان لفظ التمثيل لا يكون الا مقدرا بمثل غالبا وأخرجت آخر كلامى مخرج المثل السائر على مذهب من يرى ذلك وأتيت بتسمية النوع البديعى مورى به مسبوكا فى أحسن القوالب والله أعلم بالصواب

(ذكر التوجيه)

(وأسود الخال فى نعمان وجنته * لى منذر منه بالتوجيه للعدم)

التوجيه مصدر توجه الى ناحية كذا اذا استقبلها وسعى نحوها وفى الاصطلاح أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالا مطلقا من غير تقييد بمدح أوغيره والتوجيه هو ابهام المتقدمين لان الاصطلاح فيهما واحد غير ان الشواهد التى استشهدوا بها على التوجيه الابهام أحق بها الطلوع أهلتها زاهرة فى أفقه ولمطابقة التسمية فانهم يستشهدون على التوجيه بقول الشاعر فى الحسن ابن سهل عند مازوج ابنته بوران بالخليفة

بارك الله للحسن * ولبوران فى الختن

ياامام الهدى ظفر * ت ولكن ببنت من

فلم يعلم ما أراد بقوله ببنت من فى الرفعة أوفى الحقارة وقد تقدم قولى فى شرح نوع الابهام لما استشهدت بهذين البيتين على مانقل ابن أبى الاصبع أن الحسن بن سهل قال له أسمعت هذا المعنى أم ابتكرته فقال لا والله نقلته من شعر شاعر مطبوع كان كثير الولوع بهذا النوع واتفق أنه فصل قباء عند خياط أعور واسمه زيد كذا نقله ابن أبى الاصبع فقال له الخياط على سبيل العبث سآتيك به لا تدرى اقباء هو ام دواج فقال له الشاعر ان فعلت ذلك نظمت فيك بيتا لا يعلم من سمعه أدعوت لك أم دعوت عليك ففعل الخياط فقال الشاعر

خاط لى زيد قباء * ليت عينيه سوا

عغره وينظم الى روض الاحسان مطره ويطرز أنسنا بالشيخ أبى فلان فقد وصف حتى حبات شوقا اليه ووجدا به وشغفا له وغلوا فيه ورأيه فى الاصغاء الى الكرم عال ان شاء الله تعالى (وله جوابا عما كتب اليه تهنئة بمرض أبى بكر الخوارزمى الحرأطال الله بقاءك لاسيما اذا عرف الدهر معرفتى ووصف أحواله صفتى اذا نظر علم أن نعم الدهر مادامت معدومة فهى أمانى فان وجدت فهى عوارى وان محن الزمان وان مطلت فستنفد وان لم تصب فكان قد فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها فى نفسه ولا يعدمها فى جنسه والشامت ان أفلت فليس يفوت وان لم يمت فسيموت وما أقبح الشماتة بمن أمن الامانة فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة وعقب كل لفظة والدهر غرثان طعمه الخيار وظمآن شربه الاحرار فهل يشمت المرء بانياب آكله أم يسر العاقل بسلاح قاتله وهذا الفاضل شفاه الله وان ظاهر بالعداوة قليلا فقد باطناه ودا جميلا والحر عند الحمية لا يصطاد ولكنه عند الكرم ينقاد

فان قيل انه قصد التساوى فى عينيه بالعمى صح وان قيل انه قصد التساوى فى الابصار صح * فتسمية النوع هنا بالابهام أليق من تسميته بالتوجيه * ومطابقة التسمية فيه لاتخفى على أهل الذوق الصحيح وهذا مذهب ابن أبى الاصبع فانه هو الذى تخير الابهام * ونزل عليه هذه الشواهد واختصر التوجيه من كتابه وقال فى ديباجته وربما أبقيت اسم الباب وغيرت مسماه اذا رأيت اسمه لايدل على معناه وقد أجمع الناس على ان كتابه المسمى بتحبير التحرير أصح كتاب ألف فى هذا الفن لانه لم يتكل فيه على النقل دون النقد وغالب الجماعة غير وابعض القواعد * وبدلوا أكثر الاسماء والشواهد * ووضعوها فى غير محلها واذا وصلت الى بديع ابن منقذ وصلت الى الخبط والفساد والجمع بين أسباب الخطاء * وأنواعه من التداخل والتبديل * والسكاكى ومن تبعه سموا هذا النوع التوجيه ونسج الناس على منوالهم الى ان تخير ابن أبى الاصبع نوع الابهام وقرر له الشواهد التى هى أليق به من التوجيه ولم أسمع من شواهد الابهام غير البيت المنظوم فى الخياط والبيتين المنظومين فى الحسن بن سهل وهذا النوع صعب المسلك فى نظمه لان المراد من الناظم أن يبهم المعنيين بحيث لايكاد أحدهما يترجح على الآخر ومن أظرف ماوقع فى هذا الباب وقد أوردته فى باب الابهام ان القاضى زين الدين بن القرناص الحلبى غفر الله له ألف تاريخا قريبا من قباء الخياط * وهاجر الى حماة المحروسة بسبب الكتابة عليه ورسم لى بعد وقوفى عليه بالكتابة عليه فكتبت على التاريخ المذكور هذين البيتين

تاريخ زين الدين فيه عجائب * وبدائع وغرائب وفنون
فاذا بتاه مناظر فى جمعه * خبره عنى انه مجنون

ومن أغرب مانقل من شواهد الابهام التى ماتليق بغيره أن أبامسلم الخراسانى قال يوما لسليمان ابن كثير بلغنى أنك كنت فى مجلس وقد جرى ذكرى فقلت اللهم سود وجهه واقطع رأسه واسقنى من دمه * فقال نعم قلت ذلك ونحن جلوس بكرم حصرم فاستحسن أبو مسلم ابهامه وعفا عنه لسداد جوابه * رجع الى ماكافيه من تقرير نوع التوجيه * قد تقدم ان المتقدمين نزلوه منزلة الابهام وسموه توجيها واستشهدوا عليه بالشواهد التى تقدم ذكرها * وأما التوجيه عند المتأخرين فقد قرروا أن يوجه المتكلم بعض كلامه أوجملته الى أسماء متلائمة اصطلاحا من أسماء الاعلام أو قواعد علوم أوغير ذلك مما يتشعب له من الفنون توجيها مطابقا لمعنى اللفظ الثانى من غير اشتراك حقيقى بخلاف التورية وهذا هو مذهب الشيخ صفى الدين وعلى هذا المنوال نسج بديعيته * وقد تقدم أن بديعيته نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن * وعلى منواله نسجت بديعيتى لاجل المعارضة وقد أدخل جماعة نوع التوجيه فى التورية وليس منها * والفرق بينهما من وجهين أحدهما ان التورية تكون باللفظة المشتركة والتوجيه باللفظ المصطلح عليه والثانى أن التورية تكون باللفظة الواحدة والتوجيه لايصح الا بعدة ألفاظ متلائمة * كقول علاء الدين الوداعى

من أم بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والاذن عن حسن

أقول لو بلغت ماعسى أن أبلغه لما وجدت للمتقدمين شاهدا أحسن من هذين البيتين على هذا النوع ولذلك قدمتهما سبحان المانح لقد أظهر الشيخ علاء الدين الوداعى من محاسن الأدب فى التوجيه وجوها تخجل الاقمار * ويتمسك الناس بعده بطيب هذه الآثار * أما قرة فهو قرة ابن خالد السدوسى وهو ثقة يروى عن الحسن وابن سيرين وليس بتابعى وأما صلة فهو صلة بن أشيم العدوى كان من كبار التابعين وهو زوج معاذة العدوية وهى تروى عن عائشة وأما جابر فهو جابر ابن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بجابر الجعفى لان جابر الجعفى ضعيف وهو

وعند الشدائد تذهب الأحقاد فلا تتصور حالى الا بصورتها من التوجيع لعلته والتحزن لمرضته وقاه الله المكروه ووقانى سماع السوء فيه بحوله وطوله

(وله رقعة كتبها الى الشيخ أبى على)

سوء الادب من سكر الذنب وسكر الغضب من الكبائر التى تنالها المغفرة وتسعها المعذرة وقد جرى بحضرة الشيخ ماجرى وقد أفنيت يدى عضا وأسنانى رضا وان لم أوف ماجرى فالعذر أمد خطا فان كان بساطا وطوى وحديثا لايروى فاولى من عذر اللاعب وأحرى من غفر الصاحب وان كان ميتا ينشر وسببا يذكر فليكن العقاب ماكان اذا لم يكن الهجران على انى قد أخذت قسطى من العقاب واستغرقت من رد الجواب ماكفى وأوجع القفا فكان من موجب أدب الخدمة ابقاء الحشمة لولى النعمة باحتمال الشتم والاغضاء عن الخصم لكنى احتفت بى ثلاثة أحوال لايصلح صاحبها الا اللعب وسكره والخصم وهجره والادلال والثقة وهن اللوانى حملننى على ماء الوجه أهرقته وحجاب الحشمة خرقته وقد منعنى الآن فرط الحياء من وشك اللقاء وعهدى بوجهى

تابعي وانغماض عفوه لانه كان يؤمن بالرجعة وأما الحسن فهو الحسن البصري كان تابعيا كبيرا رأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من ثلثمائة رجل فلله در الوداعي لقد أودع في بيته نفائس الذخائر وقال فلم يترك مقالا لشاعر وكان من المتقدمين عصرا وعلما في اقتناص شوارد النكت الادبية والانواع البديعية وابراز التورية في القوالب التي لم يسبق اليها وعلى موائد معانيه ونكته تطفل الشيخ جمال الدين بن نباتة في مواضع كثيرة وقد عن لي وان طال الشرح أن أذكر نبذة من ذلك ليتأيد قولي ويعرف رتبة الشيخ علاء الدين من كان بها جاهلا قال الشيخ علاء الدين من قصيدة مطولة

أثخنت عينها الجراح ولا اثم عليها لانها نعساء
زاد في عشقها جنوني فقالوا * ما بهذا فقلت بي سوداء

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتني الجنون بالسوداء

قال الشيخ علاء الدين الوداعي اذا رأيت عارضا مسلسلا * في وجنة كجنة يا عاذلي
فاعلم يقينا أنني من أمة * تقاد للجنة بالسلاسل

قال الشيخ جمال الدين ولم يخرج عن الوزن والقافية

أفدي الذي ساق الهيام مهجتي * فرع طويل تحت حسن طائل
قلبي بصدغيها الى طلعتها * يقاد للجنة بالسلاسل

قال الشيخ علاء الدين وقد اجتمع جماعة من أصحابه لم يخرج اسم واحد منهم عن علي

لقد سمح الزمان لنا بيوم * غدا فيه السمي مع السمي
تجمعنا كانا ضرب خبط * علي في علي في علي

قال الشيخ جمال الدين علوت اسما ومقدارا ومعنى * فيا لله من حسن جلي
كانكم الثلاثة ضرب خبط * علي في علي في علي

قال الشيخ علاء الدين من آخذ من خده * بدم الشهيد المغرم
فالريح ريح المسك منه * ولونه لون الدم

قال الشيخ جمال الدين لا ينكرن الكاس من جفنه * دم الشهيد الصابر المغرم
فالريح ريح المسك من خده * كما ترى واللون لون الدم

قال الشيخ علاء الدين من قصيد يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد يا حار

قال الشيخ جمال الدين لو ذقت برد رضاب من مقبله * يا حار ما لمت اعضائي التي غلت

مع ان الشيخ جمال الدين فتر عن الفاتر قال الشيخ علاء الدين

قيل ان شئت أن تكون غنيا * فتزوج تكن من المحصنينا
قلت ما يقطع الاله بحر * لم يصع بين أظهر المسلمينا

قال ابن نباتة قال لي خل تزوج تسترح * من أذى الفقر وتستغني يقينا
قلت دع نصحك واعلم انني * لم أضع بين ظهور المسلمينا

قال الوداعي يا عاذلي في التكاريش اطرح عذلي * واعذر فعذري فيهم واضح حسن
فالمرد ان حاولوا حربي بهجرهم * اذا القام بنصري معشر خشن

قال ابن نباتة لو آذنتني عدا الى بحربهم * اذا بالتكاريش قد أصبحت حيرانا
اذا القام بنصري معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيدة

عذب مقبله وحلو لحاظه * أوما تراه بالنعاس معسلا

قال الشيخ جمال الدين معسل بنعاس في لواحظه * أما تراها الى كل القلوب حلت

وهو أصفق من العدم الذي جلى على جهله وأوقح من الدهر الذي أحوجني الى أهله لكن النعم اذا توالت على وجهه رققت قشرته وألانت بشرته وأنا منتظر من الجواب ما يريش جناحي الى خدمته فان رأى ان يكتب فعل ان شاء الله

(وله أخرى)

ما أحوجني من الشيخ الى تفضل يطلق عن وثاقي وان آذنته بفراقي وما ذاك رضا مني ولكن استزادة من نيسابور قد أطارت نومي وأطالت يومي فليتفضل الشيخ بكتاب الى الامير ان لم يتسع وقته لغيره وليجعله نقدا لا يضرب له وعدا فقد انتهت نهية المقام وقد احال الشيخ الامر عليه ومتى أخره احتجت الى الخروج من غير استصحابه ثم أرى ذلك من كتبت له وأما الرشا الذي ذكره فقد شغل هذا المهم عنه وأنا أنتظر تفضله في هذه الساعة فليس يحتمل الوقت المطل

(وله الى الشيخ العميد)

أين تكرم الشيخ العميد على مولاه وكيف معدلة الى سواه أيقصر في النعمة لاني قصرت في الخدمة اذا قد اسأت المعاملة ولم تحسن المقابلة وعثرت في اذيال السهو ولم تنعش بيد

قال الوداعي من القصيدة المذكورة

ألحاظه وهي السيوف كليلة * ويكون تعذيب الكليلة أطولا

قال ابن نباتة بليت به ساجي اللحاظ كليلها * وما زال تعذيب الكليلة أطولا

قال الوداعي من قصيد والنهر كالمبرد يجلوا الصدا * ببرده عن قلب ظمآن

قال ابن نباتة والنهر فيه كمبرد * فلأجل ذا يجلوا الصدا

لكن نقص نهره وكل مبرده عن نكتة برده في بيت الوداعي فان الشيخ جمال الدين حط مكانها في بيته فلأجل ذا وشتان قال الوداعي

ما كنت أول مغرم محروم * من باخل بادي النفار كريم

قال ابن نباتة مخجل يشبه ريم الفلا * يا طول شجوى من بخيل كريم

قال الوداعي في مليح أعمى

بروحي غزال الراح في الحسن جنة * تعشقته أعمى فهمت من الوجد

اذا ما تبدى قائدا بيمينه * تيقنت حقا انه جنة الخلد

قال ابن نباتة أفديه أعمى مغمد اللحظ * ليرتقي في خده الوردي

تمكنت عيناي من وجهه * فقلت هذي جنة الخلد

قال الشيخ علاء الدين بخلت على بدر تبسمها * فغدت مطوقة بما بخلت

قال ابن نباتة بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

قال الوداعي وما يرى هوى المشتا * ق الا ذلك المغلى

قال ابن نباتة من المغل أشكو نحوه الم الجوى * وطب الهوى عندي كما قيل في المغلى

قال الوداعي يا نديمي والذي عاهدني * أنه عن شرب راح لن يقصرا

اسقني صرفا ودع عذالنا * يضربون الماء حتى يخثرا

قال ابن نباتة

اسقني صرفا من الرا * ح تحت الهم حتا * ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

قال الوداعي بالاوى صعدة عليها لواء * كل طعنات نصلها نجلاء

وقال بعد المطلع لا تجد عندها سماع الشكوى * فلهذا قالوا لها صماء

قال ابن نباتة وعدت بطيف خيالها اسماء * ان كان يمكن ناظرى اغفاء

وقال بعد المطلع يا من يطيل من الجوى لقوامها * شكواه وهي الصعدة الصماء

وقد آن أن اختصر لئلا يطول الشرح وأكف لسان القلم فقد طال واستطال على عرض الشيخ جمال الدين ونعود الى ما كنا فيه من الاستشهاد ببيتي الشيخ علاء الدين الوداعي على نوع التوجيه فقد فهمت رتبته في هذا الفن وتوجيه بيته يصدق على اسماء الاعلام من رواة الحديث في هذا الفن حيث قال فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والاذن عن حسن والمعنى الآخر في حسن مناسبته بين القرة والعين والصلة والكف والجبر والقلب والكسر والسمع والحسن ظاهر ومثله قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر الحلبي يصف فيها نهرا صافيا في روض نزيه

اذا فاخرته الريح ولت عليلة * بأذيال كثبان الربا تتعثر

به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به الروض يحيى وهو لا شك جعفر

ومثله قول ابن الوردي

هويت

العفو أم نقول ان الدهر بيننا خدع وفيما بعد متسع فقد أزف رحيلي ولا ماء بعد الشط ولا سطح وراء الخط أم ينتظر سؤالي والنماء ألتمسه يوم أملته واستمعته حين مدحته واقتضيته وقت أتيته وانتجعت سحابه لما أتيت بابه وليس كل السؤال أعطي ولا كل الرداء عفي أم يظن اني أردت صلته ولا ألبس خلعته وهذه فراسة المؤمن الا أنها باطلة ومخيلة العارف الا انها فاسدة أم ليس يجدني مكانا للنعمة يضعها وأرضا للمنة يزرعها فلا أقل من تجربة ذوقه والمخاطرة بانفاذ خلعه ليخرج من ظلمة التخمين الى نور اليقين ولينظر أأشكر أم أكفر أم يتوقع صاعقة تملكني أو داهية تهلكني فهذا أمل موفر لان شيخ السوء باق معمر أم يقدر اني أشكره اذا اصطنع وأعذره اذا منع وبالله لو كنت ينبوع المعاذير ما حظي مني بجرعة فليرحني بشرعة أم يرجو اني أمهله حتى أعود من هراة والشيطان أعقل من أن يوسوس اليه بهذا أو يسول لدى ذلك وأنا الى الشيخ العميد وردت وعن هؤلاء القوم صدرت وقد فعلوا فوق مقدارهم ودون ما قدرت فليحسبني

هويت أعرابيــة ريقها * عذب ولى فيها عذاب مذاب
رأسى بنو شيبان والطرف من * نبهان والعذال فيها كلاب

أما التوجيه فى قواعد العلوم كما تقرر فأحسن ما رأيت فيه قول أمين الدين على السليمانى فى بعض قواعد النحو

أضيف الدجى معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

ومنه قولى اغراء لحظك مالى منه تحذير * ولا لتعريف وجدى فيك تنكير
يانصب عينى غرامى كيف أجزمه * والقد مرتفع والشعر مجرور

ومن أظرف ما وقع فى هذا الباب أنه كان بالعراق عاملان أحدهما اسمه عمرو والآخر اسمه أحمد فعزل عمرو عن عمله واستقر أحمد بسبب مال وزنه فقال بعض الشعراء فى ذلك

أيا عمرو استعد لغير هذا * فأحمد بالولاية مطمئن
فانك فيك معرفة وعدل * وأحمد فيه معرفة ووزن

وقول ابن عنين فيمن عزل وكانت سيرته غير مشكورة

فلا تغضبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفة

وقول ابن الساعاتى وقيل لابن أبى الاصبع

أيا قمرا من حسن وجنته لنا * وظل عذاريه الضحى والاصائل
جعلتك للتمييز نصب الناظرى * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

وظريف هذا قول بعضهم

عرج بنا تحت طلول الحمى * فلم تزل آهلة الاربع
حتى نظل اليوم وقفا على الساكن أو عطفا على الموضع

وقول محمد بن العفيف ياساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواك ثانى
لاى معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

ومن لطائف البهاء زهير

يقولون لى أنت الذى سار ذكره * فمن صادر يثنى عليه ووارد
هبونى كما قد تزعمون أنا الذى * فأين صلاتى منكم وعوايدى

ونظير هذا ما اتفق لشرف الدين محمد بن عنين وذلك انه مرض فكتب الى الملك المعظم صاحب دمشق

أنظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى
انا كالذى أحتاج ما تحتاجه * فاغنم دعاءى والثناء الوافى

فعاده الملك المعظم ومعه خمسمائة دينار وقال له أنت الذى وأنا العائد وهذه الصلة * وظريف هنا قول بعض المواليا

رأيتها وهى داخل دارها فى الصحن * تنشد رمل صحنت قلبى المعنى صحن
باللهما مع تغنيها وطيب اللحن * ترفع أجر ودع يدخل على اللحن

وقول بعضهم من التوجيه فى قواعد الفقه

أحجج الى الزهر لتحظى به * وارم جمار الهم مستنفرا
من لم يطف بالزهر فى وقفة * من قبل أن يحلق قد قصرا

وقول شمس الدين بن العفيف من التوجيه فى قواعد الجدل

ومابال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل

من الفعل تذكرة أو من القول معذرة ولا يصرف على أمره ونهيه بمراده يشرفنى بها ان شاء الله (وله فى رجل ولى الاشراف) فهمت رقعتك وسررت بالامتثال وفهمت ما ذكرته من أمر فلان أعنى الاشراف وانه وان يصدق الظن يكن اشرافا على الهلاك بعد الاتراك فلا يحزنك فالحبل لا يبرم الا للفتل ولا تعجبنك خلعته فالثور لا يزين الا للقتل ولا يعلك نفاقه فأرخص ما يكون النفط اذا غلى وأسفل ما يكون الارنب اذا علا وكأنك به وقد شن عليه حران العود شن المطر الجود وقيد له مركب الفعار من مربط النجار وانما جر له الحبل ليصفع كما صفع من قبل وستعود تلك الحالة احالة وتنقلب تلك الحبل حبالة فلا تحسد الذئب على الالية يعطاها طعمة ولا تحسب الحب بنثر للعصفور نعمة وهبه ولى امارة ما بين البحرين أليس مرجعه ذلك العقل ومصيره ذلك الفضل ومنصبه ذلك الاصل وعصارته ذلك النسل وقعيدته تلك الاهل وقوله ذلك القول وفعله ذلك الفعل وكان ماذا أليس ما سلب أكثر

وقول شمس الدين بن جابر الاندلسى ناظم البديعية من التوجيه فى الحديث

قالت أعذلك من أهل الهوى خبر * فقلت انى بذاك العلم معروف
مسلسل الدمع من عينى ومرسله * على مديح ذاك الخد موقوف

ومن التوجيه فى علم العروض قول ابن نصر الله المصرى

وبقلبى من الهموم مديد * وبسيط ووافر وطويل
لم أكن عالما بذاك الى ان * قطع القلب بالفراق الخليل

ومثله قولى وهو مطلع قصيد

فى عروض الجفا بحور دموعى * ما أفادت قلبى سوى التقطيع

ومن التوجيه فى الكتابة قول ابن الساعاتى

لله يوم فى دمشق قطعته * حلف الزمان بمثله لا يغلط
الطير تقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والسحاب ينقط

ولبعضهم واجاد وهو ابن القيسرانى

بوجه معذبى آيات حسن * فقل ماشئت عنه ولا تحاشى
فنسخة حسنه قرئت وصحت * وهاخط الكمال على الحواشى

وقول ابن الوردى رأيت فقيرا فى المرقعة التى * على حسنه دلت وحسن طباعه
بخديه ريحان الحواشى محقق * الى الثلث والفضاح تحت رقاعه

ومثله قول القرشى الكاتب وقد طلبه السلطان بسبب خط نقل عنه أنه زور فاختفى فى بيته ثلث سنة وكتب الى ابن فضل الله يسأله النظر فى حاله فى رقعة أولها * يقبل الارض وينهى ان له ثلث سنة محقق مختف فى حواشى البيت بخشى توقيعات الرقاع من صاحب الطومار وسؤال المملوك نسخ هذا الامر الفضاح بحيث لا يبقى عليه غبار فان المملوك وحق المصحف ما يحمل عود ريحان

ومن التوجيه فى علم الرمل قول الصاحب بهاء الدين زهير

تعلمت علم الرمل لما هجرتنى * لعلى أرى شكلا يدل على الوصل
فقالوا طريق قلت يارب للقا * وقالوا اجتماع قلت يارب للشمل

ومن التوجيه فى علم النجوم قول بعضهم فى كان وكان

لو سنبله خلف ظهره * ناظر اليها المشترى
ولو ذنب مايقارن * حتى يرى الميزان

ومن التوجيه فى علم الهندسة

محيط باشكال الملاحة وجهه * كان بها اقليدسا يتحدث
فعارضه خط استواء وخاله * به نقطة والشكل شكل مثلث

وقول يوسف الذهبى بن لؤلؤ فى توجيه علم الموسيقى

ومهجتى المتحملون عشية * والركب بين تلازم وعناق
وحدا بهم أخذت حجازا بعدما * غنت وراء الركب فى عشاق

ومثله قول شمس الدين بن جابر الاندلسى ناظم البديعية

يا أيها الحادى اسقنى كاس السرى * نحو الحبيب ومهجتى للساقى
حى العراق على النوى واحمل الى * أهل الحجاز رسائل العشاق

ومن التواجيه اللطيفة قول ابن نباتة فى أسماء منتزهات دمشق

ياحبذا يوما بوادى جلق * وتنزهى معذا الغزال الخالى

من

مما أعطى وما حرم أفضل مما أولى وما عدم أوفر مما غنم مالك تنظر الى ظاهره وتعمى عن باطنه أكان يعجبك ان تكون قعيد تهفى بيتك وبغاتة من تحتك أم كان يسرك أن تكون اخلاقه فى اهابك وبوابه على بابك أم كنت تود أن تكون وجعاؤه فى ازارك وغلمانه فى دارك أم كنت ترضى ان تكون فى مربطك افراسه وعليك لباسه ورأسك راسه جملت فداك ماعندك خير مما عنده فاشكر الله وحده على ما آتاك

ان الغنى هو الراضى بقسمته * لا من يظل على مافات مكتئبا (وله الى الشيخ الامام أبى الطيب سهل ابن محمد من سرخس) كتابى أطال الله بقاء الشيخ من سرخس وأنا سالم والحمد لله رب العالمين وقد كان الشيخ يعدنى عن هذه الحضرة عدات أنتم لهما الانف لاذهابا بتلك الفواضل عنها لكن استحالة من هذا الزمان ان يجود بها فحين أشرفت على الحضرة ماجت على أمواج الشرف منها وخلص الى نسيم الكرم عنها وتلقيت على رسم الاجلال بمركوب عز شامخ وموكب ذهب سابغ

من أول الجبهة قد قبلته * مرتشفا لآخر الخلخال

ومن التوجيه الغريب اللطيف قول ابن الوردي * وقد كتب الى بعض المخاديم بسبب وظيفة القضاء وأظنه الشيخ الاسلام شرف الدين بن البارزي

جنبتني وأخي تكاليف القضا * وكفيتنا مرضين مختلفين
يا حي عالم عصرنا أحييتنا * فلك التصرف في دم الاخوين

وقول بعض الموالي

للخد يا حي عالم يا كميت الطرد * عليه لو نفس صباره وحرورد
ناداه والعارض النمام حولو فرد * ما فاتك الحسن ساعه يا شقيق الورد

وقد تقدم قولي ان الشيخ شمس الدين بن الصايغ استشهد في شرحه المسمى برقم البردة بشيء من أزجال أهل عصره على بعض أنواع البديع وتقدمت ترجمة الشيخ علاء الدين بن مقاتل الحموي عند ما أوردت له ما أوردت في أنواع الجناس وقد ذكرت له هنا في باب التوجيه زجلا موجها في خياط اخبرني من أدرك الحاج علاء المذكور من أعيان أهل حماة أن هذا الزجل دخل الى بلاد المغرب وعاد مخلقا بالزعفران ورتبة الشيخ علاء الدين بن مقاتل في هذا الفن مشهورة شرقا وغربا لم تحتج فيها الى الاطناب في وضعه الزجل ومطلعه

نهوى خياط سبحان تبارك من * بالجمال جملوا
بالمفصل وآية الكرسي * نرقي شكلو الحلو
خاط لي ثوب سقام قصر نسجو * طال بحكم القدر
حتى ان البدن اضعفني ضاع * في عيون الابر
راح عذولي يشكلو شكلو * ويقص الخبر
وجا مذبوح القلب متمزق * ونسي ايش قلت لو
ولا فرج لو كرب عن قلبو * ولا عن مرسلو
ذا الحبيبي بنيقة العشاق * كم قد أخلا جيوب
وبزرو من العيون كملو * تخرجه في القلوب
قلت بصه غلالك الجيب زور * ولا فرج كروب
خلا سري المكتوم مشهر فيه * والذي يسألو
جيبو مقلوب وراب على غير * الاستوا فصلو
بعد طيب الوصال قطع وصلي * واوصل الانقطاع
حتى خلى بيني وبين الموت * اما باع أو ذراع
وترى ظاهري صحيح لكن * باطني في النزاع
وان هو طول شقه بعادي والانقطاع أوصلو
جهزوا القطن والكفن والماء * واغسلوا وفصلوا
جا الفقيه في حبيبي يعذلني * ويرقع كلام
قلت دعني فقيه في غزيلي * بس تلفيق ملام
قال حبك لو ظلم سلاري * تتري والسلام
وسلب اسلامي لما حدرني * عند باب منزلو
وقطع عاتقي وضربني * وايش معو يعملو
ذا الخليع الجديد نهار قد قال لي * لفظ وعقلي قمر

وحنيني شرف رائد وسرت على اسم الله محفوفا باعيان الكتائب وعيون الرجال حتى شافهت بساط العز مستقبلا عملا الشرق فجذب بضبعي عن أرض الخدمة الى جوار ولي النعمة فاهتز اهتزاز افات سمة الكرام وتجاوز اسم الاعظام الى القيام فقبلت من يمناه مفتاح الارزاق وفتاح الافاق ولحقت منه بقاب العقاب فخاطبني بمخاطبات نشدت بها ضالة الآمال وهلم جرا الى ما تبعهما من جميل الانزال وسني الانزال نظرات من الشيخ العميد على شخص يسعه الخاتم ولا يسعه العالم ونفس تهتز عند المكارم كالغصن وتثبت عند الشدائد كالنكر والسلطان بحلم حلم السيف مغمدا او يغضب غضبه مجردا فهو وعند الكرم لين كصفحته وعند السياسة خشن كشفرته وملك يأتي الكرم نشية والخير سجية ويفعل الشر كلفة أو خطيئة فهو ضرورة لانه نفوع بذاته عطارد قلمه ودواته مريخ سيفه وقناته حسب لاعيب فيه فيصرف عين الكمال عن معايبه وصادفت من الشيخ الموفق ملكا يشاهد عيانا وحبلا قد سمي انسانا وحسنا قد ملئ

صف جبيني وشعري من تفصيل • نظمك المبتكر
قلت خيط الصباح يستفتح • ذيل الدجى في السحر
قال لي قصرت بل هو ستر الله • حين على اسبلو
حاملك الزرقا فاق الخضرا • بالهلال كللو
قال فصفني في خدي والعارض • في أحسن اصفات
قلت حله وردي من اطلس • فيها جمع الشتات
وعليها دار الطراز تنبيت • رقم ما أحلاه نبات
قال ماهو الاشرب والحمره • دم من تقتلو
فيه خيلات خيوط زرق لاحت • من جفون تغزلو
قلت كف العتاب في ذي الصفة • ما أنا في ذا القياس
وانظر في داره تمنطقها • بدر من غير قياس
واكسني ثوب وقار ولبسني • بالفتوه لباس
وان جا تخليصي غرض من يديك • بالوصال طولوا
وان قصر باعي عن صفات مدحك • بالوفا ذيلو
جاز في بستان مشهرا القمصان • من بكر صابحو
مثل كف المنثور في مكنونه • حين وقف صافحو
وقميص الشقيق من اكمامو • بالخجل فاتحو
وقضيب الخلاف وقف عراه • فرق حين فصلو
وأوثق ازراره الورد في كمو • وعليه فضلو
دي الكلام يخلع ويتفرد • ويفصل مليح
ويفرج ويندرج اصلو • ويفتح صحيح
ويبطن من بعد تضريبو • بالسجاف يستريح
ويعري من حبكه التخريم • ويزرر رولو
انو يطوي والنشر فيه موزون • آخرو في أولو

ومنه يعرض بذكر اضداده بدمشق

ذا الزجل قاسيون على الاعدا • جدما فيه سخف
وعلى أرباب المعرفة من ريش • النعامات أخف
للصغير والكبير فقل عني • واحذر احذر تخف
كم زيادة على علي وان كان • يشتهوا يعملوا
هذا الابلق والشقرا والميدان • اركبوا وادخلوا

كأني بمتأمل نظر في رسم كتابة هذا الزجل فانكره لبعده عن رسم الالفاظ المعربة الخالية من اللحن ويعذر في ذلك لانه ليس له المام بمصطلح رسمه ومن رسمه على غير هذا الطريق لم ينفذ له مرسوم فانه يؤديه الى خطا وزنه واعراب لحنه • ومصنفه أبو بكر بن يحيى بن قزمان الوزير قال في خطبته • وقد جردته من الاعراب • تجريد السيف من القراب • ولم يطلب من الزجل غير عذوبة ألفاظه وغرابة معانيه انتهى ومن التواجيه اللطيفة في الطب ما اتفق أن بعض الملوك خرج لقتال أعدائه • فايده الله بنصره فطلب كاتب انشائه ليكتب على الفور حكاية الحال فتعذر وجوده في ذلك الوقت فطلب طبيبه وأمره بالكتابة بسرعة وكان الطبيب حاذقا

فكتب

احسانا واسدا قد لقب سلطانا وبحرا أمسك عنانا وحططت رحلي بفناء الامير الفاضل أبي جعفر فوجدت حكمي في ماله أنفذ من حكمه وقسمي من غناه أكبر من قسمه واسمي في ذات يده مقدما على اسمه ويدي الى خزانته أسرع من يده وان قصدت ان أقرر ذلك حدا وأعبر الجملة شرحا أطلت فهلم الى ما افتتحت الكتاب لاجله ورد للخوارزمي كتاب يتقلب فيه على جنب الحر ويتقلى على جمر الضجر ويتأوه عن غمار الخجل ويتعثر في أذيال الكلل ويذكر ان الخاصة قد علمت الفلج لاينا كان فقلت است البائن اعلم والخوارزمي أعرف والاخبار المتظاهرة أعدل والآثار الظاهرة أصدق وحلبة السباق أحكم وما مضى بيننا أشهد والعود ان نشط أحمد ومتى استزاد زدنا وان عادت العقرب عدنا وله عندي اذا شاء كل ما ساءه وناءه وان يعدم اذا أراد نقدا يطير فراخه ونفقا يصم صماخه وما كنت أظنه يرتقي بنفسه الى طلب مساماتي بعد ما سقيته كاس الحنظل واطعمته الخرا بالخردل فان كان الشقاء قد استغواه والحين قد استعواه فالنفس

فكتب موجها فى صناعته * أما بعد فانا كامع العدو فى حلقة كدائرة البيمارستان حتى لو رميت مبضعا لم يقع الا على قيفال * ولم يكن الا كجس نبضة أو نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم * فهلا بسعاد تلك يامعتدل المزاج وكان أبو الحسين الجزار ونصير الدين الحمامى وسراج الدين الوراق لم يخرجوا عن هذا النوع فى غالب نظمهم ويأتى الكلام على ذلك فى مواضعه من باب التورية وأما توجيه أسماء أنواع البديع فهو نسيج وحده * وواسطة عقده * وماذاك الا أنه رسم لى بانشاء توقيع المقر الاخوى الزينى عبد الرحمن بن الخراط الشافعى أحد أعيان العصر فى الادب بكتابة السر بثغر طرابلس وأنا منشىء ديوان الانشاء الشريف المؤيدى بالديار المصرية فقصدت التوجيه بالانواع المذكورة لتحصل الملاءمة ومراعاة النظير بذلك فان صاحب التوقيع من المتميزين على كلا الحالين بحسن الادب فمن ذلك قولى فى فصل التعدية وبعد تنهل انعامنا الشريف قد حلينا لاهل الادب مورده * لتصير عقود انشائنا بجواهر منثوره منضده * وتطلع كل براعة باستهلالها فى أشرف المطالع * وتسكن النزاهة طباق البديع للمقابلة فيتنزه الناظر والسامع * ويقوم الاستخدام بما يجب عليه من واجب الخدمة * ويزيل الاقتباس بنوره عن أهله كل ظلمه * وتجول خيول الاستطراد فى رد العجز على صدره * ويحصل لاهل الادب فى زماننا تمكين فيظهر الافتنان فى نظمه ونثره * ويصير لفقه المذهب الكلامى فى أيامنا الشريفة ترشيح ومماثلة ومناسبة * ويبرز فى توشيح التسليم من غير اعتراض مناقضة ومواربة * ويجنح العصيان الى الدخول تحت الطاعة * ويسمع القول بموجبه من غير مراجعة فى كل براعة * ويزول التجاهل بالعارف * ويصير التسجيع والموازنة عند ايجازه بالمواقف * وكان المجلس العالى القضائى عبد الرحمن بن الخراط الشافعى ممن حسن بيانه ايضاح وللسمر عنده حسن ابداع * وللادب اليه التفات لانه بجواهر ترصيعه يشنف الاسماع * وهو الفاضل الذى اذا نظم أزال بسهولة نظمه الابهام والتوهيم * واذا نثر عقود الانشاء فلا فرق بين عبد الرحمن وعبد الرحيم * يحسن فى المطابقة والامثلة الشريفة طيه ونشره * وهو من الشعراء فمما يبعد من القصص اذا علا فى تفسيرها أمره * فلذلك رسم بالامر الشريف لازالت براعة المطلب منظومة فى بديع زمانه بانعامه * ولا برحت أبوابه الشريفة فى تصريع وتشريع لوفود أهل الادب فى أيامه * أن يستقر لانه ممن يحسن به التحبير ويحصل به الاكتفاء والتتميم * ويجمع من نظمه ونثره بين التخميس والترسل فيحسن الجمع بهذا التقسيم * فليباشر ذلك ويجمل الاستعانة بالله ليأمن التنكيت والتعليل * ويصير لشقة الانشاء بعد النقص تسهيم وتكميل * ويظهر لبرد الكلام بحسن تفصيله تفويف وتوشيع * ولاصول التهذيب والتأديب مبالغة وتفريع * والوصايا كثيرة لا تخفى على الاديب الفاضل الاحتراس والفرق بين المستوى والمقلوب * وبه يحصل النسق فى جمع الفرائد وتظهر براعة التخلص فى عنوان كل مطلوب * لانه الفاضل الذى ان سكن ثغرا لم يفته شنب التورية بحسن نظامه * أو جاور بحرا فهو أديب والبحور فى تصريف أوامره فى نقضه وابرامه * والله تعالى يجعل نظم هذا الثغر يحسن أدبه فى بلاغة وانسجام * وكما أحسن له الابتداء يعضده ببديع السموات والارض بحسن الختام * وقد طال الشرح فى نوع التوجيه ولم يبق للاطالة وجه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى هذا النوع

حلت الفضائل بين الناس ترفعنى * بالابتداء فكانت أحرف القسم

الشيخ صفى الدين قصد فى توجيه بيته بعض قواعد النحو وهو بيت عامر بالمحاسن * وقد تقدم ما أوردناه من هذا القسم * وبيت بديعيتى

وأسود الخال فى نعمان وجنته * لى منذر منه بالتوجيه للعدم

منتظرة والعين ناظرة والنعل حاضرة وهو منى على ميعاد وانا له بمرصاد وكا غامر رذلك الكتاب من نسخة مخازيه واستملاه من صحيفة خوازيه فاترك لنفسه عرضا انثما ولاعارا بهما الا نحله كرعا واستباح منه حريما ولا تصفح كتابه الا عن حريم مباح وهو حريمه وأديم مجتاح وهو أديمه وكذا من أغمد فيه سيف الريبة انسل منه لسان الغيبة ومن طعن بجنانه طعن لسانه ومن وارى سوأة أخيه صغيرا شتغل بعرض الكرام كبيرا ومن لم تملكه فى اهانته الغيرة لم يحاب بذكر الحرمة غيره والبغى والبغاء ينزلان فى رتبة والفم والفقحة ركضان فى حلبة والبغا باسته لا يصبر عن المقياس والبغى بفمه لا يصبر عن غيبة الناس ومن سقى أسفله ماء الرجال أغر أعلاه هتك الجمال والناس عند الاعمى عميان والكرم عند أهل اللؤم كالماء فى فم المحموم وسم المبرسم فى السهر والشمس تقبح للعيون الرمد والبغاء يرى الناس بدائه وكيف يبقى على أعدائه من يتنفل باوانه وكيف يضن بعرض أصدقائه من لا يغار على نسائه وكيف ينطع عن

التوجيه فى هذا البيت من القسم المقدم على التوجيه فى قواعد العلوم وقد تقدم فيه ان يوجه المتكلم كلامه الى أسماء متلائمة اصطلاحا من أسماء الاعلام توجيها مطابقا لمعنى اللفظ الثانى من غير اشتراك حقيقة بخلاف التورية وقد تقدم ذلك وتقرر الكلام عليه وعلى التوجيه فى قواعد العلوم وبقية الفنون وعلى كل تقدير فالكل راجع الى طريق واحد * والاشتراك هنا فى النعمان والمنذر ظاهر ولكن النكتة اللطيفة فى الاسود فان المتأمل ما يتخيل فى أول وهلة غيره واذا الحال وحل القصد فى المعنى الآخر هو الملك الاسود أخو النعمان بن المنذر وهو أحد ملوك العرب والتورية ههنا فى التوجيه الذى هو اسم النوع البديعى لم يفتها من المحاسن وجه وهذا هو الافق الذى أقر فيه الشيخ علاء الدين الوداعى والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وغيرهما ممن أوردنا على هذا النوع نظمه * وأوصلنا الى الغرض لما أطلق فيه سهمه * وما أخرت بيت العميان وبيت الشيخ عز الدين ونثرت نظم الترتيب هنا الا لانهم نسجوا على غير هذا المنوال وتعوضوا عن مسارح الماء الحلو بالآل وبيت العميان

ترى الغنى لديهم والفقير وقد * عادا سواء فلازم باب قصدهم

(هنا بحث لطيف) وهو ان العميان نظموا التوجيه بين التسمية التى تحتمل وجهين من المعنى على مذهب المتقدمين وهو الابهام وقد تقرر ان المتكلم فيه يبهم المعنيين بحيث لا يترشح أحدهما على الآخر بقرينة واستشهدوا عليه بشاهد الابهام الذى نزلوه على التوجيه وهو قول الشاعر فى الخياط وقد تقدم ليت عينيه سواء فالشاعر أبهم المعنيين بحيث يحير السامع والمتأمل ويعجز عن ترجيح أحدهما ولم أر فى بيت العميان غير التسوية بين الغنى والفقير فان هؤلاء الممدوحين يعطون الفقير الى أن يصير مساويا للغنى وهذا هو المعنى الواحد وهو أوضح من ضوء الشمس اذا توقدت جمرة المصيف وأما المعنى الآخر فما وجدت فى بيتهم له قرينة صالحة تدلنى عليه وصاحب البيت أدرى بالذى فيه وقد تقدم أن نوع التوجيه قسمه البديعيون قسمين وذهب الى كل منهما فريق * وبيت الشيخ عز الدين مذبذب بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وهو

زهت طرفى وسمعى فى محاسنه * وعنك ان تقصد التوجيه فى الكلم

أصحاب الطريق الذى مشى عليها الشيخ عز الدين فى نظم هذا النوع قالوا التوجيه الاصطلاحى أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى وهذا هو الفرق بين التورية والتوجيه فان التورية باللفظة الواحدة والتوجيه لا يصح الا بعدة ألفاظ والشيخ عز الدين أتى بكلمة مفردة تحتمل معنيين فما نظم غير التورية والتوجيه بخلاف ذلك والكلمة التى اقتضت اشتراك المعنيين قوله زهت فانه قال انه نزه طرفه فى محاسن محبوبه وكأنه التفت الى العذول وقال له وعنك وهو وبيت العميان سافلان خاليان ليس فيهما من المحاسن ساكن والله أعلم

(ذكر عتاب المرء نفسه)

(يا نفس ذوقى عتابى قد دنا أجلى * منى ولم تقطعى آمال وصلهم)

هذا النوع أعنى عتاب المرء نفسه لم أجد العتب مرتبا الاعلى من أدخله فى البديع وعده من أنواعه وليس بينهما نسبة والذوق السليم أعدل شاهد على ذلك ولولا أن الشروع فى المعارضة ملزم ما نظمت حصاه مع جواهر هذه العقود ونهاية أمره أنه صفة لحال واقعة ليس تحتها كبير أمر وهو من أفراد ابن المعتز ولم يورد فيه غير بيتين ذكران الاسدى أنشدهما عن الجاحظ وهما

عصانى قومى فى الرشاد الذى به * امرت ومن يعص المجرب يندم

فصبرا بنى بكر على الموت اننى * أرى عارضا ينهل بالمرت والدم

قال زكى الدين بن أبى الاصبع وقوله صحيح لم أر فى هذين البيتين ما يدل على عتاب المرء نفسه الا أن

نسائه من يسمع بوجعائه وكيف يبقى على حرمة جاره من يبيح لعبده داره ثم يتحامى ذكر الفروج من صبر على الزنوج وعالج رهز العلوج ولن يستطيع اللسان رياضة من جعل بطنه للايور مخاضة ولن يطيق فى القول اصابة من جعل دبره للجذوع مثابة ولن يحسن القول لجنسه من أساء الفعل لنفسه ومن خرب مأواه لم يعمر بيت سواه وبعد فالهذا السفيه يشتم امام خراسان وقد أتى من همذان لولا بغى مشتق من البغاء ووجع منه فى الوجعاء ثم ما أغرى هذا السفيه بى وأنسانى له فما أتصوره فى وقتى الحديث والغزل ولا أصحبه فى طريق الجد والهزل ولا أذكره فى حال اليقظة والنوم ولا فصلى النهار والليل ونحن فى كل حال على طرفى محال هو خوارزمى ولست من خوارزم وهو شاعر ولعن الله النظم وسفيه ولا أنازعه الشتم وسخيف ولست معه ثم وموشوم وعدمت ذلك الوشم وشحاذ ولا أنزع هذا السهم وصفعان ولا أرجم هذا الرجم وخمرى ولا أشرب الخمروانية ولا أسمع الزمر وعودى ولا أحسن النقروزدى ولا ألعب القمر وكشخان ولا

هـذا الشاعر لما أمر بالرشاد وبذل النصح ولم يطع ندم على بذل النصيحة لغير أهلها ويلزم من ذلك عتابه لنفسه فتكون دلالة البيتين على عتابه لنفسه دلالة التزامية لا دلالة المطابقة ولا يصلح ان يكون شاهدا على هذا النوع الاول شاعر الحماسة

أقول لنفسي في الخلاء ألومها * لك الويل ما هذا التجلد والصبر

انتهى كلام ابن أبي الاصبع فانظر ما أحلى ما صرح هـذا الشاعر بذكر النفس واللوم لها وخاطبها بكاف الخطاب ليتمكن عتبه وتقريعه المؤلم لها * وبيت الشيخ صفي الدين الحلي فيه

أنا المفرط أطلعت العدو على * سري وأودعت نفسي كف مجترم

الشيخ صفي الدين حكى أنه فرط في اطلاع عدوه على سره وايداع نفسه كف مجترم لا غير وأين هو من قول شاعر الحماسة وقد قال لنفسه على سبيل العتب والتوبيخ * لك الويل ما هذا التجلد والصبر * والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

عتبت نفسي اذ أتعبتها بهوى * مجهول سبل بلا هاد ولا علم

الشيخ عز الدين حكى أيضا انه عاتب نفسه وذكر أنه هو الذي أتعبها وكلفها حمل الهوى فالعتاب هنا من كل وجه لم يترتب على غيره وما مقدار هـذا النوع حتى ان الشاعر لم يأت به على صيغته لا سيما ونظام البديعيات قد التزموا أن يأتوا به شاهدا على نوعه وبيت بديعيتي

يا نفس ذوقي عتابي قد دنا أجلي * مني ولم تقطعي آمال وصلهم

أقول ان هذا البيت ينظر الى بيت شاعر الحماسة في علو طباقه وان كان من الفحول التي لها فضيلة السبق فقد زاحمه في حلبة سباقه مع ان عروس التسمية تضوع عطرها من أطواق الطروس ويقول من كوم الذوق وقد عادله الشم لا عطر بعد عروس وأين هـذا النشر الواضح والرقة التي ود النسيم لو انتظم معها وانسجم من عقادة بيت الشيخ عز الدين وقد أمسى بها مجهولا بلا هاد ولا علم

(ذكر القسم)

برئت من أدبي والعزم من شيمي * ان لم أر بنأي عنهم قسمي

القسم أيضا حكاية حال واقعة وليس تحته كبير أمر ولكن تقرر أن الشروع في المعارضة ملزم وهو ان يقصد الشاعر الحلف على شيء فيحلف بما يكون له مدحا وما يكسبه فخرا وما يكون هجاء لغيره فمثال الاول قول مالك بن الاشتر النخعي في معاوية بن هند

بقيت وفري وانحرفت عن العلا * ولقيت أضيافي بوجه عبوس

ان لم أشن على ابن هند غارة * لم تخل يوما من ذهاب نفوس

فقول ابن الاشتر تضمن المدح لنفسه والفخر الزائد والوعيد للغير ومثله قول أبي علي البصير يعرض بعلي بن الجهم

أكذبت أحسن ما ظن مؤملي * وهدمت ما شادته لي أسلافي
وعدمت عاداتي التي عودتها * قدما من الاسلاف والاخلاف
وغضضت من ناري ليخفى ضوءها * وقريت عذرا كاذبا أضيافي
ان لم أشن على علي حلة * غمي قذى في أعين الاشراف

وقد يقسم الشاعر بما يريده الممدوح ويختاره كقول الشاعر

ان كان لي أمل سواك أعده * فكفرت نعمتك التي لا تكفر

وأحسن ما سمع في القسم على المدح قول الشاعر

حلفت بمن سوى السماء وشادها * ومن مرج البحرين يلتقيان
ومن قام في المعقول من غير رؤية * فأثبت في ادراك كل عيان
لما خلقت كفاك الا لاربع * عقائل لم تعقل لهن ثواني

آخذ الجذر ودهري ولا أعبد الدهر ومن كوب ولا أعير الظهر هذي فضائل لا فضل لي في قطيعها ومناقب لا واحد لي من جميعها فهو بزعمه طالبي وأنا بدعواه ناصبي ولعن الله أقلنا لاهل البيت موالاة وأكثرنا للحق مناواة فما يجمعني واياه الا كلمة الجود لكني أجود بالمال وهو يجود بالعيال وجهة الحماية لكني أحمي الحريم وهو يحمي الرغيف ولا ينظمنا الا قرابة الشرب لكني أشرب البزر وهو يشرب الخمر ولا نصطحب الا في طريق الاسجاع لكنه يرغب في المتاع ويردد كلمة المبتاع فتارة يقول هو أشرف المتاع وتارة يقول ما أليق المتاع بالمبتاع وتارة يقول كسد المتاع وقل المبتاع وتارة يقول جلب المتاع ونشط المبتاع ومرة يقول المتاع سني والمبتاع غني وكثيرا يقول لكل متاع مبتاع أحسن الله بالمتاع امتاعه فما أفسح فيه رباعه ولا نقترن الا في حبل الادب ولكنه أديب ما دام وحده مفوه ما لم أحضر عنده فاذا التقينا نال شعري شعره ونزا على شيطانه شيطاني ولا نلتقي الا في طرفي الصنعة

لتقبيل أفواه واعطاء نائل * وتقليب هندي وحبس عنان

والمقدم في هذا الباب وهو الذي انتهت اليه نهاية البلاغة قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون فانه قسم يوجب الفخر لتضمنه التمدح باعظم قدرة وأكمل عظمة حاصلة من ربوبية السماء والارض وتحقيق الوعد بالرزق وحيث أخبر سبحانه وتعالى ان الرزق في السماء وأنه رب السماء يلزم من ذلك قدرته على الرزق الموعود به دون غيره انتهى الكلام على القسم الذي يراد به الفخر والمدح والتعظيم وأما ماجاء من القسم في النسيب فكقول الشاعر

جنى وتجنى والفؤاد يطيعه * فلاذاق من يجني عليه كما يجني

فان لم يكن عندي كعيني ومسمعي * فلانظرت عيني ولا سمعت أذني

ومما جاء من القسم في الغزل قول ابن المعتز

لاوالذي سل من جفنيه سيف ردى * قدت له من عذاريه حمائله

ماصارمت مقلتي دمعا ولا وصلت * غمضا ولا سالمت قلبي بلابله

الذي وقع عليه الاتفاق ان هذا أحسن ما وقع من القسم في الغزل اذ القسم والمقسم عليه كل منهما داخل في باب الغزل ولكن قال الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع ان الذي وقع لجميل بن معمر العذري في هذا الباب ماتحسن العبارة تفصح عن لفظه ووصفه وهو قوله على لسان محبوبته

قالت وعيش أبي وأكبر اخوتي * لانبهن الحي ان لم تخرج

فخرجت خيفة أهلها فتبسمت * فعلمت ان يمينها لم تلجج

ثم قال أعني ابن أبي الاصبع رحم الله جميلا لقد تظرف في هذين البيتين ماشاء لانه أتى بهما من باب الهزل الذي يراد به الجد وأغرب في القسم فيهما وأدمج في القسم حسن ائتلاف اللفظ مع المعنى وأتى بما لا يوفيه واصف حقه انتهى كلام ابن أبي الاصبع قلت واذا وصلنا في القسم الى باب الهزل الذي يراد به الجد فمهذب الدين أحمد بن منير الطرابلسي قائد هذا العنان * وفارس هذا الميدان * وما ذاك الا أنه هاجر الى مدينة السلام بغداد والشريف الموسوي نقيب الاشراف بها وبابه حرم الوافدين * وبابه ينابيع الفضل التي هي مناهل الواردين * وكان يقال ان الشريف المشار اليه من كبار الشيعة ببغداد وعلى هذا أجمع غالب الناس فجهز اليه ابن منير عند قدومه بغداد هدية مع مملوكه تتر بل معشوقه الذي اشتهر به في الخافقين غرامه * وأبدع في أوصافه الجميلة نظامه * فقبل الشريف هديته واستحسن المملوك فأدخله في الهدية وقصد أن يعوضه عن ذلك باضعافه فلما شعر ابن منير بذلك التهبت احشاؤه على مملوكه بل معشوقه تتر وكتب الى الشريف على الفور قصيدة أولها

عذبت قلبي يا تتر * وأطرت نومي بالفكر

ومنها

بالمشعرين وبالصفا * والبيت أقسم والحجر

وبمن سعى فيه وطا * ف به ولبى واعتمر

ان الشريف الموسوي بن الشريف أبي مضر

أبدى الجحود ولم يرد الى مملوكي تتر

واليت آل أمية الطهر الميامين الغرر

وجحدت بيعة حيدر * وعدلت عنه الى عمر

واذا جرى ذكر الصحا * بة بين جمع واشتهر

قلت المقدم شيخ تيم ثم صاحبه عمر

ماسل قط ظبا على * آل النبي ولا شهر

ولكنه يدعي فلا يحسن
ولا أدعي ماعذري من
هذا السخيف من تفاوت
مابين الثلج والنار وتضاد
مابين الليل والنهار
ومسافة مابين الفرس
والحمار هو أحمر وأنا أسمر
وهو أزرق وأنا أحور وهو
أشقر وأنا أحمر وهو أقرن
وأنا أجم وهو قصير
يتطاول وناقص يتفاضل
وسفيه يتحامل وأنا على
الضد أتطول وعلى النقيض
أتفضل وعلى الخلاف
أتحمل فما أبعد ماوجدنا
خلقا وقمنا خلقا وسلكنا
طرقا وضربنا عرقا وبعد فان
كان زحم كما زعم ووهم كما
أوهم وكبر كما ذكر وطال
كما قال فما هذا الدرد والحرد
ولم هذا الغيظ والكمد وكم
تنسانا ويذكرنا ونطويه
وينشرنا وقد رأت الاعين
ونقلت الالسن فهل لاترك
الحديث لعره أوطواه على
غره ومارأيت كهذا السخيف
اذا شوهدت صلق بالضراط
مراثه واذا غبت استنسر
بغاثه ان اللسان الذي
أخرس لسانه والبنان الذي
انبس بيانه لم تكسبهما
مرومجاجة ولا كسبهما
سرخس بلادة ولا ابتت
الغربة لهما عربا ولا امتهنت
هذه الحضرة منهما عضبا
وهما معي لم يفارقاني وذلك
الحفظ لم يعد بعد بحره نزرا

كلا

كلا ولا صد البتو * ل عن التراث ولا زجر
وأثابها الحسنى وما * شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراق مصحفه براءة والزمر
ورثيت طلحة والزبير بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز * جر من لحانى أو زجر
وأقول أم المؤمنين عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لتصبح من بنيها فى زمر
وأتت لتصلح بين جيش المسلمين على غرر
فأتى أبو حسن وسل حسامه وسطا وكر
وأذاق اخوته الردى * وبعير أمهم عقر
ماضره لو كان كف وعف عنهم اذ قدر
وأقول ان امامكم * ولى بصفين وفر
وأقول ان أخطا معا * وية فما أخطا القدر
هذا ولم يغدر معا * وية ولا عمرو مكر
بطل بسوأته يقا * تل لا بصارمه الذكر
وجنيت من ثمر النوا * صب ما تمر واحتمر
وأقول ذنب الخارجين على على يغتفر
لا ثائر لقتالهم * فى النهروان ولا أشر
والاشعرى بما يؤ * ل اليه أمرهما شعر
قال انصبوا لى منبرا * فأنا البرىء من الخطر
فعلا وقال خلعت صا * حبكم وأوجز واختصر
وأقول ان يزيد ما * شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكف عن * أبناء فاطمة أمر
وحلقت فى عشر المحرم ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره * وصيام أيام أخر
ولبست فيه أجل ثو * ب للملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو * ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا أصا * فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطريق أقص شارب من عبر
وغسلت رجلى ضلة * ومسحت خفى فى السفر
وأمين اجهر فى الصلا * ة كمن بها قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو * ر لكل قبر محتفر
واذا جرى ذكر الغدير أقول ماصح الخبر
ولبست فيه من الملا * بس ما اضمحل وما دثر
وسكنت جلق واقتديت بهم وان كانوا بقر

وتلك البديهة لم يصر برها جزرا وتلك الكتابة صار واحدها عشرا وما زادتنا الايام الا نشرا ولا الليالى الا بشرا وورد له عن الامير كتاب فابكى زيدا وأضحك عمرا حلف انه لا نظير له واستشهد على ذلك بسيف الدولة وعضدها وفخر الدولة ومؤيدها وسأل الامير أنى لا يوطئنى بساط خدمته ولا يمطرنى سحاب نعمته متوسلا بانه ناصرى وان غيره نال الشئ والتركى اذا آل الى الاستجارة بالله أمره فقد انتهى عمره والخوارزمى اذا كانت هذه وسيلته فقد ضاقت حيلته وليت شعرى عنه اذا لم يوال الامير ما يصنع وهو ان عاداه يصفع وان لم يعطه فما يفعل وهو ان عصاه يقتل وان لم يرض أيامه فما يؤثر وهو ان سخطها لا يغير ويلك هذا السخيف وقد تعدى باب السخف والمجون الى حديث الحماقة والجنون وتجاوز حمى الخلاعة الى الرقاعة وجاوز قول أصحاب المحابر الى لفظة أرباب المنابر وارتفع عن مقالات الشعراء الى مقالاة الامراء وبالله لو قال هذه الكلمة فخر الدولة لكانت كبيرة ولولا كهاشمس المعالى لما عدت صغيرة أمثل الخوارزمى يخادع كتخداى

وأقول مثل مقالهم * بالفاضر باقد فشر
مصطبحتي مكسورة * وفطيرتي فيها قصر
نفر يرى برئيسهم * طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم مستثقل * وصواب قولهم هدر
وطباعهم كجبالهم * طبعت وقدّت من حجر
مايدرك التشبيب تغـريد البلابل في السحر
وأقول في يوم تحا * رله البصيرة والبصر
والصحف ينشر طيها * والنار ترمي بالشرر
هذا الشريف أضلني * بعد الهداية والنظر
فيقال خذ بيد الشريـف فمستقر كما سقر
لواحة تصطو فما * تبقي عليه ولا تذر
والله يغفر للمسي * اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعـلك واحتذر كل الحذر
واليكها بدوية * رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها * قس الفصاحة لافتخر
ودري وأيقن أنني * بحـر والفاظي درر
وبديعتي كبديعة * عذراء ترفل في الحبر
حبرتها فغدت كزهـر الروض باكره المطر
والى الشريف بعثتها * لما قراها فانبهر
رد الغـلام وما استمر على الجحود ولا أصر
وأثابني وجزيتـه * شكرا وقال القد صبر

أقول انه يغتفر لي طول الشرح لغرابة اسلوب هذه القصيدة فاني لم أخرج بها عن القصد لانها مبنية على القسم وجوابه من البراعة الى الختام وأما هزلها الذي يراد به الجد فانه غاية لا تدرك وطريق ما رأينا لغيره فيها مسلك وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع أعني القسم نسجه على المنوال الاول الذي هو مبني على المدح والفخر والتعاظم وعلو الهمة وهو قوله

لا اقتبتني المعالي بابن مجدتها * يوم الفخار ولا برّ التقى قسمي

هذا البيت منسوج على المنوال المذكور لكن فيه نقص لانه غير صالح للتجريد ولم يأت ناظمه بجواب القسم الا في بيت الاستعارة التي ترتب بعده وهو

ان لم أحث مطايا العزم مثقلة * من القوافي تؤم المجد عن أمم

وأصحاب البديعيات شرطوا ان يكون كل بيت شاهدا على نوعه بمجرده واذا كان البيت له تعلق بما بعده أو بما قبله لا يصلح ان يكون شاهدا على ذلك النوع * ولقد عجبت للشيخ صفي الدين كيف فتر عزمه وقصرت همته عن هذا القدر الذي يتطاول الى ادراكه كل قاصر وابن هو من قول القائل في طريقة الغرامية التي حركت السواكن حيث قال

حرمت الرضا ان كنت خنتك في الهوى * وعوقبت بالهجران ان كنت كاذبا

انظر ما أحلى ما أتى بالقسمين وجوابيهما في بيت واحد مع عدم التعسف والرقة التي كادت أن تسيل لطفا والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

برئت من سلمى وانسم من هممي * ان لم أدن بتقى مبرورة القسم

نلحق وملك الشرق بهذا الزرق وحتى جاز للموالي ان تتاقب بالموالي فالعبد وان أحب مولاه فليس بصديقه والابن وان صاحب أباه فليس برفيقه وليس السوقي اذا أمر أميرا ولا الجمال اذا نهض قدرا ولا العبد اذا أرسل نبيا ولا الخوارزمي اذا والى وليا ولكل رتبة محررة وحلية مقررة وأما مسئلته الامير أن لا يخرطني في سلكه ولا يمكنني من بساط ملكه فقد شملتني على رغمه أطراف النعم وبلتني سحائب الهمم وللراعة التراب وللعاسد الحائط والباب وللكاره اليد والناب والشيخ الامام مخدوم من الاسلام بما يحن الى أدبه والاسلام

(وله الى الشيخ أبي عبد الله الحسين بن يحيى)

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وللشيخ لذة في السب والعتب وطبيعة في العنف والعسف واذا أعوزه من يغضب عليه فانا بين يديه واذا لم يجد من يصونه فانا زبونه والولد عبد ليست له قيمة والظفر به غنيمة والوالد ولي أحسن أم أساء فليفعل ما شاء لا بعدمه الله مني جسدا لا يتألم بالضرب وقلبا لا يتظلم من العتب هنيئا ما استحل

بيت الشيخ عز الدين مبنى على الفخر والتعاظم وعلو الهمم وهو صالح للتجريد بخلاف بيت الشيخ صفى الدين هذا مع التزام الشيخ عز الدين بتسمية النوع وبيت بديعيتى

برئت من أدبى والعز من شيمى * ان لم أبر بنأى عنهم قسمى

وهذا البيت مبنى على الفخر والتعاظم وعلو الهمة * وفى قولى والعز من شيمى غاية الفخر ولكن اللطف الزائد قول الاديب فى القسم برئت من أدبى مع التورية التى ترفل فى حلل الحشمة وتسمية النوع والتقفية به لا تخفى على أهل الذوق من أهل الادب والله أعلم

(ذكر حسن التخلص)

(ومن غدا قسمه التشبيب فى غزل * حسن التخلص بالمختار من قسمى)

حسن التخلص هو ان يستطرد الشاعر المتمكن من معنى الى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع فى الثانى لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنهما أفرغا فى قالب واحد ولا يشترط أن يتعين المتخلص منه بل يجرى ذلك فى أى معنى كان فان الشاعر قد يتخلص من نسيب أو غزل أو فخر أو وصف روض أو وصف طلل بال أو ربع خال أو معنى من المعانى يؤدى الى مدح أو هجو أو وصف فى حرب أو غير ذلك ولكن الاحسن أن يتخلص الشاعر من الغزل الى المدح والفرق بين التخلص والاستطراد أن الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول أو قطع الكلام فيكون المستطرد به آخر كلامه والامران معدومان فى التخلص فانه لا يرجع الى الاول ولا يقطع الكلام بل يستمر على ما تخلص اليه وهذا النوع أعنى حسن التخلص اعتنى به المتأخرون دون العرب ومن جرى مجراهم من المخضرمين ولكنه لم يفتهم فانهم أوردوا لزهير فى هذا الباب قوله

ان البخيل ملوم حيث كان ولـ * كن الكريم على علاته هرم

انظر الى هذا العربى القديم كيف أحسن التخلص من غير اعتناء فى بيت واحد وهذا هو الغاية القصوى عند المتأخرين الذين اعتنوا به وعلى كل تقدير فمن كلام العرب استنبط كل فن فانهم ولاة هذا الشأن لكنهم كانوا يؤثرون عدم التكلف * ولا يرتكبون من فنون البديع الا ما خلا من التعسف فمن ذلك قول الفرزدق وأجاد الى الغاية

وركب كأن الريح تطلب عندهم * لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهى تلفهم * الى شعب الاكوار من كل جانب
اذا آنسوا نارا يقولون ليتها * وقد خصرت أيديهم نار غالب

ومثله قول أبى نواس تقول التى من بيتها خف محملى * عزيز علينا ان نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب * بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى فى اثرهن عبير
دعينى أكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيه الخصيب أمير

ومثله فى الحسن قوله واذا جلست الى المدام وشربها * فاجعل حديثك كله فى الكاس
واذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس
واذا أردت مديح قوم لم تمن * فى مدحهم فامدح بنى العباس

أقول ان هذا الطريق التى مشى عليها أبو نواس ومن تقدمه من المتقدمين ممن أوردت نظمه فى هذا الباب وهى حسن التخلص ببيت واحد باستطراد رشيق ينتقل الشاعر به من الشطر الاول الى الشطر الثانى فاتت فحولا من الشعراء كالبحترى وأبى تمام فى غالب القصائد على انهما المقدمان فى هذا الشأن وقد تقرر أن حسن التخلص ما كان فى بيت واحد يثب الشاعر من شطره الاول الى الثانى

(ذكر حسن التخلص)

من عرضى وأكل من لحمى فما أكل الا لحمه ولا يضيم الا بعضه وأما البزاز وما حكاه فبالله ما أعرفه أولا حتى ارأيما جناه ثانيا وسبحان من جرعنى مرارة ذلك العذل لحديث ذلك النذل واست أدرى فى أى صحائف المحن اثبت ما حكاه وفى أى جرائد الحكم أجزت ما رواه واما المنتظر وتأخره فالمودع ثقة وهو حاج لست أخبر أمره ولا أعرف عذره والى ايابه وعلى حسابه وعندى أن الولد أصغر قدرا من أن يعاتب والوالد أعظم منزلة من أن يجاوب ولو شئت لاعلمته براءة ساحتى مما قرفنى ونسبنى اليه لكنى أجد للمناظرة صفة المنافرة وللمنافرة شكل المناكرة فلا أطأ عتبة بينها وبين العقوق منزلة ولا أرد شرعة بينها وبين الفسوق مرحلة فلا ألقاه بأبر من التوبة ان كنت فعلت والغفران ان كنت قلت وهذا أشبه بالبنوة وأحرى مع الابوة واما أبو فلان فلا أشك أن كتابى يرد منه على صدر محا اسمى من صحيفته ونسى اجتماعنا على الحديث

وشبة تدل على رشاقته وقوته وتمكنه فى هذا الفن واذا لم يكن التخلص كذلك سمى اقتضابا وهو ان ينتقل الشاعر من معنى الى معنى آخر من غير تعلق بينهما كأنه استهل كلاما آخر وعلى هذه الطريقة مشى غالب العرب وغالب المخضرمين وكثير من شعراء المولدين فمن ذلك قول البحترى فى قصيدة وقد جرى فى ميادين غزلها الى ان قال من غير ارتباط

ورد نا الى الفتح بن خاقان انه * اعم ندى فيكم وأيسر مطلبا

وهذه النبذة التى أبرزتها هنا من نظم المتقدمين فى حسن التخلص عزيزة الوجود فانها ماتيسرت الا بعد بذل الجهد فى جمعها وهذا النوع البديع ما اعتنى به غير حذاق المتأخرين وما نسجوه جميعه الا على المنوال المذكور ولعمرى انها طريقة بديعة ونوع من السحر يدل على رسوخ القدم فى البلاغة وتمكن الذهن من البراعة وان لم يكن كذلك لم يعد من أنواع البديع والقرائح تختلف فيه وتتفاوت وقد عن لى أن أنبه على قبح المخالص التى لا تعد من أنواع البديع لينفتح ذهن المبتدئ فى هذا الفن فى ذلك قول أبى الطيب المتنبى وان كانت له المخالص الفائقة

غدا بك كل خلو مستهاما * وأصبح كل مستور خليعا

أحبك أو يقولوا جر نمل * ثبيرا وابن ابراهيم ريعا

انظر ما أبرد هذا المخلص وأشد تعسفه ومعناه أنه علق انقضاحها على غير ممكن وهو أن يجر النمل الجبل المسمى ثبيرا او ان يخاف ممدوحه فجعل خوف الممدوح نظير جر النمل لثبير ليقرر أن كلا منهما من المستحيلات ومن مخالصه القبيحة أيضا قوله

عل الامير يرى ذلى فيشفع لى * الى التى تركتنى فى الهوى مثلا

وسبب قبح هذا المخلص كونه جعل ممدوحه ساعيا بينه و بين محبوبته فى الوصال ولا خفاء فى دنو هذه المرتبة وقد سبقه أبو نواس الى ذلك ولكنه أقل شناعة مع أن الكل قبيح حيث قال

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد * هواك لعل الفضل يجمع بيننا

وقد سبقهما الى ذلك قيس بن ذريح حين طلق لبنى وتزوجت غيره فندم على ذلك وشبب بها فى كل معنى فرحمه ابن أبى عتيق فسعى فى طلاقها من زوجها وأعادها الى قيس فقال يمدحه

جزى الرحمن أفضل ما يجازى * على الاحسان خيرا من صديق

فقد جربت اخوانى جميعا * فما ألفيت كابن أبى عتيق

سعى فى جمع شملى بعد صدع * ورأى حدت فيه عن الطريق

وأطفأ لوعة كانت بقلبى * أغصتنى حرارتها بريقى

فلما سمعها ابن أبى عتيق قال لقيس يا حبيبى امسك عن هذا المدح فما يسمعه أحد الا ظننى قوادا ومن المخالص التى استحسنوها للبحترى قوله

ر باع تردت بالرياض مجودة * بكل جديد الماء عذب الموارد

اذا راوحتها مزنة بكرت لها * شآبيب مجتاز عليها وقاصد

كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت * عليها بتلك البارقات الرواعد

ومن المخالص المستحسنة لابى تمام قوله من قصيدة

ما زلت عن سنن الوداد ولا غدت * نفسى على الف سواك تحوم

لا والذى هو عالم أن النوى * مر وأن أبا الحسين كريم

هذا المخلص مقدم على مخالص البحترى من وجوه أحدها التخلص من النسيب الى المدح والثانى حسن الانسجام والثالث وهو جل القصد الوثبة فى بيت التخلص من الشطر الاول الى الشطر الثانى بأسرع اختلاس وهذا الذى عقد المتأخرون الخناصر عليه وصار لهم فيه اليد الطولى ومثله قوله

والعزل ونصرفنا فى الجد والهزل وتقلبنا فى أعطاف العيش بين الوقار والطيش وارتضاعنا ثدى العشرة اذ الزمان رقيق القشرة وتواعدنا أن يلحق أحدنا بصاحبه اذا آنس الرشد من جانبه وتصافحنا من قبل أن لا يصرم الحبل وتعاهدنا من بعد أن لا ينقض الوعد وهل ذا كرمن كان أقرب عهده ثلاثين شهرا أو ثلاثة أحوال * وكانى به وقد استجد اخوانا ولا بأس فان كانت للجديد لذة فللقديم حرمة والاخوة بردة لا تضيق عن اثنين ولو شاء لعاشرنا فى البين وكان سألنى ان أرود له منزلا ماؤه روى ومرعاه غذى وأكاتبه لينهض اليه راحلته فهاك نيسابور ضالته التى نشدتها وقد وجدتها وخراسان منيته التى طلبتها وقد أصبتها وهذه الدولة بغيته التى أردتها فقد وردتها فان صدقنى رائدا فليأتنى قاصدا وان رضينى مشيرا فليجئنى سريعا وهيهات أن يترك ارونده وهضابها وترمذ شعابها وماوسا ورياضها فيعتاض عنها كرم العهد ولو علم أن رياض

من قصيد فالارض معروف السماء قرى لها * و بنوالرجاء لهم بنو العباس

ومن مخالص أبي الطيب انفائقة قوله من قصيد يمدح بها أبا أيوب أحمد بن عمران بن ماهويه مطلعها

سرب محاسنه حرمت ذواتها * داني الصفات بعيد موصوفاتها

معنى هذا المطلع في غاية الحسن والغرابة فانه يقول هذا سرب حيل بيني و بين كل حسناء منه وهذه الحسناء صفاتها دانية عند ذكرها بالقول ولكن ذاتها الموصوفة بعيدة ولم يزل في غرابة هذا الاسلوب الى أن قال متخلصا ومطالب فيها الهلاك أتيتها * ثبت الجنان كانني لم آتها

أقبلتها غرر الجياد كأنما * أيدي بني عمران في جبهاتها

أقول سبحان المانح هذا هو السحر الحلال والشرب الذي أمست المشارب الصافية عنده كالآل ومثله في الغرابة التي هي من معجزات المتنبي قوله من قصيد يمدح بها علي بن عامر و يعرض بذكر أبيه عامر ومدحه بعد وفاته مطلعها

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر * وحيدا وما قولي كذا ومعي الصبر

وما أحلى ما قال بعده وأعجب من ذا كل يوم سلامتي * وما ثبتت الا وفي نفسها أمر

ولم يزل ينفث بصدق عزائمه في هذا السحر الذي سحر به العقول وخلب القلوب الى أن قال

و يوم وصلناه بليل كأنما * على أفقه من برقه حلل حمر

وليل وصلناه بيوم كأنما * على متنه من دجنه حلل خضر

وغيث ظننا تحته أن عامرا * علا لم يمت أو في السحاب له قبر

ومثله قوله من قصيدة دالية يمدح بها سيف الدولة بن حمدان مطلعها

عواذل ذات الخال في حواسد * وان ضجيع الخود مني لماجد

وما ألطف ما قال بعده يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * و يعصي الهوى في طيفها وهو راقد

ولما انتظم له هذا الدر في هذه الاسلاك البديعة قال

خليلي اني لا أرى غير شاعر * فكم منهم الدعوى ومني القصائد

فلا تعجبا ان السيوف كثيرة * ولكن سيف الدولة اليوم واحد

ومن مخالص أبي العلاء أحمد بن سليمان على طريق المديح فانه لم يكن من طلاب الرفد قوله من قصيد

ولوان المطى لها عقول * وحقك لم نشد لها عقالا

مواصلة بها رحلي كأني * من الدنيا أريد بها انتقالا

سألن فقلن مقصدنا سعيد * فكان اسم الامير لهن فالا

هذا المخلص أيضا من العجائب فان الشيخ أبا العلاء سبكه في قالب التورية والاتفاق البديع وكان اسم الامير في فالهم سعيد او العرب ما برحوا يتفاءلون بالاسم الحسن و يتطيرون من ضده ومما استحسن لابن حجاج من المخالص قوله

الايام ادجلة است تدري * بأني حاسد لك طول عمري

ولو أني استطعت سكرت سكرا * عليك فلم تكن يا ماء تجري

فقال الماء قل لي كل هذا * بم استوجبته ياليت شعري

فقلت له لانك كل يوم * تمر على أبي الفضل بن بشر

تراه ولا أراه وذلك شئ * يضيق عن احتمالك فيه صبري

قال صاحب المثل السائر حين أورد هذه الابيات ما علمت معنى في هذا المقصد أبدع ولا أعذب ولا أرق ولا أحلى من معنى هذا اللفظ و يكفي ابن حجاج من الفضيلة أن يكون له مثل هذه الابيات قلت ولعمري ان المخلص والابيات بكمالها دون اطناب ابن الاثير في الوصف ولكن قال زكي الدين بن

الاخوة النصر وشعاب المروءة أطيب وانه لا يعدم من نيسابور مثل تلك المتنزهات وخيرا من تلك المتوجهات لحث اليها ركابه وأما أنا را خباري بهذه الناحية فتقلب في ثوب العافية موفر بهذه الحضرة مرموق بعين القبول هذه جملة حالي ووراءها تفصيل منها عليه دليل وأما الاخ أبو سعيد جعلني الله فداءه ورزقني لقاءه فقد شكرت بره ولولا اشفاقي من ضعف تركيبه ولطف ترتيبه وعلمي بأنه لا يحتمل وعثاء السفر لسألت الشيخ اهداءه الى لاتولى تعليمه وتقويمه لكنه رطب العظام لطيف الاركان لا أخاطر باناضه من ذلك المكان حتى يعقد مخه في عظامه وأثق بقوة الواحه و بلغني انه ابتدأ بمجمل اللغة فأين بلغ منه والشيخ لا يحمل عليه بعويص اللغة حتى يعلم سهلها ولا يأخذه بما أخذني به فالعمر لا يتسع لعلوم اجمع فلينفق على أحسنها و يكفيه من اللغة علم مستحسنها دون مستهجنها ومن الاعراب معرفة أصوله وما لا غناء به عنه من فروعه ثم يأخذه بعلوم كتاب الله تعالى حتى يرد على قرة عين لي ولك وصلى الله على محمد وآله

أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير لما انتهى الى هذا النوع أعنى حسن التخلص اذا وصلت الى ابن حجاج فى هذا الباب فانك تصل الى ما لا تدركه الالباب فمن ذلك قوله على طريقته المعهودة منه

وقد بادلتها فبالهالى * بشورة استها واها قذالى

كما لابن العميد جميع مدحى * ودنيا ابن العميد جميع مالى

ومن المخالص الفائقة قول الاستاذ أبى الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب من قصيدة بائية يمدح بها الامير سيف الدولة ابن مزيد مطلعها

هب من زمانك بعض الجد للعب * واهجر الى راحة شيأ من التعب

ولم يزل ماشيا على هذا السنن الى أن قال

تسعى السقاة علينا بين منتظر * بلوغ كأس ووثاب بمستلب

كأنما قولنا للبابلى ادر * سلافة قولنا للمزيدى هب

ومثله قوله من قصيدة حائية يمدح بها الاستاذ أبا طالب بن أيوب

يا من ثناياه التى * غولطت عنها بالاقاحى

غلط المقايس بابن أيوب السحابة فى السماح

و يعجبنى من مخالصه قوله من قصيدة رائية يمدح بها فخر الملك ولم يزل يرفل فى حلل غزلها ونسيبها الى أن قال

أرى كبدى وقد بردت قليلا * أمات الهم أم عاش السرور

أم الايام خافتنى لانى * بفخر الملك منها استجير

ومما يعجبنى أيضا الى الغاية قوله من قصيدة عينية يمدح بها الوزير عميد الدولة مطلعها

لو كان يرفق ظاعن بمشيع * ردوا فؤادى يوم كاظمة معى

ولم يزل يطلق العنان فى هذه الحلبة الى أن سبق الى غاية قال فيها

ان شاء بعدهم الحيا فلينسكب * أوشاء ظل غمامه فليقلع

فقليل جسمى فى ذبول ربوعهم * كاف وشربى من فواضل أدمعى

كرمت جفونى فى الديار فأخصبت * فغنيت أن أرد المياه وارتعى

فكأن دمعى مد من أيدى بنى * عبد الرحيم ومائها المستنبع

وما أحلى ما قال بعده وهو مخلص آخر

وكان ليلى من تفاوت طوله * أسيافهم موصولة بالادرع

ولم أكثر من محاسن مهيار هنا الا لعلمى بغرابة شعره وعزة وجود ديوانه ومن المخالص التى تصلح أن تكون واسطة فى هذا العقد قول أفقه الشعراء وأشعر الفقهاء كما قال وهو القاضى أبو بكر أحمد الارجانى من قصيد يمدح بها ولى الدين الكاتب مطلعها

وعدت باستراقة للقاء * وبإهداء زورة فى خفاء

وما أحلى ما قال بعده

ثم غارت من أن يغشيها الظل فسارت فى ليلة ظلماء

ثم خافت لما رأت أنجم الليل شبيهات أعين الرقباء

فاستنابت طيفا يلم ومن يسلك عينا تهم بالاغفاء

هكذا نيلها اذا نولتنا * وعناء تسمح البخلاء

يهدم الانتهاء باليأس منها * ما بناه الرجاء بالابتداء

ولم يزل راتعا فى هذه الحدائق الغضة الى أن قال

تركتنى معانيا لمغان * وأعادت أعاديا أصدقائى

رنقت مشربى وقد كان عين الشمس والماء دونه فى الصفاء

(وله الى أبى عامر عدنان ابن عامر الضبى يعزيه ببعض أقاربه)

اذا ما الدهر جر على اناس
حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

أحسن ما فى الدهر عمومه بالنوائب وخصوصه بالرغائب فهو يدعو الجفلى اذا ساء ويختص بالنعمة اذا شاء فلينظر الشامت فان كان أفلت فله ان يشمت ولينظر الانسان فى الدهر وصروفه والموت وصنوفه من فاتحة أمره الى خاتمة عمره هل يجد لنفسه أثرا فى نفسه أم لتدبيره عونا على تصويره أم لعمله تقديما لامله أم لحيله تأخيرا لاجله كلا بل هو العبد لم يكن شيأ مذكورا خلق مقهورا ورزق مقدورا فهو يحيا جبرا ويهلك صبرا وليتأمل المرء كيف كان قبلا فان كان العدم أصلا والوجود فضلا فليعلم الموت عدلا والعاقل من رفع من حوائل الدهر ما ساء ليذهب ما ضر بما نفع وان أحب ان لا يحزن فلينظر يمنه هل يرى الا محنة ثم ليعطف يسرة هل يرى الا حسرة ومثل الشيخ الرئيس من تفطن لهذه الاسرار وعرف هذه الدار فاعد لنعمتها صدرا لا يملؤه

بعد عهدى بعيشتى وهى خضراء * تتثنى كالبانة الغناء
وأمورى كأنها ألفات * خطهن الولى فى الاستواء

ومن جواهر مخالصه المنتظمة فى هذا السلك قوله من قصيدة رائية يمدح بها سديد الدولة محمد بن عبد الكريم الانبارى مترسل الخلافة وكاتب إنشائها مطلعها

سلا رسوما أقامت بعد ما ساروا * أعندها من أهيل الحى اخبار
ورقرقا عاتقى من حملها مننا * للسحب فيها وللاجفان استار

ولم يزل مبدرا فى هذا الافق النير الى أن قال

أقسمت ما كل هذا الضيم محتمل * ولا فؤادى على ما شمت صبار
الا لانك منى اليوم نازلة * فى القلب حيث سديد الدولة الجار

ومن مخالصه الصافية التى مازجها بسلاف التورية قوله من قصيدة بائية يمدح بها شهاب الدين أحمد بن أسعد الطغرائى مطلعها

اذا لم يخن صب ففيم عتاب * وان لم يكن ذنب ففيم متاب

وما ألطف ما قال بعده

أجل ما لنا الا هواهم جناية * فهل عندهم غير الصدود عقاب

ولم يزل سائرا فى سهولة هذه الجادة الى أن قال

فلا تكثرن شكوى الزمان فانما * لكل ملم جيئة وذهاب
وقد كان ليل الفضل فى الدهر داجيا * الى أن بدا للناظرين شهاب

والارجانى أيضا نظمه غريب فى هذه البلاد فلذلك أوردت منه هنا هذه النبذة اللطيفة والله أعلم * وقد آن لى أن أقدم مقدمات المشايخ من اشعار المتأخرين فى هذا النوع فانهم رياحين حدائقه واقمار مشارقه * فالمقدم هنا قاضيهم الفاضل الذى ارتفع الخلاف بقضائه ونفذ حكمه بالموجب على ملوك هذه الصناعة * وتقدم باستيفاء شرائط التقديم فصلى خلف امامته الجماعة * فمن مخالصه الفاضلية قوله من قصيدة يمدح بها خليفة الفاطميين فى ذلك العصر مطلعها

ترى لحنينى أو حنين الحمائم * جرت فبكت دمعى دموع الغمائم

(وما أحلى ما قال بعده)

وهل من ضلوع أو ربوع ترحلوا * فكل أراها دارسات المعالم
دعوا نفس المقروح تحمله الصبا * وان كان يهفو بالغصون النواعم
تاخرت فى حمل السلام عليكم * لديها لما قد حملت من سمائم
فلا تسمعوا الاحديثا لناظرى * يعاد بالفاظ الدموع السواجم
فان فؤادى بعدكم قد فطمته * عن الشعر الا مدحه لابن فاطم

ومثله قول العلامة الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة من قصيدة دالية يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم مطلعها

ويلاه من نومى المشرد * وآه من شملى المبدد

ولم يزل يدير على خصور هذه الالفاظ الرقيقة وشاحات معانيه البديعية الى أن قال

أكسبنى نشوة بطرف * سكرت من خمره فعربد
غصن نقاحل عقد صبرى * بلين خصر يكاد يعقد
فمن رأى ذلك الوشاح الصائم صلى على محمد

ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين يوسف مطلعها

فرحا ولبؤسها قلبا الا بطيرة جزعا وصحب الدهر برأى من يعلم ان للمتعة حدا وللعارية ردا ولقد نعى الى أبو قبيصة قدس الله روحه وبرد ضريحه فعرضت على آمالى قعودا وأمانى سودا وبكيت والسخى بما ملك وضحكت وشر الشدائد ما يضحك وعضضت الاصبع حتى أفنيته وذممت الموت حتى غنيته والموت خطب قد عظم حتى هان وأمر قد خشن حتى لان ونكر قد عم حتى عاد عرفا والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها وجنت حتى صار أصغر ذنوبها وأضمرت حتى صار أيسر غيوبها وأبهمت حتى صار أظهر عيوبها ولعل هذا السهم آخر ما فى كنانتها وأزكى ما فى خزانتها ونحن معاشر التبع نتعلم الادب من أخلاقه والجميل من أفعاله فلا نخشه على الجميل وهو اصبر ولا نرغبه فى الجزيل وهو الاجر فليرقيهما ان شاء الله تعالى

(وله)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ وقد استخرت الله فتح هذا الباب وشاورت ذوى الالباب فاما الله فخار وأما أولو الالباب فكل أشار

لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره

تعاملنى عا بحلى سلوى * ولكن ليس فى جوفى مراره

ولم يزل أعين هذا الغزل الرقيق تغازله الى أن قال

وقالوا قد خسرت الروح فيها * فقلت الربح فى تلك الخساره

بأيسر نظرة أسرت فؤادى * كأنشأ اللهيب من الشراره

ويفتك طرفها فيقول قلبى * أشن ترى صلاح الدين غاره

ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الملك الامجد

ظبية حكم ظباء مقلتها * عـزة الظبى وذل الاسد

كنت فى ترك الهوى مجتهدا * وهى كانت زلة المجتهد

كملت حسنا فلولا بخلها * خلتها بعض خلال الامجد

ومن المخالص التى نقلتها من ناصح بن قلاقس قوله من قصيدة يمدح بها أبا المنصور نور الدين محمودا عين الامراء بالديار المصرية

ماذا على العيس لو عادت ربتها * بقدر ما نتقا ضاها المواعيدا

رد الركاب لامرعن فى خلدى * وسمه فى بديع الحب ترديدا

وقف ابشك مالان الحديد له * فان صدقت فقل هل أبت دواودا

حلت عرا النوم عن أجفان ساهرة * رد الهوى هدبها بالنجم معقودا

تفجرت وعصا الجوزاء تضربها * فاذكرتنى موسى والجلاميدا

وما أحلى ماقال بعده كناية عن طول الليل

يا ثعلب الصبح يا سرحان أوله * كل الثريا فقد صادفت عنقودا

ولم يزل ينثر هذه العقود الثمينة مع تفخيم هذا النظم الى أن قال

مالى وما للقوافى لا أسيرها * الا وأقعد محروما ومحسودا

أسكرتهم بكؤس الراح مترعة * ولم أنل منهم الا العرابيدا

سمعت بالجود مفقودا فهل أحد * يقول انى وجدت الجود موجودا

الحمد لله لا والله ما نظرت * عيناى بعد أبى المنصور محمودا

هذا المخلص حلاه نصر الله بن قلاقس مع زيادة حسنة بشعار التورية ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الشيخ سديد الدين المعروف بالحصرى مطلعها

أروه الجلنار من الخدود * وأخفوا عنه رمان النهود

وقال بعده

وحلوا مقلتيه بدر دمع * تبسم فى المخانق والبرود

وما غرسوا نخيل العيس الا * وهم فيها من الطلع النضيد

سقى مصرا وساكنها ملث * طليل البرق صخاب الرعود

موارد بى لها ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

هل الرأى السديد البعد عنها * نعم ان كان للشيخ السديد

ويعجبنى من مخالص القاضى السعيد هبة الله بن سنا الملك قوله من قصيدة يمدح بها القاضى الفاضل أتى فيها بحسن التخلص ولم يخلص من اشراك عيون الغزل لغرابة أسلوبها

ضنت بطرف ظل بعدى سقمه * أرأيتم من ضن حتى بالضنى

يا عاذلين جهلتم فضل الهوى * وعذلتم فيه ولكنى أنا

انى رأيت الشمس ثم رأيتها * ماذا على اذا هويت الاحسنا

وان يشاء الله يقض بالامر الى حال يسعه مولى ويسعنى عبدا وشدّ ما بخلت بهذه الكلمة ونفرت عن هذه السمة هذا الشيخ الشهيد أبو نصر رحمه الله مدّ لها اللحظ فلم يحظ وهذا ابن عباد شد لها الرحل فلم يحل وما اعتد على الشيخ عنة لكن لم يكها علق مضنة فلم يبق فى الخدمة نوعا من أقربها طوعا والحمد لله رب العالمين لا والله ما تأخرت كتبى عن حضرة الشيخ لا كبر منه قدرا وأعظم من الوزارة صدرا انه للفعل لا يقدع أنفه وانها للعال لا مظهر فوقها لكن بلدان العراق شكت الى ألم الفراق فنويت أن أعتم او أقف على حلة لو قصرت فيها الصلاة لجاز يوما أعد الجهاز ويوما التمس الجواز والايام تدب خلال هذه الفرصة والليالى تدرج وأنا لا أخرج حتى ورد الدهقان أبو جعفر فرأى آلات السفر وانتظار النفر وأمرا قد قضى أو كاد وعزما قد بلغ وزاد ونفسا اجتوت هذه البلاد وذكرت الميلاد فقال الدالة ماهذه الغربة الضالة وقالت الشفقة ما هذه الغرمة المشفقة وهل تخلف وراءك الا البحر وتقصد أمامك الا النحر

وسألت من أي المعادن ثغرها * فوجدت من عبد الرحيم المعدنا

وما أحلى ما قال بعد المخلص

أبصرت جوهر ثغرها وكلامه * فعلمت حقا أن هذا من هنا

ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الملك المعظم مطلعها

تقنعت لكن بالحبيب المعمم * وفارقت لكن كل عيش مذمم

وما أحلى ما قال بعده

وباتت يدي في طاعة الحب والهوى * وشاحا لخصر او وسادا لمعصم

وما أبدع ما قال منها سعدت ببدر خده برج عقرب * فكذب عندي قول كل منجم

وأقسم ما وجه الصباح اذا بدا * باوضح مني حجة عند لومي

ولا سيما لما مررت بمنزل * كفضلة صبر في فؤاد متيم

وما بان لي الا بعود أراكة * تعلق في أطرافه ضوء مبسم

سبحان المانح والله لقد أحرز القاضي السعيد قصبات السبق برقة هذه الالفاظ وغرابة هذه المعاني ولقد خلب القلوب وجلا ظلمة الافهام بقوله

وما بان لي الا بعود أراكة * تعلق في أطرافه ضوء مبسم

وأظنه من المخترعات والله أعلم وما أحلى ما قال بعده

وقفت به أعتاض عن لثم مبسم * شهي لقلبي لثم آثار منسم

ولم ير طرفي قط شملا مبددا * يقابله الا بدمع منظم

ولم يسل قلبي أو في عن غزالة * وعن غزل الا بمدح المعظم

ومن المخالص البديعة قول الصاحب بهاء الدين زهير من قصيدة يمدح بها الامير نصير الدين اللمطي * مطلعها

لها خفر يوم اللقاء خفيرها * فما بالها ضنت بما لا يضيرها

وما ألطف ما قال بعده اعادتها أن لا يعاد مريضها * وسيرتها أن لا يفك أسيرها

ولم يزل هائما في طريقه الغرامية الى أن قال

وها أنا ذا كالطيف فيها صبابة * لعلي اذا نامت بليل أزورها

هذا المعنى قلبه الصاحب بهاء الدين زهير على من تقدمه فيه وسبقه في أعرب القوالب البديعة وأظنه من مخترعاته * ثم قال بعده

من الغيد لم توقد مع الليل نارها * ولكنما بين الضلوع تثيرها

تقاضى غريم الشوق مني حشاشة * مروعة لم يبق الا يسيرها

وان الذي أبقته منها يد الهوى * فداء بشير يوم وافى نصيرها

هذا المخلص استعبد الصاحب بهاء الدين زهير رقيق ألفاظه بحشمة توريته ومثله في الحسن قوله من قصيد يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز مطلعها

عرف الحبيب مكانه فتدللا * وقنعت منه بموعد فتعللا

وما أظرف ما قال بعده وأرى الرسول ولم أجد في وجهه * بشرا كما قد كنت أعهد أولا

ولم يزل يدير كاسات صباباته الغرامية الى أن قال

آها لقلب ما خلا من لوعة * أبدا يحن الى زمان قد خلا

ورسوم جسم كاد يحرقه الهوى * لو لم تبادره الدموع لاشعلا

واقد أتمت حديثه وحفظته * فوجدت دمعي قد رواه مسلسلا

أهوى التذلل في الغرام وانما * يأبى صلاح الدين أن اتذللا

ألا ترى اختلاف السيوف واضطراب الامور وازدحام الخطوب واعتراض الحتوف والتفاء الجموع وأنت بهذه الامصار تمشي على الابصار ولو رأيت الشيخ لرأيت الجمال بجملته والكمال بكليته والعالم في بردته والمراد برمته فقلت اللهم غفرا اذن أقصده ظفرا واخدمه ابتدارا ولا السيل وافق انحدارا نقدمت هذا الكتاب وبودي ان أكونه فأسعد دونه وأنا انتظر الجواب فان سامحت به نفسه الرفيعة كنت ان شاء الله نعم الصنيعة فان أبى رأيه الشريف ان يقاد حتى يجتهد ويستوزن حتى يزن احتكمنا الى الحجارة والتعبير نصف التجارة وللشيخ فيما يراه فيه رأيه العالي ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ الامام أبي الطيب)

الشيخ الامام قد رجح الخاتمين بين عادة كرم وعارض ندم يقول الكرم تحملها غرامة ويقول الندم لا ولا كرامة والكرم أهدى الى المناقب وانظر في العواقب والندم اشد للبشرية وفاقا وعلى العاقل اشفاقا فان لم يكن في البين تخليط فلم لا يبعث بالحاضر ويحيل بالآخر والشيخ الامام يفعل في هذا الباب ما هو اهله نقدمتم خوض الناس

وما أحلى ما قال بعد المخلص
مهدت بالغزل الرقيق لمدحه * وأردت قبل الفرض ان أتنفلا
و يعجبنى أيضا من مخالص القاضى كمال الدين بن نبيه قوله من قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين
الله مطلعها باكر صبوح أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طائره
ثم قال بعده والليل تجرى الدرارى فى مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره
ولم يزل يتلاعب بهذه المعانى المخترعة الى أن قال
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه ربما مجت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره
فليس يخذل فى يوم الحساب فتى * والناصر ابن رسول الله ناصره
و يعجبنى من مخالصه الموسويات قوله من قصيدة مطلعها
يا نار أشواقى لا تخمدى * لعل ضيف الطيف أن يهتدى
ولم يزل راتعا فى رياض غزلها الى أن قال
غازلنا من نرجس ذابل * وافتر عن نور اقاح ندى
وقام يلوى صدغه قائلا * لا تعتبر بى فكذا موعدى
فقلت بالله مات الوفا * فقال موسى لم يمت خذ يدى
وقوله من المخالص الاشرفيات الموسويات فى بيت المخلص الذى يستغنى بتمكنه وقوته عن ذكر ما قبله
يا طالب الرزق ان سدت مذاهبه * قل يا أبا الفتح يا موسى وقد فتحت
ومن مخالصه الاشرفيات أيضا قوله من قصيدة
يتناوقد لف العناق جسومنا * فى بردتين تكرم ونعفف
حتى بدا فلق الصباح كجحفل * راياته رنك المليك الاشرف
و يعجبنى من مخالصه الاشرفيات أيضا قوله من قصيد
يذود شبا القنا عن وجنتيها * كمنع الشوك للورد الجنى
اذا مارمت أقطفه بعينى * يقول حذار من مرعى وبى
لسان السيف من أدنى وشاتى * ومن رقبائى طرف السمهرى
كأن لجفنها فى كل قلب * فعال المشرفى الاشرفى
و يعجبنى من مخالص الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف قوله من قصيد يمدح بها القاضى
فتح الدين بن عبد الله الظاهر تحمس فى غزلها وتغزل فى تحمسها الى المخلص مطلعها
أرح يمينك مما أنت معتقل * امضى الاسنة ما فولاذه الكحل
وما أحلى ما قال بعده يا من يربى المنايا واسمها نظره من السيوف المواضى واسمها مقل
ما بال ألحاظك المرضى تحاربنى * كأنما كل لحظ فارس بطل
من دونها كثب من دونها احرس * من دونها قضب من دونها أسل
ومعشر لم تزل فى الحرب تبصرهم * حمر الخدود وما من شأنها الخجل
يثنى حديث الوغى اعطافهم طربا * كان ذكر المنايا بينهم غزل
من كل ذى طرة سوداء يلبسها * وشيبها من غبار النقع منتصل
ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما * ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدول

بين الطمع فيهما او الياس
و يرتجى من قائل ما فعل
وسائل ما حصل عاليا رأيه
ان شاء الله تعالى
(وله أيضا)
وصلت رقعتك أطال الله
بقاءك ومثلك فى تلك السفارة
مثل الفارة طفقت تقرض
الحديد فقيل لها ويحك ما
تصنعين بالناب ورأسه
والحديد وبأسه فقالت
أشهد ولكنى أجهد وان
تنج من تلك الاسباب فنجى
الذئاب بعقاذيرك لا معاذيرك
وبأومك ليس بلونك وبل
أمك جنينا ما أنفذ كيدك
على ضعفه واحد غربك
على سخفه انت ولا ذمة
والسلام
(وله الى الشيخ أبى نصر)
كتابى أطال الله بقاء الشيخ
وفرجى فى كريم يحضر
ذلك الجناب فيحسن
المتاب ولا أعدم ان شاء
الله بتلك الساحة الكريمة
من يتحلى بهذه الشيمة على
ان الطباع الى الذم أميل
والعقرب الى الشر أقرب
واللسان بالقدح اجرأ
منه بالمدح والحاسد يعمى
عن محاسن الصبح بعين
تدرك دقائق القبح
والهروى جسد كله حسد
وعقد كله حقد فلا
يجذب الخلق بضبعه عن
طبعه ولا يأخذ التكلف
بخلقه عن طرقه من اسفراين
صادرا عن سدة الامير
بسجستان الى حضرته

وطالعت تقطيف الجزار فاعجبني منه مخلص قصيد يمدح بها الامير جمال الدين موسى بن يغمور * مطلعها

نقمت لقلبي ما بجفنيك من كسر * وعلمت جسمي بالضنى رقة الخصر

ولم يزل الجزار يتقطف ما تشتهيه النفس من هذا النوع الى أن قال

وهيفاء تحكي الظبي جيدا ومقلة * رنت وانثنت فارتعت بالبيض والسمر
جسرت على انم الشقيق بخدها * ورشف رضاب لم أزل منه في سكر
واست أخاف السحر من لحظاتها * لاني بموسى قد أمنت من السحر

وما أحلى ما قال بعد تخلصه بموسى

فتى ان سطا فرعون فقر وجدته * يغرقه من جود كفيه في بحر
له باليد البيضاء أعظم آية * اذا اسودت الايام من نوب الدهر

ومن مخالص الشيخ جمال الدين بن نباتة التي هي أوقع في القلوب من خالص الوداد * وتوريتها أنفس من خلاصة العقود في الاجياد * قوله من قصيد يمدح بها قاضي القضاة تاج الدين السبكي مطلعها

واحيرتي بظلام الطرة الداجي * وشقوتي بنعيم الملمس العاجي

ولم يزل يكرر حلاوة هذا النبات الى أن قال

قد أسرج الحسن خديه فدونك ذا * سراج خد على الا كادوهاج
وألجم العزل فاركض في محبته * طرف الهوى بعد الجام واسراج
وقسم الشعر فاجعل في محاسنه * شذر القلائد واهد الدر للتاج

ومثله قوله من قصيد يمدح بها القاضي جمال الدين بن الشهاب محمود مطلعها

بأبي نافر كثير الدلال * ان هذا النفار شأن الغزال

ثم قال بعده

حبذا منه مقلة لست أدري * أبهدب تصول أم بنبال
صنفت شجونا بغزال جفن * فقرأنا مصنف الغزالي
وهو يناحل القوام فنادت * لاعجيب حلاوة العسال
من معيني على هوى زاد حتى * أهملته نصائح العذال
لو رأى عاذلي حقيقة أمري * لرثاني ولا أقول رثى لي
في جمال الحبيب مت شجونا * وبروحي افدي تراب الجمال

ومثله قول الشيخ برهان الدين القيراطي من قصيد يمدح بها الامير سيف الدين الكريمي مطلعها

غرامي فيك يا قمري غريمي * وذكرك في دجى ليلي نديمي

وقال بعده

وملي الجسم وصد عني * ومالي غير دمعي من حميم
وكم سأل العواذل عن حديثي * فقلت لهم على العهد القديم
وعم تساءلون ولي دموع * تخبرهم عن النبأ العظيم

ولم يزل القيراطي يحرر ابريز هذه المعاني الى أن قال

فوعده وناظره وجسمي * سقيم من سقيم في سقيم
كريم مال بخلا عن ودادي * فقلت لنحو مخدوم كريم

المخالص بالتورية على هذا النمط طريقها مخوف وباب مسلكها مقفل لاسيما على من كفه من هذا الفن صفر ورجله حافية وليس له محمل ومن مخالصي التي مارحت التورية في أبواب بيوتها خادمه وكم سلكت هذا الطريق المخوف وعادت الى بيوتها سالمه قولي من قصيد امتدح بها شرف الدين صدقة بن الشماع الشهير في دمشق بابن مسعود وكان من أعز الاصحاب وممن رشف معاني في ذلك العصر سلافة الآداب مطلعها

بيوشيخ منتهزا من لقاء الشيخ فرصة ان رزقتها فلله الحمد ولي البشرى من بعد وصلى الله على محمد وآله كنت أيد الله الشيخ أطارد الايام عن أملي فيه وتطاردني عن تلاقيه فكلما شاقني من الحرص شائق عاقني عنه من الدهر عائق وكثيرا ما سمعت بفضله فتنفست صعداء الخلي عن ورده المأخوذ به عن قصده وليس الا السكون والصبر أو الحرال والقبر فلما فرج الله بثاقب رأي الامير الجليل وقوة باعه الطويل وظهر وجه السبيل من ذلك القبيل آثرت التنحي عن سنن السيوف ريثما يقلع سحابها ويكف أصحابها فقصدت من حضرة الامير مربع الوفود ومطلع الجود فلما عزم العزم الميمون واصلت حضرته بالكتب واستأذنته في الوقوع الى هراة مع الجموع ولم يكن لي مراد من هراة الا الشيخ ولقاؤه وأرجو ان يصادف هذا الشوق قبولا ويرزق هذا الكتاب وصولا

(وله رقعة الى مستميح عاوده مرارا)

عافاك الله مثل الانسان في الاحسان مثل الاشجار في الاثمار سبيل من أتى بالحسنة ان يرفه

سهام جفنيك في الحشا رشقه * رفقا فمهجة الشجي درقه

و بكر هذه القافية أنا أبو عذرتها وأول من حصل له الفتح في تحريك نكتتها وقلت بعد المطلع منها

انفقت عمري وصحتي شغفا * عليك والصبر آخر النفقه

غصن خلاف يميس من خفر * قلوبنا في هواه متفقه

قوامه في اعتداله الف * سبحان من مده ومن مشقه

عيناي بالثغر مع ذوائبه * في أول الاصطباح مغتبقه

أمير حسن بقرطه ظهرت * له جنود لكن من الحلقه

عامر بيت الوصال خربه * وقال ما أنت هذه الطبقه

بدر منير قسا برؤيته * لكن نرى عند خده شفقه

قالوا لبدر التمام منه ضيا * قلت وعيش الهوى لقد محقه

وجل الصبح من محاسنه * أثقال نور لكنه فلقه

وماس في الروض كل غصن نقا * غدا الى الله رافعا ورقه

وانظر الى الظبي كيف يرمقه * ويأخذ الغنج منه بالسرقه

فقيل والظبي ما يقابله * فقلت والله ماله حدقه

قلت له ان جفن مقلته * يشبه سهما بحبه رشقه

خفت من القتل رحت أماقه * سابقني مدمعي جرى ملقه

ولم أزل ناشرا علم التورية الى أن وصلت الى المخلص بها فقلت

طرقت باب الحبيب والرقبا * علي من خيفة اللقا حنقه

قالوا فما تبتغي فقلت لهم * حتى تخلصت أبتغي صدقه

قولي حتى تخلصت لا يخفى ما فيه من زيادة الحسن على أهل النظر من أهل الادب ومثله قولي من قصيدة مصغرة مدحت بها قاضي القضاة شمس الدين النويري مطلعها

طريفي من لييلات الهجير * مقيريح الجفين من السهير

وقلت بعد المطلع

بعيد غزيلي وجو يرقلبي * دميعي في وجيناتي جويري

بديوي تريكي المحيا * غويب عن عويشقه الحضير

عبيسي اللحيظ له وجيه * ضوي نويره لبني بديري

حياء مقيلتيه سبا عقيلي * ولكن الحديد غدا جبيري

رويض وجينتيه له عنيدي * نسيب في النظيم الى زهير

مسيبل اشعير على كفيل * يذكرنا موجات البحير

بديري الظهير له نوير * مثيل شكيله ما في العصير

حويجبه القويس له سهيم * مريض في القليب بلا وتير

شفيفته قفيل من عقيق * مقيفل على درّ الثغير

عذيره النويرل دارحتي * تشوق للنزيل وللدوير

اثمت خديده فجرى دميعي * فما أحلى الزهير على النهير

دنيني الوجيه له بقلبي * نقيد ليس يصرف عن صديري

اتاه سويئلا يوما دميعي * فقال انا جعيدي الشعير

شهير وصيله عندي يويم * ويوم هجيره مثل اشهير

تبسم لي سحيرا عن رويض * فقلت ولي دميع كالمطير

الى السنة وأنا كاد كرت لا أملك عضوين من جسدي وهما فؤادي ويدي أما الفؤاد فيعلق بالوفود وأما اليد فتولع بالجود ولكن هذا الخلق النفيس لا يساعده الكيس وهذا الطبع الكريم ليس يحمله الغريم ولا قرابة بين الادب والذهب فلما جمعت بينهما والادب لا يمكن ثرده في قصعة ولا صرفه في ثمن سلعة ولي مع الادب نادرة جهدت في هذه الايام بالطباخ ان يطبخ من جيمية الشماخ لونا فلم يفعل وبالقصاب ان يسمع أدب الكتاب فلم يقبل واحتيج في البيت الى شئ من الزيت فانشدت شيأ من شعر الكميت ألفا ومائتي بيت فلم يغن ولو وقعت أرجوزة العجاج في توابل السكباج ما عدمتها عندي ولكن ليست تقع فما أصنع فان كنت تحسب احتلافنا الى افضالا على فراحتي أن لا تطرق ساحتي وفرجي ان لا تجي والسلام

(وكتب أبو القاسم الهمذاني اليه)

قد طبخت لسيدي حاجة ان قضاها وبلغ نضاها اذاق حلاوة العطاء وان أباها وقل شباها لقي مرارة الاستبطاء فاي الجودين

نثرت دمعتي بنظيم ثغر * فما أحلى النظيم مع النثير

لفيظك والمقبل مع نظمي * سحير في سحير في سحير

شعيرك مذ أضل عويشقيه * هدينا في الظلمة بالنوير

ولم أستطرد الى غالب أبيات هذه القصيدة الا لغرابة أسلوبها فانني لم أزل أجذب القلوب الى تحبيب تصغيرها * ومغازلة عيون أغزالها * الى أن أبدر بدر مخلصها في أفق توريته * ومثله قولي من قصيد كتبت بها من حماة المحروسة الى المقر المرحومي الاميني صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة

يا نزولا بحمى الفراديس بالشا * م وأعلامهم على قاسيونا

بالنسيم العليل منكم اذا هب على الغور والربا عللونا

وارحموا سائل الدموع و بالله عليكم لا تنهروا السائلينا

واذا ما نهرتم الدمع نهرا * لا تخوضوا فيه مع الخائضينا

حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا في بعادنا مسنونا

والحشا لم تخن عهود وفاكم * وسلوا من غدا عليها أمينا

ومثله قولي من قصيد كتبت بها من طرابلس المحروسة الى سيدنا قاضي القضاة تقي الدين ابن الحيثمي الحنفي بحماة المحروسة نور الله ضريحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه

فيا ساكني مغنى حماة نعمتم * صباحا ولو ألغيتم في الورى ذكرى

فودي وودي مثل ما تعهدونه * ولكن صبري عنكم عاد كالصبر

وقد كنت أخشى هجركم قبل بعدكم * فلما بعدتم قلت آها على الهجر

وان جلت في ميدان نظمي نشوقا * تسابقني حمر المدامع بالنثر

وشيعي همي كلما رام بعدكم * يحاربني ناديت يا لأبي بكر

قد تقدم وتقرر أن مخالص التورية صعب مسلكها على كثير من الناس ولم أبرز بدورها هنا كاملة الا ليزول عن الطالب ظلمة الالتباس وأنشدني من لفظه لنفسه الكريمة أحد أعيان العصر المقر الجدي فضل الله بن مكانس فسح الله في أجله مخلصا من غزل الى مديح نبوي وهو

كم حد السامعون وصفي * اعادة قينة وأغيد

فعدت عنه تقي وعودي * لمدح خير الانام أحمد

هذا المخلص حلاه المقر الجدي بشعار التورية وخفر المديح النبوي ومخلص الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

من كل معربة الالفاظ معجمة * يزينها مدح خير العرب والعجم

الشيخ صفي الدين تخلص في بيت واحد ووثب من شطره الاول الى شطره الثاني على الشرط المعروف وهذا المنوال قد تقرر انه عليه عقدت خناصر المتأخرين ولكن الشيخ صفي الدين وثب وثبة ضعيفة دلت على ضعف تخلصه فان بيته بمفرده غير صالح للتجريد وقد تقدم القول على بيت القسم من قصيده انه غير صالح للتجريد أيضا فانه لم يأت بجواب قسمه الا في بيت الاستعارة وعلى كل تقدير ان لم يؤت ببيت القسم و بيت الاستعارة قبل بيت التخلص لم يحصل به فائدة ولا يصير على مخلصه طلاوة الادب ويصير بينه وبين الاذواق السليمة مباينة وقد تعين ان أورد بيت القسم و بيت الاستعارة هنا ليصير المخلص الضعيف متكئا بين وهما

لا اقتفتني المعالي بابن بجدتها * يوم الفخار ولا بر التقى قسمي

ان لم أحث مطايا العزم مثقلة * من القوافي تؤم المجد عن أمم

من كل معربة الالفاظ معجمة * يزينها مدح خير العرب والعجم

اخف عليه جوده بالعلق أم جوده بالعرض ونزوله عن الطريف أم عن الخلق الشريف (فاجابه) جعلت فداك هذا طبيخ كله توبيخ وثريد كله وعيد ولقم الا انها نقم ولم أر قدرا أكثر منها عظما ولا آكلا أكبر مني عظما ولم أر شربة أمر منها طعما ولا شاربا أتم مني حلما ما هذه الحاجة ولكن حاجاتك من بعد ألين جوانب والطف مطالب نوافق قضاها ونرافق ارتضاها

(وله الى الشيخ أبي نصر) كتابي أطال الله بقاء الشيخ وقد أغنت الحال بحمد الله عن التعريف ووجدت ضالتي من رأيه الشريف واسترق الشيخ مولاه بالذي اولاه واغنتني يد اللقاء عن النظرة الحمقاء والله ما سلكت موضع لقياه الا سألت الله سقياه والحر سريع الطفرة الا انه قصير السفرة ومثل الصفو مثل المحو وهذا بعد الكدر وهذا عقب المطر ولا خير في الخلتين دون القلتين يشوبهما كل خبث ويجسهما أدنى حدث وكذا المجد لا ينفك عن الجد بحر الحديد ولا ينشد على المسود بالجبال السود والشيخ لو هرب من مكرمة لتبعته ولو طرحها العلقه ولو لم يأتها

وابن الشيخ صفي الدين الحلي من قول كمال الدين بن نبيه وقد تقدم

يا طالب الرزق ان سدت مذاهبه * قل يا أبا الفتح يا موسى وقد فتحت

هذا التخلص لحسن تجريده يستغني به عن قصيده وقد تقرر ان نظام البديعيات التزموا أن يكون كل بيت منها شاهدا على نوعه بمجرده ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده وتخلص العميان مثل تخلص الشيخ صفي الدين الحلي أيضا فانه غير صالح للتجريد وما تتم به الفائدة ان لم يأت ناظمه بما قبله وعلى مذهب أصحاب البديعيات ما يصلح أن يكون شاهدا وهو

عم بنا البحران الركب في ظما * فقلت سيروا فهذا البحر عن أمم

وقد تقدم قولي ان العميان أتوا في براعة الاستهلال بصريح المدح وهو قولهم فيها

بطيبة انزل ويمم سيد الامم * وانشر له المدح وانثر طيب الكلم

فاذا حصل التصريح بالمدح في المطلع الذي هو براعة الاستهلال لم يبق لحسن التخلص موقع فان حسن التخلص من شرطه أن يتخلص الشاعر من الغزل الى المديح لا من المديح الى المديح وأيضا فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له في التخلص ذكر ولكنه استغنى بذكر البحر فانه جعله كناية عن كرم النبي صلى الله عليه وسلم وتخلص الشيخ عز الدين في بديعيته

حسن التخلص من ذنبي العظيم غدا * بمدح أكرم خلق الله كلهم

الشيخ عز الدين صرح بذكر حسن التخلص في أول البيت هنا وجل القصد ان يكون التصريح به في الشطر الثاني مع انه لم يأت بحسن التخلص على الشروط المقررة فانه انتقل من معنى الى معنى آخر من غير تعلق بينهما كأنه استبدأ كلاما آخر وقد تقدم القول في أول الباب ان هذا النوع اذا نسج على هذا المنوال سمي اقتضابا ولم يكن له حظ في حسن التخلص فان الشيخ عز الدين قال قبل تخلصه

وارع النظير من القوم الاولى سلفوا * من الشباب ومن طفل ومن هرم

ثم قال بعده

حسن التخلص من ذنبي العظيم غدا * بمدح أكرم خلق الله كلهم

الشيخ عز الدين استبدأ هنا كلاما آخر وليس بين بيت التخلص وبين ما قبله علاقة ولا أدنى مناسبة *وبيت بديعيتي

ومن غدا قسمه التشبيب في غزل * حسن التخلص بالمختار من قسمي

هذا البيت ما يشك متأدب انه أعمر بيوت البديعيات وهو في غنية عن الاطناب في وصفه

(ذكر الاطراد)

(محمد بن الذبيحين الامين أبو البتول خير نبي في اطرادهم)

الاطراد في اللغة مصدر اطرد الماء وغيره اذا جرى من غير توقف وفي الاصطلاح أن يذكر الشاعر اسم الممدوح واسم من أمكنه من آبائه في بيت واحد على الترتيب ولا تخرج عن طرق السهولة ومتى تكلف أو تعسف في بناء بيته لم يعد اطرادا فان المقصود من هذا النوع أن يكون كلام الناظم في سهولة جريانه واطراده كجريان الماء في اطراده فمتى جاء كذلك دل على قوة الشاعر وتمكنه وحسن تصرفه وقد تقدم القول ان الشيخ صفي الدين ما نظم بديعيته حتى جمع عنده سبعين كتابا في هذا الفن يجتني من أوراقها كل ثمرة شهية ورأيته في شرح بديعيته قد أورد لهذا المعنى حدا فيه زيادة على الجماعة فانهم لم يزيدوا على اسم الممدوح واسم من أمكن من آبائه شيأ والشيخ صفي الدين نقل في شرح بديعيته أن الاطراد عبارة عن اسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة به واسم من أمكن من أبيه وجده وقبيلته ليزداد الممدوح تعريفا وشرط ان يكون ذلك في بيت واحد من غير تعسف ولا تكلف ولا انقطاع بألفاظ أجنبية وأورد على ذلك قول بعضهم

مؤيد الدين أبو جعفر * محمد بن العلقمي الوزير

هذا البيت جمع ناظمه فيه بين اللقب والكنية واسم الممدوح واسم أبيه والصفة اللائقة به وهو

مختار الائمة اخبارا والحمد لله وحده ولم أر كالشيخ بعد سماع وقرب عيان وعنف بذاء ولطف لقاء ولا مثلي أسيرا في يده يطويه بلسانه وينشره باحسانه وعهدي بملوك الارض نظارة اذا حضرت وبالسنة الفضل ساكتة اذا نطقت وأكثرها في الفضل ان الشيخ لا يجمعه في القياس مع الناس كالشمس لا يجريها في العموم مجرى النجوم مالي أنسى العرصة أو لغير هذا أجدت القلم كيف رأى الشيخ صنع الله لحزبه وبأس الله في حربه ألم يجد الفريقان ما وعدهما ربهما حقا بلى والله أعلى كلمة والحق أحسن خاتمة والدين أثبت قائمة والعدل اجدر ان يدوم وأولى ان لا يزال ولا يزول وجرح الجور قريب الغور ونار الخلفاء سريعة الانطفاء والشيطان أضعف جندا والسلطان أعلى يدا وعمل النصل بحسب الاصل وحق لسهم توردة يد الشيخ وتصدره قوس النصرة ونزع القدرة أن يصيب سواء الثغرة

وكانوا كالسهام فان أصابت * مراميها فراميها أصابا

قرن الله هذا الملك بالدوام وهذا الفتح بالتمام وبعد فما أشوقني الى خدمة تلك الحضرة بعد تلك النصرة

القدر الذى قرره الشيخ صفى الدين فى الحد الذى أورده فى شرحه وعلى هذا المنوال نسجت بيت بديعيتى لاجل المعارضة * ومثله قول بعض المتأخرين فى زكى الدين بن أبى الاصبع

عبد العظيم الزكى ابن أبى الاصبع رب القريض والخطب

هذا البيت اشتمل أيضا على اسم الممدوح واسم أبيه والصفة اللائقة به وهو صالح لمجرد المدح ولكن عقبه الناظم بأبيات مشتملة على صريح الهجو كان الاوجب عدم ايرادها هنا حفظا لمقام الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع ولكن جراءة ظرفها ركبت صهوة القلم وأطلقت عنانه فانه قال بعده

يزعم انى بالهجو أذكره * تعصبا منه ساعة الغضب

لكننى والطلاق يلزمنى * ماملت فيه يوما الى الكذب

نكت ابنه وأخته وخالته * ونكت قدما أخاه وهو صبى

ولست فيما أتيت مبتدعا * قد كان هذا فى سالف الحقب

نالت أبى أمه وجدته * وعمتيه لله در أبى

ونحن فى بيته على دعة * النيك ما بيننا الى الركب

واما شواهد هذا النوع المشتمل على اسم الممدوح واسم أبيه وجده من غير كنية ولقب وصفة فمنها قول الشاعر من يكن رام حاجة بعدت عنه وأعيت عليه كل العياء

فلها أحمد المرجى بن يحيى بن معاذ بن مسلم بن رجاء

قال الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع لقد أربى هذا الشاعر فى هذا النوع على من تقدمه ولو سلم بيته من الفصل بلفظة المرجى لكان غاية لا تدرك وعقيلة لا تملك انتهى كلام الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع * وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

محمد المصطفى الهادى النبى أجل المرسلين ابن عبد الله ذى الكرم

الشيخ صفى الدين أتى فى هذا البيت باسم الممدوح صلى الله عليه وسلم والصفات اللائقة به واسم أبيه وبيت العميان فى بديعيتهم

قد أورث الجد عبد الله شيبة عن * عمرو بن عبد مناف عن قصيهم

الذى أقوله ان بيت العميان فى غاية التكلف والتعسف * ولعمرى ان ناظمه خالف أمر مشايخ البديع فى المشى على طريق السهولة والانسجام وأيضا فان النبى صلى الله عليه وسلم هو الممدوح فى هذه القصيدة بكمالها وليس له ذكر فى هذا البيت فعلى هذا التقدير هو غير صالح للتجريد مع مافيه من المعاقدة * وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

محمد بن عبد الله شيبة جده ابن عمرو كرام فى اطرادهم

أقول ان بيت العميان فى غاية السهولة عند هذا البيت وهذا القدر لايليق من اطلاق اللسان انفلم فى الكلام عليه * وبيت بديعيتى

محمد بن الذبيحين الامين أبو البتول خير نبى فى اطرادهم

هذا البيت أيضا فيه اسم الممدوح صلى الله عليه وسلم وذكر أبيه وهو أحد الذبيحين لان أباه عبد المطلب كان قد نذر ذبح أحد أولاده اذا صار واعشرة فلما كملت له العشرة أقرع بينهم فوقعت على عبد الله ففداه بمائة من الابل وهو أول من ودى بذلك وكانت الدية قبل ذلك عشرا وفى البيت اشارة الى جده اسمعيل عليه السلام وتفسير هذا الاسم مطيع الله الذبيح وقال صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين وفيه الصفة المعدودة من أسمائه الشريفة والصفة اللائقة بمقامه العالى واسم النوع البديعى فى القافية مورى به من جنس المديح * والذى يظهر لى أنه أرق من بيت العميان وبيت الشيخ عز الدين وأكثر معانى من بيت الشيخ صفى الدين والله أعلم

وأخوفنى ان لا اصادف وسادا ممتدا ومحلا سنيا واسرعنى اليها ان امنت هذه الواحدة وللشيخ فى الاجابة عالى رأيه ان شاء الله تعالى

(وله اليه أيضا)

كأنى اطال الله بقاء الشيخ من ساهنيان وانا امرج فى المروج مع العلوج بين الصنان والبخر ولبس العيان كالخبر عن سلامة فى كنف جمعة البوشنجى ويحيى الزنجى ومبارك الزنجى ويحيى الخارجى رزيقا ولبقا وحسن أولئك رفيقا مثلى أبدالله الشيخ مثل رجل صام حولا فلما أفطر شرب بولا تصونت عن اعمال السلطان وقد عرضت على أمهاتها واضطرتنى الحال الى خلافة فلان وقد وردت منه على كريم لا يمكننى سعة أخلاقه من شدة خناقه ولا يحتمل حالى اغفال مالى فهل الحيلة الا معاونته على تدارك أمره وقد كان وجه لدينى وجوها فسبقنى اليها صاحب التسبيب وطعمة الاسد تخمة الذيب لاجرم أنى استخرجت ما استوفاه من عرض قفاه بعد أن اخذت الحجة عليه فقال لا اسمع لك من هؤلاء الاكرة وما يؤدونه بدرهم فادونه وحقا أن المغبون

(ذكر العكس)

(عين الكمال كمال العين رؤيته * ياعكس طرف من الكفار عنه عمى)

العكس فى اللغة رد آخر الشئ على أوله و يقال له التبديل وفى الاصطلاح تقديم لفظ من الكلام ثم تأخيره و يقع على وجوه كثيرة ولكن المراد هنا ما استعمل منها وكثر استعماله فالمقدم فى هذا الباب قوله تعالى تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى العكس هنا ممتاز بعلو طباقه و بشرف القدرة الالهية التى لا تصدر الا عن عظمة الخالق جلت قدرته و بلاغة القرآن وايجازه وفصاحته وعلى كل تقدير فالعكس نوع رخيص بالنسبة الى مافوقه من أنواع البديع الغالية وان لم يصوب البليغ عكسه بنكتة بديعية تنظمه فى سلك أنواع البديع فهو مستمر على عكسه * كقول القائل

زعموا أنى خؤن فى الهوى * فى الهوى أنى خؤن زعموا

هذا البيت ليس فيه نكتة تزيل عنه العكس وتحليه بشعار البديع ولو أراد الشاعر أن يرتجل مثله ماشاء فى مجلس واحد لكان ذلك قدرا يسيرا وأين هذا الناظم من أبى تمام وقد قال له بعض حساده لم لا يقول مايفهم فقال له على الفور لم لا تفهم مايقال * وأين هو من قول الحكيم الذى قيل له لم تمنع من يسألك فقال لئلا أسأل من يمنعنى * وأين هو من كلام الحكيم الذى قال اذلم يكن ماتريد فأرد مايكون وقيل انه ورد فى الحديث جار الدار أحق بدار الجار * وما أبلغ قول الحسن بن سهل هنا وقد قيل له * لاخير فى السرف فقال لا سرف فى الخير * و يروى لامير المؤمنين هرون الرشيد من النظم فى هذا الباب

لسانى كتوم لاسرارهم * ودمعى بسرى نموم مذيع

فلولا دموعى كتمت الهوى * ولولا الهوى لم يكن لى دموع

و بديع هنا قول الصاحب ابن عباد وقد بالغ فى وصف الزجاج والشراب وهو

رق الزجاج وراقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر

فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

ومثله

ألست ترى أطباق ورد وحولها * من النرجس الغض الطرى قدود

فتلك خدود ماعليهن أعين * وتلك عيون مالهن خدود

و يعجبنى الى الغاية فى هذا الباب قول الاضبط الشاعر

قد يجمع المال غير آكله * و يأكل المال غير من جمعه

و يقطع الثوب غير لابسه * و يلبس الثوب غير من قطعه

ومثله فى الحكمة قول ابن نباتة السعدى

الا فاخش ما يرجى وجدك هابط * ولا ترج ما يخشى وجدك رافع

فلا نافع الا مع النحس ضائر * ولا ضائر الا مع السعد نافع

ومن حكم أبى الطيب المتنبى قوله فى هذا الباب

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

ومثله فى الحسن والبلاغة قوله

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر دونها الاعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

واستشهدوا على نوع الطباق بقول الشاعر

رمى الحدثان نسوة آل حرب * بمقدار سمدن له سمودا

فرد

(ذكر العكس)

من لم يعرف الزبون والمردود من لم يعرف المقصود واذا لم يكن صيرفى الرجال أحذق من صيرفى المال بات محذوف السبال وأصبح موجع القذال وقد خرج الى الشيخ متظلما ولا اقنع حتى يكتب فى ظهره جواب كتابى بقلم اسمه السوط فان قصر أو أخر فعدد الرمل عربدة وعدد النمل موجدة وهذا الحرقد اراني وجها للمال ولكنه اشعث أغبر وعينا للدين ولكنه احول أعور قد كان وكيلى استوثق منه باحالة أكدها بقبالة على زعيم الناحية وسألت عنه فقيل متوار فاستنزلته بفضل خداع وسألته عن سبب تواريه فذكر ان الجراح بن محمد قصد أيام ولايته قصد نكايته وخاف الآن من سعايته فسكنت نفرته فان بذل له الشيخ كتاب أمان وبذات له عهد ضمان حضر البساط الرفيع ثم لم يسأل العفو عن جرم اذا صح ولا المسامحة بدرهم اذا وجب فان لم يفعل الشيخ ذلك ابتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فالسلطان يعذره السليم كما يعذره السقيم لا سيما الشيخ و بطشه العظيم نعم أيد الله الشيخ ظفرت برجل كان

فردّ شعورهن السود بيضا * وردّ وجوههن البيض سودا

والعكس هنا أحق من المطابقة وأولى لما فيه من عكس مطابقة عجزه لصدره وتبديل الطباق في العجز والصدر ومن الذي يستظرف هنا الى الغاية قول الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماة

أفنيت عمري في دهر مكاسبه * نطيع أهواء نافيها وتعصينا

تسعا وعشرين مدّ الهم شقتها * حتى توهمتها عشرا وتسعينا

وتلطف الشيخ جمال الدين بن نباتة بقوله هنا

مسئلة الدور غدت * بيني وبين من أحب

لولا مشيبي ما جفت * لولا جفاها لم أشب

انظر ما أليق ما حصر الشيخ جمال الدين مسئلة الدور في هذا النوع مع قصر البحر * ويعجبني أيضا قول الشيخ علاء الدين علي بن مقاتل الحموي في مطلع من مطالع أزجاله وهو

حبي تودني الوصال * وعوايد وقطع

وامتنع لما حلي * وحلا لما امتنع

وأنشدني من لفظه لنفسه الكريمة قاضي القضاة عماد الدين أخو شيخي قاضي القضاة علاء الدين ابن القضامي تغمدهما الله برحمته ورضوانه مطلعا يناظر مطلع ابن مقاتل بحسنه في هذا الباب وهو

قلت يوما لمن هويت * فيه اعدل عملك

قال بجوري ترتضي * والا اعمل عدلك

وزاد الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع هذا النوع أعني عكس الالفاظ صنفا معنويا وهو ان يأتي الشاعر الى معنى لنفسه أو لغيره فيعكسه فمثال ما عكس الشاعر من المعاني لغيره قال الاول

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

قال الثاني الذي عكس الاول

وربما فات بعض الناس أمرهم * مع التأني وكان الحزم لو عجلوا

وقد تقدم قول الناس في المثل السائر * ما في السويدا رجال فعكست هذا المعنى على أصحابه وقلت

في سويدا مقلة الحب نادى * جفنه وهو يقنص الاسد صيدا

لا تقولوا ما في السويدا رجال * فانا اليوم من رجال السويدا

ومن القسم الثاني وهو عكس الشاعر معنى نفسه قول بعضهم

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

ومثله قول الشاعر وتلطف ما شاء

ها قد غدا من ثياب الشعر في كفن * وقد تعفت معاني وجهه الحسن

وكان يعرض عني حين أبصره * فصرت أعرض عنه حين يبصرني

وأظرف منه قول الشيخ جمال الدين ابن نباتة

وصديق قوي يدي بنوال * وأراه من بعد طاول وهني

كان مثل البستان آخذ منه * صار مثل الحمام يأخذ مني

انتهى ما أوردته في هذا الباب من عكس الالفاظ والمعاني وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته شاهد في هذا الباب على عكس الالفاظ وهو قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم

أبدى العجائب فالاعمى بنفثته * غدا بصيرا وفي الحرب البصير عمي

الشيخ صفي الدين أتى في هذا الباب بالغرض من نظم النوع المذكور ولكن لم يخل بيته من بعض عقادة هذا مع عدم تكلفه بتسمية النوع على الشرط المقرر وبيت العميان

ضالتي منذ سنين ولي في جنبه مال عظيم لكنه أراني توقيعا للشيخ في كتاب سلطاني بأن لا يتعرض له متعرض ووجدت الامر على العموم وردت النفس على مكروهها فلما عرض على الكتاب سجدت لعنوانه ثم لعنوانه ثم لموضع بنانه من عالي توقيعه ثم لجميعه ورجعت من المطلوب بيد خالية وأخرى كالية واحتسبت عند الله تلك السنين والله لا يضيع أجر المحسنين

(وله اليه أيضا)

وصلت رقعتك يا سيدي والمصاب لعمر الله كبير وأنت بالجزع جدير ولكنك بالصبر أجدر والعزاء عن الاعزة رشد كانه الغي وقد مات الميت فليحي الحي واشدد على مالك بالخمس وأنت اليوم غيرك بالامس قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وكيلك يضحك ويبكي لك وقد مولك بالف بين سراه وسيره وخلفك فقيرا الى الله غنيا عن غيره وسيجم الشيطان عودك فان استلانه رماك بقوم يقولون خير المال متلفة بين الشراب والشباب ومنفقة بين الاحباب والحباب والعيش بين الاقداح والقداح ولولا الاستعمال لما اريد المال

فاتبع رجال السرى فى البيد وامرله * سرى الرجال ذوى الالباب بالهمم

بيت العميان لم يخلص من العكس هنا اذليس فيه نكتة تم له مع البديع شملا وليس فيه غير رجال السرى وسرى الرجال وبيت الشيخ عزالدين الموصلى فى بديعيته

خير المقال مقال الخير فاضح ودع * عكس الصواب مع التبديل تستقم

الشيخ عزالدين أتى فى هذا النوع بالمقصود من نظم النوع البديعى وتسميته على الشرط المقرر ولكنه أجنبى من مديح النبى صلى الله عليه وسلم وليس له أدنى تعلق ببيت المديح الذى قبله وهو

تمت محاسنه والله كمله * فقدره فى الورى فى غاية العظم

وأعجب من هذا أنه قال بعد هذا البيت عن النبى صلى الله عليه وسلم

له الجميل من الرب الجميل على الـ * ـوجه الجميل بترديد من النعم

وغالب مديحه النبوى فى هذه القصيدة على هذا النمط فانها ما انسجمت معه الا فى مواضع قليلة والظاهر ان ثقل تسمية النوع على الشرط المعلوم كلما أثقل كاهله فرالى جهة يستند الى ركنها وبيت العميان كاد أن يكون أجنبيا من المديح ولكن اتكلوا على عود الضمير على الممدوح وهو النبى صلى الله عليه وسلم وبيت بديعيتى وهو قولى عن النبى صلى الله عليه وسلم

عين الكمال كمال العين رؤيته * يا عكس طرف من الكفار عنه عمى

أقول انه فى سهولته وانسجامه وحسن تركيبه وبديع تسميته وتمكين قافيته بيت عامر بالمحاسن والله أعلم *(ذكر الترديد)*

(أبدى البديع له الوصف البديع وفى * نظم البديع حلا ترديده بفمى)

الترديد هو ان يعلق الشاعر لفظة فى بيت واحد ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر كقوله تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون واستشهدوا على هذا النوع من النظم بقول أبى نواس

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء

والذى أقوله ان الترديد والتكرار ليس تحتهما كبير أمر ولا بينهما وبين أنواع البديع قرب ولا نسبة لانحطاط قدرهما عن ذلك ولولا المعارضة ما تعرضت لهما فى بديعيتى ولكن ذكر زكى الدين ابن أبى الاصبع بينهما فرقا فيه بعض اشراق وهو ان اللفظة التى تكرر فى البيت ولا تفيد معنى زائدا بل الثانية عين الاولى هى التكرار واللفظة التى يرددها الناظم فى بيته تفيد معنى غير معنى الاولى هى الترديد وعلى هذا التقدير صار للترديد بعض مزية يتميز بها على التكرار ويتحلى بشعارها وعلى هذا الطريق نظم أصحاب البديعيات هذا النوع أعنى الترديد فبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

له السلام من الله السلام وفى * دار السلام تراه شافع الامم

لفظة السلام متعلقة فى كل موضع غير الآخر لاشتراكها والعميان لم ينظموا هذا النوع وبيت الشيخ عزالدين له الجميل من الرب الجميل على الـ * ـوجه الجميل بترديد من النعم

وبيت بديعيتى أبدى البديع له الوصف البديع وفى * نظم البديع حلا ترديده بفمى

أقول ان حلاوة الترديد بالفم أحلى من قول الشيخ عزالدين بترديد من النعم وأحسن موقعا لكونها فى القافية والله أعلم *(ذكر التكرار)*

(كررت مدحى حلا فى الزائد الكرم ابـ * ـن الزائد الكرم ابن الزائد الكرم)

المديح للكريم مليح هنا وقد تقدم قولى ان التكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو الانكار أو التوبيخ

فان أطعتهم فاليوم فى الشراب وغدا فى الخراب واليوم واطربا للكاس وغدا واحربا من الافلاس يا مولاى ذلك الخارج من العود يسميه الجاهل نقرا ويسميه العاقل فقرا وذلك المسموع من الناى هو فى الآذان زمر وفى الابواب سمروان لم يجد الشيطان مغمزا فى عودك من هذا الوجه رماك بآخرين يمثلون الفقر حذاء عينك فجاهد قلبك لئو تحاسب بطنك وتناقش غيرك وتمنع نفسك وتبوء فى دنياك بوزرك وتراه فى الآخرة فى ميزان غيرك لا ولكن قصدا بين الطريقين وميلا عن الفريقين لا منع ولا اسراف والبخل فقر حاضر وضير عاجل وانما يبخل المرء خيفة ما هو فيه فلله فى مالك قسط وللمروأة قسم فصل الرحم ما استطعت وقدر اذا قطعت وان تكون الى جانب التقدير خير لك من أن تكون الى جانب التبذير

(وله الى القاضى أبى نصر ابن سهل)

ما للقاضى أعزه الله يلقانى بوجه كانه الزقوم ويرانى فلا يقوم أنا أسأله ان يقتدى بغيره لا بأيره

أوالاستبعاد أوالغرض من الاغراض * فأماماجاءمنه للذم فكقول مهلهل بن ربيعة أخي كليب

يالبكرأنشروالى كليبا * يالبكرأين أين الفرار

وأماماجاءمنه للمدح فكقول كثير في عمر بن عبد العزيز

فاربح بهامن صفقة لمبايع * وأعظم بهاواعظم بهاثم أعظم

وكقول أبي تمام بالصريح الصريح والاروع الار * وع منهم وبالالباب اللباب

وأماماجاءمنه للتهويل فكقوله تعالى القارعة ماالقارعة وماأدراك ماالقارعة * وكقوله الحاقة ماالحاقة وأماماجاءمنه للانكار والتوبيخ فهو تكرارقوله تعالى في سورة الرحمن فبأي آلاء ربكما تكذبان * فان الرحمن جل جلاله ماعدد آلاءه هنا الاليبكت بهامن أنكرها على سبيل التقريع والتوبيخ كمايبكت منكرأيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها له * وأماماجاء منه للاستبعاد فكقوله تعالى هيهات هيهات لماتوعدون * وأماماجاءمنه في النسيب وهو في غاية اللطف فقول بعضهم يقلن وقدقيل اني هجعت * عسى أن يلم بروحي الخيال

حقيق حقيق وجدت السلو * فقلت لهن محال محال

وألطف منه قول القاضي

ماذاتقول اللواحي ضل سعيهم * وماتقول الاعادي زادمعناه

هل غيرأني أهواه وقدصدقوا * نعم نعم أنا أهواه وأهواه

وما أحلى ماقال بعده

حسب البرية أجرافضل رؤيته * فمارؤي قط الاسبح الله

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

الطاهرالشيم ابن الطاهرالشيم ابـ * ـن الطاهرالشيم ابن الطاهرالشيم

والعميان مانظمواهذا النوع في بديعيتهم * وبيت الشيخ عزالدين الموصلي في بديعيته

تكرارمدحي هدى في الشامل النعم ابـ * ـن الشامل النعم ابن الشامل النعم

وبيت بديعيتي كررت مدحي حلا في الزائد الكرم ابـ * ـن الزائد الكرم ابن الزائد الكرم

كادبيت الشيخ صفي الدين وبيت الشيخ عزالدين وبيت بديعيتي ان تكون بيتاواحدالمناسبة التركيب وان كان بيت الشيخ صفي الدين ميزابزيادة واحدة في التكرارفقدجاءموضعهاالتورية في تسمية النوع كماقيل * وأين الثريامن يد المتناول * والذي يظهرأن مكرربيتي حلاوته ظاهرة على بيت الشيخ عزالدين فان مكرره ناقص الحلاوة والله تعالى أعلم

(ذكرالمذهب الكلامي)

(ومذهبي في كلامي أن بعثته * لولم تكن ماتميزناعلى الامم)

المذهب الكلامي نوع كبيرنسبت تسميته الى الجاحظ وهو في الاصطلاح أن يأتي البليغ على صحة دعواه وابطال دعوى خصمه بحجة قاطعة عقلية تصح نسبتها الى علم الكلام اذعلم الكلام عبارة عن اثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة وقيل ان ابن المعتز قال لا أعلم ذلك في القرآن أعني المذهب الكلامي وليس عدم علمه مانعا علم غيره ولم يستشهدعلى المذهب الكلامي باعظم من شواهد القرآن وأوضح الادلة في شواهد هذا النوع وأبلغها قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الاالله لفسدتا * هذادليل قاطع على وحدانيته جل جلاله وتمام الدليل أن تقول لكنهمالم تفسدافليس فيهما آلهة غيرالله * ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لوتعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وتمام الدليل ان يقال لكنكم ضحكتم كثيراوبكيتم قليلافلم تعلمواماأعلم فهذان قياسان شرطيان من كلام الله وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام ومثله قول مالك بن المرحل الاندلسي

ألست لقيامه أهلا لعن الله أكثرناجهلا وأقلنا فضلا واخسنا أصلا تلك القلنسوة ليست باول قلانس الحكام وتلك الشيبة ليست باول شيبة في الاسلام نحن نحرأني خير من تلك القلنسوة ونصفع خيرا من تلك القمحدوة فليحسن العشرة معي من بعد واست من رعيته وليجمل الصحبة من ظاهره ان لم يجملها من نيته أوفليفعل ماشاء فام اشقشقة هدرت والجميل أجمل والسلام

(وله الى الدهعدانى)

المودة أيدالله الدهعداني غيب وهوآية في مكان من الصدرلا ينفذه بصرولا يدركه نظرولكنها تعرف ضرورة وان لم تظهرصورة ويدركها الناس وان لم تدركها الحواس ويستملي المرء صحيفتها من صدره ويعرف حال غيره من نفسه ويعلم أنهاحب وراء القلب وقلب وراء الخلب وخلب وراء العظم وعظم وراء اللحم ولحم وراء الجلد وجلد وراء البرد وبرد وراء البعد ولوكانت هذه المحبة قواريرلم ينفذها نظر الغير فيستدل عليها بغيرهذه الحاسة والدهعداني يعتب علي اني نسيت الحال بدليل اني لاأنفذ

لو يكون الحب وصلا كله * لم تكن غايته الا الملل
أو يكون الحب هجرا كله * لم تكن غايته الا الاجل
انما الوصل كمثل الماء لا * يستطاب الماء الا بالعلل

فالبيتان الاولان قياس شرطي والثالث قياس فقهي فانه قاس الوصل على الماء فكما أن الماء لا يستطاب الا بعد العطش فالوصل مثله لا يستطاب الا بعد حرارة الهجر وأما الاقيسة الحملية فقد استنبطوها على صور منها ما يروى ان أبا دلف قصده شاعر تميمي فقال له ممن أنت فقال من تميم فقال أبو دلف تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا * ولو سلكت سبل الهداية ضلت

فقال له التميمي نعم بتلك الهداية جئت اليك فافحمه بدليل جلي الزمه فيه أن المجيء اليه ضلال ولعمري ان القياس الشرطي أوضح دلالة في هذا الباب من غيره وأعذب في الذوق واسهل في التركيب فانه جملة واقعة بعد لو وجوابها وهذه الجملة على اصطلاحهم مقدمة شرطية متصلة يستدل بها على ما تقدم من الحكم وعلى هذه الطريقة نظمت بيت البديعية وكذلك العميان ويأتي ذلك في موضعه فبيت بديعية الشيخ صفي الدين الحلي

كم بين من اقسم الله العلي به * وبين من جاء باسم الله في القسم

بيت الشيخ صفي الدين الحلي ليس لنور المذهب الكلامي فيه اشراق ولكنه ملحق بالاقيسة الحلية * وبيت العميان قد تقدم انه من الاقيسة الشرطية وهو قولهم في مديح النبي صلى الله عليه وسلم

ولو لم تحط كفه بالبحر ما شملت * كل الانام وأروت قلب كل ظمي

جملة هذا البيت هي الجملة الواقعة بعد لو وجوابها فانهم استدلوا بها على ما تقدم من الحكم * وهو ان كفه صلى الله عليه وسلم محيط بالبحر وبيان صحة ذلك انها بلغت ان تشمل كل الانام وتعمهم بالري وهذا دليل واضح على انها محيطة بالبحر وقد تعين ان أقدم بيت بديعيتي هنا على بيت الشيخ عز الدين وافرط صحة الترتيب لوجهين أحدهما ان بيتي وبيت العميان اقترا بصحة هذا النوع في مطلع واحد وهو القياس الشرطي والثاني ان الشيخ عز الدين لم يتمسك في المذهب الكلامي الا بالقول الضعيف وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ومذهبي في كلامي ان بعثته * لو لم تكن ما تميزنا على الامم

دليل هذا القياس الشرطي في بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وان هذه الامة تميزت بها على سائر الامم أوضح من النهار الذي لم يحتج عند ظهوره الى اقامة دليل وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله

بمذهب من كلام الله ينسخ شر * ع الاولين ببشرى من كلامهم

كأن الشيخ عز الدين غفر الله له يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه بمذهب من كلام الله أي القرآن ينسخ شرع الاولين وكأنه جعل حجته القاطعة في المذهب الكلامي والله أعلم قوله ببشرى من كلامهم أي من كلام الاولين ولم أر في هذا البيت للمذهب كلاما ولا لكلام مذهبا غير ما ذكرته وفوق كل ذي علم عليم

(ذكر المناسبة)

(فعلمه وافر والزهد ناسبه * وحلمه ظاهر عن كل مجترم)

المناسبة على ضربين مناسبة في المعاني ومناسبة في الالفاظ والمعنوية هي ان يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ وهذا النوع أعني المناسبة المعنوية كثير في الكتاب العزيز فمنه قوله تعالى أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم أفلا يبصرون فانظر الى قوله سبحانه وتعالى في صدر الآية التي هي للموعظة أولم يهد لهم ولم يقل

و والله لو التبست به التباسا يجعل رأسينا راسا ما زدته ودا ولو حال بيني وبينه سور الاعراف ما نقصته حبا وقد والله اختلفت على مواضعه حتى ظننت القضاء يكاد وأردت زيارته بالامس ثم وقع من الاضطراب ما ثنى العزم فان نشط في هذه الليلة عرفني مستقره لاحضره ان شاء الله

(وله اليه أيضا)

غضب العاشق أقصر عمرا من أن ينتظر عذرا وان كان في الظاهر مهابة سيف انه في الباطل سحابة صيف وقد رابني اعراضه صفحا أخذا قصدا أم مزحا ولو التبس القلبان حق التباسهما ما وجد الشيطان مساغا بينهما ولا والله لا أرفث ودا تجد منه بدا ان كنت الجد قصدت وان محبة تحتمل شكا لاجدر محبة ان لا تشترى بحبة وان كان مزاحا ما قصد فما أغنانا عن مزح يحل عقد الفؤاد حتى يقف على المراد ولا يسعنا الا العافية والسلام

(وله أيضا)

كم لله من عبد اذا جاع حبر الاسجاع واذا اشتهى الفقاع كتب الرقاع وهذا تشبيب بعده تسبيب قد

أولم يروا الآن الموعظة سمعية وقد قال بعدها أفلا يسمعون وانظر كيف قال في صدر الآية التي موعظتها مرئية أولم يروا * وقال بعد الموعظة البصرية أفلا يبصرون ومن أظرف ما أنقله هنا من النقد اللطيف في هذا الباب ان قاضي القضاة عماد الدين ابن القضامي أخا شيخنا قاضي القضاة علاء الدين الحنفي نور الله ضريحه * وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه * نظم قصيدة امتدح بها المقر المرحومي السيفي أرغون الاسعردي كافل المملكة الشريفة الحموية وعرضها قبل انشادها للممدح على أخيه المشار اليه فانتهى منها في المديح الى بيت يقول فيه

خبير بتدبير الامور فمن يرى * سوى ما رآه فهو في هذه أعمى

فقال له شيخنا قاضي القضاة علاء الدين يجب أن تقول لاجل المناسبة المعنوية موضع خبير بصير وقد عدوا من محاسن الامثلة المعنوية قول أبي الطيب المتنبي

على سابح موج المنايا بنحره * غداة كأن النبل في صدره وبل

فان بين لفظة السباحة ولفظتي الموج والوبل تناسبا معنويا صار البيت به متلاحما * والذي عقد الناس عليه الخناصر في هذا الباب قول ابن رشيق القيرواني

أصح وأقوى مارويناه في الندا * من الخبر المأثور منذ قديم

احاديث ترويها السيول عن الحيا * عن البحر عن جود الامير تميم

قال زكي الدين بن أبي الاصبع هذا أحسن شعر سمعته في المناسبة المعنوية * فانه وفى المناسبة حقها وناسب في البيت الاول بين الصحة والقوة والرواية والخبر المأثور * وناسب في البيت الثاني بين الاحاديث والرواية والعنعنة * هذا مع صحة ترتيب العنعنة من حيث انها جاءت صاغرا عن كابر وآخرا عن أول كما يقع في سند الاحاديث لان السيول فرع الحيا أصله وكذلك الحيا فرع البحر أصله ثم نزل البحر منزلة الفرع وجود الممدوح منزلة الاصل للمبالغة في المدح وهذا غاية الغايات في هذا الباب * أقول انني زاحمت ابن رشيق القيرواني هنا بالمناكب وأبطلت موانع التعقيد لما دخلت معه الى هذه المطالب وما ذاك الا أنني امتدحت شيخي المشار اليه أولا ومولانا قاضي القضاة ابن القضامي الحنفي بموشح بيت مخلصه تحفة في هذا الباب * لان مناسباته المعنوية رفعت عن محاسنها الحجاب وهو

رقم السوالف يروي لي بمسنده * عن رقتي حبهم يا طيب مورده

وثغرها قد روى لي قبل ما احتجبت * عن برق ذاك النقا أيام معهده

والريق أمسى عن المبرد * يروي حديث العذيب مسند

عن الصفا عن مذاق الشهد والعسل * عن ذوق سيدنا قاضي القضاة علي

وقد حبست عنان القلم عن الاستطراد الى وصف محاسن هذا البيت ومناسباته المعنوية فان برهانه غير محتاج الى اقامة دليل وهذا الموشح نظمته بحماة المحروسة في مبادي العمر وريا حين الشبيبة غضة ولما طلبت الى الابواب الشريفة المؤيدية سنة خمس عشرة وثمانمائة ووصلت الى الديار المصرية في التاريخ المذكور وجدته ملحنا وأهل مصر يلهجون به وبتلحينه كثيرا فتعين على ان أثبت هنا منه شيأ ليحلو تكريره بمصر وتعرف رتبة قوافيه لاجل بيت المخلص الذي أوردته مثالا على نوع المناسبة المعنوية فن غزل الموشح المذكور

ماست بقامتها يوما بذي سلم * والشعر كالعلم المنشور للامم

فقلت يا قلب أعلام الهنا نصبت * ها أنت تخطر بين البان والعلم

واسود الخال مذ تبدى * في خدها همت فيه وجدا

قالت وطلعتها كالشمس في الحمل * في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

سألتها رد ما عندي من الكمد * وقلت نار الجوى قد أضعفت جلدي

عرف الشيخ رد هذا المبرد وخروجه في سوء العشرة عن الحد فان رأى أن يلبسني من الحطب اليابس فروة ويكفيني من أمر الوقود شتوة وله التدبير في ذلك ثم التخيير في الشكر والسلام

(وله الى رئيس نسا)

كتابي أطال الله بقاء الشيخ الرئيس والكاتب مجهول والكتاب فضول وبحسب الرأي موقعه فان كان جميلا فهو تطول وان كان سيأ فهو تطفل فايهما سلك الظن فله أيده الله المن من نيسابور عن سلامة نسأل الله تعالى أن لا يلهينا بسكرها عن شكرها والحمد لله رب العالمين يقول الشيخ أيده الله من هذا الرجل وما هذا الكتاب أما الرجل فخاطب ود أولا وموصل شكر ثانيا وأما الكتاب فلحام أرحام الكرام فان يعن الله اللحام تصل الارحام ويحسن غيور الى كل عثور هذا الشريف قد خانه زمان السوء فأخرجه من البيت الذي بلغ السماء مفخرا ثم طلب فوقه مظهرا وله بعد جلالة النسب وطهارة الاخلاق وكرم العهد وحضرني فسألته عما وراءه فأشار الى ضالة الاحرار وهو الكرم مع اليسار ونبه

قالت بريقى أطفئها اذا التهبت * يابرد ذاك الذى قالت على كبدى
وغرقتنى بدمع طرفى * وقالت اسمع كفيت خلقى
ألم تحتف بلا ناديت ياأملى * أنا لغريق فما خوفى من البلل
منه بالله يابرق ان اومضت فى الثغر * وحارس اللحظ فى شك من الخبر
قف بالثنيات راذ كرنى اذا عذبت * تلك النهيلات للوراد فى السحر
وارسل عليل النسيم خلفى * فانه قوة اضعفى *
عسى تصح جسما بالفراق بلى * وربما صحت الاجسام بالعلل
منه انسان مقلتها لما رأى كلفى * بسيفه قد أقام الحد فى تلفى
فت بالسيف قهرا والحشا نهبت * لكننى عندمونى مذقرى شغفى
ناديته والدموع طوفان * وقلت هذا فعال انسان
الام تعجل فى قتلى بلا زلل * فقال لى خلق الانسان من عجل

وقد طال الشرح وخرجنا عما كافيه من المناسبة المعنوية وحسن ختامها بما أوردناه من كلام ابن رشيق القير وانى والبيت الذى أوردته من هذا الموشح وأما المناسبة اللفظية وهى دون رتبة المعنوية فهى الاتيان بكلمات متزنات وهى على ضربين تامة وغير تامة فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة والناقصة موزونة غير مقفاة فمن شواهد التامة قوله سبحانه وتعالى ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون ومن شواهد التامة فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم مما كان يرقى به الحسنين عليهما السلام أعيذكما بكلمات الله التامه من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه ولم يقل عليه السلام ملمة وهى القياس لمكان المناسبة اللفظية ومن أمثلة المناسبتين الناقصة والتامة قول أبى تمام حبيب بن اوس

مها الوحش الا أن هاتا أوانس * قنا الخط الا أن تلك ذوابل

فناسب بين مها وقنا مناسبة تامة وبين الوحش والخط وأوانس وذوابل مناسبة غير تامة قال زكى الدين بن أبى الاصبع هذا البيت من أفضل بيوت المناسبة لما انضم اليه فيها من المحاسن فان فيه مع المناسبتين التشبيه بغير أداة والمساواة والاستثناء والطباق اللفظى وائتلاف اللفظ مع المعنى والتمكين فأما المناسبة فيه فقد عرفت وأما التشبيه ففى قوله مها وقنا فان التقدير كها وكقنا وحذف الاداة ليدل على قرب المشبه من المشبه به وأما الاستثناء البديعى ففى قوله الا أن هاتا أوانس وقوله الا أن تلك ذوابل ليثبت للموصوفات التأنيس وينفى عنهن النفار والتوحش وكذلك فعل فى الاستثناء الثانى فانه أثبت لهن اللين ونفى عنهن اليبس والصلابة وأما المطابقة ففى قوله الوحش وأوانس وهاتا وتلك فان هاتا للقريب وتلك للبعيد وأما المساواة فلفظ البيت لا يفضل عن معناه ولا يقصر عنه وأما الائتلاف فلكون ألفاظه من واد واحد متوسطة بين الغرابة والاستعمال وكل لفظة منها لائقة بمعناها لا يكاد يصلح موضعها غيرها وأما التمكين فاستقرار قافية البيت فى موضعها وعدم نفارها عن محلها انتهى الكلام على المناسبة اللفظية والمعنوية وتقرير التامة والناقصة من اللفظية فبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

مؤيد العزم والابطال فى قلق * مؤمل الصفح والهيجاء فى ضرم

الشيخ صفى الدين لم يحتج فى بيته الى المناسبة المعنوية بل أتى باللفظية وعجبت منه كيف رضى لنفسه بقول القائل

اذا كنت ماندرى سوى الوزن وحده * فقل أنا وزان وما أنا شاعر

وليته أتى بالمناسبة اللفظية تامة وانه فى عالم الاطلاق غير مقيد بتسمية ومناسبته اللفظية الناقصة ظاهرة فقوله مؤيد العزم فى وزن مؤمل الصفح وقوله والابطال فى قلق موازن والهيجاء فى ضرم

على قيد الكرام وهو البشر مع الانعام وحدث عن برد الاكباد وهو مساعدة الزمان للعواد ودل على نزهة الابصار وهو الثراء ومتعة الاسماع وهو الثناء فقلما اجتمعا وعزما وجدا معا وذكر ان الشيخ أيده الله جماع هذه الخيرات وسألنى الشهادة له وبذل الخط به ففعلت وسألت الله اعانته على همته وللشيخ أيده الله فى الوقوف على ما طلب والاجابة ان نشط رأيه الموفق ان شاء الله

(وله الى أبى نصر الميكالى)

كتبى أيد الله الامير وبودى ان أكونه فاسعد بدونه ولكن الحريص محروم ولو بلغ الرزق فاه لولى قفاه فرق الله بين الايام تفريقها بين الكرام والهمذانى يورد بعقل ويصدر بتمييز وما ذلك على الله بعزيز أنا فى مفاتحة الامير بين ثقة تعد ويد ترتعد ولم لا يكون ذلك والبحر وان لم أره فقد سمعت خبره ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره واذا لم القه فلم أجهل خلقه وما وراء ذلك من تالد أصل ونشب وطارف فضل وأدب بعد همة وصيت فمعلوم تشهد بذلك الدفاتر والخبر المتواتر

ولم ينظم العميان هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلي يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ألم تر الجود يجري في يديه ألم * تسمع مناسبة في قوله نعم

الشيخ عز الدين غفر الله له لم يثبت له مع المناسبة المعنوية واللفظية نسبة ولكنه قال لن يخاطبه ألم تر الجود يجري من أيادي النبي صلى الله عليه وسلم ألم تسمع مناسبة من لفظ نعم ولفظ الشيخ عز الدين الموضوع في بيته ليس فيه مناسبة لفظية أعني فيها بوزن وقافية ولا مناسبة معنوية ابتدا فيها بمعنى وتمم كلامه بما يناسبه وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

فعلمه وافر والزهد ناسبه * وحلمه ظاهر عن كل مجترم

هذا البيت جمعت فيه ببركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم بين المناسبة المعنوية واللفظية التامة المشتملة على الوزن والتقفية فقولي علمه يناسبه حلمه وزنا وقافية ووافر مثله ظاهر وزنا وقافية والمناسبة المعنوية ابتدأت بها في أول الشطر الثاني من البيت بذكر الحلم ثم تممت كلامي بقولي عن كل مجترم لخصلات المناسبة المعنوية بين الحلم وذكر الاجترام الذي هو الذنب مع تمكين القافية فانه قيل عن المأمون انه كان يقول لو علم الناس محبتي للعفو لتقربوا الي بالجرائم وهذه هي المناسبة المعنوية بعينها ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أحق بهذا المدح وأولى بهذه الصفات

(ذكر التوشيع)

*(ووشع العدل منه الارض فانشحت * بحلة الامجدين العهد والذمم)*

التوشيع مأخوذ من الوشيعة وهي الطريقة الواحدة في البرد المطلق فكأن الشاعر أهمل البيت الآخر وأنه أتى فيه بطريقة تعد من المحاسن وهو عند أهل هذه الصناعة عبارة عن أن يتكلم المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في حشو العجز ثم يأتي بعده باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى يكون الآخر منهما قافية بيته أو سجعة كلامه كأنهما تفسير له وقد جاء من ذلك في السنة الشريفة ما لا يلحق بلاغته وهو قوله صلى الله عليه وسلم يشيب المرء وتشب معه خصلتان الحرص وطول الامل ومن أمثلة هذا الباب في النظم قول الشاعر

أمسي وأصبح من تذكاركم وصبا * يرثى لي المشفقان الاهل والولد
قد خدد الدمع خدي من تذكركم * واعتادني المضنيان الوجد والكمد
وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم * وخانني المسعدان الصبر والجلد
لا غرو للدمع أن تجري غواربه * وتحته المظلمان القلب والكبد
كأنما مهجتي شلو بمسبعة * ينتابها الضاريان الذئب والاسد
لم يبق غير خفي الروح في جسدي * فدى لك الباقيان الروح والجسد

هذه الابيات عامرة بالمحاسن في هذا الباب غير أن أهل النقد الصحيح ما سكتوا عن تقصيره في البيت الاول حيث قال فيه يرثى لي المشفقان الاهل والولد فان شفقة الاهل والولد معروفة والمشفق اذا رثى لشكوى أهله أو الولد اذا رثى لشكوى والده كان ذلك تحصيل الحاصل والمراد هنا أن يقول رثى لي العدو ورق لي الصخر واشباه ذلك قال ابن أبي الاصبع وما بشعر قائله هنا من بأس

بي محنتان ملام في هوى بهما * يرثى لي القاسيان الحب والحجر
لولا الشفيقان من أمنية ومنى * اودى بي المرديان الشوق والفكر

رأيت في حاشية على هذين البيتين بخط رفيع رحم الله الشيخ لو قال الشوق والسهر كان أتم وأحسن وبيت الشيخ صفي الدين في هذا الباب غاية فانه يقول في وصف النبي صلى الله عليه وسلم

أمي خط أبان الله معجزه * بطاعة الماضيين السيف والقلم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله

وتنطق به الاشعار كما تختلف عليه الآثار والعين أقل الحواس ادراكا والاذن أكثرها استماعا وان بعدت الدار أيضا فلا ضير ان أيسر البعدين بعد الدارين وخير القربين قرب القلبين وان لم تكن معرفة فستكون ان شاء الله الرقاعة أيد الله الامير رقعة واسعة أنا في أنواعها باقعة وههنا نادرة واقعة لم نرها في نوادر ابن الاعرابي ولا في املاآت الاصولي ولا في ثاني غريب المصنف ولا في غيرها من كتب الادب وهي ان شيخنا أبا نصر بن دوستام سألني طول هذه المدة مكاتبة تلك السدة مستشفعا بكتابي الى الخلق العظيم والعلق الكريم والفضل الجسيم وكل شئ على الميم في باب التفخيم وبي ان أعرف شغل شاغل وحتى أقبل وأداخل دخولا معلوما لا يقتضي لوما فلا تظنن الا الجميل وعرفته ان الجار نفسه ثم رفسه والمرء وحوده ثم جوده وشفيع لا يعرف غريب ولكنه من غريب الخبيث لا من غريب الحديث فأبى الا أن أفعل وقد فعلت على السخط من القرط فان قبلت الشفاعة فالجد يأبى الا أن يعمل عمله

ومن عطاياه روض وشعته يد * تغنى عن الاجودين البحر والديم
الشيخ عز الدين أتى بالتوشيع على الوضع ولكنه شن الغارة على ابن الرومى وفك قواعد بيته وهو
أبو سليمان ان جادت لنا يده * لم يحمد الاجودان البحر والمطر
أخذ الاجودين والبحر وردف المطر بالديم وهذا ما يليق بأهل الادب وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم
ووشع العدل منه الارض فاتشحت * بحلة الامجدين العهد والذمم
وأنا على مذهب زكى الدين بن أبى الاصبع فى قوله وما باشعر قلته هنا من بأس انتهى

(ذكر التكميل)

*(آدابه تمت لا نقص يدخلها * والوجه تكميله فى غاية العظم)*

التكميل هو أن يأتى المتكلم أو الشاعر بمعنى تام من مدح أو ذم أو وصف أو غيره من الاغراض الشعرية وفنونها ثم يرى الاقتصار على الوصف بذلك المعنى فقط غير كامل فيأتى بمعنى آخر يزيده تكميلا كمن أراد مدح انسان بالشجاعة ثم رأى الاقتصار عليها دون مدحه بالكرم غير كامل فيكمله بذكر الكرم أو بالبأس دون الحلم وما أشبه ذلك من الاغراض وقد جاء منه فى الكتاب العزيز قوله تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين فانظر الى هذه البلاغة فانه سبحانه وتعالى علم وهو أعلم أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة للمؤمنين لكان مدحا تاما مشتملا على الرياضة والانقياد لاخوانهم ولكن زاده تكميلا ووصفهم بعد ذلتهم لاخوانهم المؤمنين بالعزة على الكافرين وهذا هو التكميل الذى يتطفل البدور على كماله ومثاله فى الشعر قول كعب بن سعيد الغنوى
حليم اذا ما الحلم زين أهله * مع الحلم فى عين العدو مهيب
قوله اذا ما الحلم زين أهله احتراس لولاه لكان المعنى فى المدح مدخولا اذ بعض التغاضى قد يكون عن عجز يوهم انه حلم فان التجاوز لا يكون حلما محققا الاعن قدرة وهو الذى قصده الشاعر بقوله * اذا ما الحلم زين أهله * فان الحلم ما زين أهله الا اذا كان عن قدرة وهذا القدر غاية فى باب التكميل ثم رأى ان مدحه بالحلم وحده غير كامل فانه اذا لم يعرف منه الا الحلم طمع فيه عدوه فقال مع الحلم فى عين العدو مهيب قلت ومما يؤيد هذا التقرير قول الشاعر
وحلم ذى العجز ذل أنت عارفه * والحلم عن قدرة ضرب من الكرم
ومن التكميل الحسن قول كثير عزة
لو أن عزة خاصمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها
فقوله عند موفق تكميل حسن فانه لو قال عند محكم تم المعنى لكن فى قوله عند موفق زيادة تكميل بها حسن البيت والسامع يجد لهذه اللفظة من الموقع الحلو فى النفس ما ليس للاولى اذ ليس كل محكم موفقا فان الموفق من الحكام من قضى بالحق لاهله وقد غلط غالب المؤلفين فى هذا الباب وخلطوا التكميل بالتتميم وساقوا فى باب التتميم شواهد التكميل فمن ذلك قول عوف السعدى
ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان
هذا البيت ساقوه من شواهد التتميم وهو أبلغ شواهد التكميل فان معنى البيت تام بدون لفظة وبلغتها واذا لم يكن المعنى ناقصا فكيف يسمى هذا تتميما وانما هو تكميل لحسن قال ابن أبى الاصبع وما غلطهم الا أنهم لم يفرقوا بين تتميم الالفاظ وتتميم المعانى فلو سمى مثل هذا تتميما للوزن لكان قريبا وانما ساقوه على أنه من تتميم المعانى وهذا غلط والفرق بين التتميم والتكميل أن التتميم يرد على المعنى الناقص فيتممه والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله اذ الكمال أمر زائد على التمام

وقد

وان ردت فليست كلمة السوء مثله والسلام
(وله أيضا)
مثلى أيد الله القاضى مثل رجل من أصحاب الجراب والمحراب تقدم الى القصاب يسأله فلذة كبد فسد باليسرى فاه وأوجع بالاخرى قفاه فلما رجع الى مسكنه كتب اليه توقيعا يطلب حملا رضيعا كذلك أنا وردت فلا اكرام بالمام ولا صلة بسلام ولا تعهد بغلام فلما وجدته لا يبالى بسالى كاتبته أشفع لسواى وهو موصل رقعتى هذه وله خصم بينهما قصة لا أسأله فى البين الا اصلاح الجانبين والسلام
(وله أيضا)
النادرة أطال الله بقاء القاضى تبطى ولا تخطى وفى مضحكات الاحاديث ان عدة من المخانيث قدموا الى أمير فضرب أحدهم بالسياط وهو ينشده بالله العظيم وكتابه الكريم ورسوله الامين ويذكره الدين وحرمة المسلمين والسياط توفيه نصيبه والمخنث يجعل الله حسيبه ثم قدم الباقون ففعل بهم ما فعل بصاحبهم فقال الاخير يا جير كذا يحلف الامير اصبروا حتى أقدم واسمعوا حتى أتكلم فلما جرد للسياط قال أيها الامير

وقد تقدم هذا الكلام على التتميم فى موضعه ولكن أردت هنا تفصيل التكميل عن التتميم لتنجلى عن الطالب ظلمة الاشكال بصبح هذا الفرق الدقيق ومن أحسن التكميل قول شاعر الحماسة

لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم * بما احتكمت من الدنيا لما حادا

فقوله بما احتكمت من الدنيا تكميل فى غاية الكمال ويعجبنى من هذا الباب قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى بعض مطالعه المقمرة

نفس عن الحب ماحادت ولا غفلت * بأى ذنب وحاشا الله قد قتلت

معنى بيت الشيخ جمال الدين أيضا تام بدون قوله وحاشا الله ولكن التكميل بوحاشا الله قبل قتلت لا يصدر الا من مثل الشيخ جمال الدين وما أحقه هنا بقول القائل

قالوا فهل يسمح الدهر الكريم لنا * بمثله قلت لا والله قد حلفا

ومثله قولى فى مطلع قصيد

قد مال غصن النقا عن صبه هيفا * ياليته بنسيم العتب لو عطفا

معنى البيت تام بدون نسيم العتب ولكن استعارة نسيم العتب هنا بعد ميل الغصن وذكر انعطافه غاية فى باب التكميل وفيه مع التكميل المناسبة المعنوية والاستعارة اللطيفة وناهيك بلطف نسيم العتب وفيه التمكين والانسجام ومثله قولى فى مطلع قصيد

جردت سيف اللحظ عند تهددى * ياقاتلى فسلبتنى بمجرد

معنى البيت تام بدون قولى ياقاتلى وقولى ياقاتلى بعد تجريد سيف اللحظ أكمل من بدر الكمال وقلت بعد المطلع ولم أخرج عن التكميل

وأردت أن تسقى بماء حشاشتى * حاشاك ما يسقى الصقيل من الصدى

معنى البيت أيضا تام بدون قولى حاشاك ولكنها زادت البيت تكميلا رفعت به قواعده ومثله قولى من قصيد

وأفردتمونى للغرام لانكم * أخذتم كما شاء الهوى بمجامعى

معنى البيت تام بدون قولى كما شاء الهوى ولكن التكميل بها تكملت به محاسن البيت ومثله قولى من قصيد

أذابت القلب فى نار الهوى عبثا * ومذ سلته وقالت انه قالى

قالت سلوت لحاك الله قلت لها * الله أعلم يا أسما من السالى

فلفظة عبثا فى البيت الاول تكميلها ظاهر ولكن لحى الله من لا ينظر الى محاسن لحاك الله فى البيت الثانى ومثله قولى من قصيد

ورب غصن لاطيار القلوب على * قوامه فى رياض الوجد تغريد

والمعنى أيضا تام فى هذا البيت بدون قولى فى رياض الوجد ولكن مناسبة التكميل برياض الوجد بين الغصن والاطيار والتغريد غاية فى هذا الباب وقد طال الشرح ولكن مثل التكميل ما ينقص من قدره ويختصر من أمثلته وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

نفس مؤيدة بالحق تعضدها * عناية صدرت عن بارئ النسم

بيت الشيخ صفى الدين لم يظهر لبدر التكميل فى أفقه اشراق ومعنى البيت تام ولكن لم يأت فيه الناظم بنكتة تزيده تكميلا والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

تمت محاسنه والله كمله * فقدره فى الورى فى غاية العظم

بيت الشيخ عز الدين أمثل من بيت الشيخ صفى الدين وتكميله ظاهر فان معنى بيته تام بدون قوله والله كمله ولكن قوله هنا والله كمله فى غاية الكمال فانها اشتملت على تورية التسمية ونكتة النوع وبيت بديعيتى

آدابه تمت لا نقص يدخلها * والوجه تكميله فى غاية العظم

معنى هذا البيت أيضا تام بدون قولى لا نقص يدخلها ولكن هذا النقص هو عين التكميل والله أعلم

بحياة والدنك الا عفوت عنى فقد أخذ الخوف منى فغضب الامير وقال على بالسياط حتى يلج الجمل فى سم الخياط مالك ولذكر الحرم خلفه المخنث بطرتها ثم بغرتها ثم صار الى ثغرتها ثم تدحرج الى سرتها فلما انتهى الى السرة أشفق الامير على الحرة فقال خلوه قد والله بلغت السرة أوزدت وصرت الى الدرة أوكدت وماذا بعد الحق الا الضلال وهل بعد الشر الا النكال لا يفعل القاضى أيده الله آخر السرة أول الغرة ماله ولاصحاب الحديث والله لينتهين عن علمائهم وهو كريم أولنتهين وهو لئيم وهذا الفقيه ميمون وان بعد عن داره فلم يبعد عن مقداره وان لم تحضر أقاربه فهذى عقاربه لفظه أف فان لم تغن فخلا ميد تملأ الاكف ثم الله أعلم بما فى الخف والشر قبيح أنواعه فليكف عنه سماعه ووراء هذه الجملة تفصيل وهم طويل وقال وقيل وخطب ثقيل فان أراح أرحت وان أحوج شرحت والسلام

(وله أيضا)

الاستاذ الزاهد يأمر حاشية مجلسه ان يفتشوا أعطاف المقابر وزواياها فان وجدوا قلبا قريحا

﴿ذكر التفريق﴾

*﴿قالوا هو البدر والتفريق يظهر لي * في ذاك نقص وهذا كامل الشيم﴾*

التفريق في اللغة ضد الاجتماع وفي الاصطلاح أن يأتي المتكلم أو الناظم الى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تباينا وتفريقا بفرق يفيد زيادة وترجيحا فيما هو بصدده من مدح أو ذم أو نسيب أو غيره من الاغراض الادبية كقول الشاعر في المديح

مانوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير يوم سخاء
فنوال الامير بدرة مال * ونوال الغمام قطرة ماء

ومثله

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف في الحكم بين شكلين
أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وهو اذا جاد دامع العين

قال بدر الدين بن النحوية في غير المدح

حسبت جماله بدرا منيرا * وأين البدر من ذاك الجمال

قلت وأحسن منه قول القائل

قاسوك بالغصن في التثني * قياس جهل بلا انتصاف
هذاك غصن الخلاف يدعى * وأنت غصن بلا خلاف

فالتفريق في الجميع فرقه ظاهر مثل الصبح ولكن هذا النوع ماهو غاية في البديع فما يحتمل اطلاق عنان القلم في الكلام عليه أكثر من ذلك وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم لجود كفيه لم تقلع سحائبه * عن العباد وجود السحب لم يدم بيت الشيخ صفي الدين الحلي حسن في هذا الباب والتفريق فيه جمع المحاسن في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وبيت العميان في بديعيتهم

لا يستوي الغيث مع كفيه نائل ذا * ماء ونائله مال فلا تهم

العميان غفر الله لهم سخوا قول الشاعر

مانوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير يوم سخاء
فنوال الامير بدرة مال * ونوال الغمام قطرة ماء

والظاهر ان نوال الغمام وقت الربيع محجب عن العميان ولكن أين هم من وقع التفريق وعظم المباينة بين بدرة المال وقطرة الماء هذا مع ما تجشموه من مشاق التعقيد وثقل التركيب والجميع يخف على النفس بالنسبة الى قولهم في القافية فلا تهم نعم ما يحط هذا القافية هنا على هذه الصيغة من شم للادب رائحة وأين هم من تمكين قافية الشيخ صفي الدين في قوله

لجود كفيه لم تقلع سحائبه * عن العباد وجود السحب لم يدم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

قالوا هو البحر والتفريق بينهما * اذ ذاك غم وهذا فارج الغمم

بيت الشيخ عز الدين في هذا الباب عامر بالمحاسن وحشمة المديح النبوي مشرقة على أركانه ونوع التفريق فيه أحلى من ليالي الوصال فانه مشتمل على تورية التسمية ونكتة النوع البديعي ولطف الانسجام والسهولة وليس في بديعيته بيت يناظره في علو طباقه وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا هو البدر والتفريق يظهر لي * في ذاك نقص وهذا كامل الشيم قد أطلقت لسان القلم في وصف بيت الشيخ عز الدين ولعمري انه يستحق فوق ذلك فان التكلف بتسمية النوع مورى به من جنس المديح يثقل كاهل كل خل وقد حبست عنان القلم عن الاستطراد الى وصف هذا البيت فان في انصاف أهل الذوق ما يغني عن الاطناب في وصفه انتهى

*﴿ذكر

﴿ذكر التفريق﴾

يعمل ودا صحيحا وكبدا دامية تنقل محبة نامية فاناضيتهما بالامس على ذلك الرمس رضي الله عن وديعته وعنا مع شر شيمته فيأمر بردهما الى فلا خير في الاجساد خالية من الفؤاد عاطلة من الاكباد وأبو الحسن الهمداني موصل رقعتي هذه وله قصة يعرضها وحاجة أنا أفرضها تلمذ قد تطرف بيرته وتحيف حانوته ولجأ من الاستاذ الى حصن منيع ولجأ الاستاذ منه الى أمر شنيع وهو أيده الله قد عرف ظاهر هذا المروان لم يعلم باطنه وعلم سيرته وان لم يعلم سريرته وأيقن أنه لو لم يدع الكذب ديانة لتركه أمانة وصيانة فان حرفته لا تحتمل غير الصحة ثم رضي بعد ألف مكاس واسار اس ورد فضل صفقتين وبحمد الله عليهما بركتين والله يوفق الاستاذ لما يأتيه ويذره فنعم الرفيق التوفيق والسلام

(وله أيضا الى أخيه)

كتابي أطال الله بقاءك ونحن وان بعدت الدار فرعا نبعة فلا تحيين بعدي على قربك ولا تعدون ذكرى من قلبك فالاخوان وان كان أحدهم بخراسان

(ذكر التشطير)

*(وانشق من أدب له بلا كذب * شطرين فى قسم تشطير ملتزم)*

التشطير هو أن يقسم الشاعر بيته شطرين ثم يصرّع كل شطر منهما لكنه يأتى بكل شطر من بيته مخالفا لقافية الآخر ليتميز كل شطر عن أخيه فمن ذلك قول مسلم بن الوليد

موف على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

هذا البيت تصريعه صحيح ولكن تصريع الشطر الثانى قافيته الاولى مرفوعة والثانية مجرورة وهذا عيب فى تصريع التشطير وقول أبى تمام فى هذا الباب خالص من ذلك وهو

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتعب فى الله مرتقب

وعلى جادته الواضحة مشى الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته وبيته

بكل منتصر للفتح منتظر * وكل معتزم بالحق ملتزم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وأنا أقول ياليتنى كنت معهم فانه نوع مبنى على قواعد ليس تحتها طائل ولكن الشروع فى معارضة البديعيات أوجب نظمه وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

تشطيره معتدل بالسيف مشتمل * فى جحفل اهم كالاسد فى الاجم

وبيت بديعيتى أشير فيه الى انشقاق القمر فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم وتقدم قولى فى نوع التفريق

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم

وقلت بعده فى التشطير

وانشق من أدب له بلا كذب * شطرين فى قسم تشطير ملتزم

كان الشيخ صفى الدين الحلى يكثر من هذا النوع فى غالب قصائده ولعمرى انه استسمن ذا ورم وما خطر لى يوما أننى أدخله الى بيت من بيوت قصائدى انتهى

(ذكر التشبيه)

*(والبدر فى التم كالعرجون صار له * فقل لهم يتركوا تشبيه بدرهم)*

التشبيه ضروب متشعبة وهو والاستعارة يخرجان الاغمض الى الاوضح ويقربان البعيد وقال الجرجانى التشبيه والتكميل كل منهما تارة بالصورة والصفة وتارة بالحالة وهذه صفة التمثيل والتشبيه ركن من أركان البلاغة وأركانه أربعة كقولك زيد فى الحسن كالقمر فالاول المشبه وهو زيد والثانى المشبه به وهو القمر والثالث المشبه وهو المتكلم والرابع التشبيه وهو الالحاق المذكور فى الشبه وأدوات التشبيه خمسة الكاف وكأن وشبه ومثل والمصدر بتقدير الاداة كقوله تعالى وهى تمر مر السحاب ومن الشعر كقول حسان

بزجاجة رقصت بما فى قعرها * رقص القلوص براكب مستعجل

ومن الشروط اللازمة فى التشبيه أن يشبه البليغ الادون بالاعلى اذا أراد المدح اللهم الا اذا أراد الهجو فالبلاغة أن يشبه الاعلى بالادون كقول ابن الرومى سامحه الله فى هجو الورد

كأنه سرم بغل حين يخرجه * عند البراز وباقى الروث فى وسطه

الظاهر أنه كان جعليا والامثلة ما يخالف الاجماع ويبالغ فى مثل هذه المغايرة ولعمرى انه فى بابه من التشابيه البليغة مع نفور الطباع عن صيغته ومثله قول أبى العلاء المعرى فى هجو النرجس وتشبيه أعلاه بدونه

كأنه ركبت عليها * صفرة بيض على رقاقه

وأصحاب المعانى والبيان أطلقوا أعنة الكلام فى ميادين حدود التشبيه وتقاريرها وهو عندهم الدلالة على مشاركة أمر لامر فى معنى وقال الرمانى التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر فى حال وهذا هو التشبيه العام الذى يدخل تحته التشبيه البليغ وغيره والتشبيه البليغ هو

والآخر بالمجاز مجتمعان على الحقيقة مفترقان على المجاز والاثنان فى المعنى واحد وفى اللفظ اثنان وما بينى وبينك الا ستر طوله فتروان صاحبى رفيق اسمه توفيق لنلتقين سريعا ولنسعدن جميعا والله ولى المأمول جعلت فداك لشقيق سيئ الظن وما أحوجنى الى أن أراك ولا قرابة الا الاخوة وتلك والله بعدك نازلة الدهر وقاصمة الظهر وان يشأ الله يسنك سناء وينبتك نباتا حسنا والله أولى بك من أخيك وهو حسبى فيك فاستعن بالله وحده أليس الله بكاف عبده والسلام

(وله الى ابن أخته)

كتابى وقد ورد كتابك بما ضمنته من تظاهر نعم الله عليك وعلى أبويك فسكنت الى ذلك من حالك وسألت الله بقاءك وان يرزقنى لقاءك وذكرت مصابك بأخيك فكأنما فتت عضدى وطعنت فى كبدى فقد كنت معتضدا بمكانه والقدر جار بشأنه وكذا المرء يدبر والقضاء يدمر والآمال تنقسم والآجال تبتسم والله يجعله فرطا ولا يرينى فيك سوءا أبدا وأنت أبدك الله وارث عمره

اخراج الاغمض الى الاوضح مع حسن التأليف ومنهم من قال التشبيه هو الدلالة على اشتراك شيئين فى وصف هو من أوصاف الشئ الواحد وقال ابن رشيق فى العمدة التشبيه صفة الشئ بما قاربه وشاكله من جهة واحدة لانه لو ناسبه مناسبة كلية كان اياه ألا ترى الى قولهم خد كالورد انما مرادهم احمرار أوراقه وطراوتها لا ماسوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه انتهى حد ابن رشيق وقيل التشبيه الحاق أدنى الشيئين باعلاهما فى صفة اشتركا فى أصلها واختلفا فى كيفيتها قوة وضعفا قلت وهذا حد مفيد أورده ابن أبى الاصبع فى كتابه تحرير التحبير للرمانى حدا زاد فى حسنه على الحد وهو أن التشبيه تشبيهان الاول منهما تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما كتشبيه الجوهر بالجوهر مثل قولك ماء النيل كماء الفرات وتشبيه العرض بالعرض كقولك حمرة الخد كحمرة الورد وتشبيه الجسم بالجسم كقولك الزبرجد مثل الزمرد ٭ والثانى تشبيه شيئين مختلفين بالذات لجمعهما معنى واحد مشترك كقولك حاتم كالغمام وعنترة كالضرغام وتشبيه الاتفاق وهو الاول تشبيه حقيقى وتشبيه الاختلاف وهو الثانى تشبيه مجازى والمراد المبالغة انتهى ووقوع حسن البيان والمبالغة فى التشبيه على وجوه منها اخراج مالا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة وقد عن لى أن أوضح هنا للطالب ماوقع من النظم البديع من تشبيه المحسوس بالمحسوس وتشبيه المعقول بالمعقول وتشبيه المعقول بالمحسوس وتشبيه المحسوس بالمعقول ٭ وهذا القسم الرابع عند أصحاب المعانى والبيان غير جائز ويأتى الكلام عليه فى موضعه وقد تعين تقديم ماوعدت به أولا من تشبيه المحسوس بالمحسوس فان الذى تقع عليه الحاسة فى التشبيه أوضح مما لا تقع عليه الحاسة والشاهد أوضح من الغائب وقال قدامة أفضل التشبيه ماوقع بين شيئين اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما حتى يدنى بهما الى الاتحاد انتهى ولم يخطر لى ان أورد هنا من التشبيهات البديعية التى أخترتها أمثلة لهذا النوع الا ماخف على السمع وعذب فى الذوق وارتاحت الانفس الى حسن صفاته فان التشابيه التى تقادم عهدها للعرب رغب المولدون عنها فانها مع عقادة التركيب لم تفرعن بديع معنى الا ماقل وندر فمن ذلك قول امرئ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه ٭ أساريع ظبى أومساويك اسحل

فغاية امرئ القيس هنا أنه شبه أنامل محبوبته باساريع وهى دواب تكون فى الرمل ظهورها ملس وبمساويك اسحل والاسحل شجرله أغصان ناعمة أين هذا من قول الراضى بالله فى هذا الباب

قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها ٭ فى خدها وقد اعتلقن خضابا

فكأنها بانامل من فضة ٭ غرست بأرض بنفسج عنابا

ومثله قول القائل قبلته فبكى وأعرض نافرا ٭ يذرى المدامع من كحيل أدعج

فكأن سقط الدمع من أجفانه ٭ لما بدا فى خده المتضرج

برد تساقط فوق ورد أحمر ٭ من نرجس فسقى رياض بنفسج

انظر أيها المتأمل الى هذه التشابيه التى يرشفها السمع مداما ٭ وتهيم الاذواق السليمة فى محاسنها غراما ٭ ومن ذلك قول ابن حاجب النعمان

ثغر وخد ونهد واحمرار يد ٭ كالطلع والورد والرمان والبلح

ومثله قول ابن رشيق بفرع ووجه وقد وردف ٭ كليل وبدر وغصن وحقف

المراد هنا من حسن التشبيه وبليغه غير كثرة العدد فى الصفات فان قاضى القضاة نجم الدين بن البارزى نور الله ضريحه وصل فيه من العدد الى سبعة وأوردت ذلك فى باب اللف والنشر وأوصله الناس الى أكثر من ذلك ولكن حل القصد هنا غير كثرة العدد فان المراد من التشبيه غرابة أسلوبه وسلامة اختراعه كقول القائل

وسداد ثغره ونعم العوض بقاؤك ان الاشياء اذا أصاب منه مشذبا أغل ذرى وأثث أسافلا وأبوك سيدى أيده الله وألهمه الجميل وهو الصبر وآتاه الجزيل وهو الاجر وأمتعه بك طويلا فما سؤت بديلا أنت ولدى ما دمت والعلم شانك والمدرسة مكانك والدفتر نديمك وان قصرت ولا خالك فغيرى خالك والسلام

(وكتب الى والده)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ وتواترت الاخبار من قبل أنه وارد لا محالة وتلقيت هذه الحالة بمقتضاها شكرا وصدقة ثم ورد كتابه بان الامر فى ذلك فتر لعارض علة ذكر فقسمت قلبى جزءين وماحال الواحد بين اثنين أحدهما يبكيه والآخر يشكيه وقات العافية والزم الناحية ولم يرد كتابه بعد بذكر السلامة وقد علم مابين الجوانح من قلق وتحت الترائب من حرق حتى أسمع بالسلامة أفيضت عليه وقد خرج القاضى أبو ابراهيم حاجا فان رأى أو فعل نعمه اذا قفل وان أبى وقعد فقد أقلته عما وعد لا يزعجنى بعد بوعد والسلام

(وله الى العم)

كتابى ورد كتاب العم والاسنة

وتحدث الماء الزلال مع الحصى * فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكأن فوق الماء وشياً ظاهراً * وكأن تحت الماء دراً مضمراً

أقول ان تشبيه هذا الدر المضمر هنا أغلى قيمة من الدر الظاهر فى عقود الاجياد ومثله فى الغرابة وسلامة الاختراع قول ابن المعتز

كأنه وكأن الكاس فى فمه * هلال أول شهر غاب فى الشفق

ومن ذلك قوله على عقار صفراء تحسبها * شيبت عملك فى الدن مفتوت
للماء فيها كتابة عجب * كمثل نقش فى فص ياقوت

ومثله قول ابن حجاج وهو بديع

هذى المجرة والنجوم كأنها * نهر تدفق فى حديقة نرجس

ومن مخترعات ابن المعتز فى تشبيه الهلال قوله

انظر الى حسن هلال بدا * يهتك من أنواره الحندسا
كمنجل قد صيغ من عسجد * يحصد من زهر الدجى نرجسا

ومن مخترعاته أيضاً فى الهلال

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لاكل عنقود

ومثله قوله فيه وجاءنى فى قميص الليل مستترا * يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر

هذا التشبيه ذكروا أنه من مخترعات ابن المعتز ولكن زاده القاضى الفاضل بهجة ونقله من الاعلى الى الادنى فان رتبة الهلال وعلوها فى التشبيه على قلامة الظفر ما برحت مقررة فى الخواطر الى أن نقلها القاضى الفاضل بطريق بديعة اقتضتها الحال وهى قوله مبالغاً فى وصف قلعة نجم بالعلو وأما قلعة نجم فهى نجم فى سحاب وعقاب فى عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة فخضاب الاصيل لهذه الانملة حسن أن يكون الهلال لها قلامة وهذى غاية فاضلية لاتدرك وقد وصلوا فى تشبيه الهلال الى السبعين ولكن ما أوردت هنا الا أبلغ ماوقع فى تشبيهه ويعجبنى من التشابيه البليغة فى هذا الباب قول ابن طباطبا

أما والثريا والهلال جلتهما * لى الشمس اذ ودعت كرها نهارها
كأسماء اذ زارت عشاء وغادرت * دلالا لديناً قرطها وسوارها

ومثله فى الحسن والغرابة قول أبى نواس

وبين الجوزاء تبسط باعا * اعناق الدجى بغير بنان
وكان النجوم أحداق روم * ركبت فى محاجر السودان

ومثله قول القائل كأن نجوم الليل مزهرة لنا * ثغور بنى حام بدت للتثاؤب
ويعجبنى من التشابيه الغريبة قول ابن نباتة السعدى فى جواد أدهم أغر محجل

تختال منه على أغر محجل * ماء الدياجى قطرة من مائه
وكانما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض فى أحشائه

ومن التشابيه اللطيفة البديعة قول القاضى التنوخى من قصيدة

وراح من الشمس مخلوقة * بدت لك فى قدح من نضار
كأن المدير لها باليمين * اذا مال للشرب أو باليسار
تدرع ثوباً من الياسمين * له فرد كم من الجلنار

اذ حشوه فرط عتاب لم أفرده بكتاب وأصدق من الكتاب الحاسة والرحم الماسة أفيظننى نسيته ان صدق هذا الظن فالماء بناء الظماء ولا رآنى الله أعود لما يكره واذا حنق وقطعت وأمر وأطعت رجوت لا يجد العتب مساغا سأل العم ان أبثه حالى بهذه البلاد انى فى بلاد وان لم يكن لاهلها تمييز فأنا بينهم عزيز يعظموننى تقليدا ويروننى فريدا والمال يجرى فيضاً لكنى لا أبلعه ريقا ولا آلوه تفريقا فهو يأتى مدّا ويذهب جزرا والسلطان يقبل غاية الاقبال بالجاه والمال هذه جريدة أحوالى وتفصيلها طويل واذا شئت من هذه الجراب أزن وأكيل وحسبنا الله ونعم الوكيل

(وله الى الشيخ أبى الطيب سهل بن محمد)

أنا أخاطب الشيخ الامام والكلام مجون والحديث شجون وقد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشئ وليس من فعله بد هذه العرب تقول لا أبالك فى الامر اذا تم وقاتله الله ولا يريدون الذم وويل أمه للمر اذا أهم ولاولى الالباب فى هذا الباب أن ينظروا من القول الى قائله

ومثله فى اللطف والغرابة قول القائل

كم وردة تحكى بسبق الورد * طليعة تسرعت من جند
قد ضمها فى الغصن قرص البرد * ضم فم لقبلة من بعد

ودخل مجير الدين بن تميم الى حديقة هذه الوردة فزاد بعدها تقريبا بقوله

سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فمها اليك كطالب تقبيلا

وظرف من قال فى الوردة كانها وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

ومثله فى الظرف قول أيدمر المحيوى فى النرجس

وكان نرجسه المضاعف خائض * فى الماء لف ثيابه فى رأسه

ويعجبنى فى تشبيه النرجس قول شهاب الدين أحمد القماح راجح رجاح الديار المصرية فى فن الزجل فى بعض أزجاله

وفى الازاهير قم ترى شى تذهب * وشى تصيبوا قدزها وتفضض
النرجس أحداقو الشهل نعسانه * الا انها من الندى ليس تغمض
وحين فتح عينو فى وجهى شبهت اصفر ولما بدا فى الابيض
مازعفران على نصافى مطبوع * والاقصوص كهرب فى بلار يوجد
والا تخل شمسات لجين مبرودات * قد سمروا فيها مسامير عسجد

وتلطف ابن المعتز فى تشبيه حباب الراح بقوله

يجول حباب الماء فى جنباتها * كما جال دمع فوق خد مورد

ومثله فى اللطف قول ديك الجن الحمصى

موردة من كف ظبى كانما * تناولها من خده فادارها

ومن المستغرب فى وصف البنفسج ما نسب الى ابن المعتز وهو

ولازوردية أوفت بزرقتها * بين الرياض على زرق اليواقيت
كانها فوق طاقات نهضن بها * أوائل النار فى أطراف كبريت

أوردوا على هذا التشبيه نقدا ولكن ما يحمل البنفسج هنا نقله ومن التشابيه الغريبة قول بعضهم فى تشبيه النار انظر الى النار وهى مضرمة * وجرها بالرماد مستور

شبه دم من فواخت ذبحت * وفوقه ريشهن منشور

ومثله فى الغرابة والحسن قول ابن الخلال فى تشبيه الشمعة

وصحيحة بيضاء تطلع فى الدجى * صبحا وتشفى الناظرين بدائها
شابت ذوائبها أوان شبابها * واسود مفرقها أوان فنائها
كالعين فى طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها وضيائها

أقول انها أنور من شمعة الارجانى وان مشى غالب الناس على ضوئها ومن التشابيه الغريبة المنسوبة الى ابن المعتز أو ابن الرومى تشبيه أرباع الجوز الاخضر وهو

جاءت بجوز أخضر * مكسر مقشر * كانما أرباعه * مضغة علك كندر

ومن التشابيه العقم التى لم يسبق صاحبها اليها قول القائل فى أحدب

قصرت أخادعه وغاب قذاله * فكأنه متربص أن يصفعا
وكانه قد ذاق أول صفعة * وأحس ثانية لها فتجمعا

ومما ينسب الى امام هذه الصناعة القاضى الفاضل قوله فى نفسه وهو فى غاية الظرف

فان كان وليا فهو الولاء وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن هذا الفقيه ميمون خبط أجواف الليل وضرب أكباد الخيل من العراق الى خراسان ليحبس بها ولا جرم كان لا يعدم هذا بالعراق لو أراد ولو سال القاضى بها فضل وزاد وقد شكا الى مرارا ما يستقبل به من قبيح الكلام ويعامل به من سوء اهتضام وهؤلاء الصدور يرون الشمس من قبلى تدور وقد رأى الشيخ أحوالهم وسمع أقوالهم فلا أدرى من أكاتب فى معناه وهذا القاضى أنا عنده فى منزلة أقل من شئ المعتزلة ولا يسئل عما أبدى فانفصل بندى والخلاف واقع فى كل شئ الا فى الحساب فلم لا يحاسب على الذرة كما يحاسب على البدرة فان أحرج الحساب عليه شيأ دلو لب حينئذ معلوم وان كان حبس للتهمة فسواد ليلة أو بياض يوم ولم أعهد الشيخ فى الامور بهذا الفتور فاهذه الضراعة وأين الشفاعة وان لم تقبل فأين الشناعة الله أكبر أنا أول من يشعر وهذا الفقيه الزيارى قد ضل فيه القياس من يستحى الله منه ولا يستحى من

ما كان يكمل حذو الايوان حتى ازداد قبه
فكأنني فيه خرو * فشوى ومن فوقى مكبه

ويعجبنى من التشابيه البليغة قول القائل

أأميم لو شاهدت يوم نزالنا * والخيل تحت النقع كالأشباح
تطفو وترسب فى الدماء كأنها * صور الفوارس فى كؤس الراح

ومثله فى الحسن قول الناشئ

فى كأسها صور تظن لحسنها * عربا برزن من الحجال وغيدا
واذا المزاج أثارها فتقسمت * ذهبا ودرا توأما وفريدا
فكأنهن لبسن ذاك مجاسدا * وجعلن ذا لنحورهن عقودا

هذا المعنى ولده الناشئ من قول أبى نواس فى التصوير

بنينا على كسرى سماء مدامة * مكللة حافاتها بنجوم
فلو ردّ فى كسرى بن ساسان روحه * اذا لاصطفانى دون كل نديم

وألم به ابن قلاقس فيما بعد وسبكه فى قالب حسن بقوله

دارت زجاجتها وفى جنباتها * كسرى أنوشروان فى ايوانه
نخلعت عن عطفيه حلة قهوة * وشربتها فغدوت فى سلطانه

وألم به الشيخ صلاح الدين الصفدى وأجاد الى الغاية مع حسن التضمين بقوله

ومشمولة قد هام كسرى بكأسها * فاضحى ينادى وهو فيها مصوّر
وقفت لشوقى من وراء زجاجة * الى الدار من فرط الصبابة أنظر

وألم به بعده الصاحب فخر الدين بن مكانس رحمه الله تعالى بقوله

اذا ما أديرت فى حشا عسجدية * بها كل ذى تاج وقصر تصوّرا
فحسبك نيلا فى السيادة أن ترى * نديمك فى الكاسات كسرى وقيصرا

لم أورد هذه الابيات التى ولدها المتأخرون فى معنى التصوير خالية من التشبيه وأداته الا لفائدة عن لى ايرادها هنا وهى معرفة الموجب لنقش هذه الصورة على ظاهر الكاسات ذكر الفقيه أبو مروان الكاتب بن بدرون فى شرحه لقصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون ان سابور بن هرمز الملقب بذى الاكتاف لما رجع من قتال بنى تميم قصد الروم والدخول الى القسطنطينية متنكرا واستشار قومه قبل ذلك فحذروه فلم يقبل قولهم وصار اليها فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام فدخل فى جملتهم وجلس على بعض موائدهم وكان قيصر قد أحكم تصوير سابور على آنية شرابه فانتهت الكأس فى المجلس الى يد بعض ندماء الملك وكان ذكيا حاذقا ومن الاتفاق العجيب جلوس سابور فى مقابلته فصار النديم ينظر الى الصورة والى سابور ويتعجب من تقارب الشبهين فلم يسعه غير القيام الى الملك والاسرار اليه بما شاهده فقبض فى الحال على سابور ولما مثل بين يدى قيصر سأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور هربت منه لأمر خفته فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فأقر بنفسه وجعل فى جلد بقرة وتمام أمره الى أن خلص وعاد الى ملكه يطول شرحه هنا ومن أراد ذلك ينظر من سلوان المطاع فى السلوانة الثانية فانها مشتملة على أنواع من الحكمة * رجع الى فتح باب ما كافيه من تشبيه المحسوس بالمحسوس فمن التشابيه الملوكية التى لا يقع مثلها للسوقة تشبيه سيف الدولة ابن حمدان فى قوس قزح وهو

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى أجفانه سنة الغمض

الناس أليس فى آداب القضاء وفى لمته البيضاء ما يصونه عن الابتذال نسأل الله رأيا يستد وسترا يمتد ووجها لا يسود والسلام

(وله اليه رقعة)

يالعباد الله القرض ولا هذا الرحض والزاد ولا هذا الكساد أمرض ولا أعا اذا شبع الزنجى بال على التمر وهذا بول على الجمر ويوشك أن يكون له دخان يقول الشيخ الجليل الامام لو سمعت بمرضه لانتهيت الى غرضه اذا لا أوخذه بالجرم ولا أسامحه العذر وكأنى به يقول أتدارك الآن اذا يجدنى ملآن عربدة لاحقيقة لها وموجدة ما خلق الله أصلها فما أجد منه مفرا ولا عند غيره مستقرا ولكنه نفثة مصدور ونقضة مهموم والسلام

(وله الى الشيخ أبى النصر)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ والماء اذا طال مكثه ظهر خبثه واذا سكن متنه تحرك نتنه كذلك الضيف يسمج لقاؤه اذا طال ثواؤه ويثقل ظله اذا انتهى محله قد حلبت أشطر خمسة أشهر بهراة ولم تكن دار مثلى لولا مقامه وما كانت تسعنى لولا امامه ولى فى ثنتين مثل صدق وان

يطوف بكاسات العقار كانجم * فمن بين منقض لدينا ومنقض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا * على الجود كنا والحواشي على الارض
يطرزها قوس السحاب باصفر * على أحمر في أخضر اثر مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

ومن تشابيه سيف الدولة الغريبة أيضا قوله

أقبله على جزع * كشرب الطائر الفزع

ومن التشابيه اللطيفة ما نسب الى ابليس فان القاضي شمس الدين بن خلكان ذكر في تاريخه عند ترجمة ابن دريد أنه قال سهرت ذات ليلة فلما كان آخر الليل غمضت عيني فرأيت رجلا طويلا أصفر اللون كوسجا دخل علي وأخذ بعضادتي الباب فقال انشدني أحسن ما قلت في الخمر فقلت ما ترك أبو نواس لاحد دخولا في هذا الباب فقال أنا أشعر منه فقلت ومن أنت فقال أنا أبو ناجية من أهل الشام وانشدني

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

ومن بليغ التشبيهات وبديعها قول أبي محمد عبد الله بن قاضي ميلة في قصيدته الفائية التي امتدح بها ثقة الدولة القضاعي صاحب صقلية الروم وسارت له بها الركبان واثبتها القاضي شمس الدين بن خلكان بكمالها في تاريخه وقد تقدم ذكر مطلعها في حسن الابتداء والتشبيه الموعود بايراده هنا قوله من القصيدة المذكورة

وجؤجؤ مزن الرعد يستل ودقه * ترى برقه كالحية الصل يطرف
ذكرت بها ريا وما كنت ناسيا * فاذكر لكن لوعة تتضعف
كأني اذا ما لاح والرعد معول * وجفن السحاب الجون بالماء يذرف
سليم وصوت الرعد راق وودقه * كنفث الرقي من عظم ما أتلهف

ومن لطائف التشبيهات البديعة قول القاضي الفاضل من قصيد

كأن ضلوعي والزفير وأدمعي * طلول وريح عاصف وسيول

ومثله في اللطف قوله   لولم يعطل خاطري من سلوة * ما كان خدي بالمدامع حالي
أودعته قلبي فخان وديعتي * فسواده في خده كالخال

ومن التشابيه الغريبة البديعة قوله أيضا من قصيدة أخرى

وقد تهادت سيوف الهند اذ خضبت * كالشرب حين تهادى بالزجاجات

ويعجبني من لطائف التشبيه قول محيي الدين بن قرناص الحموي

من لقلبي من جور ظبي هواه * لي شغل عن حاجر والعقيق
خصره تحت أحمر البند يحكي * خنصرا فيه خاتم من عقيق

ومن التشابيه البديعة قول مجير الدين بن تميم

ونهر اذا ما الشمس حان غروبها * ولاحت عليه في غلائلها الصفر
رأينا الذي أبقت به من شعاعها * كأنا أرقنا فيه كاسا من الخمر

ومثله قوله   وناعورة قد ألبست لحيائها * من الشمس ثوبا فوق أثوابها الخضر
كطاوس بستان تدور وتنجلي * وتنفض عن أرياشها بلل القطر

ومن التشابيه البليغة الرافلة في حلل التورية قوله أيضا

أبدى السنان جراحة في خده * تحت العذار فقال قلب قاسي

صدرا مصدره شق وأدنيتني حتى اذا ما ملكتني بقول يحل العصم سهل الاباطح تجافيت عني حيث لا لي حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح نعم قنصتني نعم الشيخ فلما علق الجناح وقلق البراح طار مطار الريح بل مطار الروح وتركني بين قوم ينقض منهم الطهارة وتوهن أكفهم الحجارة حدثت عن هذا الخليفة لا بل الجيفة انه قال قضيت لفلان خمسين حاجة منذ ورد هذا البلد وليس يقنع فما أصنع فقلت يا أحمق ان استطعت أن ترني محتاجا فاستطع أن أراك محتاجا اليك أف لقولك وفعلك ولدهر أحوج الى مثلك أنا أسأل الشيخ أن يبيض وجهي بكتاب يسود وجهه ويعرفه قدره وعلاء ربا صدره الى أن يبين على صفحات جنبه آثار ذنبه وله فيما يفعل رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ أبي العباس)

رقعتي هذه عزيز علي ان لا أسعد دون هذه الرقعة بتلك البقعة وكنت فاوضتك في الحديث سألتك القاء الى الشيخ وشهر الصيام ضعيف الحصر كريه العصر ولولا أن وقت رجوعه وقت

وتطلبوا الاسى فاظفروا به * معهم وعز وجوده فى الناس
شبهت سوسنة أبانت وردة * تحت البنفسج مالها من آس
ومثله قوله
لو كنت حين علوت ظهر مطية * لم يتلقها للمطى عيون
وتوسطت بحر السراب حسبتنى * من فوقها ألفا وتحتى نون
ومثله قوله
شبهت خدك يا حبيبى عندما * أبدى الجمال به عذارا أشقرا
تفاحة حمراء قد كتبوا بها * خطا رقيقا بالنضار مشعرا
ويعجبنى قوله مع التشبيه البليغ وحسن التضمين الذى ما تضمن مثله ديوان
غدير دار زجسه عليه * ورق نسيمه وصفا وراقا
تراه اذا حلت به لورد * كان عليه من حدق نطاقا
ويعجبنى من لطائف التشبيه تخيل محيى الدين بن قرناص الحموى بقوله
لقد عقد الربيع نطاق زهر * يضم لغصنه خصرا نحيلا
ودب مع العشى عذار طل * على نهر حكى خدا أسيلا
تشبيه النهر هنا بالخد الاسيل ليس له فى الحسن مثيل ومثله قوله
لما تبدى النهر عند عشية * والروض يخضع للصبا والشمأل
عاينته مثل الحسام وظله * يحكى الصدا والريح مثل الصيقل
ومن التشابيه البليغة التى جمعت بحسن التورية بين الصورة والمعنى وشبب بمحاسنها الرواة فى كل مغنى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى وصف قوس البندق بعد تغزله فى الرامى
قد حمد القوم به عقبى السفر * عند اقتران القوس منه بالقمر
لولا حذار القوس من يديه * لغنت الورق على عطفيه
فى كفه محنية الاوصال * قاطعة الاعمار كالهلال
ثم قال منها وهى الطردية الموسومة بنظم السلوك فى مصائد الملوك ولم يخرج عن تشبيه القوس مع اشتراك التورية كأنها حول المياه نون * أو حاجب بما نشا مقرون
ويعجبنى منها قوله فى وصف التم مع حسن التضمين
تخاله من تحت عنق قد سجا * طرة صبح تحت اذيال الدجا
ومنها يشبه الطيور الواقعة على قسى الرماة
كأنها وهى لدينا وقع * لدى محاريب القسى ركع
ومن التشابيه الغريبة التى لم يسبق الشيخ جمال الدين بن نباتة اليها قوله
اشكوا السقام وتشكو مثله امرأتى * فنحن فى الفرش والاعضاء ترتج
نفسان والعظم فى نطع يجمعنا * كأنما نحن فى التمثيل شطرنج
ومثله فى الغرابة قوله من قصيدته اللامية التى عارض بها كعب بن زهير فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم مع التضمين الفائق
ما مسك الهدب دمعى حين أذكركم * الا كما يمسك الماء الغرابيل
ومن لطائف التشبيهات قول بدر الدين حسن الزغارى فى وصف زهر الزنبق
وزهرة من زنبق * أنوارها وهاجه
صفراء فى مبيضة * كالراح فى الزجاجه
ويعجبنى من التشبيه البديع قول الشيخ عز الدين الموصلى مع حسن التضمين
وسامرى أعار البدر منه سنا * سمود نجما وهذا النجم غرار

جوعه لقصدت حضرته لكنى أخاف ضجرته وأنت أعرف بأحواله وألطف فى سؤاله فاعرض رقعتى هذه وتنجز الحاجة منه وان أرحتنى فى ذلك الحديث من صاحب المواريث فيد غراء لا تسعها الارض والسماء وان لم تتمكن من الكل فاقطعه بالبعض فبعض الشر أهون من بعض والسلام

(وله أيضا)

الشيخ أطال الله بقاءه أجده كالفار فى انفاذ تلك الدفاتر وما أصنع بكاف التشبيه وهو الفار كله وكأنه قد عرف عادتى فى حبس العارية فاخذ بأنواع البسط حتى نبعث على الصغر ما أمر من البط وان أحب أعطيته موثقا من لسانى ويدى حلفت له بالله العظيم وجمعت الى اليمين بالله يمينا بالطلاق ولم أقتصر على أقل من الثلاث ان دفاتره لا تمكث عندى الا اليوم والليلة وما أحوجنى عن صاحب فضول يستعير هذا القسم بفضول وأما البط فليس الا انفاذه فقط والافابيات كما سمعها شوارد وبعد الطبخ بوارد ولتعلمن نبأه بعد حين

(الابيات)

يا أبا الفصل قد أخر بطى
فلماذا وفيم هذا التبطى

تهتز قامته من تحت عمته * كأنه علم فى رأسه نار

وأما التشبيه الذى ولده الشيخ برهان الدين القيراطى فانه من غايات هذا الباب وهو قوله من قصيد

والبدر يستر بالغيوم و ينجلى * كتنفس الحسناء فى مرآتها

وقال أبو حفص برد والبدر كالمرآة غير صقلها * عبث الغوانى فيه بالانفاس

والمضمن الربع الاخير من البيت وهو من شعر أبى بكر محمد ابن هاشم * ومن لطيف التشبيه قول الشيخ علاء الدين على بن ايبك الدمشقى

مغنم العارض غنى لنا * أشياء فى السمع حلا ذوقها

كأنما فيه قمرية * تشدو ومن عارضه طوقها

ومن التشابيه البديعة التى لم تدرك فى هذا الباب تشابيه الصاحب فخر الدين بن مكانس فى قصيدته المشهورة المشتملة على وصف شجرة السرح

مالت على النهر اذ جاش الخرير به * كأنها أذن مالت لاصغاء

كأن صمغتها الحمرا بقشرتها الدكناء قرص على أعكان سمراء

ومنها فى وصف سواد السفينة على بحر النيل

نسعى البهاء لى جرداء جارية * من آلة كهلال الافق حدباء

سوداء تحكى على الماء المصندل شا * مة على شفة كالشهد لعساء

وتظرف الشيخ عز الدين الموصلى بقوله فى هذا النوع وان لم يأت ببليغ التشبيه

قيل صف هذا الذى همت به * قلت فى وصفى مع حسن المسالك

هو كالغصن وكالظبى وكالشمـ * ـس وكالبدر وما أشبه ذلك

الطف التشبيه فى قوله وما أشبه ذلك ومن التشابيه التى لم أسبق اليها قولى من قصيد

حين قابلت خده بدموع * أثرت خلت نوب خز مخمتم

ومثله قولى من قصيد وا غصن يحكى النون فى ميلانه * وخياله فى الماء كالتنوين

ومثله قولى من المدائح المؤيدية

يا حامى الحرمين والاقصى ومن * لولاه لم يسمر بمكة سامر

والله ان الله نحوك ناظر * هذا ومافى العالمين مناظر

فرج على المحون نظم عسكرا * وأطاعه فى النظم بحر وافر

فانبت منه زحافه فى وقفه * يا من بأحوال الوقائع شاعر

وجميع ماتيك البغاة بأسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر

وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة * فكأن هاتيك السروج مقابر

تالله لقد وقع هذا التشبيه من مولانا السلطان خلد الله ملكه بموقع وأعجبه غاية الاعجاب واستعاده منه مرارا ومن التشابيه العقم قولى فى وصف حمائم البطائق من الرسالة التى عارضت بها الفاضل كم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظفرت بكف خضيب وانحدرت كأنها دمعة سقطت على خد الشقيق لامر مريب وكم لمع فى أصيل الشمس خضاب كفها الوضاح فصارت بسموها وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح انتهى ما أوردته نظما ونثرا من بليغ التشبيه فى باب المحسوس بالمحسوس وقد تعين أن أورد هنا ما وقع فى النظم من التشبيه الذى هو غير بليغ لينفتح ذهن الطالب وتصفو مرآة ذوقه فقد عاب الاصمعى بين يدى الرشيد قول النابغة

نظرت اليك بحاجة لم تقضها * نظر المريض الى وجوه العوّد

فقال يكره تشبيه المحبوب بالمريض ومثله قول أبى محجن الثقفى فى وصف قينة

هالأرطى وخذمقطى وان لم
تلبى واثقا فدونك خطى

(آخر)

يا أبا الفضل ما وفيت بشرطى
لا ولا ثقت فى الاخاء بضبطى
كنت أهديت لى بزعمك بطا
فلماذا حبست عنى بطى
واراك احتقرت ذاك فهلا
انما ينقض الوضوء بضرط

(آخر)

أبا الفضل لا تشدد يديك على بطى
ولا تك من لفظى وخطى فى خبط
ولا تستزدنى ان أتتك ملامتى
تميتك عن ظما وأنت على الشط

(وله الى أبى الحسن الجميرى)

ليس لك أن تغضب على ولى نعمتك وهو الاستاذ فان نشط حضرك وان أراد هجرك ورأيه فى الامر أفضل ثم لا يسئل عما يفعل وأيضا فانه يدعوك فيقول كنت وكان وهذه السمة قبيحة فاحضره الآن

(وله اليه يعزيه بغلام)

كتابى وانى اذا سألت الخاطر فأملا وأمرت القلم فجرى لشيم العهد والاصل فقد عزمت ان أقطعهما من حيث زكت والحمد لله على ما ساء وسر والصلاة على محمد وآله ما غوص الموت على حبات القلوب وأعرفه

ترجع العود أحيانا وتخفضه * كما طير ذباب الروضة الغرد

قد تقدم القول وتقرر أن المولدين ومن تبعهم رغبوا عن تشابيه العرب لانها مع عقادة التركيب لم تسفر عن كبير أمر وقال ابن رشيق في العمدة ان طريق العرب خولفت في كثير من الشعر الى ماهو أليق بالوقت وأمس بأهله فان القينة الجميلة لم ترض أن تشبه نفسها بالذباب كما قال أبو محجن ومثل ذلك قول ابن عون الكاتب

يلاعبها كف المزاج محبة * لها وليجرى الآن بينهما الانس

فتزبد من تيه عليه كانها * عزيزة خدر قد تخبطها المس

بشاعة هذا التشبيه تمجها الاذواق الصحيحة وتنفر منها الطباع السليمة فان أهل الذوق ما يطيب لهم أن يشربوا شيأ يشبه زبد المصروع ومن التشابيه الغريبة التي جمعت بين عدم البلاغة وعقادة التركيب قول الشاعر

فأصبحت بعد خط بهجتها * كان قفرا رسومها قلما

التقدير فأصبحت بعد بهجتها قفرا كان قلما خط رسومها وعدوا من التشابيه التي هي غير بليغة قول الشاعر في وصف الروض

كأن شقائق النعمان فيه * ثياب قد روين من الدماء

فهذا وان كان تشبيها مصيبا فان فيه بشاعة كثرة الدماء التي تعاف الانفس اللطيفة رؤيتها وثبوت هذا النقد اتصل بالمتأخرين ونقدوه على الحاجرى في قوله

وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ما شقت عليه المرائر

وقالوا ما زاد الحاجرى على أن جعل خد محبوبه مسلخا فالتشبيه أيضا وان كان مصيبا فان فيه بشاعة شق المرائر على خد المحبوب وبعضهم ما اكتفى بشق المرائر على خد محبوبه حتى سفك عليه الدماء بقوله وما احمر ذاك الخد واخضر فوقه * عذارك الا من دم ومرائر

ومثل ذلك ما عابوه على ابن قلاقس في قوله

أما ترى الصبح يخفى في دجنته * كانما هو سقط بين أحشائي

لاشك أن بهجة الصبح في أواخر الليل أبهج من السقط بين الاحشاء والمشبه أعلى وأغلى من المشبه به وعلى كل تقدير فالسقط بين الاحشاء وسفك الدماء وشق المرائر على خدود الاحباب تنفر منها الامزجة اللطيفة اللهم الا أن يكون ذلك ليس له تعلق بشئ من أوصاف المحبوب بل يكون تعلقه بحكاية حال واقعة كقول الشاعر

نزلنا بنعمان الاراك وللندى * سقيط به ابتلت علينا المطارف

وقفت بها والدمع أكثره دم * كانى من جفنى بنعمان راعف

هذه الحالة لا ينكر اجريان الدمع دما فانها حالة لائقة بجريانه على هذه الصفة لان هذا الشاعر لما أن نزل بنعمان التي هي منازل أحبابه ووجدها مقفرة منهم لاق بحاله أن يجرى الدمع لشدة الاسف دما ومثله قول ابن قاضي ميلة من قصيدته التي تقدم ذكرها

ولما التقينا محرمين وسيرنا * بلبيك ربا والركائب تعسف

نظرت اليها والمطى كانما * غواربها منها معاطس رعف

هذا التشبيه غاية في هذا الباب وجريان الدماء من غوارب المطى لائق بحكاية حالها فان هذه الحالة فيها ألطف الكنايات عن التعسف في شدة السرى قلت وان سبكت هذه الحلة في قوالب الهجو ورصعها الشاعر في صفات من هجاه كانت أحسن موقعا وأبلغ موضعا كقول مولانا المقر الاشرف

بمودعات الصدور وأخاصه الى مكان الروح وألفظه لانامى العون فان الله وانا اليه راجعون انا لا أسأل مولاى كيف حاله بعده فانى أعرف بهامته على ان الرشدان بنساه حتى لا يذكره ويسلاه كى لا يكفره وكفاه تسلية علمه ان الدهر لا يقصد الا الكريم بمبراته وهذا على فورة الجوع وقطرات الدموع يصنع بالكاغد ما يصنع وسار اجع نفسى من بعد فا كتب بما يجب والسلام

(وله اليه جوابا عن كتاب بعتاب)

عرض على من كتابه فصل يقول الدراذا لم هلم والسحر اذا صح نخ يتبعه وعيد تخدج الآرام منه * وتنكره نية الغنم الذئاب فقامت وسواس المرض المصيبة وازدياد من الغيبة زيادة في الغيبة وذكر شوقه الى خطى واستراحته الى لفظى ولو صدق ولم يبغ بذلك الملق لترك الشمل جميعا أولا آب سريعا ولو علم ما في الصدر في هذه الايام من حر الكلام ونفذ في هذه البقاع من طرف الرقاع ثم ملكته هزة الفضل لطوى السير عاجلا والارض راجلا ولا والله لا أسقيه أو يرجع ولا يسمع من ذلك النمط

القاضوي الناصري البارزي صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية عظم الله تعالى شأنه في هجو من لا يمكن ذكره هنا من قصيد

وقد علت اسنانه صفرة * تكدر العيش المرىء المريع
ولثها من ورم فاسد * كالرئة المحبوس فيها نجيع

هذا التشبيه لم أجد له شبيها في هذا الباب الا تشبيه ابن الرومي في هجو الورد وقد تقدم ذكره فلو جمع المتأمل بين المشبه المهجو وبين المشبه به وشاهد هذا التخييل الغريب عيانا صدق صحة دعواي في ذلك ومن التشابيه التي هي غير بليغة قول ابن وزير في تشبيه الماء على الرخام

لله يوم بحمام نعمت به * والماء من حوضه ما بيننا جاري
كأنه فوق شقات الرخام ضحى * ماء يسيل على أثواب قصار

وتلطف ابن الدوري في هجاء هذا الشاعر حيث قال

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له * فكاد يحرقه من فرط اذكاء
أقام يجهد أياما قريحته * وشبه الماء بعد الجهد بالماء

ذكرت هنا من التشابيه التي هي غير بليغة قول الشيخ صلاح الدين الصفدي في تشبيه القمر في خلال الاغصان لما انثنت

كأنما الاغصان لما انثنت * أمام بدر التم في غيهبه
بنت مليك خلف شباكها * تفرجت منه على موكبه

وقد أورد عليه علامة عصرنا القاضي بدر الدين الدماميني فسح الله تعالى في أجله في كتابه المسمى بنزول الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم نقدا كشف به القناع عن عدم بلاغة هذا التشبيه فان الشيخ بدر الدين المشار اليه قال وقوله صحيح ان ظاهر عبارة الشيخ صلاح الدين تشبيه الاغصان في حالة انثنائها أمام البدر في الدجى ببنت مليك تطل من شباكها للنظر في موكب أبيها وذلك عن مظان التشبيه بمعزل ومقصوده أن البدر في حالة ظهوره من خلال الاغصان المتثنية على الصفة المذكورة يشبه بنت مليك على تلك الحالة تمثيلا للهيئة الاجتماعية لكن اللفظ لا يساعده على ذلك المطلوب فانه جعل الاغصان مبتدأ وأخبر عنه بقوله بنت مليك فلم يتم له المراد على أن مقطوع الشيخ صلاح الدين مع ما فيه من عدم بلاغة التشبيه مأخوذ من قول محيي الدين بن قرناص الحموي

وحديقة غناء ينتظم الندى * بفروعها كالدر في الاسلاك
والبدر يشرق من خلال غصونها * مثل المليح يطل من شباك

قلت ليس لاهل النقد مدخل في هذا الشباك انتهى ما أوردته هنا من التشبيه الذي هو غير بليغ في باب المحسوس بالمحسوس وقد تقدم القول على موجب تقديمه في باب التشبيه وتقرر أن مدركات السمع والبصر والذوق والشم واللمس التي هي الحواس الخمس أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحواس انتهى (القسم الثاني وهو تشبيه المعقول بالمعقول) أقول ان هذا النوع في هذا الباب ليس له مواقع المحسوسات وقد تكرر قولي في ذلك وأحسن ما وجدت فيه أعني تشبيه المعقول بالمعقول قول أبي الطيب المتنبي

كأن الهم مشغوف بقلبي * فساعة هجرها يجد الوصالا

وظريف هنا قول القائل من أبيات مع بديع الاستطراد

لفظ طويل تحت معنى قاصر * كالعقل في عبد اللطيف الناظر

(القسم الثالث تشبيه المعقول بالمحسوس) وهو اخراج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة كقوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ

فتشبيه

الاستفاهها وأما الملحي وقصيدته فاهلا به وبها على ما ضمنت من سم وسلع واودعت من جبر وخلع فان كانت برة لم يعدم مهرها وهو رضاه وان كانت ضرة لم يعدم من يخرج جشاءها من قعره فيقسم بشعره ثم شعره والسلام

(ولابيه اليه)

الابوة باطلها حق والبنوة حقها باطل ولو علمت ان مناظرة الوالد بالحجة عقوق ومجاهرته بالشبهة فسوق لم تلقني بار من القبول وأحسن من ترك الفضول

(وله أيضا)

ذلك عادة فضل في كل فصل ولنا أيضا سنة مقت في كل وقت ولعمري ان ذا الحاجة مقيت الطلعة ثقيل الوطأة ولكن ليسوا سواء أولو حاجة يحتاج اليهم المال وأولو حاجة تحوجهم الآمال والامير أبو غانم عبد السلام بن جعفر المطيع لله أمير المؤمنين ان أحوجه الزمان فطالما خدمه وان ابتلاه الله فكثيرا ما أكرمه ونعمه وقديما أقله السرير وعرفه الخورنق والسدير وان نقصه المال فالعرض وافر وان جفاه الملك فالقضاء ظاهر وان ابتلاه الله

فتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أبلغ التشابيه وأبدعها ومثله قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ومن النظم قول أبي علي ابن سينا

انما النفس كالزجاجة والعلـ ـم سراج وحكمة الله زيت

ويعجبني في هذا الباب أعني تشبيه المعقول بالمحسوس قول ابن منير الطرابلسي

زعم كمنبلج الصباح وراءه * عزم كحد السيف صادف مقتلا

(القسم الرابع تشبيه المحسوس بالمعقول) قد تقدم ان هذا القسم عند أهل المعاني والبيان غير جائز وما ذاك الا أن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية اليها ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ووجه الصواب في تشبيه المحسوس بالمعقول ان يقدر البليغ المعقول محسوسا ويجعل أصل المحسوس على طريق المبالغة فرعا فيصح التشبيه حينئذ كقول الشاعر

وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع

فانه لما شاع وصف السنة بالبياض والاشراق لقول النبي صلى الله عليه وسلم أتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها واشتهرت البدعة وكل ما ليس بحق بالظلمة والسواد كقولهم ليل الشرك أقام هذا الشاعر السنن مقام الاجناس التي لها اشراق وبياض والبدع مقام أجناس السواد والظلمة فصار ذلك عنده كتشبيه محسوس بمحسوس فجاز له التشبيه على هذا التقدير كقول أبي طالب الرقي

ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فانه لما كانت الاوقات التي تحدث فيها المكاره توصف بالسواد كقول من يغتاله مكروه اسودت الدنيا في عيني جعل هذا الشاعر يوم النوى أشهر بالسواد من الظلام فشبهه وعرفه به ثم عطف عليه بفؤاد من لم يعشق نظرا الى ان الظريف العشاق يدعي قسوة قلب من لم يعشق والقلب القاسي يوصف بشدة السواد فصار هذا القلب عنده أصلا في السواد على هذا التقدير فقس على ذلك ومثله قول القائل

أسفر ضوء الصبح من وجهه * فقام خال الخد فيه بلال

كأنما الخال على خده * ساعة هجر في ليال الوصال

سواد ساعة الهجر وبياض زمان الوصل قد فهم على ما تقرر وتكرر ومن ذلك قول الشاعر

كان انتضاء البدر من تحت غيمه * نجاة من البأساء بعد وقوع

ومن البديع الغريب في هذا الباب قول القاضي التنوخي

أما ترى البرد قد وافت عساكره * وعسكر الحر كيف انساب منطلقا

فانهض بنار الى فحم كأنهما * في العين ظلم وانصاف قد اتفقا

جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا * بردا فصرنا كقلب الصب اذ عشقا

ويعجبني هنا قول الصاحب بن عباد وقد أهدى الى القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني عطرا

أهديت عطرا مثل طيب ثنائه * فكأنما أهدى له أخلاقه

ومن التشابيه البليغة في هذا الباب قول الشهاب محمود في تشبيه بعض الحصون والمبالغة في علوه

كأنه وكأن الجو يكنفه * وهم تكنفه في طيها الفكر

وغاية الغايات في هذا الباب أعني تشبيه المحسوس بالمعقول قول أبي نواس رحمه الله

معتقة صاغ المزاج لرأسها * أكاليل در ما لناظمها سلك

جرت حركات الدهر فوق سكونها * فذابت كذوب التبر أخلصه السبك

وأدرك منها الغائرون بقية * من الروح في جسم أضر به النهك

وقد خفيت من لطفها فكأنها * بقايا يقين كاد يذهبه الشك

ومثله قوله واجاد فيه الى الغاية

فليبتليكم به فينظر كيف تعملون وأنت تقابل مورده عليك من لاعظام بما يستحق ولا تحكم فيه عينيك فانه الاترى من الناس غير الراس وابدان لاتخطر الاباردا ان واني قاسمت هذا العم نعم مولانا على الانعمة لاتحتمل قسمة وصلة لاتحتمل تفصلة من فرس لايمكن قطعه نصفين وعبد لايجوز توزيعه بين اثنين ولعل هذا العم نقم على هذا الجرم وان كان نسبني الى محظور ركبته من مسكر شربته أومنكر قربته أوقمار لعبته أوعود ضربته أوزرد نصبته أوبيت نقبته أوشئ سلبته فقد صبر على هذه الهناة عشر سنين فما هذا الضجر اليوم وان لم اتعاطها فلا لوم ولم يبق أيد الله الامير من انقلاب الزمان الاطلوع الشمس من مغربها والله المستعان ولخادمه بهذه الحضرة رتبة يحسدها القاصر عنها ويخافها الفارع لها ويزاحمه النازل بها ويعقته الطامع فيها فهو من جهاتها مقصود ومن أطرافها محسود والمرء لايخلو من ذنب صغير فيورى عن جهته فيرى كبيرا وخطب يسير يوصل به ذنب صغير فيصير عظيما وربما شيع الى باب جهنم من لا يدخلها واني لاظهر في جميع

ونديمان سـقيت الراح صرفا * وستر الليل منسدل السجوف
صفت وصفت زجاجتها عليها * كمعـنى دق فى ذهـن لطيف

والذى سارت له به الركبان فى هذا الباب قوله

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

انتهـى ما أوردته من تشبيه المحسـوس بالمعقول وتقرر صوابه وإيراد بديعـه وغريبـه وقد تقرر وتكرر أن تشبيه المحسوس بالمحسوس هو المقدم فى باب التشبيه وعلى أسه شيد أصحاب البديعيات بيوتهم ولكن بيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته غـير صالح للتجريد فانه متعلق بالبيت المشتمـل على ائتـلاف اللفظ مـع المعنى فتعـين ايراد البيتين هنا لتظهر نتيجة التشبيه فى بيت ائتـلاف اللفظ مع المعنى فى بديعيته قوله

كأنما حلق السعدى منتثرا * على الثرى بين منقض ومنفصم

واتبعه بقوله فى التشبيه

حروف خط على طرس مقطعة * جاءت بها يد غمر غير مفتهم

قال الكمال الله كل من البيتين فيه نقص لافتقاره الى الآخر ولو تجرد أحدهما عن أخيه ما حسـن السكوت عليـه ولا تمت به فائدة وكيف يصح التشبيه فى بيت واحـد وحل القصد به أن يكون بمجرده مثالا للنوع المذكور والمشـبه فى البيت الاول والمشبه به فى البيت الثانى والذى أقوله انى لم أر فى البيت الاول المشتمل على ائتلاف اللفظ مع المعنى معنى ولا على بيت التشبيـه الذى بعده للبلاغـة بهجة لافتقاره الى الاول والله أعلم ومن غرائب ما ينقل هنا ان العميان ما نظموا نوع التشبيـه فى بديعيتهـم ونظموا رد العجز على الصـدر وبيت الشيخ عز الدين الموصـلى فى بديعيتـه قوله فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

وقيل للبـدر تشبيه اليـه نعم * نجم الثريا له كالنعل فى القدم

بيت الشيخ عز الدين هنا صالح للتجريد بخلاف بيت الشيخ صـفى الدين اذ المراد به أن يكون بمجـرده شاهدا على نوع التشبيه ولكن معناه مأخوذ من بيت الفاضـل فى قصيـدته الطائيـة المشهورة والبيت المأخوذ منه هذا المعنى قوله منها

أما الثريا فنعـل تحت أخمصـه * وكل قافية قالت لذلك طا

من أين لعقادة الشيخ عز الدين أو لغيره أن يقول فى الشطر الاول من بيت قافيته طائية
* أما الثريا فنعل تحت أخمصه * و يقول فى الشطر الثانى * وكل قافية قالت لذلك طا *

انتهى و بيت بديعيتى جمعت فيـه بين شرف المديح النبوى وشرف تشبيه القوافى اذ هو المقـدم فى هذا الباب على كل تشبيه فانى قلت فى البيت المشتمل على نوع التفريق البديعى

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم

ولم أزل أظهر فى أفق البلاغة كماله صلى الله عليه وسلم الى ان قلت فى التشبيه

والبدر فى التم كالعرجون صار له * فقل لهم يتركوا تشبيه بدرهم

ثم انى قلت بعده فى التلميح الذى ما يلمح فى صفات النبى صلى الله عليه وسلم أحسن منه

وردّ شمس الضحى للقوم خاضعة * وما ليوشع تلميح ركبهم

التلميح هو فى الاصـطلاح ان يشير ناظم هذا النوع فى بيت أو قرينة سجع الى قصة معلومة أو نكتة مشهورة أو بيت شعر حفظ لتواتره أو الى مثل سائر يجريه فى كلامه على جهة التمثيل وأحسنه وأبلغه ما حصل به زيادة فى المعنى المقصود ويسميه قوم التمليح بتقديم الميم كأن الناظم أتى فى بيتـه بنكتـة زادته ملاحة كقول ابن المعتز

النفاق الا فى النفاق فان لم اخف الله الكبير لم أخف الامير والسلام

(وله يعاتب بعض أصدقائه)

الوحشـة أطال الله بقاء الشيخ تقتـدح فى الصدر اقتداح النار فى الزند فان أطفئت بادت وتـلاشت وان عاشت طارت وطاشت والقطر اذا تدارك عـلى الاناء امتـلأ وفاض والعبـث اذا ترك فـرخ وباض ونحـن أولو هـذه الصنعة لا يطرد ناسـوط كالجفا ولا يعـقلنا شرك كالند انم على كل حال ننظر من عال عـلى الكريم نظر ادلال وعلى اللئيم نظر اذلال فمن لقينا بانف طويـل لقيناه بخرطوم فيـل ومن لحظنا بنظـر شزر بعناه بثمن نزر وعندى ان الشيخ الرئيس لم يغرسنى ليقطعنى فتيا ولا اشترانى ليبيعنى سـواه و بحك سلمت عليه الغداة فرد جوابا بارد مثله على الوكلاء بشطر الاعضاء واقتصر من البشاشة على تحريك الشاشة ومن الاقبال على تعويج السبال وعهده بذلك الرئيس يخرق الى بساطه عدوا وسماطه حبوا فهذا الفاضل أجـل من والده الفقيـه أيده الله يوصيه بحسن العشرة معى من بعد فلاتيه يوم وللجبروت قوم وما أريد بعـد هـذا الاعتاب اعتابا ولا عـن

أرى الجيرة الذين تداعوا * عند سير الحبيب وقت الزوال
علموا انني مقيم وقلبي * راحل فيهم امام الجمال
مثل صاع العزيز في أرحل القو * م ولا يعلمون ما في الرحال

هذا التلميح فيه اشارة الى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع في رحل أخيه واخوته لم يشعروا بذلك ومن لطائف التلميح قول أبي فراس

فلا خير في رد الاذى بذلة * كما رده يوما بسوأته عمرو

هذا التلميح فيه اشارة الى قصة عمرو بن العاص مع الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في يوم صفين حين حمل عليه الامام ورأى عمرو أن لا مخلص له منه فلم يسعه غير كشف العورة ومن الحديث على جهة التورية قول بعضهم في مليح اسمه بدر

يا بدر اهلك جاروا * وعلموك التجري
وقبحوا لك وصلي * وحسنوا لك هجري
فليفعلوا ما أرادوا * فانهم أهل بدر

هذا التلميح فيه اشارة الى قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر حين سأل قتل حاطب لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ومن ذلك قول الشاعر

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظي * ارق واحنى منك في ساعة الهجر

هذا الشاعر أشار بتلميحه في هذا البيت الى البيت المشهور والذي ما برح الناس يتمثلون به عند من هو موصوف بالقسوة وهو

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

ومن ذلك قول بعضهم

يقولون كافات الشتاء كثيرة * وما هي الا واحد غير مفترى
اذا كان كاف الكيس فالكل حاصل * لديك وكل الصيد يوجد في الفرا

هذا الشاعر أشار في تلميح نيته الى قول ابن سكرة

جاء الشتاء وعندي من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا * بعد الكباب وكس ناعم وكسا

ومن أظرف ما وقع هنا أن امرأة من أهل الحذق والظرافة قيل لها من أنت وكانت ملتفة في كساء فقالت أنا السادس في السابع أشارت في تلميحها اللطيف الى السادس والسابع من قول ابن سكرة فكأنها قالت أنا الكس الناعم في الكساء ونظم بعضهم هذا المعنى في بيتين فقال

رأيتها ملفوفة في كسا * خوفا من الكاشح والطامع
قلت لها من أنت يا هذه * قالت أنا السادس في السابع

وهذا غاية لا تدرك في باب التلميح ومن هذا القبيل قول الحريري في المقامات راني والله طالما تلقيت الشتاء بكافاته وأعددت له أهبا قبل موافاته ومثله قوله في المقامات أيضا فبت بليلة نابغية يشير الى قول النابغة

فبت كاني ساورتني ضئيلة * من الرقش في أنيابها السم ناقع

والضئيلة هي الحية الدقيقة ومن لطائف التلميح قصة الهذلي مع منصور بني العباس فانه حكى أن المنصور وعد الهذلي بجائزة ونسي فاجتمعا مرا في المدينة النبوية ببيت عاتكة فقال الهذلي يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة التي يقول فيها الاحوص

يا بيت عاتكة التي أتغزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل

هذه الرقعة جوابا فاني لا أمكنه بعدها من أن يستهين ولا أسلم عليه حتى يهين والحمد لله رب العالمين

(وله الى الامير أبي أحمد خلف بن أحمد)

كتابي أطال الله بقاءك وقد كنت نذرت ان لا أخاطب حضرته ثم روى لي القاضي حديثا طرق الى نقض ما نذرت طريقا وسمعت منشدا ينشد لحي الله صعلوكا مناه وهمه من العيش ان يلقى لبوسا ومطعما فقلت انا معنى هذا البيت لاني قاعد في البيت آكل طيب الطعام وألبس لين الثياب ويفاض علي نزل ولا يفوض الي شغل ويملأ لي وطب ولا يدفع بي خطب وهذا والله عيش العاجز والزمن العاجز وكنت أيام مقام الامير أرى المسافة بين الرتب قريبة واجدني أولا كالثاني وثانيا كالاول وأرى الآن ترتيبا جديدا وتقفا وتابعيدا وكنت أحسبني متأخرا اذا شاء تقدم ومتواضعا لو أراد تعظم ومسودا لو زاحم من ساد لملك الوساد وأراني الآن محرجا الى التأخر ملجأ الى التصغر ولعل جرما تصور أو رأيا تغير أو اعتقادا اختلف أوظنا اختلف فان لم يكن شيء مما سردت واوردت فالغلط

فانكر عليه أمير المؤمنين لانه تكلم من غير أن يسئل فلما رجع الخليفة نظر فى القصيدة الى آخرها ليعلم ما أراد الهذلى بانشاد ذلك البيت من غير استدعاء فاذا فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فعلم انه أشار الى هذا البيت بتلميحه الغريب فتذكر ما وعده به وأنجزه له واعتذر اليه من النسيان ومثله ما يحكى ان أبا العلاء المعرى كان يتعصب للمتنبى فحضر يوما مجلس الشريف المرتضى فجرى ذكر أبى الطيب فهضم المرتضى من جانبه فقال أبو العلاء لولم يكن له من الشعر الا قوله

لك يا منازل فى القلوب منازل * لكفاه فغضب المرتضى وأمر به فسحب وأخرج وبعد اخراجه قال المرتضى هل تدرون ما عنى بذكر البيت فقالوا لا والله فقال عنى به قول أبى الطيب فى القصيد

واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل

ومن هذا القبيل قصة السرى الرفاء مع سيف الدولة بسبب المتنبى أيضا فان السرى الرفاء كان من مداح سيف الدولة وجرى يوما فى مجلسه ذكر أبى الطيب فبالغ سيف الدولة فى الثناء عليه فقال له السرى أشتهى أن الامير ينتخب لى قصيدة من غرر قصائده لاعارضها وتحقق بذلك انه اركب المتنبى فى غير سرجه فقال له سيف الدولة على الفور عارض لنا قصيدته القافية التى مطلعها

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى * وللحب ما لم يبق منه وما بقى

قال السرى فكتبت القصيدة واعتبرتها فى تلك الليلة فلم أجدها من مختارات أبى الطيب لكن رأيته يقول فى آخرها عن ممدوحه

اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق * اراه غبارى ثم قال له الحق

فقلت والله ما أشار سيف الدولة الا الى هذا البيت وأحجمت عن معارضة القصيدة وألطف من هذا ما حكاه ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء فانه من غرائب التلميح قال قعد رجل على جسر بغداد فاقبلت امرأة بارعة فى الجمال من جهة الرصافة الى الجانب الغربى فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله على بن الجهم فقالت له رحم الله أبا العلاء المعرى وما وقفا بل سارا مغربا ومشرقا قال الرجل فتبعت المرأة فقلت لها والله ان لم تقولى لى ما أراد بابن الجهم فضحتك قالت أراد به

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأردت انا بأبى العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

ورسالة الوزير أبى الوليد بن زيدون المخزومى الاندلسى غالبها مبنى على نوع التلميح ولا بد ان اذكر الموجب لانشائها بحيث يتلمح المتأمل بهجة تلميحها وسبب انشاء هذه الرسالة البديعة انه كان بقرطبة امرأة ظريفة متأدبة من بنات خلفاء العرب المنسوبين الى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالداخل فى بنى عبد الملك بن مروان تسمى ولادة بنت المستكفى بالله ابتذل حجابها بعد نكبة أبيها وقتله فصارت تجالس للشعراء والكتاب وتحاضرهم وتطارحهم وكانت ذات جمال بارع وأدب غض وديانة أخلاق وكان لها ميل الى ابن زيدون بخلاف غيره من أهل العصر فما كتبت اليه وهى راضية عنه

ترقب اذا جن الظلام زيارتى * فانى رأيت الليل اكتم للسر
وبى منك مالو كان بالبدر لم ينر * وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

وكتبت اليه وهى غضبى ان ابن زيدون على فضله * يلهج بى شتما ولا ذنب لى
يلحظنى شزرا اذا جئته * كانما جئت لاخصى على

تشير فى تلميحها اللطيف الى غلام كان متهما به ومن غض شعرها قولها

فى صدر القصة كان وفى عجزها بان وان كان كذا فبالله ما أرضى ولو صارت السماء أرضا ولا أريد ولو انقطع الوريد وانى لاستحيى من الله ان ارى لى المثل الادنى وفى القوس منتزع أنا وان لم أكن بالعراق أمير البصرة وبخارا زعيم الحضرة فما أزعجنى عن همذان فقر الى جوع وعرى ولا ساقنى الى سجستان طمع فى شبع ورى وانما نحوم حول المراد

ولو ان ما اسعى لادنى معيشة
كفانى ولم أطلب قليل من المال

لا يكثر الامير على من خلعه وصلاته فوالله لو علمت ان قصارى أمرى سجستان اليها وضياعها اقتنيها وغلمانها اشتريها وأموالها اتسع فيها ولا مطمع فى زيادة بعد لا آثرت الزهد على الطلب الرأس أيد الله الامير كثير الخبوط والضيف كثير التخليط وصب هذا الماء خير من شربه وبعد هذا الضيف أولى من قربه وكانى بالامير يقول اذا قرئت هذه الفصول الهمذانى رأى بهذه الحضرة من الانعام مالم يره فى المنام فكيف من الانام ولعله انشأ هذا الكتاب سكران فعدل به عادل السكر عن طريق

انا والله اصلح للمعالي * وامشي مشيتي واتيه تيها
وأمكن عاشقي من صحن خدي * واعطي قبلتي من يشتهيها

ومما ينسب اليها

لحاظكم تجرحنا في الحشا * ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذي أوجب جرح الصدود

وكان ابن زيدون كثير الشغف بها والميل اليها وأكثر غزل شعره فيها وقد تقدم ذكر ميلها اليه بخلاف أهل عصره من أهل الادب لحسن أدبه ولطف شمائله وتقدمه على أهل زمانه وكان الوزير أبو عامر بن عبدوس كثير الهيمان بها واجتهد في التوصل اليها والاجتماع بها والاقتطاف من غمار آدابها الغضة والتمتع بجمالها البارع فعجز عن ذلك لكثرة ميلها الى ابن زيدون وتوصل الى أن أرسل اليها امرأة من خواصه لتستميلها اليه وتعرفها عظم مقامه وسمو رتبته على غيره وتبالغ في التوصل الى رغبتها فيه فبلغ ذلك ابن زيدون فانشأ هذه الرسالة على لسان ولادة تتضمن سب الوزير أبي عامر والتهكم به وبنى غالبها على نوع التلميح وجعلها جوابا عنها فاشتهر ذكر الرسالة في الافاق وأمسك الوزير ابن عبدوس عن التعرض الى ولادة فمن سجعات الرسالة المبنية على التلميح قوله منها على لسان ولادة يخاطب الوزير ابن عبدوس (حتى قالت ان باقلا موصوف بالبلاغة اذا قرن بك) هذا التلميح فيه اشارة الى عمرو بن ثعلبة الايادي الذي يضرب به المثل في العي فيقال فلان أعيى من باقل قال أبو عبيدة بلغ من عيه انه اشترى ظبيا باحد عشر درهما فلقيه شخص والظبي معه فقال له بكم اشتريته ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يشير الى أحد عشر فهرب الظبي (وهبنقة مستوجب لاسم العقل اذا أضيف اليك) هذا التلميح يشير فيه ابن زيدون الى يزيد ابن ثروان أحد بني قيس ابن ثعلبة الملقب بهبنقة المكنى بابي الودعات لانه نظم ودعا في سلك وجعله في عنقه علامة لنفسه لئلا يضيع وهو جاهلي يضرب به المثل في الحمق قيل انه كان اذا رعى غنما أو ابلا جعل مختار المراعي للسمان ونحى المهازيل عنها وقال لا أصلح ما أفسد الله واختصم بنو راسب وبنو طفاوة في شخص يدعونه وأطاعوا هبنقة على أمرهم فقال القوه في البحر فان رسب فهو من بني راسب وان طفي فهو من بني طفاوة واشترى أخوه بقرة باربعة أعنز فركبها فاعجبه عدوها فالتفت الى أخيه وقال زدهم عنزا فضرب بها المثل للمعطي بعد امضاء البيع ثم سار فرأى أرنبا تحت شجرة ففزع منها وهمز البقرة وقال

الله نجاني ونجا البقره * من جاحظ العينين تحت الشجره

(وطويسا مأثور عنه يمن الطائر اذا قيس عليك) هذا التلميح يشير به الى عيسى ابن عبد الله مولى بني مخزوم وكنيته أبو النعيم كان مخنثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو أول من غنى على الدف بالعربية ولكن ضرب في شؤمه المثل فانه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطم يوم مات أبو بكر وختن يوم قتل عمر وزوج يوم قتل عثمان وكانت أمه تمشي بالنميمة بين نساء الانصار ومن تلميح هذه الرسالة التي هي غاية في هذا الباب قوله منها يشير الى ابن عبدوس (والله لو كساك محرق البردين * وحلتك مارية بالقرطين * وقادك عمرو الصمصامة * وحملك الحرث على النعامة * ماشككت في ابائك * ولا كنت الاذالك) السجعة الاولى تشير في تلميحها الى عمرو بن المنذر بن ماء السماء كان يسمى من شدة بأسه محرقا وقصة هذه التسمية استوفى أبو الفرج صاحب الاغاني شرحها في كتابه وأما قصة البردين فحكى أن الوفود اجتمعت عند محرق فاخرج من لباسه بردين وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما فقام عامر بن احمر فاخذهما فاتزر بواحدة وارتدى بالاخرى فقال له محرق أنت أعز العرب قبيلة فقال نعم لان العز كله في معد والعدد في معد ثم في نزار ثم في مضر ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب فمن أنكر ذلك فليناظرني فسكت الناس فقال هذه عشيرتك كما

الشكر وكانه نسي مورده الذي أشبه مولده وانما رفع لحنه حين أشبع بطنه واللئيم اذا جاع ابتغى واذا شبع طغى والهمذاني لو ترك بجلدته يرقص تحت رعدته ما تربع في قعدته ولا تجشأ من معدته ولكنه حين لبس الحلة وركب البغلة وملك الخيل والخول تمنى الدول ورأس اللئيم يحمل الوهن ولا يحتمل الدهن وظهر الشقي يحمل عدلين من الفحم ولا يحمل رطلين من الشحم ولولا الشعير مانهقت الحمير ولولم يتسع حاله لم يتسع محاله وكذا الكلب يزمن حين يسمن ولا يتبع حين يشبع وعند الجوع يهم بالرجوع وهذا المقترح من دعاء ولولم يكن عقباه مادحرج ذكرت هذه الكلمات ليعلم الاميراني لم انسها ومع تصور هذه الجملة اغار على لحظاته وأواخذ الامير بحركاته وسكناته وارى أنه سعدني باكثر مما سعدت منه وانف ان يقال سما الهمذاني حيث سما سواه ويقاس على هذا ما عداه اللهم الان اكون ضيفا كالاضياف يقيم اليوم ويرحل غدا فلا أنافس احدا والامير ايده الله بأخذ هذا المعنى فيكسوه لفظا الين المأخذ

تزعم فكيف أنت فى نفسك وأهل بيتك فقال أنا ابو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وها أنا فى نفسى وشاهد العز شاهدى ثم وضع قدمه على الارض وقال من أزالها من مكانها فله مائة من الابل فلم يقم اليه أحد فخرج بالبردين وضرب المثل بعزه وببرديه والسجعة الثانية تشير فى تلميحها الى مارية وقصتها المشهورة بالقرطين وهى مارية ابنة ظالم بن وهب الكندى زوج الحرث الاكبر الغسانى ملك العرب بالشام وهى أم الحرث الاصغر وأمها هند الهنود وكان فى قرطيها درتان عجيبتان كبيضتى الحمام لم ير مثلهما توارثتهما الملوك الى أن وصلتا الى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة لما زوجها بعمر بن عبد العزيز فلما ولى عمر الخلافة قال لها ان أحببت المقام عندى فضعى القرطين والحلى فى بيت مال المسلمين فاجابته الى سؤاله فلما مات وولى يزيد بن عبد الملك أرسل اليها يقول لها اخذى القرطين والحلى فقالت لا والله ما أوافقه فى حال حياته وأخالفه بعد وفاته والسجعة الثالثة تشير فى تلميحها الى عمرو بن معديكرب الزبيدى الفارس المشهور بكثرة الغارات والوقائع بين العرب فى الجاهلية قبل اسلامه وكان يكنى ابا ثور والصمصامة سيفه المشهور قال عبد الملك بن عمر أهدت بلقيس الى سليمان عليه السلام خمسة أسياف وهم ذو الفقار وذو النون ومخذم ورسوب والصمصامة فاما ذو الفقار فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه من منبه ابن الحجاج يوم بدر ومخذم ورسوب كانا للحرث بن جبلة الغسانى وذو النون والصمصامة لعمرو بن معديكرب وانتقلت الصمصامة الى سعيد بن العاص ولم تزل الى أن صعد المهدى البصرة فلما كان بواسط أرسل الى بنى العاص بطلب الصمصامة منهم فقالوا انه قد صار محتسبا فى السبيل فقال خمسون سيفا فى السبيل أغنى من سيف واحد وأعطاهم خمسين سيفا وأخذه ثم وصل الى المتوكل فدفعه الى بعض مماليكه الاتراك فقتله به والسجعة الرابعة تشير فى تلميحها الى فرس الحرث بن عباد التغلبى سيد بنى وائل سمتها العرب لخفتها وسرعة جريها بالنعامة وضربت بها الامثال وكان الحرث يكرر قوله فى كل وقت بانشاده * قربا مربط النعامة منى * انتهى ولولا خوف الاطالة لاوردت من هذه الرسالة غالب تلميحها فانها نسيج وحدها على هذا المنوال أعنى التلميح وبيت الشيخ صفى الدين الحلى على هذا النوع قوله

ان ألقها تلقف كل ما صنعوا — اذا أتيت بسحر من كلامهم

بيت الشيخ صفى الدين هنا أيضا متعلق بما قبله والضمير فى ألقها عائد على العصا فانه قال فى بيت الاقتباس

هذى عصاى التى فيها مآرب لى * وقد أهش بها طورا على غنمى

وقال بعده فى بيت التلميح ان ألقها البيت ورأيته يسلك هذا المسلك فى غالب بديعيته وهو غير لائق به اذ المراد من كل بيت أن يكون شاهدا على ذلك النوع بمجرده والتلميح فى بيته هو الاشارة الى قصة موسى عليه السلام مع السحرة لما ألقى العصا وبيت العميان فى بديعيتهم

ويقرع السمع عن حق زواجره * قرع الرماح ببدر ظهر منهزم

العميان أشاروا فى تلميحهم الى قصة يوم بدر ولكن ليس على شمائل بيتهم من رونق التلميح لمحة وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

وبان فى كتب التاريخ من قدم * تلميح قصة موسى مع معدهم

لم ألمح من خلال بيت الشيخ عز الدين غفر الله له لمحة تدلنى على نور التلميح لكنه حكى حكاية مضمونها أن كتب التاريخ القديمة بان فيها تلميح قصة موسى عليه السلام مع معد والله أعلم وبيت بديعيتى تقدمنى فى تلميحه أبو تمام بقوله متغزلا فى بعض قصائده وقد سفرت محبوبته من جانب الخدر ليلا

فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
فوالله ما أدرى أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

فلما

سهل المقطع ورقيه الى سمعه ويجيب عبده فى الحال بما عنده والسلام

(وله الى الشيخ الوزير أبى العباس الاسفراينى جواب كتابه)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ السيد من هراة غرة شهر ربيع الاول عن سلامة والشيخ الجليل يسحب أذيالها ويلبس ظلالها والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين نهت الحكماء أيد الله الشيخ السيد عن صحبة الملوك وقالوا ان الملوك ان خدمتهم ملوك وان لم تخدمهم اذلوك فانهم يستعظمون فى الثواب رد الجواب ويستقلون فى العقاب ضرب الرقاب وانهم ليعثرون على العثرة اليسيرة من خدمهم فيبنون لها منارا ثم يوقدون لها نارا ويعتقدونها ثارا وانهم ليراوحون بعد الخدمة ويغادون بلطيف التحية ولا يقيمون لهم وزنا وقالوا كن مع الملوك مكانك من الشمس انها لتؤذيك والسماء لها مدار والارض لها دار فكيف لو أسفت قليلا ودنت يسيرا وان العاقل ليطلب مهامزيد بعد فيتخذ سربا لواذا منها وهربا ويبتغى نفقا فرارا منها وفرقا وكما ضربوا

فاما انتهيت فى نظم بديعيتى الى هذا النوع اعنى التلميح رأيت النبى صلى الله عليه وسلم أحق به وأنا أحق به من أبى تمام فانى نظمته فى سلك المعجزات النبوية فهامت عيون الاذواق الى بهجة تلميحه وقد تقدم قولى فى بيت التشبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

والبدر فى التم كالعرجون صار له * فقل لهم يتركوا تشبيه بدرهم

ثم قلت بعده فى التلميح وردّ شمس الضحى للقوم خاضعة * وما ليوشع تلميح بركبهم

انظر أيها المتأمل الى انسجام هذا البيت مع الذى قبله والى ظهور النقص فى بيت أبى تمام بانتقال نور التلميح الى شرف هذا البيت النبوى والله أعلم

(ذكر تشبيه شيئين بشيئين)

(شيآن قد أشبها شيئين فيه لنا * تبسم وعطا كالبرق فى الديم)

هذا النوع أعنى تشبيه شيئين بشيئين من المحاسن العزيزة الوقوع بخلاف كبيرة العدد فى التشبيه فان ذلك نوع اللف والنشر أحق به وهو فى الاصطلاح أن يقابل الشاعر بين الاربعة ويلتزم أن كل واحد من المشبه يسد مسد المشبه به (ومما حكى) عن بشار بن برد أنه قال مازلت منذ سمعت قول امرىء القيس فى وصف العقاب

كان قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

لا يأخذنى الهجوع حسدا له الى أن قلت فى وصف الحرب

كان مثار النقع فوق رؤسنا * واسيافنا ليل تهاوت كواكبه

ومما يعجبنى فى هذا الباب الى الغاية قول ابراهيم بن سهل الاشبيلى

كان القلب والسلوان ذهن * يحوم عليه معنى مستحيل

ومن الغايات التى لا تدرك فى هذا الباب وأنا أستغفر الله قولى من قصيد

وحمرة الخد أبدت خط عارضه * نخات كاس مدام وهو مشعور

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

تلاعبوا تحت ظل السمر من مرح * كما تلاعبت الاشبال فى الاجم

بيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع عامر بالمحاسن رافل فى حلل الانسجام والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

شيآن تشبيه شيئين انتبه لهما * حلم وجهل هما كالبرء والسقم

نعوذ بالله من آفة الغفلة ممدوح هذا البيت هو النبى صلى الله عليه وسلم وقد تقدمه قوله فى مديحه

هل من مقار بقى السير بعد نوى * باطيب التمر بين العرب والعجم

وقال بعده هذا البيت الدائر وقد سلمنا أنه قابل فيه حلم النبى صلى الله عليه وسلم بالبرء وأما ذكر الجهل فى هذا البيت فهو فى غاية الجهل وليس له ما يقابله غير التأديب على قلة أدبه وقد قابل به السقم ولا أعلم ما مراده به وطالما شرحه فوجدته قرر حد النوع وفر من الكلام على معنى البيت بخلاف أبيات القصيدة وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

شيآن قد اشبها شيئين فيه لنا * تبسم وعطا كالبرق فى الديم

هذا البيت البديع فى لفظه ومعناه ما أشك أن أبا بكر مقدم فيه على الحلى والموصلى فانه وضعه فى محله والنبى صلى الله عليه وسلم احق به من كل ممدوح وقد جمع فيه بين حسن اللف والنشر وبليغ التشبيه وأما مراعاة النظير فى مديحه بين البرق والديم فليس لها نظير والله أعلم

(ذكر الانسجام)

له انسجام دموعى فى مدائحه * بالله شنف بها يا طيب النغم

الشمس لا سلوك مسلا كذلك جهلوا البحر عنهم بدلا فقالوا جاور ملكا أو بحرا وأحرى ركب البحر أن لا يسلم ولم يرض الشيخ السيد أن يكون ملك الانام حتى يكون ملك الكلام فالرأى أن نزيم والصواب أن لا نقيم ولله أيد الله عزه كتاب بضرط الاثن ويعرق الاباط كالقنفذ من أى النواحى أتيته وكالحسك على أى جنب طرحته فرحم الله أبا النصر قلت له يوما انك لسيئ الرغبة سريع الملالة فقال عافاك الله هذه غيبة وهى فى الوجه غريبة وانما يغتاب المرء من وراء ظهره لا فى سوء وجهه وكان اللئيم لا يعرى من خلة خير كذلك الكريم لا يخلو من فعلة سوء فما هذه الشناعة ولا الناقة عقرت ولا بالله كفرت وما به أيده الله كتبى ان ترد ورسلى ان تصل ولكنه أراد امتحان طبعه فى الكتابة واختبار تصرفه فى البلاغة وانما يتعلم الحلق على رؤس الحاكة ويجرب السيف على الكلاب لا على القاب وقد لعمرى طبق العظام وهتك الحجاب ولم يكن سيف أبى رغوان ولم ينب بيدى

(ذكر الانسجام)

المراد من الانسجام أن يأتي لخلوه من العقادة كانسجام الماء في انحداره ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه ان يسيل رقة ولعمري ان طيور القلوب ما برحت على أفنان هذا النوع واقعه * وبحمامات سنه الغضة بين الاوراق ساجعه * وأهل الطريق الغرامية هم بدور مطالعه وسكان مرابعه فانهم ما ثقلوا كاهل سهولته بنوع من أنواع البديع اللهم الا أن يأتي عفوا من غير قصد وعلى هذا أجمع علماء البديع في حد هذا النوع فانهم قرروا أن يكون بعيدا من التصنع خاليا من الانواع البديعية الا أن يأتي في ضمن السهولة من غير قصد وغالب شعر الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماه * سقى الله من غيث الرحمة ثراه * ماش على هذا التقرير ويأتي التمثيل به في مكانه ان شاء الله تعالى وان كان الانسجام في النثر يكون غالب فقراته موزونة من غير قصد لقوة انسجامه وأعظم الشواهد على هذا ما جاء في القرآن العظيم من الموزون بغير قصد في بيوت واشطار بيوت فمن الطويل الذي جاء على أصل الدائرة في القرآن العظيم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وتفعيله القياسي فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن كقول الشاعر

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد * فقد زادني مسراك وجدا على وجدي

وجاء في بحر المديد من العروض الثانية المحذوفة قوله تعالى واصنع الفلك بأعيننا كقول الشاعر

اعلموا أني لكم حافظ * شاهدا ما دمت أو غائبا

ومن مصرعه زعم النعمان ملك العرب * ليس يحيى من عصاه الهرب

وجاء في بحر البسيط من العروض الاولى المخبونة قوله تعالى فاصبحوا الا ترى الا مساكنهم كقول الشاعر * ما بال عينك منها الماء ينسكب * وجاء في الوافر من العروض الاولى المقطوفة والضرب المقطوف قوله تعالى ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين كقول الشاعر

ألا هبي بصحنك فاصبحينا * ولا تبقي خمور الاندرينا

وجاء في الكامل من العروض الصحيحة المجزوءة والضرب المجزوء المذال قوله تعالى والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم كقول الشاعر * ابني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير * وجاء في الهزج من عروضه المجزوءة وضربها المحذوف قوله تعالى فالقوه على وجه أبي يأت بصيرا كقول الشاعر

وماظهري لباغي الضيـ * ـم بالظهر الذلول

وجاء في الرجز قوله تعالى وذللت قطوفها تذليلا كقول الشاعر

شالوا على جمالهم جمالهم * وسار حادي عيسهم يغني

وجاء في الرمل من العروض الثانية المجزوءة والضرب الثاني المجزوء قوله تعالى وجفان كالجوابي وقدور راسيات كقول الشاعر

مقفرات دارسات * مثل آيات الزبور

ومن مصرعه أي شخص كائبان * عند ضرب وطعان

وجاء في السريع من العروض الاولى المطوية المكسوفة قوله تعالى قال فما خطبك يا سامري ومنه أو كالذي مر على قرية كقول الشاعر

يا هند يا أخت بني عامر * لست على هجرك بالصابر

وجاء من المنسرح من العروض الاولى الوافية قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة كقول الشاعر * زموا المطايا بالواد ما ودعوا * وجاء من الخفيف من العروض التامة الصحيحة قوله تعالى أرأيت الذي يكذب بالدين كذا أورده صاحب المفتاح ومنه لا يكادون يفقهون حديثا وهذا من مستخرجات المصنف فسح الله في أجله كقول الشاعر

ليت ما فات من شبابي يعود * كيف والشيب كل يوم يزيد

ورقاء والجميل أجمل وأنا الى الجميل أحوج وهو أيده الله بالجميل أخلق والجميل به أليق أما الكتاب فلفظه فسيح ومعناه فصيح وأوله بآخره رهين وآخره لاوله قرين وبينهما ماء معين وحور عين وما شاء الله وعين السوء مصروفه وبيض ما يفرخن وفراخ ما ينهضن ونواهض ما يطرن وطير ما يبضن وقرت عين الوزارة وزهرت نار الدولة ورويت زناد الملة واني على اعجابي بتلك الفصول وتعجبي منها الشديد الحنق عليها والقلق فيها وخلة أخرى وهي اني مفتون بكلامي معجب بصوب أقلامي وذوب أفكاري فلا أزفه الا لمن يعتقد فيه اعتقادي ويميل اليه كفؤادي وينظر اليه بعين رأيي واذا بلغ الشيخ ايده الله من الفضل مبلغه خرج على ان لا أصله به وأواصله والسلام

(وله الى وزير الري)

كتابي وأنا أدام الله عز الوزير الكبير على بينة من أمري وبصيرة من ديني لا أقول بعلوم أصحاب النجوم فكما أعلم ان أكثرها زرق وريح ارى ان بعضها حق وصحيح وكان لنا أنيس لا يؤمن بالصبح ايمانه بالنجوم قرئ عليه ان الله يأمر بالعدل

وجاء من المضارع وهو بحر قليل الاستعمال جدا ومنهم من لم يعده بحرا ولا جاء فيه شعر معروف وقيل انه لم يسمع من العرب وقال أبو العباس العتابي في كتابه المسمى بنزهة الابصار في أوزان الاشعار ان الخليل جعله جنسا وأحسبه قاسه وما أدري ماروي في كتب العروض امصنوع هو ام مسموع من العرب انتهى كلام العتابي وتفاعيله في الاصل مفاعيلن فاع لان مفاعيلن ومثلها ولكنه ما استعمل الا مجزوا فبقي مربعا فما وقع من مخرومه في الكتاب العزيز قوله تعالى يوم التناد يوم تولون مدبرين والخرم هنا حذف الاول من مفاعيلن فعاد فاعيلن فنقل الى مفعولن فتفاعيل هذه الآية الشريفة مفعول فاعلات مفاعيل فاعلات كقول الشاعر

قلنا لهم وقالوا * وكل له مقال

وجاء في المقتضب من العروض المجزوة المطوية قوله تعالى في قلوبهم مرض وتفعيل ذلك فاعلات مستعلن وجاء فيه من الشعر

أقبلت فلاح لها * عارضان كالسبج

ومن مصرعه غنناعلى الدرج * بالخفيف والهزج

وهذا البحر في القلة كبحر المضارع الا أنه سمع منه أبيات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منها هل علي ويحكما * ان عشقت من حرج

وجاء في المجتث من العروض الصحيحة المجزوة والضرب المجزو قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم كقول الشاعر

البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال

وجاء في المتقارب من العروض الاولى الوافية قوله تعالى وأملي لهم ان كيدي متين فعولن فعولن فعولن فعولن كقول الشاعر

فاما تميم تميم بن مر * فالفاهم القوم روبى نياما

ولولا الاطالة لذكرت مادخل فيما أوردته من الزحاف وقد أوردت هنا خمسة عشر بحرا ولم أذكر المتدارك اذ هو محدث اخترعه المتأخرون ولم تعرفه العرب في الزمن المتقدم وهو خارج عن الخمسة عشر بحرا وقال ابن الحاجب في عروضه

وخمسة عشر دون ما متدارك * وما عده منها الخليل فعدلا

انتهى ما أوردته من الانسجام المنثور وأما الانسجام في النظم فقد تقدم وتقرر أن أصحاب المذهب الغرامي هم سكان بيوته العامرة * وكاس آرامه التي هي غير نافره * ولكن العرب على كل تقدير ملوك هذا الشان * وقلائد هذا العقيان * وقد عن لي أن أذكر هنا ما فروابه من وعر التركيب وشرعوه في أبياتهم على سهل الانسجام * وأركض في أثر هذه الابيات بسوابق الفحول فانها أبيات لها حرمة وذمام وأعرج بعد ذلك على البيوت الغرامية واتنسم أخبار الهوى العذري من بين تلك الخيام * فمن الانسجام الذي وقع للعرب وكاد أن يسيل رقة لسهولته قول امرئ القيس في معلقته

أغرك مني ان حبك قاتلي * وأنك مهما تأمري القلب يفعل

وقوله من غير المعلقة أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

ومثله في الانسجام والرقة قول طرفة بن العبد في معلقته

فان كنت لا تسطيع دفع منيتي * فدعني أبادرها بما ملكت يدي

ومثله قوله منها وظلم ذوي القربى أشد مضاضة * على الحر من وقع الحسام المهند

ومثله قوله منها فان مت فانعيني بما أنا أهله * وشقي علي الجيب يا أم معبد

ومثله قوله منها ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

والاحسان فقال ان رضي الحسان والافآل الفضل حرس الله نعمتهم وأدامها وحاط دولتهم وايامها كيف خفي عليهم مكاني وخيرهم أنبت اسناني وماءهم اثبت اسلامي فكيف لم يطلبوني طلب الرقيق الآبق وير بطوني ربط الجواد السابق وانما يحبس البازي ولو ترك والاقطار لطار ولم ار مثلي علق مضنة يرمى به من حالق ولكن رب حسناء طالق وقيل للحسن فلان لا يأكل الرطب ولا يشتهي الفالوزج فقال رب ملوم لاذنب له ولعلها الصرفة التي يكفر بها قوم ونحن بها مؤمنون ان سليمان ابن داود عليهما السلام على ما أوتي من بسطة ملك وباع ويد في الفتوح صناع وخطب في الخطوب وساع وامر في الثقلين مطاع وريح غدوها شهر ورواحها شهر وادراك كلام النملة وليس لها جهر صرف عن بلقيس ومالكها سنين وهي تجاورته في سبا اليمن حتى هداه الهدهد ولا عجب ان يصرف الشيخ الوزير أيده الله عني وانا احده واليه وغرس اباديه ولوشاء لسمى أبي زيدا وسماني اسامة ولوشاء غيره لقلنا لا ولا كرامة وما أخرت كتبي عن حضرته كفرا انا لنعمته

لكن اعظاما لحشمته ولولا أمر من خادمه والذى اقام الله عزه وتعيين فرض اضطرنى اليه لرأيت الجرى على عادتى بابا من أبواب ادب الخدمة لكنه لا رخصة فى العقوق من الخالق والمخلوق فكانت الحضرة العالية متنجزا ماسأل من الكتب والوزير السيد جدير بالفضل قدير عليه وانا موضع له فقير اليه وورائى وأمامى من أخوالى واعمامى من مواقف خدمته مشهورة ومقاماته مشكورة وبى وبهم حاجة الى فضل عونه وماعونه فان سعدوا بحظ من جميل رأيه فاآل بندار عشيرتى الادنون وبعدهم ناس صلاحهم بصلاح هؤلاء مربوط ونعم الشفيع السلطان الاعظم حرس الله ملكه والشيخ الجليل أعز الله نصره والعلم الذى رفع الله قدره والعمر الذى انفقناه على خدمته والشيب الذى لبسناه فى جملته ورأى الوزير فى ذلك موفق ان شاء الله

(وله الى الشيخ الرئيس أبى عامر فى معنى السدق)(٢)

نحن أطال الله بقاء الشيخ اذا تكلمنا فى فضل العرب على العجم وعلى سائر الامم اردنا بالفضل ما أحاطت به الجلود ولم ننكر ان تكون

ويأتيك بالانباء من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد
لعمرك ما الايام الا مفازة * فما اسطعت من معروفها فتزود
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

ومثله فى لطف الانسجام قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * ولو رام أسباب السماء بسلم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لم يكرم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن لا يصانع فى أمور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبالك يسأم

وأحسن ختامها فى الانسجام بقوله

وأعلم ما فى اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عمى

ومثله قول لبيد بن ربيعة من معلقته

فاقنع بما قسم المليك فانما * قسم الخلائق بيننا علامها
واذا الامانة قسمت فى معشر * أوفى باعظم حظنا قسامها

ومن الغايات فى باب الانسجام قول عنترة فى معلقته

فاذا شربت فاننى مستهلك * مالى وعرضى وافر لم يكلم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى وتكرمى

ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

لنا الدنيا ومن أضحى عليها * ونبطش حين نبطش قادرينا
اذا ما الملك سام الناس خسفا * أبينا أن يقر الخسف فينا
اذا بلغ الفطام الطفل منا * تخر له الجبابر ساجدينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا * وظهر البحر نملؤه سفينا
ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومثله قول الحرث بن حلزة فى معلقته وهى المعلقة السابعة

لا يقيم العزيز فى البلد السهل ولا ينفع الذليل النجاء

ومن الانسجامات التى عدها صاحب المرقص والمطرب من المطرب قول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كانك معطيه الذى أنت سائله

ومن الانسجامات المعدودة من المرقص قول النابغة الذبيانى

وانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

ومن الانسجام المعدود من المطرب قول حسان بن ثابت رضى الله عنه

أصون عرضى بمالى لا أدنسه * لا بارك الله بعد العرض فى المال
أحتال للمال ان أودى فاكسبه * ولست للعرض ان أودى بمحتال

وعدوا من الانسجام المرقص قول كعب بن زهير

ولا تمسك بالعهد الذى وعدت * الا كما يمسك الماء الغرابيل

ومن المطرب قول الشماخ اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

(٢) السدق بالسين الوقود وبالصاد لحن اه مجد

ويعجبني من لامية العرب قول الشنفرى بن مالك

وفي الارض منأى للكريم عن الاذى * وفيها لمن خاف القلى متحول

ومثله من لامية العجم وان تأخر عصرها

ان العلى حدثتني وهي صادقة * فيما تحدث أن العز في النقل
لو أن في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

وعدوا من الانسجام المطرب قول مجنون ليلى في قصيدته المشهورة

وقد خبروني أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا ستنقضي * فما للنوى ترمي بليلى المراميا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلني * أحدث عنك النفس بالليل خاليا
ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
يمينا اذا كانت يمينا وان تكن * شمالا ينازعني الهوى من شماليا
أصلي فما أدري اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
خليلي لا والله لا أملك الذي * قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا
ولو أن واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وماذا لهم لا أحسن الله حالهم * من الحظ في تصريم ليلى حباليا
وددت على حبي الحياة لو انه * يزاد لها في عمرها من حياتيا
على أنني راض بأن أحمل الهوى * وأخلص منه لا علي ولا ليا
اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني * فما لي أرى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتذهل حتى لا تجيب المناديا

ومن المرقص في باب الانسجام قول كثير عزة

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح
أخذنا باطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطي الاباطح

وعدوا من المطرب في باب الانسجام قول جرير

ان العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله أركانا

وعدوا من المطرب قول بشار بن برد

اذا جئته في حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

ومن انسجامات نسيبه التي ليس لها مناسب قوله

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدني اليك فان الحب أقصاني

ومثله قوله — أنا والله اشتهي سحر عينيك واخشى مصارع العشاق

ومثله قوله — واني امرؤ أحببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق

ويعجبني من لطيف الانسجام قول العباس بن الاحنف

أفدي الذين أذاقوني مودتهم * حتى اذا أيقظوني للهوى رقدوا
واستنهضوني فلما قمت منتصبا * بثقل ما حملوني منهم قعدوا

ومثله قوله — لولا محبتكم لما عاتبتكم * ولكنتم عندي كبعض الناس

أمة أحسن من العرب ملابس وأنعم منها مطاعم وأكثر ذخائر وأبسط ممالك وأعمر مساكن ولكنا نقول العرب أوفى وأوفر وأوفى وأوقر وأنكى وأنكر وأعلى وأعلم وأحلى وأحلم وأقوى وأقوم وأبلى وأبلغ وأنجى وأنجع وأسمى وأسمح وأعطى وأعطف وألطى وألطف وأحصى وأحصف وأنقى وآنق ولا ينكر ذلك الاوقح وقح ولا يجحده الا نغل نغر وانما قدم الله تعالى ملك العجم ليحتج عليها وانما آخر ملك العرب ليحتج بها وما ملكت العجم حتى تواصلت وما ملكت العرب الا حين تصاولت وما تواصلت العجم الا يأسا من نفوسها ولا تصاولت العرب الا لما في رؤسها ولا تكاد السباع تأتلف كما لا تكاد البهائم تختلف وان قيل أقرت هذه العرب لها أنها جرتها الجاع اخلاق شريفة ونظام أحلام رزينة ومصاب أيام مذكورة ومصب مساع مشكورة وان امرأ ساد هذه الجرة لطلاع أنجد وغني بما أولى من خيره عن التزين بحلى غيره وحقيق أن يشير شعار حبائه ويميت شعار أعدائه ان عبد الوقود لعبد أفنك

ومثله قوله طاف الهوى فى عباد الله كلهم * حتى اذا مر بى من بينهم وقفا

ومثله قوله وسعى بنا واش فقالوا انها * لهى التى تشقى بها وتكابد

فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم * انى ليعجبنى المحب الجاحد

تقدم لهذين البيتين نكتة لطيفة تؤيد تأكيد انسجامهما وعذوبة ألفاظهما وهى انه رفع للرشيد موت العباس وابراهيم الموصلى المعروف بالنديم والكسائى وهشيمة الخمارة فى يوم واحد فأمر المأمون أن يصلى عليهم فخرج فصفوا بين يديه فقال من الاول فقالوا ابراهيم الموصلى فقال أخروه وقدموا العباس بن الاحنف فقدم وصلى عليه فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعى فقال ياسيدى كيف آثرت العباس بالتقديم على من حضر فقال بقوله وسعى بنا واش البيتين ثم قال أتحفظهما فقلت نعم فقال أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقديم فقلت بلى والله ياسيدى انتهى وقد تقدم قولى وتكرر ان أصحاب الطريق الغرامية هم موالى رقيق الانسجام وتجار سوقه ولولا نسمات أنفاسهم ما تنسمنا أخبار الحمى وتغزلنا فى سفحه وعقيقه وقد ألجأتنى ضرورة الجنسية الى ضم المتقدمين مع المتأخرين لئلا ينفرط لعقودها نظام واذا أخرت من تقدم وأوردت له غير الطريق الغرامى كان جل القصد من ذلك معرفة أنواع الانسجام فمن الانسجام الغرامى قول الشريف الرضى وهو الذى قال فى حقه الثعالبى فى كتاب اليتيمة هو أشعر الطالبيين قديما وحديثا على كثرة شعرائهم المفلقين ولو قلت انه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق والقول الموعود بايراده قوله نسرق الدمع فى الجيوب حياء * وبنا ما بنا من الاشواق

لا أذم السراء فى طلب العز ولكن فى فرقة العشاق

يوم لا غير زفرة من فؤاد * ذى قروح ورشقة من ماق

والثرى منتش بعاقره السير * ردما جاريا بأيدى النياق

أمعينى على بلوغ الامانى * وشفائى من علتى واشتياقى

أينعت بيننا المودة حتى * جللتنا والزهر بالاوراق

كم مقام خضناه الى اللهو * جميعا والليل ملقى الرواق

ومزجنا خمر الرضا بين فى الرشف * برغم المدام تحت العناق

قم نبادر رمى الظلام ببين * بسهام الخطوب فى الاتفاق

واغتنمها قبل الفراق فانه * لم يوما متى يكون التلاقى

نحن غصنان ضمنا عاطف الوجد * جميعا فى الحب ضم النطاق

فى جبين الزمان منك ومنى * غرة كوكبية الائتلاق

كلما كرت الليالى علينا * شق منا الوفاء جيب الشقاق

أيها الرائح المغذ تحمل * حاجة للمتيم المشتاق

أقر منى السلام أهل المصلى * فبلاغ السلام بعض التلاقى

واذا ما مررت بالخيف فاشهد * أن قلبى اليه بالاشواق

واذا ما سئلت عنى فقل نضو * هوى ما أظنه اليوم باقى

وابك عنى فطالما كنت من قبل * أعير الدموع للعشاق

ومثله قوله من أبيات سهمك مدلول على مقتلى * فمن يرى سهمك ياقاتل

ليس لقتلى ثائر يتقى * وليس فى سفك دمى طائل

قد رضا المقتول كل الرضا * واعجبا لم سخط القاتل

ومثله قوله من أبيات نكست لحظ العين حين خطا * والبين يرمقنى و يرمقه

وان شعار النار شعار شرك وما أنزل الله بالصدق سلطانا ولا شرف نيروزا ولا مهرجانا وانما صب الله سيوف العرب على فروق العجم لما كره من أديانها وسخط من نيرانها وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم حين مقت فعالهم وان أنصف الشيخ الرئيس أيام الله لديه وجدها كلها أعيادا ضاحكة المباسم ظاهرة المواسم فلا وقدت نار المجوس والله ما أقول ذلك الا غيرة على نعمته وشفقة على خطته انى أحمد الله تعالى عقت من بحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامى فالنار أولى بان عقت شارعها هى معبوده وانما جعل الله تعالى النار تذكرة ومتاعا ولم يجعلها ودا ولا سواعا ولم يضرب الله تعالى لها عيدا ولم يجعلنا لها عبيدا الله والنبى والعيد العربى والتكبير الجهير وتلك الجماهير والملائكة بعد ذلك ظهير والرحمة صوبا وصبا والبركات فيضا وفضا والجنة وصراطها والنجاة واشراطها والموسم الطاهر من لغو الحديث ذلك لا ما شرع الشيطان لاوليائه نار لديهم تشب ولعنة عليهم تصب وخمرة متاعها قليل وفى الآخرة

اذبت

أذبت دمعى يوم ودعنى * فى صحن خد ذاب رونقه
واللثم يركض فى سوالفه * يكاد خيل الدمع يسبقه
ومثله قوله خذى نفسى يا ريح من جانب الحمى * فلاقى بها ليلا نسيم ربا نجد
فان بذاك الحى حبا عهدته * وبالرغم منى أن يطول به عهدى
ولولا تداوى القلب من ألم الجوى * بذكرى تلاقينا قضيت من الوجد
ومثله قوله من أبيات عارضا بى ركب الحجاز أسائله * متى عهده بسكان سلع
واستملا حديث من سكن الجز * ع ولا تكتباه الا بدمعى
عزنى أن أرى الديار بطرفى * فلعلى أرى الديار بسمعى
ومن الانسجامات التى ينسجم الدمع لرقتها قول تلميذه مهيار الديلمى
ظن غداة البين أن قد سلما * لما رمى سهما وما أجرى دما
فعاد يستقرى حشاه فاذا * فؤاده من بينهم قد عدما
يا قاتل الله العيون خلقت * لواحظا كيف صارت أسهما
أودعنى السقم وولى هازئا * يقول قم واستشف ماء زمزما
ولو أباح ماحمى من ريقه * لكان أشفى لى من الماء اللما
وا بأبى ومن يبيع بأبى * على الظماء ذاك الزلال الشبما
كأنما الصهباء فى كافورة * قد مزجت وجل عن كأنما
ومثله قوله أستنجد الصبر فيكم وهو مغلوب * وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب
وأبتغى عندكم قلبا سمحت به * وكيف يرجع شئ وهو موهوب
ما كنت أعلم ما مقدار وصلكم * حتى هجرت وبعض الهجر تأديب
ومثله قوله وهو فى غاية اللطف
بطرفك والمسحور يقسم بالسحر * أعمدا رمانى أم أصاب ولا يدرى
رنا اللحظة الاولى فقلت مجرب * وكررها أخرى فأحسست بالشر
ومثله قوله فى اللطف من عذيرى يوم شرقى الحمى * من هوى جد بقلبى مزحا
الصبا ان كان لابد الصبا * انها كانت لقلبى أروحا
ياندامى بسلع هل أرى * ذلك المغبق والمصطبحا
اذكرونا مثل ذكرانا لكم * رب ذكرى قربت من نزحا
وارحموا صبا اذا غنى بكم * شرب الدمع وعاف القدحا
منها وعرفت الهم مذ فارقتكم * فكأنى ما عرفت الفرحا
ومثله قوله من قصيد بكر العارض يحدوه النعامى * فسقاك الرى يا دار أماما
وتمشت فيك أرواح الصبا * يتأرجن بأنفاس الخزامى
قد قضى حفظا لهوى أن تصبحى * للمحبين مناخا ومقاما
وبجرعاء الحمى قلبى فعج * بالحمى واقرا على قلبى السلاما
* وترحل فتحدث عجبا * ان قلبا سار عن جسم أقاما
قل لجيران الغضى آها على * طيب عيش بالغضى لو كان داما
حملوا ريح الصبا من نشركم * قبل أن تحمل شيحا أو ثماما
وابعثوا أشباحكم لى فى الكرى * ان أذنتم لجفونى ان تناما
ومن الغايات فى باب الانسجام قول الواوا الدمشقى

خمارها طويل هذا هو العيد وذلك هو الضلال البعيد انهم ليشبون نارا هى موعدهم والنار فى الدنيا عيدهم والله الى النار يعيدهم ان اليهود لعلى اثرة من الكتاب وان حرفوه وان النصارى لعلى ارث من الصواب وان تصرفوه وان أبعد الامم ضلالا لهذه المجوس وان مقيل الشيطان لثلاث الرؤس فلم يلبس مع اليهود غيارهم ولم يعقد مع النصارى زنارهم ولم يشب مع المجوس نارهم هدى ولو شهد الملون البت ما شهدوه الا منسوخا محظورا ومحجورا مجحورا ولو علقوا الصليب ماعلقوه الا كذبا وزورا ونكرا منكورا وليست النار بنكر ولا فسوق اغماه والكفر النصيح والشرك الصريح والدين تحمله الريح ولا يستريح ان المجوسية حلوة خضراء وأدا البنات ونيل الامهات واشرب وهات ولمح الترهات وان هذا الدين لذو تبعات الصوم والفطام شديد والحج والمرام بعيد والصلاة والنوم لذيذ والزكاة والمال عزيز وصدق الجهاد والرأس لا ينبت بعد الحصاد والصبر الحامض والعفاف اليابس والجد الخشن والصدق

بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا في حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

ومثله في اللطف ورقة الانسجام قول الارجاني

حييت غادية لهوى من مربع * رجعت عهودي فيك أم لم ترجع
ما أسأروا في كاس دمعي فضلة * عنهم فأجعلها نصيب المربع
لم يبكني الاحديث فراقهم * لما أسر به الى مودعي
هو ذلك الدر الذي ألقيتم * في مسمعي ألقيته من أدمعي

ومثله قوله

عوجا عليها أيها الركب * لا عار أن يتساعد الصحب
قد كان لي قلب ولا ألم * واليوم لي ألم ولا قلب

ومثله قوله

أما الفؤاد فانهم ذهبوا به * يوم النوى فبقيت صفر الاضلع
فكأننا لما تعاقدنا النوى * حلفا بغير رهائن لم يقنع
فرهينتي معهم فؤادي دائما * والطيف من سلمى رهينتهم معي

ومثله في اللطف قول الطغرائي

خبروها أني مرضت فقالت * أضنى طارفا شكا أم تليدا
وأشاروا بأن تعود وسادي * فأبت وهي تشتهي أن تعودا
وأتتني في خفية وهي تشكو * ألم البعد والمزار البعيدا
ورأتني كذا فلم تتمالك * أن أمالت على عطفا وجيدا

وألطف منه بل من النسيم قوله

بالله يا ريح ان مكنت ثانية * من صدغه فأقيمي فيه واستتري
وراقبي غفلة منه لتنتهزي * لي فرصة وتعودي منه بالظفر
وباكري ورد عذب من مقبله * مقابل الطعم بين الطيب والخصر
ولا تمسي عذاريه فتفتضحي * بنفحة المسك بين الورد والصدر
وان قدرت على تشويش طرته * فشوشيها ولا تبقي ولا تذر
ثم اسلكي بين برديه على مهل * واستبضعي وانثني منه على قدر
ونبهيني دون القوم وانتفضي * علي والليل في شك من السحر
لعل نفحة طيب منك ثانية * تقضي لبانة قلب عاقر الوطر

وممن برع في الطريق الغرامية وأينع زهر نظمه في حدائق الانسجام بها الشيخ تقي الدين السروجي رحمه الله تعالى قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله كان الشيخ تقي الدين مع زهده وعفته مغرما بحب الجمال وكان يغني بشعره الغرامي في عصره لرقة انسجامه وعذوبة ألفاظه وقال الشهاب محمود كان الشيخ تقي الدين يكره مكانا يكون فيه امرأة ومن دعاه من أصحابه قال شرطي معروف وهو أن لا يحضر في المجلس امرأة وكانوا يوما في دعوة فاحضر صاحب الدعوة شواء وأمر بادخاله الى النساء يقطعنه ويجعلنه في الصحون فلما حضر بعد ذلك تقرف منه وقال كيف يؤكل وقد لمسته أيديهن وذكر أبو حيان أنه لما توفي بالقاهرة رابع رمضان المعظم سنة ثلاث وتسعين وستمائة قال أبو محبوبه والله ما ادفنه الا في قبر ولدي فانه كان يهواه في الحياة وما أفرق بينهما في الممات هذا لما كان يعهده من دينه وعفافه فمن انسجاماته الغرامية

المر والحق الثقيل والكظم وفي اللقمة العظم والناس رجلان موفق يوعظ فيقبل ويغنم ومخذول تأخذه العزة بالاثم فحسبه جهنم والسلام

(وله اليه أيضا)
قد بعث الى الشيخ أطال الله بقاءه بأصل مال مجونه وأصان ان شاء الله عن فروعه فاما القصة الواقعة لفلان فلو كان حماري انفشت على بطنه التبن ونقلت على ظهره اللبن افأؤدي عنه الغرامة لا ولا كرامة أنا والله لا أربط في الاصطبل مثل ذلك الطبل اني لانفس بالعذار على ذلك الحمار من ذلك الثور حتى يحتمل منه الجور الموت ولا هذا الصوت والمنية ولا هذه الدنية والسلام

(وله اليه أيضا)
خلق الله الخيرات وجعل الدين مناطها وجمع المخازي وجعل الالحاد رباطها وكل طائفة تعتز بالله بزعمها وتدينه بمبلغ علمها تقول اليهود نحن أبناء الله وخليله وورثة اسرائيله وتدعي النصارى انها صفوة جبيله وحملة انجيله والصابئة تغتر بجبريله وتقول بميكائيله والمجوس على اثر من سيله وأثره

أنعم بوصالك لى فهـذا وقتـه * يكفى من الهجران ماقد ذقتـه
أنفقت عمرى فى هواك وليتنى * أعطى وصولا بالذى أنفقته
يامن شغلت بحبـه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
كم جال فى ميدان حبك فارس * بالصدق فيك الى رضاك سبقته
أنت الذى جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبرى فرقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة * فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عنى قل لهم * عبدى وملك يدى وما أعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم * أدرى بذا وأنا الذى شوقته

وما ألطف ما قال منها

ياحسن طيف من خيالك زارنى * من عظم وجدى فيه ما حققته
فمضى وفى قلبى عليه حسرة * لو كان يمكننى الرقاد لحقته

قلت ما نفثات السحر اذا صدقت عزائمها بأوصل الى القلوب من هذه النفثات ولا السلاف ظلم الحبائب مع حلاوة التقبيل عذوبة هذه الرشفات وعدوا من المرقص الغرامى فى باب الانسجام قول ابن الخياط الدمشقى

أغار اذا آنست فى الحى أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

ومثله قول ظافر الحداد وقد عدوه من المرقص

ونفر صبح الشيب ليل شبيبتى * كذا عادتى فى الصبح مع من أحبه

ومثله قول خالد الكاتب وعدوه من المطرب

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

ومثله قول راجح الحلى وعدوه من المرقص

ياليل طلت ولم ترق لمغرم * لم يظلموا اذ لقبوك بكافر

ومثله قول ابن تقى وهو معدود من المرقص

باعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على فراش خافق

ويعجبنى فى هذا الباب قول النجيب بن الدباغ وهو معدود من المرقص

يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فللمسواك أوللا كؤس
ولئن قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فليك شمعة فى المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * فى الحب فلتك من عيون النرجس

وعدوا من مرقصات الطريق الغرامية قول القائل

أستغفر الله الا من محبتكم * فانها حسناتى حين ألقاه
فان يقولوا بأن العشق معصية * فالعشق أحسن ما يعصى به الله

ومن مطرب الانسجام الغرامى قول علية بنت المهدى

وأحسن أيام الهوى يومك الذى * تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

ومثله من المطرب قول الحسين بن الضحاك

له عبثات عند كل تحية * بعينيه تستدعى الحليم الى الوجد
رعى الله عصرا لم نبت فيه ليلة * خليا ولكن من حبيب على وعد

ومن الغايات فى هذا الباب أعنى الانسجام الغرامى ما كان يكثر من الترنم به أبو القاسم القشيرى

من قبله ونحن بحمد الله حملة تنزيله والعلماء بتأويله وأبو منصور الكروجى لا يهودى يشهد سبته ولا نصرانى أعرف نعته ولا مجوسى يعبد جبته ولا مسلم يحموس انه فيما بلغنى ينيك بنته ولا يغسل استه فالى أى دين أخاصمه والى أى مذهب أحاكمه وأنا الى رأى الشيخ الرئيس ومعونته فقير وهو بهما الى حدير والسلام

(وله الى أبى محمد بن حاتم) أبو الفضل رحم الله شبابه وأحسن مآبه وأجزل ثوابه وأبنى أباه وجبر مصابه فقير الى سفتجة من سفاتج الآخرة يجعلها بينه وبين النار حجازا ويصطحبها جوازا وينفقها على الصراط ليجد جوازا ويقدمها ليعطيه مفازا وأظن فلانا ممكنا بايصالها ثقة فى احتمالها ولاشك ان الشيخ لا ينفس على ذلك الفرط الصالح والولد القانح بما يعلم حاجته اليه والكانى به يقول وما معنى القانح ومعناه ان رجلا كان يأتى الى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ولد عليه عقيصتان فجاءه يوما وحده فقال النبى صلى الله عليه وسلم مافعل ذو العقيصتين فبكى الرجل وقال ان الله استأثر به فقال عليه السلام ألا

وهو لو كنت ساعة بيننا ما بيننا * وشهدت حين نكرر التوديعا
أيقنت أن من الدموع محدثا * وعلمت أن من الحديث دموعا

ومثله قول خالد الكاتب

بكى عاذلي من رحمتي فرحمته * وكم مثله من مسعد ومعين
ورقت دموع العين حتى كأنها * دموع دموعي لا دموع جفوني

ويعجبني من هذا الباب قول اسحق بن ابراهيم الموصلي

على عصر أيام الصبابة والصبا * ووصل الغواني والتذاذي بالشرب
سلام امرئ لم تبق منه بقية * سوى نظر العينين أو شهوة القلب

ومن غراميات القاضي الفاضل في باب الانسجام قوله

ترى لحنيني أو حنين الحمائم * جرت فبكت دمعي دموع الغمائم
وهل من ضلوع أو ربوع ترحلوا * فكل أراها دارسات المعالم
لقد نفحت ريح الصبا نوصلتها * فنى لانها هبوب السمائم
دعوا نفس المقروح يحمله الصبا * وان كان يهفو بالغصون النواعم
تأخرت في حمل السلام عليكم * لدينا لما قد حملت من سمائم
ولا تسمعوا الا حديثا لناظري * يعاد بألفاظ الدموع السواجم

ومثله قوله يا طرف مالك ساهد في راقد * ياقلب مالك راغب في زاهد
من يشتري عمري الرخيص جميعه * من وصلك الغالي بيوم واحد
عاتبته فتوردت وجناته * والقلب صخر لا يلين لقاصد
فنظرت من ذي في حرير ناعم * وضربت من ذا في حديد بارد

ويعجبني من غراميات البهاء زهير قوله

عتبتكم عتب المحب حبيبه * وقلت بادلال فقولوا باصغاء
لعلكم قد صدكم عن زيارتي * مخافة أمواه لدمعي وأنواء
فلو صدق الحب الذي تدعونه * وأخلصتم فيه مشيتم على الماء
وان تك أنفاسي خشيتم لهيبها * وهالتكم نيران وجد باحشائي
فكونوا رفاعيين في الحب مرة * وخوضوا لظى ناري وفي حمراء

وألطف منه وأسجم قوله

تعيش أنت وتبقى * أنا الذي مت عشقا
حاشاك يا نور عيني * تلقى الذي أنا ألقى
ولم أجد بين موتي * وبين هجرك فرقا
يا أنعم الناس بالا * الى متى فيك أشقى
سمعت عنك حديثا * يارب لا كان صدقا
وما عهدتك الا * من أكرم الناس خلقا
لك الحياة فاني * أموت لا شك حقا
يا ألف مولاي مهلا * يا ألف مولاي رفقا
قد كان ما كان مني * والله خير وأبقى

ومثله قوله أنت الحبيب الاول * ولك الهوى المستقبل
عندي لك الود الذي * هو ما عهدت وأكمل

يسرك أن لا تأتي بابا من أبواب الجنة الا رأيت ابنك يفتحه لك وما قصدت بهذه الرقعة أعظم من قضاء حق ذلك الفاضل رحمه الله وأرجوها تقع من وفاق الشيخ موقعها ان شاء الله تعالى

(وله الى الفقيه اسمعيل ابن ابراهيم المقري)

هل أطال الله بقاء الفقيه نقضي حق بين عظمين لم أرض لنفسي فيما سواه عدلا وان نشط لم أبغ به بدلا حرمتان أولاهما وأولاهما حرمة الغصن المختضر والورق المختضر والكمال المختصر والشباب المبتصر والاخرى حرمة الامل العاطل والحق في معرض الباطل والدين في أسر الفقر والنعمة في يد الدهر لعل الله يسهل سعيه للاول فوزا أو نجاه وللآخر بضاعة مزجاه ويصون وجهه عن الابتذال ان أجرهما العظيم وقد طويت هذه الرقعة عليهما فليوصلها وليتجشم وليتكلم عليهما بما يعلم

(وله الى الشيخ الامام أبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي)

كتابي أطال الله بقاء الشيخ الفاضل الامام اتباعا لرضاه ونزولا حيث براه

القلب فيك مقيد * والدمع منك مسلسل
يامن يهدد بالصدو * د نعم تقول وتفعل
قد صح عذرك في الهوى * لكنني أتعلل
نفدت معاذيري التي * ألقى بها من يسأل
حتام أكذب للورى * والى متى أتحمل
قل للعذول لقد أطلت لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوى * وعذلت من لا يقبل
غضب العذول أخف من * غضب الحبيب وأسهل

ومن انسجاماته التي تكاد أن لا تكون موزونة

ان شكا القلب هجركم * مهد الحب عذركم
لو رأيتم محلكم * من فؤادي لسركم
لو أمرتم بما عسى * ما تعديت أمركم
قصر واحدة الجفا * طول الله عمركم
شرفوني بزورة * شرف الله قدركم
كنت أرجو بأنكم * شهركم لي ودهركم
قد نسيتم وانما * أنا لم أنس ذكركم
وصبرتم وليتني * كنت أعطيت صبركم
ورأيتم تجلدي * في هواكم فسركم
لو وصلتم محبكم * ما الذي كان ضركم

ومن انسجاماته التي هي في غاية الظرف

ياقلب بعض الناس هل * للضيف عندك زاويه
انى ببابك قد وقفت عسى ترد جوابيه
ياملبسى ثوب الضنا * يهناك ثوب العافيه
لم يبق منى في القميص سوى رسوم باليه
وحشاشة ما أبقت الأشواق منها باقيه
يامن اليه المشتكى * أنت العليم بحاليه
واليك عنى ياغرا * م فقد عرفت مكانيه
فكأنما لك قد وقفـ * ـت على طريق القافيه
من لى بقلب اشتريـ * ـه من القلوب القاسيه
مولاى ياقلبى العزيـ * ـز وياحياتى الغاليه
انى لأطلب حاجة * ليست عليك بخافيه
أنعم على بقبلة * هبة والا عاريه
وأعيدها لك لا عدمـ * ـت بعينها وكما هيه
واذا أردت زيادة * خذها ونفسى راضيه

ومثله قوله في هذا الروى

قالوا كبرت عن الصبا * وقطعت تلك الناحيه
فدع الصبا لرجاله * واخلع ثياب العاريه

والاصل في هذه المخاطبات ان الله تعالى جعل تعظيم النبوة فرضا فقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فلما ختمت الرسالة وجاءت الامامة ردت اليها الكرامة فقيل لابي بكر ياخليفة رسول الله فجعل الله الخلافة شعار آل أبي قحافة لم يدع بها غير صاحبهم ثم استخلف أبو بكر عمر فقال رجل ياخليفة الله قال خالف الله بك ذاك نبي الله داود ثم قال ياخليفة رسول الله قال ذلك صاحبكم المفقود ثم قال ياخليفة خليفة رسول الله فقال انى لكما تقول ولكن هذا الامر يطول قال أفنسميك قال لا تبخس مقامي شرفه أنتم المؤمنون وانا أميركم فقيل الامام وأمير المؤمنين ولعمرى العالم أولى بكرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم من خليفة زماننا هذا ان العالم ليجدد رسومه ويدرس علومه ويفتش حديثه ويضبط أصوله ويخرج فروعه وان الخليفة لا يألو خلافا ولا يألونا حزافا جاءنا رجل يسحب السرير ويسحب الحرير ويفرش الحيره ويخوض العبير يخالف بزعمه رجلا كان يقتات الشعير ويعرورى البعير

ونعم كبرت وانما * تلك الشمائل باقيه
وتفوح من عطفي أنـ * ـفاس الشباب كما هيه
ويميل بي نحو الصبا * قلب رقيق الحاشيه
فيه من الطرب القديـ * ـم بقية في الزاويه

ومن غراميات الحاجري في هذا الباب

لك أن تشوقني الى الاوطان * وعلي أن أبكي بدمع قاني
ان الذي رحلوا غداة المنحنى * ملؤا القلوب لواعج الاشجان
فلأبعثن من النسيم اليهم * شكوى تميل لها غصون البان
نزلوا برامة قاطنين فلا تسل * ما حل بالاغصان والغزلان

وقد تقدم قولي ان الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماه * سقى الله من غيث الرحمة ثراه * هو غيث هذا الانسجام * وغريم هذا الغرام * فمن انسجاماته الغرامية الموعود بايرادها قوله

حديثي في المحبة ليس يشرح * فدعني من حديث اللوم واسرح
فما لك مطمع ببراح قلبي * عن الحب الذي أعيا وبرح
فكم من لائم أنحى الى أن * تأمل من هويت فما تنحنح
فيا الله ما أشهى وأبهى * ويا لله ما أحلى وأملح
له طرف يقول الحرب أحرى * ولي قلب يقول الصلح أصلح
سألت سواره المثري فنادى * فقير وشاحه الله يفتح
وماس من القوام بغصن بان * اذا أنشدت أغزالي ترنح
وحياني بألحاظ مراض * صحيحات فأمرضني وصحح
اعاتبه فلا يصغي لعتبي * ولا أسلو فأتركه وأربح

ومن غايات انسجامه قوله

كم شرحت من وجد * كم سفحت من دمعه
كم بعثت من رسل * دفعة على دفعه
بنتم واعرضتم * ما أمرها جرعه
هل عليكم باس * في المقال بالرجعه
قد ججت مغناكم * لا تحرموا المتعه
ترك سنتي فيكم * سادتي من البدعه
هذه صباباتي * والوصال في منعه
كيف لو تعلمتم * غير هذه الصنعه
يا مليك قلبي خذ * ما يليه بالشفعه
واس بيننا أولا * ردنا الى القرعه
لا تحل عني قلبي * ليس فيه من نجعه
قد تركت أرداني * من مدامعي نقعه
ما لناظري كحل * غير هذه الطلعه

ومثله قوله

خبروه تفصيل حالي جمله * فعساه يرق لي ولعله
كم تنحنحت اذ تبدى حذارا * من رقيبي وكم تكلفت سعله
ليس لي عن هدى هواه ضلال * أكثر اللوم عاذلي أو أقله

ويركب الحمير ويكلم الصغير ويجالس الفقير ويؤاكل الاسير فرق بينهما بعيد هذا وان لم يحسن العشرة ولم يجمل الرأي والنية وفيم علك الامامة وهذا الحسن البصري يتعظ به البدري ويستفيد منه العقي وتقول عائشة كأنه اذا تكلم النبي قال له رجل ما يقول الفقيه فقال له فاها الفيك سفيها وهل رأت عيناك بعد الصحابة فقيها وما أجد للشيخ مثلا الا صاحب الصور والنشور والحديث على بعده مقول والخبر على ضعفه منقول وعلى الراوي عهدة الخبر وضمان درك الاثر وخفارة الحديث حتى يبلغ مأمنه من القلوب وينزل منزله من القبول ان النسور سمت بتابوته صعدا الى السماء حتى نظر فأنكر الجبال ثم نظر فأنكر الارض ثم نظر فلم ير شيأ كذلك الشيخ الامام قد سمت به الهمة الى حيث ينظر فلا يرى أحدا فليتطامن الى الغمام ان لم يتواضع الى الانام ولم وهو بحمد الله ان ذكر الشرف كان بذروته أو الدين تمسك بعروته أو العلم احتبى بعقوته أو الجود تعلق بحبوته فليت شعري بمن هذي فضائله

ركبت فى جبلتى نشوة العشق وصعب تغيير مافى الجبله
سادتى عاودوا رضاكم وعودوا * عن جفاكم فما بقى فى فضله
ذبت شوقا فاجلونى بقرب * مت عشقا فخطونى بقبله
واشغلونى عن لائم ما أتانى * برشاد أتته آفة غفله
قلت بالله خلنى فتمادى * وقليل من يترك الشر لله

ومثله قوله
صب أخذ الهوى زمامه * قد صار جمالكم امامه
فى حسنكم البديع شغل * عن عاذلى وعن امامه
من لى بمعجب أراه * بالفكر ولا أرى خيامه
أشكو وبتغزلى لديه * فيه فيجدلى خصامه
يزهو ويقول كان ماذا * لو يترك جاهل كلامه
شبهت بطلعتى هلالا * ما كنت رضيته قلامه
والغصن حسبته شبيها * منى بتعطف وقامه
والظبى اذا رنت لحاظى * لا كيد له ولا كرامه
أفديه بمهجتى وانى * لا حسرة لى ولا ندامه
كم دعوة موعد لوصل * قامت لحضورها القيامه
اخبرت بها العذول لكن * ماقلت له كم الغرامه

ومثله قوله
لا تعاتبنى فلا عتب على * خرج الامر وعقلى من يدى
ليس للنصح قبول يرتجى * عند شيخ هام وجدا بصبى
وأرى لومك يغرينى به * لا تزدنى أو فزدنى يا أخى
أنا فى الحب امام فاذا * صرت من أبنائه فاخضع لدى
لا تسل غيرى فى شرع الهوى * وخذ التنزيل فيه عن أبى
خلقى أنى شجيع بهم * وبروحى لهم حاتم طى
فاختصر فى شرح أشواقى فان * رمت اسهابا فوكل مقلتى
سادتى فارقتكم فاستلبت * بنوا كم راحتى من راحتى
فاجبروا قلبى بشئ منكم * فلقد أوتيتم من كل شى
صادنى منكم غرير أغيد * فيه مايشغل عن هند ومى
قلت قد أضنيت جسمى قال قد * قلت كى تذهب روحى قال كى
قلت أفديك بنفسى قال مه * ما اليك الامر فيها بل الى

ومثله قوله من أبيات يخاطب العذول
أراك بخيلا بعونى فهبنى * سكوتك عنى اذا لم تعنى
ذممت الهوى ورجوت السلو * فابكيت عينى واضحكت سنى
فان عفت شربى من خمرتى * فدعنى مابين كأسى ودنى
واياك عربدتى فاخشها * فانى قد أخذ السكر منى

ويعجبنى من انسجامات ابن سنا الملك قوله
دنوت وقد أبدى الكرى منه ما أبدى * فقبلته فى الثغر تسعين أو احدى
وأبصرت فى خديه ماء وخضرة * فما أملح المرعى وما أعذب الوردا
تلهب ماء الخد أو سال جمره * فياماء ما أذكى ويا جمر ما أندى

ماذا الذي ببلوغ النجم ينتظر

(وله الى الفقيه الدواردى أبى القاسم)

البخل أطال الله بقاء الفقيه قبيح وهو بالسرقين أقبح والحمى بدعه وحمى الجشر ابدع ومن الغرائب أن يبخل البشر بما يسلح الجشر وكانوا بالبخل على الطيب يعذلون وأراهم فى كل عام يرذلون وو ردت رقعة وكيلى يزعم أن وكيله منعه روث الوادى فلا أدرى أى الوكيلين الأم أصاحب الغوث أم صاحب الروث وأيهما انتن وانتن من السرقين منعه واخبث من منعه رفعه

فان يكن شجر الاترج طاب معا * أصلا وفرعا وطاب العود والورق
فان قدر عيب الكلب خس معا * قدرا وقدرا وخس اللحم والمرق

(وله الى أبى الحسين الحيرى)

أنت ادام الله عزك طرفك جاف ولطفك خاف فأما عتابك فجنون محض وسباب صرف ولا عليك ان لا تعاتب أحدا ولا تكاتبنى أبدا واذا نبت لى محلة فلا نبت لك الصاقب وكيف ترى السهى عينك ولا ترى النجم الثاقب أخبرنى عن رجل من اخوانك بيته مكة ابيانك وموته خير من حياتك ان لم تزنك صحبته لم تشنك وان لم يفدك لم يستفد منك غبت عنه شهورا فلم تكاتبه ولم يعاتبك حتى اذا ابتدأ اليك عاندا بخلافه على خرقك انشأت تشتم عرضه كيف لم يسع فضل كتابه

أقول اذاه قد أشار بتركه * لقد زدتنى فيما أشرت به زهدا
فلم لا نهيت الثغر أن يعذب اللمى * ولم لا أمرت الصبر أن يكتم النهدا
وأقسم ماعندى اليه صبابة * وكيف وجور الشوق لم يبق لى عندا
وفى القلب نيران الخليل توقدت * وماذقت منها لاسلاما ولا بردا

ومثله قوله ويعجبنى الى الغاية

نعم المشوق وأنعم المعشوق * فالعيش كالخصر الرقيق رقيق
خصر أدير عليه معصم قبلة * فكأن تقبيلى له تعنيق
ونعم لقد طرق الحبيب وماله * الا خدود العاشقين طريق
فرشوا الخدود طريقه فكأنما * زفراتهم لقدومه تطريق
وافى وصبح جبينه متنفس * وأتى وحيد رقيبه مخنوق
فصنعت فيه صناعة شعرية * فالصدر رحب والعناق يضيق

ومثله قوله وهو فى غاية الظرف

لا أجازى حبيب قلبى بجرمه * انا أحنى عليه من قلب أمه
ضن عنى بريقه فتحيلت * الى ان سرقته عند لثمه
والى اليوم من ثلاثين يوما * لم تزل من فى حلاوة طعمه
ان قلبى اصدره ورقادى * ملك أجفانه وروحى لجسمه
يكسر الجفن بالفتور ومالى * عمل وقت كسره غير ضمه

ومن غراميات الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف قوله فى باب الانسجام

عفا الله عن قوم عفا الصبر منهم * فلو رمت ذكرى غيرهم خاننى الفم
تجنوا كأن لا ود بينى وبينهم * قديما وحتى ماكأنهم هم
وبالجزع أحباب اذا ماذكرتهم * شرقت بدمع فى أواخره دم
ومشبوب نارى وجنة وجناية * تعلمه ألحاظه كيف يظلم
ألم وما فى الركب منا متيم * وعاد وما فى الركب الا متيم
وليس الهوى الا التفاتة طامح * يروق لعينيه الجمال المنعم
خليلى ما للقلب هاجت شجونه * وعاوده داء من الشوق مؤلم
أظن ديار الحى منا قريبة * والا فنها نفحة تتنسم

ومثله قوله

لا تخف ما فعلت بك الاشواق * واشرح هواك فكلنا عشاق
فعسى يعينك من شكوت له الهوى * فى حمله فالعاشقون رفاق
لا تجزعن فلست أول مغرم * فتكت به الوجنات والاحداق
واصبر على هجر الحبيب فربما * عاد الوصال وللهوى أخلاق
كم ليلة أسهرت أحداقى بها * وجدا وللافكار بى احداق
يارب قد بعد الذين أحبهم * عنى وقد ألف الفراق فراق
واسود حظى عندهم لما سرى * فيه بنار صبابتى احراق
عرب رأيت أصح ميثاق لهم * أن لا يصح لديهم ميثاق

ومثله قوله

بتثنى قوامك الممشوق * وبأنوار وجهك المعشوق
وبمعنى للحسن مبتكر فيـ * ـك وقلب كقلبى المحروق
جد بوصل أو زورة أو بوعد * أو كلام أو وقفة فى الطريق

اليك فسخفت عقله وخبثت أصله ونسبت الى اللؤم عهده يا أبا الحسين للئيم عهد من كتب فصلا وكريم عهد من لم يكتب أصلا والله لو بلغت المبلغ الذى أنت اليوم دونه وكنت الرجل الذى تطمع أن تكونه لكفاك من التيه بعض ما أنت فيه فاما الآن والحال من الضعف بحال والايام كأنها ليال والقفا كالوجه بال والكيس مثل الرأى خال واللحم فى السوق عال والقدر طيف خيال فأغنى ما أنت عنه ما أنت فيه وأحوج ما أنت اليه ماليست تحوم حواليه والسلام

(وله الى رجل سأل مسكرا وتقاضاه فى يوم مطير)

عافاك الله العاقل ان وافا أبوه على جمل البريد من المضرب البعيد فى الخطب الشديد يومنا هذا لم تستقبل جنازته وان مات لم تشهد جنازته وحل الى الركب ومطر كافواه القرب ورجل ظاهر النفاق يلتمس منه الشراب وهو لا يعرف قربه فكيف شربه على انك الى الشكر أحوج منك الى السكر ألا ترى كيف من الله تعالى على البيوت بالثبوت وعلى السقوف بالوقوف انتم والماء سلطانك والطين حيطانك اتسكن والطين جدرانك والانهار جيرانك ألا تنتظر هذا المطر أمطر عمارة أم مطر خراب وسقيا رحمة أم سقيا عذاب

*(وله فى تهنئة فتح الجابية بباب

او

أو بارسالك السلام مع الريح والا فبالخيال الطروق

ويعجبنى فى هذا المعنى على هذا الطريق قول بعض المواليا

زر شهر فى عام يا من قد غلا فى السوم * أو يوم فى شهر يا حلى من صدودك دوم
وان عز هذا وهذا يا عزيز القوم * فى الدهر ساعه وان لم ترتضى فى النوم

ومن ألطف انسجامات ابن العفيف قوله أيضا

لى من هواك بعيده وقريبه * ولك الجمال بديعه وغريبه
يامن أعيذ جماله بجلاله * حذرا عليه من العيون تصيبه
ان لم تكن عينى فانك نورها * أولم تكن قلبى فأنت حبيبه
هل حرمة أو رحمة لمتيم * قد قل فيك نصيره ونصيبه
ألف القصائد فى هواك تغزلا * حتى كان بك النسيب نسيبه
لم يبق لى سر أقول تذيعه * عنى ولا قلب أقول تذيبه
دع لى فؤادا بالغرام تشبه * واستبق فودا بالصدود تشيبه
كم ليلة قضيتها متسهدا * والدمع يجرح مقلتى مسكوبه
والنجم أقرب من لقاك مناله * عندى وأبعد من رضاك مغيبه

ومثله قوله

رشيق القامة النضره * لقد أصميت بالنظره
وقد سودت حظى منك يا أبهى الورى غره
سواد الخال والمقله * مع العارض والطره
قديم الهجر هل لفتى * قديم فى الهوى هجره
وكم تاقاه بالايعا * د والابعاد والنفره
وكم يشكو ولا تطر * ح فى قفته كسره
رأينا من جفا وجنى * ولكن زدت فى كره
فهل غنج أو تسمح بالوصل ولو مره
فقد أصبحت لا أملك من صبرى ولا ذره
وقد صير فى هجر * لى فى كس أخت من اكره

ومن انسجاماته الرقيقة قوله

حنام حظى لديك حرمان * وكم كذا لوعة وهجران
أين ليال مضت ونحن بها * أحبة فى الهوى وجيران
وأين ود عهدت صحته * وأين عهد وأين أيمان
قد رضى الدهر والعواذل والحساد عنا وأنت غضبان
فالم ولا تلتفت الى مهج * بها جوى قاتل وأشجان
ونم خليا وقل كذا وكذا * من كل من أطلعت تلمسان

ومثله قوله

أعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تك أضعفت عقلى ودينى
وأبقى دولة الاعطاف فينا * وان جارت على قلبى الطعين
وأسبغ ظل ذاك الشعر منه * على قد به هيف الغصون
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
حلت تسهدى والشيب هذا * على رأسى وذاك على عيون

كتبت أطال الله بقاء الشيخ الجليل السيد من هراة عن سلامة وصنع الله جميل وسلطانه عزيز وكيده متين والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله أجمعين وهذا ورب الكعبة آخر مافى الجعبة لقد أنصف القاره ومحا السيف ماقال ابن داره ثم لا نزوة بعدها للترك ولا يحكم بعدها بالملك لقد كاس السلطان أعز الله نصره اذ عفر لله شعره وعرض على الله فقره وفوض الى الله أمره ونذر لله نذره وناهض بالله خصمه وسأل الله حوله ولم يحببه كثرة الملاحوله ولم يشغل بخيوله وفيوله بذالك شد الله أزره وقوى أسره وأعز نصره وأقطعه عصره وأطعمه ملكه وأورثه أرضه انما الظفر بأسبابه والموفق يأتى الامر من بابه والمخالفون أدام الله تمكين الشيخ الجليل وان أكلوا الحديد وهاضوه وسروا الى الموت وخاضوه وبلغوا العذر وجاوزوه وجهدوا القتال وصدقوا المصاع واشبهوا السباع فقد حكم الله لهم بالفشولة بعد الهزيمة وطرق اليهم الذم والشتيمة فهؤلاء الاشقياء الذين هم فراش النار وفاش الدار وأو باش الفرار وحشاش الارض وعلق السيف وحشرات الصيف والفيف

ومن غراميات ابن النبيه فى باب الانسجام

تعالى الله ما أحسن * شقيقا حف بالسوسن
خدود لثمها يبرى * من الاسقام لو أمكن
فما تجنى وحارسها * بقفل الصدغ قد زرفن
غزال ضيق العينيـ * ـن بنينى الرشا الاعين
له قلب وأعطاف * فما أقسى وما ألين
ولم أر قبل مبسمه * صغير الجوهر المثمن
أبث هواه من خوف * لنجم الليل لما جن
وما ينفع كتمانى * ودمع العين قد أعلن
وقد اسكنته قلبى * فسار وأحرق المسكن

ومما كتبه القاضى الفاضل بخطه وهو غاية فى باب الانسجام الغرامى وكان كثيرا ما يترنم به قصيدة القاضى المهذب بن الزبير ووجدت بخط الفاضل غير تامة وقد أثبت هنا منها ما وجد بخط الفاضل من غرامياتها واختصرت المديح وهو

بالله يا ريح الشما * ل اذا اشتملت الروح بردا
وحملت من نشر الخزا * مى ما اغتدى للند ندا
ونسجت ما بين الغصو * ن اذا اعتنقن هوى وودا
وهززت عند الصبح من * أعطافها قدا فقدا
ونثرت فوق الماء من * أجيادها للزهر عقدا
فملأت صفحة وجهه * حتى اكتسى آسا وردا
فكأنما الفتت فيـ * ـه منه اصداغا وخدا
مرى على بردى عسا * ه يزيد فى مسراك بردا
نهر كنصل السيف تكـ * ـسو متنه الازهار غمدا
صقلته أنفاس النسـ * ـيم بمرهن فليس يصدا
أحبابنا ما بالكم * فينا من الاعداء أعدى
وحياة حبكم بتر * بة وصلكم ما خنت عهدا

وغاية الغايات فى باب الانسجام الغرامى ما كتبه القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر الى والده القاضى محيى الدين وقد توجه صحبة الركاب الشريف الظاهرى فى مهم شريف فحصل له ضعف بدمشق المحروسة وهو

ان شئت تبصرنى وتبصر حالتى * قابل اذا هب النسيم قبولا
تلقاه مثلى رقة ونحافة * ولاجل قلبك لا أقول عليلا
فهو الرسول اليك منى ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

خطاب مثل هذا الولد لمثل هذا الوالد بقوله ولاجل قلبك لا أقول عليلا فيه ما يفتت الاكباد ويحرك الجماد * سبحان المانح ان من البيان لسحرا ومن غراميات والده القاضى محيى الدين فى باب الانسجام

لا آخذ الله بندلك * فكم وشى بى عندك
وقال عنى بانى * شبهت بالغصن قدك
وأنت تعظم عندى * أن يمسى البدر عبدك
ولست والله أرضى * أن يحكى الورد خدك
فقاتل الله طرفى * فكم به نلت قصدك

السبل على سخيف الحيل لا يلزمون دارهم ولا يعرفون مقدارهم أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين لا صبر فى القتال ولا نوم فى الرحال رعدة فوقها صلف وراعدة تحتها قصف يا أبناء الاماء ورعاء الشاء وحاب السقاء وغشاء الماء وجمع الغوغاء والقواعد من النساء الا يذهب أحدكم لشانه الا يلزم رجل قطع لسانه الا يقف عند حده ما للتاج وأهل التاج الى الموت يعبرون أم للرؤيا يعبرون انه الجلاد ثم البلاد مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده كتب الله لاغلبن السلطان وراءك ان السيف أمامك وخلفك ان الموت قدامك وأرضك أرضك ان تأتنا تنم نومة ليس فيها حلم ان المغازى قد عادت مخازى ألا رب راكض نادم ورب سوط ظالم ورب عشور الى ثبور ورب طمع أهدى الى طبع وان هذا الفتح فتح حفظ على الشريعة ماءها وعلى النفوس دماءها وعلى الاموال نماءها وعلى الحرم غطاءها اعاد الله به البلاد خلقا جديدا وأنشأ للناس نشأ جديدا وعقد الملك عقدا طريفا فما أخلق يوم الفتح بأن يتخذ عيدا ويجعل فى المسرات تاريخا وليس العقد مع الله بأنشوطة فأوفوا الله عهده كما صدقكم وعده ولا

ولا رعى الله قلبي * فكم رعى لك عهدك
فمن ترى أناجي * جعلت صدري وكدك
وما عشقتك وحدي * بلى عشقتك وحدك
وكم أطعتك جهدي * وكم تجنيت جهدك
وبعد هذا وهذا * وذاك لا ذقت فقدك

ويعجبني في هذا الباب رشاقة ناصر الدين بن النقيب بقوله

سلك الشوق بقلبي * بعدكم صعب المسالك
ورمى قلبي بنيرا * ن ولا نيران مالك
هذه بعض صفاتي * طالع العبد بذلك

وأظرف ما رأيت في باب الانسجام الغرامي المرتجل ما أورده صاحب روضة الجليس ونزهة الانيس ذكر أنه كان بافريقية رجل نبيه شاعر مفلق وكان يهوى غلاما من غلمانها جميلا فاشتد كلفه به وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا فانفرد بنفسه ليلة جمع فيها بين سلاف الراح وسلاف الذكر فتزايد به الوجد وقام على الفور وقد غلب عليه السكر ومشى الى أن انتهى الى باب محبوبه ومعه قبس نار فوضعه عند باب الغلام فلما دارت النار بالباب بادر الناس باطفائها واعتقلوه فلما أصبحوا نهضوا به الى القاضي فاعلموه بفعله فقال له القاضي لاي شئ أحرقت باب هذا الغلام فقال مرتجلا

لما تمادى على بعادي * وأضرم النار في فؤادي
ولم أجد من هواه بدا * ولا معينا على السهاد
حملت نفسي على وقوفي * ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبي * أقل في الوصف من زناد
فأحرق الباب دون علمي * ولم يكن ذاك من مرادي

فرق القاضي لارتجاله الغرامي وتحمل عنه جناية الباب وقد انتهت الغاية بنا الى غراميات العارفين وابن الفارض هو قائد زمامها * وقتيل غرامها * فمن قوله في هذا الباب الذي ليس لغيره فيه مدخل ما ألفته من تائيته وجعلته قصيدا غراميا ينتظم بها شمل الانسجام واذا هب نسيمها العذري تنسمت العشاق منه أخبار الغرام * وهو قوله

نعم بالصبا قلبي صبا لاحبتي * فيا حبذا ذاك الشذا حين هبت
تذكرني العهد القديم لانها * حديثة عهد عن أهيل مودتي
فلي بين هاتيك الخيام ضنينة * على بجمعي سمحة بتشتتي
محجبة بين الاسنة والظبا * اليها انثنت ألبابنا اذ تثنت
تتيح المنايا اذ تبيح لنا المنى * وذاك رخيص منيتي بمنيتي
متى أوعدت أولت وان وعدت لوت * وان أقسمت لا تبرئ السقم برت
وان عرضت أطرق حياء وهيبة * وان أعرضت أشفق فلم أتلفت
وقد سخنت عيني عليها كأنها * بها لم تكن يوما من الدهر قرت
فانسانها ميت ودمعي غسله * وأكفانه ما ابيض حزنا لفرقتي
خرجت بها عني اليها فلم أعد * الي ومثلي لا يقول برجعة
فوصلي قطعي واقترابي تباعدي * وودي صدي وابتدائي نهايتي
وفيها تلاف الجسم بالسقم صحة * له وتلاف النفس عين الفتوة
ولما تلاقينا عشاء وضمنا * سواء سبيلي ذي طوى والثنية

وأما عهده عند السلطان اعز الله نصره أن يحسن النظر وعند الشيخ أن يحسن المحضر وهراة من البلاد شبه هذه الدولة وعيناها فان حط عن جملتها القلادة وفوق عن عشيرتها الزيادة فلله هذا النظر ما أحلى ثماره وأكرم آثاره وللشيخ الجليل في تشريف العبد بالجواب الفضل والعلو ان شاء الله تعالى

(وله في قتل أبي عثمان رحمه الله)

كتبت أطال الله بقاء الشيخ الجليل وأدام بهجته وبهجة الدنيا به ورفعته ورفعة الدين بمكانه وحرس مهجته وقدم المهج عنها وكبت أعداءه آمين وأنا بما عند الله من نعمته ويثبته من دولته قوى الظهر مستظهر على الدهر والحمد لله حق حمده والصلاة على محمد النبي وآله والشهادة أدام الله عز الشيخ الجليل غنيمة لا يدركها كل غاز انا أريدها وآخر يستفيدها وزيد يعشقها وعمرو يرزقها ويتعرض لها أبو الفضل من همذان وتعرض على الحاكم أبي عثمان قتل والله كما تقتل الكلاب وشق بطنه كما يشق الجراب وهريق دمه كما يهراق الشراب وقطف رأسه كما تقطف الاعناب وقعد القصاب آمنا لا يصاب باضيعة الدنيا وضيعة أهلها والمسلمين وضيعة الاسلام والله لئن سكن السلطان العظيم وتغافل وتسامح الشيخ الجليل وتساهل ان الله بالانتصاف لملى وان الله على الانتقام لقوى والمحنة أدام الله عز الشيخ

وضنت ومامنت علی بوقفة * تعادل عندی بالمعرف وقفتی
عتبت فلم تعتب كان لم يكن لقا * وما كان الا أن أشرت وأومت
وبانت فأما حسن صبری فخاننی * وأما جفونی بالبكاء فوفت
أغار عليها أن أهيم بحبها * وأعرف مقداری فانكر غيرتی
وكنت بها صبا فلما تركت ما * أريد أرادتنی لها وأحبت
بها قيس لبنی هام بل كل عاشق * كمجنون ليلی أو كثير عزة
بدت فرأيت الحزم فی نقض توبتی * وقام بها عند النهی عذر محنتی
فموتی بها وجدا حياة هنيئة * وان لم أمت فی الحب عشت بغصتی
تجمعت الاهواء فيها فلا ترى * بها غير صب لا يرى غير صبوتی
وعندی عيدی كل يوم أرى به * جمال محياها بعين قريرة
وكل الليالی ليلة القدر ان دنت * كما كل أيام اللقا يوم جمعة
وأی بلاد الله حلت بها فما * اراها وفی عينی حلت غير مكة
وماسكنته فهو بيت مقدس * بقرة عينی فيه أحشای قرت
ومسجد الاقصى مساحب بردها * وطيبی ثرى أرض عليها تمشت
مواطن أفراحی ومربی مآربی * وأطوار أوطاری ومأمن خيفتی
مغان بها لم يدخل الدهر بيننا * ولا كادنا صرف الزمان بفرقة
ولا صحبتنا النائبات بنبوة * ولا حدثتنا الحادثات بنكبة
ولا اختص وقت دون وقت بطيبة * بها كل أوقاتی مواسم لذتی
فان رضيت عنی فعمری كله * زمان الصبا طيبا وعصر الشبيبة
وان قربت داری فعامی كله * ربيع اعتدال فی رياض أريضة
بها مثل ما أمسيت أصبحت مغرما * وما أصبحت فيه من الحسن أمست
فلو بسطت جسمی رأت كل جوهر * به كل قلب فيه كل محبة
وقد جمعت احشای كل صبابة * بها وجوى ينبيك عن كل صبوة
وكنت أرى أن التعشق منحة * لقلبی فما ان كان الا لمحنتی
ألا فی سبيل الحب حالی وما عسى * بكم ان الاقی لو دريتم أحبتی
أخذتم فؤادی وهو بعضی عندكم * فما ضركم لو كان بعضی جملتی
وهی جسدی مما وهی جلدی لدی * تحمله يبلی وتبقى بليتی
ومنذ عفا رسمی وهمت وهمت فی * وجودی فلم تظفر بكونی فكرتی
وبالی أبلی من ثياب تجلدی * بل الذات فی الاعدام نيطت بلذتی
كانی هلال الشك لولا تأوهی * خفيت فلم تهد العيون لرؤيتی
وقالوا جرت حمرا دموعك قلت عن * أمور جرت فی كثرة الشوق قلت
نحرت لضيف الطيف فی جفنی الكرى * قرى فجرى دمعی دما فوق وجنتی
فطوفان نوح عند نوحی كادمعی * وايقاد نيران الخليل كلوعتی
ولولا زفيری اغرقتنی أدمعی * ولولا دموعی أحرقتنی زفرتی
وحزنی ما يعقوب بث أقله * وكل بلا أيوب بعض بليتی
وكل أذى فی الحب منك اذا بدا * جعلت له شكری مكان شكيتی
نعم وتباريح الصبابة ان عدت * علی من النعماء فی الحب عدت

الجليل فى ذهاب ذلك العالم المسلم دون المحنة فى بقاء هذا الظالم المظلم وان ساغ لهذا الفاسق مافعل ليرخص دم المسلم وليراق دم العالم وليصيرن كل سكين منشورا ولاية ثم ليتسعن الخرق على الراقع وليس دم المسلم بيسير عند ربه ولزوال الدنيا على الله أهون من صبه أليس الله تعالى يقول من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا وأنا أعيذ بالله هذه الدولة من ان توصم بتعطيل الحدود أو توسم باهدار الدماء وعسى الله ان يوفق الشيخ الجليل لتدارك هذا الامر ان ذلك على الله يسير وقد جعل الله هذه الدولة مثابة للناس وليس الاسلام بمجال ظفر من صاحب بدعة أو كفر ما أدام الله نضارتها وأدام الائمة طلب الكفار بعد الاسفار ورد على خادم الشيخ الجليل كتاب من أقصى خراسان والعراق بحديث تسيار فلان وصاحبه فلان وذكروا معرفتهما باحوال الثغور وممارستهما لما يعرض بها من الخطوب وأن أعين المرابطين والغزاة طامحة الى نصرة من السلطان العظيم أعز الله نصره وقد بعثوا بهما وفدا وقدرا أنهما يجدانى بالحضرة فاكون لهما لسانا وتنجزا الى كتابا ليعلمانى ولو أمكننى النهوض لاحتسبته لهما واذا لم

وعنوان مابي ما أبثك بعضه * وما تحته اظهاره فوق قدرتي
واسكت عجزا عن أمور كثيرة * بنطقي لن تحصى ولو قلت قلت
وعن مذهبي في الحب مالي مذهب * وان ملت يوما عنه فارقت ملتي
هو الحب ان لم تقض لم تقض مأربا * من الوصل فاختر ذاك أو خلة خلتي
ودع عنك دعوى الحب واختر لغيره * فؤادك وادفع عنه غيك بالتي
وجانب جناب الوصل هيهات لم يكن * وها أنت حي ان تكن صادقا مت
وقالوا تلاف ما بقي منك قلت لا * اراني الا للتلاف تلفتي
غرامي أقم صبري انصرم دمعي انسجم * عدوي انتقم دهري احتكم حاسدي اشمت
ويا نار أحشائي اقيمي من الجوى * حنايا ضلوعي فهي غير قويمة
ويا جسدي المضنى تسل عن الشفا * ويا كبدي من لي بان تتفتتي
ويا كلما أبقى الضنى منى ارتحل * فمالك مأوى في عظام رميمة
وماذا عسى عني أناجي توهما * بياء الندا أونست منك بوحشتي
فنفسي لم تجزع باتلافها أسى * ولو جزعت كانت بغيري تأست
فياسقمي لا تبق لي رمقا فقد * أبيت لبقيا العزل البقية
ومن غرامياته التي خلبت القلوب * وعرف العارفون بها طريق التوصل الى معرفة المحبوب قوله من قصيدة
اهفوا الى كل قلب بالغرام له * شغل وكل لسان بالهوى لهج
وكل سمع عن اللاحي به صمم * وكل جفن الى الاغفاء لم يعج
لا كان وجد به الآماق جامدة * ولا غرام به الاشواق لم تهج
عذب بما شئت غير البعد عنك تجد * أوفى محب بما يرضيك مبتهج
وخذ بقية ما أبقيت من رمق * لا خير في الحب ان أبقى على المهج
من لي باتلاف روحي في هوى رشا * حلو الشمائل بالارواح ممتزج
من مات فيه غراما عاش مرتقيا * ما بين أهل الهوى في أرفع الدرج
وما أحلى ما قال منها
قل للذي لامني فيه وعنفني * دعني وشأني وعد عن نصحك السمج
فاللوم لؤم ولم يمدح به أحد * فهل رأيت محبا بالغرام هجي
منها لم أدر ما غربة الاوطان وهو معي * وخاطري أين كنا غير منزعج
فالدار داري وحبي حاضر ومتى * بدا فمنعرج الجرعاء منعرجي
منها ليهن ركب سروا ليلا وأنت بهم * فسيرهم في صباح منك منبلج
فليصنع الركب ما شاؤا لانفسهم * هم أهل بدر فلا يخشون من حرج
وما ألطف ما قال منها
أهلا بما لم أكن أهلا لموقعه * قول المبشر بعد اليأس بالفرج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج
ومثله في الرقة والانسجام قوله من قصيد
أبق لي مقلة لعلي يوما * قبل موتي أرى بها من رآكا
أين مني ما رمت هيهات بل أيـ * ـن لعيني باللحظ لثم ثراكا
وبشيري لو جاء منك بعطف * ووجودي في قبضتي قلت هاكا

ينهض قدمي فقد استناب قلمي والشيخ الجليل يرى عالي رأيه في تقريبهما لنصرة الله والاصفاء المثوبة ان شاء الله تعالى
(وله اليه)
كتابي أطال الله بقاء الشيخ الجليل وأدام علوه وتمكينه وحرس دنياه ودينه وبسط بالخيرات يمينه وجعل التوفيق قرينه والقضاء معينه من هراة ولا هراة فقد طحنتها هذه المحن كما يطحن الدقيق وقلبتها كما يقلب الرقيق وبلعتها كما يبلع الريق والحمد لله على المكروه والمحبوب وصلواته على نبيه وآله قد خدمت الشيخ الجليل سنين والله لا يضيع أجر المحسنين ونادمته والمنادمة رضاع ثان وطاعمته والمواكلة نسب دان وسافرت معه والسفر والاخوة رضيعا لبان وقمت بين يديه والقيام والصلاة شريكا عنان وأثنيت عليه والثناء من الله عز وجل بكل لسان واخلصت له والاخلاص محمود من كل انسان وان كنت لا احبه محبة والدي وولدي فانا ابن زانية وزان ولي مع الله ثان أفبعد هذه الحرمات انا طعمة فلان وفلان يتناولانني سبعا في ثمان من محن الزمان كثيرة لا تنقضي وسرورها يأتيك في الاحيان والله ما كتبت هذا الكتاب حتى رأيت جاري يرهب وجاريتي توهب ومالي نذهب وضياعي تنهب وأكاري يضرب ووكيلي يطالب وان الكلمة بهراة لمختلفة جدا كالضد لا يلائم ضدا واذا صير الى خدين كان احدهما خدا امرد

قد كفى ماجرى دمامن جفون * لى قرحى فهل جرى ما كفا كا
فأجرمن قلالك فيك معنى * قبل أن يعرف الهوى يهوا كا
بانكسارى بذلتى بخضوعى * بافتقارى بفاقتى لغنا كا
لا تكلنى الى قوى جلدخا * ن فانى أصبحت من ضعفا كا
كنت تجفوو كان لى بعض صبر * أحسن الله فى اصطبارى عزا كا
كم صدود عساك ترحم شكوا * ى ولوباستماع قولى عسا كا
شنع المرجفون عنك بهجرى * وأشاعوا أنى سلوت هوا كا
ماباحشائهم عشقت فاسلو * عنك يومادع يهجروا حاشا كا
كيف أسلو ومقلتى كلما لا * ح بريق تلتفت للقا كا
كل من فى حمالك يهواك لكن * أنا وحدى بكل من فى حما كا

ومن كاساته الغرامية التى سكرا لعشاق بقديمها وحديثها قوله

ادرذكرمن أهوى ولوبملام * فان أحاديث الحبيب مدامى
فلى ذكرها يحلو على كل صيغة * ولومزجوه عذلى بخصام
كأن عذولى بالوصال مبشرى * وان كنت لم أطمع برد سلام

وما أبدع وأرق ماقال منها

يشف عن الاسرار جسمى من الضنا * فتوحى بها معنى نحول عظامى
طريح جوى حب جريح جوارح * قريح جفون بالدوام دوامى
صحيح عليل فاطلبونى من الضنى * ففيها كما شاء النحول مقامى

منها

فلى كل عضو فيه كل حشابها * اذا نظرت أغراض كل سهام
ولو بسطت جسمى رأت كل جوهر * به كل قلب فيه كل غرام

ومن غرامياته التى يحرك الجماد لرقتها قوله من قصيد

مالى سوى روحى وباذل نفسه * فى حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها لقد اسعفتنى * ياخيبة المسعى اذا لم تسعف

وما أسجم ماقال منها

ياأهلى ودّى انتم أملى ومن * ناداكم ياأهل ودّى قد كفى
عودوا لما كنتم عليه من الوفا * كرما فانى ذلك الخل الوفى
وحياتكم وحياتكم قسما وفى * عمرى بغير حياتكم لم أحلف
لوأن روحى فى يدى ووهبتها * لمبشرى بوصالكم لم أنصف
لا تحسبونى فى الهوى متصنعا * كلفى بكم خلق بغير تكلف
أخفيت حبكم فاخفانى أسى * حتى لعمرى كدت عنى أختفى
وكتمته عنى فلو أبديته * لوجدته أخفى من اللطف الخفى

وما أحلى ماخاطب العذول منها بقوله

دع عنك تعنيفى وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

وما أعذب ماقال منها ياما أميلح كلما رضى به * ورضابه ياما أحيلاه بفى

ولقد أحسن الله خاتمته فيها بقوله

ماللنوى ذنب ومن أهوى معى * ان غاب عن انسان عينى فهو فى

ولقد أقام القواعد الغرامية بقوله من قصيد

والآخرصدغا اسود زعموا ان الشيخ الجليل نظر لجيرانك فنحن نستدرك ذلك وقلت ما احتاط الشيخ الجليل فى
سكنا احتياطه فى سكنى ولا
تعرف حال محلة تعرفه
حال محلتى ولقد بعث اليها
من عدها حجرة حجرة وعلم
من يسكنها ملكا واجرة
واستكشف حرفة كل واحد
فاثبت على داره شيأ
بمقداره فان كان نظر لى
كما تزعمون فلم تخالفون
ولى نعمتكم وأنتم صنائعه
ولم تهدمون بناءه ورافعه
وتفرقون شملا هو جامعه
ولقد حدثت بهراة رسوم
غيرت فى وجه ماتقدم
واستؤنف ظلم يقطر الدم
لاأصبح الاعلى باب يردم
وساكن يعدم ولا أمسى
الاعلى دار تهدم ومخدومة
تستخدم فى كل دار ديوان
وعلى كل باب أعوان وفى
كل يد ميزان وكل أحد
سلطان واذا اطلق غوره
ولعن الله ابافلان لا اراه
فى اليوم الا أصاب ذلك
اليوم ومما أبث الشيخ
الجليل ان مبلغ خراجى
بهراة ألفان وعلى المخف
من الجرمان ثلاثة مدورة
بيض مقشره وعلى المثقل
تسعة وعشره ووددت
لو أمكن التبلغ باقل من
هذا أفعل ولكن افواها
فاغره واضراسا طاحنه
وعيالا واذيالا الا الله وكيلهم
وانا ربهم وأكيلهم وان
أمكن تحويل هذا المقدار
من الخراج ببوشنج ليتوفر
حقوق بيت المال وأصان
عن مجازفات العمال وتبعات المحال فتلك غاية الآمال وان تعذر فكتاب الى كل واحد من الاعمال

تعرض قوم للغرام وأعرضوا * بجانبهم عن صحة فيه واعتلوا
رضوا بالامانى وابتلوا بحظوظهم * وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا
فهم فى السرى لم يبرحوا من مكانهم * وما ظعنوا فى السير عنه وقد كلوا
وعن مذهبى لما استحبوا العمى على الـ * ـهدى حسدا من عند أنفسهم ضلوا

وما أحلى ما قال بعده

احبة قلبى والمحبة شافعى * لديكم اذا شئتم بها اتصل الحبل
عسى عطفة منكم على بنظرة * فقد تعبت بينى وبينكم الرسل
أحباى أنتم أحسن الدهر أم أسا * فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخل
اذا كان حظى الهجر منكم ولم يكن * بعاد فذاك الهجر عندى هو الوصل

وما ألطف ما قال منها

وماذا عسى عنى يقال سوى غدا * بنعم له شغل نعم لى بها شغل
أخذتم فؤادى وهو بعضى وما الذى * يضركم لو كان عندكم الكل

وما أظرف ما قال منها

تباله قومى اذ رأونى متيما * وقالوا بمن هذا الفتى مسه الخبل
وقال نساء الحى عنا بذكر من * جفانا وبعد العز لذ له الذل
اذا أنعمت نعم على بنظرة * فلا أسعدت سعدى ولا أجملت جمل

وما أرق ما قال منها

خفيت ضنى حتى لقد ضل عائدى * وكيف يرى العواد من لا له ظل
وما عثرت عينى على أثرى ولم * تدع لى رسما فى الهوى الاعين النجل
ولى همة تعلو اذا ما ذكرتها * وروح بذكراها اذا رخصت تغلو
فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى * فان قبلتها منك يا حبذا البذل
فمن لم يجد فى حب نعم بنفسه * وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

ومن الغراميات التى تهيج الاشواق ولواعج الغرام * وتنتظم بها عقود الانسجام * قول أحد المشايخ العارفين الشيخ عفيف الدين التلمسانى

لذ بالغرام ولذة الاشواق * واخترفناءك فى الجمال الباقى
واخلع سلوك فهو ثوب مخلق * والبس جديد مكارم الاخلاق
وتوق من نار الصدود بشربة * من ماء دمعك فهو نعم الواقى
واذا دعاك الى الصبا نفس الصبا * فاجب رسول نسيمه الخفاق
واذا شربت الصرف من خمر الهوى * اياك تغفل عن جمال الساقى
والق الاحبة ان أردت وصالهم * متلذذا بالذل والاملاق
أوليس من أحلى المطامع فى الهوى * عز الحبيب وذلة العشاق

ويطربنى من رقائق انسجاماته الغرامية قوله

تعلم فى مرافقة النديم * مطاوعة الاراكة للنسيم
وعاشره باخلاق فانى * وحقك عبد رق للنديم
أعاطيه أحاديثى وكاسى * فاسكر بالحديث وبالقديم
ولى عند الاحبة قلب صب * صحيح الود فى جسد سقيم
أقام وسافر السلوان عنه * فلا اجتمع المسافر بالمقيم

وقد أوردت هنا ما أمكن من جهد الطاقة فى باب الانسجام الغرامى وبديع بيوته وقد تقدم قولى انى أخرت فيه المتقدم وقدمت المتأخر عصرا لئلا ينفرط سلكه وتذهب لذته فان الانسجام يدخل فى

وأعيان الاحرار عاملنى معاملة الطرار طلبت منه مالا استفتح بعضه الى بلخ فابى أن يطلب حتى يحصل المال عند شريكه فاذا وصل الكتاب بوصوله اليه خرج حينئذ مما عليه وكتبت الى صاحبى ببلخ فوفر على صاحبه المال واستخار الله أبو البخترى وابتلعه ابتلاع الحوت وأيام سلامة صدرى وتهاونى بامرى تركت هذا الحديث وراء ظهرى مقدرا أن مالى عند صاحبى حتى ورد الآن كتابه فذكر أن هذه القصة فعلات قبح الله الخائن وأخزاه وأضعف له اذا جازاه عمرى لقد شكوت العلة الى طبيب وأنزلت الحاجة بكريم وللشيخ الجليل الرأى العالى والسلام

(وله اليه أيضا)

الشيخ الجليل أدام الله عزه يعلم حال هراة وأهلها فى استقصاء النقد وكثرة الرد وشدة الاحتياط فى المدح وجراءة الاقدام على الذم وان الجميل عندهم من وراء جدار والقبيح عندهم نار على منار ولهم فى اللوذينج قولات فاذا مدحوا سيرة رجل وحمدوا عشرته لم يبق فيه طمع للسبك ولا موضع للشك ووردت هراة فوجدت الالسن متفقة على تقريظ

 أبى فلان والنفوس مجبلة بفراقه نسأله المقام بين أظهرهم وتجزع لخروجه من بلدهم ثم وجدته من

الابواب الغرامية وفى غيرها ولكنه يوجد فيها أكثرلعذوبتها وارتياح الخواطر اليها لاسيما غراميات العارفين مثل الشيخ شرف الدين بن الفارض وغيره ومما يستظرف فى باب الانسجام من الطرائق الغرامية الغريبة قول عبد المحسن الصورى

وأخ مسه نزولى بقرح * مثل مامسنى من الجوع قرح
بت ضيفا له كما حكم الدهـ * ـر وفى حكمه على الحر قبح
فابتدانى يقول وهو من السكـ * ـرة بالهم طافح ليس يصحو
لم تغربت قلت قال رسول الله * والقول منه نصح ونجح
سافروا تغنموا فقال وقد قا * ل تمام الحديث صوموا تصحوا

ومن الانسجام المطرب قول مروان بن أبى حفصة

مسحت ربيعة وجه معن سابقا * لما جرى وجرى ذووا الاحساب

ومن الانسجام المرقص قول أبى نواس

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

ومثله قوله

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء
صفراء لاتنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حرفى زى ذى ذكر * لها محبان لوطى وزناء
قامت باريقها والليل معتكر * فلاح من وجهها فى البيت لألاء
وارسلت من فم الابريق صافية * كأنما اخذها للعقل اغفاء
رقت عن الماء حتى مايلائمها * لطافة وخفى عن شكلها الماء

ومن الانسجام المطرب قول محمد بن صالح الحسنى

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرا متمنع أركانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ماسحت به أجفانه

وعدوا من الانسجام المطرب قول عبد الرحمن العطوى فى رثاء احمد بن أبى دؤاد

وليس صرير النعش ماتسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصف
وليس فتيق المسك ماتجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

وعدوا من الانسجام المرقص قول العكوك فى أبى دلف

انما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

ومن الانسجام المرقص قول بكر بن النطاح

من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الامانى لم يزل مهزولا

ومن الانسجام المطرب قول أبى تمام

ولولم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

ومثله قوله

ظبى تقنصته لما نصبت له * فى اخر الليل أشراكا من الحلم

ومن الانسجام المرقص قول ديك الجن

بها غير معذول فداوى خمارها * وصل بعشيات الغبوق ابتكارها
موردة من كف ظبى كأنما * تناولها من خده فادارها

الجليل فيما أنهاه عبده وخادمه العين العالية

(وله اليه أيضا)

وفى الحديث المرفوع أطال الله بقاء الشيخ الجليل ان شر القرون قرن يحلف فيه قبل أن يستحلف ويشهد فيه قبل أن يستشهد وقد نويت ان وفق الله تعالى ان لاأبتدئهما ذاكرا ولولا هذه الحالة لحلفت ان الله تعالى وان صاننى عن اليتم صغيرا وعن الثكل كبيرا فقد أذاقنى من فراق الشيخ الجليل أمر منهما كاسا وحكى أن رجلا قعد للفاحشة مقعدها ثم أفكر فقال ان من باع جنة عرضها السموات والارض بهذا الفتر تحت هذا الستر لواسع رقعة الرقاعة خليق البضاعة بالاضاعة قليل البصر بالمساحة مغبون الصفقة فى التجارة جدير الحبس بالحجارة وذلك مثلى اذ بعت مكانى من مجالسه المعمور واعتضت منه عرضا من الدنيا يسيرا ومتاعا قليلا

فان ترجع الايام بينى وبينكم * بذى الاثل صيفا مثل صيفى ومربعى
اشد باعناق النوى بعد هذه * مرائر ان جاذبتها لم تقطع

على انى أصبت سدادا للغلة ومدادا للغدة وصوانا للوجه وبعض الشر أهون من بعض ولله الحمد ثم للشيخ الجليل من بعد فلولا كتبه المتواترة ونعمه الظاهرة المتظاهرة لاقت

طويلا ولم أصب قبيلا فالآن قد آذنت الحال ببعض النظام وستنتظم على الايام ان شاء الله تعالى وردت من الشيخ

ومن الانسجام المطرب قول دعبل

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم فى الموطن الخشن

ومن الانسجام المرقص قول أبى على البصير

لعمر أبيك ما نسب المعلى * الى كرم وفى الدنيا كريم

وعدوا من الانسجام المطرب قول يزيد بن خالد المهلبى

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

ومن الانسجام المرقص قول البحترى

تخفى الزجاجة لونها فكأنها * فى الكف قائمة بغير اناء

ومثله قوله

متعتب فى غير ما متعتب * ان لم يجد جرما على تجرما

ألف الصدود فلو يمر خياله * بالصب فى سنة الكرى ما سلما

ومن الانسجام المرقص قول ابن الرومى

فالموت ان نظرت وان هى أعرضت * وقع السهام ونزعهن أليم

ومثله قوله يخاطب بنى طاهر علوتم علينا علو النجوم * فجودوا علينا بانوائها

وعدوا من المطرب قول أبى العتاهية

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

ومثله فى المطرب قول سلم الخاسر

لا تسأل المرء عن خلائقه * فى وجهه شاهد من الخبر

وعدوا من الانسجام المرقص قول عبد الله بن المعتز

أهلا بفطر قد أنار هلاله * فالآن فاغد الى المدام وبكر

فانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وعدوا من مرقصات المتنبى قوله

وأصبح شعرى منهما فى مكانه * وفى عنق الحسناء يستحسن العقد

ومثله قوله

والهجر أقتل لى مما أراقبه * أنا الغريق فما خوفى من البلل

ومثله قوله

فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

ومن الانسجام المرقص قول أبى نصر بن نباتة

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

ومن الانسجام قول الواوا الدمشقى

وأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

ومثله قوله

متى أرعى رياض الحسن منه * وعينى قد تضمنها غدير

ومن الانسجام المرقص قول أبى العباس الضبى

زعم البنفسج أنه كعذاره * حسنا فسلوا من قفاه لسانه

ومن الانسجام المرقص قول أبى الحسين اللحام

يا سائلى عن خالد عهدى به * رطب الجنان وكفه كالجلمد

كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

وعدوا من الانسجام المطرب قول أبى نصر العتبى

الله يعلم أنى لست ذا بخل * ولست ملتمسا فى البخل لى عللا

الرئيس على كريم والعرب وان كانت أكبادها أغلاظا أكثر الامم حفاظا وضبة وان كانت كاسمها أحقادا وأكبادا أوفر العرب أحلاما وأكثرها كراما والشيخ الرئيس طوع لمخاطبات الشيخ الجليل يتصرف معها تصرف الظلال عن اليمين وعن الشمال فالشهد اذا أعرض عنه سم ما بذل الجهد والسم اذا نظر اليه شهد وقد وردت فلم يأل مقدمى اكراما ومنزلى انزالا وحديث ما حديث حديث الشيخين السيد ابن أبى القاسم وأبى الحسين وأرانى الله طاعتهما وامتعنى بهما وبقربهما فلا عيش الا فى ذراهما وبحيث أراهما وضالة الامل كلاهما وبردا لفؤاد هما هما ما فعلا واين بلغا فما يقصر نفاذهما ان لم يقصر استاذهما ولا يضيق مكانهما ان لم يضيق زمانهما وما أخاف عليهما الا عارض الكسل وحادث ان الطينة بحمد الله قابلة والغريزة حرة والهمة صاعدة وليت شعرى من اختلاف اليهما ووددت لو أقت عملهما فاخرج من عهدة بعض النعم والعود ان شاء الله احداثهما وانا لاخ صفر

وابتداء سفر وطيرة الهم وقوعها باذن الله وغاشية المجلس العالى ادام الله بهجته اعدهم امناء على نصيبى منه فان احسنوا فان الله

لكن طاقة مثلى غير خافية * والذر يعذر فى القدر الذى حملا

وعدوا من الانسجام المرقص المطرب قول أبى الفرج بن هند

عابوه لما التحى فقلنا * عبتم وغبتم عن الجمال
هذا غزال ولا عجيب * تولد المسك فى الغزال

ومثله قول الامير شمس المعالى قابوس

وفى السماء نجوم مالها عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الحجاج

كان أيرى شمع فى رخاوته * فكلما مسته راحتى لانا

ومثله قوله فأصبح الدهر به هيضة * فنحن غرقى فى خرا الدهر

وعدوا من المرقص قول أبى العلاء المعرى

والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وعدوا من الانسجام المرقص قول المنازى الذى لا يوجد فى معناه مثله

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظما زلالا * ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الشحناء العسقلانى

ومهفهف علق السقام بطرفه * وسرى نحيم فى معاقد خصره
مزقت أثواب الظلام بثغره * ثم انثنيت أحوكها من شعره

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الخياط الدمشقى وهو من شعراء المائة السادسة

ومحجب بين الاسنة معرض * وفى القلب من اعراضه مثل حجبه
أغار اذا آنست فى الحى أنة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

وهذا الانسجام غرامى وعدوا من الانسجام المرقص قول القاضى الارجانى

وما ينزل الغيث الا لان * يقبل بين يديك الثرى

ومثله قول ابن الهبارية ولولا نداه خفت نار ذكائه * عليه ولكن الندى مانع الوقد

وعدوا من المرقص قول أبى عبد الله النقاش البغدادى

اذا وجد الشيخ من نفسه * نشاطا فذلك موت خفى
ألست ترى أن ضوء السراج * له لهب عندما ينطفى

ومن الانسجام المرقص قول ابن المفضل البغدادى

خطرت فكاد الورق يسجع فوقها * ان الحمام لمغرم بالبان
من معشر نشروا على هام الربا * للطارقين ذوائب النيران

ومثله قول سبط التعاويذى

بين السيوف وعينيه مشاركة * من أجلها قيل للاغماد أجفان

ومن الانسجام المرقص قول القاضى الفاضل فى وكيله الشريف الكحال

رجل توكل لى وكحلنى * فاصبت فى عينى وفى عينى

وان كان قد أخلفه الغريم فلن يخلفه الخلق الكريم وان حركته بالمال همجلة انفذت اليه سفتجة عن قريب وعما قليل * وماشغفى بالماء الا تذكرا * لما به أهل الحبيب نزول وما عشت من بعد الاحبة سلوة ولكننى للنائبات حمول وللشيخ الجليل ادام الله عزه فى تشريف عبده وخادمه بالجواب وتصريفه على الامر والنهى رأيه العالى ان شاء الله تعالى

(وله اليه أيضا)

وصل للشيخ الجليل السيد كتاب خشن البرد جافاته كالاسل يدق دق القصار ويشق شق البيطار ويقرض قرض الفار ويحك بالاظفار ويشك بالشفار فلو كنا على السواء ولكن احدنا فى الارض والآخر فى السماء ولو كان ادركنا ولكف بسطة ولكن احاطت بالرقاب السلاسل

آخر

ولو رأى مساغا لنابيه الشجاع لصمما ولكن الرماح اجرت ولولا ان ينبط دمى افاض فى وخير ما فى الباب قول الاول لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة فقد سرنى انى خطرت ببالك وما ظننت أحدا يعبث هذا العبث بنا وما را الحمار ويستخف هذا الاستخفاف بحى الاحرار زعم

ومثله

ومثله قوله فيه عادى بنى العباس حتى انه * خلع السواد من العيون بكحله

ومثله قول ابن الساعاتى والطير يقرأوا الغدير صحيفة * والريح تكتب والغمام ينقط

ومثله قوله فى النهر صدأ الظلام يزيد رونق حسنه * أرأيت سيفا قط يصقل بالصدا

وعدّوا من الانسجام المرقص قول عبد الملك بن مازة البخارى وقد دخل عليه مملوك وفى يده قوس

نهانى لما بدا عقرب * على خدّه أن أروم السفر
فقلت وفى يده قوسه * أسير فى القوس حل القمر

ومثله قول ابن أردخل التكريتى ألين القوام عنى أمالو * فقلبى مكسور تلك الاماله

وعدّوا من الانسجام المرقص قول ابن عنين

دمشق فبى شوق اليها مبرّح * وان لج واش أو ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها * عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

ومن الانسجام المرقص قول الحاجرى

انى لاعذر فى الاراك حمامه الشادى كذلك تفعل العشاق
حكم الغرام الحاجرى باسرها * فغدت وفى أعناقها الاطواق

وعدّوا من الانسجام المرقص قول الصاحب بهاء الدين زهير

فيا ظبى هلا كان منك التفاتة * ويا غصن هلا كان منك تعطف
ويا حرم الحسن الذى هو آمن * وألبابنا من حوله تتخطف
عسى عطفة بالوصل يا واو صدغه * على فانى أعرف الواو تعطف

وعدّوا من المرقص قول محيى الدين بن زيلاق

ومن عجبى أن يحرسوك بخادم * وخدام هذا الحسن من ذاك أكثر
عذارك ريحان وثغرك جوهر * وخدّك كافور وخالك عنبر

ومثله قول ابن عربى الموصلى فى المرقص

أناصب وماء عينى صب * وأسير من الضنى فى قيود
وشهودى على الهوى أدمع العين ولكننى قذفت شهودى

ومثله قول ابن الحلاوى الموصلى

كتبت فلولا أن هذا محلل * وذا حرام قست لفظك بالسحر
فوالله ما أدرى أزهر خميلة * بطرسك أم در يلوح على نحر
فان كان زهرا فهو صنع سحابة * وان كان درا فهو من لجة البحر

ومثله قول ابن ظهير الازبكى

طرفى وقلبى ذا يسيل دما وذا * دون الورى أنت العليم بقرحه
وهما بحبك شاهدان وانما * تعديل كل منهما فى جرحه
والقلب منزلك القديم فان تجد * فيه سواك من الانام فنحه

انظر هذه القافية ما أحلاها وأمكنها ومثله قوله

غارت مناطقه وأنجد ردفه * يا بعد شقة غوره من نجده

ومن الانسجام المرقص قول تاج الدين بن الحوارى

فوالله ما أخرت عنك مدائحى * لامر سوى انى عجزت عن الشكر
وقد رضت فكرى مرة بعد مرة * فما ساغ ان أهدى الى مثلكم شعرى

تبرأت من الاحاديث والله انى لا كذب الكذبة اظنها لحسنها صدقا وليس الشان فى اللسان الشان فيما يعرج كل ليلة الى سماء الدنيا ولو شئت اعددت عليه كما عد على ولكن لا تحرك السواكن وانما يلام المرء على موعد يخلفه اذا استفاد بخلفه جمالا أو مالا أو راحة فاما موارة الكتب ومواصلة الرسل فلا فى الوفاء بها قربة الى الله تعالى ولا فى الاخلال حرج من الله ولو كنت وعدته فصوصا ثم لم أتبع الوعد وفاء لاستهدفت لسهام العتاب لكن الله يشهد أنى على الاخلال بالمكاتبة أحب له منى لا أرى وعينى ويدى وكل نعمة أنعمها الله على بيد الاسلام ولو أنصف ناظره لجبر بافراطى فى هذا الجانب تقصيرى فى ذلك الجانب فجعل بدل العتاب شكرا والسلام

(وله أيضا رقعة اليه)

قد بسط مولاى باع الفصاحة وملأ أسفار البلاغة وبهرنى ببيانه كما غمرنى بفضله وبره وكما لا عذر للسيف اذا لم يمض ولا للنجم اذا لم يض وهو بحمد الله يزداد زيادة الهلال ويتقدم كل يوم فى محاسن الآداب والاخلاق

وارجو ان لا تقف به همته دون اعلاء منزلته ولا يرضى لنفسه الكريمة الا بأقصى غايته وما تفضل به من الاعتذار فقد أغنا الله

فان لم يكن درا فتلك نقيصة * وان كان درا كيف يهدى الى البحر

ويعجبنى من الانسجام المرقص قول النجم القمراوى

وحاكمت النسيم على مرور * بعطفيه فمال مع النسيم

ومثله قول عبد الكردى اذا ما اشتقت يوما ان أراكم * وحال البعد بينكم وبينى

بعثت لكم سوادا فى بياض * لابصركم بشئ مثل عينى

وعدّوا من الانسجام المطرب قول المهذب بن الخيمى الحلى وقد كتب الى والده

جننت فعوذنى بكتبك ان لى * شياطين شوق لا يفارقن مضجعى

اذا استرقت اسرار وجدى تمردا * بعثت اليها فى الدجا شهب أدمعى

ومن الانسجام المرقص قول ابن عبد ربه

ياذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا

ما كنت أقطع أن لحظك صارم * حتى رأيت من العذار حمائلا

ومن أغرب ما رأيت من الانسجام المرقص قول جعفر بن عثمان المصحفى

خفيت على شرابها فكأنما * يجدون ريا فى اناء فارغ

ومن الانسجام المرقص قول ادريس بن السمان

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح

خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

ومثله قول المعتمد بن عباد سميدع يهب الالاف مبتدئا * وبعد ذلك يلفى وهو معتذر

له يد كل جبار يقبلها * لولا نداها لقلنا انها الحجر

ويعجبنى قول الفضل بن شرف فى المرقص

لم يبق للجور فى أيامكم أثر * الا الذى فى عيون الغيد من حور

ومثله قوله تقلدتنى الليالى وهى مدبرة * كأننى صارم فى كف منهزم

وعدّوا من الانسجام المرقص قول ابن رشيق صاحب العمدة فى المعز بن باديس سلطان افريقية وقد غاب يوم العيد وكان يوما ماطرا

تجهم العيد وانهلت بوادره * وكان يعهد منك البشر والضحكا

كأنه جاء يطوى الارض من بعد * شوقا اليك فلما لم يجدك بكى

وعدّوا من الانسجام المرقص قول عبد الله بن محمد العطار

وكاس ترينا آية الصبح والدجا * فأوّلها شمس وآخرها بدر

مقطبة ما لم يزرها مزاجها * فان زارها جاء التبسم والبشر

فواعجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

ومثله قول القاضى الجليس بن الجناب المصرى

ومن عجب أن الصوارم فى الوغى * تحيض بأيدى القوم وهى ذكور

وأعجب من ذا أنها فى أكفهم * تأجج نارا والاكف بحور

وظريف من الانسجام المرقص قول ابن مكنسة

والسكر فى وجنته وطرفه * يفتح وردا ويغض نرجسا

وعدّوا من الانسجام المرقص قول ظافر الحداد

ونفر صبح الشيب ليل شبيبتى * كذا عادنى فى الصبح مع من أحبه

ومثله قول أبى اسحق بن خفاجة

تعالى عنه ففضله الظاهر فاصل عن كل حق وخلقه الطاهر بالغ به مدى كل بر وبنى أن يوفق الله بمقابلته بما

التزمه له وأوجبه فيه وقد عملت فى أمر الدواء ما أشرحه له شفاها وجملة الامر أنى أؤمل النفع فى تناوله وارجو حسن عاقبته وحالى الآن صالحة لولا ماذكر من فتور الشيخ الجليل فقد شغل قلبى وأقلق نفسى وان كان لا ينكر الضعف عقب المسهل ولعل سبب هذا العارض ما وقع من الحركة الى ان عاد الى الدار وتعرض للشمس فى طريقه فالله تعالى يعافيه ويبقيه ولا يرينا مكروها فيه ان شاء الله تعالى

(وكتب الى الشيخ أبى القاسم أدام الله تأييده وسودده رحمه الله)

أنا أصون ذلك المجلس الكريم عن الزكام والسعال وجميع اخوات الفعال ولو استطعت ان أنفى من جملتى أنى لرضيت لخدمة المجلس أعلاه الله سائرى ولكن هو منى وان ذن وكانى بالشيخ الجليل يقول الامثال لا تغيروفى الحدود المعطلة والثغور المهملة والرسوم المبدلة والسنن المحوّلة والبدع المستعملة هذا الخطأ خالل يسير وغلط قريب وما أسد استظهارى بخلافته وان لم يكن من ولد العباس والله يبقيه علما للفضل وعالما فيه والسلام *(جواب الشيخ أبى القاسم وهذه الرسالة جواب انا أصون ذلك المجلس)* وصلت رقعة الاستاذ ونمت

وغت باسرار الرياض خميلة * بها الزهر ثغر والنسيم لسان

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن اللبانة

روحي وأهلي جيرة مااستعذتهم * على الدهر الا وانثنيت معانا

أراشوا جناحي ثم بلوه بالندى * فلم استطع من أرضهم طيرانا

وعدوا أيضا من الانسجام المرقص قول ابن الرقاق

وأغيد طاف بالكؤس ضحى * وحثها والصباح قد وضحا

والروض أهدى لنا شقائقه * وآسه العنبرى قد نفحا

قلنا وأين الاقاح قال لنا * أودعته ثغر من سقى القدحا

وظل ساقي المدام يجحدها * قال فلما تبسم افتضحا

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن سنا الملك

لا تخش مني فاني كالنسيم ضنى * وما النسيم بمخشى على الغصن

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الدباغ وقد تقدم

يارب ان قدرته لمقبل * غيري فلمسواك أو للاكؤس

ولئن قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فلتك شمعة في المجلس

واذا قضيت لنا بعين مراقب * يارب فلتك من عيون النرجس

ومثله قوله واشكو الى ليل الغدائر غدرها * وأملي عليه وهو في الارض يكتب

هذه الابيات تقدمت في باب الانسجام الغرامي ولكن لم يظهر من مكررها غير الحلاوة وعدوا من الانسجام المرقص قول كمال الدين بن النبيه

وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره

وعدوا من الانسجام المرقص قول الصاحب جمال الدين بن مطروح

اذا ما اشتهى الخلخال أخبار قرطها * فيا طيب ما تملى عليه الضفائر

وعدوا من الانسجام المرقص قول البرهان بن الفقيه نصر الله

أقتطف السوداء من لمتي * أخذا مع البيضاء اذ تسرف

فتخلف البيضاء أمثالها * وتغضب السودا فما تخلف

حماقة السودان من ههنا * يعرفها من لم يكن يعرف

وعدوا من الانسجام المرقص قول أمين الدين التلمساني

ساروا فما وحشة الوادي لبعدهم * منهم ولا سيما الاغصان والكتب

ومن الانسجامات المرجزة التي لو أدركها الشريف تطفل على نسيم أبياتها واعترف ان ما للصادح والباغم تغريد صادحاتها * أرجوزة الشيخ جمال الدين بن نباتة الموسومة بنظم السلوك في مصايد الملوك التي امتدح بها الملك الافضل بن الملك المؤيد صاحب حماة وكان قد لقب قبل الافضل بالمنصور وهي انثى شذا الروض على فضل السحب * واشتملت بالوشي أرداف الكتب

مابين نور مسفر اللثام * وزهر يضحك في الاكمام

ان كانت الارض لها ذخائر * فهي لعمري هذه الازاهر

قد بسطتها راحة الغمائم * بسط الدنانير على الدراهم

أحسن بوجه الزمن الوسيم * تعرف فيه نضرة النعيم

وحبذا وادي حماة الرحب * حيث زها العيش به والعشب

أرض الهنا والسنا والمرح * والامن واليمن ورايات الفرح

ورفعني عما يرفعني وهل جمال أتم ملابس من كريم عادته في التخم الى وماحق عمرنين رتب رد عرنينه الماء قبل الشفاه الا أن تشمته اذا عطس الكرام البررة ولا عطس الاباشم من الطراز الاول ولولا التطير من سمة العيادة لخف ركابي اليه والشيخ أبو الحسن فوق شروط الخلافة فاذا كان المستخلف تغاليا جاز أن يكون الخالف كسرويا

(وله الى الشيخ السيد أبي الحسن علي بن الفضل الاسفرايني رحمه الله) كتابي أطال الله بقاء الشيخ السيد والخطيب أبو فلان قد توجه وفدا الى الحضرة ويريد أن يقرن بين الحج والعمرة ولا يقتصر على الشمس دون الزهرة ولا يقنع بالماء الا مع الخضرة وقد قصد من الشيخ الجليل بحرا والشيخ السيد سفينة نجاته وذريعة حاجاته وسببه الى كل مراد يتعذر وجنته دون ما يخاف ويحذر ومفزعه في كل ما يأتي ويذر وهو وديعتي حتى ترده سالما وقد جهزت معه من السلام ما يجلو دجى الظلام ويدر أخلاف الغمام ويهدي العافية الى السقام وينشر النعمة بالتمام ويربط عليها بالدوام وترفعت اليه بأهبة شوق يؤديها وصفا وشرحا ويصورشدة وترحا ورسمت له أن يقبل على يده العالية انما يقبل سبعة

ذات النواعير سقات الترب * وأمهات عصفه والاب
تعلمت نوح الحمام الهتف * أيام كانت ذات فرع أهيف
فكلها من الحنين قاب * فكيف لا والما عليها صب
لله ذاك السفح والوادى الغرد * والماء معسول الرضاب مضطرد
يصبو بها الرائى فكيف السامع * ويحمد العاصى فكيف الطائع
اذا انظرت للربا والنهر * فاروعن الربيع أوعن جعفر
محاسنا تلهى العيون والفكر * ربيع روضات وشحرور صفر
امام كل منزل بستان * وبين كل قرية ميدان
أما رأيت الورق فى الاوراق * جاذبة القلوب بالاطواق
فبادر اللذة يا فلان * واغنم متى أمكنك الزمان
ولا تقل مشتى ولا مصيف * فكل أوقات الهنا خريف
كل زمان ينقضى بالجدل * زمان عيش كلما دار اعتدل
أحسن ما أذكر من أوقاته * وخير ما أنعت من لذاته
بروزنا للصيد فيه والقنص * وحوزنا من مره أحلى الفرص
وأخذنا الوحش من المسارب * وفعلنا فى الطير فوق الواجب
لما دنا زمان رمى البندق * سرنا على وجه السرور المشرق
فى عصبة عادلة فى الحكم * وغلمة مثل بدور التم
من كل مبعوث الى الاطيار * تظله غمامة الغبار *
قد جد القوم به عقب السفر * عند اقتران القوس منه بالقمر
لولا حذار القوس من يديه * لغنت الورق على عطفيه
فى كفه محنية الاوصال * قاطعة الاعمار كالهلال
زهراء خضراء الاهاب معجبه * مما نوت بين الرياض المعشبه
فاغرة الافواه للاطيار * طالبة لهن بالاوتار *
كأنها بين المياه نون * أوحاجب بما تشا مقرون
لها بنات بالمنى معذوقه * من طينة واحدة مخلوقه
سامعة لما تشير الام * مع انها مثل الجارصم
كانها والطير منها هارب * خلف الشياطين شهاب ثاقب
واهالها شبه كرات تخطف * شاهدة بالعزم وهى تقذف
حتى نزلنا بمكان مونق * اخوان صدق احدقوا بالملق
فياله فى الحسن من محل * مراد جد ومراد هزل
للطير فى مياهه مواقع * كأنها من حولها فواقع
فلم نزل فى منزل كريم * نروى حديث الرمى عن قديم
حتى طوى الافق رداء الورس * والتهم المغرب قرص الشمس
وابتدر القوم الى المراصد * من ساهر ليل التمام ساهد
كالليث يسطو كفه بارقم * والبدر يرمى فى الدجا بأسهم
بينا الطيور فى مداها ساهره * اذا هم من عينه بالساهره
واقبلت مواكب الطيور * على طروس الجو كالسطور

ونشدا وتوجيها والسلام

(وله الى الشيخ السيد العالم أبى أحمد)

كتابى وقد أنعم الله تعالى على الشيخ السيد العالم نعما ان عدها لم يحصها وأمره أن يلبس شعارها ويحسن جوارها ليقر قرارها وليس بعد الايمان بالله خصلة خير هى أوفر من رضوان الله حظا ومن تقوية المسلم ومعونته وليس بعد الشرك بالله خلة سوء هى أقرب الى غضب الله من شد على عضد ظالم وتقوية يده وقد علم الشيخ ما منى به أهل هراة من محن الحانية ثم ما أرهقهم من الحقوق الديوانية ثم ما زيد عليهم من علاوة المصادرة الحادثة ثم ما كشف الاستار وأظهر العوار وقبح النوار من غلاء هذه الاسعار حتى لقد أكلت الجيفة وهى خائسة وطحنت عظام الميتة وهى يابسة وعدم القوت وغنه موجود وتركت العبادات وهجرت النياحات وأفردت الجنائز وتخطى الموتى وهم بالشوارع مطروحون ولقد دخلت المسجد الجامع يوم أمسى فرأيت تحت كل اسطوانة عليلا وكلمت أحدهم فلم يفقه الاقليلا فيا عباد الله تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان انكم تنشرون ثم اليه تحشرون ومن

فحبذا

نخبة هذا السطور فى المهارق * منظومة الاحرف بالبنادق
من كل نمّ حق أن نسمى * ضياءه المشرق بدر التم
تخاله من تحت عنق قد مجا * طرة صبح تحت أذيال الدجا
وكل ذى حسن من الوسامه * تخاله فى أفقه غمامه
تتبعه أوزة دكناء * من دونها لقلقة غراء
تقدمها أنيسة ملاونه * تابعة من كل وصف أحسنه
يجنى بها الاكل خير ماجنى * وأحسن المأكول ماتلونا
وربما مر لديها حبرج * كأنه على نضار يدرج
وانقض من بعض الجبال نسر * له بأبراج النجوم وكر
مغير الخلق شديد الايدى * يبنى على الكسر حروف الصيد
تحت مسراه عقاب كاسبه * خافضة لحظ الطيور ناصبه
اذا مضت جلتها المعترضه * تواصلت خيوطها المنقرضه
بكل كركى عجيب السير * كأنه طيف خيال الطير
بحث غرنوقا شهى المجتلى * مقدما على الغرانيق العلا
وأبيض كالغيم يسمى مرزما * كم بات مثل نورة مبتسما
يحشه سيطر قوى * معجزة فى الطير موسوى
كم حاش ثعبانا وكم حواه * كأنه فى يده عصاه *
هذا وكم ذى نظر ممتاز * ينعت فى الواجب بالعناز
أسود الالمعة فى الصدر * كأنه نور الهدى فى الكفر
فلم نزل قسينا الضوارى * تصيبها باعين الاوتار *
حتى غدت دامية النحور * ساقطة منها على الخبير
كأنها وهى لدينا وقع * لدى محاريب القسى ركع
وأصبحت أطيارنا قد حصلت * ولم تسل باى ذنب قتلت
مستتبعا وجه العشا وجه السحر * وكل وجه منهما وجه أغر
يالك من صيد مقر العين * مرضى الصحاب وهو ذو الوجهين
لم نرض ماوفى من الامانى * حتى شفعناه بصيد ثانى
صيد الملوك الصيد بالكواسر * والخيل فى وجه الصباح السافر
ذاك الذى تصبوله الجوارح * فهى الى طلابه طوامح
واثقة بالرزق حيث كانا * تغدو خماصا وتجى بطانا
سرنا على اسم الله والمناجح * نعوم فى الاقطار بالسوابح
خيل تخاذ الصيد حيث مالا * كأنها أضحت له ظلالا
تسعى بها قوائم لاتتبع * وكيف لا وهى الرياح الاربع
تحفنا من فوقها غلمان * كأنهم لدوحنا أغصان
ترك تريك فى سماء الملبس * كواكبا طالعة فى الاطلس
منظومة الاوساط بالسلاح * من كل سهم زجل الجناح
وكل عضب ذرب المقاطع * يحرف الهام عن المواضع
على يد السائر منهم زاده * من كل بازقرم فؤاده

الواجب على السلطان أعز الله نصره فى مثل هذا العام ان يتعهد الناس بالطعام ويتحول الرعية بالانعام ويبذل فيهم الرغائب ليؤمن الساكن وليتألف الغائب والبلاء كل البلاء ان طلب هذا المال الموظف فتذهب الحاسة الباقية فأنشد الله الشيخ ليبذلن فى هذا الامر مجهوده ولينجزن موعوده وكرهت أن أخاط بهذا الكتاب غير التماس هذا النظر وفى الرأس فصول وفى الدماغ فضول ورأى الشيخ السيد فى ملاحظة فلان بالعين التى كان يلاحظنى بها وتمكينه من مجلسه وبساطه أوقات نشاطه وتهديته الى ماعساه يخطئ فيه وجه رشاده أو يضل عن سبيل مراده عال ان شاء الله تعالى

(وله اليه أيضا)

يا فرحا بيوم لايجيى بوجهك وبليلة تطوى بفقدك وبضمير يخلو من ذكرك ومارمى بجمالك وياشوقى الى أن لا القاك أولا يكفينى الاكتحال بالقذى من طلعتك حتى سؤتنى بقذاة رقعتك فخلنى من نصائحك حتى ان رأيت السيل يسيل بى فلا تنذرنى وان رأيته يغرقنى فلا تنقذنى وان عاودتنى بعد ذلك بشفقاتك الباردة ظهر شؤم شفقتك على عنفقتك وقد أعذر من أنذر

(وله رقعة استخلاص)

سيرا على اسم الله وعونه الى الكلب ابن الكلبه واليابس ابن الرطبه والضيق ابن الرحبه

قد كتبت فى صدره حروف * تقرا بما تقرى به الضيوف
وكل شاهين شهى المرتمى * كبارق طار وصوب قد همى
بينا تراه ذاهبا لصيده * معتصما بأيده وكيده
حتى تراه عائدا من أفقه * ملتزما طائره فى عنقه
أفلح من كان على يسراه * حتى غدت حاسدة يمناه
تلك يد لا تعرف الاعسارا * لاجل هذا سميت يسارا
وكل صقر مسبل الجناح * مواصل الغدو والرواح
ذى مقلة لها ضرام واقد * يكاد يشوى ما يصيد الصائد
كأنما المخلب منه منجل * لحصد أعمار الطيور مرسل
يا حبذا طيور جد ولعب * تهوى الى الارض وللافق تشب
من سنقر عالى المدى والشان * معظم الاخبار والعيان
يصعد خلف الرزق ليس يمهله * كأنه من السما يستعجله
ومن عقاب بأسها مروع * كأنها للطير جن يصرع
كم جلبت لطائر من وهن * وكم وكم قد أهلكت من قرن
وحبذا كواسر الكواهى * عديمة الانظار والاشباه
مخصوصة بالطرد القويم * حدباء ظهر الذنب الرقيم
ذاك لعمرى حدب للرائى * يعدل ملك القلعة الحدباء
هذا وقد تجهزت أعداد * يجمعها الكلاب والفهاد
من كل فهد عنترى الحمله * اذا رأى شخص مهاة عبله
مبارك الاقبال والاعراض * مستقبل الحال بناب ماضى
كأنه من حدة اكتسابه * قد أحرق الانجم فى اهابه
له على مسايل الجفون * خط كخط الالفات الجون
ما أبصر المبصر خطا مثله * وكيف لا والخط لابن مقله
وكل منسوب الى سلوق * أهرت وثاب الخطا ممشوق
طاوى الفؤاد ناشر الاظافر * يا عجبا منه لطاو ناشر *
يعض بالبيض ويخطو بالقنا * ويسبق الوهم لادراك المنى
كالقوس الا انه كالسهم * والغيم يجلو عن شهاب الرجم
اذا رأى بقر الوحش اندفع * كأنه المريخ فى الثور طلع
قاصرة عن يده عيناه * مشروطة برجله أذناه
يشفعه كل عزيز عارى * مغالب الصيد على الاوكار
واهالها من أكلب طوارد * معربة عن مضمر المصايد
قد بالغت من طمع فى كسبها * ففتشت عن أنفس لم تخبها
حتى اذا تمت بها الامور * حفت بنا الصيدها الطيور
ما بين روضات مددنا نحوها * وحول آفاق ملكنا جوها
واستقبلت أطيارها البزاة * معلمة كأنها الغزاة
فلم تزل تسطو وسطا الحجاج * على الكراكى الى الدراج
حتى غدت تلك البزاة سرعى * مجموعة على التراب جمعا

والقوادابن القعبه والزماه داره وعرفاه مقداره وامنعاه طيب الغذاء وريح الهواء وبارد الماء حتى يؤدى ما عليه أو تجرا برجليه ان شاء الله تعالى

*(وله أيضا)

كتابى وكنت أقعد بحالى عن مطالعة المجلس العالى واقتصر على خدمة الدار طرفى النهار وللنفس آمر من فرط الصبابة وناه من ظل المهابة وللعزم باعث من الانبساط ومانع من الاحتياط وللصدر بما يمسكه حرج وبما يبثه فرج لكنى عرفت مكانى عنده فلم أتعده ومحلى وخطه فلم أتخطه فلما ورد كتاب الامير فى معنى استزارة العم اياى لم أجد بدا من المطالعة وبالله ما أعرف لاستزارته سببا يقتضى هربا وما أعلمنى عملت حالا أوجبت ارتحالا وما أبرئ نفسى انها العيبة عيب لكنها فى غيب ولست بمعصوم عن كل لوم ولكنى أتصون ولا محجوب عن كل حوب ولكننى أتجمل فليت شعرى أى عيوبى ظهر وكيف اشتهر ولم نظر وان كان خبر فهلا ستر وان كان عثر فهلا عذر وأين رفق العمومة وستر الابوة وما هذه الشناعة والاشاعة وهلا تقدم الايقاع انذار وهلا سمع منى اعتذار وبالله اقسم وبنعمة الملك احلف ان كنت اتهم نفسى بجرم تطرقت اطرافه وأمر قصدت خلافه أو شئ لم يوافق مراده أو حال أقلقت فؤاده أكثر من ضجر

على

بالمقام وكان يمكنه ان يضع لنفسه عذرا أحسن مما وضع ويحمل وجها اجمل مما نحمل وأريد ان ذكر قصة يعنى سامعها ويعقتنى ناقلها اذ كان لا تجاوز لما يفعله مثلى بمثله وانا فرع من أصله وجزء من كله ولكن لا بد من ان أرخى وامد واجذب واشد حتى يعلم الملك اننى فى استزارته مظلوم واننى من ظلمه محروم وقد علم انا وردنا هذه الحضرة بجلده لا تظاهر ببرده وابدان لا تخطر باردان واننى قاسمت هذا العم نعم مولانا على الا نعمه لا تحتمل قسمه وصله لم تحتمل تفصله من فرس لم يمكن قطعه نصفين وعبد لم يجز توزيعه بين اثنين ولعل هذا العم نقم على هذا الجرم وان كان نسبنى الى محظور ركبته أو مسكر شربته أو منكر قربته أو قمار لعبته أو عود ضربته أو نرد نصبته أو بيت نقبته أو شئ سلبته فقد صبر على هذه الهنات عشر سنين فما هذا الضجر اليوم وان لم اتعاطها فلا لوم ولم يبق أيد الله الامير من انقلاب الزمان الا ان تطلع الشمس من مغربها والله المستعان ولخادمه بهذه الحضرة رتبة يحسده القاصى عنها ويخافه الفارع لها ويراجعه النازل بها ويعقته الطامع فيها فهو من جهاتها محسود ومن أجلها بالتشييع مقصود والمرء لا يخلو من ذنب صغير يورى عن جهته نبرى كبيرا وخطب يسير متى يوصل به كذب صار

على الربا من دمها خلوق * كان كل نبتها شقيق
ثم عطفنا للوحوش السانحة * واستبقت تلك الضوارى الطامحة
كلاب صيد بينها سناقر * تفعل فى الوحش بها الفواقر
تخشى بها العقر على نفوسها * فالطير لاشذ على رؤسها
وللكلاب حولها مغار * يكاد أن تقدح منه النار
من غير رانه يلوب * تقول هذا كوسج مخضوب
يعانق الظبى عناق الوامق * ما كان أغنى الظبى عن معانق
والفهد يشتد على الآجال * شد وصى السوء فى الاموال
لا يهمل القصد ولا يخون * كان كل جسمه عيون
وللزغاريات خلف الارنب * حقائق تبطل كيد الثعلب
كم برحت بالهارب المكدود * وطوحت بصاحب الاخدود
وربما مرت ظباء ومها * للنبل فى أكل حشاها مشتهى
قد نسجت ملاءة من عثير * تخاط من قرونها بالابر
فابتدرت أجنحة السهام * صائبة الاغراض والمرامى
تجرح كل سانح نفور * كأنه بعض شهود الزور
كان اقطار الفلاة مجزره * أو روضة من الدماء مزهره
كان صرعى وحشها كفار * الموت عقبى أمرها والنار
للمرء فيها منظر أحبه * يملأ من لحم وشحم قلبه
لله ذاك المنظر المهنا * أى معاد عن ذراه عدنا
قد ملئت من ظفر ايدينا * وقد شكرنا فضل ما حبينا
نسير حول الملك المنصور * كالشهب حول القمر المنير
محمد ناصر دين أحمد * الملك ابن الملك المؤيد
يا حبذا من والد ومن ولد * وحبذا من شبل ملك وأسد
فرع زها بأصله أيوب * فاثمرت بحبه القلوب
قال الانام حظه جلى * قلت نعم وجده على
ذاك الذى سام العلا صبيا * وجاءها من مهده مهديا
محكم السطوة سحاح الديم * يأخذ بالسيف ويعطى بالقلم
لو لمس الصخر افاض نهرا * أو صحب النجم لعاد بدرا
لا ظلم يلفى فى حماه العالى * الا على العداة والاموال
أما ترى الدينار منه خائفا * أصفر من كف الهبات ناشفا
كالبدر فى سنائه وتمه * والطود فى وقاره وحلمه
مرأى يشف عن نجار أصل * ونسخة قد قوبلت بالاصل
ماضر من خيم فى جنابه * أن لا تكون الشهب من أطنابه
جناب عز جاره لا ينكب * وباب نجح للغنى مجرب
غنيت فى ظلاله عن الورى * غنى نزيل المدن عن قصد القرى
ورحت من نعماه بالتواتر * أروى أحاديث عطاء عن جابر

يزداد لفظى بهجة ورونقا * كأنه الخمر اذا تعتقا
ان لم أرم ذاك الحمى العالى فمن * ينصرنى على تصاريف الزمن
بانا صر الدين دعاء مادح * مابين روضات الطور صادح
حسبك مثلى فى الانام شاعرا * وحسب شعرى قوة وناصرا

ومن الاراجيز المرتجلة التى سارت الركبان ببلاغة ارتجالها ولطف انسجامها أرجوزة الشيخ زين الدين عمر بن المظفر الوردى سقى الله ثراه التى ارتجلها بدمشق المحروسة عند الامتحان المقدم ذكر الشيخ الامام العلامة امام المحدثين أبو الفداء اسمعيل بن كثير أن الشيخ زين الدين المشار اليه قدم دمشق المحروسة فى أيام القاضى نجم الدين بن صصرى تغمده الله برحمته ورضوانه فأجلسه فى الصفة المعروفة بالشباك فى جملة الشهود وكان يومئذ زرى الحال فاستخف به الشهود فحضر يوما كتابة شرى ملك فقال بعضهم أعطوا المعرى يكتبه على سبيل الاستهزاء فقال الشيخ ارسموا والى أكتبه نظما أو نثرا فزاد استهزاؤهم به فقالوا بل نظما فأخذ الطرس وكتب ارتجالا ما صورته

باسم الاله الخلق هذا ما اشترى * محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن أحمد بن الازرق * كلاهما قد عرفا من جلق
فباعه قطعة أرض واقعه * بكورة الغوطة وهى جامعه
لشجر مختلف الاجناس * والارض فى البيع مع الغراس
وذرع هذى الارض بالذراع * عشرون فى الطول بلا نزاع
وذرعها فى العرض أيضا عشره * وهو ذراع باليد المعتبره
وحدها من قبلة ملك التقى * وحائز الرومى حد المشرق
ومن شمال ملك أولاد على * والغرب ملك عامر بن جهبل
وهذه تعرف من قديم * بأنها قطعة بنت الرومى
بيعا صحيحا لازما شرعيا * ثم شراء قاطعا مرعيا *
بثمن مبلغه من فضه * وازنة جيدة بيضه *
جارية للناس فى المعامله * ألفان منها النصف ألف كامله
قبضها البائع منه وافيه * فعادت الذمة منها خاليه
وسلم الارض الى من اشترى * فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبدن التفرق * طوعا فلا لاحد تعلق *
ثم ضمان الدرك المشهور * فيه على بائعه المذكور
واشهدا عليهما بذاك فى * رابع عشر رمضان الاشرف
من عام سبعمائة وعشره * من بعد خمسة تليها الهجره
والحمد لله وصلى ربى * على النبى وآله والصحب
يشهد بالمضمون من هذا عمر * ابن المظفر المعرى اذ حضر

فلما فرغ الشيخ من نظمه وتأمل الجماعة ارتجاله وسرعة بديهته اتفق انه لم يكن فيهم من يحسن النظم فقالوا وقد اعترفوا بفضل الشيخ وعجزوا عن رسم الشهادة لعل الشيخ يسد عن أحد منا رسم شهادته فكتب عن شخص منهم الى جانبه يدعى ابن رسول

قد حضر العقد الصحيح أحمد * ابن رسول وبذاك يشهد

ومما استعذب من انسجامات الشيخ برهان الدين القيراطى قوله من قصيدة تائية

أخذت بابل عنه * بعض تلك النفثات

عظما وربما شيع الى باب جهنم من لا يدخلها وانى لاظهر فى سائر الاخلاق الا النفاق فان لم أخف الله العلى الكبير لم أرهب الامير والسلام

(وله اليه أيضا)

كتابى ومن شرط العبودية الكتب الى ولى النعمة بامور سليمة وأحوال مستقيمة ثم يبسط عن قرحة الحال بصدق الانفعال لكن العبد يكره ان يقول أمرى مستقيم وهو بالبعد منه مقيم بين نهار ينسفه حماه وليل يفرقه حماه وبلد لا يوافقه ثراه وولى نعمة لا يراه فلو كان العبد حجرا لمات ضجرا بين هذه الاحوال أو حديدا لسال صديدا تحت هذه الاثقال ويعز على العبد ان يزيد الحضرة العالية ثقلا ولكن لاطاقة للمحموم بحر السموم ولا قبل للمحرور بفيح الحرور ولا سيما اذا كان همذانى المولد جبلى المنبت نارى المزاج ضعيف البنية يابس العظام حاد الطبع حديث السن وعبده يجمع هذه الاوصاف وقد مالى مزاجه الى الانحراف باشر ما باشر من الحر بهذا المستقر ولم يهجم حزيران ولا التقى جرانه تموز ومولانا ادام الله سلطانه رأى العين على مسيرة يومين فكيف اذا سار المطى بنا عشرا ونشرت حزيران فجهها نشرا ولو انعم على عبده وأذن له فى قصده لجمع أسباب السعادة له فى سمط

فهو

فهو غصن في انعطاف * وغزال في التفات
حسنات الخد منه * قد أطالت حسراتي
كلما ساء فعالا * قلت ان الحسنات
واسوء الحظ صارت * حسناتي سيآتي
أعشق الشامات منه * وهي أسباب مماتي

ويعجبني قوله منها

بابي لاحظ غزال * قائل في الخلوات
ان للموت بأقدا * ح جفوني سكرات
قلت قدمت غراما * قال لي مت بحياتي

ومنها

قلت اذ حرك عودا * عارفا بالنغمات
أنت مفتاح سروري * يا سعيد الحركات

ومن انسجاماتي اغراميه المرجزة التي تقدمني فيها الشيخ جمال الدين بن نباتة والشيخ زين الدين بن الوردي قصيدتي الدالية التي كتبت بها قديما من حماة المحروسة الى القاضي فخر الدين بن مكانس وولده القاضي مجد الدين تغمدهما الله برحمته وهي

ما لمعت بارقة من نجد * الا وهزتني رعود وجدي
ولا سرت سحابة مغدقة * الا وكان مثلها في خدي
فيا رعى الله زمانا بالحمى * فان لي فيه بقايا عهد
ويا ربى مصر مراضع الحيا * يرضعك الغيث بذاك المهد
كم ليلة قضيتها وأنجم الـ * ـجوزاء فوق صدرها كالعقد
والارض قد حاكت برود وشيها * بحار في صفاتها ابن برد
وكوثر النيل يروق منظرا * حتى كأني في جنان الخلد
وهند ما تخطر في برودها * الا أمالت عذبات الرند
مصرية لكن معاني لحظها * منتسب في فتكه للهند
آه له من سيف لحظ باتر * زاد على عشاقه في الحد
عبد مناف جدها وانما * قلبي لها قد صار عبد ود
بالامير النحل قرص وجهها * يشهد أن ريقها من شهد
وثغرها يقول في نظامه * يا أيتم أبكار اللآلي بعدي
وشعرها الطائل قد قلنا له * أنت اذا نابغة يا جعدي
وريقها قال النباتي أنا * وخدها قال أنا ابن الوردي
والغصن حاكي قدها قالت له * ما أنت يا غصن الرياد قدي
يا قدها وردفها لولاكما * ما اشتقت بانات الكثيب الفرد
سألتها لم صرفت عن ناظري * وكلفت قلبي بطول النقد
قالت تركت الفخر من بين الورى * وقد قعدت عن طلاب المجد

لعمري ان الشرح قد طال في نوع الانسجام ولكن ما استطردت بخيوله الا الى كل مهيع بديع وغريب فبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على نوع الانسجام يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

فذكره قد أتى في هل أتى وسبا * وفضله ظاهر في نون والقلم

انسجام الشيخ صفي الدين في بيته ظاهر والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز

وارجو أن لا يرده عن هذا الامل ويسلمه الى العلل و لا يحرمه برد النظر الى الغرة الميمونة فلولا انه مرض
وروح ماله عوض
ولا في خرجتي ضرر
ولا باقامتي غرض
وايس عقيده بيدي
اذا ما غبت ينتقض
ولي في قصدتي شرف
وعين القصد معترض
اذا انقبضت من أملي
ولكن فيم انقبض
أيأمر بالمقام وهل
يقوم بذاته عرض
ومولانا ادام الله سلطانه أبسط رأفة على الخدم كافة وعلى من بينهم خاصة ألا يرحم لحي الضعيف في هذا الهواء الكثيف والامراض لا تعبث من عبده بشحم ولحم انما تصل الى العظم فتقصه والى الروح فتخلصه وله ادام الله قدرته في الانعام رأيه العالي ان شاء الله تعالى

(وله الى أبي الحسن البغوي)

كتابي وجزى الله الشيخ خيرا عن بطن الساغب وكف الراغب وأعانه على همته ووفقه وأخلف عليه خيرا مما أنفقه فليس لمثل هذا العام الامثل ذلك الانعام والبذل العام فلو انتقر لهلك من افتقر ولكنه أجفل وعم الاعلى والاسفل فكانه كان ربيعا وكانما أحيا الناس جميعا ومما يدل على شكر الله سعيه في الحج ان جعله كعبة المحتاج لا كعبة الحجاج وجعل داره مشعر الكرم كما دع مشعر الحرم ولم يفصله عن من الخفيف

الدين الموصلى فى بديعيته

بان انسجام كلام منزل عجب * يهدى ويخبرنا عن سالف الامم

بيت الشيخ عز الدين لم يكن له تعلق بما قبله من المديح النبوى والذى يظهر لى منه أنه أشار به الى القرآن بانه كلام منزل وانسجامه عجب يهدى ويخبرنا عن سالف الامم وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

له انسجام دموعى فى مدائحه * بالله شنف بها ياطيب الكلم

ولقد عجبت من الشيخ عز الدين كيف عقد بيت انسجامه مع سهولة هذا النوع وقرب مأخذه ولطف تسميته وقبولها للاشتراك انتهى

(ذكر التفصيل)

(وان ذكرت زمانا ضاع من عمرى * فى غير تفصيل مدح صحت ياندمى)

التفصيل بصادموه له نوع رخيص بالنسبة الى فن البديع والمغالاة فى نظمه وقد نبهت قبله على عدة أنواع سافلة ولكن المعارضة أوجبت الشروع فى نظمه كالتصدير وعتاب المرء نفسه وتشابه الاطراف وما أشبه ذلك والتفصيل هو أن يأتى الشاعر بشطر بيت له متقدم صدرا كان أو عجزا ليفصل به كلامه بعد حسن التصريف فى التوطئة الملائمة والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وغالب علماء البديع لم تذكره فى مصنفاتهم غير أن الشيخ صفى الدين الحلى أورده فى بديعيته فدعت المعارضة الى نظمه وبيته فى بديعيته

صلى عليه اله العرش ماطلعت * شمس النهار ولاحت أنجم الظلم

فصدر هذا البيت ذكر أنه تقدم له فى قصيدة قافية امتدح بها النبى صلى الله عليه وسلم مطلعها

فيروزج الصبح ام ياقوته الشفق * بدت فهيجت الورقاء فى الورق

والبيت الذى أتى بصدره منها واثبته فى بديعيته على حاله لاجل نوع التفصيل

صلى عليه اله العرش ماطلعت * شمس النهار ولاحت أنجم الغسق

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

تفصيل مدحك تجميل لذى أدب * أوصاله كفت البلوى من الرقم

فصدر بيت الشيخ عز الدين كان عجزا فى قصيدة تقدمت له بائية مطلعها

لوأن وجه رضائى غير منتقب * ماسر قلبى بلوغى غاية الارب

الذى جعل صدره عجزا وابقاه على حاله فى بديعيته لاجل نوع التفصيل

كسوتنى حللا بين الانام بها * تفصيل مدحك تجميل لذى أدب

هذا البيت كان تفصيل حلله كاملا فى موضعه ولما نقل الشيخ عز الدين عجزه وجعله صدرا فى بديعيته ظهر فى تفصيله نقص بقوله مع العقادة فى العجز كفت البلوى من الرقم فان الرقم بفتح الراء وكسر القاف الداهية قلت والداهية اذا خلت بيتا تركته خرابا وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

وان ذكرت زمانا ضاع من عمرى * فى غير تفصيل مدح صحت ياندمى

فصدر هذا البيت تقدم لى فى قصيدة فائية مطلعها

قد مال غصن النقا عن صبه هيفا * ياليته بنسيم العتب لو عطفا

والبيت الذى نقلت صدره منها واثبته فى بديعيتى وأبقيته على حاله لاجل نوع التفصيل

وان ذكرت زمانا ضاع من عمرى * ولم أهاجر اليه صحت يا أسفا

حتى عقد بناصيته منى الضيف وكما جعل البيت قبلة الصلاة جعل بيته قبلة للصلات الشيخ اذا لم يختم بهذا الختام لم يكن بالحج التام فالحمد لله الذى مكنه ووفقه والله بتمام النعمة كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل رجع فلان فوصف ما صدقه الشيخ من اعتناء واهتمام وذلك لائق بفضله فليتبع الفرس اللجام ان الصنيعة بآخرها والسلام

(وله أيضا)

ياشيخ والفاضل فضله والسيد بدعة ولو رأى كل حده لم يتعده وأبصر خطه لم يتخطه واذا لم

تسخف أقوام ولم تسفه أحلام ولست والله لرتبة الشيخ أهلا وان كان لك كهلا فما الذى دعاك الى الزيادة وانتحال السيادة أسر بالك أم خشونة سبالك أم مرض فؤادك أم صحة سوادك أم طهارة أصلك أم صرامة فضلك أم حصانة أهلك أم رجاحة عقلك أم ملاحة شكلك أم غزارة فضلك أم نظم كلامك وسلامك أم خبر قعودك وقيامك أم كنف جنابك وخيامك أم حسن ورائك وامامك ياشيخ حقيق ان لا أغرك بنفسك انك بالتسبيح اخلق منك بالتسبيح وبالقيادة أليق منك بالسيادة كذلك من ناجاك ان أخاك من نادالك وخالك من سوداك ان الصادق من قودك وأضلك من فضلك ان المرشد من ضللك وقد نصحتك وان أوحشتك وان شئت غششتك وآنستك

وهذه

وشمت الفلك اذا لم يكن عبدالك وسمت دهرك اذا لم يوف مهرك ففمد بك عن ملك العراق وحيازة الآفاق فالرأى فى الحبس

وهذه القصيدة من غرر قصائدى بل من غرر القصائد منها

مزاج خمرة فيه جاء معتدلا * فراح منه مزاج الراح منحرفا
ومذ غدا جسمه ماء برقته * علمت والله ان القلب منه صفا
منه الغزالة غارت عينها حسدا * والبدر قد لازم التسهيد والكلفا
والظبى قال انا أحكى لواحظه * فصح عندى أن الظبى قد خرفا

ومنها

مذ صار لى قبلة محراب حاجبه * صيرت عابد طرفى فيه معتكفا
ولام فيه عذول قلت من كلفى * قلبى رأى منه قدا فى الهوى ألفا
ماضره لو عفا عنى وأظهر لى * عطفا وعاين ربع الصبر كيف عفا
أرادنى وكف الدمع قلت له * حسبك الله يا بدر الدجى وكفى

لم استطرد الى ذكر هذه الابيات هنا الا لان نوع التفصيل لم يحتمل اطلاق عنان القلم فى الكلام عليه الى أكثر من ذلك

(ذكر النوادر)

(نوادر المدح فى أوصافه نشقت * منها الصبا فانتنا وهى فى شمم)

هذا النوع أعنى النوادر سماه قوم الاغراب والطرفة وهو ان يأتى الشاعر بمعنى يستغرب لقلة استعماله لا لانه لم يسمع بمثله وهذا مما اختاره قدامة دون غيره ولكن غالب علماء البديع اختاروا غير رأى قدامة فى هذا النوع فانهم قالوا لا يكون المعنى غريبا الا اذا لم يسمع بمثله وأورد زكى الدين ابن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير لنوع النوادر حدا اقرب اليه من اختيار قدامة وأبلغ وأوقع فى النفوس وهو ان يعمد الشاعر الى معنى مشهور وليس بغريب فى بابه فيغرب فيه بزيادة لم تقع لغيره ليصير بها ذلك المعنى المشهور غريبا وينفرد به دون كل من نطق به وبيان ذلك ان تشبيه الحسان بالشمس والبدر مبذول معروف قد ذهبت طلاوته لكثرة ابتذاله وكان سابق المتقدمين وقبلة المتأخرين القاضى الفاضل أنفت نفسه من المثابرة على هذا الابتذال وكثرة تشبيه الحسان بالبدور فقال

تراءى ومرآة السماء صقيلة * فأثر فيها وجهه صورة البدر

سبحان المانح حاصل كلامه تشبيه محبوبه بالبدر ولكن زيادة هذه النادرة اللطيفة لا تخفى الا على أكمه لا يعرف القمر وعلى هذا المنوال نسجت بيت بديعيتى ويعجبنى فى باب النوادر قول القائل

عرض المشيب بعارضيه فاعرضوا * وتقوضت خيم الشباب فقوضوا
ولقد سمعت وما سمعت بمثله * بين غراب البين فيه أبيض

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

كانما قلب معن ملء فيه فلم * يقل لسائله يوما سوى نعم

هذا البيت ذكر الشيخ صفى الدين فى شرحه ان النادرة فيه قلب معن بنعم قلت قلب معن بنعم لم يعد من نوع النوادر بل من أنواع الجناس المسمى بالقلب والعكس وجناس القلب وغيره من أنواع الجناس ليس فيه غير خدمة الالفاظ فانه نوع لفظى والذى قرره قدامة وغيره فى هذا النوع أن الغرابة تكون فى المعنى بحيث يعد ذلك المعنى من النوادر والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

نوادر من جنانى كالجنان زهت * أم هل بدت واضحات الحسن من ارم

قلت ان بيت الشيخ صفى الدين الحلى مع ما فيه من النقد والمؤاخذة معدود من النوادر بالنسبة الى هذا البيت وما أشبهه بالبيت الذى أخبر عنه الحريرى فى مقاماته وقال انه أخرج

والاطلاق والامر بالغنى والاملاق والحكم فى الرؤس والاعناق فأكون أيضا من جملة من أجلوك حتى أذلوك فلا أحب ان أكون هنالك وورد كتابك ووقفت منه على حديث خفى وما قدمته فى تحصيله من النكاية حتى التجات فيه الى الشكاية فالحين ولا ذلك الدين والموت

(ذكر النوادر)

ولا هذا الصوت فقد وهبت ذلك واضعافه لقائلك وان شئت رفعته لكاتبك

(وله أيضا)

أفارق الشيخ مفارقة العبيد ثم أعلل نفسى بالمواعيد فاذا سهل الله العسير وقرب البعيد وأعاد لى العيد كانت المتعة خطفة البارق والسهم الخارق ووقفة السارق والخيال الطارق ولفتة الآبق والجواد السابق لا أستتم عناقه للقائه حتى أروم عناقه لوداعه ولو شاء الله جعلنى ظله ولو جعلنى ظله لم يطق معه وعنده لخسدت عليه جلده ولكنت المتهوم الذى لا يشبع والحريص الذى لا يقنع

والنفس راغبة اذا رغبتها
واذا ترد الى قليل تقنع

هذا والرحيل غدا وان رغم أنف أبى الدردا وقرت عيون الاعدا وعلا نفس الصعدا وانطوى القلب على الداو ياويح نفسى من غد

من التابوت * وأوهن من بيت العنكبوت * وماذاك الا انني كررت النظر في أركان هذا البيت فلم أجد فيه مقر النادرة من النوادر التي تقدم تقريرها فلم يسعني غير النظر في شرحه فوجدته قال ان جناني ظهر منه محاسن مدهشة أم بدت محاسن ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ويحكى أنها جنة بناها عاد قلت وما أحق اختراع الخراع بهذه العبارة وهي بشهادة الله عبارته بنصها والذي أعده من النوادر ابراز الشيخ عز الدين مثل هذا البيت في بديعيته ورضاه به وتنزيل مثل هذه العبارة عليه انتهى وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

نوادر المدح في أوصافه نشقت * منها الصبا فأتتنا وهي في شمم

النادرة في معنى هذا البيت عرفها ضائع لمن شمه من أهل الادب وماذاك الا أن النسيم أكثر الشعراء من استعماله في تحمل الرسائل وغاية ما أغربوا فيه انه ينشق منه عرف الاحبة اذا هب من نحوهم والنادرة التي أغربت بها هذا المعنى ان نسيم الصبا لما نشقت عرف مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتعرفت به تزايد شممها والشمم للنسيم نادرة بل نكتة لم أسبق اليها فان النسيم أحق باشتراك هذه التورية من غيره لان الشمم لائق به وهذا الذي أشار اليه ابن أبي الاصبع في أن الشاعر يعمد الى معنى مبذول معروف ليس بغريب في بابه فيغرب بزيادة لم تقع لغيره ويصير بها ذلك المعنى المعروف غريبا ومثل ذلك حتى يزداد نوع النوادر ايضاحا قول أبي نواس

هبت لنا ريح شمالية * متت الى القلب باسباب
أدت رسالات الهوى بيننا * عرفتها من بين أصحابي

قوله عرفتها من بين أصحابي نادرة لم يسبق اليها وقد جاراه بدر الدين الخياط في بديع هذا النوع ونادرة هذا المعنى لولا الحياء لقلت انه أحرز قصبات السبق عليه بقوله

يا نسيم الصبا الولوع بوجدي * حبذا أنت لو مررت بهند
ولقد رابني شذاك فبالله * متى عهده باطلال نجد

بين ولقد رابني شذاك في بيت مجير الدين وبين عرفتها من بين أصحابي معرك ذوق مايدركه الا من صفت مرآة ذوقه في علم الادب ولعمري ان النادرتين يجمعهما هذا النوع ومثله قول القائل ويعجبني الى الغاية

ويد الشمال عشية مذ أرعشت * دلت على ضعف النسيم بخطها
كتبت سقيما في صحيفة جدول * فيد الغمامة صححته بنقطها

النوادر في هذين البيتين لم يحتج برهانها الى اقامة دليل وقد فهمت الزيادات في غرابة المعاني المبتذلة ومثله ولم يخرج عما نحن فيه من لطف النسيم ونوادر النوع قول القائل

هبت صبا من قاسيون فسكنت * بهبوبها وصب الفؤاد البالي
خاضت مياه النيربين عشية * وأتتك وهي بليلة الاذيال

ويعجبني في هذا الباب قول ناصر الدين بن المشد

مسكية الانفاس تملي الصبا * عنها حديثا قط لم يملل
جنت لما ان سرى عرفها * وماري من جن بالمندل

والطف منه وأكثر نوادر قول بدر الدين حسن الغزي الشهير بالزغاري

سرت من بعيد الدار لي نسمة الصبا * وقد أصبحت حسرى من السير ضائعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب أنفاسها متتابعه

ومن العجائب في هذا النوع

حبذا ليلة رأيت دجاها * زاهيا عطفه بحلة فخر

ان رأى ان ينفذ الى تذكرة بامره ونهيه وجريدة بعوارضه وحاجاته فعل وقد كان الشيخ كتب خطا عن فلان بصدر من الحنطة الى بعض وكلائه وانتظرت به حركة سعر فرجع القهقرى وتحرك الى ورا وقد حملت ابا فلان في معناه ماينعم بالاصغاء اليه ويأتي قضية كرمه فيه ثم أبو فلان ثمرة الغراب وفرحة الاياب وتوصله بخصاله آكد مما معه من كتاب وللشيخ الرأي الموفق فيما يأتي ويذر

(وله ايضا الى محمد بن ظهير رئيس بلخ وعميدها)

كتابي والشيخ الرئيس رحمه الله في الرياسة مخول وله في الفضل آخر وأول وما يخلو له طرف من شرف تناله يد الحر ولقد جعله عرضة يانع الولاء وطيب الثناء وصالح الدعاء

أية أحلام ضبة
واهلا باحلامها
هن الاروم ومنها ذلك الثمر
هن العروق عليها تنبت الشجر

السيف أدام الله عز الشيخ الرئيس خامل حتى يجد حاملا وكنت كمثل النصل فارق غمده
فاحدثت الايام في حده وهنا
فصادفه الشيخ الرئيس معطلا
بأيدي رجال لا يرون له وزنا
فاذني سنا وأحدث لي سنا
وجدد لي جفنا وحلى لي الجفنا

وليست الابيات لي ولكني أصبتها فاستطبتها والبز لمن بز والعز لمن عز وما أسكعونا طائعين فمالهم بشرت

بشرت بالافاء وهى غراب * ونفى الفجر حسنها وهى قرى

ومن النوادر اللطيفة فى هذا الباب قول علاء الدين الجوينى صاحب الديوان ببغداد من دو بيت

مذ صار مبيتنا بضوء القمر * والحب نديمنا وصوت الوتر

نادى بفراقنا نسيم سحرا * ما أبرد ما جاءت نسيم السحر

ومن نادر ما اتفق لى قولى من قصيدة رائية

ومذ سرت نسمات الثغر باردة * بدا باعضاء ذاك الجفن تكسير

قد تقدم تقرير حد ابن أبى الاصبع فى نوع النوادر وتكرر وهو أن يعمد الشاعر الى معنى مشهور كثير الاستعمال فيغرب فيه بزيادة نكتة لم تقع لغيره ليصير المعنى المستعمل بها غريبا وقد فهم ما أوردته هنا من تلاعب الشعراء بالنسيم وما أظهروا فيه من النوادر التى تركت رخيصه غاليا وتكسير الجفن أيضا ونسبة التكسير اليه أكثر أهل الادب استعماله فى تغزلهم ونسيبهم، ولكن استعارة النسمات الباردة للثغر وهبوبها على أعضاء ذاك الجفن السقيم حتى ظهر فيه التكسير نادرة النوادر فى هذا النوع والله أعلم

(ذكر المبالغة)

(بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى * والشهب قد رمدت من عثير الدهم)

المبالغة نوع معدود من محاسن هذا الفن عند الجمهور واستدلوا على ذلك بقول من قال أحسن الشعر أكذبه وبقول النابغة الذبيانى أشعر الناس من استجيد كذبه وضحك من رديئه واستدلوا أيضا برد النابغة المذكور على مثل حسان بن ثابت فى قوله

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

والرد الذى رده النابغة على هذا البيت فى ثلاثة مواضع الاول منها انه قال له قلت لنا الجفنات والجفنات تدل على قليل فلا فخر لك ولا مبالغة اذا كان فى ساحتك ثلاث جفان أو أربع والثانى أنك قلت يلمعن واللمعة بياض قليل ليس فيه كبير شان والثالث أنك قلت فى السيوف يقطرن والقطرة تكون لقليل فلا تدل على فرط نجدة ولا مبالغة وترشيح جانب المبالغة مذهب ابن رشيق فى العمدة ومنهم من لم يعد المبالغة من حسنات الكلام ومشى فى ذلك على مذهب حسان ابن ثابت رضى الله عنه فانه قال

وانما الشعر عقل المرء يعرضه * على الانام فان كيسا وان حمقا

وان أشعر بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وعند أهل هذا المذهب أن المبالغة لم تسفر عن غيراتهم بل على السامع ولم يفرا الناظم الى التخييم عليها الا العجزه وقصور همته عن اختراع المعانى المبتكرة لانها فى صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر اذا أعياه ايراد المعانى الغريبة فيشغل الاسماع بما هو محال وتهويل وقالوا بما أنها أحالت المعانى فاخرجتها عن حد الكلام الممكن الى حد الامتناع والمبالغة تعاب فى بابها اذا خرجت عن حد الامكان الى الاستحالة ويأتى الكلام على حدها فى موضعه والذى أقوله ان المبالغة من محاسن أنواع البديع ولم يستطرد فى حلبات سبقها الا فحول هذه الصناعة ولولا سمو رتبتها ما وردت فى القرآن العظيم والسنة النبوية ولو سلمنا الى من يهضم جانبها لم يعدها من حسنات الكلام بطلت بلاغة الاستعارة وانحطت رتبة التشبيه وتسمية المبالغة منسوبة الى قدامة ومنهم من سمى هذا النوع التبليغ وسماه ابن المعتز الافراط فى الصفة وهذه التسمية طابقت المسمى ولكن أكثر الناس رغبوا فى تسمية قدامة لخفتها وهذا النوع أعنى المبالغة شركة قوم مع الاغراق والغلو لعدم معرفة الفرق وهو مثل الصبح ظاهر والمبالغة فى الاصطلاح هى افراط وصف الشئ بالممكن القريب

سرقت له الشعرى ولم أسرق الشعرا

أعوذ بالله من الحور بعد الكور واستقبل الله عثرات الكرام كنت نويت أن لا أقول الشعر فأبت النملة الا الدبيب وأحدنى قد اكتهلت والكهل قبيح به الجهل ولاحت الشعرات البيض وجعلت تفرخ وتبيض وآن لعازب ان يؤب وانما

(ذكر المبالغة)

اختارت الحكماء الزاويه والاماكن الخاليه لانهم وجدوا الغاشيه تهيج الآنيه وما أهنأ هذه العافيه لولم أحرم الخدمة العاليه ورقات تدرس وشجرات تغرس وشويهات تحرس واللبن الرائب والبر الخليط وعريش كعريش موسى وللشأن أقرب من ذلك

لعمرى لئن قيدت نفسى لطالما سعيت وأوضعت المطية بالحبل

ثلاثين عاما ما أرى من عماية اذا رقت الاشد اهارحلى

لخزى الله الشيبة خير انها لا ناه ولا رد الشيبة انها لهناه وبئس الداء الصبا وليس دواؤه الا انقضاؤه

وبئس المثل النار ولا العار ونعم الرائضان الليل والنهار وأظن انشباب والشيب

 لو مثلا لكان الاول كابا عقربا والآخر شيخا وقورا ولاشتعل الاول نارا وانتشر الآخر نورا

وقوعه عادة والاغراق وصف الشئ بالممكن البعيد دوقوعه عادة والغلو وصفه بما يستحيل وقوعه ويأتي الكلام على كل واحد من الثلاثة في موضعه وقد تقرر أولا أن المبالغة نوعها مبنى على وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه وحد قدامة المبالغة فقال هى أن يذكر المتكلم حالا من الاحوال لو وقف عندها الاجزأت فلا يقف حتى يزيد فى معنى ماذكره مايكون أبلغ من معنى قصده كقول عمير بن كريم التغلبى

ونكرم جارنا مادام فينا * ونتبعه الكرامة حيث مالا

وقال ان هذا البيت من أحسن المبالغة عند الحذاق فان الشاعر بلغ فيه الى أقصى مايمكن من وصف الشئ وتوصل الى أكثر مايقدر عليه فتعاطاه ولخص بعضهم عبارة الحد الذى حده قدامة وقال المعنى اذا زاد على التمام سمى مبالغة وقال ابن رشيق فى العمدة المبالغة بلوغ الشاعر أقصى مايمكن فى وصف الشئ قلت وعلى هذا التقرير يحل القصد فى المبالغة الامكان والخروج عن المستحيل والمذهب الصحيح فيها انها ضرب من المحاسن اذا بعدت عن الاغراق والغلو وان كان الاغراق والغلو ضربين من المحاسن ونوعين من أنواع البديع فقد شرط علماؤه أن النوع لايتجاوز حده بحيث يزول الالتباس ويعجبني من أمثلة المبالغة فى المديح قول القائل

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

فالمعنى تم للناظم لما انتهى فى بيته الى قوله دجى الليل ولكن زاد بما هو أبلغ وأبدع وأغرب فى قوله حتى نظم الجزع ثاقبه ومثله قول أبى الطيب المتنبى فى وصف جواد

وأصرع أى الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين أركب

قال زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير أبلغ شعر سمعته فى باب المبالغة قول شاعر الحماسة اذ بالغ فى مدح ممدوحه بقوله

رهنت يدى بالعجز عن شكر بره * ومافوق شكرى للشكور مزيد
ولو كان مما يستطاع استطعته * ولكن مالا يستطاع شديد

فانظر ماأحلى احتراسه عن ذلك بقوله ومافوق شكرى للشكور مزيد وانظر كيف أظهر عذره فى عجزه مع قدرته بأن قال فى البيت الثانى ولو كان مما يستطاع استطعته ثم أخرج بقية البيت للمبالغة مخرج المثل السائر حيث قال ولكن مالا يستطاع شديد ومن هنا قال أبو نواس

لاتسدين الى عارفة * حتى أقوم بشكر ماسلفا

ومن معجز المبالغة فى القرآن العظيم قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار فجعل كل واحد منهم أشد مبالغة فى معناه وأتم صفة وجاء من المبالغة فى السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن ربه كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به وقوله فى بقية هذا الحديث والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك فى الحديث الشريف مبالغتان احداهما كون الحق سبحانه وتعالى أضاف الصيام الى نفسه دون سائر الاعمال لقصد المبالغة فى تعظيمه وشرفه وأخبر أنه عزوجل يتولى مجازاة الصائم بنفسه مبالغة فى تعظيم الجزاء وشرفه ونحن نعلم ان الاعمال كلها لله سبحانه وتعالى ولعبده باعتبارين اما كونها للعبد فلانه يثاب عليها وأما كونها لله فلانها عملت لوجهه الكريم ومن اجله فتخصيص الصائم بالاضافة للرب سبحانه وتخصيص ثوابه بما خصص به انما كان للمبالغة فى تعظيمه والمبالغة الثانية اخبار النبى صلى الله عليه وسلم بعد تقديم القسم لتأكيد الخبر بان خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ففضل تغير فم الصائم بالامساك عن الطعام والشراب على ريح المسك الذى هو أعطر الطيب على مقتضى مايفهم من ريح المسك وأتى بصيغة أفعل

والشقى من خضبت لحيته وكفى الله الشيخ الرئيس كل محذور لقد كفانى كل مكروه ووفقنى لشكره وخدمته آمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين اللهم غفرانك لنا أجمعين فان أبا جعفر العلوى أخذ على العهد الثقيل والميثاق الغليظ أن الا أكتب الا أجمعين فقلت وما أنكرت من الطاهرين فقال لا أكون من جملة القوم فقد أخرجتنى من زمرة الجد بهذا الحد والسلام

(وله اليه أيضا)

والله أطال الله بقاء الشيخ الرئيس ماسكنت هراة اضطرارا ولا فارقت غيرها فرارا وانما اخترتها قطنا ودارا واخترته سكنا وجارا لتكون أرفق لى من سواها ولازاد به عزا وجاها فان كان قد تقل مقامى فالدنيا امامى وان كان قد طال ثوائى فالانصراف ورائى لست والله ذباب الخوان ولاوتد الهوان والشام لى شام مادام يكرمنى هشام وهراة لى دار ماعرف لى فيها مقدار وقرى الضيف غير الوط والسيف مرض أبو العيناء مرض وفاته فقال له بعض عواده يا أبا العيناء قل لا اله الا الله فقال انا الله وحده بناوالله صار أبو سفيان بعد أمان من لجأ الى داره ولاذ بجداره يؤخذ بجرم جاره

للمبالغة فجمع هذا الكلام بين قسمي المبالغة المجازي والحقيقي ولذلك ورد ان دم الشهيد كريح المسك للمبالغة وهذا النوع أعني المبالغة تمكن الناظم منه في المدائح النبوية والصفات المحمدية فان المادح اذا بالغ في وصفه صلى الله عليه وسلم كانت تلك المبالغة ممكنة قريبة من معجزاته وعظمه عند ربه فمن ذلك قولي من قصيدة نبوية أقول فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم

اذا ما سرى فرد الفرط جلاله * يقول الورى قد سار جيش عرمرم

فالمبالغة تمت لما انتهيت الى قولي سار جيش و زدت بعد ذلك بما هو أبلغ منه وأعظم لقولي عرمرم وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

كم قد جلت جنح ليل النقع طلعته * والشهب أحلك ألوانا من الدهم

المبالغة تمت للشيخ صفي الدين في الشطر الاول بقوله كم قد جلت جنح ليل النقع طلعته ولكن زاد بما هو أبلغ منها حيث قال والشهب أحلك ألوانا من الدهم وبيت العميان في بديعيتهم

يمم نبيا تباري الريح أنمله * والمزن من كل هامي الودق مرتكم

الجمع عليه أن المبالغة في الاوصاف المحمدية ممكنة عقلا وعادة ولكن الابلغ في مبالغة العميان ان الريح والمزن كان يحب كل منهما ان يتطفل على أنامل النبي صلى الله عليه وسلم في المباراة لعلو رتبته وعظم مقامه وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

امدح وجز كل حد في مبالغة * حقا ولا تطر تقبل غير متهم

هذا البيت لم ينتظم في سلك ما قبله من أبيات المديح النبوي ولا بينه وبين المبالغة أدنى وصلة ولم يظهر لي في بيته غفر الله له الا وصيته للمادح أنه اذا مدح يتجاوز كل حد وأنه لا يطري فيقبل وما أحقه هنا بقول القائل

تمنيتهم بالرقتين ودارهم * بوادي الغضى يا بعد ما تمناه

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى * والشهب قد رمدت من عثير الدهم

فالمبالغة تمت في شطر البيت الاول بقولي بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى والزيادة بما هو أبلغ منها قولي والشهب قد رمدت من عثير الدهم وتسمية النوع هنا هي ديباجة المبالغتين على هذه الصيغة والله أعلم

(ذكر الاغراق)

(لو شاء اغراق من ناواه مد له * في البر بحرا بموج فيه ملتطم)

قد تقرر في نوع المبالغة أنها افراط وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه عادة وهذا النوع أعني الاغراق فوق المبالغة ولكنه دون الغلو وهو في الاصطلاح افراط وصف الشئ بالممكن البعيد وقوعه عادة وقل من فرق بينهما وغالب الناس عندهم المبالغة والاغراق والغلو نوع واحد وهنا لم يعمل بقول الحريري * سامح أخاك اذا خلط * وكل من الاغراق والغلو لا يعد من المحاسن الا اذا اقترن بما يقربه الى القبول كقد للاحتمال ولولا للامتناع وكاد للمقاربة وما أشبه ذلك من أنواع التقريب وما وقع شئ من الاغراق والغلو في الكتاب العزيز ولا في الكلام الفصيح الا مقرونا بما يخرجه من باب الاستحالة ويدخله في باب الامكان مثل كاد ولو وما يجري مجراهما كقوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار اذ لا يستحيل في العقل أن البرق يخطف الابصار لكنه يمتنع عادة وما زاد وجه الاغراق هنا جمالا الا تقريبه بكاد واقتران هذه الجملة بها هو الذي صرفها الى الحقيقة فقلبت من الامتناع الى الامكان ومن شواهد تقريب نوع الاغراق بلو قول زهير

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

وفيه عروق وعظام ولو كنت طعاما لكنت الاكالة التي تمنع الاكلات ولو كنت الية ما كنت الا في الفلاة ومن شمني في خلف لخزاؤه مائة ألف واذا انتهت الدعوة الى فقد عزل عزرائيل ولم يبق من ولايته الا القليل والله ما يصلح لحمي للقديد ولا يحسن فوق الثريد وانه ليأبى من المضغ وينشب في الحلق ويقلق في البطن ولا يخرج من المعى الا مع الامعا وكانوا لا يصيدون ابن آوى وان كانوا اشهاوى ومن حلف أن لا يأكل مضيرة فأكل زب كلب بلبن قرد لم يحنث وسائي ان تركه الشيخ الرئيس يقول فمن أخذ اذا لم يؤخذ أكرة المحتشمين بجرم محتشم يؤخذ كاره

(ذكر الاغراق)

اذا جني جاره وحرج عليه اذا لم يذبحهم بشعر السخل ويصلبهم على جذوع النخل وأسأل الله خاتمة خير وعاجل وفاة ان بطن الارض أوسع من ظهرها وأرفق بأهلها ولا عليه أن لا ينهشني اني نائما أسكن مني يقظان وجائعا أخبث مني شبعان والذئب لا يصاد عدوا والصواب في الوقوف والطاس اذا نقر فعلته بالصوت *(وله اليه أيضا)* كتابي ولعل الاخبار قد وردت تلك الديار وكيف شكرت النعمة وأديت فرضها وان عشت

فاقتران هذه الجملة أيضا بامتناع قعود القوم فوق الشمس المستفاد بلوهو الذي اظهر بهجة شمسها في باب الاغراق ومما استشهدوا به على هذا النوع بغير اداة التقريب قول امرئ القيس

تنورتها من أذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالي

وبين المكانين بعد تام فان أذرعات من الشام والنار التي تنورها من أذرعات كانت بيثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثبتوا هذا الشاهد في باب الاغراق لانهم قالوا لايمتنع عقلا أن ترى النار من بعد هذه المسافة وأن لا يكون ثم حائل من جبل أو غيره من عظم جرم النار ولكن ذلك ممتنع عادة هذا ان جعلنا تنورتها نظرت الى نارها حقيقة وأما ان جعلناه بمعنى توهمت نارها وتخيلتها في فكري فلا يكون في البيت اغراق ومثله قول أبي الطيب المتنبي في صباه

روح تردد في مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولا أنني رجل * لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وقالوا هنا لايمتنع عقلا ان ينحل الشخص حتى يصير مثل الخلال ولا يستدل عليه الا بالكلام اذ الشئ الدقيق اذا كان بعيدا لا يرى بخلاف الصوت ولكن صيرورة الشخص في النحول الى مثل هذه الحال ممتنع عادة ولعمري ان الشيخ شرف الدين بن الفارض ضم خصر هذا المعنى الرقيق ورشحه بنفائس العقود حيث قال

كاني هلال الشك لولا تأوهي * خفيت فلم تهد العيون لرؤيتي

قلت اذا قابلنا نحول المتنبي بهلال الشك الذي ابرزه ابن الفارض لم تبعد المقارنة ولكن من قابل قول المتنبي أنني رجل لولا مخاطبتي بقول الشيخ شرف الدين بن الفارض في بيته كاني هلال الشك لولا تأوهي لابد أن يقابله الله على ذلك وأين لطف لولا تأوهي من ثقل لولا مخاطبتي فالفرق بين خطاب الرجل وتأوه هلال الشك لا يخفى على حذاق أهل الادب ومنه قول بعضهم

قد سمعتم أنينه من بعيد * فاطلبوا الشخص حيث كان الانين

قلت مابرح طائر فكري يحوم على ورد هذا المعنى الذي حصلت فيه المواردة على أن الشخص لا يرى لشدة نحوله الا بانين أو تأوه وأريد أن أرشحه بنكتة الى أن قلت من قصيدتي التي عارضت بها كعب بن زهير وامتدحت بها النبي صلى الله عليه وسلم

وفوق طرس مشيبي أرخوا أنفي * وذلك الطرس فوق الرأس محمول
وقد تجاوز جسمي حد كل ضنى * وها أنا اليوم في الاوهام تخييل

وقد تقدم وتقرر أن أداة المقاربة ما استعملت في الاغراق الا لتنقله من الامتناع الى الامكان وهذا الذي أوردته بغير أداة المقاربة هنا ان كان يبعد عادة لا يبعد عقلا ومما استشهدوا به على نوع الا غراق بلو التي يمكن الاغراق بها عقلا ويمتنع عادة قول القائل

ولو أن ما بي من جوى وصبابة * على جمل لم يبق في النار كافر

يريد انه لو كان ما به من الحب بجمل لنحل حتى يدخل في سم الخياط وذلك لا يستحيل عقلا اذ القدرة قابلة لذلك لكنه ممتنع عادة وهذا غاية في الاغراق وأورد الشيخ شهاب الدين ابن جعفر المغربي الاندلسي في شرحه الذي كتبه على بديعية صاحبه شمس الدين محمد بن جابر الاندلسي على هذا البيت حكاية لطيفة وهي أن ابليس تعرض لبعض الاولياء فلم ينل منه غرضا فقال له الولي من أشد عليك العابد الجاهل أو العالم المسرف على نفسه فقال العالم المسرف وأما العابد الجاهل فهو في قبضتي أدخل عليه في دينه من حيث شئت وأنا أريك ذلك فانطلق به الى أعبد الجهال في ذلك الزمان فطرق عليه الباب فخرج اليهما فقال له ابليس جئت استفتيك هل الله قادر على أن يدخل الجمل في سم الخياط أولا فتوقف وتحير وغلق الباب فقال ابليس للولي ها هو قد كفر بالشك في قدرة الله تعالى ثم انطلق

لتبلغن الراعي ولو على ماء مدين والذاهب ولو بعدن أبين فشكر الغارس تثمير غرسه ومن شكر فانما يشكر لنفسه ولما حضرني رؤساء نيسابور ولم أشكر ذلك الاحسان بما وقع من بيت حسان

اذا ما الاشربات ذكرن يوما
فهن لطيب الراح الفداء

فمنهم من سره فصاح ومنهم من ساءه فشاح وما أنسى لا أنسى ارتياح الامام أبي الطيب وقوله أحسنت وأنفاس قوم آخرين جعل الله نفوسهم فداء ذلك النفس

بجبهة العير يفدى حافر الفرس

لا جرم أني نظرت الى الولي وتطفت على العدو فانشدتهما

مدحت الامير وأيامه
فضاءت وجوه وسيئت وجوه
وهل يجحد الشمس الا العمي
وهل يعرف الفضل الا ذووه

انا اذا فكرت فيما عليه الزمان من خطوبه مشغول القلب فاذا رجعت الى ما بوايه من كفاية الشيخ الرئيس قوي الظهر والله يبقيه ثمالا وجمالا ولا يزيده الا القاضي أبا عاصم وما أحسن هذه الاحجية واملح هذه الخفية وأوفق لفظها لمعناها ولا يذهبن ذاهب الى التكنية فغيرها قصدت بالتعمية وماهذا التعريض وماهذا الهوس العريض وهلا شرحت فقلت المحبوب واسترحت ولشيخ الرئيس في تشريفي بابا وأبواب وتعريفي بسرار الاخبار وتكايبني به

به الى عالم مسرف على نفسه وطرق عليه الباب وكان فى القائلة فقال الرجل العالم من هذا الشيطان الذى يضرب بابى فى القائلة وقد قال عليه الصلاة والسلام قيلوا فان الشياطين لا تقيل فقال ابليس ها هو قد عرفنى قبل ان يرانى فلما خرج قال له ابليس هل فى قدرة الله تعالى أن يدخل الجمل فى سم الخياط فقال له اتشك فى قدرة الله تعالى على أن يوسع سم الخياط حتى يدخل فيه الجمل أو يرقق الجمل حتى يصير كالخيط فيدخل فى سم الخياط فانصرفا وقال ابليس لرفيقه معرفة هذا بالله تعالى تعود نوبه وحاله خير من حال العابد الجاهل بالله انتهى وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على نوع الاغراق

فى معرك لا تثير الخيل عثيره * مما تروى المواضى تربه بدم

بيت الشيخ صفى الدين الحلى على هذا النوع ابرزه بغير أداة التقريب وهو بيت عامر قريب من العقل بعيد من الوقوع عادة على شرط الاغراق لكنه غير صالح للتجريد وقد تقرر وتكرر أن بيوت البديعيات شواهد على الانواع فلا ينبغى أن يكون البيت متعلقا بما قبله ولا بما بعده وبيت بديعية العميان يقولون فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد أتوا فيه باداة التقريب حيث قالوا

لو قابل الشهب ليلا فى مطالعها * خرت حياء وأبدت رجم محترم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

لو شاء اغراق وجه الارض أجمعه * ندى يديه لاحياها ولم يضم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

لو شاء اغراق من ناواه مد له * فى البر بحرا بموج فيه ملتطم

على كل تقدير مقام النبى صلى الله عليه وسلم صالح للمغالاة بالاغراق فى مديحه والله أعلم

(ذكر الغلو)

(بلا غلو الى السبع الطباق سرى * وعاد والليل لم يحفل بصبحهم)

قد تقدم القول على المبالغة وتقرر أنها فى الاصطلاح افراط وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه عادة وتقرر أن الاغراق فوقها فى الرتبة وهو فى الاصطلاح افراط وصف الشئ بالممكن البعيد وقوعه عادة والغلو فوقهما وانه الافراط فى وصف الشئ بالمستحيل وقوعه عقلا وعادة وهو ينقسم الى قسمين مقبول وغير مقبول فالمقبول لا بد أن يقربه الناظم الى القبول بأداة التقريب اللهم الا أن يكون الغلو فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم فلا غلو ويجب على ناظم الغلو أن يسبكه فى قوالب التخيلات الحسنة التى يدعو العقل الى قبولها فى أول وهلة كقوله تعالى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار فان اضاءة الزيت من غير مس نار مستحيلة عقلا ولكن لفظة يكاد قربته فصار مقبولا ومنه قول أبى العلاء المعرى

تكاد قسيه من غير رام * تمكن فى قلوبهم النبالا

تكاد سيوفه من غير سل * تجد الى رقابهم انسلالا

ويعجبنى هنا قول ابن حمديس الصقلى فى وصف فرس

ويكاد يخرج سرعة من ظله * لو كان يرغب فى فراق رفيق

ومنه قول الفرزدق فى على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

ومن الغلو المقبول بغير أداة التقريب قول أبى الطيب المتنبى فى ممدوحه

عقدت سنابكها عليها عثيرا * فلو ابتغى عنقا عليه أمكنا

معنى هذا البيت ان سنابك الخيل وهى أطراف الحوافر عقدت على هذا الممدوح عثيرا وهو الغبار حتى لو أراد أنه يمشى عليه عنقا أمكن والعنق هو المشى السريع وانعقاد الغبار فى الهواء حتى

ـه واغ الاوطار وتصريفى على الامر والنهى رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله اليه أيضا) نهرى أطال الله بقاء الشيخ الرئيس لا يزيد البحر عددا ويجرى لا يزيد الطود وزنا وقد رأيت ان لا أزيده شغلا فليران لا ينقصنى فضلا انا العام أصدق عبودية وانم فيها نية فان نقصنى عطية ولم أركب خطية سوت ظنا وضقت ذرعا وما بى الغرامة ان على لها محملا ولكن الناس نظارة رأيه العام لى فان صدق رغم الحاد وان تغير ظهر الفساد وكما لا ينقض شرطه طاعة كذلك لا تنقض طاعته شرطا وانا الى الزيادة أحوج وهو بها أخلق فان لم تكن الزيادة فلا تكن

(ذكر الغلو)

العادة

(وله الى الوزير أبى نصر ابن أبى بريدة) قد عرف الشيخ الجليل التامى بعبوديته ولو عرفت مكانا بعد العبودية لبلغته معه أفكلما بعدت صحبه رجعت رتبه وكلما طالت خدمه قصرت حشمه ولست ممن يذهب عليه ان للسلطان ان يرفع خسيسا ويضع قرشيا ولكنى أحب أن أقف من مكانى على رتبة لولبها لا يغور ومنزلة كوكبها لا يدور فاذا عرفت مكانى وخطه لم أتخطه واذا رأيت محلى وحده لم أتعده ثم ان قدمنى يوما عليها علمت ان عناية وان أخرنى عنها عرفت ان جناية قدم على اليوم فلا ناولت تكرمته وفضله ولا

يحكى المشى عليه مستحيل عقلا وعادة الا انه تخيل حسن مقبول وقد وقع للقاضى الارجانى جمع فيه بين الشيئين الموجبين للقبول والتقريب وهما ماجرى بهما مجرى كاد والتخيل الحسن وذلك قوله

يخيل لى أن سمر الشهب فى الدجا * وشدت باهدابى اليهن أجفانى

فقوله يخيل لى هو الجارى مجرى كاد فانه جعل الامر توهما لاحقيقة واما التخيل الحسن فهو ماذكر من تسمير الشهب وشد أجفانه اليها بأهدابه وجعل الاهداب بمنزلة الحبال ولا يخفى مافى هذا من التخييل الحسن وأما الغلو الذى هو غير مقبول فكقول أبى نواس

فلما شربناها ودب دبيبها * الى موضع الاسرار قلت لها قفى

مخافة ان يسطو على شعاعها * فيطلع ندمانى على سرى الخفى

قالوا ان سطوة شعاع الخمر عليه بحيث يصير جسمه شفافا يظهر لنديمه مافى باطنه لايمكن عقلا ولا عادة ومنه قول بعضهم

أسكر بالامس ان عزمت على الشرب غدا ان ذا من العجب

فسكره بالامس بسبب عزمه على الشرب غدا مما لايمكن عقلا ولا عادة أيضا ومنه قول أبى نواس

وأخفت أهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التى لم تخلق

وهذا الذى قاله أبو نواس أيضا أمر مستحيل فان قيام العرض الموجود وهو الخوف بالمعدوم وهى النطف التى لم تخلق لايمكن عقلا ولا عادة ومن الطف مايحكى هنا ان العتابى الشاعر لقى أبا نواس فقال له اما تستحى من الله بقولك واخفت أهل الشرك البيت فقال له أبو نواس وأنت أيضا مااستحيت من الله بقولك

مازلت فى غمرات الموت مطرحا * يضيق عنى وسيع الرأى من حيل

فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لى * حتى اختلست حياتى من يدى اجلى

فقال العتابى قد علم الله وعلمت ان هذا ليس مثل قولك ولكنك أعددت لكل سؤال جوابا ومنه قول بعضهم

قد كان لى فيما مضى خاتم * واليوم لو شئت تمنطقت به

وذبت حتى صرت لو زج بى * فى مقلة النائم لم ينتبه

ومثل هذا أيضا لايقبله العقل ولا عليه رونق القبول قلت ومراتب الغلو تتفاوت الى ان تؤول بقائلها الى الكفر فمن ذلك قول ابن دريد

مارست من لو هوت الافلاك من * جوانب الجو عليه ماشكا

قيل انه لاجل هذا البيت والادعاء العظيم الذى ادعى فيه ابتلى بمرض كان فيه يخاف من الذباب أن يقع عليه ومنه قوله

ولو حمى المقدار عنه مهجة * لرامها أو تستبيح ماحمى

تغدو المنايا طائعات أمره * ترضى الذى يرضى وتأبى ما ابى

ومثله قول أبى الطيب

كانى دحوت الارض من خبرتى بها * وكان بنا الاسكندر السد من عزمى

هذا أيضا من الغلو الذى يؤدى الى سخافة العقل مع مافيه من قبح التركيب وبعده عن البلاغة واقبح من هذا كله قول عضد الدولة

ليس شرب الراح الا فى المطر * وغناء من جوارى السحر

غانيات سالبات للنهى * ناغمات من تضاعيف الوتر

مبرزات الكاس من مطلعها * ساقيات الراح من فاق البشر

عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

فان يكن حاسد قد هم أو كاشح قد نم أو خطب قد ألم أو امر قد وقع ثم فالشيخ الجليل أولى من تداركه وعرفنيه والا فما الرأى الذى أوجب اصطناعى ثم ضياعى والسبب الذى اقتضى بيعى بعد ابتياعى انا الا لبس الشيخ الجليل على هذه الخصله ولا احمله على هذه الفعله فاما ان تكون أخى بحق فاعرف منك غثى من سمينى والا فاطرحنى واتخذنى عدوا أتقيك وتتقينى لا أعدم كريما ولا تعدم نديما ولى مع هذا الماء حالان لا واسطة بينهما اما صفو فأشربه أو كدرا فلا أقربه والسلام

(وله أيضا)

الكرم أدام الله بقاء القاضى الامام مجان بنى ان يفطن له والفضل عدنان بنى من يهتدى اليه وليس دون المجد حجاب يدفع ولا حجاز يمنع ولا بواب يعبس ولا شرى يحبس ولكن عزم من يناله ومن شاء ان يعلم ان الناس ظماء وان الكرماء ماء لكن الاشقياء يمنعهم من قربه والقضاء يحجزهم عن شربه فلينظر هل يحب أن يدعى كريما كما يحب أن يرى سقيما ثم ليفكر ما الذى يمنعه عن مثل ما أتاه القاضى الامام من المفاتحة بذلك الفصل والابتداء بذلك الفصل ويا سبحان الله ما علمت ان

روى انه لم يفلح بعد هذا القول وكان لا ينطق الا بقوله تعالى ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ولولا الاطالة وهو نظم غير مقبول لاوردت كثيرا من نظم الذين كانوا يتساهلون فى هذا النوع كابى نواس وابن هانى الاندلسى والمتنبى وأبى العلاء المعرى وغيرهم من المتأخرين كابن نبيه ومن جرى مجراه وكنت من المبادى استقبح قول الشيخ صفى الدين الحلى واستقل أدبه بقوله فى موشحه الذى أوله * دارت على الدوح سلاف القطر * وذلك قوله فى ممدوحه

لو قابل الاعمى غدا بصير * ولو رأى ميتا غدا منشورا
ولو يشا كان الظلام نورا * ولو أتاه الليل مستجيرا
آمنه من سطوات الفجر

وبيته فى بديعيته على هذا النوع اعنى الغلو قوله

عز بجار لو الليل استجار به * من الصباح لعاش الناس فى الظلم

قلت هذا الغلو هنا مقبول فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم غير لائق بممدوحه الذى أشار اليه فى موشحه بقوله ولو أتاه الليل مستجيرا * آمنه من سطوات الفجر

فقد تقرر أن الناظم اذا قصد الغلو فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم فلا غلو وبيت العميان فى بديعيتهم يقولون فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

تكاد تشهد أن الله أرسله * الى الورى نطف الابناء فى الرحم

فنسبة الشهادة الى النطف وهى فى الارحام لا تمكن عقلا وما استحال عقلا استحال عادة وهذا الغلو هنا مقبول فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم وقد زاد الناظم تقريبه بكاد ولكن ذكر الارحام والنطف فى المدائح النبوية ما يخلو من قلة أدب وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

فى مدحه نفحات لا غلو بها * يكاد يحيى شذاها بالى الرمم

نفحات هذا البيت عطرت الوجود بالمديح النبوى وغلوها فيه ملحوظ بعين القبول وتقريبها بكاد أحرز قصبات السبق ولا أقول كاد وهذا البيت عندى مقدم على بيت الشيخ صفى الدين وبيت العميان لالتزامه بتسمية النوع البديعى مورى به من جنس المديح مع انسجامه ورقته وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بلا غلو الى السبع الطباق سرى * وعاد والليل لم يحفل بصبحهم

هذا الغلو يرخص عنده بانتظامه فى سلك المدائح النبوية كل غلو فانه لو كان فى غير النبى صلى الله عليه وسلم استحال عقلا وعادة ونعوذ بالله من نسبته الى غيره فانها تؤدى الى الكفر المحض وحصره فى النبى صلى الله عليه وسلم متفق عليه عقلا ونقلا وقولى عند نظم هذا النوع بلا غلو يعلم طالب هذا العلم طريق سلوك الادب وهذا البيت من خلاصات المدائح النبوية فنرجو الله أن نشملنا بركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم والله أعلم

(ذكر ائتلاف المعنى مع المعنى)

(سهل شديد له بالمعنيين بدا * تألف فى العطا والدين للعظم)

هذا النوع وهو ائتلاف المعنى مع المعنى ضربان فالاول فى الاصطلاح هو أن يشتمل الكلام على معنى معه أمران أحدهما ملائم والآخر بخلافه فيقرنه بالملائم واستشهدوا عليه بقول أبى الطيب المتنبى فالعرب منه مع الكدرى طائرة * والروم طائرة منه مع الحجل

وقالوا ان تقوية المعنى الاول مناسبة القطا الكدرى مع العرب لانه يلائمهم بنزوله فى السهل من الارض وينفر من العمران ويستأنس بالمهامه ولا يقرب العمران الا اذا زاد به العطش وقل الماء

هراة تنسيني صرصر والصراة حتى أنستنى دجلة والفرات على ظهر الغيب نظر الريب فكيف بنا اذ دخلناها وحللناها فسقاها الله من بلد وأهلها من عدد وانقاضى أبا القاسم من بينهم وما نصحت الاعلى عينهم وحبذا كتابه واصلا ورسوله حاملا فلقد أقرأنيه الشيخ السيد أبو فلان بعد ان درجنى الى التعمية وغالطنى فى كاتبه ونسبه الى بعض خدمه ليبرز بنقده عقلى فحين صادف امتداحى احماده ووافق انتقادى اعتقاده اطلع الكتاب من ستره وابرز السر من خدره ونظرت من عنوانه فى اسم القاضى الامام فحمدت الله اذ نبهه للكرم وانا منى ثم لا جرم انى أخذت الفضل بجملته وبعثته الى هراة برمته وذلك أخى أبو فلان وهو الفاضل الذى اكتسبته بغداد لطفا عراقيا وأفادته سجستان أدبا شرقيا ولو قدرت على علق انفس منه لبعثته هدية لكنى تصفحت الاعلاق فوجدت الياقوت من جملة الاحجار وهذا الفاضل من جملة الاحرار والدر

(ذكر ائتلاف المعنى مع المعنى)

منسوبا الى الصدف وهذا الفاضل منسوبا الى الشرف والخز والبز نوعين يخلق الدهر جدتهما وهذا الفاضل لا يغيره الزمان عن عهد ولا يحيله حال عن ود والدرهم والدينار جوهرين يملكهما الارازل كما

في البر ومناسبة الجمل مع الروم انها تسكن الجبال وتنزل في المواضع المعروفة بالشجر والضرب الثاني هو أن يشتمل الكلام على معنى وملائمين له فيقرن بهما ما لاقترانه مزية واستشهدوا على هذا الضرب الثاني بقول أبي الطيب المتنبي أيضا

وقفت وما في الموت شك لواقف * كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقالوا ان عجز كل من البيتين يلائم كلا من الصدرين وما اختار ذلك الترتيب الا لامرين أحدهما أن قوله كأنك في جفن الردى وهو نائم تمثيل السلامة في مقام العطب ولهذا قرر له الوقوف والبقاء في موضع يقطع على صاحبه فيه بالهلاك أنسب من جعله مقررا لثباته في حال هزيمة الابطال والثاني ان في تأخير التتميم بقوله ووجهك وضاح وثغرك باسم عن وصف الممدوح بوقوفه ذلك الموقف وبمرور ابطاله كلمى بين يديه ما يفوت بالتقديم ولعمري ان الضرب الثاني من ائتلاف المعنى مع المعنى أبدع من الضرب الاول وأوقع في القلوب وأقرب الى مواقع الذوق وعليه نظمت بيت بديعيتي ويأتي الكلام عليه في موضعه ولكن هنا نكتة تزيد بديع الضرب الثاني ايضاحا وترشح قصد المتنبي في ترتيبه الذي تقدم عليه الكلام حكى أن سيف الدولة بن حمدان ممدوح المتنبي قال عند انشاده اياه هذين البيتين يا أبا الطيب قد انتقدنا عليك كما انتقد على امرئ القيس في قوله

كأني لم أركب جوادا لغارة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل * لخيلي كري كرة بعد اجفال

فقال المتنبي أيها الامير ان صح أن البزاز أعلم بالثوب من حائكه فقد صح ما انتقد على امرئ القيس وعلى فان امرأ القيس أحب أن يقرن الشجاعة باللذة في بيت واحد وهو الاول وقد وقع مثل هذا في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه تعالى لم يراع فيه مناسبة الري بالشبع والاستظلال باللبس في تحصيل نوع المنفعة بل راعى مناسبة اللبس للشبع في حاجة الانسان اليه وعدم استغنائه عنه ومناسبة الاستظلال للري في كونهما تابعين اللبس والشبع قلت وأما جواب المتنبي عن قول امرئ القيس

كأني لم أركب جوادا لغارة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

فهو الافتنان بعينه وهو نوع من أنواع البديع العالية وقد تقدم وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع قوله

من مفرد بغرار السيف منتثر * ومزوج بسنان الرمح منتظم

قد كثر تكرار القول بان المراد من بيت البديعية أن يكون شاهدا على نوعه وان لم يكن صالحا للتجريد لم يصح الاستشهاد به على ذلك النوع وبيت الشيخ صفي الدين الحلي هنا غير صالح للتجريد وعدم صلاحه للتجريد هو الذي عقده وحجب ايضاح معناه عن مواقع الذوق والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ذو معنيين بحب والعدا ائتلفا * للخلف ما أشهب البازي كالرخم

قلت ان هذين المعنيين لشدة العقادة أتعبت الفكر فيهما على أن يتضح لي منهما معنى فعجزت عن ذلك والله أعلم وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

سهل شديد له بالمعنيين بدا * تألف في العطا والدين العظم

وقد تقدم قولي ان بيت بديعيتي منظوم في سلك الضرب الثاني لكونه أبدع وأوقع في الذوق من الضرب الاول وهو أن يشتمل الكلام على معنى وملائمين فيقرن بهما ما يلائم ويظهر باقترانه مزية فسهولة النبي صلى الله عليه وسلم قرنتها بالعطاء وناهيك بهذه الملاءمة وشدته صلى الله عليه وسلم

قرنتها

بملكهما الافاضل وهذا الفاضل لا يسبك لشك ولا يضرب في محك والخيل العتاق يهتدى اليها الخذلان والجماح كما يلحقها العضاض والطماح وهذا الفاضل نقي الجيب من كل عيب وقد جدت به بعضي ولعمري انه علق مضنة بقي ان يقبله القاضي الامام بمنه وسلام عليه ملء عرضه وبحسبه حسب اخلاصي واخلاصه ان شاء الله عز وجل

(وله أيضا)

كأني وقد توسطت الشباب وتطرفت الشيب وقبضت من آثار الزمان ونظرت في عقب الامور وطرت مع الملوك ووقعت مع الخطوب ورافقتها والجن تنهى وتأمر ففارقتها والموت خزيان ينظر وعددت من سني خمسا وعشرين وما عددت أشهرها حتى حلبت أشطرها ولا سلمت رسنها حتى استوفيت ثمنها وانا بما منح الله الاستاذ كل يوم من مزيد منتظم الامور موفور السرور والحمد لله حق حمده والصلاة على رسوله محمد عبده وقول الاستاذ نعمة لو صادفت أرضا وصنيعة لو أصابت موضعا فكأني به يقول هذا الكافر للنعمة طوانا حين نشرناه وجفانا حين بررناه وغاب سنين فلا كتاب شكر كتب ولا قصيدة بمدح نظم ولا يوما من أيامي ذكر ولا يدا من أيادي نشر وان فعلت فلاني خراساني وأعزم وجود

قرنتها بالدين لعظمه فاكرم بهاملاءمة وشرف قران وقد ورد نص الكتاب بذلك فى قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم وقولى فى القافية للعظم بعد ثبوت الشدة للدين فى غاية التمكين والله أعلم

(ذكرنفى الشئ بايجابه)

لايتقى الخير من ايجابه أبدا * ولايشين العطابالمن والسأم

نفى الشئ بايجابه هو ان يثبت المتكلم شيأفى ظاهر كلامه وينفى ماهو من سببه مجازا والمنفى فى باطن الكلام حقيقة هو الذى أثبته كقوله تعالى ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع فان ظاهر الكلام نفى الذى يطاع من الشفعاء والمراد نفى الشفيع مطلقا وكقوله تعالى لايسألون الناس الحافا فان ظاهر الكلام نفى الالحاف فى المسئلة والباطن نفى المسئلة بتة وعليه اجماع المفسرين وذكر ابن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير انه منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما وهذا هو الحد الذى قرره ابن رشيق فى العمدة فانه قال نفى الشئ بايجابه اذا تأملته وجدت باطنه نفيا وظاهره ايجابا واستشهد عليه بقول زهير

بارض خلاء لايسدوصيدها * على ومعروفى بهاغير منكر

فأثبت لها فى الظاهر وصيدا ومراده فى الباطن أن ليس لها وصيد فيسد وألطف مارأيت من شواهد هذا النوع أعنى نفى الشئ بايجابه قول مسلم بن الوليد

لايعبق الطيب خديه ومفرقه * ولايمسح عينيه من الكحل

فان ظاهر الكلام نفى عبق الطيب ومسح الكحل والمراد نفى الطيب والكحل مطلقا ومثله قول أبى الطيب المتنبى أفدى ظباء فلاة ماعرفن بها * مضغ الكلام ولاصبغ الحواجيب

ولابرزن من الحمام مائلة * أوراكهن صقيلات العراقيب

فظاهر الكلام عدم بروزهن من الحمام على تلك الهيئات والمراد فى باطن الكلام عدم الحمام مطلقا فانهن عربيات كظباء الفلاة ولهذا قال ذوالرمة

بالله ياظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن أم ليلا من البشر

والقصد أن حسنهن لم يفتقر الى تصنع ولاالى تطرية بدخول الحمام وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على هذا النوع أعنى نفى الشئ بايجابه يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

لايهدم المن منه عمرمكرمة * ولايسوء أذاه نفس متهم

فظاهر الكلام فى بيت الشيخ صفى الدين الحلى ان النبى صلى الله عليه وسلم لايتبع المكرمة بمن وحاشاه من ذلك ولايصدر منه لنفس متهم اساءة والمراد فى الباطن نفى المن والاساءة مطلقا فان مقام النبى صلى الله عليه وسلم فى الكرم والحلم فوق ذلك والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين غفر الله له يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

لم ينف ذما بايجاب المديح فتى * الاوعاقدت فيه الدهر بالسلم

هذا البيت ليس له تعلق بهذا النوع فان مشايخ البديع تواردوا فى حده على عبارة واحدة لم تختلف بحرف بل الجميع قالوا نفى الشئ بايجابه هو أن يثبت المتكلم شيأفى ظاهر كلامه وينفى ماهو من سببه مجازا والمنفى فى باطن الكلام حقيقة هو الذى أثبته وأوردوا على ذلك ماتقدم من شواهد القرآن العظيم والشواهد الشعرية التى زادت النوع ايضاحا ولم يتضح لى فى بيت الشيخ عزالدين غفر الله له لمعة أستضئ بها فى ظلمة هذه المقادة الى تقرير هذا النوع فى البيت المذكور فلم يسعنى غير النظر فى شرحه فوجدته قد قال مانفى الذم بايجاب المديح كريم الاوكان النبى صلى الله عليه وسلم قد عاقد الدهر بالسلم على ذلك المعنى قبل الذى فعل هذا الفعل المحمود وانه هو الاصل فى الاسباب

الحجاج وخف فاسد المزاج أعلاه جراب وأسفله خراب على بر ذون عبيدى التقطيع يرقص كالضبع

(ذكرنفى الشئ بايجابه)

لعلم كيف تجرى الفرسان وكيف يمسخ الانسان وقد علم الله انى فارقت تلك الحضره مفارقة أبينا الجنة ولكن الحر لايجنح الى النكوص الا اذا احوج الى الشخوص ولو من جنة الخلد ولايسأم الاقامه الى القيامة على الدعامة بالهامه اذا وجد وجها خصيبا ومرعى رطيبا والله لقد رأيت يدى مجت أفواه الامراء والوزراء وقد نظرت بعينه فلم أرالامحنه وعطفت بسره فلم أرالاحسره فان مت لم أهلك وفى النفس حاجة وفى العمر الاقدقضيت قضاءها

(وكتب الى سهل ابن محمد)

اذا أناطويت عن خدمة الشيخ أطال الله بقاءه يوما لم ارفع له بصرى ولم اعدده من عمرى وكانى به اذا اغفلت مفروض خدمته من قصد حضرته يقول ان هذا الجائع قد تشبع وتجالل وتبرقع فما يطور خلق ابن آدم حلقه الفراش مماته فى المعاش ومساره على

 المضار والابن المثنى اذا خرج من بلده ان تنبذ حلقه الحصات وتكنس بعده العرصات وتوقد فى أثره النار ويثار

الخيرية جميعها فما عات مام اده فى النظم ولا فى الشرح ولا ابن استقرنى الشئ بايجابه والله أعلم و بيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

لا ينتفى الخير من ايجابه أبدا • ولا يشين العطا بالمن والسام

الذى أقوله ان محاسن هذا البيت ببركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم تغنى عن التطويل فى شرحه وسهولة مأخذ النوع منه لم تفتقر الى زيادة ايضاح وما أحقه هنا بقول القائل

وقد ظهرت فلا تخفى على أحد • الا على أكمه لا يعرف القمرا

•(ذكر الايغال)•

(للعود فى السير ايغال اليه وكم • حبا الانام بود غير منصرم

هذا النوع مأخوذ من ايغال السير فانه يقال أوغل فى السير اذا بلغ غاية قصده بسرعة ولهذا قلت للعود فى السير ايغال اليه البيت ومعنى ذلك ان المتكلم أو الشاعر اذا انتهى الى آخر القرينة أو البيت استخرج سجعة أو قافية يريد معنى زائدا أو كل منهما فكان المتكلم أو الشاعر قد تجاوز حد المعنى الذى هو آخذ فيه و بلغ مراده فيه الى زيادة عن الحد وهذا النوع مما فرعه قدامة وفسره بان قال هو ان يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل أن يأتى بقافيته فاذا أراد الاتيان بها ليكون الكلام شعرا أفاد بها معنى زائدا على معنى البيت كقول ذى الرمة

قف العيس فى آثار مية واسأل • رسوما كاخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه قبل القافية فلما احتاج اليها أفاد بها معنى زائدا وكذلك صنع فى البيت الذى بعده حيث قال

أظن التى يجدى عليك سؤالها • دموعا كتبديد الجمان المفصل

فانه تم كلامه بقوله كتبديد الجمان واحتاج الى القافية فأتى بما يفيد معنى زائدا ولو لم يأت بها لم يحصل انتهى والفرق بين الايغال والتتميم ان التتميم يأتى الى المحتاج فيتممه كقول الشاعر وقد تقدم

أناس اذا لم يقبل الحق منهم • ويعطوه عاروا بالسيوف القواضب

فان المعنى بدون قوله ويعطوه ناقص والايغال لا يرد الا على المعنى التام فيزيده كمالا و يفيد فيه معنى زائدا غير أن بين الايغال والتكميل تجاذبا يكاد أن ينتظم كل منهما فى سلك الآخر ولكن رأيت الناس قد سلموا الى قدامة ما اختاره وفرعه هنا فمشيت مع الناس واستشهدوا على الايغال بقوله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون فان الكلام تم بقوله تعالى ومن أحسن من الله حكما ثم احتاج الكلام الى فاصلة تناسب القرينة الاولى فلما أتى بها أفاد معنى زائدا قلت ولعمرى لو طلب التكميل حقه من هذا الشاهد لم يمنعه الذوق السليم ومثله قوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان المعنى تم بقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء ثم أراد وهو أعلم اتمام الكلام بالفاصلة فقال اذا ولوا مدبرين وقد حكى عن الاصمعى انه سئل من أشعر الناس فقال الذى يأتى الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كثيرا و ينقضى كلامه قبل القافية فان احتاج اليها أفاد معنى زائدا فقيل له نحو من فقال نحو الفاتح لابواب المعانى وهو امرؤ القيس حيث قال

كأن عيون الوحش حول خبائنا • وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

ومثله قول زهير كأن فتات العهن فى كل منزل • نزلن به حب الفنا لم يحطم

فكلام امرئ القيس انتهى الى قوله الجزع وزيادة المعنى فى قوله الذى لم يثقب ولا يخفى على حذاق الادب ما فيهما من المحاسن ومعنى قول زهير انتهى فى كلامه الى قوله حب الفنا وزيادة المعنى فى قوله لم يحطم فيها نكتة بديعية غريبة وأنا أذكرها هنا تنبيها على ما قرره الاصمعى وما ذاك الا أن زهيرا شبه ما تفتت من العهن بحب الفنا والفنا شجر غره حب أحمر وفيه نقط سود وقال الفراء هو عنب الثعلب فلما قال زهير بعد تمام معنى بيته لم يحطم أراد أن يكون حب الفنا صحيحا لانه اذا كسر

انى قفاه الغبار ويستنبح لقراءة الكتاب ويصرف عن ذكره القلب وتسد لاوبته الاذنان وتغمض عن رجعته العينان و يقال كم سنة تعد وسلام لا يرد وما قدرت الشيخ بعد ما كفاه الله شر مقامى يرتاح لايامى وأصحت سماء من اشغالى بالتسدىء قالى وصفا جوه من دمتى يشتاق الى طلعتى شوقا يبعثه على العتاب ويهزه الاستعتاب ولا

(ذكر الايغال)

شك انه اشتهانى كما يشتاق الجرب الحك وله العتبى فستأتيه كتبى تباعا ورسلى ولاء وحاجتى قطارا وان شاء قد ذيت عينه بلقائى وانصرفت ورائى والعافية له أوسع وهو الى العافية أحوج والسلام

•(وله اليه أيضا)

كتابى وليس الشوق الى لقياه بشوق انما هو العظم الكسير والنزع العسير والسم يسرى ويسير والنار تطيش وتطير وايس الصبر عن رؤياه بصبر انما هو الصبر معجون بالاصاب وتشريح القلوب والاعصاب والغلب فى الميسر والانصاب والكبد على يد القصاب وقد دارت الحلقة الا قليلا وكاد اللقاء الا يسيرا والحمد لله كثيرا وهل كتاب الشيخ مؤنس امورده وحشا موعده وهذه الاعمال موازين الرجال وهى الحرفة جادها الغنى والعفة والشيخ بحمد الله الموزون فى الكفة لا تشبه الخفة حقيق ان لا أغره من نفسى وأوطئه للعشوة من أمرى

ظهر

ظهر له لون غير الحمرة وقال ابن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير ولقد أحسن ابن المعتز في ايغاله بقوله لابن طباطبا العلوي

فأنتم بنو بنته دوننا * ونحن بنو عمه المسلم

فانه تحيل على المساواة بأن قال ونحن بنو عمه المسلم والكلام تم قبل الاتيان بالقافية فلما أتى بها أفادت معنى اذ لا طريق له الى التفضيل بزيادة في حسن الجدو الذي وقع اتفاق البديعيين عليه أن أعظم ما وقع في هذا الباب وأبلغ قول الخنساء أخت صخر

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

فان معنى جملة البيت كامل دون القافية فوجودها زيادة لم تكن له قبلها وهذه المرأة لم ترض لاخيها أن يأتم به جهال الناس حتى جعلته يأتم به أئمة الناس وهذا تتميم ولم ترض تشبيهه بالعلم وهو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت في رأسه نارا ويعجبني من أمثلة هذا النوع في شعر المتأخرين قول الباخرزي من قصيد

أتاني فؤادك فارم طرفك نحوه * ترني فقلت لها وأين فؤادي

ومثله قول الآخر تعجبت من ضنى جسمي فقلت لها * على هواك فقالت عندي الخبر

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

كأن مرآه بدر غير مستتر * وطيب رياه مسك غير مكتتم

الايغال مع الشيخ صفي الدين في غير مستتر وغير مكتتم والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

أضحت أعاديه في الاقطار طائرة * وأوغلت في الهوى خوفا مع العصم

قال الشيخ عز الدين غفر الله له في شرحه ان الايغال الذي أفاد في بيته معنى زائدا بعد تمامه قوله خوفا مع العصم وذكر ان العصم هي الجوارح من الطيور التي تفرخ في العوالي والله أعلم وبيت بديعيتي أشير فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم بقولي

للعود في السير ايغال اليه وكم * حبا الانام بود غير منصرم

فمعنى بيتي انتهى الى قولي عنه صلى الله عليه وسلم حبا الانام بود ولما قلت بعد ذلك غير منصرم اشارة الى ود النبي صلى الله عليه وسلم ظهر لي من زيادة المعنى ما أقام قواعد بيتي وملأ الدنيا بهجة بمحاسن الصفات النبوية والله أعلم

(ذكر التهذيب والتاديب)

(تهذيب تأديبه قد زاده عظما * في مهده وهو طفل غير منفطم)

نوع التهذيب والتأديب ما قرروا له شاهدا يخصه لانه وصف يعم كل كلام منقح محرر وهو عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله والشروع في تهذيبه وتنقيحه نظما كان أو نثرا وتغيير ما يجب تغييره وحذف ما ينبغي حذفه واصلاح ما يتعين اصلاحه وكشف ما يشكل من غريبه واعرابه وتحرير ما يدق من معانيه واطراح ما يتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ ألفاظه لتشرق شموس التهذيب في سماء بلاغته وترشف الاسماع على الطرب رقيق سلافته فان الكلام اذا كان موصوفا بالمهذب منعوتا بالمنقح علت رتبته وان كانت معانيه غير مبتكرة وكل كلام قيل فيه لو كان موضع هذه الكلمة غيرها أو لو تقدم هذا المتأخر وتأخر هذا المتقدم أو لو تم هذا النقص بكذا أو لو تكمل هذا الوصف بكذا أو لو حذفت هذه اللفظة أو لو اتضح هذا المقصد وسهل هذا المطلب لكان الكلام أحسن والمعنى أبين كان ذلك الكلام غير منتظم في سلك نوع التهذيب والتاديب وكان زهير بن أبي سلمى معروفا بالتنقيح والتهذيب وله قصائد تعرف بالحوليات قيل انه كان ينظم

وقد علم ان العمل لعامه والعامل في عهدة أيامه والقابل ولاية أخرى ومنشور جديد فالكافي من استوفى زمانه ووفى ضمانه والعاجز من انفق أيامه قبل ان يبلغ تمامه فليتق الله وحرب السلطان وصعوبة الزمان وليحذر الباقي وليذكر القاضي والاعور الماضي ولتكن اموال الناحية لديه أربعة أصناف خراجا بذاته به الجمعة له أو نسيئا أوصله أوجلا لاجله او حاصلا قبله ويبني الامر على ان آخر درهم عليه مطلوب وأول درهم له محسوب والمغبون المكروب من طلب الانتصاف ولم يبذل من نفسه الانصاف فان قصر والله بعيده أوعز زر الله بعينه بجميع ما فصل هباء وهوا وهو والعاجز سواء ثم هو الداء لا يحسمه الا الدواء وليس الرأي الا ان يتكلف بوافيه والعمل في يده انه يوم يدعها او الليالي أخذها معزولا لا بعيد الغلط مخذول الامل وعرضت على الشيخ

(ذكر التهذيب والتاديب)

الجليل كتابه وما أقدم عليه البغوي فقال ليس أبو الوفاء بالبائع المغبون ولا المشتري الزبون ولو رأيت السباع تلجمه والجبال ترجمه ما كنت أرحمه أهذا الجزع مستحث ورد الناحية بكتاب ما طوى عليه انتهى اليه وما عداه لم تنله يداه ويقولون أرجفوا بعزله فكان ماذا الوعزل وغاية الراكب أن ينزل والوالي أن يعزل وليس العمل ضربة لازب ولا العامل فيه بخالد ولا عقده أوثق

القصيدة فى أربعة أشهر ويهذبها وينقحها فى أربعة أشهر ويعرضها على علماء قبيلته فى أربعة أشهر ويروى انه كان يعمل القصيدة فى شهر وينقحها ويهذبها فى أحد عشر شهرا ولا جرم انه قلما يسقط منه شئ ولهذا كان الامام عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع جلالته فى العلم وتقدمه فى النقد يقدمه على سائر الفحول من طبقته وما أحسن ما أشار أبو تمام الى التهذيب بقوله

خذها ابنة الفكر المهذب فى الدجى * والليل اسود رقعة الجلباب

فانه خص تهذيب الفكر بالدجى لكون الليل تهدأ فيه الاصوات وتسكن الحركات فيكون الفكر فيه مجتمعا ومرآة التهذيب فيه صقيلة لخلو الخاطر وصفاء القريحة لاسيما وسط الليل والنفس قد أخذت حظها من الراحة بعد نيل قسطها من النوم وخف عليها ثقل الغذاء وصح ذهنها وصار صدرها منشرحا وقلبها بالتأليف منبسطا وماقدمه واوسط الليل فى التأليف على السحر مع ما فيه من رقة الهواء وخفة الغذاء وأخذ النفس سهمها من الراحة الالما يكون فيه من انتباه أكثر الحيوان الناطق وارتفاع معظم الاصوات وجرس الحركات وتقشع الظلماء بطلائع الاضواء وبدو ذلك ينقسم الفكر ويشتغل القلب ووسط الليل خال مما ذكرناه ولهذا خص أبو تمام تهذيب الفكر بالدجى عادلا عن الطرفين لما فيهما من الشواغل المذكورة وحكت الثقات عن أبى عبادة البحترى الشاعر قال كنت فى حداثتى أروم الشعر وكنت أرجع فيه الى طبع سليم ولم أكن وقفت له على تسهيل مأخذ ووجوه اقتضاب حتى قصدت أبا تمام وانقطعت اليه واتكلت فى تعريفه عليه فكان أول ما قال لى يا أبا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة فى الاوقات اذا قصد الانسان تأليف شئ أو حفظه ان يختار وقت السحر وذلك ان النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء * وصفا من أكثر الابخرة والادخنة جسم الهواء * وسكنت الغماغم * ورقت النسائم * وتغنت الحمائم واذا شرعت فى التأليف تغن بالشعر فان الغناء مضماره الذى يجرى فيه * واجتهد فى ايضاح معانيه * فان أردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا * والمعنى رشيقا * وأكثر فيه من بيان الصبابة * وتوجع الكآبة * وقلق الاشواق * ولوعة الفراق * والتعلل باستنشاق النسائم * وغناء الحمائم * والبروق اللامعة * والنجوم الطالعة * والتبرم من العذال * والوقوف على الاطلال * واذا أخذت فى مدح سيد فأشهر مناقبه * وأظهر مناسبه * وأرهب من عزائمه ورغب فى مكارمه * واحذر المجهول من المعانى واياك أن تشين شعرك بالعبارة الرديه والالفاظ الوحشية * وناسب بين الالفاظ والمعانى فى تأليف الكلام * وكن كأنك خياط تقدر الثياب على مقادير الاجسام * واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وأنت فارغ القلب ولا تنظم الا بشهوة فان الشهوة نعم المعين على حسن النظم وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من أشعار الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه انتهت وصية أبى تمام * وأورد العلامة زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير وصية لنفسه أوردها أيضا على نوع التهذيب والتأديب فاخترت منها ما هو اللائق بالحال وأولها ينبغى لك أيها الراغب فى العمل السائل عن أوضح السبل أن تحصل المعنى قبل الشروع فى النظم والقوافى قبل الابيات قلت وهذا مذهبنا ثم قال ابن أبى الاصبع قال ولا تكره الخاطر على وزن مخصوص وروى مقصود وتوخ الكلام الجزل دون الرذل والسهل دون الصعب والعذب دون المستكره والمستحسن دون المستهجن ولا تعمل نظما ولا نثرا عند الملل فان الكثير معه قليل والنفيس معه خسيس والخواطر ينابيع اذا رفق بها جمت واذا كثر استعمالها نزحت واكتب كل معنى يسنح وقيد كل فائدة تعرض فان نتائج الافكار كلمعة البرق ولمحة الطرف ان لم تقيدها شردت وندت وان لم تستعطف بالتكرار عليها صدت والترنم بالشعر مما يعين

يعزل غدا على أن جاهه بالحضرة على غاية الوفور وحاله فى نهاية النور فليهذ الهاذى ما استطاع من الهذاء وليمدد بسبب الى السماء وصلت التحفة ولم أجد الى قبولها سبيلا حتى تنجلى غيابة هذا العارض المتالق وأنا أعيذه بالله أن يجعل عرضه جنة لمراده والله ولى ارشاده

(وله فى شأنه أيضا وقد حبس)

ان هؤلاء العمال ليعلقون المال كما تعلق النار الذبال والنار لاتذر الفتيل وان احتيل لها بما احتيل حتى تطفأ واطفاء العامل قتله وما أظن أبا الوفاء الا تعرض للاطفاء من الحاصل والباقى الامر الى الله ونعم الواقى

(وله الى الامير أبى الحرث محمد مولى أمير المؤمنين)

كاتبى والبحر وان لم أره فقد سمعت خبره والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه والملك العادل وان لم أك قد لقيته فقد بلغنى صيته ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره وما زلت أيد الله الامير أسمع بهذا البيت القديم بناؤه الفسيح فناؤه الرحب اناؤه الكريم آباؤه وأنشد فى هذه الحضرة ضالة الامل وانعوانى بمنه ويسره تربى المنى حسره والزمان العثور يقعد بى ويثور بى فما من عام الاعزمت وأبت المقادير ونوبت وعرضت المعاذير

عليه

عليه فقد قال الشاعر تغن بالشعر اما كنت قائله * ان الغناء لقول الشعر مضمار

وقد يكل خاطر الشاعر و يعصى عليه الشعر زمانا كما روى عن الفرزدق انه قال لقد يمر على زمان وقلع ضرس من أضراسى اهون على من أن أقول بيتا واحدا واذا كان كذلك فاتركه حتى يأتيك عفوا و ينقاد اليك طوعا واياك وتعقيد المعانى وتقصير الالفاظ وتوخ حسن النسق عند التهذيب ليكون كلامك بعضه آخذا باعناق بعض وكرر التنقيح وعاود التهذيب ولا يخرج عنك ما نظمته الا بعد تدقيق النقد وامعان النظر انتهى قلت وهذا لعمرى هو المراد من النوع الذى نحن فى شرحه أعنى نوع التهذيب والتأديب لا كقول الفرزدق

وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو امه حى أبوه يقاربه

فان الممدوح ابراهيم بن هشام المخزومى خال هشام بن عبد الملك وأما التقديم والتأخير ففى قوله وما مثله البيت فان تقديره وما مثله فى الناس حى يقاربه الا مملكا أبو امه أبوه وسلوك طريق التعقيد فى قوله أبو امه أبوه وكان يجزيه قوله جده وهذا لعمرى هو التعقيد الذى بينه و بين التهذيب والتأديب الذى قررناه بعد المشرقين وقد تقدم قولى ان البديعيين أجمعوا على ان هذا النوع ليس له شاهد يخصه لانه وصف يعم كل كلام منقح واختصرت الشواهد ليظهر للمتأمل من أحرز قصبات السبق من نظام البديعيات فى هذا النوع أعنى التهذيب والتأديب ولكن رأيت العلامة زكى الدين بن أبى الاصبع قد استحسن من الشواهد اللائقة بهذا النوع قول القاضى السعيد بن سنا الملك تغنى عليها حليها طربا بها * وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

قال وقوله صحيح لولم تقدم فى صدر البيت لفظة مشتقة من الغناء حصل بها فى البيت من الرونق ما لا يحسن بدونها ولو كان البيت خاليا من التهذيب فان بوجودها حصل فى بيته تصدير و تجنيس وائتلاف وتهذيب وانتفى عنه من العيوب عدم الائتلاف وقلق القافية و بذلك تقدم التهذيب فانه لو قال زهت بأزاهير الجمال وحسنها * وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا لظهر قلق القافية وتمكين تلك الاولى بسبب تصدير البيت بقوله تغنى انتهى كلام ابن أبى الاصبع و بيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على هذا النوع يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

هو النبى الذى آياته ظهرت * من قبل مظهره للناس فى القدم

قد تكرر قولى انى لم أكثر من شواهد هذا النوع الا ليظهر فيه من أحرز قصبات السبق من نظام البديعيات والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم و بيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

والله هذبه طفلا وأدبه * فلم يحل هديه الزاكى ولم يرم

و بيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

تهذيب تأديبه قد زاده عظما * فى مهده وهو طفل غير منفطم

هذا البيت يشتمل ببركة من أدبه ربه فأحسن تأديبه وهو الممدوح صلى الله عليه وسلم على عشرة أنواع من البديع اولها النوع الذى هو شاهد عليه وهو التهذيب والتأديب والانسجام والسهولة والتورية بتسمية النوع والتتميم والتكميل والتمكين والايغال والائتلاف والمبالغة ولولا الخوف من الاطالة لذكرت كل نوع فى موضعه ولكن فى نظر أصحاب الذوق السليم من علماء هذا الفن ما يغنى عن ذلك والله اعلم

(ذكر ما لا يستحيل بالانعكاس)

(بحر وذو أدب بدا وذو رحب * لم يستحل بانعكاس ثابت القدم)

هذا النوع سماه قوم المقلوب والمستوى وسماه السكاكى مقلوب الكل وعرفه الحريرى فى

والآن لما وفقت لهذه الزورة اختلفت على أخبار الملك فى مستقره واختلفت باختلافها فكرة فى قوس الطريق ومرة فى وترها مقتفيا أثره حتى بلغت مبانى هذا ثم وسوس الى الشيطان تعذره مقدرا انى أقصد هذه الحضرة طامعا فى مال أو طامحا الى نوال وعظم سلطان هذه الوسوسة حتى كاد يثنينى عن درك الحظ من طلعته ولم أبعد ما ألقاه فى خلدى أن يكون وأنا أنشد الله الظنون ان تتصرف فى قصدى الا الى معرفة أوقعها أو خدمة أودعها ومدحة أسمعها ورجمة أسرعها ثم أذخر هذه الدولة لمملكة أغصبها أو راية أنصبها أو كتيبة أغلبها أو دولة أقلبها وأما الدرهم والدينار دفعهما الى ونزعهما من يدى سواء لا أشكر واهبهما ولا أشكو سالبهما ان لى فى القناعة وقتا وفى الصناعة بختا لا يبعد منال المال اذا أردته ولا يحوجنى الى ركوب العقاب وسلوك الشعاب بل يجيئنى فيصا ويتطفل على أيصا وما كل يرفع له الحجاب ولا تفتح له الابواب و بعد ذلك فهذه الحضرة وان احتاج اليها المأمون

(ذكر ما لا يستحيل بالانعكاس)

ولم يستغن عنها قارون فان الاحب الى أن أقصدها قصد موال لا قصد سؤال والرجوع عنها بجمال أحب الى من الرجوع بمال وقد قدمت التعريف وانا انتظر الجواب الشريف فان

مقاماته مما لا يستحيل بالانعكاس وهو ان يكون عكس البيت أو عكس شطره كطرده وهذا النوع أعنى ما لا يستحيل بالانعكاس غايته ان يكون رقيق الالفاظ سهل التركيب منسجما فى حالتى النثر والنظم وجاء منه فى الكتاب العزيز (كل فى فلك) (وربك فكبر) ومن الكلام الذى رق لفظه (ارض خضرا) وأورد الحريرى فى مقاماته (ساكب كاس) وزاد فى العدة (كبر رجاء أجر ربك) وزاد فى العدة أيضا فقال (لذ بكل مؤمل اذا لم وملك بذل) قلت هذا الكلام الذى زاد الحريرى فى عدة كلماته صحيح التركيب فى طرده وعكسه ولكن لم يخف على الحذاق وأصحاب السجايا الرقيقة ان التكلف طوق جيده بطوق العقادة وذكروا أن العلامة القاضى فتح الدين بن الشهيد صاحب دوان الانشاء الشريف بالشام المحروس تغمده الله برحمته ورضوانه وصل فى تركيب هذا النوع الى أكثر من هذه العدة ولكن ما وقفت له على شئ من ذلك وانما مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك المحروسة الاسلامية عظم الله تعالى شأنه أخبر المملوك أنه وقف على ما نثره القاضى فتح الدين المشار اليه فى هذا النوع قبل تيمورلنك وذكر أنه فى غاية العقادة وقد تقدم القول وتقرر أن المراد من تركيب هذا النوع نثرا كان أو نظما غير كثرة العدد والمبرز فيه هو الذى يأتى به رقيق الالفاظ سهل التركيب رافلا فى حلل الانسجام وممن استوعب هذه الشروط فى كلام منثور مولانا قاضى القضاة شرف الدين شيخ الاسلام ابن البارزى الجهنى الشافعى نور الله ضريحه بقوله (سور حماه بربها محروس) ومن الغايات أيضا فى هذا النوع قول العماد الكاتب وقدم عليه القاضى الفاضل راكبا (سر فلا كبا بك الفرس) فاجابه الفاضل على الفور (دام علا العماد) وقال الحريرى فى المقامات

ان أحببت ان تنظم * فقل للذى تعظم
اس أرملا اذا عرا * وارع اذا المرء أسا

قلت وهذا النظم أيضا لا يخفى انه يتجافى عن الرقة بغليظ لفظه ومن الشواهد المقبولة على هذا النوع فى النظم قول الشاعر

عج تنم قربك دعد آمنا * انما دعد كبرق منتجع

ومنها

أراهن نادمنه ليل لهو * وهل ليلهن مدان نهارا

والذى وقع عليه الاجماع أن أبلغ الشواهد على هذا النوع الذى استوعب ناظمه فيه الشروط التى تقدم ذكرها قول القاضى الارجانى

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

ومثال شطر البيت الذى نسجت أبيات البديعيات على منواله (أرانا الاله هلالا أنارا) وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على هذا النوع

هل من ينم بحب من ينم له * بما رموه كمن لم يدر كيف رمى

قلت الشيخ صفى الدين الحلى غفر الله له غير مشكور فى نظم هذا البيت فان الطرد والعكس لم يأت به الا فى الشطر الاول وهو غير ملتزم تسمية النوع فان تسمية هذا النوع مما لا يستحيل بالانعكاس تستوعب جزأ كبيرا من البيت ومع عدم التزامه بشئ من ذلك جاء بيته فى غاية العقادة ولظلمة عقادته لم يلح لى فيه لمعة اهتدى بها الى فهم معناه وأعجب من ذلك ان البيت مبنى على مديح النبى صلى الله عليه وسلم والبيت الذى قبله

من مثله وذراع الشاة كلمه * عن سمه بلسان صادق الرنم

والبيت الذى بعده

هو النبى الذى آياته ظهرت * من قبل مظهره للناس فى القدم

فبيت ما لا يستحيل بالانعكاس بينهما أجنبى ونسبه بعيد من شرف هذين البيتين المنتسبين الى

النبى

ان جاز للفقراء ان يصيروا فداء الامراء فأنا فداء الامير السيد من سوء يلحقه ومكروه يرهقه والمصاب الذى أشار اليه خاتمة المصائب على ان النساء كالصدف اذا انتزع منه درة الشرف لم يصلح الا للتلف والسعيد من حمل من دار السيد الامير نعشه وأسعد منه من جدد فرشه ولا خلة بالرجال أليق من الصبر ولا حصن للنساء أحصن من القبر وأنا أسأل الله تعالى الذى ساء به الكرمة أن يمتعه بعنبها ولا خير فى النخلة من وراء رطبها وأما كتاب الاصول فمالى أراه بعيد الوصول أيحتمل حالى كل هذا التناسى فليحسن بما يناسى وأما أنا فعبد الامير وقد بلغتنى تفحات فضله ومثلى من قصد باب مثله فعاد وحاله أنطق من بيانه وخطه بدا أفصح من لسانه وقد شققت أطراف الارض بادراج الشكر ولعل أجوبتها ترد عن قريب فيعلم أى حر استرق وأى مجد استحق وقد طولت وعلى الله توكلت

* (وله الى الاستاذ أبى بكر محمد بن اسحق) *

الاستاذ الزاهد أدام الله عزه يأمر غاشية مجالسه ان يفتشوا اعطاف المقابر وزواياها فان وجدوا ابنا قريحا يحمل وقد أصبحا وكبدا دامية تنقل محبة تامية فانا ضيعتهما بالامس على ذلك الرمس

النبى صلى الله عليه وسلم والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

لم يستحل بانعكاس فى سجيته * مدن أخاطم معط أخاندم

قلت الشيخ عز الدين رحمه الله تعالى يعذر هنا اذا احتجبت عنه مسالك الرقة لالتزامه بتسمية النوع الذى استوعب جزأ كبيرا من بيته وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بحر وذو أدب بدا وذو رحب * لم يستحل بانعكاس ثابت القدم

وقد حبست عنان القلم هنا عن الاطناب فى انسجام هذا البيت ورقة ألفاظه وتمكين قافيته علما أن فى انصاف أصحاب الذوق السليم من أهل الادب ما يغنى عن ذلك والله أعلم

(ذكر التورية)

(أوصافه الغر قد حلت بتورية * جيدى وعقد لسانى بعد ذا وفى)

التورية يقال لها الايهام والتوجيه والتخيير والتورية اولى فى التسمية لقربها من مطابقة المسمى لانها مصدر وريت الخبر تورية اذا سترته واظهرت غيره كان المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر وهى فى الاصطلاح ان يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والاخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورى عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك ولاجل هذا سمى هذا النوع ايهاما ومثل ذلك قول أبى العلاء المعرى

وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط

فمن سمع هذا البيت توهم انه يريد براء ودال حرفى الهجاء لانه صدر بيته بذكر الحروف وأتبع ذلك بالرسم والنقط وهذا هنا هو المعنى القريب المتبادر أولا الى ذهن السامع والمراد غيره وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقريب لان مراده بالحرف الناقة وبحرف النون تشبيه الناقة به فى تقويسها وضمورها وبراء اسم الفاعل من رأى اذا ضرب الرئة وبدال اسم الفاعل من دلا يدلو اذا رفق فى السير وبالرسم أثر الدار وبالنقط المطر ومعنى هذا البيت ان هذه الناقة اضعفها وانحناها مثل نون تحت رجل يضرب رئتها ولم يرفق بها فى السير فهو غير دال وقد تقدم ان الدالى هو الرفيق ويؤم بها دارا غير المطر رسمها واجتماع هذه الاوصاف دليل على ضعف الناقة لانها لو كانت قوية لما احتاجت الى ضرب رئتها والى الرفق بها مع شدة شوقه الى ديار أحبابه وذلك باعث على شدة السير قال حذاق الادب تراكيب التورية فى هذا البيت بالنسبة الى ديباجة المتأخرين وطلاوة الفاظهم وزخارف بيوتهم تستحق قول القائل

وما مثله الا كفارغ حمص * خلى من المعنى ولكن يفرقع

لان هذا النوع اعنى التورية ما تنبه لمحاسنه الا من تأخر من حذاق الشعراء وأعيان الكتاب ولعمرى انهم بذلوا الطاقة فى حسن سلوك الادب الى أن دخلوا اليه من باب فان التورية من أغلى فنون الادب وأعلاها رتبة وسحرها ينفث فى القلوب ويفتح بها ابواب عطف ومحبة وما أبرز شمسها من غيوم النقد الا كل ضامر مهزول * ولا أحرز قصبات سبقها من المتأخرين غير الفحول ومما يؤيد قولى هذا قول الشيخ صلاح الدين الصفدى رحمه الله تعالى فى ديباجة كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام ومن البديع ما هو نادر الوقوع * ملحق بالمستحيل الممنوع * وهو نوع التورية والاستخدام * فانه نوع تقف الافهام حسرى دون غايته عن مرامى المرام *

نوع يشق على الغبى وجوده * من أى باب جاء يغدو قفلا

لا يقرع هضبته فارع * ولا يقرع بابه قارع * الا من نحا البلاغة نحوه فى الخطاب * وتجرى

رضى الله عن ودبعته وعنا معاشر شيعته فيأمر ردهما فلا خير فى الاجداد خالية عن الفؤاد عاطلة من الاكباد وأبو فلان موصل رقعتى هذه له قصة يعرضها وحاجة انا افرضها تلميذ قد تطرف بيوته وتحيف حانوته والجأ من الاستاذ الى حصن منيع والجأ الاستاذ منه الى أمر شنيع وهو أيده الله قد عرف ظاهر هذا الحر وان لم يعرف باطنه وعلم

(ذكر التورية)

سيرته وان لم يعلم سريرته وأيقن انه لو لم يدع الكذب ديانة لتركه امانة وصيانة فان حرفته لا تحتمل غير الصحة ثم رضى بعد ألف مكاس ان يخرج راسا براس ويردفضل صفقتين ويحمد الله عليهما ركعتين والله يوفق الاستاذ لما يأتيه ويذره فنعم الرفيق التوفيق والسلام

(وله اليه)

قد علم الاستاذ الزاهد أن أهل هذا الشطر من البلد رجلان هذا موتور وهذا مستور فصالحة الموتور غنيمه والظفر بالمستور هزيمه والحرب صفقة سوء الخاسر عليها من يربح والمذبوح فيها من يذبح وقد وضعت اوزارها فالجانى من طلب ثارها والباغى من شب نارها وقد محا الصلح آثارها وفى الجانبين رجال مؤمنون ونساء مؤمنات من لقى الله فيهم من غير عذر فقد هلك وانما الحرب عليك أولك وترك النهى فى بعض المواضع أمر وربما كان تحت الرماد جمر وقد امسك هؤلاء القوم لا عن

ريحها بامره رخاء حيث أصاب * وقال الزمخشري وهو حجة في هذا العلم ولا نرى بابا في البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته رضي الله عنهم أجمعين فمن ذلك قوله تعالى الرحمن على العرش استوى لان الاستواء على معنيين أحدهما الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذي هو غير مقصود لان الحق تعالى وتقدس منزه عن ذلك والثاني الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذي ورى عنه بالقريب المذكور انتهى ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل في مجيئه عند خروجه الى بدر فقيل لهم ممن أنتم فلم يرد أن يعلم السائل فقال من ماء أراد أنا مخلوقون من ماء فورى عنه بقبيلة يقال لها ماء ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يزال المنام طائرا حتى يقص فاذا قص وقع ففي الكلام توريتان لفظة طائر ولفظة يقص ويحتمل ايضا ان يكون في لفظة وقع تورية ثالثة ومنه قول أبي بكر رضي الله عنه في الهجرة وقد سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم من هذا فقال هاد يهديني أراد ابو بكر رضي الله عنه هاديا يهديني الى الاسلام فورى عنه بهادي الطريق وهو الدليل في السفر وكانت خواطر المتقدمين عن نظم التورية بمعزل * وافكارهم مع صحتها ما خيمت عليها بمنزل * لكنها ربما وقعت لهم عفوا من غير قصد لانهم على كل حال ولاة هذا الشان وادلة هذا الركب وقيل ان أول من كشف غطاءها وجلا ظلمة اشكالها أبو الطيب المتنبي بقوله

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات مصطحبان
كان رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسي وانت يماني

يريد أن كف شبيب وسيفه متنافران فلا يجتمعان لان شبيبا كان قيسيا والسيف يقال له يماني فورى به عن الرجل المنسوب الى اليمن ومعلوم ما بين قيس ويمن من التنافر قلت وكان من قال ان ابا الطيب أول من كشف غطاء التورية ما لمح قول عمرو بن كلثوم في معلقته عن الخمرة

مشعشعة كان الحص فيها * اذا ما الماء خالطها سخينا

الشاهد هنا في سخينا فان العرب كانوا يسخنون الماء في الشتاء لشدة برده ثم يمزجونها به فسخينا على هذا التقدير نعت لموصوف محذوف والمعنى فاضحى شربا سخينا وهذا هو المعنى القريب المورى به ويحتمل السخاء الذي هو عبارة عن الكرم وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ومراد الناظم ومما يؤيد قولي انه المراد قول الجوهري في الصحاح قول من قال سخينا من السخونة نصب على الحال ليس بشئ فان المراد لما خالطها الماء ومزجت به طبنا وسخينا باموالنا كقول عنترة

واذا سكرت فانني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم

والحص هو الزعفران على أحد الاقوال وهو والذي شبه صفرتها به فان قيل سخا مضارعه يسخو ويسخو من ذوات الواو فلا يجوز أن يكون سخينا فعلا على هذا التقدير فالاجماع عند أهل اللغة انه يقال سخا يسخا وسخا يسخو وهذا مذهب الجوهري في الصحاح وعلى هذا التقدير فاشتراك التورية في سخينا صحيح ممكن من الوجهين انتهى وكشف أيضا عن قناع التورية في شعره النابغة الذبياني بقوله خيل صيام وخيل غير صائمة * تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

اراد بالصيام ههنا القيام يوري بقوله تعلك اللجما عن الصيام واورد السكاكي في المفتاح للعرب من هذا الباب حملناهم طرا على الدهم بعدما * خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

أراد بالحمل على الدهم تقييدهم وأوهم بالركوب على دهم الخيل قلت وقبل المتنبي ايضا رمن طويل قال أبو نواس فتنت قلبي محببة * وجهها بالحسن منتقب

جنوبا ووجدنا الجبر قد صح مقلوبا وسمعنا بالقاتل فوجدناه قتيلا وبالطمع استحكم لم يصب قتيلا لعل الله يصونا في هذه الايام المكرام وهذا الشهر الحرام عن الدم الحرام والسلام

(وله الى محمد بن ابراهيم الشاري)

لعمري ان أيامي منذ لم أره ليال واني من جسمي لفي طلل بال وان العيش لا يبسم الا بثغره والعافية لا تطيب الا في ظله ولكني وقيذ اوجاع انتقل من حمى الى صداع واخشى ان يأخذ مني لفح الهوى مأخذه فلذلك لا أبرز عن البيت وأنا فيه حي كميت واما ابطاله ماذكرت فصدق ان علة لا يسيل لها الدماغ ولا تذوب منها الاضلاع ولا ينقطع بها النخاع ولا يتغاض فيها العواد ولا ينفر منها الطبيب ولم يتنع لها الحفار ولم يتسلف لها الجمال ولم يجر فيها حديث النائحة ولم يتداو منها بالرائعة حقيقة ان لا يساء بها الصديق ولا يحتجب عن الطريق وعلى كل حال فاذا خفت وطاة الهوى وحال وقت المال العبث لعباني الى حضرته متزودا من طلعته ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

والله اني لارحم عقل

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التوريه والاستخدام امتحنت ببيت أبى نواس جماعة ممن حاضرتهم وذاكرتهم وعاطيتهم كؤوس الادب وعاشرتهم فبعضهم استخرج منه النكتة وبعضهم لم أجد له اليها الفتة * وقال البحترى

ووراء تسديه الوشاح مليه * بالحسن تملح فى القلوب وتعذب

الشاهد فى قوله تملح فانه يحتمل أن يكون من الملوحة التى هى ضد العذوبة وهو المعنى القريب المورى به ويحتمل أن يكون من الملاحة وهو المعنى البعيد المورى عنه وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين قوله مليه بالحسن وأما أبو العلا فانه أتى فى التوريه بلمعة خفية الايماء شديدة العقادة والتكلف كما تقدم وكقوله

حروف سرى جاءت لمعنى اردته * برتنى اسماء لهن وافعال

اذا صدق الجد افترى العم للفتى * مكارم لا تخفى وان كذب الخال

الجد هنا مشترك بين أبى الاب والسعد ومراده السعد والعم مشترك بين أخى الاب والجماعة من الناس ومراده الجماعة والخال مشترك بين أخى الام والظن ومراده الظن قلت زحوف هذا البيت أيضا لا تخفى انه مكسوف بدخان العقادة أين هذا من قول الشيخ تقى الدين السروجى

فى الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك اشتهى شمها

حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنه عمها

ومثله فى اللطف والظرافة قول الشيخ عز الدين الموصلى

لحظت من وجنتها شامة * فابتسمت تعجب من حالى

قالت قفوا واستمعوا ما جرى * قد هام عمى الشيخ من خالى

قلت ولهذا وقع الاجماع على ان المتأخرين هم الذين سموا الى افق التوريه واطلعوا شموسها * ومازجوا بها أهل الزوق السليم لما أداروا كؤوسها * وقيل ان الفاضل هو الذى عصر سلافة التوريه لاهل عصره * وتقدم على المتقدمين بما أودع منها فى نظمه ونثره * فانه رحمه الله تعالى كشف بعد طول التحجب ستر حجابها * وأنزل الناس بعد تمهيدها بساحاتها ورحابها * وممن شرب من سلافة عصره * وأخذ عنه وانتظم فى سلكه بفرائد دره * القاضى السعيد ابن سنا الملك ولم يزل هو ومن عاصره مجتمعين على دور كأسها * ومتمسكين بطيب أنفاسها * الى ان جاءت بعدهم حلبة صاروا فرسان ميدانها * والواسطة فى عقد جمانها * كالسراج الوراق وأبى الحسين الجزار والنصير الحمامى وناصر الدين حسن بن النقيب والحكيم شمس الدين بن دانيال والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التوريه والاستخدام وجاء من شعراء الشأم جماعة تأخر عصرهم * وتأزر نصرهم * ولان فى هذا النوع هصرهم وبعد حصرهم * كل ناظم تود الشعرى * لو كانت شعرا * ويتمنى الصبح لو كان له طرسا والغسق مدادا والنثرة نثرا * ما جلا من بنات فكره خودا الا شاب لحسنها الوليد * وسيرها فى الآفاق وبين يديها من النجوم جوار ومن الشعراء عبيد * كالشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة والامير مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى ومحيى الدين ابن قرناص الحموى وشمس الدين محمد بن العفيف وسيف الدين بن المشد وقال الشيخ صلاح الدين

الرغوث لتغذوه برسلها وتحبوه بنسلها وتكسوه بصوفها وتنفعه ببرها وتغيظ عدوه بسراحها وتقر عينه برواحها وتملأ بيته اقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع ورى ثم ارجع الى حديثك تمنى مكانه رغوثا وأنا أتمنى مكانك برغوثا ان البرغوث اجدر منك ان يغوث كنت اعلم انك عرشى والعرشى تيس وحشى وما حسبتنى افقد (٢٤١) منافع التيس فعلى الله حسن الخلف منك ومن الظن كان بك والسلام

(وله أيضا)

ياسيدى اشعار كسير السوق واشغال كنيل الامانى وأيام كانها البالى وآمال كعهدى العوالى معاذيرى اليك واتكالى عليك لديك ان استقصرت كابا ارذممت عهدا أو طلت عتبى ولك بعد العتبى والمودة فى القربى والكرامة والنعمى والمنزلة العظمى والقلب وخلبه والصدر ورحبه والعين وماسقت والنفس وماوسقت وخير أوقاتنا وقت ذكراك وخير منه يوم نراك ويابرح شوقاه اليك وطول عهداه بك مورده ورهنت لسانى بما أكره ضمانى وهو ادام الله عزه يخرجنى عن عهدة ما بذلته مشكورا ان شاء الله تعالى

(وله الى أبى القاسم بن شاه)

اظنك ياسيدى لم تسمع بيتى القائل

اسمع نصيحة ناصح جمع النصيحة والمقه اياك واحذر ان تكون من الثقاة على ثقه

صدق الشاعر واجاد وللثقاة خيانة فى بعض الاوقات هذه العين تريك السراب شرابا وهذه الاذن تسمعك

الخطأ صوابا فلست بمعذورات ونقت بمعذور وهذه حالة الوثق بعينه السامع باذنه وأرى فلانا اكثر غشيانك وهو الدنى دخلته الردى جملته السيى وصلته الخبيث كلمته وقد قاسمته فى زرك وجعلته موضع سرك فارنى موضع غلطك فيه حتى أريك موضع تلافيه أفظاهره غرك أم باطنه سرك وبلغنى انه عرض على أخيك خلعة فلبسها العبد كما بالله انها خدعة ظاهرة النور باطنة

في أواخر ديباجة كتابه المذكور ومع هؤلاء جماعة يحضرني ذكرهم عند شعرهم * ويعز على اذلم أرهم على تكاثرهم لفوات عصرهم * وتلطف بقوله بعد ذلك ولا تقل أيها الواقف على هذا التأليف لقد أفرطت في التعصب لاهل مصر والشام * على من دونهم من الانام * وهذا باطل ودعوى عدوان * وحمية لاوطانك ومن جاورها من البلدان * فالجواب ان الكلام في التورية لا غير * ومن هنا تنقطع المادة في السير * ومن ادعى انه يأتي بدليل وبرهان * فالمقياس بيننا والشقراء والميدان * انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدي قلت قد تقدم وتقرر أن التورية عند علماء هذا الفن بمنزلة الانسان من العين * وسموها في البلاغة سمو الذهب على العين * وقد ثبت ان خواطر المتقدمين كانت بها شحيحة * وأفكارهم لا تقصد مظانها وان كانت سليمة صحيحة * لكنهم اربما وقعت لهم عفوا من غير مرام * فنقول انها رمية من غير رام * وقد علم أن المتأخرين من القاضي الفاضل الى من فضل بعدهم نوروا شكلها والمتفكهون في ادواح الادب بثمراتها * فاذا جليت عرائس أفكارهم على اختلاف أنواع التورية لاعين المتأمل * اللهم الا أن يكون سيف ذهنه كليلا فيقول انه من هذا الفن متنصل * فان هذه العرائس لم تبرز لمتأمل الامن خدور هذا الكتاب * واذا طلبها من غيره توارت عنه بالحجاب * فاذا سرح المتأمل طرفه وامسى في كل واد من محاسنها يهيم * وتنوعت حلاوات أنواعها الذوقه السليم * جردت سيف العزم وافتت لكل نوع حدا * ونظمت له من أنواع التورية وأقسامها في سلك هذا النوع عقدا * فان الشيخ صفي الدين الحلي لم يذكر في شرح بديعيته نوعا من أنواع التورية ولا قسما من أقسامها بل ذكر حد التورية الذي أجمع الناس عليه وقال هي أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين قريب وبعيد فيذكر لفظا يوهم القريب الى أن يجيء بقرينة يظهر منها ان مراده البعيد فات ومن أين يعرف الطالب من هذا الحد التورية المجردة والتورية المرشحة وقسميها والمبينة وقسميها والمهيأة وأقسامها وكذلك العلامة زكي الدين ابن أبي الاصبع لم يذكر في كتابه المسمى بتحرير التحبير نوعا من أنواعها ولا قسما من أقسامها مع ان كتابه ما وضع في هذا الفن له نظير بل قال التورية وتسمى التوجيه وهي أن يكون الكلام يحتمل معنيين فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر ومراده ما أهمله لا ما استعمله وأما صاحب التلخيص فانه قال مشيرا الى البديع ومنه التورية وتسمى الايهام أيضا وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد وهي ضربان مجردة ومرشحة ولم يزد على هذا القدر شيأ واذا أردت ما وعدت بايراده من طلاوة المتأخرين في التورية شرعت في الكلام على أنواعها واقسامها ليسير ركب الادب في طرقها المتشعبة بدليل * ويصير لديباجة هذا النوع تفصيل * وقد قدمت ذكر الفاضل ومن فضل بعده في باب الاستخدام ولكن لم يمكن اختصارهم في باب التورية فانهم فرسان حلباتها * وأجل من سكن غريب نظمه بابياتها وكل ما أوردته لهم ولغيرهم من التورية في غير بابه * تعين نظم شمله هنا ليجتمع كل غريب باقاربه وانسابه * فمن مخترعات القاضي الفاضل في التورية قوله من مديح قصيدة طائية وهي نكتة لم تختلج في صدر غيره وهو

أما الثريا فنعل تحت أخمصه * وكل قافية قالت لذلك طا

ومثله قوله في خده فخ لطفه صدغه * والخال حبته وقلبي الطائر

الغور كامنة الحور كسلعة السمور عرض على الجرذان نقلها من بحر الى بحر بوفر من السمسم فقالت الجرذان سفر مختصر والكرى خطر لكن في الطريق نظريا مولاي يوردك ثم لا يصدرك ويوقعك ثم لا يعذرك فاجتنبه ولا تقربه وان حضر بابك فاكنس جنابك وان مس ثوبك فاغسل ثيابك وان لصق

بجلدك فاسلخ اهابك وان كان ما أردعه صدرك قد تمكن من قلبك فليس الاشربة من المطبوخ تتبعها بحاذق من الطبوخ برحضان عن ظاهرك وباطنك ما أودعه ثم افتتح الصلاة بلعنه واذا استعذت بالله من الشيطان فاعنه والسلام

*(وكتب الى عمار بن الحسين *)

ما أجد لعمار مثلا الا الغراب لا يقع الا مذموما على أي جنب وقع ان نعب فروعة النذير وان حجل فشية الاسير وان شحج فصوت الحمير وان أكل فدبر البعير وان سرق فبلغة الفقير كذلك عمار ان حذفت عينه فالحين وان حذفت ميمه فالشين وان حذفت راؤه فالرين وان صحف خطه فالمين وان لاصقته فالعذار الكاذبة وان استقصيته فالوجه العبوس وان صدقته فالظفر اللئيم وان كذبته فالعقاب الاليم وان زرته فالحجاب الثقيل وان لم تزره فالعتاب الطويل

(وله الى أبيه)

ان الابل على غلظ أكبادها لتحن الى بلادها وان الطير لتقطع عرض البحر الى مظانها وبلغني ان ذا اليمينين طاهر بن الحسين لما رأى مصر وافاها مضروبة قبابها مفروشة أرضها مزخرفة جدرانها والناس ركبانا وركبا لا والنثار يمينا وشمالا اطرق لا ينطق حرفا ولا يرفع طرفا ولا يهش الى احد فقيل له في ذلك فقال ما أصنع بهذا وليس في النظارة عجائز بوشنج والعجب من حاضر انطاكية صاحب ياسين وقد كذب وعذب وقتل وجر برجله وأهلك قومه من أجله وقيل أدخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي

ربي وجعلني من المكرمين فكأنه تمنى الجنة بلقيا قومه على سوء جوارهم وقبح آثارهم فهذا أخو كنده يزعم ان لا ينعم من كان أقرب عهده ثلاثين شهرا وثلاثة احوال فما ظنه بي لاحدى عشرة سنة على ان لي برسول الله اسوة حسنة وعسى الله ان يأتيني بكم جميعا أو يأتيكم بي سريعا ان شاء الله تعالى *(وله أيضا)* اطال الله بقاء الشيخ (٢٤٣) الرئيس طالت الاذيال وكثر العيال وضاق الاحتيال فالحلال قلما ينال والحرام حمى الله ومن أخفر الله وجد الله قويا عزيزا وبقيت شبهات هن مواقف الشارين الجنة والنار حدّ منها الى بأس الله وآخر الى عفو الله وانا عليها أدور وفيها أخوض وحولها أحوم وهي ان لم تكن طعمة الاخيار فليست بمأكلة الاشرار وأحق من اعان على صالح النية وطيب الطعمة من صلحت نيته وطابت طعمته وأخذ الدهقنة في زماننا هذا خير المطاعم وأبعدها من الملاوم فان ضمن لي مضارها توليت منافعها فكان لي تثميرها وارتفاعها وعليه عثرها وخراجها والا أكلت اللحم نضيجا وأخذت الثوب نسيجا ولزمت التجارة المأمونه والحرفة الميمونه فليغلب فيهما رأيه الموفق ان شاء الله تعالى *(وله أيضا)* انا اطال الله بقاء الشيخ وان كنت امشي بالنهار على الماء واعرج بالليل الى السماء وازعم ان الشمس لا تخرج لظلي وان الماء ينبع من تحت رجلي فاني من جملة هذا البشر ومن عرض هذا المحشر آكل مما يأكلون وأشرب مما يشربون ولا غنى بالمرء عن طعمة طيبة أو خبيثة فالمحمود من تحرى طيبها والمذموم من تناول خبيثها وأراني طيب الطعمة كريم المأكل وانا على ذلك مذموم وهذه الضيعة ارتهنت بعضها بغلاق وابتعت بعضها بغلاق وقدرنا نيلك فنا كونا فلعن الله القدرية وأبعد فللحاسد العتبي وللكاره الرضا رد على المال والبيع باطل والشأن اني اعيش عيش الجعل بين السرقين

ومثله قوله وكنت وكان الزمان مساعد * فصرت وصرنا وهو غير مساعد
وزاحمني في ورد بقلٍ شارب * ونفسي تأبى شركها في الموارد

ومن هنا أخذ الشيخ عز الدين الموصلي وقال

لقد كنت لي وحدي وو جهك حضرتي * وكانت للزمان مواهب
فعارضني في ورد خدك عارض * وزاحمني في ورد ثغرك شارب

ومن نظم الفاضل أيضا في بواب يلقب بالبحري

وهب ان هذا الباب للرزق قبلة * فها أنا قد وليته دونكم ظهري
وهب انه البحر الذي يخرج الغنى * فكل خرا في الشط في لحية البحر (ى)

ومثله قوله عاتبته فتضرجت وجناته * والقلب صخر لا يلين لقاصد
فنظرت من ذاني حرير ناعم * وضربت من ذاني حديد بارد

ومن اختراعاته التي لم تجل في فكر غيره قوله من مديح قصيدة عادلية

وهذا الترب أم خد لثمنا * فآثار الشفاه عليه شامه
وهذا الدر منثور ولكن * أروني غير أقلامي نظامه
وهذي روضة تندى وسطري * بها غصن وقافيتي حمامه

ومنه قوله أيضا بالله قل للنيل عني انني * لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لي شاهد * ان كان طرفي بالبكاء بخيلا
ياقلب كم خلفت ثم بثينة * وأظن صبرك أن يكون جميلا

ومنه قوله وأجاد الى الغاية

وقائل وثب الاعداء قلت له * كما الفراش على نيرانه يثب
فان توب الذي عادا كم كفن * كما بيوت الذي عاصاكم ترب
بلغتموهم مناهم في ترفعهم * والقوم ما ارتفعوا الا وقد صلبوا
هل السيوف عيون في الجفون لكم * فانها القراب البغي ترتقب

ومن نثره في هذا الباب قوله في يوم شديد المطر والبرد * والخادم في رأس جبل يتلقى الرحمة غضة قبل أن يبتذلها الناس * وبصافح الرياح عاصفة قبل أن تقتسمها الانفاس * ويتلقى الرعد بالرعدة واذا السماء انشقت استصحاها المملوك بالسجدة * وقد تقدم القول ان ممن أخذ عنه ونهل من موارده العذبة القاضي السعيد ابن سنا الملك فن نظمه في هذا الباب قوله

أما والله لولا خوف سخطك * لهان علي ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبي وقرطك

ومنه قوله أيضا وفي الحي من صيرتها نصب خاطري * فما آذنت في نازل الشوق بالرفع
تتيه بفرع منه أصل بليتي * ولم أر أصلا قط يسعى الى فرع

ومنه قوله ليس الادمعي الذي من رأى جفني رآه كان دمعي هدبي
أنجم الدمع لا تغيب شروقا * مع اني رأيتها في الغرب

ومنه قوله صفاتك في كل الوجوه صحيحة * فلحظك نصبي وهواك صفوا يصبي

والعمل وانا على ذلك محسود ان من اشراط الساعة ان ترى الناس يحسدون الكناس فليت شعرى ما يصنع الاستاذ أعزه الله اذا نزل بباب الامير وأخذ بأذناب الحمير وانتقل من العراق فقعد بالرستاق ولعل مقدرا يقدر ان لى فى هذه الفلاحة فلا حافانا فى العمارة شربك أبى العبس فى التجارة وانما انجم للبيع (٣٤٤) لا للربيع أرأيت رجلا يندم أن ولده آدم أو يألم أن يسعه العالم يحسد فى قرية يشتريها والله لولا يد تحت الحجر وكبد تحت الخنجر وطفلة كفرخ يومين قد حببت الى العيش وسلت عن رأسى الطيش لشمخت بأنفى عن هذا المقام ولكن صبر جميل والله المستعان

•(ومن فصوله رحمه الله تعالى)•

ياهؤلاء لا تكابروا الله فى بلاده ولا تراودوه فى مراده ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده

•(وله أيضا)•

لى أيدك الله على الكاتب ابن الكلبة واليابس ابن الرطبة والضيق ابن الرحبة والعلق ابن القحبة مال قد عفا رسمه لما نسجته من جنوب وشمال وقد مطلنى مطل النعاس الكلب ولا أعرف جرما غير انى منعت دمه أن يسفك وستره أن يهتك وداره أن تخرب وماله أن ينهب ولى عنده تذكرة تطلع كل يوم من جربانه فلا أدرى كيف نسيها على قرب مكانها من مكانه فليقتضه ما عليه وليذكره التذكرة لديه ان شاء الله تعالى

•(وله أيضا)•

كتابى أطال الله بقاء القاضى كتاب من ينسى الايام

حرست الحشا من ناظريك بصارم • فكسرة ذاك الجفن من ذلك الضرب

ومما سبق اليه الناس فى هذا الباب قوله

وفى القلب تصديع وفى الوصل جبره • وفى الخد دينار وفى الجفن كسره

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

فى خده وجفونه • للحسن دينار وكسر

وتلاعب الناس بعد ابن سناء الملك بهذا المعنى كثيرا حتى وصل الى المعمار فقال

كم حوى جفنى معنى • قلت آلافا وكسورا

ولم يزل ابن سناء الملك يتلاعب فى التورية باختراعاته ويسكنها فى عامر أبياته الى أن ظهر بعده السراج فخلا غياهبها بنور مشكاته وتعاصره وأبو الحسين الجزار والنصير الحمامى وتطارحوا كثيرا وساعدتهم صنائعهم وألقابهم فى نظم التورية حتى انه قيل للسراج الوراق لولا لقبك وصناعتك لذهب نصف شعرك فمن ذلك قوله

شعر بتى مذ زمدت قد حبست • طرفى عنكم فصرت محبوسا
• الحمد لله زادنى شرفا • كنت سراجا فصرت فانوسا

وقال من أبيات فيمن تلقب بالضيا وأجاد

امولانا ضياء الدين دم لى • وعش فبقاء مولانا بقائى
فلولا أنت ما أغنيت شيأ • وما يغنى السراج بلا ضياء

ومثله قوله فيه

وما أنا سائر فى ليل خطب • تساوى الصبح فيه والمساء
فلا أنا مثل ما أدعى سراج • ولا هو مثل ما يدعى ضياء

ومنه قوله

وكنت حبيبا الى الغانيات • فألبسنى الشيب هجر الشيب
وكنت سراجا بليل الشباب • فاطفأ نور نهار المشيب

وكتب الى بعض الرؤساء

بكتبك راج لى أملى وقصدى • وفى يدك النجاح لكل راج
ولولا أنت لم ترفع منارى • ولا عرف الورى قدر السراج

ومنه قوله يتقاضى من بعض الرؤساء شمعا

ما علينا ضوء وقد أبطأ الشمع فقوض به خيام الدياجى
وتدارك بيتا عليه ظلام • لم يكد ينجلى بنور السراج

وقال وقد اجتمع شمس الدين بيليك وبدر الدين آق سنقر

لما رأيت الشمس والبدر معا • قد أنجلت دونهما الدياجى
حقرت نفسى ومضيت هاربا • وقلت ماذا موضع السراج

وظريف قوله فى هذا الباب

بنى اقتدى بالكتاب العزيز • وراح ليرى سعيا ولاجا
فما قال لى أف مذ كان لى • لكونى أبا ولكونى سراجا

ومنه قوله

أقول فى يوم شتائه • من سحبه ما خلف النيلا

ويذكره ويطوى العالم وينشره ويعقد من عصره عليه خنصره ثم ينبذ أبناء دهره وراء ظهره ويخرج أهل زمانه من عهدة ضمانه فاذا تسلمهم بيمناه وسلمهم بيسراه تيقن أن صفقته هى الرابحة وكفته هى الراجحة وانى أيد الله القاضى على قرب العهد بالمهد قطعت عرض الارض وعاشرت أجناس الناس فما أحد الا بالجهل تبعته وبالحيرة نعته وبالظن أخذته وباليقين

خرجت من بيتى سراجا وقد * عدت بحمد الله قنديلا

وكتب الى أبى حسين الجزار فى عيد الاضحى

أجبت بعيد النحر من كان سائلى * عن الحال فى عيدى وقدم ذكره
اذا بطل الجزار والعيد عيده * فلا تسأل الوراق فالعذر عذره

ومنه قوله

الهى لقد جاوزت سبعين حجة * فشكرا لنعماك التى ليس تكفر
وعمرت فى الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا قالوا السراج المعمر
وعم نور الشيب رأسى فسرنى * وما ساءنى أن السراج منور

ومن أظرف ما وقع له فى هذا الباب قوله

كم قطع الجود من لسان * قلد فى نظمه النحورا
فها أنا شاعر سراج * فاقطع لسانى ازدك نورا

ومثله قوله

اثنى على الانام أنى * لم أهج خلقا ولا هجانى
فقلت لاخير فى سراج * ان لم يكن دافئ اللسان

ومثله قوله

اذا بحت بالشكوى عنيت معاشرا * بلا راحة فى مدحهم أتعبوا ذهنى
يريدوننى رطب اللسان ومن رأى * سراجا غدا رطب اللسان بلا دهن

وكتب اليه الامير نصير الدين الحمامى وهو مقيم بالروضة

كم قد ترددت للباب الكريم لكى * ابل شوقى واحيى ميت اشعارى
وأنثنى خائبا مما أؤمله * وأنت فى روضة والقلب فى نار

فكتب اليه السراج

الآن نزهتنى فى روضة عبقت * أنفاسها بين أزهار وأثمار
أسكرتنى بشذاها فانثنيت بها * وكل بيت أراه بيت خمار
فلا تغالط فمن فينا السراج ومن * أولى بأن قال ان القلب فى نار

وقال النصير يوما للسراج الوراق قد عملت قصيدة فى الصاحب تاج الدين وأشتهى أن تثنى عليها بحضرته وسيرها الى الصاحب فلما أنشدت بحضرة السراج قال السراج بعد ما فرغ منها

شاقنى للنصير شعر بديع * ولمثلى فى الشعر نقد بصير
ثم لما سمعت باسمك فيه * قلت نعم المولى ونعم النصير

ومنه قوله

طوت الزيارة اذ رأت * عصر الشباب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى * بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت أهرب وهى تسأل جارة من بعد جاره
وتقول ياستى استرحنا لا سراج ولا مناره

ومما ورى به عن صناعة الوراقة قوله

نصب المشاعر اذ قرطس اذ رمى * وهى القلوب سهامها الاحداق
وسألته وصلا فقال يجيبنى * ياليت شعرى من هو الوراق

ومثله قوله

ياخجلتى وصحائفى سود غدت * وصحائف الابرار فى اشراق
وموبخ لى فى القيامة قال لى * أكذا تكون صحائف الوراق

نبذته وما من جد وضعته فى أحد الا أضعته ولا مدح صرفته عن أحد الا عرفته ومن احتاج الى الناس وزهنهم بالقرطاس ومن طاف نصف الشرق لقى نصف الخلق ومن لم يجد فى النصف لحة دالة لم يجد فى الكل غرة لائحة كان لنا صديق يقول ثلثها ولا أعلم ثلثيه وهذا العمرى ياس بوجه قياس وقنوط بالحجة منوط ودعابة تكاد تكون جدا وو راء هذه الجملة موجدة على قوم وعربدة على قوم

(وله من سجستان)

والامير السيد واسع مجال الهمم ثابت مكان القدم وأنا فى كنفه صائب سهم الامل وافر جناح الجذل والحمد لله على ما يوليه ويولينا معاشر مواليه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم وقد اعترضتنى أيد الله القاضى فصول لا أدرى بايها أبدأ أبالشوق فهو أحرى فى الرسم وأصدق على الحال أم بالعتب فهو احق فى الكتب أم بالشكر فهو أولى بالذكر ولعمرى ان شكر المولى هو الاولى فهلم حتى نتسالب سرده ونتقاسم برده أقول جزى الله هذا الملك السيد أفضل ماجازى مولى عن عبده ومخدوما عن خدمه ومنعما عن نعمه وأعانه على هممه فلو أن البحر مدده والسحاب يده والجبال ذهبه لقصرت عما يهبه حقا أقول ان التمرة بالبصرة أقل خطرا من البدرة بهذه الحضرة ولا أراها تحمل الى المنتجعين الا تحت الذيل فى جنح الليل ولا شيأ أكثر وجودا من الدينار بهذه الديار بينما المرء فى سنة من نومه لتعب يومه وقصارى همته قوت ليلته اذ يقرع عليه الباب قرعا خفيا ويسئل به سؤالا حفيا ويعطى ألفا خلفيا هذا اذا لم تنصره وسيلة ولم تصحبه فضيلة فأما أولوا الآمال فلا حد لما يصل اليهم من المال ابتدأ بخمسة عشر ألفا وانتهى الى مائة ألف غرفا بحذف وعطاء بغير صرف وحسب الغريم أن لا يوفى ومن منع الصدقة فليقل قولا معروفا وما أجهل أن ذلك الشيخ ممن

احتمل ذلك المال غرما ولكن لا أعرف لنفسي فيه جرما وما فائدة خط يبذل ولسان يرهن وتاريخ يكتب وضمان يقبل ومال يغرم ولولا الغرامة لم تفد الزعامة فقبح الله هذا المال ولعن هذا القيل والقال هل كان جرمي الا أن رددت اليه خطه وذكرته في الرد وعده ألم يكن في الرد مندوحة عن تجاوز (٢٤٦) الحد أما أنا فليس له عندي الا الثناء الجميل والولاء الجزيل ولولا الكافر بن الكافر والعاهر بن العاهر ابن فلان في الظاهر والله أعلم بالسرائر وما أشرب قلبه من الطمع في مالي والتعرض لحتى لصفا الغدير بيني وبين أبيه ومن وجد أباه ينكح بنته ولا يقفل بيته ولا يغسل أسته ولا يراعي الفرض ووقته ولا يراقب الله ومقته لم يرث اللؤم كلالة وان انجابت هذه الغمة وسكنت هذه الامة استعنت بالله عليه وصرفت أعنة الكلام اليه وهو حسبي وبه أستعين والسلام

(وله الى أبي علي الحامي بغرشتان)

ولا تكاد أدام الله عز الشيخ سنة سبع تعمل الاعمال السبع ثم لا تعمل في اللقاء ما تعمل في الوداع وكانت سنة ثمان سنة آمال ولم يوجعني العام الماضي بنفسه كما أوجعني برفسه انه لما طلع العام طلع البلاء العام فخبط الاوراق ثم فصل الاعذاق ثم كسر الساق ثم قلع الاعراق وأنزلني الله بنجاة من السيل وعلى جزيرة من البحر لكن يعصمني من الماء ويحميني صوب السماء حتى مضى العام فلم يضرني عيبه ولم يصبني نابه ولم تخبطني يده فلما كدت أسلم رضخني وقال برجله فحال بيني وبين أحب الناس الي وأعزهم علي وأقربهم لعيني وأشبههم بأبوي وأوصلهم ليدي وأحضرهم في الملمات لدي ولم يخلني الله في هذه الحادثة من جميل عادته ولم يخل سهمي من سعادته حيث أنزله في جوار النجم وفناء البحر ومناط الملك ومراد

ومن لطائفه في غير لقبه وصناعته قوله

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحي * لهموم نفس ليت لا حملتها
قد كان عندك يا فلان صريعة * فأجبتهم بعت الحمار وبعتها

ومنه قوله

رفضوا الشعر جهدهم ورموه * بينهم بالهوان والازدراء
فلو ان الكتاب كان بأيديهم محوا منه آية الشعراء

وله في المعنى وأجاد

يا بني الآمال قد خاب الرجا * وقد اشتدت وقد عز العزاء
سفن الآمال في بحر المنى * وحلت منا فأين الرؤساء

وقال في المعنى

أصون أديم وجهي عن أناس * لقاء الموت عندهم الأديب
ورب الشعر عندهم بغيض * ولو وافى به لهم حبيب

ومن لطائفه قوله

وقائل لي لما أن رأى قلقي * من انتظاري لآمال تعنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخرينا

ومن لطائفه بعد تخرينا قوله

أتيت أرجيه في حاجة * فلم تنبعث نفسه الجامده
وقتل في ذقنه والنفوس * تعاف المفتلة البارده

ومنه قوله

دع الهوينا وانتصب واكتسب * واكدح فنفس المرء كداحه
وكن عن الراحة في عزلة * فالصفع موجود مع الراحه

وأنشده الجزار وهو يسرح ذقنه مماجنا

لا تعجبن من لباسي * فكل أمري لبس
والله ما ثم مال * وانما ثم نفس

فأجابه على الفور

صدقت ما ثم مال * وانما ثم نحس
وثم أخرى وأخرى * فهار عندك حدس

ومنه قوله

ومغمومات روس باكرتنا * بطيب شذا ولا طيب العروس
فقمت بما يليق لها فقالت * يحق لك القيام على الرؤس

ومنه قوله

واحق اضافنا بثقله * لنسبة بينهما ووصله
فمن أقل أدبا من سفله * قد مد في وجه الضيوف رجله

ومنه قوله

وسائل يسأل مني وقد * انشدت شعرا دونه الشعرى
يقول لي اذ كنت في معشر * قد عبدوا البيضاء والصفرا
هل حصلت دائرة بينهم * قلت بلى بطيخة خضرا

ومنه قوله

مدحته جهدي فما اهتز من * قولي ونادى الناس كم تتعب
فقلت أرجو زبدة قيل لي * فاتك أين اللبن الطيب

ومن لطائفه أيضا قوله

كان أبرا صار سيرا * يلطم الاكساس سخره
كيف لا ينفر عني * ومعي شيب ودره

ومنه قوله

فسر لي عابر مناما * فصل في قوله واجل

الجود ومسانى العز ومجال المجد ومقام الدين وجناب العلم ومصاب الغيث وذمار الليث ومن جمع الله له جوار النيارين فقد جمع له صلاح الدارين وكنت على أن أكتب كتاب شكر الى السيدين الملكين المؤيدين أدام الله تمكينهما وجعل التوفيق قرينهما والقضاء معينهما وبسط بالخير عينهما ثم رأيتنى مهتزا للقائهما مشتاقا الى فنائهما فقدمت هذه (٢٤٧) الاسطر وأنا بمشيئة الله على أثرها وللشيخ في تعريفي جمل أحواله وتفاصيلها رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ الرئيس أبى الفضل)

كما أن عناء الشيخ في أن يثير أرضا أو يسقى حرثا أو يشيد بناء أو ينبط ماء أو يعمر طاحونا أو يغرس كرما كان عنائى ان افيق حيله أو أخلق وسيله فاذا وجدت من الكريم فرصة لم احتشم ولو خطر بالمال وخطرت بالمروأة لم أغتنم وقد كان تطول عام أول بخط أنا أقتضيه اعادة الانعام به في هذا العام وقد والله بدرت لكنه زاد الرحيل وخطبه جليل اذا اصبحت عنكم راحلا وثقات والثقل ليس مضاعفا لمطية الا اذا ما كان قرما بازلا واذا كان الكريم من قد علمته فلا رجني الله ان رحمته وقد جهزت الحاجة في دل رخيمه الى كف كريمة فان عمل بقضية فضله وزن صداقها وان عمل بقضية تقصيرى اسرع طلاقها وله في الامرين ما يراه ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

وقال لابد من طلوع * فكان ذاك الطلوع دمل

ومنه قوله وقد طلب شرابا فما وصل اليه

لا تطمعن براحة من معشر * سادوا بغير مآثر السادات

قطعت عن المعروف أيديهم وقد * سرقوا العلا فخلت من الراحات

ومن نكته البديعة في مدائحه قوله

رأيت قطوف عفوك دانيات * فنحن على المدى نجنى ونجنى

وكم بات المسىء قرير عين * وسيفك ان حلمت قرير جفن

وكتب الى فتح الدين بن عبد الظاهر

انا تحت وعدك واعد أملى بما * يرجوه من ظفر ومن نجح

اذ قال أين الجود قلت أجيبه * مع أين مبنى على الفتح

ومنه قوله

ومبخل بالمال قلت لعله * يندى وظنى فيه ظن مخلف

جمع الدراهم ليس جمع سلامة * فاجابنى لكنه لا يصرف

وكتبت في هذا المعنى الى الخواجا شهاب الدين بن لؤلؤ الذهبى بدمشق المحروسة وقد مطلنى في صرف دنانير أحلت بها عليه

قد منعتم صرف الدنانير عنى * ولكم في الورى هبات كثيره

وأنا شاعر وفى شرع نظمى * صرفها واجب لاجل الضروره

وكتب السراج الى بعض أصحابه يطلب كتابا

لك في المكارم سنة مألوفة * معروفة الانساب والاسباب

فابعث لعبدك بالكتاب فلم تزل * تقواك تشفع سنة بكتاب

ومن لطائفه في شخص اسمه عرفات

أطنبوا في عرفات وغدوا * يتعاطون له حسن الصفات

ثم قالوا هل وافقتنا * قلت عندى وقفة في عرفات

ومن اغزاله قوله

وفاتك يجرح سيف لحظه * مجردا عن جفنه ومغمدا

خاف على خديه من لحاظه * فبات في عذاره مزردا

ومنه قوله وهو في غاية الحسن

ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الى فقلت من ألم الجوى

لم لا تميل الى يا غصن النقا * فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى

ومثله قوله

قلت للاهيف الذى فضح الغصن كلام الوشاة ما ينبغى لك

قال قول الوشاة عندى ريح * قلت أخشى يا غصن أن يستميلك

ومنه قوله

عذبت طرفى بالسهاد فليله * قد مات عنه تعيش أنت صباحه

والحسائل أدمعى لحرمتنى * ولكم أضر بسائل الحاحه

وقال في مليح قلندرى

عشقت من ريقته قرقف * وما لها اذ ذاك من شارب

قلندريا حلقوا حاجبا * منه كنون الخط من كاتب

كابى والتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا طالق ثلاثا مردودة على أهلها من ورائها البعره وفى قفائها النعرة لا ترجع الخرقاء أو تظهر العنقاء والله ما نقض الغزل بعد قوة أسخف من نقض عهد واخوة وليس ارش الغزل اذا نقض ارش الفضل اذا رفض ولم يجعل الله اضاعة الصوف كاضاعة المعروف يا أبا الحسن الحق تقبل وهو خبر ما قيل أنا أخاطبك

بالشيخ والجنون شعبة من شبابك وبالفاضل والفضل وراء بابك ولو كان القلب يستخير والهوى يستشير ولم أكن المحب المغرم ولم تكن المحب المكرم الكتاب وصل بحجم هائل ليس وراءه طائل وخط مجنون لا يدري ألف فيه من نون وسطور فيها شطور ردبيب السرطان على الحيطان

ولفظ اخلاط لا يدرك له استنباط ولا يفسره بقراط هذيان المحموم وهوس الملوم وسوداء المهموم وقرأت شطر كتاب لم أدر والله عماذا يعبر عن أمور سقيمة أو عن أحوال مستقيمة لاجرم انى ظننت خيره ولم أبعد غيره وجوزت السلامة ولم آمن ضدها وذهبت مع الظن الجميل انفاقا ثم رجعت القهقرى اشفاقا فسألت الله لك المزيدان كانت سلامة والسلام

(وله أيضا)

لا يزال الشيخ يحمل الى أبا فلان فيما يوليه من رفق بأسبابه واعتناء بأصحابه وما يفعل فى ذلك الاما يوجبه فضله ويأتيه مثله ويدعو اليه أصله وما يأتى من الخير الاما هو أهله وحقا أقول لقد عاشرت هذا الفاضل فطابت عشرته ولانت قشرته وواصلت فاحسنت وصاله واحمدت خصاله وسألته فأعرب جوده وجمته فاصلب عوده وما نقبت فى الامتحان له عرقا الاحسنته ولانظر الافترسته فما أتتنى خصلة من خصاله الاهى أكبر من أختها حتى حالت الغربة بينى وبينه فكان لى فى الغربة أكبر فى المجد جهدا وأطيب فى الغيب عهدا وأتم على البعد ودا ولعمرى ان ود الحضر اخاء واخوة وود الغيبة وفاء ومروة وقد جمع هذا الفاضل حبليهما وراش نبليهما وما خسر على الكريم كريم كالم يربح على اللؤم لئيم ولن يبطل الخير فى القياس ولا يذهب العرف بين الله والناس اعان الله على تأدية فرضه وقضاء الواجب او بعضه ان شاء الله تعالى وقلبه

سلطان حسن زادنى عدله * فاختار أن يبقى بلا حاجب

ومنه قوله
وانا ساق جواد كفه * وكفت بالراح سحبا بعد سحب
قال قوم فاق كعبا فى الندى * قلت لا غرو اساق فوق كعب

ومنه قوله
يا ساكنا قلبى على انه * يوجده فى قلق ذائب
قلبى من خوف النوى واجب * وأنت لم تخرج عن الواجب

نكتة الواجب أخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة ولكن سبكها فى غير هذا القالب فى قوله فى رامى بندق

اسعد بها يا قمرى برزة * سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا * فما تعديت عن الواجب

ويعجبنى من تغزلات السراج الوراق قوله

أقول لهم شبهت بالغصن قدها * فقالوا رأينا قدها منه أرشقا
فقلت وبالرمان شبهت نهدها * فقالوا اذن شبهت شيأ محققا

ومنه قوله
وقفت بأطلال الاحبة سائلا * ودمعى يسقى ثم عهدا ومعهدا
ومن عجب أنى أروى ديارهم * وحظى منها حين أسألها الصدا

ومنه قوله
وبى من البدو كحلاء الجفون بدت * فى قومها كمهاة بين آساد
بنت عليها المعالى من ذوائبها * بيتا من الشعر لم يعمد بأوتاد
وأوقدت وجنتاها النار للقرى * لكن لافئدة منا وأكباد
فلو بدت لحسان الحضر تين لها * على الرؤس وقلن الفضل للبادى

قلت ديوان الشيخ سراج الدين الوراق سبع مجلدات فى القطع الكامل ولكن الذى جنيته وفكهت المتأمل به هاهو ثمرات تلك الاوراق وجمع الشيخ صلاح الدين الصفدى من ديوانه كتابا لطيفا وسماه لمع السراج ولكن رأيت نور السراج فيه قليلا ومن مقاطيف الجزار فى سمين التورية قوله موريا فى صناعته

الاقل للذى يسأ * ل عن قومى وعن أهلى
لقد تسأل عن قوم * كرام الفرع والاصل
ترجيهم بنو كلاب * وتخشاهم بنو عجل

ومثله قوله
انى لمن معشر سفك الدماء لهم * دأب وسل عنهم ان رمت تصديقى
تضىء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

ومثله قوله
أصبحت لحاما وفى البيت لا * أعرف مارائحة اللحم
واعتضت من فقرى ومن فاقتى * عن التذاذ الطعم بالشم
جهلته فقرا فكنت الذى * أضله الله على علم

ومثله قوله
أعمل فى اللحم للعشاء ولا * انال منه العشا فاذنبى
خلا فؤادى وفى فمى وسخ * كاننى فى جزارتى كلبى

وظريف قوله
كيف لا أشكر الجزارة ماعشـ * ـت حفاظا وارفض الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجـ * ـنى وبالشعر كنت ارجو الكلابا

وقلبه أيضا وقال لا تعبني بصنعة القصاب * فهي أذكى من عنبر الآداب
كان فضلي على الكلاب فذ صر * ت اديبا رجوت فضل الكلاب

ومثله قوله معشر ما جاءهم مسترفد * راح الا وهو منهم معسر
انا جزار وهم من بقر * ما رأوني قط الا نفروا

وقال متهكما على المتنبي تعاظم قدري على ابن الحسين * فذهني كالعارض الصيب
وكم مرة قد تحكمت فيه * لأن الحروف أبو الطيب

وكتب اليه الشيخ نصير الدين الحمامي موريا عن صناعته

ومذ لزمت الحمام صرت بها * خلا يداري من لا يداريه
أعرف حر الاشيا وباردها * وآخذ الماء من مجاريه

فاجابه أبو الحسين الجزار بقوله

حسن التأني مما يعين على * رزق الفتى والحظوظ تختلف
والعبد مذ صار في جزارته * يعرف من أين تؤكل الكتف

ومن لطائفه البديعة ما كتب به الى بعض الرؤساء وقد منع من الدخول الى بيته في يوم فرح

أمولاي ما من طباعي الخروج * ولكن تعلمته من خمول *
أتيت لبابك ارجو الغنى * فأخرجني الضرب عند الدخول

وكتب الى بعض الرؤساء يستهدي منه قطرا

اياعلم الدين الذي جود كفه * وراحته قد أخجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت أرض الكنافة انني * لأرجو لها من سحب راحتك القطرا

هذا القطر تحلى به الشيخ جمال الدين بن نباته بقوله

لجود قاضي القضاة أشكو * عجزي عن الحلو في صيامي
والقطر ارجوه ولا عجيب * للقطر يرجى من الغمام

تلاعب الناس به بعده كثيرا ويعجبني من تغزلات أبي الحسين الجزار قوله

تكلف بدر السما ان حكى * محياك لو لم يشنه الكلف
وقام بعذري فيك العذار * فاجرى دموعي لما وقف

ومنها قوله حمت خدها والثغر عن حائم شج * له أمل في مورد ومورد
وكم هام قلبي لارتشاف رضابها * فأعرب عن تفصيل نحو المبرد

ومن لطائف مجونه في التورية قوله

تزوج الشيخ أبي شيخة * ليس لها عقل ولا ذهن
لو برزت صورتها في الدجا * ما جسرت تبصرها الجن
كأنها في فرشها رمة * وشعرها من حولها قطن
* وقائل قال ما سنها * فقلت ما في فمها سن

قال الشيخ اثير الدين أبو حيان رأيت أبا الحسين بالقاهرة عند الشيخ قطب الدين بن القسطلاني فقال لي الشيخ قطب الدين هذا هو الاديب أبو الحسين الجزار فأنشدني لنفسه وكتبت عنه

(وله أيضا) ابن تكرم الشيخ العميد على مولاه وكيف معدلته الى سواه ايقصر في النعمة لاني قصرت في الخدمة اذا اذا اسأت المعاملة ولم تحسن المقابلة وعثرت في أذيال السهو ولم ينعش بيد العفو ام يقول ان الدهر فيما بيننا خدع وفيما بعد متسع فقد ازف رحيلي ولا ماء بعد الشط ولا سطح وراء الخط أم ينتظر سؤالي وانما سألته يوم أملته واستمحته حين مدحته واقتضيته وقت اتيته وانتجعت سحابه لما أتيت بابه وليس كل السؤال اعطني ولا كل الرداء عفني ام يظن اني أرد صلته ولا ألبس خلعته وهذه فراسة المؤمن الا انها باطلة ومخيلة العارف الا انها فاسدة أم ليس يجد لي مكانا للنعمة يضعها وارضا للمنة يزرعها فلا اقل من تجربة دفعة والمخاطرة بانفاذ خلعة ليخرج من ظلمة التخمين الى نور اليقين ولينظر أأشكر أم أكفر أم يتوقع صاعقة تملكني او داهية تهلكني فهذا أمل موفر لان شيخ السوء باق معمر ام يقدر أني أشكره اذا اصطنع واعذره اذا امتنع وبالله لو كنت ينبوع المعاذير ما حظي مني بجرعة فليرحني بشرعة ام يرجو اني أمهله حتى اعود من هراة والشيطان اعقل من ان يوسوس اليه بهذا او يسول لدي ذلك وانا الى الشيخ العميد وردت وعن هؤلاء القوم صدرت وقد فعلوا فوق مقدارهم ودون ما قدرت فليحيني من الفعل بتذكرة أو من القول معذرة وليصرف على أمره ونهيه بهراة يشرفني بها ان شاء الله تعالى *(وله أيضا)* هذا القاضي انا عنده في المنزلة أقل من شئ المعتزلة نسأل الله رأيا يسدد وسترا يعتمد ووجها لا يسود واما فلان فلا اشك ان كتابي يرد منه على صدر يمحى اسمه من صحيفته ونسي اجتماعنا على الحديث والغزل وتصرفنا في الجد والهزل وتقلبنا في اعطاف العيش بين الوقار والطيش

وارتضا عنا ندي العشرة اذ الزمان رفيق القشرة وتوعدنا أن يلحق أحدنا بصاحبه اذا آنس الرشد في جانبه وتصالحنا من قبل أن لا يصرم الحبل وتعاهدنا من بعد ان لا ينقض العهد وهل ذاكر من كان أقرب عهده * ثلاثين شهرا أو ثلاثة أحوال

* (وله في نقض قصيدة أبي بكر الخوارزمي) * سألت أمتع الله بك عن الخوارزمي وشعره وقلت انى لا أجد فيه بيتا الورى في المنام لاوجب الغسل حسا وبعده بيتا اذا سرد ينقض الطهارة مسا ولعمري ان هذين البيتين لو كانا نبتتين ما نبتتا في أرض أو غرستين ما جنيتا من غصن فكذلك اذا كانا شعرين يبعدان يصدرا عن صدر أو يطبعا من طبع أو يصبا على قالب قلب أو يكونا نفسي نفس فقد يسمن الشاعر ثم يغث ويجيد القائل ثم يرث ولكن لا كما تراه في شعر أبي بكر وما كنت لاكشف تلك الاسرار واهتك هذه الاستار واظهر منه العار والعوار لولا ما بلغنا عنه من اعتراض علينا فيما أملينا وتجهير قدح علينا فيما روينا من مقامات الاسكندري من قوله انا لا نحسن سواها وانا نقف عند منتهاها ولو انصف هذا الفاضل لراض طبعه على خمس مقامات أو عشر مفتريات ثم عرضها على الاسماع والضمائر وأهداها الى الابصار والبصائر فان كانت تقبلها ولا تزجها أو تأخذها ولا تمجها كان يعترض علينا بالقدح وعلى املائنا بالجرح أو يقصر سعيه ويتدارك وهنه فيعلم ان من املى من مقامات فاجبتهم الكدية أربعمائة مقامة لا مناسبة بين المقامتين لا لفظا ولا معنى وهو لا يقدر منها على عشر حقيق بكشف عيوبه والسلام

(وله اليه) * أجد بالشيخ السيد وجدا يقض العظام وينقض النظام اذ اذكر تلك الاخلاق الكرام

من منصفي من معشر * كثروا علي وأكثروا
صادقتهم وأرى الخرو * ج من الصداقة يعسر
كالخط يسهل في الطرو * س ومحوه يتعذر
واذا أردت كشطته * لكن ذاك يؤثر

ومما شرح الصدور وروق القلب من قول الحمامي

وكدرت حمامي بغيبتك التي * تكدر فيها العيش من كل مشرب
فما كان صدر الحوض منشرحا بها * ولا كان قلب الماء فيها بطيب

ومنه قوله لي منزل معروفه * ينهل غيثا كالسحب
اقبل ذا العذر به * واكرم الجار الجنب

ومن لطائفه ما كتب به الى السراج الوراق على يد مليح واسانه

عبدك يا مولاي وافي بها * وفي بها معنى لمن يعقل
وهو على الباب ومقصوده * وفيك فهم أنه يدخل

ومن نكته اللطيفة قوله

أصبحت من أغنى الورى * وطائرا بالفرح
الخمر عندي ذهب * أكيلها بالقدح

وقوله أقول للكاس اذ تبدى * بكف احوى أغن أحور
أخربت بيتي وبيت غيري * واصل ذا كعبك المدور

ومن لطائفه في تغزلاته قوله

مازال يسقيني زلال رضابه * لما خفيت ضنى وذبت توقدا
ويظنني حيا وريت بريقه * فاذا دعا قلبي يجاوبه الصدى

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباته وتقوى عليه بالسيف فقال

ادعوا السيوف صقيلة من لحظه * واذا دعوت لمائه جاوبني الصدى

ومن لطائفه في مداعباته قوله

رأيت شخصا آكلا كرشة * وهو أخو ذوق وفيه فطن
وقال مازلت محبا لها * قلت من الايمان حب الوطن

وممن انتظم في سلك الجماعة وانتصر للتورية وحسن مواقعها ناصر الدين حسن بن النقيب

وجردت مع فقري وشيخوختي التي * بها اليوم نومي عن جفوني مشرد
* فلا يدعي غيري مقامي فانني * انا ذلك الشيخ الفقير المجرد *

ومن نكته الغريبة في التورية قوله

أقول وقد شنوا الى الحرب غارة * دعوني فاني آكل الخبز بالجبن

ومثل ذلك قوله أقول لنوبة الحمى اتركيني * ولا يك منك لي ماعشت أوبه
فقالت كيف يمكن ترك هذا * وهل يبقى الامير بغير نوبه

ومن لطائفه قوله قالوا رأينا العلق ينفق مسرفا * والعلق لا شيء لديه ولا معه

فاجبتهم انفاقه من جحره * قالوا صدقت لذاك ينفق من سعه

ومن لطائف ماوقع فى توريه السعة قول أبى الحسين الجزار وقدوقف على باب ابن الزبير ومنع من الدخول دون غيره فكتب رقعة وأرسلها الى ابن الزبير فاذا فيها

الناس قددخلوا كالايراجعهم * والعبد مثل الحصى ملقى على الباب

فلما وقف ابن الزبير على هذا البيت أمر بعض الخدم أن يقف على الباب وينادى ادخل ياحصى فدخل وهو يقول هذا دليل على السعة ومنه قوله

ومكرش أضحى بحلق سفله * لعساه لايشكى اليه ويشكر
ويقص لحيته فان ناديته * ابالك وهو محلق ومقصر

ويعجبنى من لطائفه قوله فى داره

ودار خراب بها قدنزلت * ولكن نزلت الى السابعه
طريق من الطرق مسلوكة * محجتها للورى شاسعه
فلافرق مابين انى أكون * بها أو أكون على القارعه
تساررها هفوات النسيم * فتصغى بلا اذن سامعه
واخشى بها أن أقيم الصلاة * فتسجد حيطانها الراكعه
اذا ماقرأت اذا زلزلت * خشيت بان تقرأ الواقعه

ومنه قوله

جود والتسجيع بالمديح على علاكم سرمدا
فالطير أحسن مايغرد عندما يقع الندى

ومن بدائع اغزاله قوله

ومابى سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلى بالعيون وغرتى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة * لقدصدقوا عين الحبيب ونظرتى

ومن لطائف مجونه قوله

نفقت لى رأس من الخيل كانت * تسبق البرق والرياح الزعازع
وابتلى الله فى المشاءراخرى * بشقاق لها عن المشى مانع
واذا قيل كم بقى لك رأس * قلت رأس لكن بغير كوارع

ومن لطائفه أيضافى توريه المطوق قوله

أنت طوقتنى صنيعا وأسمعتك شكرا كلاهما مايضيع
فاذا ماسجعت سجعى فانى * أناذاك المطوق المسموع

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة سجع المطوق ووصل به عدة مقاطيع ومن غاية تغزلاته قوله

رميت بهجتى جمرات شوق * ولم تأخذك بالمشتاق رأفه
فهرول دمع عينى فوق خدى * ومأحصلت له مع ذاك وقفه

ومن لطائف مجونه قوله

قال لى الواسع صف لى * مثل ماأعرف وصفك
أين باب الخرق قل لى * قلت باب الخرق خلفك

وتلك الشيم الحسان وتلك الليالى القصار وما كنا نتجاذبه من حديث ونتنازعه من جدال فانصدع ذفرات وانقطع حسرات وأموت كل ممات فبقى الله عهده عفو السحاب وجهده وانجز الله فى اجتماعنا وعده فما أقبح عيشى بعده وشتان ماحالى ولبنى وارتحاله لبنت بعيش ناصب فى عذاب واصب وخرج فاستراح من فضولى واصحت سماؤه من غيومى ومصائب قوم عند قوم آخرين فوائد وقد جعلت الشيخ أبافلان ولى عهدى فى خدمته وأقمته مقام نفسى فى مضان نعمته وولايته خلافتى فيما كنت أتولاه من مجالسه الا التجيل فانه لايبلغ كنه مقداره وليس ذلك من شأنه واسأل الشيخ السيد أن ينظر اليه بعينى ويحفظ مابينه وبينى ويخوله دائما ولايعرض عنه جانبا ويمكنه من بساطه كل وقت ويخصه بجملته ويمتع سمعى ببشارته ونظهر على صفحات حاله آثار افضاله ويشرفنى كل وقت بامره ونهيه ان شاء الله تعالى

(وكتب اليه رقعة أخرى)

كان أيد الله الشيخ العالم بين أمرين خلاف كصدع الزجاج وشر بطىء السكات ولامكاتبة ولامجاملة وانبعث رجل طالب فضل بكتاب مزور من أحدهما الى الآخر يسأله فيه العناية بموصله فتعجب المكتوب اليه وخيره بين العفو عنه ولاصلة أو يعرف الحال فان كان صادقا فله حكمه وان كان كاذبا فدمه فاختار المزور تعرف الحال فكتب الى وكيله هنالك ان يعرف الامر فى ذلك فقد خيرت موصل الكتاب بين حكمه واراقة دمه فتعرف الحال فقال الامير لندمائه ماترون فى هذا الرجل فقال أحدهم يضرب وقال الآخر يصلب فقال الامير أو خيرا من ذلك انى أصدقه ليعطى حكمه فلا نعدم مكرمة أومثوبة فصدقه هذا الامير وخيره ذلك الامير فاختار أن زوجه ابنته

وصلحت الحال بين الاميرين وجاب ذلك التزوير صلاح ذات البين وقد زورت على الشيخ تزويرا آمل أن ينفعه الله به فى الدارين
وغدا أعرّفه الحديث ان شاء الله تعالى وان أحب أن يعرف الحديث فوصلها على علم والسلام *(وله أيضا)*
لعل مثلى مع الشيخ الامام مثل التاجر مع ولده اذ جهزه من بلده بما أصحبه من مال وقال يا بنى انا وان وثقت بمتانة

عقلك وطهارة أصلك لست آمن عليك النفس وسلطانها والشهوة وشيطانها فاستعن عليهما نهارك بالصوم وليلك بالنوم انه لبوس ظهارته الجوع وبطانته الهجوع وما لبسه أحد الالانت سورته أفهمتها يا ابن المشؤمة ستحدثك النفس بمعنى اسمه القرم وتخبرك السفهاء عن شئ يقال له الكرم وقد جربت الاول فوجدته أسرع فى المال من السوس ونظرت الى الثانى فوجدته أشأم من البسوس ودعنى من قولهم أليس الله كريما بلى ولكن كرمه يزيد ناولا ينقصه و ينفعنا ولا يضره ومن كانت هذه حاله فليتكرم خصاله فاما كرم لا يزيدك حتى ينقصنى ولا يريشك حتى يبرينى فخذلان لا أقول عبقرى ولكن بقرى انه المال عافاك الله فلا تنفقن الامن الربح وعليك بالخبز والملح ولك فى البصل والخل رخصة مالم تذقهما واللحم لحمك وما أراك تأكله يا ابن الخبيثة انما التجارة صرف وبين الاكلة والاكلة صروف ربح البحر بيدان لاخطر والصين غير أن لا سفر والحلواء طعام من يعيش ليأكل ومن فليكن ممن يأكل ليعيش وأخرى ما للتجار وافضول العيش خذ هذا وحسبك ثم أنت الآن وكسبك فلما فصلت العير لجت بالفتى همة العلم فانفق ما صحبه فى طلبه فلما انسلخ من طارفه وتالده رجع بالقرآن وتفاسيره الى والده فقيرا الاعلاك نقيرا وقال يا أبت جئتك

ومن غرائب النكت قوله

أبيات شعرك كالقصو * ر ولا قصور بها يعيق
ومن العجائب لفظها * حر ومعناها رقيق

ومن بديع اختراعاته قوله

قالوا قد احترقت بالنار راحته * وهى الغمام ومنها الوابل الغدق
وقال قوم وما خالوا وما وهموا * بانما النيل قلت النيل يحترق

ومن غريب نكته قوله

بخالد الاشواق يحيى الدجا * يعرف هذا العاشق الوامق
فخذ حديث الوجد عن جعفر * من دمع عينى انه الصادق

ومن بديع تغزله قوله

يا مالكى ولديك ذلى شافعى * مالى سألت فما أجبت سؤالى
فوحدك النعمان ان بليتى * وشكايتى من جفنك الغزالى (لى)

ومن بديع غزله قوله

أقول لمن جفنه سيفه * ولكنه ليس يخشى نبوه
تكلف جفنك حمل الفتور * وأخرج فيه من الضعف قوه

ومن نكته الغريبة قوله

قلت لسقم الجسم منى وقد * أفرط بى فرط ضنى واكتئاب
فعلت بى يا سقم مالم يكن * تابس والله عليه الثياب

وممن حصل الجلاء لعيون التورية بلاطفته الحكيم شمس الدين بن دانيال من لطائفه قوله

ياسائلى عن حرفتى فى الورى * واضيعتى فيهم وافلاسى
ماحال من درهم انفاقه * يأخذه من أعين الناس

ومنه قوله

كم قبل لى اذ دعيت شمسا * لابد للشمس من طلوع
فكان ذاك الطلوع داء * برقى الى السطح من طلوعى

ومن لطائفه أيضا قوله

ماعاينت عيناى فى عطلتى * أقل من حظى ومن بختى
قد بعت عبدى وحمارى معا * وصرت لا فوقى ولا تحتى

ومن لطائفه أيضا فى جارية تضرب بالدف واجاد قوله

ذات القوام الذى يهتز غصن نقا * لو مر يوما عليه طائر صدحا
تبدى على الدف كالجار معصمها * انقره بنان يشبه البلحا
غنا وها رقيق الغنج تمزجه * فما ينقط الاكل من رشحا

ومن اختراعاته البديعة قوله

أيا سائلى عن قد محبوبى الذى * فتنت به وجدا وهمت غراما
أبى قصر الاغصان ثم رأى القنا * طوالا فأضحى بين ذاك قواما

ومن أحيا رسوم التورية وأظهر خفيها القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ومن نظمه فيها

لقد قال كعب في النبي قصيدة * وقلنا عسى في فضلها نتشارك
فإن شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك

ومن لطائفه قوله

لا ينقل الروض أحاديثه * عن عين غمام غدت حافيه
فإنه ينقل أخباره * إلى أعين عنده صافيه

ومثله قوله

يا قاتلي بلحاظ * قتيلها ليس يقبر
إن صبروا عنك قلبي * فهو القتيل المصبر

وقال

إن لوزي جلق * واهن الحبل والقوى
لم يكافك كسره * فالق الحب والنوى

ومن نظمي في هذا المعنى في المشمش السلطاني بحماة

قال سلطاني حماة عندما * أجلسوه مذ أتاهم في الصدور
مشمش الشام يقوى قلبه * يوم نقع فهو قد أضحى وزيري

ومن لطائف القاضي محيي الدين قوله

شكر النسيمة أرضكم * كم بلغت عني تحيه
لا غرو إن حفظت أحا * ديث الهوى فهي الذكيه

وهذه النكتة أخذها الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

يا طيب نشر هب لي من نحوكم * فأثار كامن لوعتي وتهتكي
أهدى تحيتكم وأشبه لطفكم * وروى شذا كم إن ذا نشر ذكي

وأشار إلى هذه السرقة الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة بقوله ولم يخرج عما نحن فيه من التورية

إن ابن أيبك لم تزل سرقاته * تأتي بكل قبيحة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه * جهلا فراح كلامه في الريح

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

لا تسلني عن أول العشق إني * أنا فيه قديم هجر وهجره
من دموعي ومن جبينك أرخت * غراما استهل وغره

وتطفل الشيخ عز الدين الموصلي على هذا المعنى ولكن سبكه في قالب حسن بقوله من قصيد

يا ما جرى عاما لقد ضل عاذلي * وليس له وجه وتاريخه سلخ

ومن لطائفه قوله بمنزلة القطيفة بالقرب من دمشق

هذي القطيفة التي * لا تشتهي عقلا ونقلا
حيث برد يابس * فلأجل ذاك الحشو تقلى

ومن لطائفه قوله

ضفر الشعر وألقى * خلفه كالقطن وفره
قلت ماذا قال شيب * قلت والله ودره

ومن لطائفه قوله في معشوقه المغني المسمى بالنسيم

إن كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا

بسلطان الدهر وعز الأبد وحياة الخلد جئتك بالقرآن وتفاسيره والحديث بأسانيده والفقه بأبوابه والكلام بأفانينه والشعر بغريبه والنحو بتصاريفه واللغة بأصولها فاجتن العلم نورا ونورا والآداب حرا وحرا فأتى به إلى السوق وقدمه للصراف والبزاز والعطار والخباز والقصاب وانتهى إلى البقال فساومه عن باقة بقل وقال انتقد تفسير أي سورة شئت فتنحى البقال وقال إنما يبيع بالكسرة المكسرة لا بالسورة المفسرة فأخذ الوالد ترابا بيده ووضعه على رأس ولده وقال يا ابن المشؤمة ذهبت بقناطير وجئت بأساطير لا يبيع بها ذو عقل باقة بقل والقصة أيد الله الشيخ الإمام فهي قصتي معه أنفقت عمري وروحي وقلبي ونفسي على صداقة من لم يشمر لي في كتاب شكر هبني أتأول في الخاتمين فأقول الفص ياقوت أحمر والفضة جوهر أزهر والفيروزج علق يذخر فما أقول في درج كاغد أقول لم أساوه أم لم أبالغ كنه شأوه لولا أن كون صديق صداقة أسقطت هذا العتاب سياقة تحل عرى الرقدة قبح الله الطمع لولا أن الود شاركه والأنف تداركه لقد كان يوجد الحساد مقالا القافلة راحلة غدا أو بعده فلينجز في الكتاب وعده موفقا رأيه إن شاء الله تعالى

(وكتب أيضا)

إنه أيد الله الشيخ ما بي الحيطان لكن القطان ولا المكان لولا السكان وقد كنت أسمع الناس يقولون إن الإنسان لولده أحب منه لوالده فأنكرت ذلك طبعا وأنظمته شرعا فيه قال لي إنك لم تذق حلاوة الأولاد فأقول لعل ويوشك وأنسب ذلك إلى لؤم الفطرة وسوء الخلقة وخبث الطينة والقشر المطبوع بالحمأ المسنون حتى ولدت وحسب العاقل نص الكتاب مكان البنات خير زكاة وأقرب رحما لعمري إن لي بها شغف الوالد بالواحد وما أودان لي بدلا عشرة

مثلا ومع ذلك فليس في حل من ظن اني لا أجعلها لسيدنا أدام الله عزه فداء وانتظر دعاء وندا ولا ابتدارا ولا ابتداء على بذلك ميثاق
من الله غليظ والله على ما أقول حفيظ وأجدني اذا قرأت قصة الخليل ابراهيم في الذبيح اسمعيل صلوات الله عليهما أحس لنفسي من
سيدنا ادام الله عزه بتلك الطاعة لو وقع البلاء والعافية أوسع وأظنه لو تلني للجبين أو أخذ مني باليمين وقطع
الوتين لصمته عن الانين وبين الضمان والوفاء علم الله المحيط وبينهما من الترجيح ما بيني وبين الذبيح وربما نظر في كتابي هذا من لم يعرف بعد الضمان من الوفاء وبينهما ما بين الارض والسماء فيراني أهرف وما أراه يعرف انه وان بعد المثل اختلف قوم في عمر بن عبد العزيز والحسن بن يسار أيهما أفضل فقال أولو التميز عمر بن عبد العزيز وقال أهل الابصار الحسن بن يسار وانما أردت بأولي التمييز نظارة القلوب وبأهل الابصار نظارة العيون فسئل الحسن عن ذلك فقال عمر خير مني لانه ملك فعف ووجد فاخف ولعل الحسن لو وجد لاخذ وصدق رحمه الله ليس الزاهد عن جدة كالزاهد عن عدة وليس من فعل لكن وعدان يفعل وشد ما أعرف بركات دعاء سيدنا واستظهر بها على الخطوب فليمدني بها ادبار الصلوات وادبار النجوم ان دعاء الفجر كان مشهودا وعلى لسيدنا أيده الله ورد صباح ومساء من صلاة ودعاء فليرق لي اني الى حركات لسانه فقير وهو بان يفعل جدير والله على أن يستجيب قدير ماتراها

(وله اليه أيضا) يبسط سيدنا لي سمعه ويقف عليه من لا يتهم عقله ان هذا السلطان لما ارتحل عن بلاد خراسان الى
دار الهند وهي سيف وأصبح السيف وهو دم فتن تنشظي ونار تلظي وناس يأكل بعضهم بعضا وبعث الفساد أهله فالنهار مصادرة

فأنا الذي أتلو لهم يا ليتني * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومثله قوله فيه

يا من غدا لي من عوا * صف هجره الريح العقيم
اترى يطيب لي الهوى * ويقال لي رق النسيم

ومن لطائفه قوله

سل سيفا من جفنه ثم أرخى * وفرة وفرت عليها الجميلة
ان شكا الخصر طولها غير بدع * لنحيل يشكو الليالي الطويلة

وألم به ابن العفيف فقال

حل ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منها الغوالي
فقلت والقصد ذؤاباته * ياسهري في ذي الليالي الطوال

وهذا المعنى تلاعب به جماعة من المتأخرين ولولا الخيفة من طول الشرح لذكرت ذلك ولكن لا بد أن يرد على المتأمل في مواضعه ويعجبني قوله

وبروحي هويته عجميا * لي لذت ألفاظه الغتميه
كم حلا عجمة فقلت لحلي * خلني والحلاوة العجمية

ومن لطائف مجونه قوله

وأعور راعين ظل يكشفها * بلا حياء منه ولا خيفه
وكيف يلقى الحياء عند فتى * عورته لا تزال مكشوفه

ومنه قوله

قال لي العلق وقد جئته * أريه ارا فاق في حسنه
اترك هذا مات قلت انحني * كرامة الميت في دفنه

ويعجبني من خمرياته قوله

خمرة للشقيق أمست شقيقه * بنت كرم بالمكرمات خليقه
قال قوم من لطفها هي في الكا * س مجاز والكاس فيها حقيقه
انتجت فرحة وجاءت بكاس * صبغت حمرة فنعم الشقيقه

ومن بديع اقتباسه بالتورية قوله

بابي فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين
كم قد نعت عواذلي عن وجهها * لما تبدت بالتي هي أحسن

هذا الاقتباس بالتورية أخذه الشيخ جمال الدين بقافيته ولكن زاده ايضاحا بقوله

يا عاذلي شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتي ألذ وأزين *
فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتي هي أحسن

وألم به الشيخ عز الدين الموصلي وما خرج عن ايضاحه أيضا بقوله

قد سلونا عن المليح بخود * ذات وجه به الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتي هي أحسن

ومن لطائفه قوله

ذات طوق وذات زيق تغني * فتني بالوجد من ليس يدري
زيقت ثم كاشفتنا فقلنا * للذ زيق الغنى ولي زيق فقري

والليل مكارة وقتل عمرو وقتل زيد وانج سعد فقد هلك سعيد وغن الرأس منديل والبينة العادلة سكين ودار الحكم بيت القمار
واليمين الغموس فلان الجمار والجامع حانة الخمار وخير الاسواق ما يسرق وشرها ما يحرق والسعيد من سلب والشقى من صاب ولا

ما تراها قد حدثت خاطرا انهشر بما قد جرى وما منه يجرى

ومن لطيف كلامه قوله

وبطحاء فى وادر وقلت روضها * ولاسيما ان جادغيث مبكر *
تلاحظها عين تفيض بادمع * بزرقها منه هنالك محجر *
اذا فاخرتها الريح وهى عليلة * باذيال كثبان الربا تتعثر *
بها الفضل يبدو والربيع وقد غدا * بها الروض يحيى وهو لاشك جعفر

وقال فى مليحة اسمها وردة

بابى وردة مولدة الحسن دعوها بوردة البستان
فى التصاوير مثلها ليس يلفى * فيقولون وردة كالدهان

ومن تواريه الغريبة فى المواليا فى مليح مشطوب

للطرف أحورجى من حسنك السرحه * كم قد أغار على العشاق فى صبحه
لما علمت بانو سابق اللمعه * عليه خفت فشطبتو على صحه *

ومن نكته الغريبة فى اغزاله قوله

ذباب السيف من لحظ اليه * لاخضر صدغه حسن انتسابى
ولا عجب اذا ما قيل هذا * له صدغ زمرذه ذبابى *

ومن اختراعاته الغريبة قوله

كتبت لكم من أعين القصب التى * لها من معانيكم ومن نفسها طرب
فان أطرب التشبيب فيها بذكركم * فكم أطرب التشبيب من أعين القصب

ومن هنا أخذ المعمار فقال

هو يته مشبها * جماله برجبى *
تسيم قلبى بالجفا * زمن عيون القصب

ومن مخترعات القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر قوله

ملأت الليالى من علا وختمتها * فقد أصبحت محشوة بمكارمك
ختمت عليها بالثريا فقل لنا * اهذا الذى فى كفها من خواتمك

ومنه قوله يا سيدى ان جرى من مدمعى ودمى * للعين والقلب مسفوح ومسفوك
لا تخش من قود يقتص منك به * فالعين جارية والقلب مملوك

ومنه قوله ذو قوام يجور منه اعتدال * كم طعين به من العشاق
سلب القضب لينها فهى غيظا * واقفات تشكوه بالاوراق

ومنه قوله يا رب كاس صرت من شربها * من بعد رشفى ريق معشوقى
ملتهب الاحشاء نارا لان * شربتها منه على الريق

ويعجبنى منه قوله أنت من وجه ولحظ * لك دينار وكسر

هذا الدينار والكسر اغتصبه الشيخ جمال الدين بن نباتة ولم يسبكه فى غير قالبه فقال

افدى حبيبالى الى * مرآه طول الدهر فقر

وكل يوم تهديد ورعب جديد فقلت
ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلا
به الخطب الا وهو للقصد مبصر
فلقيت صدور نيسابور وقلت حتام هذا البلاء والعلاج قريب المأخذ وهلا نفر من طائفة الغزاة الى هؤلاء الغواة وآزرهم أهل الصلاح وأنا أول من دعا الى هذا الامر وأجاب اليه وبذل فيه وأنفق عليه ففعلوا وما كان سواد ليلة حتى علت كلمة الحق وباد أهل الفساد وان جرح الجور قريب الغور وان نار الخلفاء سريعة الانطفاء وان كيد الشيطان ضعيف ثم أسمع الآن بهمذان من خراب واضطراب وباموالها من ذهاب وانتهاب وباسواقها من فساد وكساد وباسعارها من غلاء وباهلها من جلاء أفليس فيهم رجل رشيد يجمع كلمة أهل الصلاح عجبا من تعاون المفسدين على أخذ ما ليس لهم وتخاذل المسلمين عن منع مالهم وأعجب من ذلك تدبير خراسان انه والله
يحزننى ما أسمع فينطقنى بما تسمع وقد كنت هممت من قبل بالقفول فاردنى عن تلك الديار الامؤلم الاخبار انى وان كنت بهذه
الامصار امشى على الابصار قبولا عند السلطان ووجاهة عند العوام مقصوص جناح المسار اطير الى الاوطان كل مطار كان الامر
يصل رجمى كل عام بكتاب ثم قطع عادة بره وأراه محا اسمى من صحيفة صدره وقد أهديت له فارتى مسك تصلان بوصول كتابى هذا اليه

في خــــده وجفونه * للحســن دينار وكسر

وهذه زاوية اخترتها من ديوان الشيخ الامام العلامة شيخ الشيوخ عبد العزيز الانصاري الحموي سقى الله ثراه أما بعد حمد الله الذي أطلعنا من زوايا الادب على خبايا * وأرشدنا بمشايخ شيوخه الى سلوك مافيه من المزايا * والصلاة والسلام على نبيه الذي اختاره فكان نعم المختار * وعلى آله وصحبه المنتظمين في سلك هذا الاختيار * فقد انتهى ما أوردته منوعا في التورية من الحلاوات القاهريه * وقد تعين ان افكه المتأمل بعد ذلك بالفواكه الشاميه * واقتطف له من فروع شيخ الشيوخ ما ظهر به مزية الثمرات الحمويه * وقدرة السلطنة في الادب وناهيك بالسلطنة الشيخيه * فاخترت من أبيات قصائده ومواصيل مقاطيعه ما يحلو بها التشبيب * وسميته زاوية شيخ الشيوخ علما بانها زاوية يتأهل بها الغريب * والله تعالى يجعلنا ممن تخير العمل الصالح فاحسن * وسمع القول فاتبع منه الاحسن * فمن ذلك قوله من قصيدة

ويلاه من نومي المشرد * وآه من شملي المبدد
يا كامل الحسن ليس يطفي * ناري سوى ريقك المبرد

منها وصل الى المخلص وهو في غاية الحسن قوله

غصن نقا حل عقد صبري * بلين خصر يكاد يعقد
فمن رأى ذلك الوشا * ح الصائم صلى على محمد

ومنه قوله من قصيد لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره

تعاملني بما يحلي سلوي * ولكن ليس في حلوم راره

ومنه قوله وهو مطلع قصيد

حروف غرامي كلها حرف اغراء * على أن سقمي بعض أفعال أسماء

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين وقال

أودت فعالك يا أسما بأحشائي * واحيرتي بين أفعال وأسماء

ومن بديع نكته قوله

وبدر دجى لم ينتقل كسميه * ولكنه مازال في القلب والطرف
يلوح لعيني ماشق قانون صدغه * فاعبد خلاقي على ذلك الحرف

هذه النكتة أخذها ابن الوردي بقافيتها وغالب ألفاظها ومعناها فقال

* يا بدرتم نوره باهر * منزله في القلب والطرف
صدغك حرف النون في مشقه * من يعبد الله على حرف

ولعمري انها سرقة فاحشة ومنه قوله

أقام لخده الناري عذارا * ومذ أقصى عذاري وهو لجي
حمى مرج العذار بمقلتيه * فامشي الناس في هرج ومرج

ومنه قوله في التورية مع بديع الاقتباس

يا نظرة ماجلت لي حسن طلعته * حتى انقضت وأدامتني على وجل
عاتبت انسان عيني في تسرعه * فقال لي خلق الانسان من عجل

وبينهما من السلام أطيب منهما عرفا وسيدنا يوصلها ما اليه ويصله بهما وصله بهما او القاضي مولاي أبو فلان لا يذكرني الاسرا ولا يأتيني الانزرا وهو الحلب وما يحجب والنفس وما تخدم وقد أهديت اليه فأرة مسك معها أختها من السلام العم مولاي أبو القاسم في سعة من العقوق يركض وان كان سيدنا يعتذر عنه بما يعلم عبده وقد اتحفته بفأرة مسك تصل اليه الفقيه فلان اذا نسيت الناس أذكره واذا طويت الجميع انشره البر قديما وحديثا الزكي أولا وآخرا قد بعثت اليه فأرة مسك كأنما اشتقت من اخلاقه سيدي فلان ضالتي التي نشدتها وعدتي التي ذخرتها وله فأرتا مسك وعليه قبولهما سيدي أبو فلان له من صدري شعب فارغ ومن قلبي محل عامر وعليه السلام وله فأرتا مسك يصل بهما سيدنا سيدي أبو فلان وكريمته العمة يصحبان مثالا لعيني ويمسيان خيالا لقلبي وقد أهديت لهما فأرتي مسك وما طاب وعذب من السلام العمات مخصوصات بالسلام وقد وصلتهن بفأرتي مسك يقسم بينهن سيدي أبو فلان قد سرني اقباله على العلم وتوسطه الادب واشتد عضدي به والله يبقيه وله فأرة مسك ولمن وراءه سترهم الله مثلها وقد خدمت مجلس سيدنا بخمس وعشرين نافجة تبتيه خاصة لخاصته وأوصيت شيخي أبا نصر العطار أن يتأنق في ابتياعها واختيارها ويحتاط في انفاذها وايصالها وقرنت من العود الهندي الرطب بها نصف رطل ويصل اخذه بوصولها جبة حلة معينة وزوج خاتم أحدهما منقوش بلا اله الا الله والآخر بدخشاني لطيف وسيدنا يعتذر عني الى الاخ في تأخير ما طلب من الزبيب الطائفي فان ذلك أمر يتصل بفراغ البال وسعة الوقت واذا وجدتهما أهديت له مائة وقر سيدي ماله

قطع عادة فضله فى اهداء السلام والكتاب المفرد وسيدنا أولى من عاتبه ليعود الى الحسنى بمكانة معتدة فدا أهديت له فارة مسك ليوسعه تذكرة ويوسعنى معذرة واسيدنا فى الوقوف على ما كتبت به وتشريفى بالجواب رأيه الموفق ان شاء الله تعالى (وله أيضا) كتبت أطال الله بقاء الشيخ الجليل وأنا فى هياط ومياط ووجع اختلاط بزاق بمزوج بمخاط وسعال مجون بضراط فان نشط لى فى هذه الحالة فالقدر القدر وان لم ينشط فالحذر الحذر والسلام

(وله الى فقيه نيسابور)

وصلت رقعتك وشكرت فى الذب عنى فضلك ومثلك من ذب عمن أحب لكن الذب أبواب ولكل امرئ جواب ولو آثرت الحلم لكان أولى بك وأحب الى واذا أبيت الا أن تعطى المروأة مرادها كان الصواب ان تحفظ تلك الابواب أولها أن تعلم انه ليس فى أبواب الذب أضعف من السب واذا تلوت قول الله عز وجل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا علمت أن سلاح خصمك أقوى والناس رجلان كريم ولئيم وكل بان لا يسب حقيق ان الكريم لا ينكر الفضل وان النذل لا يألم العذل ببعلك منه عرضا لم يصنه ويرتع منك فى عرض مصون وهلم أفرض لك مسئلة الذب فى الذباب لتعلم ان اتقاءه بالمكبة خير من اتقائه بالمذبة وان ذبه بالمظلة أبلغ من ذبه بالمذبة وان كان لا بد من انتقام واستيفاء فاعيذك بالله ان تجهل أن آذان الانذال فى القذال وهى آذان لا تسمع الا من ألسنة النعال الادم أو رجة أكف الخدم وعلامة فهمها جحوظ العينين وخدر اليدين فان تاب والا كررت هذا العتاب ووجدتك أيدك الله تعجب ان يجعل لئيم فضل

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وجعله مطلعا لقصيدة فقال

انسان عينى بتعجيل السهاد ملى * عمرى لقد خلق الانسان من عجل

ومنه قول الشيخ عز الدين شيخ الشيوخ وتلطف ماشاء مع قصر الوزن

وغمام معربد * ببروق وزجره * غادر الروض ناضرا * بعيون مخضره

ومنه قوله قلت وقد عقرب صدغاله * عن مشقه الحاجب لم يحجب

قد سدت يارب الجمال الذى * ألف بين النون والعقرب

وقال وتلطف ماشاء وأظنه أول من ورى بهذه النكتة

افدى حبيبا رزقت منه * عطف محب على حبيب

بوجنة ما أتم رجى * وقد غدا وردها نصيبى

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وغيره وقول الشيخ جمال الدين بن نباتة

فديتك غصنا ليس يبرح مثمرا * من الحسن فى الدنيا بكل غريب

تفتح فى وجناته الورد احمرا * فياليت ذاك الورد كان نصيبى

ومنه قوله لا تنس وجدى بك ياشادنا * بحبه أنسيت أحبابى

مالى على هجرك من طاقة * فهل الى وصلك من باب

ومنه قوله مرضت ولى جيرة كلهم * عن الرشد فى صحبتى حائد

فاصبحت فى النقص مثل الذى * ولا صلة لى ولا عائد

ومن هنا أخذ الشيخ عز الدين الموصلى وقال

أهل دمشق قد مرضت عندهم * وما قصدت نحوهم بمسئله

مع علمهم بانى انا الذى * ولا أتانى عائد ولا صله

ومنه قوله قالوا أما فى جلق نزهة * تنسيك من أنت به مغرى

ياعاذلى دونك من لحظه * سهما ومن عارضه سطرا

السهم وسطرى من منتزهات دمشق المشهورة ومن هنا أخذ الشيخ جلال الدين بن خطيب داريا وقال سألتكما ان جئتما الشام بكرة * وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا

قفا واقرآ منى كتابا كتبته * بدمعى لكم مقرا ولا تنسيا سطرا

ومقرا أيضا من منتزهات دمشق وحسن بعدها ذكر سطرا ومنه قوله واجاد

سبحان مورثه من حسن يوسف ما * لم يبق فى الجرلى والصبر من حصص

اقام للشعراء العذر عارضه * فكم لهم من دبيب النمل من قصص

ومنه قوله ولقد عجبت لعاذلى فى حبه * لما دجا ليل العذار المظلم

أوما درى من سنتى وطريقتى * انى أميل مع السواد الاعظم

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وغيره فاما ابن نباتة فانه أخذه وزاد قافية وقال

أهواه معسول الرضاب منعما * ولقد يعذبنى الهوى بمنعم

ياقلب هذا شعره وجفونه * صبرا على هذا السواد الاعظم

ومن لطائفه قوله اكملت ستا وأربعينها * اخلت هموى من راحتى ربى

صديقك فيغض عليك رجال الله ان الذى تعجب منه يسير فى جنب ما يجحده الانسان ان الله تعالى خلق أقواما وشق لهم اسماعا وأبصارا فغاصوا بها على عرق الذهب حتى قصدوه ولم يزالوا بالنجم حتى رصدوه واحتالوا للطائر فانزلوه من جو السماء والحوت فاخرجوه من جوف الماء ثم يجحدوا مع

هذه الافكار الغائصة والاذهان الناقدة ما نعهم فقالوا اين وكيف حتى رأوا السيف فلم تعجب يا فقيه ان يجحدوا فضلا ليست الارض بساطه ولا الجبال أسماطه ولا السماء فسطاطه ولا الليل رباطه ولا النهار سراطه ولا النجوم اشراطه ولا النار شياطه وأراك أيدك الله تغلو اذا وصفتنى ودونها فيحصل المراد ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ العميد أبى الحسين)

ما أشبه وعد الشيخ العميد فى الخلاف الا بشجر الخلاف خضرة فى العين ولا ثمر فى اليدين فالا ينفع الموعد والانجاز لمن يعد ومثل الوعد مثل الرعد ليس له خطر مالم يتله مطر كان أيد الله الشيخ فى جيراننا رجل فاره الافراس فاخر اللباس لا يعد من الناس فلا تظن ان الانسانية بساط قونى ولا ثوب سقلاطونى ولا تقدر أن المكارم ثوبان من عدن ولا قعبان من لبن المجدورا ،هذا الصف وقد طال مقامى وامتدت أيامى فلا تذكرة من فعل ولا معذرة من قول

وحزت فى السبع خائفا وجلا * لانى جائز على سبع

ومن نكته اللطيفة قوله

هزم الهم عن نداماى راح * حظيت من سماعهم بلحون
لم تكد فى الكؤس تظهر لطفا * فبدت من خدودهم فى الصحون

ومن لطائف مجونه قوله

سألته من ريقه شربة * اطفى بها من كبدى حره
فقال اخشى ياشديد الظما * أن تتبع الشربة بالجره

ومن هنا أخذ المتأخرون ومن نكته اللطيفة ما كتبه على جرن حمام السلطان بحماة

كملت لطفا ووقارا على * ماحزت من أوصافى الحلوه
من أجل هذا صرت أهلا لان * اجالس السلطان فى الخلوه

وممن اجار رقيق التورية من غلظ العقادة الامير مجير الدين بن تميم فمن ذلك قوله

لما لبثت لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
اجريت واقف أدمعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا *

ومن لطائف نكته قوله فى كتاب

يا حسنها نسخة يلهو مطالعها * بها وقد حوت من رائق الكلم
صحت وقد لطفت اجزاؤها فحكت * لطف النسيم وحاشاها من السقم

ومنه قوله

بتناجيه اوبات لثمى * لحمى ثغره مباح
فمات منى الظلام غيظا * وانشق من غيظه الصباح

ومنه قوله

وساقية تدور على الندامى * وتنهرهم اسرعة شرب خمر
سنشكر يوم لهو قد تقضى * بساقية تقابلنا بنهر

وهذه النكتة تلاعب الناس بها كثيرا ومن نكته الغريبة قوله فى سجادة

ايا حسنها سجادة سندسية * يرى للتقى والزهد فيها توسم
اذا ما رآها الناسكون ذوو الحجا * أمامهم صلوا عليها وسلموا

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

ان سجادتى الحقيرة قدرا * لم يفتها فى بابك التعظيم
شرفت اذ سعت اليك فامست * وعليها الصلاة والتسليم

وتطفل عليها الشيخ زين الدين بن الوردى أيضا فقال

سجادة اذكرتنى * منك الذى كنت أعلم
أهديتها للمحب * صلى عليها وسلم

ومن قوله وهو من ألطف أغزاله

ياحسن أهيف حظه من حبنا * طيب النعيم وحظنا منه الشقا
قدم العذار الى نقا وجناته * يامرحبا بقدوم جيران النقا

ومن نكته الغريبة قوله فى مليح جرح جبينه

(وكتب الى أبى نصر الطوسى) كتابى عن سلامة ونعمة وأحوال على النظام جارية وشوق اليك بكوا وتواجد عليك واعتداد بك وعلق فيك واستيحاش منك وخلوص مقة لك والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين ولك ياسيدى أيدك الله خلال خير وخصال فضل لا يدفعك عنها أحد ولك فى أكثر المكارم اسان ويد

ولا تخلو معها من حزونة طوسية وجل طاوسية ولو عربت منه ما لكنت الامام الذى تدعيه الشيعة وتنكره الشريعة
وكنت عزمت عزم يقين ان لا اكاتبك عاما عقوبة لك على اخلالك بما عودتنى من خلالك ثم وجدت مرآة شوقى اليك جديدة ووطأة
الفطام عنك شديدة فاستخرت الله تعالى فى نقض العزيمة ولا يسعك دينا ومروأة أن لا تتدارك حظى منك
وحظك منى بما وجدت اليه سبيلا فافعل ذلك قبل أن ادكم الحال بينى وبينك فارميها من عال فلا تجد الافتانا وقد كلفت فلانا أشغالا قبلك ومهمات نصورها لك فلا تالوه فيها معونة ان شاء الله تعالى وكنت رسمت لفلان أن لا يخلينى اسبوعا من كتاب وان استطاع ان يزيد زاد فجزاه الله عن الانسانية جزاء وأحسن عنها عزاءه وان لم تر أهلا للمكاتبة فها وراءها عليك قياس والله المستعان ورأيك سيدى فى اسعادى بكتبك الى أن تسعدنى بقربك موفقا ان شاء الله تعالى

م(وله الى الشيخ الرئيس أبى عامر عدنان بن محمد)م

معاذ الله لا أشفع اضاربه القلب ولا أرضى له غير الصلب واعتقد فى دار الضرب أنها دار الحرب ولكن يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وما أرى يخفى على الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه أن ضرب القلب من ضربان القلب بحيث لا يتسع للرقيعة ولا يتفرغ للوقيعة
ورضى من صاحب دار الضرب رأسا برأس لا ولكن هذا البائس كان يتعيش من دار الضرب عيشة أمثاله من العمال فحرم منها
قوته فهدده صاحب دار الضرب بانهاء خبره ونهاه أبو الحسن أيده الله ونهيته فأبى الا الاصرار وخاف صاحبه منه فألصق
به هذه السمة ثم أنا طوع الشيخ الرئيس السيد أدام الله عزه فان رأى غير ما رأيته وولانى قتله توليته والسلام (وكتب اليه

بكوا الجراحة شقت جبين الـ * ـحبيب فقال ماضر الجراح
أليس جبينه صبحا منيرا * ولا عجب اذا انشق الصباح

ومن لطائفه قوله

وعيرنى بالشيب قوم احبهم * فقلت وشأن العاشقين التحمل
بعثتم الى رأسى المشيب بهجركم * ومهما أتى منكم على الرأس يحمل

وهذه النكتة أيضا تلاعب بها المتأخرون بعد ابن تميم كثيرا ومن لطائف نكته أيضا قوله

ونهر حالف الاهواء حتى * غدا طوعا لها فى كل أمر
اذا سرقت حلى الازهار ألقت * اليه بها فيأخذها ويجرى

ومثله قوله سرق النسيم حلى الغصون بسحره * لما أتاها وهى فى اطرابها
ورمى بها نحو الغدير فضمها * فى صدره من خوفه وجرى بها

ومن بدائع نكته وليلة بت أسقى فى غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ومن لطائف نكته فى أغزاله قوله

خليلى قد صاد الفؤاد بحسنه * غزال به عذر المحبين واضح
ولا غرو ان صاد الفؤاد بلحظه * ألم تعلما أن العيون جوارح

ومن لطائف نكته فى اغزاله أيضا قوله

وقالوا بدا خط العذار بخده * فأضحى سعيد الخد وهو معذر
فقلت خيال الشعر ما قد رأيتم * فان صح ذاك الخط فهو مزور

من هنا أخذ الشيخ صلاح الدين ولكن زاده نكتة أخرى بقوله

عيناه قد شهدت بأنى مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
ياحاكم الحب اتئد فى قتلتى * فالخط زور والشهود سكارى

ومن نكته الغريبة قوله

ايا ذا الذى قد كف كفيه عامدا * عن الجود خوف الفقر ماذا السائغ
اتخشى سهام الفقر مادمت منفقا * نصيبك والنعماء عليك سوابغ

ومن نكته الغريبة قوله

ونهر يحب الروض أصبح مغرما * يروح ويغدو هائما بوصالها
اذا بعدت عنه شكا بخريره * جفاها وأمسى قانعا بخيالها

ومن لطائف مجونه وقواد بعيد الهجر وصلا * وطول البعد قربا واتفاقا
يكاد لحكمة فيه والطف * يقود بلا أزمتها النياقا

ومن نكته البديعة الغريبة فى باب التورية قوله

لما حسبتك بالمديح ولم أكن * أدرى بانك خامل فى الناس
ناديت لما ان حسبتك بالهجا * اكليب خذها من يدى جساس

ومنه قوله مذ لاحظ المنثور طرف النرجس الـ * ـمزور قال وقوله لا يدفع

أيضا) لم يكن أطال الله بقاء الشيخ الرئيس السيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار والمهاجرين مانى وقتنا هذا للمؤاجرين وماجاز لعليه الاصحاب مايجوز الآن لازواج القحاب وقد نبغت نابغة ونجمه مت زنابغة لا يردرؤسهم شئ فلو شاء الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه أراحنى منهم (٢٦٠) واغنانى عنهم وقد كثر تردد أصحابى الى فلان فما يعيرهم الاأذنا صماء أونابا أصم وانما يتولى حارها من تولى قارها ومن لم يتول منافعها لم يتول مضارها وان كان لا بد من صاحب يثقل فعل غيرى من الناس على هذا القياس ان شاء الله تعالى

(وكتب الى الشيخ أبى الحسن أحمد بن فارس جوابا عن كتاب كان ورد عليه منه يذم الزمان فيه) نعم أطال الله بقاء الشيخ الامام انه الحمأ المسنون وان ظنت الظنون والناس يسبون لآدم وان كان العهد قد تقادم وارتبكت الاضداد واختلط الميلاد والشيخ الامام يقول فسد الزمان أفلا يقول متى كان صالحا أفى الدولة العباسية فقد رأينا آخرها وسمعنا أولها أم المدة المروانية وفى أخبارها لا تكسع الشول باغبارها أم السنين الحربية والرمح يركز فى الكلى والسيف يغمد فى الطلى ومبيت حجر فى الفلا والحرتان وكربلا أم البيعة الهاشمية وعلى يقول ليت العشرة منكم براس من بنى فراس أم الايام الاموية والنفير الى الحجاز والعيون الى الاعجاز أم الامارات العدوية وصاحبها يقول وهل بعد البزول الا النزول أم الخلافة التيمية وصاحبها يقول طوبى لمن مات فى نأنأة الاسلام أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكتى يافلانة فقد ذهبت الامانة أم فى الجاهلية ولبيد يقول ذهب الذين يعاش فى اكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الاجرب أم قبل زاد

فتح عيونك فى سواى فاننى * عندى قبالة كل عين أصبع

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

أيا حسنها من روضة ضاع نشرها * فنادت عليه فى الرياض طيور

ودولابها كادت تعد ضلوعه * لكثرة مايبكى لها ويدور

النكتة فى يدور وفى ضاع دارت بين ابن تميم وبين الجماعة وتسلسل دورها منهم بدر الدين يوسف ابن لؤلؤ الذهبى بقوله وروضة دولابها * الى الغصون قد شكا

من حين ضاع نشرها * دار عليها وبكى

ومنهم الشيخ جمال الدين بن نباتة بقوله

وناعورة قسمت حسنها * على واصف وعلى سامع

وقد ضاع نشر الربا فاغتدت * تدور وتبكى على الضائع

ومنهم الشيخ صلاح الدين الصفدى ونقل المعنى الى الغزل بقوله

أضحى يقول عذاره * هل فيكم لى عاذر

الورد ضاع بخده * وانا عليه دائر

وبعضهم نقصه وقنع بالدور بقوله

أبدى لنا الدولاب قولا معجبا * لما رآنا قادمين اليه

انى من العجب العجيب كما ترى * قلبى معى وانا ادور عليه

وزاد الشيخ جمال الدين بن نباتة الدور نكتة أخرى فقال

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها * واضلعها كادت تعد من السقم

أدور على قلبى لانى فقدته * وأما دموعى فهى تجرى على جسمى

وهذا المعنى سبق اليه ابن تميم أيضا بقوله

قامت لنا بالعذر ناعورة * أدمعها فى غاية السكب

تقول لما ضاع قلبى وقد * ضعفت بالنوح وبالندب

صيرت جسمى كله أعينا * يدور فى الماء على قلبى

ومثله قوله ناعورة مذ ضاع منها قلبها * ناحت عليه بأنة وبكاء

وتعلقت بلقائه فلاجل ذا * جعلت تدير عيونها فى الماء

وقنع الشيخ زين الدين بن الوردى بالدور فقال

ناعورة مذعورة * ولهانة وحائره

الماء فوق كتفها * وهى عليه دائره

وعلى ذكر تورية الدور يعجبنى قول المقر المرحوم الفخرى ابن مكانس وقد كتب الى الشيخ بدر الدين البشتكى يداعبه وقد دار الشيخ بدر الدين المذكور فى ساقية الهمائل

دورة البدر فى سواقى الهمائل * تركت أدمع العيون هوامل

آه من للرياض نور أديب * مظهر من كلامه سحر بابل

فاق سعيا على بنى عجل فى الجو * د وأغنى عن الولى الهاطل

ذلك وأخو عاد يقول بلادها كأوكانحبها اذالناس ناس والزمان زمان أم قبل ذلك وروى عن آدم عليه السلام
تغيرت البلاد ومن عليها * ووجه الارض مغبر قبيح أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
ومافسد الناس وانما اطرد القياس ولا أظلمت الايام وانما امتد الظلام وهل يفسد الشئ الاعن صلاح ويمسى المرء

زاد علماء لى أبى نور لكن * قال بالدور تارة والسلاسل

ومنه اولم يخرج عن تورية الدور

ياسعيدا اثرى من النظم والنثـ * ـر فأنسى الورى زمان الفاضل
قد سقيت الرياض ياشيخ بالدو * ر فها غصنها من السكر مائل

ومن نظمى فى تورية الدور أيضا قولى من قصيد

ومد ذاك النهر ساقا مدملجا * وراح بنقش البيت يمشى على بسط
لوينا خلاخيل النواعير فالتوت * وأبدت لنا دورا على ساقه البسط

وعلى ذكر تورية الدور وتسلسلها هنا نكتة لطيفة وهى انه اتفق ان الشيخ نجم الدين القعفيرى سأل جماعة من الطلبة المشتغلين عليه عن قول الشاعر

يا أيها الحبر الذى * علم العروض به امتزج
أبن لنا دائرة * فيها بسيط وهزج

ففكر بعض الطلبة فيه ساعة طويلة ثم قال هذا فى الدولاب لانه أراد بالبسيط الماء وبالهزج صوته حال دورانه فقال له الشيخ صدقت الا انك درت فى الدولاب زمانا حتى ظهرت لك التورية وهذا الكلام فى غاية الظرافة من الشيخ رحمه الله تعالى * رجع الى ما كافيه من لطائف ابن تميم فن ذلك قوله

لم لا أميل الى الرياض وحسنها * وأعيش منها تحت ظل ضافى
والزهر يلقانى بثغر باسم * والماء يلقانى بقلب صافى

وهذان البيتان عزاهما الصلاح الكتبى فى كتابه فوات الوفيات للبدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى ونسبا أيضا لمحيى الدين بن قرناص فى مواضع كثيرة والله أعلم ومن نكته اللطيفة فى التورية قوله

روحى الفداء لمن ادار بلحظه * صهباء فى عقلى لها تأثير
فاعجب له أنى يصون بلحظه * مشمولة واناؤها مكسور

ومنه قوله

انى لاشهد للحمى بفضيلة * من أجلها أصبحت من عشاقه
مازاره أيام نرجسه فتى * الاوأجلسه على احداقه

وتلاعب المتأخرون بهذه النكتة كثيرا ومنه قوله

* الارب يوم قد تقضى ببركة * أتت بها فيما جرى متفكرا
بعين رأيت الماء فيها وقد هوى * على رأسه من شاهق فتكسرا

ومثله قوله

ياحسنه من جدول متدفق * يلهى برونق حسنه من ابصرا
مازالت أنظره عيونا حوله * خوفا عليه أن يصاب فيعثرا
فابى وزاد تماديا فى جريه * حتى هوى من شاهق فتكسرا

وتورية تكسر تلاعب بها الناس بعد ابن تميم كثيرا ومن نكته البديعة الغريبة قوله

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغى * فى موقف ما الموت عنه بمعزل
اترى أنابيب القناة على يدى * تجرى دما من تحت ظل القسطل

ومن لطائف نكته قوله

قالوا أينالك كل وقت * تهيم بالشرب والغناء

الاعن صباح ولعمرى لئن كان كرم العهد كابارد وجوابا يصدر انه لقريب المنال وانى على توبيخه لى لفقير الى لقائه شفيق على بقائه منتسب الى ولائه شاكر لآلائه لا أحل حريدا عن أمره ولا أقف بعيدا عن قلبه ماتيته ولا أنساه انه له أيده الله على كل نعمة خوانها الله نارا وعلى كل كلمة علمنها منارا ولو عرفت لكتابى موقعا من قلبه لاغتنمت خدمته به ولرددت اليه سؤر كاسه وفضل أنفاسه ولكنى خشيت ان يقول هذه بضاعتنا ردت الينا وله أيده الله العتبى والمودة فى القربى والمرباع وما نال الباع وما ضمه الجلد وضمنه المشط وليست رضاى ولكنها اجل ما أملك واثنتان ايده الله قلما تجتمعان الخراسانية والانسانية وانا وان لم اكن خراسانى الطينه فانى خراسانى المدينه والمرء من حيث يوجد لامن حيث يولد والانسان من حيث يثبت لامن حيث ينبت فاذا انضاف الى خراسان ولادة همذان ارتفع

القلم وسقط التكليف فالجرح جبار والجانى حمار ولا جنة ولا نار فليحتملنى الشيخ على هناتى آليس صاحبنا يقول
لا تلمنى على ركاكة عقلى * ان تيقنت اننى همذانى (وله الى القاضى أبى الحسين على بن على) انا أمت الى القاضى أطال الله
بقاءه بقرابة ان لم يكن عربيا فابى وأبوه اسمعيل وعمى وعمه اسرائيل فان لم تجمعنا هذه الرحم فبآدم عليه السلام نلتحم وأدل

فقلت انى فـنـى قـنـوع * أعيش بالماء والهواء

ومنه قوله حاذر أصابع مـن ظلمت فانه * يدعو بقلب فى الدجى مكسـور

قالوا ردما ألقاه فى جرالغضى * الا الدعا باصابع المنشـور

ومن لطائف نكته وقد تقدم معناها ولكن حلا مكررها هنا بقوله

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غزير

كأن نسيم الروض قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجرى وذاك يدور

وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان أنشدنى أبو الخير الازدى لمجير الدين بن تميم

نزلنا الى الغور فى جحفل * نقاتل قوما من الملحدينا

قطعنا الشريعة فى حربهم * وخضنا اليهم مع الخائضينا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

انى لاعجب فى الوغى من فارس * حارت دقائق فكرتى فى كنهـه

أدى الشهادة لى بأنى فارس الـ * ـهيجاء حين جرحته فى وجهـه

ومن لطائف مجونه قوله

هويت نطاعا اذا جئتـه * بادرنى باللحظ والصفع

ورمت ان احظى بوصل وقد * قابلنى بالسيف والنطع

ويعجبنى من نكته فى الخمريات قوله

ومـدامة كاساتها * تعطى الامان من الزمان

قد أحكمت علم النجو * م واتقنت سحر البيان

فاذا حساها الشاربو * ن وأوقعتهم فى الامانى

بدأت باخراج الضميـ * ـر وبعده عقد اللسان

ومن لطائف مجونه قوله

غطت محاسن وجهها عن ناظرى * هيفاء لم أر فى البرية شبهها

وغدت تمانعنى فقمت مبادرا * وكشفت من بعد التمنع وجهها

ومن نكته الغريبة قوله

سأهجو أناسا يبتغون نقيصتى * وقد سخروا فى بحرجاهم رسخا

وأسلخهم لا فى أوان مغيبهم * ولكن أريهم فى وجوههم السلخا

ومن لطائفه قوله بعث النسيم رسالة بقدومـه * للروض فهو بقربه فرحان

والطيب ماقرأ الهزار بشدوه * مضمونها مالت له الاغصان

ومن لطائفه التى سبقه السراج اليها واستعملها ابن تميم أحسن منه

أراق دمى بسيف اللحظ ظلما * وها أثر الدماء بوجنتيـه

فلما خاف من طلبى لثارى * أدار عذاره زردا عليه

وقال فى غلام وقاد لاموا على الوقاد فى حبه * وحبه باللوم يزداد

عليه بذمة جوار هو خراسانى وأنا عراقى وليس بين الدارين الامسيرة شهرين وعبور نهرين وقد رافقته فى الدرو صاحبته فى المستودع والمستقر وعاشرته فى الجنود وشاركته فى الخلود ولا بعدان أشرق ويغرب بتجديد العهد ويطوى المعرفة وأدنى هذه الوسائل بالغة السائل انه ليست الوسيلة جلاله سنامان ولا هود جافيه غلامان ولا شيأ يجلب من البحر فيعلق فى النحر انما هى العشرية والبلدية والجوار والعصبية وانا قد أخذنا بحمد الله من كل بحظ ولى مع الشيخ أبى نصر دروس قصة فى ضيعة كرمه بالاحسان فيها زعيم وربما ارتقت الى القاضى أيده الله وبعض الظن اثم ولكن بعض الاثم حزم وبلغنى ان القاضى أيده الله يريد ان يسجل فأريد أن لا يعجل حتى أحضر فينظر كيف الخصومة وانظر كيف الحكومة فالحكم رأيه سعيد وهو رأس أسعد والشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد والسلام

وله الى الشيخ الرئيس أبى عامر عدنان بن محمد أشهد لو خير الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه لما اختار فوق ما اختير له ولما فى الغيب أكثر مما فى الجيب ولما بقى أحسن مما لقى هذا الامير عمدة الدولة أبو اسحق ملك العراقين بالامس وأشهر بهما من الشمس ما أظن الله تعالى أخرمد ته الا ليحذر شدته وزاد الاله صيته اليوم سوددا وذلك مجد يملأ العين واليد الك اليوم أسباب السموات مظهر وما اليوم مما أنت بالغه غدا عمدة الدولة أخو عز الدولة ابن معز الدولة ابن أخى عماد الدولة وركن الدولة وابن عم عضد الدولة ومؤيد الدولة وفخر الدولة وعز الملوك الغلب والجبال الشمخ والنجوم المثل والبحور الطفح شراب من ذاقه أخ وصيت من سمعه بخبخ وشرف من ناله أرخ عمرى لقد زان الله هذا البيت بكل زينة وساق اليه العز لو

لولم يكن فى حسنه كوكبا * ما كان أمسى وهو وقاد

وزاد شيخنا الشيخ شهاب الدين بن حجر فسح الله فى أجله هذا المعنى نكتة حصل بها الاتفاق البديع بلقبه الكريم فقال فى وقاد أيضا

أحبب بوقاد كنجم طالع * أزلته رضا الغرام فؤادى
وأنا الشهاب فلا يعاند عاذلى * ان ملت نحو الكوكب الوقاد

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

بنده الازرق لما * شده من قد سبانى
جدول فوق كثيب * دار بقى غصن بان

ومن نكته الغريبة قوله فى وكيل بدار القاضى بدمشق المحروسة

لا تقرب الشرع اذا لم تكن * تخبره فهو دقيق جليل
ووكل العز الذى وجهه * على نجاح الامر أقوى دليل
ولا تمل عنه الى غيره * وحسبنا الله ونعم الوكيل

وعلى ذكر الوكيل رأيت

لاقى فلان اليوم ماساءه * وأفرغ الصك عليه وكيل
وذاق من كف الوكيل العمى * وحسبنا الله ونعم الوكيل

ومن لطائفه قوله يصف روضة

أرض كساها القطر حلة سندس * رقمت لها طرز من الغدران
وفد النسيم أضاع نشر رياضها * فالورق تنشده بكل مكان

وكتب الى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق المحروسة وهى من نكته المخترعة

كمال الدين يامولاى يامن * يغبر البحر فى بذل النوال
أتيت لحاجة فاغنم ثنائى * عليك بها وشكرى وابتهالى
ولا تجعل سؤالك لها فانى * عليك بنجحها وقع اتكالى
أتحمل أن يقول الناس انى * أتيت لحاجة لم تقضها لى
وأصبح بينهم مثلا لانى * أتانى النقص من جهة الكمال

ومن لطائف نكته قوله

لم أنس قول الورق وهى حبيسة * والعيش منها قد أقام مقفصا
قد كنت البس من غصونى أخضرا * فلبست منها بعد ذاك مقفصا

وقال فيمن تاب عن شرب الخمر

تركت شرب الحميا غيره فتكر * فيها وفى شربها اللذات والطرب
فارجع فقد اسبل الراووق أدمعه * شوقا اليك وقلب الكاس يلتهب

فأنشده بعد ذلك وقد وافقه

ان كان قد اسبل الراووق ادمعه * شوقا اليك وقلب الكاس يضطرم
فاليوم أعينه من فرط فرحته * تفيض دمعا وثغر الكاس يبتسم

من كل مدينة وما أحوج هذا البيت الى عماد من الشكر وثيق وما أفقر هذه النعمة الى حرس من الصدقات كثير ان الله قد احتج على هذه الامة بهذا البيت الكبير واحتج على هذا البيت الكبير بهذا الامير عرف الامير كيف يجاور النعم و ينفى الغير وعرفكم ان النعمة ان لم تعمد بالشكر لم يؤمن زوالها فالسعيد من وعظ بغيره الاوان فى صدرى لغصه وان فى رأسى لقصه وان لكل مسلم فيها لحصه وان فى هذا المقام فيها الفرصه قد سمع الشيخ الرئيس أخبار عضد دولة أبى شجاع وما أوتى من بسطة ملك وباع ويد فى الفتوح صناع وخطو فى الخطوب وساع ان كان ليقول ما كان فى الارض فساد وسيفان فى غمد محال ولم يرض أن يلى الارض بطاعة معروفة حتى يجعلها قبضته فأعد للبحر مراكب وللبر مصانع وللعصون مكايد وكادوهم ولو عمراتم ثم عجز والقدره هذه أن يعمر التربتين الخبيثتين أو يصلح البلدتين المشؤمتين قم والكوفه فعلم ان ذلك لخبث نجاتهما فهم ان يسبى ويبيع ثم فرض الجزية عليهم أو يقيموا التراويح ورجع صاحبى آنفا من هراة فذكر انه سمع فى السوق صبيا ينشد ان محمدا وعليا العنا تيما وعديا فقلت ان العامة لو علمت معنى تيم وعدى لكفتنى شغل الشكاية ولى النعمة شغل الكفاية ويل أم هراة انصب الشيطان بها هذه الحبالة وصرنا نشكو اهذه الحاله والله ما دخلت هذه الكلمة بلدة الا صبت عليها الذله ونسخت عنها الملة ولا رضى بها أهل بلدة الا جعل الله الذل لباسهم والتى بينهم باسهم هذه نيسابور منذ فشت فيها هذه المقالة فى خراب واضطراب وأموالها فى ذهاب وانتهاب وأسواقهما فى كساد وفساد وأسعارها فى غلاء وخلاء وأهلها فى بلاء وجلاء يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون وهذه قهستان منذ فشت فيها

هذه المقالة جعلت مأكله الغصص ومجمعة الاكدار وجهة السيف ومزار السنان مرة يهدم سورها ومرة تنهب دورها وتارة تقتل رجالها وأخرى تهتك حجالها فالشيطان لا يصيدها راة صيدا انما يستدرجها رويدا وهذه الكوفة مما اختط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وماظهر الرفض بها دفعه ولا وقع الالحاد فيها وقعه انما كان أوله النياحة على الحسين بن علي رضي الله عنهما وذلك مالم ينكره الانام ثم تناولوا معاوية فأنكر قوم وتساهل آخرون فتدرجوا الى عثمان فنفرت الطباع ونبت الاسماع وكان القراع والوقاع حتى مضى ذلك القرن وخلف من بعدهم خلف لم يحفظوا حدود هذا الامر فارتقى الشتم الى يفاع وتناول الشيخين رضي الله عنهما فلينظر الناظر أية زند قدح القادح وأي خطب بلغ النابح لاجرم ان الله تعالى سلط عليهم السيف القاطع والذل الشامل والسلطان الظالم والخراب الموحش ولما أعد الله لهم في الآخرة شرا مقاما وأنا أعيذ بالله هراة أن يجد الشيطان اليها هذا المجاز وأعيذ الشيخ الرئيس أن لا يهتز لهذا الامر اهتزازا يرد الشيطان على عقبه

(وله اليه أيضا)

الخبر أطال الله بقاء الشيخ محل الدين وهو على الشمال والروح على اليمين ويعلم ما على من فرائض النفقة ونوافل المروءة كما يعلم مالي من وجوه الدخل وأبواب المنافع وقد ورد غرمائي من موضع كذا وعليهم تبعات دواوينه وحقوق قد سلطانيه فماذا تأمر ان اصنع وفيم ترى ان أشرع ولو رأيت لحيتهم آخر الصبر حتى يستوفي الديوان حقه على ان عهدي بالشيخ الجليل أن لا يؤخر مالي عن مال السلطان ولا يقعد لحقي عن حقوق الديوان وان ألقيت دلوي في الدلاء وأمدني الشيخ الرئيس ببعض

ومن نكته الغريبة قوله فيمن غضب عند عزله من منصب ولايته

كم قلت لما فاض غيظا وقد * ازيح عن منصبه المعجب
لا تعجبوا ان فار من غيظه * فالقلب مطبوخ على المنصب

وهذا المعنى ألم به شرف الدين النصيبي واستعمله ارق انسجم بقوله

ولوك اذ علموا بجهلك منصبا * علموا بأنك عن قليل تبرخ
طبخوا بنار العزل قلبك بعد ذا * وكذا القلوب على المناصب تطبخ

وقال يعتذر عن مخدومه في كثرة تجريده له

لقد لام قوم صاحبي حيث لم يزل * يجردني دون الرفاق تعمدا
رآني حساما ماضيا فاقامني * مدى الدهر في وجه الاعادي مجردا

ومنه قوله مذ قلت للمنثور ان الورد قد * وافى على الازهار وهو أمير
بسمت ثغور الاقحوان مسرة * بقدومه وتلون المنثور

وأحسن منه قوله ومذ قلت للمنثور اني مفضل * على حسنك الورد المنزه في الشبه
تلون من قولي وزاد اصفراره * وفتح كفيه وأوما الى وجهي

ومثله قوله كيف السبيل للثم من أحببته * في روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور وناضر نرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو الي وثغر هذا يضحك

ومثله قوله كيف السبيل لان أقبل خد من * أهوى وقد نامت عيون الحرس
وأصابع المنثور تومي نحونا * حسدا وتغمزها عيون النرجس

ومنه قوله روض الحمى يهوى لقاك وانه * من فرط شوق لا يزال قرينه
لم يهد نرجسه اليك وانما * لغرامه اهدى اليك عيونه

ومن لطائفه في أغزاله قوله

قالوا بدا نبت خديه فخذ بدلا * عنه فقلت لهم حاشاه حاشاه
ان لاح في خده نبت فلا عجب * الله أنبته والعين ترعاه

وتورية النبت والرعي تلاعب بها جماعة من المتأخرين بعد ابن تميم ومن مخترعاته في هذا الباب قوله

لو كنت حين علوت كور مطيتي * لم تعتلقها للمطي عيون
وتوسطت بحر السراب حسبتني * من فوقها ألفا وتحتي نون

ومن نكته المخترعة قوله

دعيت فكان أكلي فخذ طير * ولم أشرب من الصهباء نقطه
ومابي كامس وذاك أني * أكلت اوزة وشربت بطه

أخذ الشيخ صلاح الدين الكل مع القافية فقال

شوى الاوز فاضحت * في حمرة الخد بسطه
فقلت تشوى أوزا * ام كنت تشرب بطه

ومن اختراعاته التي لعب الناس بها بعده.

قد هجرت الراح حتى * ليس لى فيها نصيب
وعلى الراووق منى * طول ماعشت صليب

ومن نكته المخترعة الغريبة قوله يرثى الامير قطب الدين رحمه الله تعالى

رأيتم فلا قلبى عن الحزن مقصر * عليكم ولا جفنى يجف له غرب
وافلاك لذاتى تعطل سيرها * وهل فلك يسرى اذا عدم القطب

ومن غريب نكته فى اغزاله قوله

شبهت خدك ياحبيبى عندما * أبدى الجمال به عذارا أشقرا
تفاحة حمراء قد كتبوا بها * خطا دقيقا بالنضار مشعرا

ومثله فى الغرابة قوله

ولما احتمت عنا الغزالة بالسما * وعز على قناصها ان ينالها
نصبنا شباك الماء فى الارض حيلة * عليها فلم نقدر فصدنا خيالها

ومن لطائف غرامياته

لا تبعثوا غير الصبا بتحية * من أرضكم فلها على جميل
خاضت دموع العاشقين وعرجت * عنهم الى وثوبها مبلول

وهذا المعنى وقفت عليه لغيره والله أعلم من السابق ولعمرى ان الاستجادة بقوله

وصبا سرت من قاسيون فسكنت * بهبوبها وصب الفؤاد البالى
خاضت مياه النير بن عشية * وأتتك وهى بليلة الاذيال

ومن لطائفه قوله لولم اعانق من أحب بروضة * احداق نرجسها الينا تنظر
ماشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وتلاعب الناس بعد ابن تميم بهذا المعنى كثيرا وقال فى اهداء مهرة حمراء وهى من مخترعاته

أهديت لى يامالكى مهرة * جميلة الخلق بوجه جميل
مؤخرها والعنق قد أوقع * قلب الاعادى فى العريض الطويل
قد لبست من شفق حلة * تخبرنا ان أباها اصيل

ومنه قوله وهو من الاختراعات اللطيفة

حبيبى وعدت الكاس منك بقبلة * واعقب ذاك الوعد منك نفار
وماكان هذا لونها غير أنها * علاها لطول الانتظار صفار

ومن هنا أخذ الشيخ بدر الدين بن الصاحب فقال

ياحابس الكأس لا تزدها * من بعد حبس الدنان حسره
واغنم مزاجالها لطيفا * أورثه الانتظار صفره

ومن نكته الغريبة البديعة قوله

لما رأت عينى مناطقك التى * اضحت بشعرك دائما تتعلق
لا تستقر وقد علتها صفرة * ونحول جسم بالصبابة ينطق
ايقنت ان الخصر راع نحافة * فلذا تدور حوى عليه وتقلق

ومن هنا اخذ الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

الاعتناء فضمت الى ان أخضم وقنصت الى ان أقبض وتطرفت حتى يمكن التوسط وان خذلنى ففذ يعا نصروطالما راش وطير وانا أنشده الله وعهد صديقه الكريم العزيز ثم واجب خادمه السامع المطيع فما اقدره ان نشط والسلام (وله أيضا) أناوأنا غرس الشيخ الرئيس ألف العمامه على فصول لا تقلها جبال تهامة ثم أسبح فى الماء الغزير ثم أعتضد بالامير والوزير ثم أستظهر بسجل القاضى ثم الشيخ الرئيس المتغاضى ثم لا حول ولا حيله مع ابن جبله العار والنه والنار والقتل والدمار والنار والتراب المثار عز والله ابن جبله ان عاز الله ورسوله ثم أدرك سوله ان امر اترجح كفته على كفة فيها خصمه والاسلام وحكمه والسلطان وأمره والوزير وشفاعته والرئيس وعنايته لموفور الحظ من الجلاله وان خصمه لبعيد الضرب فى الضلاله عجبا لذلك الخبيث وأف من هذا الحديث ولا أعاود بعدها الشيخ الرئيس والسلام

وكتب الى الشيخ الرئيس عدنان بن محمد

عجب الناس اطال الله بقاء الشيخ الرئيس من ثلاثة وهن فرحة القواد وغضبة الجلاد ونشاط السماد والاستدراك على أبى الحسن بن غياث أعجب من هذه الثلاث واعجبا أريدجهنم حطبا واعجبا أريد أسوأمنها منقلبا والله مابجريح ابى الحسن حراك ولا على شفقة ابى ا الحسن استدراك وما طن المـلائـكة تحصى احصاء ولا تبلغ الزبانية استقصاء وقد كدكت تلك القرية بالرجالة والفرسان واستل نصيبهامن العدل والاحسان ولا عليه ايده الله ان يحتمل غلطات ابى الحسن فيجعل ما اصله قانونا ليقمع ايذاءه ويحسم داءه فأستريح وأريح (وله اليه أيضا) ابق اطال الله بقاء الشيخ الرئيس عبدان أحدهما الذى أثبت عليه

شجرة من يقطين والآخر الذى قال خلقتنى من نار وخلقته من طين فانجى هذا من الظلمات ومد ذلك فى الحيات فعرف لكل مقدار حق خدمته وانا أمت الى الشيخ الرئيس اطال الله بقاءه بليت أنف الوذفان كان قد عرض فى البين عارض العين واعدنى وليامن أوليائه فهبنى الآن عدوا من اعدائه (٢٦٦) ليس للشيخ الرئيس فى تلك الاسباب وخراب تلك الضياع شفاء صدر ولا لى فى بقائها زيادة قدر فان استطاع أن يحسن فيها الخلافة فعل

(وله الى الشيخ الامام أبى الطيب سهل) ياشبر ماهذا الكبر وياقتر ماهذا الستر ويا قرد ماهذا البرد ويا يأجوج متى الخروج ويافقاع بكم تباع ويافرانى متى ترانى ويالقمة الجمل نحن ببابك ويابيضة النغيلة من أتى بك ويادبة وياحبه ويامن خافه المسبه ويادمل ما اوجعك ويا قل لنا حديث معك فان رأيت اذنت والسلام

(وله اليه أيضا) ولما وقع بخراسان ماوقع من حرب وجرى ماجرى من خطب واضطربت الامور واختلفت السيوف والتقت الجموع وظفر من ظفر وخسر من خسر كتبنى الله فى الاعلين مقاما ثم الهمنى من الامتداد عن تلك البلاد والاقلاع عن تلك البقاع واعترضتنا فى الطريق الاتراك وأحسن الله الدفاع عن خير الاعلاق وهو الراس عادون الاعراض وهو اللباس فلم نجزع لمرض

وشاح من أحبته قال لى ٭ وهو الذى فى قوله قد صدق
قد ضاع منى الخصر لما انثنى ٭ أما ترانى دائرا فى قلق

وقال فى شخص اسمه عثمان يهدده بالهجو

توعدت ياعثمان بالهجو شاعرا ٭ سيوليك هجوا عاره ليس ينجلى
فخذها قصيدا قد أتت من محمد ٭ كجلمود صخر حطه السيل من عل

وممن أبدر فى افق التورية ونظم عقود لآلئها بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى فمن لآلئ عقوده قوله

صدوا وقد دب العذار بخده ٭ ماضرهم لو أنهم خبروه
هل ذاك غير نبات خد قد حلا ٭ لكنهم لما حلا هجروه

ومنه قوله

عرج على الزهر يانديمى ٭ ومل الى ظله الظليل
فالروض يلقاك بابتسام ٭ والريح تلقاك بالقبول

ومنه قوله واجاد

ورياض وقفت اشجارها ٭ وغشت نسمة الصبح اليها
طالعت أوراقها شمس الضحى ٭ بعدان وقعت الورق عليها

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام لما وقفت على هذين البيتين نكتة التوقيع هنا اليق بابن عبد الظاهر لكن طلع واطلع عليه البدر وحفظ سره لما أضاعه ذلك الصدر ومنه قوله

وحديقة مطلولة باكرتها ٭ والشمس ترشف ريق أزهار الربا
يتكسر الماء الزلال على الحصى ٭ فاذا جرى بين الرياض تشعبا

ومن هنا أخذ الشيخ برهان الدين القيراطى فقال من قصيد

وكان ذاك النهر فيه معصم ٭ بيد النسيم منقش ومكتب
فاذا انكسر ماؤه ابصرته ٭ فى الحال بين رياضه يتشعب

ويعجبنى قوله من قصيد كلها غرر ولولا خشية الاطالة لاوردتها بكمالها

وتنبهت ذات الجناح بسحرة ٭ بالواديين فنبهت اشواقى
ورقاء قد اخذت فنون الحزن عن ٭ يعقوب والالحان عن اسحق
قامت تطارحنى الغرام جهالة ٭ من دون صحبى بالحمى ورفاقى
انى تبارينى جوى وصبابة ٭ وكآبة وأسى وفيض مآقى
وانا الذى املى الجوى من خاطرى ٭ وهى التى تملى من الاوراق

ومنه قوله

هلم ياصاح الى روضة ٭ يجلو بها العانى صدا همه
نسيمها يعثر فى ذيله ٭ وزهرها يضحك فى كمه

ومنه قوله

ادر كؤس الراح فى روضة ٭ قد دغدغت ازهارها السحب
الطير فيها شيق مغرم ٭ وجدول الماء بها صب

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال فى نواعير حماة من طرديته

ذات النواعير ساقات الترب ٭ وأمهات عصفه والاب
تعلمت نوح الحمام الهتف ٭ أيام كانت ذات فرع اهيف

الحال مع سلامة النفوس ولم نحزن لذهاب المال مع بقاء الرؤس وسرنا حتى وردنا عرصة العدل وساحة الفضل ومربع فكانها الحمد ومشرع المجد ومطلع الجود ومنزع الاصل ومشعر الدين ومفرع الشكر ومصرع الفقر حضرة الملك العادل ابى احمد خلف ابن احمد فكان ماضعناه كأنا زرعناه فأنبت سبع سنابل وكان مافقدناه كانا أقرضناه هذا الملك العادل وكانما سمى خلفا ليكون

عن كل فائت خلفا وعن كل ماضى عوضا وكأنما جئناه ليضيق علينا العالم ويبغض الينا بنى آدم فيجعل حسنا صحبتنا وقيدنا الاحسان وكأنما خلق للدنيا تجميلا وللملوك تخجيلا وكان هذا العالم قد أحسن عملا فجعل هذا الملك ثوابه وكان هذا الملك قد أذنب مثلا فجعل هذا العالم عقابه وكأنه جسم والعرض عفاته وكأنه ذاته والمكارم (٢٦٧) صفاته فهو البحر يمشى على رجلين والمجد

فكلاهما من الحنين قلب * وكيف لا والماء فيها صب

وقال ابن نباتة فى مطلع قصيدة

دمعى عليك مجانس قلبى * فارث على الحالين للصب

ونكتة الصب تطفل عليها أيضا الشيخ صلاح الدين الصفدى ولكن ركبها تركيبا قلقا فقال

وحقكم ما حلت عن سنن الوفا * ولم ينقلب منى الى سلوة قلب
وما أنا غر بالصبابة والهوى * فأنكر دمعى ان جرى وأنا صب

ويعجبنى قول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ من قصيدة

باكر الى الروضة تستجلها * فثغرها فى الصبح بسام
والنرجس الغض اعتراه الحيا * فغض طرفا فيه اسقام
وبلبل الدوح فصيح على الأيكة والشحرور تمتام
ونسمة الريح على ضعفها * لها بنا مر والمام
فعاطنى الصهباء مشمولة * عذراء فالواشون نوام
واكتم احاديث الهوى بيننا * ففى خلال الروض نمام

ومن هنا أخذ الجميع حتى الشيخ صفى الدين الحلى مع أن التورية غير مذهبه فقال

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الى وللنمام حولى المام
أيا رب حتى فى الحدائق أعين * على وحتى فى الرياحين نمام

ولكن ما أخل بها الشيخ جمال الدين بن نباتة لئلا يخرج عن مذهبه فقال

وأهيف ينهب أرواحنا * ووجهه كالروض بسام
نم خداه بقتل الورى * فخده ورد ونمام

وأخذها ابن الوردى أيضا ولكن زادها نكتة أخرى بقوله

ان قال صف لى عذارى وصف مبتكر * ووجنتى قلت خذ يا صنعة البارى
هذا عذارك نمام ومسكنه * نار بخدك والنمام فى النار

ومنه قوله الروض أحسن ما رأيـ * ـت اذا تكاثرت الهموم
تحنو على غصونه * ويرق لى فيه النسيم

ومنه قوله البرد قد ولى فالك راقدا * يا أيها المدثر المزمل
أوما ترى وجه الربيع وحسنه * والروض يضحك والحيا يتهلل

ومن لطائف تغزلاته قوله

حلا نبات الشعر يا عاذلى * لما بدا فى خده الاحمر
فشاقنى ذاك العذار الذى * نباته أحلى من السكر

ومثله فى اللطف قوله

شوقى اليك على البعاد تقاصرت * عنه خطاى وقصرت أقلامى
واعتلت النسمات فيما بيننا * مما أحملها اليك سلامى

ومنه قوله تعشقته لدن القوام مهفهفا * شهى اللمى أحوى المراشف أشنبا

يتصور فى العين والعدل يتقسم والجود يتجسم والنجم يتكلم فلما التقينا فرشت الارض بيدى فرشا ونقشت التراب بفمى نقشا وخطا الى خطوات كانت الارض لا تسعها وكادت الملائكة ترفعها ثم انه زيف بلقياى وفود الكلام كما زيفت بلقياه ملوك الانام وافسدنى على الناس من جميع الاجناس فما أرضى غيره أحدا ولا أجد مثله أبدا وان طلبت ملكا فى أخلاقه مت ولم الاقه أو كريما فى جوده عدمت قبل وجوده فحرس الله سلطانه من ملك وسع أرزاقى وضيق أخلاقى وأغلى ثمنى فما يشترينى أحد وعظم أمرى فما يسعنى بلد وهذا وصف ان أطلته طال ونشر الاذيال واستغرق القرطاس بل الانفاس واستنفد الاعمار بل الاعصار ولم يبلغ المعشار وأفنى الاقلام بل الكلام ولم يبلغ التمام ما ظن الشيخ بملك شهدت له الفراسة رضيعا بان لا يكون وضيعا والمحافل فطيما بان يكون سمحا كريما والشواهد صبيا بان ينزل مكانا عليا والشمائل غلاما أن يكون ملكا هماما فلما يفع وارتفع طالبته الهمة العليا برفض الدنيا حتى يؤدى فرض الله فى الحج فقام عن سرير الملك الى سبيل النسك فحج البيت ودرس العلم حتى علم ناسخ الكتاب ومنسوخه ومباحه ومحظوره ومتن الحديث وصدره وكان استخلف على رعيته بعض خدمه وأوصى بهم كبيرا لا يظلمهم نقيرا فبسط ذلك الوالى يده فى المظالم يحتقبها والمحارم يرتكبها فكبر عليهم كرة القمر

ورجع اليهم رجعة المطر فخار به وقهره ومحا الله أثره ثم جاءت له الاعداء العدى وحثت اليه القسى والله من ورائه يكلؤه من أعدائه فما مر يوم من تلك السنين الا نقصهم وازداد فكم ركن هد وجيش هزم وكيد عدم فلما أقاموا طويلا ولم يغنوا فتيلا لم يكن أكثر من أن جاؤه أمراء فعادوا فقراء ولبثوا (٢٦٨) أسراء ورجعوا صاغرين وانقلبوا خاسرين وتبعهم كيده النافذ ومكره الآخذ يقفوا آثارهم ويكسع أدبارهم واشتملت جريدة مالي من الحروب مع أبناء الذنوب وأولاد الدروب على بضعة عشر حربا أخفها مع بضعة عشر ألف رجل وكتب الله له في جميعها النصر عادة في ملك صحب الدهر فلم يشرب الخمر ولم يسمع الزمر ولم يعرف النقر ولم يلعب القمر تشحن دور الملوك بالمعازف وداره بالمصاحف وتأنس مجالسهم بالقيان ومجلسه بالقرآن ويألف أبوابهم حملة الظلم وبابه حملة العلم وتعبث أيديهم بالعود ويده بالجود وتلعب أناملهم بالمزاهر وأنامله بالدفاتر يدخرون الدراهم ويدخر المكارم ويقتنون الجواهر ويقتني المآثر ويعدون نفيس الاعلاق ويعد نفيس الاخلاق وكثيرا ما ينشدني

فهن اذا جمعتهن دراهم * وهن اذا فرقتهن مكارم

الم بهذه الشدة في هذه المدة فلان فرجع بثلاثين ألف دينار وقد نزلت بهذا المقام في هذه الايام فاختلت بين الخيل والخول ومجلسي بين الحلي والحلل وسيأتيه العم بتفصيل ما أجملت ثم ان لهذا الملك عند الله تعالى دعاء مستجابا يصعد بلا حجاب واعتبر ذلك في خطب وقع في هذه السنة فكشف ومن الله بدعائه ورد الكيد في نحر اعدائه وكان بعض أولاده كرمهم الله تعالى يشرب في السر شرب المصر فبلغه الخبر فقصه على من اختصه وذهبت النفرة طولا وعرضا وجر الحديث بعضه بعضا وافضى الى استمالة قلوب العسكر لركوب المنكر من اظهار العصيان

وقالوا بدا حب الشباب بوجهه * فيا حسنه وجها الى محببا

وقد تقدم القول ان أبا تمام أول من اخترع هذه النكتة ومن نكته الغريبة اللطيفة البديعة قوله

وذي قوام أهيف * بين الندامى قد نشط
قام يقط شمعة * فهل رأيت الظبي قط

وتطفل الناس بعده على هذه النكتة ومنه قوله

ويعجبني المتحملون عشية * والركب بين تلازم وعناق
وحداتهم أخذت حجازا بعدما * غنت وراء الركب في عشاق

ومن هنا أخذ الناس بعد الشيخ بدر الدين كقول بعضهم

قالت مذ غنى حجازا * ليتنا في أصبهان

ومنه قول الشيخ بدر الدين بن لؤلؤ

لك مبسم عذب اللمى يفتر عن * برد وسلسال الرضاب مرادي
وفم يحاكي الميم الا انه * كم حوله من حوم كصاد

وهذا المعنى أيضا تطفل عليه المتأخرون بعد الشيخ بدر الدين منهم الشيخ جمال الدين بن نباتة حيث قال

يا عين آمالي اذا استجمعت * اني الى مورد لقياك صاد

ويعجبني قوله من قصيدة ورى في بيتها الاول باسمه فقال

قد أخلفتني الغوادي غير راحمة * ومحقتني الليالي بعد ابدار
فكم أواري غراما من جوى وأسى * زناده تحت أثناء الحشا واري
جيراننا كنتم بالرقتين فمذ * بعدتم صار دمعي بعدكم جاري

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

بروحي جيرة أبقوا دموعي * وقد رحلوا بقلبي واصطباري
كانا للمجاورة اقتسمنا * فقلبي جارهم والدمع جاري

وما أحلى قول بدر الدين من القصيدة المذكورة في الخمرة ولم يخرج عما نحن فيه من التورية فقال

سارت لتقتص من قوم فما بحثت * في حث كاس على الاوتار دوار
فالقوم من بعد قتلاها وما ظلمت * وانما أخذت منهم بأوتار

ومن هنا أخذ القاضي أمين الدين الحمصي كاتب السر الشريف بالشام المحروس كان فقال

وقوس حاجبه يصمي كان له * مطالبات على قلبي بأوتار

ويطربني قوله من قصيد

فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فأتبعته قلبا مطيعا على الغضى * وخليت لي جفنا على السفح أطوعا

ومن لطائفه الغريبة

رفقا بصب مغرم * أبليته صدا وهجرا
وافاك سائل دمعه * فرددته في الحال نهرا

هذا النهر ورد منه المتأخرون قاطبة ولولا طول الشرح لذكرت ذلك ومن لطائفه قوله

يا عاذلي فيه قل لي * اذا بدا كيف أسلو
يمر بي كل وقت * وكلما مر يحلو

ومن لطائف اتفاقه ونكته الغريبة قوله فى نجم الدين بن اسرائيل وقد هوى مليحا يلقب بالجارح

قلبك اليوم طائر * عنك أم فى الجوانح
كيف يرجى خلاصه * وهو فى كف جارح

وكتب اليه وقد بلغه انه سلا عن معشوقه المذكور

خلصت طائر قلبك العانى ترى * من جارح يغدو به ويروح
ولقد يسر خلاصه ان كنت قد * خلصته منه وفيه روح

ومن مخترعاته الغريبة قوله فى الخمرة

أبدى الحباب لها خطا فاحسن ما * قد كان حرر من ميم ومن هاء
قديمة ذاتها فى روض جنتها * كانت وكان لها عرش على الماء

ومن هنا أخذ الصاحب فخر الدين بن مكانس فقال من قصيدة السرحة

فاستمهدت دوحها الخضل وافترشت * نجم الربا ورقت عرشا على الماء

ولكن لم يساعده فى لفظة العرش اشتراك تورية بالنسبة الى الشيخ بدر الدين فان نسبة العروش الى الكرم معروفة ومنه قوله فى مليح نجار

بروحى نجار حكى الغصن قده * رشيق التثنى أحور الطرف وسنان
يميل على الاعواد قطعا بما جنت * وما سرقت من قده وهى أغصان

ومن هنا أخذ جميع الناس وقال من قال

قد لمت ذا الاهيف النجار وهو على الاشجار يقطع فى أغصان خلاف
فقال لى عندها ثار تحدبه * لانها سرقت من لين أعطافى

ومن أحيا مادرس من رسوم التورية القاضى محيى الدين بن قرناص الحموى تغمده الله برحمته فمن نكته اللطيفة قوله

سقى الله روضا قدود غصونه * تختال فى الابراد من أوراقها
جنت به ورق الحمام صبابة * أوما ترى الاغلال فى أعناقها

ومن لطائف قوله

مال القضيب بروضة من سكره * لما سقاه عقاره ادرار
حتى اذا سرق النسيم دراهما * من كمه صاحت به الاطيار

ومثله قوله

مذ أتينا نبغى زيارة دوح * قد حبانا بالجود والاكرام
ناولتنا أيدى الغصون ثمارا * أخرجتها لنا من الاكمام

ومثله قوله وألطف ماشاء فى جمعه بين الاستعارة البديعة والتورية

قد أتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الاغصان

ومنه قوله

ورب نهر له عيون * تحار فى وصفه العيون
لما غدا الريق منه عذبا * مالت الى رشفه الغصون

ومنه قوله

أيا حسنها روضة قد غدا * جنونى فنونا بأفنانها
أتى الماء فيها على رأسه * لتقبيل أقدام أغصانها

ومنه قوله

تثنى الغصن اعراضا وعجبا * على نهر يذوب اسى عليه

والعقوق برفع المنجوق وضرب البوق وطابقه على ذلك جملة من الجنود ليسعوا فى الظلم فلا يؤخذ بالجرم وينسلوا عن لجام الشرع ويأتمنوا عليه ألم الردع ودب الشيطان بينهم ودرج وأولج هذا الابن وخرج واتبعه الملك العادل بأكثر حجابه وزعماء بابه ونفر من غلمانه ليرده الى مكانه فلما بلغوا معسكره صاروا معه يدا واحده وقدموا قاصده واظهروا اشعار الدولة والعصيان على وليهم وولى نعمهم ومالك لحمهم ودمهم واتصل الخبر فكادت العقول تطير والقلوب تطيش ولم يؤمن من الحاضرين ان يكونوا مع الغائبين ومن المقيمين ان يكونوا كالذاهبين فلما جن الليل أردفهم بجماعة من الاعراب وقام الى المحراب يستنجد الله تعالى على ولده ويسأله أن يجعله فى يده فلما التقت الفئتان اوحى الله تعالى الى الرعب ان يدهشه والى الرمل ان يوحشه فقهر ذلك الجمع وقسر وقص جناحه وكسر وافلت الكل وأسر ولجأ من افلت الى ابن سعدور وحارب فى عسكره فلما التقى الجمعان بباب هراة وفى عسكره الحاجب النادب وزعيم بابه الذاهب اوحى الله تعالى الى فرسيهما فوقفا فاسر كل واحد منهما وحده واسر من كان معهما بعده فكبلوا فى الحديد وردوا الى مولاهم فلما مثل الحاجب بين يديه قال كيف رأيت الله ياظالم نفسه ألم اشترك وحيدا ألم أربك وليدا ألم أغنك فقيرا ألم أرفعك حقيرا ألم تهرب مستجيرا ألم تكن للظالمين نصيرا ألم تأتنى اسيرا الست به جديرا الست عليه قديرا فما اجاب بافصح من السكوت فلما سمع الملك العادل صليل الحديد فى رجليه بعد وسواس المنطقة عليه رق لشقوته فعفا عن قدرته وتلك عادته فيمن خصه بجرم ولا يعفو عن مستوجب حدا ولو عز جدا ثم انه اطلق عن ولده وحبس من كان يسعى فى الدولة بفساد وذكر الشيخ ابو فلان ان

أبا فلان زاد على خراجه توابع ونوافل وضعف عليه مؤناً ولواحق وامرني ان اكاتبه ليرفع من الزيادة ما اثبت ويحصد من النكاية ما انبت فقلت اللهم غفرا كيف يحتشمني وهل يوقر فضلي من لا يوقر اصلي وكيف اكاتب سلطانا لا يعلم ان الدرهم يؤخذ من مالي خبيث الاحدوثة قليل المغوثة ان رأى (٢٧٠) الشيخ ان يعفيني من مكاتبته وهلم الى ملك وجد خراجين لم تزل الملوك من اسلافه يستأدونهما ويسمون الاول اصيلا ويتأولون في الثاني تأويلا ويسمون أحدهما فرضا والآخر قرضا فعمد الى الخراج الاول فحيفه والى الآخر فحذفه واما أبو فلان فان استصوب الشيخ ان يعرض عليه الفصل من كتابي عرض ولا يستوحش من خشونة الاقوال فهي من خشونة الافعال من جهته فان جاز له ان يفعل جاز لنا ان نقول ثم ان استأنف الحسنى عرفني لاحسن الخطاب واعرف ما خبث مما طاب ويتوب الله على من تاب

(وله أيضا)

عظم الله تعالى على الابناء حق الاباء لعلمه بان الوالد يصبوا الى ولده جنينا ولا يألو حنينا ويشمه وليدا ويقبله رضيعا ويغذيه فطيما ويربيه غلاما ويؤدبه ناشئا ويعلمه يافعا علما يظنه نافعا ويبحبه ذخيرة حياته ويحتسبها عليه بعد وفاته ويصدقه النصح في حالاته ثم لا يكاد يعدم هذه المبار من ابيه الا الولد النادر هذه الابل على غلاظ اكبادها تئط لاولادها وان الطير على خفة احلامها ترق لفراخها وان الهرة لتأخذ أولادها بانيابها فلا تنفذ في اهابها والناقة على ثقلها تطأ الحوار برجلها فلا توجعه بوطئها فاذا شب الولد محفوفا بهذه المبار مغمورا بهذه المسار عرف وجهه عن أبيه فلا يكاد يعرف نعمة والده ويقدرها قدرها الا الشاذ النادر وفي هذا الباب تحرير

قلت

فرق له النسيم وجاء يسعى * ملاطفة وميله اليه

ومنه قوله وتلطف ماشاء

ويوم قد قطعناه بروض * يضاحك زهره شمس النهار
فكان نهارنا طلق المحيا * صبيح الوجه مخضر العذار

ومنه قوله

أنعم فان الدوح يامالكي * حمل من أجلك ما لا يطيق
يرقبك الطير على وكره * وأعين الازهار نحو الطريق

وهذا المعنى أخذه الصاحب فخر الدين بن مكانس وزنا وقافية فقال

والنرجس الغض غدا شاخصا * فلا يخلي عينه للطريق

ومنه قوله وتلطف ماشاء

لو كنت اذ نادمت من أحببته * في روضة أطيارها تترنم
لرأيت نرجسها يغض جفونه * عنا وثغر أقاحها يتبسم

ومنه قوله في معذر

ووجنة قد غدت كالورد حمرتها * وأشبه الآس ذاك العارض النضر
كأن موسى كليم الله أقبسها * نارا وجر عليها اذ بله الخضر *

وهذا المعنى استعمله بعضهم في شجرة نارنج فقال ولكن لم أعلم المخترع من هو

نارنجة برزت في منظر عجب * زبرجد ونضار صاغه المطر
كأن موسى كليم الله أقبسها * نارا وجر عليها اذ بله الخضر

ومنه قوله

وروض قد أتت فيه معان * يطيب به الندامى والمدام
يسامره النسيم اذا تغنت * حمائمه ويسقيه الغمام

ومنه قوله

روضة من قرقف أنهارها * وغناء الورق فيها بارتفاع
لا تلم أغصانها ان رقصت * فهي ما بين شراب وسماع

ومن لطائفه في اغزاله قوله

هويت في مكتب غلاما * قلبي بهجرانه جريح
أهيف أضحى قبيح خط * وانما شكله مليح

ومنه قوله في مليح مؤذن

ومؤذن أضحى كريم وجهه * لكنه بالوصل أي شحيح
أبدا أموت بهجره لكنني * من بعد ذاك أعيش بالتسبيح

ومنه قوله

قبلت خط عذاره لما بدا * وهصرت لين قوامه المياس
وطلبت لي من خده الجمر ما * يشفي فواى جفاني بالآس (ى)

وهذه النكتة توارد هو وشمس الدين محمد بن العفيف عليها فقال

من يعطف نحوي قلب هذا القاسي * كم اذكره وهو لعهدي ناسي
أشكو سقمي له ارضيه وكذا * يشكو دنف سقامه للآسي (س)

وتطفل عليها بعدهما الشيخ صلاح الدين الصفدي فقال

كم جرح القلب منه جفن * كالسيف في صحة القياس
وطب آس العذار جرحي * فصح ان الطبيب آسي

وابتذل المتأخرون بعدهم حجابها ونظموها أنا ولكن زدتها نكتة أخرى من جنسها فترشحت وازدادت حسنا وهي قولي

مذ جفاني بمرض القلب ولم * ألق للضعف وللكسر انجبارا

قالت للعارض يا آسي اذا * درت داري مرض القلب فداري

ومن لطائفه في اغزاله قوله ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين ناظره
أنزلتهم في مقلتي * فاذا هم بالساهره

وهذه النكتة أيضا ابتذل المتأخرون حجابها كثيرا ومن ظرافات شمس الدين محمد بن العفيف المشهور بالشاب الظريف قوله

اذا حاولت حل البند قالت * معاطفه حجابا لا يحل
وان جليت بوجنته مدام * يرى لعذاره دور وزل

وسبك أيضا تورية الدور في قالب آخر وجاء في غاية اللطف والغرابة بقوله

لحاظك أسياف ذكور فما لها * كما زعموا مثل الارامل تغزل
ومابال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل

ومنه قوله فيما يكتب على كاس وأجاد

أدور لتقبيل الثنايا ولم أزل * أجود بنفسي للندامى وانفاس
واكسوا كف الشرب ثوبا مذهبا * فمن أجل هذا لقبوني بالكاس (ى)

ومن هنا أخذ الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة وقال مضمنا

ياصاح قد حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس (ى)

ويعجبني قوله وقد اهدى مجموعا

يا أيها الصدر الذي وجه العلا * منه يزان بمنظر مطبوع
لاتعتقد قلبي يحبك وحده * هاقد بعثت اليك بمجموعي

ونكتة المجموع استعملها الشيخ جمال الدين وغيره ومن نكته البديعة التي لم يسبق اليها قوله

كان ما كان وزالا * فاطرح قيلا وقالا ايها المعرض عنا * حسبك الله تعالى

وهذه اخذها صاحبنا المرحوم مجد الدين بن مكانس بنصها فقال من قصيد

ياغصنا في الرياض مالا * حملني في هواك مالا
يارائعا بعد ماسباني * حسبك رب السما تعالى

ومن لطائفه في مليح رسام قوله

قلت لرسامكم * بك الفؤاد مغرم * قال متى اذيبه * فقلت حين ترسم

ومن لطائفه واختراعاته قوله

قامت حروب الزهر ما * بين الرياض السندسيه
وانت باجمعها لتغزو روضة الورد الجنيه
لكنها انكسرت لان الورد شوكته قويه

ومن لطائفه ايضا قوله

ياساكنا قلبي المعنى * وليس فيه سواك ثاني
لاي معنى كسرت قلبي * وما التقى فيه ساكنان

أولوا الالباب ولا حيرة فان عندي لهذه العقدة حلا ان الله فطر ابن آدم على ضد ما أمره به أمره بالصلاة وخلقه كسلان وبالصيام وجبله شهوان وبالزكاة وحبب اليه المال وبالحج وكره اليه الارتحال وبالعفة وسلط عليه الهوى وبالصبر ونزع منه القوى وخلق الانسان على حب ولده ونهاه عن ربيبته وخلته ليشق ذلك عليه فالوالد يلتذ بما يتكلفه من مبرة والولد يفعل ما يفعل من برمخالفا لما فطر عليه غير ملتذ بما يسدى الى أبويه ولعمري لقد قضى سيدنا ذاته في أمري وفعل ما لم يفعله غيره بغيري ثم قساقلبه وجفت رحمه وانقطعت كتبه بعد ما تواترت عداته بالزيارة فالى الله المشتكى والصلاة على نبيه المصطفى وآله وسلم

(وله أيضا)

كتابي أطال الله بقاء سيدنا من بوشنج اسوة بيعقوب في ولده اذ ظعن اليه من بلده وليس العاتق سور الاعراف ولا رمل الاحقاف ولا جبل قاف فلم لا ينشط والله لا يضيع بذلك المكان درهما الا عوضته دينارا ولا يعدم هنالك دارا الا أفدته ديارا أخاف والله ان أموت وفي النفس حاجة لم أقضها ومنية لم أحظ ببعضها لا يفعل سيدنا الشيخ والضن بالولد أولى من الضن بالبلد وقد رسمت لموصل كتابي هذا ان ينقده مائة دينار بشرط ان يخرج وان يرتب له عمارة شتوية تسعه والشيخ الفاضل العم فليتفضل ولينقوما ويرحلا ويستصحب الاخ أباسعيد وليأتني بأهله أجمعين فما يعجبني لقاء ليس له بقاء ولا وصل بعده فراق فان لم يمكن استصحاب القوم فلا يتأخر بنفسه فيرد على خمسمائة نيران وألف أكار وأحوال منتظمة وأسباب مستقيمة *(ولوالده اليه كتب ورقاع أنشأها هو ونسبها الى والده ليقرأها الافاضل من الكتاب

فيستدلوا بها على فضل والده)* جعلنى الله فداك لا تزال الارض تلفظ رحالك والنوى تطرد راحلتك حتى تقتلك أرض بمجهل مائها
ومرعاها وهيهات ان يكون ذلك ونار حزنى وراءك موقدة وأبواب الرجاء دونك موصدة وقد بعثت اليك بما يصل ان شاء الله تعالى
فان شئت أجعله جهاز طريقك فى انصرافك وان شئت أمض على عقوقك فى خلافك رد الله غائب رأيك وعازب

ومن لطائفه أيضا قوله انى لاشكو فى الهوى * ماراح يفعل خده
ما كان يدرى ما الجفا * لكن تفتح ورده

ومن هنا أخذ الشيخ صلاح الدين الصفدى فقال ولكن زاده نكتة

أقول له ما كان خدك هكذا * ولا الصدغ حتى مال فى الشفق الدجا
فمن أين هذا الحسن والظرف قال لى * تفتح وردى والعذار تخرجا

ومن نكته البديعة قوله قد تعشقت ذا لفا ولى فيه معانى
كلما جادلنى العا * ذل فيه ولحانى
جئته من عارضيه * بدليل الدوران

ومن اختراعاته اللطيفة قوله فى مليح خيالى

خيالى آخاف الهجر منه * واستاراه يرغب فى وصالى
وكنت عهدتنى قدما شجاعا * فمالى صرت افزع من خيالى

وقال فى زهر اللوز

تبسم ثغر اللوز عن طيب نشره * واقبل فى حسن يجل عن الوصف
هلموا اليه بين قصف ولذة * فان غصون الزهر تصلح للقصف

ومثله قوله تمشى بصحن الجامع الشادن الذى * على قده اغصان بان النقا تنثنى
فقلت وقد لاحت عليه حلاوة * الا فانظروا هذى الحلاوة فى الصحن

وقال ياذا الذى نام عن غرامى * ونبه الوجد والجوى لى
جفنى جرى طيه دموع * شوقا الى وجهك الهلالى

ومن اختراعاته الغريبة قوله

عبتم على المحبوب حمرة شعره * واظنكم بدليله لم تشعروا
لاتنكروا ما احمر منه فانه * بدماء ارباب القلوب مضفر

وقال فى مليح زجاج قولوا الزجاج كم ذا الذى * له محيا بالسنا يسفر
ان كنت فى الصنعة ذا خبرة * وكان معروفك لاينكر
فما لاحداق اقداحها * فى صحة من حسنها تكسر

وقال ايضا كلف الفؤاد بظبية بجانة * ما كنت يوما آمنا من هجرها
عجنت فؤادى بالغرام فاؤها * من ادمعى ودقيقها من خصرها

وهذا المعنى تلاعب به الجماعة بعد ابن العفيف ولكن ما برح دقيقه خاصا وقال فى ذم الحشيش

واجاد مالعشيشة فضل عند آكلها * لكنه غير مصروف الى رشده
صفراء فى وجهه خضراء فى فمه * حمراء فى عينه سوداء فى جلده

وقال فى مليح اصيبت عينه

كان بعينين فلما طغى * بسحره رد الى عين
وذاك من لطف بعشاقه * ما يضرب الله بسيفين

وتورية السيف تناولها الجماعة بعد ابن العفيف ولولا خشية الاطالة لذكرت غالبها وقال فى مليح

رأيك وهو حسبى ونعم الوكيل

(وله أيضا)

الابوة باطلها حق والبنوة حقها باطل ولو علمت ان مناظرة الوالد بالحجة عقوق ومجاهرته بالشبهة فسوق لم يلقنى بارمن القبول وأحسن من ترك الفضول

(ولابيه اليه عفا الله تعالى عنهما)

تأتينى الاخبار عنك بما ترتج منه الاضالع وتستك منه المسامع يبلغنى انك سحابة نهارك هائم ومسافة ليلك نائم قصارك آلة تصوغها ودابة تروضها وجارية تستعرضها وما مكنك من هذا العبث الايسر ما أنت فيه كثير وقليل ما أنت معه جليل ولعل هذه الاحرف آخر ما تتأذى به من وعظى وتتقذى باستماعه من لفظى

يالك من قبرة بمعمر
خلالك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ماشئت ان تنقرى

(وله اليه أيضا تجاوز الله عنهما)

جعلنى الله فداك أنشدك الله ان تلم بخراسان انها مغرب شموسنا ومسقط نفوسنا وقد سمعت فى محمل بدوى
مارأيت فى خالك كذلك والسلام *(ولابيه أيضا اليه عفا الله عنهما جعلنى)* الله فداك ان كانت للفراق غاية فقد بلغتها
وزدت أو للعقوق مطية فقد ركبتها أو كدت وان كان صدرك ينبوع صبر وقلبك جلمود صخر فقد آن له أن يلين ولك أن

بدوى	بدوى كم جدلت مقلتاه * عاشقا فى مقاتل الفرسان
ذو محيا يصيح بالهلال * والحاظ تقول يا لسنان

وقال فى مليح جرح بسكين

لم تجرح السكين كف معذبى * الالمعنى فى الغرام محقق
هى مثل ما قد قيل جارحة له * ولكل جارحة اليه تشوق

وقال فى مليح مؤذن بالجامع الاموى

فديت مؤذنا تصبوا اليه * بجامع جلق منا النفوس
يطير النسر من شوق اليه * وتهوى ان تعانقه العروس

هذان البيتان توارد على نكتتهما شمس الدين بن العفيف والشيخ جمال الدين بن نباتة ورأيتهما فى ديوانه والبيت الاول بنصه والبيت الثانى فيه بعض تغيير وهو

لقد زف الزمان لنا مليحا * تكاد بان تعانقه العروس

وقال فى مليح منير	منير وجدى به * أكتمه ويظهر
وكيف تخفى لوعتى * وقد غدا منير

وقال أيضا يصف بساطا	بساط يملأ الاحداق حسنا * ويهدى للقلوب به سرورا
وينشرح حين يبسط كل صدر * وخير البسط مارضى الصدورا

وقال دو بيت	الصب بحبكم عراه الوله * فى طوع هواكم عصى عذله
ايضاح غرامه غدا تكملة * اذ كان مفصل الهوى مجمله

وقال أيضا	أفدى عربا بوادى الجزع * يا وحشة ناظرى لهم فى الربع
لما بخلوا عندى فى فرقتنا * أنشأت لهم مسائلا من دمعى

ومنه قوله	يقول وقد رناعن لحاظ ظبى * وهز الغصن فى ورق الغلائل
أأقتلكم بطرفى أم بعطفى * فقلت بما تشا فالكل ذابل

وهذه النكتة أخذها الشيخ جمال الدين بقافيتها وقال

له معطف لدن القوام ومرشف * رقيق على التقبيل فالكل ذابل

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه الذى جمعه من املاء الشيخ اثير الدين أبى حيان وسماه مجانى الهصر من أدب أهل العصر أنشدنى الشيخ أثير الدين قال أنشدنى شمس الدين محمد بن العفيف فى مليح طباخ	رب طباخ مليح * فاتر الطرف غرير
ماسكى أصبح لكن * شغلوه بالقدور

(ى)

قال الشيخ صلاح الدين وأنشدنى الشيخ أثير الدين قال أنشدنى شمس الدين محمد بن العفيف لنفسه

ليس خليلا لى ولكنه * يضرم فى الاحشاء نار الخليل
يا ردفه جرت على خصره * رفقا به ما أنت الا ثقيل

وهذه النكتة تلاعب بها غالب المتأخرين بعد ابن العفيف ومن لطائفه قوله وقد احتجب بعض أصحابه عنه	ولقد أتيت الى جنابك قاصدا * باللثم للعتبات بعض الواجب
وأتيت أقصد زورة أحبابها * فرددت يا عينى هنالك حاجب

تذكرنى فى الذاكرين جعلت فداك ما كان أبولك امرأ سوء يعامل بما عاملت ولا مستغفر يقابل بما قابلت فاهذه البذاءة على حين أسمعنى الشيب نداءه وغشانى رداءه ولم ترض الايام بما جرعتنيه من ثكل فراقك حتى ألحقت بك عمك وحرج على الدهر مؤكدا ان لم ينقضنى عروة عروة ويحلنى عقدة عقده وورد كتابك بذكر أحوالك واستقامتها وأنت فيما ذكرت بين طرفى جد ولعب وحدى صدق وكذب فان قلته مزاحا فالفرع لا يمازح أصله أو كذبا فالرائد لا يكذب أهله وان كان جدا ما ذكرت وصدقا ما أوردت فاستدم الوسيلة التى نلت بها الفضيلة واستبق الذريعة التى اسكنتك المنزلة الرفيعة وهذه نصيحتى لك ووصيتى اليك والله حسبى فيك وخليفتى عليك والسلام

(وله الى اخيه)

كتابى اطال الله بقاءك ونحن وان بعدت الدار فرعا نبعة فلا تحسبن بعدى على قربك ولا تمحون ذكرى من قلبك فالاخوان وان كان احدهما بخراسان والآخر بالحجاز مجتمعان على الحقيقة مفترقان على المجاز والاثنان فى المعنى واحد وفى اللفظ اثنان ومابينى وبينك الا ستر طوله فتروان صاحبنى رفيق اسمه توفيق التقين سريعا ولنسعدن جميعا والله ولى المأمول جعلت فداك الشفيق سىء الظن وما احوجنى الى ان اراك ولا قرابة الا الاخوة وقد ثبت والله بعيدك نازلة الدهر وقاصمة الظهر وان يشأ الله يسلك سننا وينبتك نباتا حسنا والله اولى بك من اخيك وهو حسبى فيك فاستعن بالله وحده أليس الله بكاف عبده *(وله الى اخيه ابى سعيد)* كتابى اطال الله بقاءك معدولا به اليك عن سيدنا وللخصم اذ تركوا الباب

وتسوروا المحراب فدخلوا على داود بسر سوى الخصومة ومرادون الحكومة وتحت القضية بلايا واولها ملامة على ان آخرها
سلامة ولها فاتحة فتح على ان لها خاتمة صلح ولامر ما صرفت الخطاب اليك وقصرت الكتاب عليك وزويته عن سيدنا وا الشوق
اليك شديد وهو الى غيرك اشد وانت (٢٧٤) الشقيق العزيز والمشتق منه اعز ولكنى افتتحت هذا الكتاب مصدورا ورققت له

قلبي مغيظا ونويت أن
انفث تنفيسا عن صدرى
وتخفيفا عن صبرى
فخشيت أن يغلظ كلامى
أو يطنى قلمى وقشر الابوة
رقيق لا يحتمله ومجال
العتب ضيق بين العبد
وسيده والوالد وولده
فاستخرت الله عند ذلك فى
صيانته وابتدأ الكتاب اذ
وجدتنى بك آنس وعليك
أقدر ولك أملك وفيك
أنطق ومعك أجرأ وأجرى
فلا عليك أن تسمع ولا
تضجر والكبر سلاحى عليك
والسن عذيرى منك يأبى
الله يا أبا سعيد أن أسعد
من بلدك بحظ أو أفوز من
رحمك بصلة أعمامك
فى الجفاء قدوة أصهارك
وذووسوآتك كذوات
أستارك والنية كالاعمال
فسادا والليلة كالبارحة
سوادا تحاسد والمال
قليل وتهاجر والعمر قصير
والشيبة تحقر والشيب
لا يوقر والصغير لا يعرف
لكبيره والكبير لا يعطف
على صغيره والدور
بعيدة والقلوب أبعد
والحال ضيقة والاخلاق
أضيق واللقاء عن عقر
والسلام عن عذر والزيارة

تاريخ والابتدام فتح الروم والاجتماع خلاف النصول ماهذه الطباع وفيم هذا النزاع ولو كان ومنه
فى قميص الخلافه أو سرابر الاماره لكان شنيعا وبئس صنيعا وكنت أظن بنشء العشيرة اذا انتهت الى النوبة نحت النوبة
فقد عمت الجفوة أفى الله ان ابتديكم شعفا ولا تجيبونى سرفا وكلما ازددت بكم خلافا ازددتم على صلفا أكل هذا الفقرى اليكم

هذه النكتة أخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة غفر الله لهما بقافيتها فقال

جنيتنى فازددت عندى علا * برغم من أقبل كالعاتب
وقلت لا أعدم من سيدى * من كان عينى فغدا حاجبى

والم الشيخ زين الدين بن الوردى بهذه النكتة ولكن سبكها فى غير هذا القالب بقوله

زرتكم صحبة وودا * ألفيتكم مغلقين بابا
سعيى الى بابكم جنون * عليه أسنا أهل الحجابا

ومن لطائفه فى أغزاله قوله

وكم يدعى صونا وهذى جفونه * بفترتها للعاشقين تواعد
وكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتعالى ريقه وهو بارد

ومن هنا أخذ الشيخ صفى الدين الحلى ولينه ما قال

ومافيه شئ ناقص غير خصره * ومافيه شئ بارد غير ريقه

ومنه قوله

أيسعدنى يا طلعة البدر طالع * ومن شقوتى خط بخدك نازل
ولو أن قسا واصف منك وجنة * لاعجزه نبت بها وهو باقل

الذى يظهر لى ان النكتة فى باقل من اختراعات ابن العفيف فانى لم اجد احدا ممن تقدمه ألم بها ولكن ماصبر الشيخ جمال الدين عنها لحسنها فقال من قصيد مضمنا

تطاولت الاغصان تحكى قوامه * وعند التناهى يقصر المتطاول
واعيا فصيح الوقت نبت عذاره * وعير قسا بالفهاهة باقل *

وكذلك الشيخ زين الدين بن الوردى ماصبر عنها حتى قال

وبى اغيد من حسنه البدر خائف * على نفسه والنجم فى الغرب مائل
فلو رام قس وصف باقل خده * لعير قسا بالفهاهة باقل *

ومن لطائفه قوله

ياخاله خضرة بعارضه * حرستها عن متيم مغرى *
كف عن العاشقين مقتصرا * هل انت الاحورس الخضرا

ومن نكته اللطيفه قوله

زار وجيب الظلام منسدل * فانشق ثوب الدجى عن الفجر
وبت من صدغه ومبسمه * اجمع بين الحشيش والخمر

هذه النكتة أخذها الشيخ زين الدين بمعناها وقال

ومليح قال جهرا * يا نفوس الناس عيشى
من رضابى وعذارى * بين خمر وحشيش

ومن لطائف نكت ابن العفيف قوله

وأتى بوجه كالهلال مركب * من قامة غصنية هيفاء *
وبمقلة خفق الفؤاد وقد رنت * وكذا الجنون يكون عن سوداء

ومن لطائف اختراعاته قوله

بدا وجهه من فوق أسمر قده * وقد لاح من سود الذوائب فى جنح
فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى * وقد طلعت شمس النهار على رمح

وكل هذا الغنا كم عني بد المغبون منا في التراب وحديث ما حديث سيدنا وبثه القول الى قاصد قصدكم العام وعدى له الايام
وشكرى لا عقاب الشهور واذا انتهت * وشوقى الى أعجازها حين تقبل فلما جاشت النفس واختلجت العين وطنت الاذن
لقرب القافلة وردت خالية من كتابه فخسأت الامل حسيرا وعجبت لذلك كثيرا ولم أعجب من تأخر كتابه

ومنه قوله والنكتة غريبة وبديعة

أسكرني باللفظ والمقلة الكحلاء والوجنة والكاس
ساق يريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس (ى)

ومن لطائفه أيضا قوله يا باعثا شعره انتشارا * بقامة مالها نظير *
الموت من ناظريك لكن * من شعرك البعث والنشور

ومن لطائفه قوله في مليح اسمه مالك

مالك قد أحل قتلي برمح القد منه وراح قلبي طعينه
ليس يفتي سواه في قتل صب * كيف يفتى ومالك بالمدينه

ومنه قوله مع حسن التضمين

جلا ثغرا وأطلع لي ثنايا * يسوق بها المحب الى المنايا
وأنشد ثغره يبغي افتخارا * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

ومن لطائفه قوله بأبي شادن غدا الوجه منه * يخجل النيرين في الاشراق
سلب القضب لينها فهي غيظا * واقعات تشكوه بالاوراق

البيت الثاني بلفظه ومعناه تقدم لابن عبد الظاهر والله أعلم أيهما السابق وابتذل حجاب هذه النكتة بعد ذلك المتأخرون منهم الشيخ زين الدين بن الوردي بقوله

قده جار اعتدالا * فله فتك ونسك
سلب الاغصان لينا * فهي بالاوراق تشكو

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

ومستتر من سنا وجهه * بشمس لها ذلك الصدغ في
كوى القلب مني بلام العذار * فعرفني أنها لام كي

ومن لطائفه قوله كأني واللواحي في محبته * في يوم صفين قد قمنا بصفين
وكيف يطلب صلحا أو موافقة * ولحظه بيننا يسعى بسيفين

ومن نكته التي تطفل الناس بعده عليها قوله

بأبي أفدي حبيبا * تيم القلب غراما
عذرا لعاذل فيه * مذ رأى العارض لاما

وقال لولم تكن ابنة العنقود في فمه * ما كان في خده القاني أبو لهب
تبت يدا عاذلي فيه فوجنته * حمالة الورد لا حمالة الحطب

أخذه ابن نباتة وقال حمالة الحلي والديباج قامته * تبت غصون النقا حمالة الحطب

قلت ورد ابن العفيف أغلى من ديباج ابن نباتة من حيث المناسبة الادبية والله اعلم وهذه النكتة ايضا اغار عليها المعمار بقوله

تعرض البدر يحكي حسن صورته * فراح منكسفا وانشق بالغضب
وبانة الجزع ماست مثل قامته * تبت وقد اصبحت حمالة الحطب

(وممن احسن المباشرة في نظم التورية) سيف الدين بن المشد فمن نكته البديعة الغريبة قوله

عجبي من تأخر كتابه أرأيت يا أبا سعيد كاليوم أسمعت بالتي نقضت غزلها انكاثا اقرأت قصة التي وهبت لواحد اثاثا أتبغي بعد هذا ميراثا أرأيت الذي اتبع عقدة النكاح ثلاثا أعجبت ممن وعد الغريق في القابل غياثا غرو ان قضيتك مع أخيك أظرف وحال أخيك معك أعجب عسى الله أن يجمع الشمل انه قدير كريم

(وله اليه أيضا)

لا يكاد خيالك يغبني يوما فالكتابك لا يسرني يوما وكالا يعجب أباك أن تكون ابنه فقط كذلك لا يعجبني أن تكون أخي فحسب فهات واقفني بعذرك فيما أضعت من عمرك علام أنفقت وفيم أنفدت وما الذي أفدت واعلم أن للمروءة سهما من المكاره موفورا ونصيبا من النصب مقدورا هو لابد لاقيه فكن كاخيك اول أبائك يوفيكهما في صباك فان لم يضربك صغيرا لم تعدم من يضربك كبيرا وان لم يتعبك صبيا أتعبك الدهر مليا وان سئمت وأنت طفل ندمت وأنت كهل وابدأ بالقرآن قبل كل محفوظ ثم بتفسيره والله ولي تيسيره ولا تشغلنك كتب اللغة عما رسمت لك ففيها اضاعة الزمان ولا خير في لغة ليست في القرآن *(وله اليه أيضا)* كتابي والاخ على ما آتاه الله من جراءة قلب وقدم وبسط لسان وقلم يقدم على الاسد فلا يخشاه ويقول المحال فلا يتحاشاه والمحال لا يلطم الخد انما يتجاوز الحد

مسكية الانفاس على الصبا * عنها حديثا قط لم علل
جنت لما ان سرى عرفها * ومارى من جن بالمندل

ومن لطائفه قوله ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
مافيه ساع سوى الساقى وليس به * على الندامى سوى الريحان نمام

هذه النكتة تقدمت للبدر بن لؤلؤ الذهبى وذكرت من أغار عليها من الجماعة ولكن الامير سيف الدين زاد ها نكتة أخرى بديعة واستعملها أحسن من الجماعة ومن لطائفه قوله

وشادن أوردنى هجره * لهيب حر الشوق والفرقه
أصبحت حران الى ريقه * فليت لى من قلبه رقه

هذه النكتة نظمتها فى مبادى العمر ولم أقف على قول ابن المشد الا بالديار المصرية فى الايام المؤيدية فقلت

أرشفنى ريقه وعانقنى * وخصره يلتوى من الدقه
فبت من خصره وريقته * أهيم بين الفرات والرقه

ومن لطائفه قوله فى يوم غيم من لذاذة جوه * غنى الحمام وطابت الانداء
والروض بين تكبر وتواضع * شمخ القضيب به وخر الماء

ومن لطائفه أيضا قوله اذن القمرى فيها * عند تهويم النجوم
فانثنى الغصن يصلى * بتحيات النسيم

ومن لطائفه قوله لئن صرفت وحاشا * لك فالدنانير تصرف
ومااعتقات كرعا * الا وأنت مثقف

ومن لطائفه قوله الحمد لله فى حلى وفى محلى * على الذى نلت من علمى ومن عملى
بالامس كنت الى الديوان منتسبا * واليوم اصبحت والديوان ينسب لى

ومن لطائفه قوله لعبت بالشطرنج مع شادن * رشاقة الاغصان من قده
احل عقد البند من خصره * والثم الشامات من خده

تورية الشامات رخصها المتأخرون بعد سيف الدين بن المشد وممن أخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

افديه لاعب شطرنج قد اجتمعت * فى شكله من معانى الحسن اشتات
عيناه منصوبة قاب غالبة * والخد فيه بقتل النفس شامات

انتهى ما تخيرته وعدت بايراده فى باب التورية من كلام هذه العصابة التى مشت تحت العصائب الفاضلية * وصار لها من بعد فى نظم التورية أعظم رواية * وقدمت امامهم الذى صلت الجماعة خلفه وهو القاضى الفاضل وبعده القاضى السعيد بن سنا الملك والشيخ سراج الدين الوراق وابو الحسين الجزار ونصير الدين الحمامى وناصر الدين حسن بن النقيب والحكيم شمس الدين بن دانيال والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وهذه الفرقة التى تقدمت بعد الفاضل بالديار المصرية وأما الفرقة الشامية فامام جماعتها الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة وبعده مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى ومحيى الدين بن قرناص الحموى وشمس الدين بن العفيف وسيف الدين بن المشد ولكن عجبت من الشيخ صلاح الدين الصفدى كيف أخل فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام بذكر

ولا يشج الراس انما يرفع القياس ذكرانى كسلت عن اجابته فاتخذت ذلك الفصل ذريعة الى رضاه وانما معنى اشتم عرض الانط والعن زغب البط وأقول لم يرجع على ولم يرجع الى ولم يحم حوالى كانه العتب لو رجع صاحبه فاما اذا لم يرجع فلا عتب وان كان فلا عتبى وذكر اعتداده بما فات وقلت وثقته بما اعتقده من مودته وانما كذبت ذلك اتعلم لا انتقد وانهى لا لائمتن وأما ماذكر من شوقه فعلوم لان الصبر عن مثله لوم والعجب شوقى اليه والوجه فلوس والرأس رؤس والجملة شيطان والتفصيل سلطان وأنا مع ذلك أفديه فضواعضوا الا المجدود المورود كيلا يحفظ على الحدود وتبلغ سلامى الى فلان والى فلانة ولهما من قلبى مالا يحل الزمان عقدته ومن السلامة مالا تخلق الايام جدته

(وله الى أبى الفتح ولد أبى طالب)

أرانى أذكر الشيخ اذا طلعت الشمس أوهبت الريح أونجم النجم أولمع البرق أوعرض الغيث أوذكر الليث أوضحك الروض ان للشمس محياه وللريح رياه وللنجم حلاه وعلاه وللبرق سناؤه وسناه وللغيث نداؤه ونداه وفى كل صالحة ذكراه وفى كل حادثة أراه فتى أنساه واشدة شوقاه عسى الله أن يجمعنى واياه

(وله اليه أيضا)

حثوا المطى فهذه نجد غاب الهوى وتطلع السعد وقد برح الشوق برحا لا أستطيع له شرحا وغلى الوجد غليا لا أرد صبرولا الشيخ يسعه صدر وابرح مايكون الشوق يوما * اذا دنت الديار من الديار فيالله طلعة الشيخ وبارك فى مقدمه بركة تعمه من فرقه الى قدمه ووصل له الخيرات بهذه السفرة حتى تسفر له عن كل محبوب وقد أصحت السماء قليلا وصفا الجو يسيرا والحمد لله كثيرا

الشيخ علاء الدين على بن المظفر الكندى الشهير بالوداعى وهو أشهر من قفا نبك فى نظم التورية بل هو امرؤ قيسها وكندتها * واذا ذكر شرف نسبها فانه علويها * وانتقل من حلب الى دمشق المحروسة وعاصر الجماعة المذكورين ومولده سنة أربعين وستمائة ووفاته سنة ست عشرة وسبعمائة فكانت مدة حياته ستا وسبعين سنة ومولد السراج الوراق سنة خمس عشرة وستمائة ووفاته سنة خمس وتسعين وستمائة فكانت مدة حياته ثمانين سنة ومولد أبى الحسين الجزار سنة احدى وستمائة ووفاته سنة اثنتين وسبعين وستمائة فمدة حياته احدى وسبعون سنة ووفاة نصير الدين الحمامى لسنة اثنتى عشرة وسبعمائة ووفاة ناصر الدين بن النقيب سنة سبع وثمانين وستمائة ووفاة الحكيم بن دانيال سنة عشرة وسبعمائة ومولد محيى الدين بن عبد الظاهر سنة عشرين وستمائة ووفاته سنة اثنتين وتسعين وستمائة فمدة حياته اثنتان وسبعون سنة ومولد شيخ الشيوخ الانصارى سنة ست وثمانين وخمسمائة ووفاته سنة احدى وستين وستمائة فمدة حياته خمس وسبعون سنة ووفاة مجير الدين بن تميم سنة احدى وثمانين وستمائة ووفاة بدر الدين يوسف الذهبى سنة ثمانين وستمائة ومولد شمس الدين بن العفيف سنة اثنتين وستين وستمائة ووفاته سنة سبع وثمانين وستمائة فمدة حياته خمس وعشرون سنة ومولد سيف الدين بن المشد سنة اثنتين وستمائة ووفاته سنة خمس وخمسين وستمائة فمدة حياته ثلاث وخمسون سنة وجل القصد من ذلك تحقيق الواقف على هذا الشرح ان علاء الدين الوداعى عاصر الجماعة أو غالبهم وقد تقدم قولى فى باب التوجيه ان الشيخ علاء الدين الوداعى سبك التورية فى قوالب لم يسبقه أحد من هذه الجماعة اليها * ولا سقط فكره عليها * ومع علو قدر الشيخ جمال الدين بن نباتة وهو الذى مشت ملوك الادب قاطبة بعد الفاضل تحت اعلامه تطفل على موائد نكت الوداعى ومعانيه * وعلى الانواع الغريبة من تواريه * وأوردت هنالك من هذا القدر نبذة ولكن تعين ايرادها هنا كاملة لانها حق من حقوق التورية يتوصل فى تقدمه الى غير مستحقه بحيث أن الطالب اذا أراد أن يفرد هذا النوع أعنى التورية كان بافراده فريدا * وعقدا نضيدا * وكلما أوردته من أنواع التورية فى غير بابه * عزمت على نظم شمله هنا ليجتمع كل غريب بأقاربه وانسابه * وقد عن لى اننى اذا فرغت من هذا الشرح ان أفرد بابا للتورية والاستخدام واجعلهما مصنفا مفردا واسميه كشف اللثام * عن وجه التورية والاستخدام * فان الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه لم يشف القلوب بترتيبه * ولا نفقه فى بديعه وغريبه * فمن موائد الوداعى التى تطفل الشيخ جمال الدين بن نباتة عليها قوله من قصيد

أثخنت عينها الجراح ولا اثم عليها لانها نعساء
زاد فى عشقها جنونى فقالوا * ما بهذا فقلت بى سوداء

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال من مطلع قصيد

قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتنى الجنون بالسوداء

والشيخ جمال الدين بن نباتة أدرك الوداعى وهو فى عنفوان شبابه * ولمعان سيوف آدابه وقد تقدم مولد الوداعى ووفاته ومولد الشيخ جمال الدين سنة ست وثمانين وستمائة وتوفى سنة ثمان وستين وسبعمائة فمدة حياته اثنتان وثمانون سنة وعلى هذا كان سن الشيخ جمال الدين ابن نباتة عند

فليعمل اهتمامه امامه وليبدا بتزامه قدامه وليفرج بين الخطا حتى يشفى علته ويجلو ظلمته ويسد ثلمته ويؤنس وحشته وهو بذلك يستوجب شكرا *(وله اليه أيضا)* ولو أن ما أودعته من محبة أودعه الجبلان لالتبسا التباسا يجعل رأسيهما راسا وأساسيهما أساسا وانى لاذكره يقظان فاتصور مثاله واحلم به

نائما وأواصل خياله وله على كل خطراتى رقيب وعلى كل نظراتى حسيب ولا يقدح فى الحال بيننا أن يتأخر كتاب متوقع انما يوجب ذلك عذرا لو وقع كما لنا العام انى أثبت هذه الاسطر ونصفى راحل وابلى مقيمة وكتبتها والاحمال تشد والعلوفات تعد والحمير توكف والمكارى يزلف والدواب تسرج والجمال تقدم والجمال يشتم وفى اثناء هذه الاحوال تضل الآراء وأنا ان شاء الله وارد غزنة وراجع عنها الى هراة فكاتب الشيخ بما يجدده الله من حال ويقربه من منال ويفيضه من جاه ومال ويبلغنيه من أمانى وآمال ويحسنه الى من دار ومآل وما ذلك على الله بعزيز وقد طالت مراجعات الشيخ فى حديث أبى طالب جعلنى الله فداه وأبو طالب جلدة بين العين والانف ولا مس بعدى الامنى باكثرها فانه قرة عينى وبصرى وسمعى ولسانى ويدى وأنس يومى وذخيرة غدى وفلذ كبدى وقطعة من جسدى والزيادة على التمام فضول وليس بعد الغاية سول فان رأى الشيخ وأبت الكريمة عنده الا ترادا فشرط ذلك أن يبعد شأوه فى العلم ويرسخ قدمه فى الدين ويتحامى من اخلاق الشيخ تعاطى الشرب ويقتدى به فى سائر أخلاق الفضل ويزورنى لا خبره عاما فان بعثت الكريمة جمع الله بينها وبينى وأقر بلقائها عينى أعظمت قدرها وفخمت أمرها وأقررت بكل مراد عينها ووصلت أبا طالب رحمه الله واستعنت بالله على ما أنويه فيه

(وله أيضا) ورد العام من هراة أبو فلان وهو مني بمنزلة السمع والبصر والشيخ يعرض عليه نفسه ذاهبا وجائيا
ويصلح شؤنه عائدا وباديا ويرد من بوشنج فلان وهو أخو الرئيس بها فليحسن خدمته متحققا بين يديه عارضا نفسه عليه والحاكم
أبو عثمان وهو لي بمنزلة العم فليخصه من العناية بالاهم ويرد من بيته فلان وهو من صدور خراسان وكبرائهم والشيخ
يحسن خدمته فيما وجد اليه سبيلا ويرد من بلخ ولي نعمتي أبو جعفر وهو ابن الشيخ الجليل أبي العباس فليؤم سدته وليغتنم خدمته وأوصيت به خيرا واستوصي خيرا وان عرض له بالري عارض شغل تولاه هذا الشيخ وبلغ مرداه منه ويكفي من الخدمة قدر الطاقة فلا يحمل على نفسه كعادتها في الاعوام قبلها ويرد أبو فلان وهو العالم الفرد والكوكب الفذ ويصل معه ان شاء الله ماخدمت به سيدنا الشيخ فوصلت به أبا طالب فليعن بخدمته فضل عنايته وسلام عليه وعلى من تشمله جملته وتضمه قبيلته من صغير وكبير وله أيده الله فيما يؤنسني به من كتبه ويعرفنيه من سار أخباره رأيه الموفق ان شاء الله

(وله اليه أيضا)

أنا منذ أسعدني الله بما أساومه على الايام واقترحه على الزمان من لقاء الشيخ وجاءت البشارات بمقدمه وشيكا أعد الانفاس
واستخبر الناس واشكر اعقاب الايام واستبطئ سرى الليالي فأهلا بالقادم ومرحبا بالوارد والعيش البارد اذا
والظل الدائم والانس الكامل والروح الواصل ويا شوقاه متى أراه وحتام ذكراه سهل الله جمعنا ويا خير المراهب أدام الله
عز الشيخ ماشابه بعض الاذى ليكون مصرفة لعين الكمال ولولا اختلاف السيوف واستقاء الجموع واضطراب الجيوش واختلال

وفاة الوداعي بثلاثين سنة والله أعلم ومما نعطف به على ما تقدم قول الوداعي

اذا رأيت عارضا مسلسلا * في وجنة كجنة يا عاذلي
فاعلم يقينا انني من امة * تقاد للجنة بالسلاسل

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وزنا وقافية وقال

أفدي الذي ساق اليها مهجتي * فرع طويل تحت حسن طائل
قلبي بصدغيها الى طلعتها * يقاد للجنة بالسلاسل

ومن ذلك قول الشيخ علاء الدين الوداعي

لقد سمح الزمان لنا بيوم * غدا فيه السمي مع السمي
تجمعنا كأنا ضرب خيط * علي في علي في علي

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا وزنا وقافية وقال

علوت اسما ومقدارا ومعنى * فيالله من حسن جلي
كأنكم الثلاثة ضرب خيط * علي في علي في علي

قال الشيخ علاء الدين الوداعي

من آخذ من خده * بدم الشهيد المغرم
فالريح ريح المسك منه * ولونه لون الدم

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

لا ينكر الكاسر من جفنه * دم الشهيد الصابر المغرم
فالريح ريح المسك من خده * كما ترى واللون لون الدم

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد

يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد يا حار

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

لو ذقت برد رضاب من مقبله * يا حار مالمت أعضائي التي ثملت

مع ان الشيخ جمال الدين فتر عن الفاتر وقال الشيخ علاء الدين الوداعي

قيل ان شئت أن تكون غنيا * فتزوج وكن من المحصنينا
قلت ما يقطع الاله بحر * لم يضع بين أظهر المسلمينا

أخذه الشيخ جمال الدين بالقافية وقال

قال لي خلي تزوج تسترح * من أذى الفقر وتستغني يقينا
قلت دع نصحك واعلم انني * لم أضع بين ظهور المسلمينا

قلت ان قافية محصنين أصدق من يقين ابن نباتة في مقطوعه قال الشيخ علاء الدين الوداعي مضمنا

يا عاذلي في التكاريش أطرح عذلي * واعذر فعذري فيهم واضح حسن
فالمرد ان حاولوا حربي بهجرهم * اذا القيام بنصري معشر خشن

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

لو آذنتني عذالي بحربهم * اذني التكاريش قد أصبحت هيمانا

الامور وفساد الطريق وتصاول الملوك ومايتبع هذه الاحوال من الاهوال لاستقبلته بنفسى مائة فرسخ وباصحابى مثله لكن
العوائق ظاهرة فلا يحملن ذلك على جهل بمقدار نعمة الله فى لقائه ولا يستوحش لتأخرى عن استقباله ان الامر على ماوصفت
ولا آمن ان خرجت عيننا تطرق بسوء أو يدا تمتد بشر فيضيق لذلك قلبه فاذا وردان شاء الله وردعلى

اذا القام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذولوثة لانا

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

عذب مقبله وحلو لحاظه * أوماتراه بالنعاس معسلا

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

معسل بنعاس فى لواحظه * أماتراها الى كل القلوب حلت

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من القصيدة المذكورة

الحاظه وهى السيوف كليلة * ويكون تعذيب الكليلة أطولا

أخذه الشيخ جمال الدين مع القافية وقال من قصيد

بليت بساجى اللحاظ كليلها * ومازال تعذيب الكليلة أطولا

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

والنهر كالمبرد يجلو الصدا * ببرده عن قلب ظمآنه

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

والنهر فيه كمبرد * فلاجل ذا يجلو الصدا

لكن نقص نهره وكل مبرده عن نكتة ببرده فى بيت الوداعى فان الشيخ جمال الدين حط مكانها فى بيته فلاجل ذا وشتان قال الشيخ علاء الدين الوداعى فى مطلع قصيد

ما كنت أول مغرم محروم * من باخل بادى النفار كريم

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

مبخل يشبه ريم الفلا * ياطول شجوى من بخيل كريم

قال الشيخ علاء الدين الوداعى فى مليح أعمى

روحى غزال راح فى الحسن جنة * تعشقته أعمى فهمت من الوجد
اذا ما تبدى قائدا بيمينه * تيقنت حقا انه جنة الخلد

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة بالقافية وقال

أفديه أعمى مغمدا لحظه * ليرتعى فى خده الوردى
تمكنت عيناى من وجهه * فقلت هذى جنة الخلد

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

بخلت على بدر تبسمها * فغدت مطوقة بما بخلت

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

هذا المعنى استحقيته على الشيخ علاء الدين الوداعى والشيخ جمال الدين ابن نباتة فانى زدت الاقتباس من الحديث تورية بقولى

ناحت مطوقة الرياض وقد جرى * دمعى الملون بعد فرقة حبه
لكن بتلوين الدموع تباخلت * فغدت مطوقة بما بخلت به

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد يصف مليحا من المغل

الاسماع والابصار ومشى على الفروق والهام ووصل الى الفؤاد وتمشش فى العظام وحظيت به الصدور حظوة البلد القفر بصائب القطر وردت كتب فلان مشحونة بشكره مملوءة من الثناء عليه فازددت لها اقامة وزدت بها قيمة وشكرت الله تعالى على ماوفق له الشيخ من التحنف بين يديه والتقرب اليه ووردت الكتب بخط فلان وقد كنت أخللت بحديثه فى الكتب اليه سهوا وغلطا ثم اعتمدت ذكاء الشيخ وفطنته فى الامور فكان كما ظننت ووردت كتب السادة من الحجاج بمثل ماورد به كتاب فلان وأجبت عن كل كتاب ورد وأرجوه وصل ان شاء الله تعالى

(وله اليه أيضا)

ولما نزلنا منزلا طله الندى أنيقا وبستانا من النور حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه منى فتمنينا فكنت الامانيا

اليوم طلق والهواء رطب والماء عذب والمكان رحب والسماء مصحية والريح رخاء فأين سيدى أبو الفتح أشهد ماليوم جميلا ولا الهواء طليلا ولا الماء بردا غليلا وأقسم ما الروض الا ثقيلا ولا الانس الا دخيلا ولا الزمان الا بخيلا وانى لتعرونى لذكراك هزة * كما انتفض العصفور بلله القطر وليس الشوق الى مولاى بشوق انما هو وقع السهام ولا الصبر عن لقياه بصبر انما هو كأس الحمام وما للسم سلطان هذا الهم ولا للغمر

ومايرى هوى المشتا * ق الاذلال المغلي

قال الشيخ جمال الدين من قصيد

من المغل أشكو نحره ألم الجوى * وطب الهوى عندي كما قيل بالمغلي

قال الشيخ علاء الدين الوداعي يانديمي والذي عاهدني * أنه عن شربها ان يقصرا

اسقني صرفا ودع عذالنا * يضربون الماء حتى يخصرا

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباته وقال اسقني صرفا من الرا * ح تحت الهم حتا

ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من مطلع قصيد

باللوى صعدة عليها لواء * كل طعنات نصلها نجلاء

وقال بعد المطلع لا تخل عندها اسماعا الشكوى * فلهذا قالوا لها صماء

قال الشيخ جمال الدين بن نباته في مطلع قصيد

وعدت بطيف خيالها أسماء * ان كان يمكن مقلتي اغفاء

وقال بعد المطلع يامن يطيل من الجوى لقوامها * شكواه وهي الصعدة الصماء

قال الشيخ علاء الدين الوداعي ياربوة أطربتني * وحسنت لي هتكي

اذا است أبرح فيها * ما بين دف وجنك

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباته وقال

بالجنك من مغنى دمشق حمائم * في دف أشجار تشوق بلطفها

فاذا أشار لها الشجي بكأسه * غنت عليه بجنكها ودفها

وتطفل أيضا الشيخ صلاح الدين الصفدي على الوداعي في جنكه ودفه فقال

انهض الى الربوة مستمتعا * تجد من اللذات ما يكفي

فالطير قد غنى على عوده * في الروض بين الجنك والدف

وتطفل على الوداعي أيضا الشيخ زين الدين بن الوردي وتزاحم هو والصفدي على العود

دمشق قل ماشئت في وصفها * واحك عن الربوة ما تحكي

فالطير قد غنى على عوده * في الروض بين الدف والجنك

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد يصف نار شوقه لمحبوبه مع كتمان سره

في حشاه للشوق نار تلظى * وبفيه حفظا السر لك ماء

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباته بالقافية وقال من قصيد ولكن زاده حسنا

فيا عجبا مني لانسان مقلتي * يحدث أخباري وفي فمه ماء

ومن لطائف الوداعي ونكته في العود الذي أخذه منه الشيخ صلاح الدين الصفدي والشيخ زين الدين ابن الوردي واستعملاه بلا أوتار قوله

والروض يهدي مع نسيم الصبا * نشر خزاماه وريحانه

وراسل القمري ورقاءه * شدوا على أوتار عيدانه

ويعجبني من هذه القصيدة قوله مشيرا الى رأس العين ببعلبك

طيفان هذا الامر ولو شاء الله لا جمع الشمل ولا تصل الحبل ولكن الله يفعل ما يريد وورد كتابه مع فلان الجيفا جمه ظريفا طيبه مليحا شكله بارا عنوانه سارا صدره حسنا خطه سديدا معناه ولفظه وفهمت مودعه وحمدت الله تعالى على ماخصني من سلامته وسألته المزيد له من فضله فاما ماشكاه من تأخر كتبي عنه فما علمت ان سيدنا الشيخ تذخر عنده فصولي ولا علمت أن مولاي يعتد بكتبي ولا أنه يعاتب في قصورها عنه وظننت الفصل بلا غاوله العتبى من بعد وأما ماوصف من حال الشوق وبرحه فانا في غنى عن شرحه لما انطوى عليه له ولا عجب أن يتطرقه وقد توسطني وان يكده وقد هدني والقلبان بحمد الله قاب والروحان على ذلك ألب ووصل ما تحفني به من الاتن والرسم في مثلها ان ترد الى الوطن وتنقل الى المأمن ولبث الذي هنا هنالك على أنه حسن موقعه ولطف مورده فليكن ما يصل الي به من تلك الديار طيب الجبن ومبرز الزبيب وفائق الزعفران وما يقرب من هذا الباب فاما أنواع الثياب فالكلفة في اهدائه ظاهرة والله لا يحب المتكلفين ولو أقام أبو فلان الى شهر لافردت لكل واحد من ولدي أبي طالب وأبي فلان خلعة جمال وسلعة مال وتذكرة حال ولكنه أقام عشر ليال ولقيني فيها ثلاث مرات لقيا خيال فاصحبته مقتضى مقامه وموجب أيامه وهو الطل يتبعه الوابل والموعد ان شاء الله القابل أردت أن أختم هذا الفصل بطي الكتاب ثم أتت جاشة الصدر وغلبت حامية الصبر فسأنفث قليلا ان لم أبث طويلا ما ظننت ان أي يثني والداعن ولده حتى يقطع رحمه وينسى اسمه الا اتفاقا والله المستعان أنا واثق من مولاي بجميل الحصانة وكريم الرعية وانما يشتمل ستره على شفقة من

قلبي وقطعة من كبدي وجزء من روحي ولعمري ما لود يعه عنده بضيعة ولا الامانة عنده بضلة وكل سر فعنده استره وكل جهر فداء اجهره واغناه هو طيب المولد وكرم المحتد وصدق الفتوة ونصح المروة ونافع الجنة وناصع الامانة فالله يجزيه خيرا ولا ريبة فيما يليه سوا برجته ما سرني فصل من كتابه كالفصل الذي أبلغني فيه سلام فلان وبشرني بسلامته والله

ياحادي الاظعان ان شارفت * من بعلبك سفح لبنانه
فاقرأ تحياتي على نازل * في محجر العين كانسانه

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد

ياجيرة بالغور قد نزلوا * الله من جيرة ونزال
ماعطل الطرف بعد فرقتكم * من دمعه واكشفوا عن الحال (ى)

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

حلوا بعقد الحسن اجيادهم * وحاولوا صبري حتى استحال
فآه من عاطل صبر مضى * والحمد لله على كل حال

قال الشيخ علاء الدين الوداعي واجاد الى الغاية

قالت الورق اذ شدا * فشجاها وشوقا
ما رأينا مقمرا طقا * قبل هذا مطوقا

ومثله في تورية المطوق

ياجنة كوثرها * رضابه المروق
وفوق غصن قده * عذاره مطوق

ومثله قوله

فديت من مبسمه * زهر لغصن قده
وصدغه مطوق * في روضة من خده

النكتة في المطوق من اختراعات الوداعي وتطفل عليها الشيخ جمال الدين بن نباتة حتى في تسمية كتابه ومن نظمه فيها قوله طوق جود الوزير جيدي * فلست عن مدحه اعوق
أسجع بالمدح في علاه * لا غرو أن يسجع المطوق

قال الشيخ علاء الدين الوداعي

لي من الطرف كاتب يكتب الشو * ق اليه اذا الفؤاد أمله
سلسل الدمع في صحيفة خدي * هل رأيتم مسلسلات ابن مقله

هذا المعنى قلبه ابن نباتة بعد الوداعي كثيرا وسبكه في قوالب كثيرة وأظنه أخذه وزنا وقافية بقوله

قلت للكاتب الذي ما أراه * قط الا ونقط الدمع شكله
ان تخط الدموع في الخد خطا * ما يسمى فقال خط ابن مقله

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد

قلبي مطيع في هواك وأنت لي * من بين دوح الحسن غصن خلاف

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال في مطلع قصيد

قاسي الجوانح لين الاعطاف * أهواه في الحالين غصن خلاف

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد

كيف أقوى لحمل سخط وبعد * بعدما كان من رضا وتداني
فتكرم بعطفة والتفات * مثل ما في الاغصان والغزلان

أخذه الشيخ جمال الدين فقال من قصيد

غزال رمل ولكن غير ملتفت * وغصن بان ولكن غير منعطف

يسوغها عليه وأعتددت بما أهداه من سلامة الاخوة ولئن كان لابي فلان حرس الله روحه الشعب الاوسع من قلبي والنصيب الاوفر من نفسي فان لكل من سادتي لمكانا من كبدي مكينا وحصنا من قلبي حصينا ولسيدي أبي فلان من التحية ما يجعل ليله نهارا وليت شعري بمولاي أبي فلان كيف اقتصر على الفصل على انه كان بلاغا من الفضل ولو أفرد كتابا لافردت جوابا وعليه من السلام ما رد شبابه طربا ووجدت في فصله آثار عن مرضعتي فارتحت لحديثها وما علمت حياتها حتى الآن والآن فما علمت الاظنا ولا أتحققها الارجاء فان كانت في كنف من الحياة فأنشد الله مولاي لما أحسن اليها ووفر عليها وقضى من حقها مدة حياتها وسأبعث ان شاء الله اليها سدادا من نفقة ومدادا من معونة والى حين وصولها فمولاي خليفتي على تعهدها وحسن تفقدها ونعم الخليفة والوكيل ولولا ما منيت به من فساد هذا المداد

 وتصول هذه الدواة لاحببت أن أطيل ولكن شجو به قد أضجرني وورد هذا العام همذان في جملة الحجاج أبو فلان وأبو فلان فاما ابن أحمد قاضي هراة وامام خراسان فلحسن حقوقه له واختلافه اليه وتعرضه لحاجاته وأما ابو الفضل فمن افاضل هراة ومعدود بها في الجلالة فليقض حقه بالزيارة ذاهبا وعائدا ورأى الشيخ في مواصلتي بكتبه كل وقت وتصريفي على حاجاته موفق

ان شاء الله *(وله اليه أيضا)* مازلت أعرف الشيخ ظريف الجملة كريم الخلقه واسع العطن عذب المورد وما علمته يبلغ من الفضل فوق غايته ويسع من الحمد أكثر من قلته لقد قفلت قافلة الحجاج وأثنوا عليه ثناء لورقى به الشباب لعاد سريعا أو صب على الفراق لانقلب شملا جميعا ومازلت (٢٨٣) معتدا بفضله واثقا بكريم فعله وأنا اليوم به أكثر اعتضادا وأقوى ظهرا وفؤادا

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعى ونكته الغريبة قوله

قال لى العاذل المفند فيها * يوم وافت فسلمت مختاله

قم بنا ندعى النبوة فى العشـ * ـق فقد سلمت علينا الغزاله

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

ياغزالا أهدى السلام الى المغـ * ـرم لا تنكرن حالا لديه

كيف لا يدعى النبوة فى العشـ * ـق وقد سلم الغزال عليه

وأخذه الشيخ صفى الدين الحلى فقال فى ثلاثة أبيات تركيبها ضعيف

تنبأ فيك قلبى واسترابت * قلوب صدهم عنه ضلال

وردهم الهوى أن يؤمنوا بى * وقالوا ان معجزه محال

فقد سلمت السرايا * الى وقيل كلمه الغزال

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعى أيضا ونكته الغريبة قوله على لسان صديق اسمه عمر وقد هام بمليح فى احدى اذنيه لؤلؤة

كم قلت لما مر بى * مقرطق يحكى القمر

هـذا أبو لؤلؤة * منه خذوا ثار عمر

ومن لطائفه أيضا فى مليح اسمه سعد

اذا ما كان قل لى ياحياتى * مرادك من ردك أو بصد

ففوق سهم طرفك نحو قلبى * فدالك أبى وأمى وارم سعد

ومن لطائفه أيضا فى مليح بدوى

أقبل من حيه وحيا * فأذرقت سائر النواحى

فقلت ياوجه من بنى من * فقال لى من بنى صباح

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

تعجبوا لما غدت أدمعى * بيضا وراحت كالدم القانى

لا تعجبوا الطرفى رب الهوى * فكل يوم هو فى شان

ومن نكته البديعة الغريبة أيضا قوله

وليلة خلت مجلسنا سماء * وصحبى كالثريا فى اجتماع

فبات الطرف يرعى البدر منهم * الى ان حل منزلة الذراع

ومن نكته البديعة الغريبة أيضا قوله من دو بيت

ياغصن نقا أينع بالازهار * ياألطف من نسمة الاسحار

ريحان عذارك الذى تيمنى * من ولده من قلم الاشعار

ومن لطائفه قوله من دو بيت أيضا

لما حجب الكرى عن الآماق * وانقاد مع العدى على العشاق

ناديت وقد تزايدت اشواقى * ياغصن رضيت منك بالاوراق

ومن لطائفه الغريبة قوله فيمن يبيع السكر بالدين

وكتبت هذه الرقعة على حد شخوصى الى حضرة السلطان ولم اتسع فيه وسترد عليه ان شاء الله بقية مافى الصدر ووصل ما أنفذه وحسن موقعه فانما قرة العين وقوة الظهر ومسكة النفس ومنة الامل نجابة ولدى أبى طالب حرسه الله تعالى وقد نويت له غير ما كنت عليه وستسفر له الايام عن كل مراد فليواظب الشيخ على تهذيبه وتأديبه والسلام عليه ولم يرد من الشيخ سيدنا كتاب فى هذه السنة والله ليفين بوعده وليلحقن بولده بل بعبده أولا قطعن مكاتبته ماعشت ومواصلته مابقيت ولى فيما أفعل اسوة بيوسف عليه السلام ثم ان قصدنى واصلا وحضرنى زائرا لاخدمنه خدمة يتحدث بها الركبان برا وبحرا وتسير بها الاخبار شرقا وغربا

(وله اليه أيضا)

وما أشبه نفسى أدام الله عز الشيخ فى هذه الاسفار الا بالخيال الطارق أو بلمع البارق أو الغلام الآبق أو الجواد السابق أو بهرب السارق أو السهم الخارق واغماهو الشد والترحال والخيل والبغال والحمر والجمال وبين المقبل والمبيت بون بعيد ارى وبين المصبح والممسى نأى طويل وبين المضرب والمقصد طى المراحل بالبيد والشيخ يستقصر كتبى ويستبطئ رسلى ومابى اغفال ولكن امكان وقد استقرت بحمد الله القدم وكل وقت رسول قاصد وكتاب نافذ ان شاء الله والشيخ أبو فلان لا يزال يسلفنى يد اغراء

برهن بها شكرى ثم لا يلبث قدر ما افتنى من منه حتى يتبعها أخرى لا جرم انى أستخير الله فى الكسل وله أيده الله من فلى الحبة السوداء ومن صدرى شعب فارغ ان شاء الله تعالى *(وله اليه أيضا)* مضى العيد اطال الله بقاء الشيخ الرئيس فلا صدقات الفطر ولا صدقات العطر ولا فضلات القطر ولا لفظات الذكر وا سمع الناس (٢٨٣) يقولون ان الشيخ الامام مستبد لى مستوحش

أرى من الواجب ان يصرف الشعطار بالصدو بالزجر
فأى تصريف وذوق لمن * يدين السكر بالصبر

ومن نكته الغريبة أيضا من مديح قصيدة

يا طالبا للكيمياء ولم * يحصل على عين ولا أثر
زر لا تما عتبات ساحته * تظفر اذا بكرم الحجر

وهذا المعنى تطفل عليه الشيخ جمال الدين بن نباتة وكثير من الناس بعد الوداعى ومن لطائفه قوله

يا عز والله العزيز الذى * قضى على نفسى باذلالها
له خطرت من نحوكم نسمة * الا تعرضت انتسالها
ولا سرت منا الى أرضكم * الا تمسكت باذيالها

ومن لطائف مجونه قوله

لنا شاعر قد هذب الطبع شعره * واصبح عاصيه على فيه طيعا
اذا خمس الناس القصيد لحسنه * يحق لشعر قاله ان يسبعا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله مع حسن التضمين

وشادن مثل الضحى وجهه * كتمت عشقى فيه خوف الرقيب
حتى بدا ليل عذار له * فبحت والليل نهار الاديب

ومن لطائفه التى تقدم بها قوله

كلما رمت فيك انكار حبى * من عذول يزيد فى تعنيق
عرفته لام العذار غرامى * بل واللام آلة التعريف

ومن نكته التى هى نوع من السحر قوله فى مطلع قصيد

اعبذ ريم الترك بالروم * والصدغ مع فيه بجم

وما أحلى ما قال بعده ولم يخرج من مطابقة التورية

وخده المشرق قد صح فى * عذاره المعوج تقويمى

ومن نكته البديعة الغريبة المطربة قوله

واغن ساجى الطرف ذى هيف * والواو فى واغن للقسم
قالت خلاخله أعكسنى * نطق وماء الساق مل ء فى

ومن نكته البديعة الغريبة قوله من قصيد

وكأن ريق النحل ريقتها * فيها الشفاء لمهجة نحلت

ومن لطائفه قوله ويوم لنا بالنير بن رقيقة * حواشيه خال من رقيب يشينه
وقفنا وسلمنا على الدوح بكرة * فردت علينا بالرؤس غصونه

ومن لطائفه أيضا قوله وذى دلال اهيف احور * أصبح فى عقد الهوى شرطى
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقى قلت فى وسطى

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

زر بمصر وسكانها * شوقى وجد عهدى الخالى

منى وأنا سليم نواحى القول والفعل والنية وانما أنا كالحية اضمن ان لا السع ولا أضمن ان لا يفزع والسلام *(وله اليه أيضا)* الصدق اطال الله بقاء الشيخ الرئيس حسن جميل والجنة ميعاده والكذب سيئ قبيح واسوأ منه معاده ومن فسيح العار ونسيج الادبار ودواعى البوار وموحشات الدار وموجبات النار حلف المرء قبل ان يستحلف فاسمع اللهم ان كانت سنة احدى واثنتين اشتملتا بعلمى على يوم وليلة واحدة اخليت الشيخ الرئيس فيهما من ورد دعاء نهارا وورد دعاء ليلا فانا من حولك وقوتك برىء وعلى مقتك ولعنتك جرىء وما اعتذر بهذا انى لمصون الاطراف محفوظ الاسباب وان امر أصلاحى فى ناصيته ومعاشى فى ناحيته وبقائى فى عافيته لحقيق بالاكثر من صالح الدعاء ولو نالت اليد الثريا والذى أحب ان يعلمنى شكورا ويتصورنى مخلصا ومابى تسوية لخراج وتهيئة الضياع انما انا المرء لا يشفينى القيل ولا

روبى النيل ولكن عبد تلك الاخلاق وفداء ذلك الحلم ولو ان الذى خولنيه سلبنيه ما نقصته محبة واقسم لو رويت سيفك من دمى لا قربالود الصحيح لحرب *واستغفر الله على افراط الشعر على انى له نعم العبد (وله اليه أيضا)* سئل بعض الفقهاء أطال الله بقاء الشيخ الرئيس عن لحم الذباب الميت فقال من اشتهاه حيا طريا فبأ كله هنيأ مريا انا لا اعلم للسلطان فى مالى حاجة ولا للشيخ الرئيس

فى خرفى نجعة وأبو فلان به مابى فلم لا يرحم شبابى والغلط الواقع فى ابن أبى اليقظان واحر باو اليك أشكو والحرب أظن والله أجلى قد
اقترب وبالله للموت فى وقته خير من الحياة فى غير وقتها اللهم توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين رب العالمين (وله اليه يعزيه عن بعض
مستوراته) كتبى ولا اخلال بفرض الخدمة ولا رغبة عن مشاركة ولى النعمة ان مأتم قوم فى الصدر وأشد
من مأتم آخرين فى الدور ان المصيبة لتشق من قوم ظاهر الجيوب ومن قوم باطن القلوب وللخليل ابراهيم بالذبيح اسمعيل وجد يفعل الافاعيل وان لم يكن للتراب على الرأس نقع ولليدين على الارض وقع ولكنا علمنا ان القعود على هذا الموقف أبلغ فى الخدمة من القيام والسكوت من هذا المصاب أفصح من الكلام حتى لقد سخف قوم وسفهت أحلام قال الفرزدق

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح
عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى جوفه من دارم ذو حفيظة
لو أن المنايا أنسأته لياليا

فأثار هذا الشجن العجيب وأطار هذا اللفظ الغريب وطرب هذا التطريب وليم مع ذلك وعيب على أنه قال لم أنح عليه ولم أبعث البواكى وعزى المتنبى بالامس سيف الدولة عن بعض مستوراته فعلت فى هناته ورثى ابن الرومى أمه فنوقض بما نوقض وعورض بما عورض ثم سمعت من
بعد انه أقيم المأتم وحضر العالم فخشيت أن أنسب الى الاخلال وما أردت غير الاجلال ولقد جادلت الزمان فى غير هذا وقال
الموقف حتى وقف الجدال أنشدته ما للزمان وصرفه لا ينتحى * الا العلا ومنازل الاشراف فأنشدنى * لا تعتبن على الزمان وصرفه
* ما دام يقنع منك بالاطراف فقلت له صرفان فى أيام عام واحد * بافرط ما أخذت به الاقدار فقال لى هل تنقمون على الليالى حكمها

وارو لنا يا سعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال

ومن اختراعاته البديعة الغريبة قوله

سقيا لكرم مدامة * انشت لنا النشوات ليلا
خلعت علينا سكرة * بدوية كما وذيلا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

رمتنى سود عينيه * فاصمتنى ولم تبطى
وما فى ذاك من بدع * سهام الليل لا تخطى

أخذه الشيخ جمال الدين بالقافية وقال

واغيد كل شئ فيه يعجبنى * كأنما هو مخلوق على شرطى
أجفانه السود ما تخطى اذا رشقت * سهامها وسهام الليل لا تخطى

ويعجبنى من نكته الغريبة قوله من قصيد

أهل نجد هل تجدون محبا * صاده بالغور ظبى ملول
كم دماء مطلولة فى هواه * وبها روض خده مطلول
وحديث عن السقام صحيح * قد رواه عن طرفه مكحول

وقال وقد عينه الوزير لرحبة مالك بن طوق

حاشا لك ان تختار لى رحبة * لست اليها الدهر بالسالك
لانها نار تلظى أما * ترونها تعزى الى مالك

ومن نكته التى ما حام فكر غيره عليها قوله

وفى أسانيد الاراك حافظ * للعهد يروى صبره عن علقمه
وكلما ناحت به حمامة * روى حديث دمعه عن عكرمه

التورية فى علقمة وفى عكرمة أيضا فانه اسم للحمامة ومثله فى الغرابة أيضا قوله وقد توجه من دمشق الى البلقاء لزيارة صاحب له يلقب بالشمس فلما وصل الى البلقاء وجده قد توجه الى حسبان فكتب اليه

أتيت الى البلقاء أبغى لقاءكم * فلم أركم فازداد شوقى واشجانى
فقالت لى الاقوام من أنت قاصد * لرؤياه قلت الشمس قالوا بحسبان

انتهى ما أوردته من ترجمة الشيخ علاء الدين الوداعى ومن غرائب نكته البديعة فى باب التورية وأبدت هذه ترتيبه بتطفل مثل الشيخ جمال الدين بن نباتة على موائد بدائعه وغرائبه ولكن أقول ان الجزاء من جنس العمل كما أغار الشيخ جمال الدين على الوداعى ودخل الى بيوته وابتذل حجاب بنات فكره قيض الله له الشيخ صلاح الدين الصفدى فان الشيخ جمال الدين رحمه الله كان يخترع المعنى الذى لم يسبق اليه ويسكنه بيتا من أبياته العامرة بالمحاسن فيأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى بلفظه ولم يغير فيه غير المجرور بما عام به فى بحر طويل يفتقر فيه الى كثرة الحشو واستعمال ما لا يلائم فلم يصبر الشيخ جمال الدين على ذلك وصنف كتابا ألفه من نظمه ونظم الشيخ صلاح الدين الصفدى وسماه خبز الشعير يعنى انه مأكول مذموم واستهل خطبته بقوله تعالى رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا ورتب كتابه المذكور على قوله (قلت انا فأخذه الشيخ صلاح الدين

الايمان ذرت به الاعمار فألزمته قولى * هلا سوى الاغصان ان يك آخذا * والفرع ان يك لامحالة فاعلا فانفصل بقوله
ان الاشاء اذا أصاب مشذبا * منه أغل زرا وآث آسافلا ورجحت بقولى الدهر أوهى نظما كان منفردا
وفى الثريا فريد الحسن مطرد وقابل بقوله ان يبق منفردا فالبدر منفرد (٢٨٥) * والسيف منفرد والليث منفرد

وقال) وكنت أوردت من خبز الشعير نبذة فى أوائل هذا الكتاب ولكن لم يرض باب التورية الا بإيراده هنا كاملا لانه حق من حقوقها فمن ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

ومولع بفخاخ * يمدها وشباك
قالت لى العين ماذا * يصيد قلت كراك (ى)

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

أغار على سرح الكرى عند ما رمى الـ * شكراكى غزال للبدور يحاكى
فقالت ارجعى يا عين عن ورد حسنه * ألم تنظرى به كيف صاد كراك (ى)

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

أسعدها بالفرى برزة * سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا * فما تعديت عن الواجب

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

قلت له والطير من فوقه * يصرعه بالبندق الصائب
سكنت قلبى لحركته * فقال لم أخرج عن الواجب

وقال الشيخ جمال الدين قلت

وبمهجتى رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

أخذه الشيخ الصلاح الصفدى وقال

واهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل حمامات الاراك اليه
له عارض لما رأى الطرف ناعسا * أتى خده سرا فدب عليه

قال الشيخ جمال الدين قلت

يا غادرا بى ولم أغدر بصحبته * وكان منى مكان السمع والبصر
قد كنت من قلبك القاسى اخال جفا * فجاء ما خلته نقشا على حجر

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

ما زلت أشكو حبه وفرى الضنى * جسمى واسلمنى الى البلوى وفر
حتى تأثر من شكايتى لوعتى * لى قلبه فرأيت نقشا فى حجر

واحسن ما وقع فى هذا الباب للشيخ جمال الدين بن نباتة انه قال

بروحى عاطر الانفاس ألمى * ملىء الحسن حالى الوجنتين
له خالان فى دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

بروحى خده المحمر اضحت * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

فلما وقف الشيخ جمال الدين على هذين البيتين قال لا اله الا الله سرق الشيخ صلاح الدين كما يقال من الحبتين حبة قال الشيخ جمال الدين قلت

ولولم أهب الجبال وأخف الملال لقلت وقال أيد الله الشيخ الرئيس لو كان أحد دون أن يذكر بالله واحد فوق أن يذكر بالله لكنت وكان ولكنه بحمد الله ممن اذا ذكر بالله هضمته بقية العلم ولم تأخذه العزة بالاثم وأنا أذكره الله الذى خلقه من قبل ولم يك شيأ مذكورا ثم جعل جمرة العرب قبيلته ثم جعل أشرف تلك القبيلة فصيلته ثم اصطفاه من بينهم وفضله عليهم ثم جعل أبناء ملوك العجم خوله ثم أوطأ سادة العرب عقبه ان بنى الكثير من نعم الله لقليل من بلاء الله لا تزيده النعمة الا شكرا والمصيبة الا صبرا أو يضيق بترادف هاتين المصيبتين ذرعا ويسوء بالله ظنا ان السعيد من ورث أولاده وقدم أحبابه وأنا أرجو أن يكون أولنا للدنيا اصابه وآخرنا الى الآخرة اجابه وان يوصل ما أوتى من نعمة فى العاجل بخير منه فى الآجل

(وله اليه أيضا)

نعم العون على عزة الشيخ الرئيس دينه الابيض الناصع واسلامه الصادق النافع لقد عمت عوده فى أمر بن منكر بن فوجدته طيب المكسر فوالله لا قولن ما دام يسمع ولا دندنن ما وجدته ينتصح عسى الله أن يوفقنى قائلا و يوفقه قابلا هذا الذى يستخرج فعله الاحداث لو سمى مال النثار ومال الخوان أو اسما آخر غير مال الاحداث كانت الحاجة تدرك والدين أوفر وى والكفر صاغر فى ولكان المراد يرتفع والاسلام سالم والشيطان راغم انه ليس المسؤل لم

يا عاذلى شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتى ألذ وأزين
فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتى هى أحسن

فأخذه الشيخ صلاح الدين مع البحر بل أخذ الكل مع القافية وقال

بأبى فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين
كم قد دفعت عواذلى من وجهها * لما تبدى بالتى هى أحسن

وهذان البيتان تقدم القول انهما بنصهما للقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ولكن رأيت العز الموصلى نسبهما فى تذكرته للصلاح الصفدى من جملة خبز الشعير والله أعلم قال الشيخ جمال الدين قلت

فديتك أيها الرامى بقوس * وطرف يا ضنى جسدى عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشئ منجذب اليه

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

تشرط من أحب فذبت وجدا * فقال وقد رأى جزعى عليه
عقيق دمى جرى فأصاب خدى * وشبه الشئ منجذب اليه

قلت أظن ان الشيخ صلاح الدين لما سمع قول الشيخ جمال الدين ونظم هذين البيتين ما كان فى حيز الاعتدال واين انجذاب القوس الى الحاجب من انجذاب الدم الى الخد وليته تلفظ بالانجذاب بل قال عقيق دمى جرى فأصاب خدى قال الشيخ جمال الدين قلت انا

يا مشتكى الهم دعه وانتظر فرجا * ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا اصبحت فى كدر * فانما انت من ماء ومن طين

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

دع الاخوان ان لم تلق منهم * صفاء واستعن واستغن بالله
اليس المرء من ماء وطين * وأى صفا لهاتيك الجبله

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

أحاول صبرا عن هوى قد كتمته * فلا أجد الصبر المحاول يعذب
وأاتى به ثوب المشيب مطبعا * فاغسله بالدمع والطبع أغاب

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

يقول الفكر لى دنست ثوب الشباب وفى غداة الشيب تتعب
وتغسله بدمعك كل وقت * وما ينقى لان الطبع أغلب

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى رحمة واسعة قلت

اسفت لشاشى الذى قد مضى * وفاز به سارق حاشه
والله مالى مما جرى * سوى قولهم صفعوا شاشه

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

قد سرق الشاش بليل وما * قدره الله فما يندفع
الحمد لله الذى لم يكن * شاشى على رأسى لما صفع

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

أخذت كالمسؤول لم كفرت وسأضرب مثلا ومثالا لما قدمت انه قضى الله أن لا ربا فقالت قريش ضاق علينا العيش فأمروا أن يشتروا ويبيعوا فقالت طائفة ان الذى أمرنا به كالذى نهينا عنه فأنزل الله سبحانه تخفيفا لكلامهم تسفيها لاحلامهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا صدق الله وكذب القياس وأمر الله فليطع الناس انه ليس بين الحرام الموبق والحلال الطيب الا نظر المسلم لنفسه وهل بين الجنة والنار الا حجاب من كلام أو حجاز من صدقة أو صيام وهل بين الزنا والنكاح الا ما بين الربا والبيع المباح قول معروف يفتح رضوان الله وحسن مآب وتهاون يعم لعنة الله ودارا لها سبعة أبواب وهراة اليوم بحمد الله مدينة السلام وخطة الاسلام ودار السنة ومدارها ونار الهداية ومنارها ولو فسد الملح لفسد اللحم ولو وهن الرأس لوهن الجسم وانما الشيخ الرئيس امامها وقوامها ولا يتم صلاحها حتى يتم صلاحه ولا ينعم صباحها حتى ينعم صباحه وكما نيط بسلامة الرأس سلامة الجسد كذلك نيط بصلاح الرئيس صلاح البلد وكل يسئل عما يفعل وهو أيده الله يسئل عما فعلوا وقد سمع وعيد الله على الحدود وأخذ الله على اليهود فيما آتاهم من كتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم أخذ على هذه الامة من العهود أوثق مما أخذ على اليهود وان المسلم لينشط الى الفسق مغترا بعفو الله متسعا فى حلم الله ولا ينشط الى الكفر انها الحالة التى لا تقنعها المحالة والقالة التى لا تسعها الاقالة والمهواة التى لا يبلغها عفو الله ولا تدركها رحمة الله عزمة من عزمات الله أرمها فى الكفار انهم من أصحاب النار ومعنى مال الاحد اث اثان اشكوا الحدود وحدود الله لا تباع ورسوم الله لا تضاع فان قبل فالرشد أصاب والحق أجاب خار الله له الخيرة ووفقه لصالح القول والعمل

(وله اليه أيضا) فسما لئن استرقنى الشيخ الرئيس حديثا لقد استحقنى قديما ولئن اشترانى طريفا لقد ملكنى تليدا ولقد أحله الله بين أعاديه فلا تناله يد أحد بسوء ومنهم شقى وسعيد فالسعيد من أغناه وعقبه بعده والشقى من أغناه وحده فاذا استأذن ذو افضيلة للعود الى بلده لم يرض بما سلف من انعامه حتى يتبعه بأضعافه (٢٨٧) ثم يأذن له فى انصرافه فاذا وصل الى الدرب فثم ناس معهم افراس وناس معهم ابلاس وناس معهم اكياس فاذا وصل الى المنزل الاول فهناك رجال معهم جمال ورجال معهم بغال وآخرون معهم حمير واعبد يدفعها كبير يرى انه وقع تقصير وان ماحمل يسير واذا وصل الى المنزل الثانى فالجارة بنفيس من الاعلاق وألف خلق للانفاق وكثير من المعاذير اثناء الدنانير وهلم جرا الى آخر المملكة فى كل أرض يطؤها منحة تعلقه وهدية تلحقه هذه حال الظاعن فما حال القاطن ثم ان الجود أيسر خصاله هلم الى الدين المتين فوالله لقد مضت ليلة الرقود ولم يشعر بعضها وأتى النيروز ولم يحس باتيانه فأما المسكر وشربه والمنكر وقربه والعود وضربه والنرد ونصبه والشطرنج ولعبه فقد نزه الله هذه العتبة وطهر هذه الجنبة عنها وعمن يجالسها ويجانسها ويلابسها ويمارسها وأما الملك وحراسته والامر وسياسته والدولة واقبالها فكما عرف حالها وسارت أمثالها وأما البلدة فهى التى غيرتها الحراب والحروب وخربتها الخطاب والخطوب ولا فصل اليق بما مضى من تهنئة القاضى بالنصر الذى أتاحه الله للمسلمين فقد علم أى حق حق وأى باطل زهق وأى خيل كشفت أى خيل بل أى نهار فضح أى ليل وأى قطر سيق الى أى قفر وأى مغوثة ادركت أى لوثه وأى ماء أهدى الى ظما فانسجت الرياح نوضح فالمقراة كما نسجت السمعورية هراة فالحمد لله الذى أراح وسكن تلك الرياح وانتضى

أشكو الى الله ما أكابد من * دمامل مسنى بها الضر
فالليل عندى من حالها سنة * فالليل لى ولا لها فجر

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

أشكو الى الله من أمور * تمرعيشى لما تمر
ودمل مع دوام ليل * مالهما ما حييت فجر

ونظم الشيخ جمال الدين هذا المعنى أيضا فى أبيات معناها الوعظ يعجبنى الى الغاية وهى

لا تخش من هم كغيم عارض * فلسوف يسفر عن اضاءة بدره
ان تمس عن عباس حالك راويا * فكأننى بك راويا عن بشره
ولقد تمر الحادثات على الفتى * وتزول حتى ما تمر بفكره
ولرب ليل فى الهموم كدمل * صابرته حتى ظفرت بفجره

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

بروحى فاتر الاجفان ساج * كأن الحسن لفظ وهو معنى
تفرد وهو فتان التثنى * فيا لله من فرد تثنى

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

وأهيف جاز قدا * قد حار فيه المعنى
تراه فى الحسن فردا * لكنه يتثنى

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

بروحى جيرة ابقوا دموعى * وقد رحلوا بقلبى واصطبارى
كأنا للمجاورة اقتسمنا * فقلبى جارهم والدمع جارى

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

أسكنت شخصك طرفى * حتى اوارى اوارى
فحين جاورت دمعى * جعلت جارك جارى

وقد تقدم ان بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى أول من سبق الى هذه النكتة قال الشيخ جمال الدين ابن نباتة قلت سألت النقا والغصن يحكى لناظرى * روادف أو أعطاف من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا جاها * وقال قضيب البان ما أنا قدها

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

يقول ردف حبيبى * وعطفه المتثنى
ما أنت يا غصن قدى * ولا كثيبك وزنى

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

لك يا أزرق اللواحظ مرأى * فرى أضحى على الخلق يزهى
يا لها من سوالف وخدود * ليس تحت الزرقاء أحسن منها

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

ألبسوه عمامة للنصارى * قد روى اللازورد فى الحسن عنها

من السلطان الكبير من اذا اعتل فدواذا اعترض فط ومن الامير العادل من اذا شاء رفع واذا شاء حط هنيئاً لتلك الديار نيل الخيار ولكتب القاضي موقع من قلبي لطيف وشعب من نفسي فارغ فلم لا يسرني بهاوالسلام (وله أيضا) ليس الشوق اليك ياسيدي بشوق انما هو النار تدبش وتطير والسم يسري ويسير وليست أياديك عندي باياد هذه في واد وتلك في واد وهن أطواق الحمام وقلائد لكنهن من العظام وليس تقصيري عنها بتقصير لكنه حياء من مقابلتها بغير كفئها وهيهات ليس التخلق في المكرمات بخلق وقد جاءت شيخي ابافلان رسالة تصغي البهاحتي يأتيك كتابي على أثرها وعلى أبي فلان سلام يصحبه شوق يهصم الجوانح هضماو يبري لحماوعظما ويا كاسني خضما وقضما وأنفثه نثراونظما وانا في عهدة قصيدته الغراء وأياديه الغر وكأن قد والسلام

ولهالى صديق جواب كتاب ورد منه يذكر وصوله اليه يوم العيد

كتابي ياسيدي كتاب من لا هداية له الاقربك ولاغاية له الاحديثك خرج عليك وحرام لا يحله الا الوفاء ان تقيم ساعة تظرك فيه أو تعرج على شئ دون التأهب للخروج وحبذا العزم الذي نبهك الله له وأسعدني به ومرحبا بيوم لقائك وياشوقاه الى وجهك ولي بقربك عيدان ونعم الموعد العيد الا انه بعيد والمراحل أقل من الايام فلو تفضلت واختصرتها

(٢٨٨)

وجه لاطلعة كبدر تمام * ليس تحت الزرقاء أحسن منها

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

يامجريا دمعي ومو قف لوعتي * من جسمي المضنى على الاطلال
يامن اذا سألوه عن بدر الدجى * والمسك قال أخى الشقيق وخالى

أخذه الشيخ صلاح الدين وقال

فديت حبيبا ضرج الحسن خده * فصب على خديه ذوب عقيق
اذا عاين الروض المدبج خده * يقول لنا هذا أخى وشقيقى

قلت الشيخ صلاح الدين ماشم لمسك الخال رائحة والله أعلم وقال الشيخ جمال الدين قلت انا

هيهات بين ذوى الاسى لايستوى * دمعى ودمعك ايها المتواجد
فحديث دمعي عن تلهب اضلعى * ذاكى اللظى وحديث دمعك بارد

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

شكوت حتى لان بعد قسوة * ورحت ابكى وهو لى ساعد
وقال هانحن سواء فى البكا * لاياحبيبي مابكانا واحد
لايستوى دمع حكى جمر الغضى * اذا جرى ودمع عين بارد

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

هنئتم آل الشهيد بنجمكم * وبوجه مولود لكم ما ازهره
من قبل ماعملت لديه عقيقة * عملت له المدح الجوارى جوهره

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

ايا اندى الورى كفا ووجها * واقومهم الى العليا طريقه
لقد جاءتك جوهرة المعانى * فلا تبخل عليها بالعقيقه

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

عذول لست اسمع منه عذلا * على هيفاء مثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها * ولى أذن عن الفحشاء صما

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وغير صيغة المثل بالحشو فقال

تعشقته مثل القضيب اذا انثنى * بوجه حكى البدر المنير اذا تما
وان كان عذالى عموا عن جماله * فلى أذن عن كل ماتقلوا صما

قال الشيخ جمال الدين قلت أنا

حربى من مهفهف القد رام * اسهم اللحظ ما أسد وأرشق
كلما قلت يفتح الله بالوصـــل رمانى من سحر عينيه بغلق

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

سهام طرفك أصمت * قلبى ولم تترفق
مايفتح الجفن الا * ورهن قلبى يغلق

قال الشيخ جمال الدين قلت أنا

وساءني ماذكرت في كتابك من الارتياد لمسيرك باديه والله انى استبعدك وأنت معي في ازار فكيف في دار وفي دار تاملت فكيف في جوار وهذه الحضرة من ضيق المنازل وعوزها وعزتها على غاية لا يمكن عليها مزيد ولا أعرف لك مسكنا أو به أوفق بك ولا أرفق بي من صدري ولا غرفة أولى بك وأخب ألك من صدقي وماضاقت دار لمتحابين وأنا في حجرة تسعنا وفيها مربط للدواب والبها

الهجرة وعليها النزول وأما الشيخ الذي وصفت حاله وتوسله بكتاب سيدي فلان فأهلا به على ان الوسيلة الاولى لا تقصر عن الثانية فليرد مستجيرا بالله متوكلا عليه والله المعين على ما يخرج من عهدة وسيلته وهو حسبي ونعم الوكيل (وله أيضا) كتابي عن سلامة لولا ما ينغصها من فراقك وعافية لو متعت بلقائك يكاد كتابك (٢٨٩) يرويني ان عطشت ويغذوني ما عشت لا أذكر

تأملت في الحمام تحت مآزر * روادف بيض ما سناها بغائب
كأني من هذي وهاتيك ناظر * بياض العطايا في سواد المطالب

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

تبدى حبيبي في السواد فراقني * وما راعني لما أتى بالعجائب
وشبهت ذاك الجيد في طوق برده * بياض العطايا في سواد المطالب

قال الشيخ جمال الدين قلت أنا

لقد كنت في لذات ثغرك هائما * ليالي لم يمنع على عاشق ثغر
فأما وستر دونها من شوارب * فلا خير في اللذات من دونها ستر

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

الا فاسقني من خمرة لذ طعمها * بفيك ولا تبخل وقل لي هي الخمر
وحط لثاما حجب اللثم عن فمي * فلا خير في اللذات من دونها ستر

قلت قد اوردت هنا ما جناه الشيخ صلاح الدين الصفدي من حدائق الروض النباتي ومقابلة الشيخ جمال الدين له على ما جناه فان نسبني احد الى تحمل راجعته الى النقل * وان وافق وتعقل الرتبتين فقد اكتفى بشاهد العقل * والا فالاقمار الصفدية بالنسبة الى القطر النباتي تمجها الاذواق * وها انا قد ابرزت ثمرات الدوحتين بين هذه الاوراق والشيخ صلاح الدين رحمه الله تصاغر * لذلك وما كابر * ووقف على باب الشيخ وقوف فقير يسأل الاجازة * وطال وقوفه على ذلك الباب العالي الى ان حصل له الفتوح واجازه * وها انا اذكر سؤال هذا السائل الذي وقد قبل العطاء ان يدفع بالتي هي احسن * واشرح كرم المسؤل الذي نثر على سائله الدر جزافا علما بأن عطاء الكريم لا يوزن * فسؤال الاجازة من الشيخ صلاح الدين قوله يخاطب الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمهما الله تعالى * الحمد لله على نعمائه المسؤل من احسان سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة رحلة اهل الادب * قبلة ذوي التحصين في التحصيل والدأب * الذي تبيت شوارد المعاني صرعى تحوله للطافة تخيله * وتمسي الالفاظ العذبة طوع تحوله في التركيب وتحيله * فأمسى وله النسيب الذي يضحك من العباس في رقه * ويقيم صريع الغواني الى مقته بعد مقه * والغزل الذي يشيب له فؤاد الوليد * ويسترق الحر من كلام عبيد * والتشبيه الذي لو تأمله ابن المعتز لما نصب الهلال نصا لصيد النجوم * ولو تعاطاه حفيد جريج لقيل له الم تسمع الم غلبت الروم * والمديح الذي لو بلغ زهير القال ما نام من هذه الحدائق * او اتصل نبؤه بالمتنبي لاشتغل عن ذكر العذيب وبارق * والرثاء الذي نقص عنده ابو تمام بعد ان رفع له لواء الشرف والفخر * وقال هذه عذوبة الزلال لا ما تفجر من الخنساء على صخر * والترسل الذي سقى الفاضل كأس الحتوف لما شبه الغمود بالكمائم والسيوف بالازهار * واذهله حتى صحت له القسمة في الخيل والخيال بين المراقب والمرافد فأخطأت معه في المرابع والمساجد بين الانواء والانوار * والكتابة التي تغدو الطروس بها اوكأنها رياض محبرة * او سماء بالنجوم زاهرة * ان لم ترض ان تكون في الارض بما ضاهره

ادب على الحصري به لو تاجه * وله ابن بسام بكى الوانا
وترسل سحبان من قد زاده * منه واعطى الفاضل النقصانا

معه شغلا ران آهم وكانني أتأمل من سطوره صفحات صدرك واعلم ان مصدره عن صدر زجاجي الطبع باطنه كظاهره أما ما ذكرته من حديث اقامتي وظعني فالمقام ما أقام الشتاء والظعن اذا ساعد القضاء وأما انصراف القوم الى نيسابور فليس بصواب اني اذا أحسست من الهواء بطيب راحل نحوهم لا محالة ان شاء الله وأما ما وصفت من انفاذ ما أنفذت وابتياع ما ابتعت فما زدتني علما بما عرفت اني اذا شككت في الشمس ضحوة نهار لم أشك في فضلك وأما أبو فلان فلو عرف ما يجري له في هذه الديار اقر عينا ولو نشط فألم كان خيرا وأما حديث أبي فلان فقد أخبرته بذكر ان أصحاب الجمال قبضوا ماله من المال فان رأى الصواب ان يخرج فالامر اليه ان شاء الله تعالى (وله أيضا) وصلت كتبك بما شرحته من حالك وقصصته من حديثك وقلنا لو غشي ذات حمل لوضعت ويومئذ تذهل كل مرضعة عما أرضعت وقد شاهدت بنيسابور

 يوم غصب السلطان وتوظيفه على الديار ووجوه التجار مائتي ألف دينار كيف طارت العقول من ذلك الحديث وزاغت العيون وطاشت القلوب وحشرجت النفوس هذا ولم يتجاوز القول الى الفعل ولم يتعد الوعيد الى الايقاع فما ظنك بثلثمائة ألف دينار توجه وجوهها في ثلاثة أيام ثم تحصل عن آخرها بتمام فلم يمكن عرض تلك الحال في تلك الاهوال ولعمري ما أنت فيما

تأتى بمجازم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد الشهداء يوم القيامة حمزة ابن عبد المطلب ورجل قام الى أمير جائر فأمره ونهاه أفتريد أن تكون سهيم حمزة فى الشهادة وقسيمه فى السيادة وأنت تألم الضرب وتكره القيد وتعاف الغل وتخاف الذل وتعاشر الناس ويعجبك ان تناط بك الآمال (٢٩٠) كلا وان كنت مشفقا على نفسك فقف عند مقدارك انما ذلك لمن ودع أهله وخرج من بيته مستعدا للموت ليشرب كاسه والسيف بجمه راسه فان سلم فنادر يؤرخ حديثه وان قتل فشهيد تقسم مواريثه وانما تركك الامر بالمعروف لهذه الحروف والصواب أن لا تطلب هذا الثواب والجواب أن لا تغادر هذا الباب انما ينبغى هذا الامر لمن يصابر الجرو يولى الرمح عرضا ويقول وعجلت اليك رب لترضى ما أعرف مقاما أخلق بالعثار وأقرب من النار والتراب المثار من المقام الذى يقومه فى المرام الذى يرومه ولا يغرنك منثور الخليفة وذكر المسلمين فى الصحيفة ان كتاب الله حرم ذلك المنشور وليس بين الاخماس والعشور الاتقوية يد الآمر بالمعروف واغاثة الملهوف وقد نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وان كنت تريد صلاح دنياك فأنا أعبر رؤياك ان الآمر بالمعروف اذا قصد جاها يعرض أو مالا يكثر أو صيتا يبعد وقتل دون أمره حبط عمله وخاب أمله وان أراد الآخرة وشاب بها شيأ مما عددت ونبذا مما ذكرت كتب فى المشركين وأنا أنشدك الله فى نفسك انها عليك عزيزة والى حبايبه وفى حتى مالك انك أخرجته من لهوات الاسود وجمعته على الايام البيض والليالى السود ان تعرضه للتفريق وفى اطفالك ان تدعهم على قارعة الطريق ودار سلطانك واقم حيطانك واعرف زمانك واقطع لسانك انه سبع بين فكيك فاحذر ان ينم عليك فاما شكرك للشيخ

وكتابة اعلوها فى وضعها * ليس ابن مقلة عندها انسانا
فلكم اخى فضل رأت عيناه فى الاوراق لابن نباتة بستانا

جمال الدين أبى عبد الله محمد ابن الشيخ الحافظ شمس الدين محمد بن نباتة جمع الله به شتات اهل الادب فى درجة هذه الدولة * ولم به شعث ابنائه الذين لا صون لهم ولا صولة * وأقام به عماد ابيات الشعر التى لولاها لما عرفت دارمية من أطلال خولة * اجازة كاتب هذه الاحرف فسح الله فى مدته برواية المصنفات فى الاحاديث النبوية * والتأليفات الادبية * على اختلاف أوضاعهما وتباين اجناسهما وأنواعهما * بحسب ما يؤدى ذلك اليه واتصل به من سماع أو اجازة * أو وصية أو وجازة * من مشايخ العلم الذين أخذ عنهم واجازة ماله احسن الله اليه من مقول نظما أو نثرا أو تأليفا ووضعا اجازة خاصة واثبات ماله من التصانيف الى هذا التاريخ بخطه الكريم واجازة ما لعله يقع بعد ذلك اجازة عامة على احد القولين فى المسئلة فان الرياض لا ينقطع زهرها والبحار لا ينفد درها * واثبات ما يحسن ايراده فى هذه الاجازة من المقاطيع الرائقة * والابيات الفائقة * وذكر نسبه ومولده ومكانه متفضلا فى ذلك وكتب كتبه خليل بن ايبك بن عبد الله الايبكى بالقاهرة المحروسة فى مستهل شعبان المبارك سنة تسع وعشرين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل

*(وكتب الشيخ جمال الدين بن نباتة الجواب مجيبا لسؤال الشيخ صلاح الدين الصفدى رحمهما الله تعالى) بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد حمد الله الذى اذا توجه اليه ذو السؤال فاز * واذا استدعى كرمه ذو الطلب اجاب واجاز * والصلاة والسلام على سيدنا محمد كعبة القصد التى ليس بينها وبين النجح حجاز * وعلى آله وصحبه حقائق الفضل والفضل من بعدهم مجاز * فلو لزم فى كل الاحوال تناسب المخاطبة * وكان جواب السؤال بحسب ما بينهما من شرف المناسبة * لما رضى سجع الحمائم لمطارحته نوعا من الاطيار * ولا قبل فصحاء الاول مراجعة الصدى من الديار * ولا قنع غمر زخر واجب الاجبة برد القلوب الهائمة فى اودية الافكار * ولكن نقول الاكابر والاولياء تبذل من الاجوبة جهدها وتنفق ما عندها * وتجرد الاماثل سيوف المنطق ولا تتعدى الاتباع من الطاعة حدها * ولما كنت أيها الراقم برود هذا الاستدعاء ببنانه * والمنشئ روض هذا السؤال بآثار السحب من بيانه * والسائل الذى بهرت الافكار فضائله * وسحرت ارباب العقول عقائله * وأقام المسؤل مقاما ليس من أهله فليتق الله سائله * فريد فن الادب الذى لا يبارى * وبحره الذى لا يهدى غائص قلمه الدر الا كبارا * وذا اليد البيضاء فيه الذى طالما آنس من جانب الذهن نارا * وخليله الذى اطلع على اسراره الدقيقة ورئيسه الذى لو طارح ابن المعتز وتمت ولايته لكان أمير المؤمنين على الحقيقة * وناظمه الذى يسرى الطائيان تحت علمه المنشور * وكاتبه الذى تتبجح العيدان بالدخول تحت رقه المأثور * طالما شافه منه القلم وجها جميلا وقدرا جليلا * ولا فى من لا يندم على صحبته فيقول ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا * فهو الغرس الذى يقصر عن أمالى وصفه الشجرى ويفخر الدين والعلم بشخصه ولفظه فهذا يقول غرسى وهذا يقول ثمرى * كم اغنى بمفرد شخصه عن فضلاء جيل * وكم يد للسمع والبصر من بنات فكره بثينة ومن وجهه جميل وكم تنزهت الافكار من لفظه بين آس وورد لا بين اذخر وجليل * وكم دام عهده ووده

حتى كاد يبطل قول الاول دليلا على ان لايدوم خليل * تود الشهب لو كانت حصباء غدير طرسه * وتغار الافق اذا طرز براع درجه بالظلماء أردية شمسه * ويتحاسد النظم والنثر على ماتنتج مقدمات منطقه من النتائج * و ينشد كل منهما اذا حاول اقول (خليل الصفا هل أنت بالدار عائج) ان كتب غضي ابن امقلة من الحسد على قذاه * وحمل ابن البواب لجبهه عصا القلم قائلا ماظلم من أشبه أباه وان نحا النحو لباه عشرا * ولانت اعطاف الحروف قسرا * وتشاجرت على لفظه الامثلة فلا غرو ان ضرب زيد عمرا * يترجل كلام الفارسي بين يديه * ويطير لفظ ابن عصفور حذرا من البازي المطل عليه * وان شعر هامت الشعراء بذكره في كل واد * ونصبت بيوت نظمه على بقاع الشرف كما نصبت بيوت الاجواد * طالما بلد لبيدا * وولي منه شعر ابن مقبل شريدا * وقالت الآداب البحتري لفظه ألم نربك فينا وليدا * وان نثر فالدر اليتيم الا تحت حجره * ولا الزهر النضير الا ما ارتضع من أخلاف قطره * ولا المترسلون الا من تصرف في ولاية البلاغة تحت نهيه وأمره * وان تكلم على فنون الادب روى الظماء * وجلا معاني الالفاظ كالدمى * وقالت الاعاريض لابن أحمد وله (خليلي هبا بارك الله فيكما) هذا وكم أثني قديم علم الاوائل على فكره الحكيم * وشهدت رواية الحديث النبوي بفضله وما أعلى من شهد بفضله الحديث والقديم * بدأتني أعزك الله من الوصف بما قل عنه مكاني * وكاد من الخجل يضيق صدري ولا ينطلق لساني * وحملت كاهلي من المنن مالم يستطع * وضربت لذكري في الآفاق نوبة خليلية لا تنقطع * وسألتني مع ماعندك من المحاسن التي لها طرب من نفسها * وثمر من غرسها * أن أجيبك وأجيزك وأوازن بمثقال كلمي الحديد ابريزك * واقابل لسنك المطلق بلساني المحصور * وأثبت استدعاءك على بيت مال نطقي المكسور * فتحيرت بين أمرين أمرين * ووقع ذهني السقيم بين داءين مضرين * ان فعلت ماامرت به فما أنا من ارباب هذا القدر العالي * والصدر الحالي * ومن أنا من أبناء مصر حتى أتقدم لهذا الملك العزيز * وكيف أطالب مع اقتاري على بأن أمدح وأجيز * واني لمقيد خطوى هذه الوثبات * واني يماثل قوة هذا الغرس ضعف هذا النبات * وان منعت فقد أسأت الادب والمطلوب حسن الادب مني * وأهملت الطاعة التي أقرع بعدها برح القلم سني * وفاتني شرف الذكر الذي أمتلأ به حوض الافق وقال قطني * ثم ترجح عندي أن أجيب السؤال * واقابل بالامتثال * صابرا على تهكم سائلي * معظما قدري كما قيل بتعاقلي * منقادا الى جنة استدعائك من السطور بسلاسلي * وأجزت لك أن تروي عني ماتجوز لي روايته من مسموع ومأثور * ومنظوم ومنثور * واجازة ومناولة ونقل وتصنيف * وتنضيد وتفويف * وماض ومتردد * وآت على رأي بعض الرواة ومتجدد * وجميع ماتضمنه استدعاؤك فاجمع مايكون من لفظه المتبدد * كاتبا لك بذلك خطي * مشترطا عليك الشرط المعتبر فليكن قبولك يا عربي البيان جواب شرطي * ذاكرا من لمع خبري ماأبطأت بذكره وأرجو ان ابطيء ولا اخطي * وأما مولدي فبمصر المحروسة في ربيع الاول سنة ست وثمانين وستمائة بمنزلنا برقاق القناديل * وأما شيوخ الحديث الذين رويت عنهم سماعا وحضورا فمن اقدمهم الشيخ شهاب الدين ابو الهيجاء غازي بن ابي الفضل بن عبد الوهاب المعروف بالرادف والشيخ عز الدين أبو نصر عبد العزيز بن ابي الفرج الحصري البغدادي والشيخ شهاب الدين احمد بن ابي محمد اسحق الابرقوهي * وأماذو

الامام فشكرا نامجاوره مجاورة النار للعود وملابسه ملابسة الوجود للعود ومقارنه مقارنة الوفاء للعهود ومخالطه مخالطة الحدود للاصداغ السود ومعاشره معاشرة البدر للسعود وأنا أجاهد نفسي فاستنزلها عن لجاجها اجابة لك وأ كاتب حضرته أجلها الله وأما شكرك لفلان فشكر فضول انه ليس من الدنيا ومايتعاطاه أهلها في شئ وانما يقوم لله ويقعد لله ومايكاد مثله يصنع بكتاب مثلي وان أبيت الاذالك لم أرض الارضاك وأما فلان فما يخفى عني فضله والخير الذي هو أهله وان لم يحط بعضنا من بعض بعشرة ولم يجر رسمي بمفاتحة وقليل في الواجب ان أبلغ مرادك فانتظر في الجملة كتبي فانها تصل عن قريب ورأيك في معرفة ماكتبته والمواظبة على العادة التي أجدتها امنك وقراءة السلام على الاخوان موفقا ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

سيدي وجدت قلبا فارغا فتمكنت ومعقلا من صدري فتحصنت فكيف أزعجك وقلبي حصارك أم كيف أغلبك وكلي انصارك ومادمنا ظماء وكنت لنا ماء فنحن نشربك فارفق بنا لاقربنا يخافك ولا وردنا يعاف والسلام

وله الى أبي الوفاء صاحب ديوان بست لو يجعل راسينا رأسا لمازدته زدا ولو حال بيني وبينه سور الاعراف مانقصته حبا ولقد اختلفت على مواضعه حتى ظننت ان القضاء يكابر واردت زيارته بالامس ثم وقع من الاضطراب مااثنى العزم فان نشط الى هذه الليلة عرفني مستقره لاحضره ان شاء الله تعالى والسلام

(وله الى الفقيه أبي سعيد) وصلت رقعة الفقيه ولولاوده وأنا استبقيه لشمت العام والخاص وذكرت العاص والماص ولتجاوزت دار الرجال الى هجرة العيال ماهذه الاسجاع التي كتبها والفصاحة التي عرضها بكرو تام الطاقي أعلى رأسي بتعلم الحلق أم لم يجد غيري يجرب

سيفه عليه اعلمه الرواية كل يوم * فلما قال فافيه هجانى وكتب الى رئيس بلخ وعميدها محمد بن ظهير كتابى وللشيخ الرئيس رحم في الراسة مخوّل وله فى الفضل آخر وأوّل ولا يخلو له طرف من شرف ومن انتهت الى المجد حدوده وعطست بانف شامخ جدوده ونبت فى مغرس الفضل عوده وقف (٢٩٢) الثناء على متصرفاته وأقام عليه بعد وفاته ومازالت جفنته تدور على الضيف فى الشتا والصيف حتى عبرت بحسان فارتهنت منه اللسان وحبر فيهم القصائد الحسان فهذا الزمان يخلق وهى جديدة وتلك العظام تبلى فى الثرى وهذه المحاسن تبقى بين الورى وحق على الله ان لا يخلى كرما من لسان يبث أحدوثته وما أثبت دولة الشيخ الرئيس برمى فى هذه القوس وقد خطب القاضى ولسانه مقراض الخفاجى يضعه حيث يشاء وبحر لا تكدره الدلاء وصدر كانه الدهناء وقلب كانه الارض والسماء وشرف دونه الجوزاء ودولة الخلفاء وخلفه العوامل والقصور والسفاح والمنصور فما ظن الشيخ بثناء يصدر عن هذه الجملة وقد حضر هراة فزانها وآنس سكانها وملأها شكراله وثناء عليه ثم رحل عنها يسلبها جمالا الا ما أبقى لها من ثناء على الرئيس خلفه فيها وله فى التمسك بالعادة التى انتجت هذه السعادة والشيمة التى اثمرت هذه الاثنية الكريمة رأيه الموفق ان شاء الله تعالى (وله أيضا) شاهدت من طلعة الشيخ دارة القمر وجنيت من حديثه طيب الثمر وانتهى الى من اخلاقه مؤنس الخبر واقتصر الزمان منه على هذا المقدار وصنع له تلك الاسفار ومصائب قوم فوائد آخرين ومضى فقضى حجه المبرور ورجع فعاود منزله المعمور وعدت عوادى هذه المحن عن ان أزوره مهنئا أو أكاتبه معتذرا وكان شئ الى شئ فانه قدت نخلة سدت الباب ربوانى ربى السعاة فتوخت بهذا

الاجازة فى مصر وغيرها من الامصار فكثير * واما الفضلاء والادباء الذين رويت عنهم ورأيت منهم فنهم القاضى الفاضل محيى الدين ابو محمد عبد الله ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان الكاتب المصرى * والشيخ الامام بهاء الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن النحاس الحلبى النحوى * والامير الفاضل شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الصاحب شرف الدين بن اسمعيل بن المتنبى اقترح على ان انظم له فى زيادة النيل فقلت

زادت اصابع نيلنا * وطمت فأكمدت الاعادى
وأتت بكل جميلة * ماذى أصابع ذى أيادى

والشيخ العالم علم الدين قيس بن سلطان المصرى من أهل منية ابن خصيب قرأت عليه كثيرا من الكتب الادبية وكان كثيرا ما يستنشدنى الى ان أنشدته قولى

ياغائبين تعللنا لغيبتهم * بطيب عيش ولا والله لم يطب
ذكرت والكأس فى كفى لياليكم * فالكأس فى راحة والقلب فى تعب

فقال أتعب والله جزعك القدح * والشيخ الامام شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بابن المفسر أنشدنى لنفسه

لا أرى لى فى حياتى راحة * ذهبت لذة عيشى بالكبر
بقى الموت لمثلى سترة * يا الهى أنت أولى من ستر

فأنشدته لى بقلت وجنة المليح وقد ولى زمان الصبا الذى كنت أملك

ياعذار الحبيب دعنى فانى * لست فى ذا الزمان من خل بقلك

والشيخ الاديب الفاضل سراج الدين عمر الوراق المصرى سمعته ينشد لنفسه

وانجلتى وصحائفى مسودة * وصحائف الابرار فى اشراق
وتوقفى لموبخ لى قائل * أكذا تكون صحائف الوراق

* والاديب الفاضل نصير الدين المناوى الحمامى أنشدنى لنفسه

أحب من الدنيا الى وما حوت * غزال تبدى لى بكأس رحيق
وقد شهدت لى سنة اللهو انى * أحب من الصهباء كل عتيق

فأنشدته لى

انى اذا آنست هما طارقا * عجلت باللذات قطع طريقه
ودعوت ألفاظ المليح وكأسه * فنعمت بين حديثه وعتيقه

* وجماعة يطول ذكرهم ويعز على ان لا يحضرنى الآن شعرهم * وأما مصنفاتى التى هى كالياسمين لا تساوى جمعها * ولولا الخزائن الشريفة السلطانية الملكية المؤيدية تجبرها ما استخرت نصبها ورفعها فهى كتاب مجمع الفرائد * القطر النباتى * سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون * منتخب الهدية من المدائح المؤيدية * الفاضل من انشاء الفاضل * زهر المنثور * ابرار الاخيار * شعائر البيت * التقوى لم تكمل الى الآن * الارجوزة المسماة فرائد السلوك فى مصائد الملوك * أجزت لك أعزك الله روايتها عنى ورواية ما أدوّنه وأجمعه بعد ذلك حسبما اقترحه استدعاؤك وخطه * ونسخه وحققه * وتضمنه سؤالك الذى تصدقت به فمنك السؤال ومنك الصدقة * والله تعالى يشكر عهدك الجميل * وكمالك الجزلة وكرمك الجزيل * ويمتع بك فنون الفضائل المتجئة الى ظل قلمك الظليل * ولا يعدم الاحباب والآداب من اسمك وسميك خير صاحب وخليل * قال ذلك وكتبه محمد

محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن أبي الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب بن يحيى بن عبد الرحيم بن نباتة الفارقي الحذاقي ثم المصري عفا الله عنه انتهى ما أوردته من استدعاء الشيخ صلاح الدين وسؤاله وجواب الشيخ جمال الدين واجازته بعد ان علمت دقائق الدرجتين في النظم والنثر واتضح الفرق بينهما وثبت أن الشيخ جمال الدين بن نباتة سقى الله نباته ورعاه * ومتع أهل الذوق السليم بحلاوة ذلك النبات وجناه * فانه وان تأخر في السبق عن فحول المتقدمين عصرا * فقد تقدم عليهم ببديعه وغريبه بيانا وسحرا * وتفقه في الطريق الفاضلية لمذاهب ما سلكها المتقدمون وها نحن نستجدي من حواصلها نظما ونثرا * وكم سأله عالم في سلوك هذه الطريقة فقال له انك لن تستطيع معي صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا * وان قيل ان الفاضل أجل من تمذهب بهذا المذهب تمذهبي وأنا أستغفر الله انه وصل فيه الى درجة الاجتهاد وهذا القول يقول به من رفع الخلاف وتأدب فان هذه الطريقة ما أمها ناظم ولا ناثر في الايام الامويه * ولا ابتسمت لهم ثغورها في الخلافة العباسية * ولما انتهت الغاية الى الفاضل أتى بهذه الفضيلة الغريبة وأظهر منها الزيادة المستفادة * واعتادت بابناء المتأخرين بها بعد ما شهدوا بسبقه فأكرم بها عادة وشهاده * ولما اتصلت بالشيخ جمال الدين بن نباتة أهل غربتها * وشرف بأصل شجرته النباتية نسبتها * وأسكن في أبياته من بديع النظم كل قرينة صالحه * وأمست سواجع انشائها على فروعه النباتية صادحه وقد عن لي ان أورد نبذة من مفرداته التي حصل الاجماع في الغرابة عليها * وأشار المصنف بقوله اليها

أصغ لما قال أخو وقته * وخل عنك اليوم ما قيلا

واسمع مقاطيعا له أطربت * ولا تقل الا مواصيلا

فمن ذلك قوله

حملت خاتم فيه فصا أزرقا * من كثرة اللثم الذي لم أحصه

لولاه ما علم الرقيب فياله * من خاتم نقل الحديث بفصه

ومنه قوله

لله خال على خد الحبيب له * في العاشقين كما شاء الهوى عبث

ورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدي ان الخال لا يرث

ومنه قوله

وأغيد جارت في القلوب لحاظه * وأسهرت الاجفان أجفانه الوسنى

أجل نظرا في حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

وقوله

بروحي مشروط على الخد أسمر * دنا وفي بعد التجنب والسخط

وقال على اللثم اشترطنا فلا ترد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

وقوله

واحربا من هوى رشيق * معتدل كالقضيب مائل

عذاره لا يجيب دمعي * وسائل لا يجيب سائل

ومن نكته البديعة في هذا الباب قوله

وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يقاتل بالالحاظ من لا يقاتله

وسال عذار فوق خديه جائر * على مهجتي فليتق الله سائله

ومن السرقات الفاحشة قول ابن الوردي غفر الله له

تعجبت من نهديه لوان لامسا * أراد انقباضا لم تطعه أنامله

وسال عذار لو نحا نفس صبه * لجاد بها فليتق الله سائله

الكتاب واعتقدت بالقاضي وعقدته جسرا الى رضاه ووجدته من مولاه الشيخ بحيث يطاع الشفاعه ولا يدخر السمع والطاعة فان كان لهذا الكتاب موقع فما يتلوه عريض طويل وان لم يكن له موقع فالتطويل ثقيل وشدما اقتنص الشيخ جملة هذا القاضي فما ينتمي الا اليه ولا يرفرف الا عليه ولا يطمئن الا لديه ولا يرى الشرف (٢٩٣) الا من يديه ولا الحياة الا من حواليه امتع الله بعضهما ببعض وزادهما من كل خير ان شاء الله تعالى

(وله ايضا الى اسمعيل ابن احمد الديواني)
ولا يزال يستخفني الى الشيخ الامير شوق ونزاع لولا العوائق تطاع فيذكر في طلوع الشمس محياه ونسيم السحر رياه وعسى الله ان يجمعنا واياه انه على ذلك قدير والمكارم أدام الله عز الشيخ كوامن في الاحرار ككمون النار في الاحجار وكون الماء في الاشجار ثم لا تقدح تلك النار ولا ينبط ذلك الماء بمثل هذه الاعمال السلطانية انها تمكن اليد من بسطها وتعين الهمة على مرادها ومحال ان احظى من الشيخ بحظوتي ويبلغ هو من الرفعة

(وله ايضا الى ابن ميكال رئيس نيسابور) اعجوبة لكنها محجوبة حتى تصلي على النبي بنشاط وتنزل عن قيراط ماهي يا خبيث اليك بساق الحديث ان عشنا وعشت رايت الاتان تركب الطحان روح ولا جسد وموت ولا احد والعود احمد ومتى فرزنت يا بيدق واف القوم سدتهم ويا بؤس عصر احوجهم اليك ويا سخف من يافد على رافد وشر دهرك آخره اشهد لئن صدق البحتري في اللامية لقد صدق الاعشى في الصادية وان وصف الدريدي في المقصورة فلقد تغير الامير عن الصورة وان كان كالآخر الاول فما احوج الكتب الى المقراض وا كذب السواد على البياض افراطا في الامتداح وقصدا في السماح ان ظلم ابن الرومي في ابطائيه فالقوا قول

ومنه قوله لا تخف عيلة ولا تخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله

لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى قتاله

ومنه قوله قبلته عند النوى فتمررت * تلك الحلاوة بالتفرق والجوى

ولثمته عند القدوم فحبذا * رطب الشفاه السكرى بلا نوى

وقوله افديه لدن القوام منعطفا * يسل من مقلتيه سيفين

وهبت قلبى له فقال عسى * تومن أيضا فقلت من عينى

ومنه قوله يارب لص ناهب سالب * وهو من الحسن ملئ غنى

يرنو الى سرب الظبى لحظه * فيسرق الكحل من الاعين

ومنه قوله مبقل الخد أدار الطلا * فقال لى فى حبها عاتبى

عن أحمر المشروب ماتنتهى * قلت ولا عن أخضر الشارب

ومنه قوله كم قلت بالنم وردا اللمى * ايه برغم العاذل الحاسد

روّصدى قلبى ودع عاذلى * فى الحب يغتاظ على البارد

ومنه قوله بروحى معسول اللمى متعجب * اذا لم يزر لم يهن عيش ولا اذا

وان ذقت منامن حلاوة ريقه * أتانا رقيب يتبع المن بالاذى

ومنه قوله يا كعبة الحسن الممنع لا تطل * بينى وبينك للجفاء حجاز

حاشى لها من قامة ألفية * يثنى لقاها كاشح هماز

ومنه قوله ياواصف الخيل بالكميت وبالنهد أرحنى من طول وسواسى

لانهد الامن صدر غانية * ولا كميت الا من الكاس

ومن هنا أخذ الصاحب فخر الدين بن مكانس وقال

وان ذكرت الخيل فى الميدان * فاشرب كميتا واعل فوق نهد

ومنه قوله قلت ولى فى هوى حبيبى * قلب رقيق عليه يدهش

بالجفن والصدغ يا عنائى * هذا سقيم وذا مشوش

ومنه قوله نقطة خال فى وجنة جعلا * فى الهوى لى بعد نوبتى غبطه

فيا لها وجنة عشقة * صرت عليها أقول بالنقطه

ومنه قوله اذا سألونى عن هوى قد كتمته * سكت أراعى واشيا ورقيبا

وجاوب عنى سائل من مدامعى * فلله دمعى سائلا ومجيبا

ومن اختراعاته الغريبة مع بديع التضمين قوله

لما رأيت نهودها قد أقبلت * ورأت لقلبى عشقه يتجدد

قالت وقد رأت اصفرارى من به * وتنهدت فأجبتها المتنهد

ومنه قوله وتاجر قلت له اذ رنا * رفقا بقلب صبره خاسر

ومقلة تنهب طيب الكرى * منها على عينك يا تاجر

وهذه النكتة زاحمه فيها الشيخ زين الدين بن الوردى وزنا وقافية ومعنى وقال

وتاجر شاهدت عشاقه * والحرب فيما بينهم دائر

الصوف طائفة يا عجبا يلد الاغر البهيم وولد آزر ابراهيم ورأيت الذى اخرج الميت من الحى رد هذا الثوب الى الطى يا ايها العام الذى قدر ابنى * انت الفداء لكل عام اول * وما افدى العام لكن الا نعام وما اشكو الايام لكن اللئام عام اول عرفان والعام هذا الفرقان لنا فى كل قرار امير علا بطنه والجار جائع ويحفظ ماله والعرض ضائع لبدلت الاشياء حتى لخلتها تبدى غروب الشمس من حيث تطلع كانت السيادة فى المطابخ فصارت فى المطاطخ اشهد لئن كثرت مزارعكم لقد قلت مشارعكم ولئن سمنت انفسكم لقد هزلت اقيسكم أف لكم يا رذالة الزمن والراغبين عن تقليد المنن رأيتكم * لا يصون العرض جاركم * ولا يدر على مرعاكم اللبن اللامية قول البحترى ثلاثة عجب تنبيك عن خبرى فيها وعن خبر الشاة ابن ميكال والصادية قول الاعشى كلا أبويكم كان فرعا دعامة ولكنهم زادوا واصبحت ناقصا والمقصورة قول ابن دريدى ان ابن ميكال الامير انتاشنى من بعد ما قد كنت كالشئ اللقا والطائية قول ابن الرومى يا آل وهب حدثونى عنكم * لم لا ترون العدل والاقساطا ما بال ضرطتكم يحل رباطها * عفوا ودرهمكم يشد رباطا * صروا صراطكم المبدد صركم عند السؤال الفلس والقيراطا أو فاسمعوا بنوالكم وضراطكم هيهات لستم للنوال نشاطا لكنكم افرطتم فى واحد وهو الضراط فعدلوا الاسقاطا

(وله الى قيس بن زهير) اعوز الصوف فبعثت اليك بفرو فطفقت تلوم وظلت تقعد فى العتاب وتقوم وأرانى قال مابعدت فى القياس ولا خرجت عن متعارف الناس فالصوف نفس الفرو الا انه نسيج والفرو نفس الصوف الا انه دبيج فكل فرو صوف وليس كل صوف فروا فان انصفت وجدت الفرو فطرة والصوف بدعة وان نظرت رأيت الفرو صوفا وزيادة فكان

قال عـلام اقتلوا هكذا * قلت على عينـك يا تاجر

واتصلت بالشيخ شمس الدين الرئيس الدمشقي العمري الشهير بالمزين فاستعملها أحسن من الشيخ زين الدين بن الوردي وزاد المثل قوة وايضاحا بقوله

وتاجر أسـكرني طـرفه * والكأس فيما بيننا دائر
وقال لي سرك قلت اسقني * جهرا على عينك يا تاجر

ومنه قوله
أفني جفاكم كثـير دمعي * لكن بقي في القليل نشطه
وكنت أروي عن ابن بحر * فصرت أروي عن ابن نقطه

ومنه قوله وتلطف كثيرا

خف خصر الحبيب ثم ابتلاني * بعـذول يزيدني تعنيفا
ليت لو كان في الملامة مثـلي * في هوى الخصر يؤثر التخفيفا

ومنه قوله
وكنت أظن العشق يترك مهجتي * اذا زاحم الشيب الشباب بمفرقي
فلما بدا امسع أسود الشعر أبيض * أبى العشق يغزوني على ألف أبلق

ومنه قوله
يا حبـذا خـد الحبيـ * ـب وقد اضاء شريقـه
ان لم يكن في الحسن نفـ * ـس الروض فهو شقيقه

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

فديت حبيبا ضرج الحسن وجهه * وصب على خديه ذوب عقيق
اذا أبصر الروض المدبج خـده * يقول لنا هـذا أخي وشقيق

ومنه قوله
يا حبذا يومي بوادي جلق * وفرحتي مع الغزال الحالي
من أول الجبهة قد قبلته * مرتشفا لآخر الخلخال

ومنه قوله
آه الحاذق ذهـن * يقول في الحب من لي
قال العـذار لحذقي * ما أنت من خل بقـلي

ومنه قوله مع التضمين للمثل

في الناس من يشتاق للمرد ولا * يزال في هجر وشوق يبطنه
وآخر شاخوا وما يتركهـم * ذا يشتهي التين وذا يقطنه

ومنه قوله
يا من يقول البدر أو شمس الضحى * كعـدني لا كيـد للقمرين
أبوجـه ذاك ووجـه تلك تقيسه * قسما لقد أخطأت من وجهين

ومنه قوله
نسبوه حسنا للهلال وعينه * للظبي تنسب لا رميت ببينه
فاذا بدا فالي هـلال أصـله * واذا رنا فهو الغزال بعينـه

ومثله ومن خطه نقلت
رنوا ويشرق حسنه * في ناظري ولهانه
فهو الغـزالة والغزا * ل بعينـه وعيانه

وضاقت عين الشيخ صلاح الدين الصفدي عن هذه النكتة فأخذها بعينها وقال

بسهـم أجفانه رماني * وذبت من صده وبينه
ان مت مالي سواه خصم * لانه قاتلي بعينـه

نعمى وسعادة والفرور بر في الشتاء ونطع في الصيف فان فرسك البرد فالدب وانت قيس وان غشيك المطر فاقلبه وأنت تيس

(وله الى أبي علي الشاري جوابا على رسالة كتبها يعتذر اليه فيها) وصلت رقعتك يا شيخ وحضر رسولك فادى رسالتك وسرد مقالتك وسأل اقالتك وقد صانك الله عما ظننت فما فرقتنا وحشة فتجمعنا معذره (٢٩٥) ولا قطعنا جرم فتصلنا مغفره اما ما اعتذرت عنه من حق لم تقضه وواجب أخللت بفرضه فاجعل الله للصلة فرضا حتى تصير قرضا ولم أقرضك مكرمة انتظر بازائها ان تشهر لجزائها وقد كان يوجب فضلك ان آخذ نفسي لك بما تأخذها لي فاني على السعي أقوى وأقدر والاعتذار من جانبي أولى واجدر واما ما ذكرت من غفلتك يوم اجتيازي عن القيام فقد علمت ان على ذلك الباب الرفيع عالما كبيرا وجما غفيرا ولم يقم لاجتيازي الا نفر معدودون فان كان قيام القائم يسر فقعود القاعد لا يضر واما ما ذكرت من منزلتك كانت عند الامير من قبل وتغيرها الآن فان الزمان يقلب الاعيان فكيف الالوان هذا عيبه العتيق وطبعه العريق وقد ابتنا على هذا العيب ولو انصفك خلفك ولو احسن عشرتك ما غير قشرتك ولكنه كما أشاب هامتك أشاب كرامتك وكما أوهن ركنك أوهن رتبتك ومن ذا الذي يا عز لا يتغير وقد حضرني يا شيخ خاطر نصح لك في قبوله حظ ولي في ايراده وعظ ومثلي لا يعظ مثلك ولا يعيب فعلك ولكن للعداثة قريحة وللمسلم نصيحة فاسمعها وان لم ترضها فدعها وقد توجهت تلقاء امر اري لك ان لا تأتيه أو تعد اليه يدا فقد أوجعني الآن ما يوجعك غدا أراك تلقى هذا الامير بدلال وتنسبه الى ملال وهما مركبان خليقان بالعثار فاجمل قصارك تحسين أمر مولاك وتباعد اذا ادناك وتواضع اذا اعلاك انك ان دنوت وأدناك صرت في حجره فتعرضت

ومنه قوله   دعوني في حلى من العيش مائسا * ومن تقبامن بعده عفوراحم
امد الى ذات الاساور مقلتي * واسأل للاعمال حسن الخواتم

ومنه قوله   لما تبدى في الحنين * حسن تجار بت كبدي وعيني
فاعجب لها من وقعة * جاءت ببدر في حنين

ومن هنا أخذ الشيخ برهان الدين القيراطي فقال

بدت ر وادف حبي * تحت الحنين بعين
فقلت يا بدر هذي * حقا جبال حنين

ومن لطائف الشيخ جمال الدين قوله

دعوا شبيه الغزال رمى * في مهجتي بالنفار جمرا
تالله لا فاتني اقاه * وعين كيسي عليه حمرا

ومنه قوله   بأبي نائم على الطرق راحت * في هواه وليس يعلم روحي
فاتح في الكرى فاسكريا * ياله من مسكر مفتوح

ومنه قوله   ملأت انسان عيني عسجدا * من خدود قد ملاها الحسن صبغا
قلت والردف أربني فانثنت * ثم قالت هكذا الانسان يطغى

ومنه قوله   ومن الشقاء الجفا وتشوقي * لا ينتهي هذا وذاك الى طرف
ما مال غصن قوامه عن فكرتي * يوما ولا دينار وجنته انصرف

ومنه قوله   سلت مهجة قد كان صدعها الاسى * فلا آخذ الله الاسى بصدوعها
وعين على حالي بعاد وجفوة * عفا الله عما قد جرى من دموعها

ومن لطائفه قوله   من الترك اثني سلوتي مع انها * صواب وأفتي فيه وهو من الخطا
اما والهوى لاحلت عن عطف أغيد * ولا بت في رمان صدر مفرطا

ومن نكته البديعة في المدائح قوله

انامل قد قاسمتنا هباته * فنثر العطا منه ونظم الثنا منا
يذكرنا أخبار معن بجوده * فننشي له لفظا وينشي لنا معنا   (معنى)

وقال في صدر مطالعه

خذ من عبيدك مقتضى نياتها * في الحمد واعذر مقتضى أقوالها
قسما لو استطاعت اليك جسومهم * بعثت دروج الحمد من أوصالها

وقوله   لاعدمنا لابن الاثير يراعا * جاريا للعفاة بالارزاق
كلما ماس في المهارق كالغصن رأيت الندى على الاوراق

وقوله في كمال الدين بن الزملكاني   يفديه قوم تشبهوا حسدا * به وليسوا له باشباه
ان نطقوا بالجميل أو فعلوا * فللريا وللكمال لله

ومنه قوله   لعمري لقد أفحمت بالفضل منطقي * وقد كنت ذا نطق وفضل بيان
وحركت ميزاني فأثنى لسانه * فلا زلت مشكورا بكل لسان

وقال وقد كتب اليه الملك المؤيد صاحب حماة

لهجره وان علوت واعلاك الجأته الى دفعك واحوجته الى وضعك ثم اشكره اذا رفعك ولا تشكه اذا وضعك على اني أراك ترفع فوق حدك وتتجاوز بك قدر مثلك افتسمو همتك الى أبعد من حيث رتبتك أرأيت لو ان صاحب الشاش ورد الى هذه الديار ما كان يصنع بهذا الامير أكان يجلسه على السرير أرأيت (٢٩٦) لو كانت غرشستان ميزانك وكان الشار خزانك اين كنت تروم ان تقعد وتقوم وجد تلك تذكر عظيم حقك في هذه الدولة فلو انصات هذه الدولة بلسان وفم لناقشتك الحساب وقالت يا أبا علي حقك حقك انك شيخ فقط لا اللفظ يسعدك ولا الخط ولا الرأي يصحبك ولا السيف ولا الاصل يعضدك ولا النفس ولا المال يرفعك ولا الدين ولا الجد يقومك ولا المزح يفضلك فما هذا الحق العظيم ما كنت ترال قائلا هل هي الا الصحبة الطويلة الثقيلة فتنقلب عليك الوسيلة فيلزمك أكثر مما يلزم لك صحبتها فلم ترتق فتقا ولم تشدد لها ازرا وصحبتك فاشبعت جوفك وامنت خوفك فالحاصل عليك لا لك أبا علي هذه كلمات مرة الا انها حق ولو لم أرد نصحك لحسنت قبحك ولو كنت لك عدوا أو اردت بك سوأ لقلت لا ترض برتبتك وطالب بحق صحبتك والق هذا الامير بادلالك ومن باذلالك ولو فعلت ذلك أو اخطرته ببالك نخربت على سبالك وكنت سبب الجناية وأيضا فان نسبتك ولي نعمتك الى الملال نوع من أنواع الاخلال لان ذلك ينفر من لا يعرف خلقه من الزوار ويردع من يريد قصده من الاحرار ويعرض في العاجل للعار وفي الآجل للنار فلا تعرض فديتك بما صرحت وقد نصحتك ان انتصحت وأما أخوك الذي تصفه فمن هو لا أعرفه ان كنت عنيت الاستاذ أبا فلان فاسأل الله تعالى سترا يمتد ووجها لا يسود سبحان الله أقل ما في الباب ان ترتيبه في الخطاب ترتيب مولانا ياشيخ هذه الالفاظ وان حيث على

فديتك من ملك يكاتب عبده • باحرفه اللاتى حكتها الكواكب
ملكت بها رقى وانحلى الاسى * فها أنا ذا عبد رقيق مكاتب

وقال يهنئ الصاحب شمس الدين بخلعة

تهنأ مدى الايام بالخلع التى * وجدناها الايام واضحة الانس
اضاء بها وجه الزمان واهله • ولم لا ومن أطواقها مطلع الشمس

ومنه قوله يهنئ القاضى جمال الدين وقد عاد من غزوة سيس

بقيت مدى الدنيا جمال الدولة • لها منك شهم فى اللقا ورئيس
يسوق لها عند الفتوح جنائبا • وأول ما يبك الجنائب سيس

ومنه قوله فى جواد وأدهم اللون حندسى * فى جريه للورى عجائب
يقصر سعى الرياح عنه • فكلها خلفه جنائب

ومنه قوله وقد كتب بها الى الصاحب شرف الدين يعقوب

قالت العليا لمن حاولها • سبق الصاحب واحتل ذراها
فدعوا كسب المعالى انها • حاجة فى نفس يعقوب قضاها

ومنه قوله قصدت معاليك أرجو الندى • وأرجى من العسر داء دفينا
فما كان بينى وبين اليسار • سوى ان مددت اليك اليمينا

وقوله يهنى محتسبا تهنأ بها حسبة أدركت • بايام فضلك ما ترتقب
فانك من أسرة تصطفى • وترزق من حيث لا تحتسب

ومنه قوله يهنئ بعيد النحر

تهنأ بعيد النحر وابق ممتعا • بامثاله سامى العلا نافذ الامر
تقلد نافيه قلائد أنعم • وأحسن ما تبدو القلائد فى النحر

وقوله كذا أبدا يا أرفع الناس همة • غوادى الندى من راحتيك غزار
أقدم أطراسا وغنح أنعما • ففى أوراق ومنك ثمار

ومنه قوله وكتب بها الى القاضى بهاء الدين بن أبى البقاء على يد طالب شفاعة

ارسلته لك واتقا بمكارم • أوردتها عن سادة انجاب
لا غروان أعربت عن احسابهم • فابو البقاء أحق بالاعراب

ومنه قوله وكتب بها الى القاضى شمس الدين البهنسى

يارب أمدد بالغنى يد سيد • فى يومه يهب الجزيل وفى غده
فالبحر يسعى خادما فى بابه • والسحب جارية تصب على يده

ومنه قوله وكتب بها اليه

• على ديون من ثنائم أقم بها • فيا عجبا لى فى ازديادى من الفضل
وأعجب من ذا انك الشمس أشرقت • وها أنا منها حيثما كنت فى ظل

ومنه قوله وقد أرسل اليه شرف الدين خالد القيسرانى هدية جليلة فى وقتها

لك الله ما أزكى وأشرف همة • وأحمد صنعا حيث تبلى المحامد

الاعضاء حمى الرمضاء فانما تعمل فى الامعاء عمل الدواء فافتح لها جناب اذنك وافسح لها فناء صدرك فقد والله نحتك وان أوحشتك وان شئت غششتك فقد ظلمك الدهر بما بخسك والسلطان بما نقصك واساء الادب من زاحمك والعشرة من تقدمك واخطاء الرأى من لم يتصرف على أمرك ونهيك لانك نسيج وحدك وسواد العراق بستان جدك (٢٩٧) وعلى ابن عيسى خادم عبدك وعبيد الله غرس يدك وذو الرياستين فى كمك وذو العلمين فى جيبك والمقتدر بالله ولى عهدك وللفلك الامر من بعدك وغباوة من الايام تأخير مثلك وجهل من الاقدار اضاعة فضلك وعمى بالخلافة عن محلك وغفلة بالملوك عن فايتك وشين على السمر بقعود غيرك والشمس تزداد ضوأ بطلعتك والدهر معتز بكونك من أهله فاما ابن العميد فاحسن العبيد ببابك والمهلبى صبى كتابك وانما اضطربت أمور خراسان حين خذلها تدبيرك وما استقامت حتى وسعها ضميرك وما شئت من هذا الباب واكثلت من هذا الجراب فاختر من القولين احبهما اليك وأنا على ما ترى من فراغى مشغول الضمير ضيق الاوقات حرج البال فلا عليك ان لا تزيدنى شغلا وذكرت حرصك على عشرتى واسفك على الفائت منها فلا بأس وان فاتك كلى فلا بأس وان لك فى عشرة غيرى متسعا وباخلاق سواى مستمتعا فاهون لمن أهون بك واخلاط لاخيك شيأ من الوحشة بهذا

 الانس ونعيما من المأتم بهذا العرس واجعلنى اخر خطاك وأول منساك وان رأيت ان لا ترانى حتى أراك فعلت ذلك ان شاء الله تعالى (وله أيضا) لا والله لا أطلك انك الشيخ الفاضل وزيادة والفاصل وكرامة وليس من الانصاف أن تخاطب بالكاف ان عمل البريد اليك ومدار الانهاء عليك وأولى ما يجب لعامل الانهاء ان يخاطب بالهاء ولكنك طفقت لا تهاب

سلطان العلم فأعلمناك ان سلطان العلم لايهابك ولو اتصلت باسباب السماء أسبابك أنت عافاك الله اذ قلدت البريد فبردت هذا البريد يؤذن انك لو وليت الديوان لقتلت الاخوان فلو قلدت الوزارة ما كنت تصنع أكنت أول من يصفع واذا بيل على سيل الطائع وهو الخليفة فى الجبة ياشيخ حشمة (٢٩٨) فى الراس وعشرة بين الناس فاذا رفعت فالانها غنيمة وليس للنمام قيمة ولو نسجت الدر فى الذهب ما كنت الا الحائك ومن جملة أولئك ولما خرجت من مجلس الشيخ اسمعيل ورأيت قيامك الثقيل ونهوضك العليل صعدت السطح أتصفح أعلى المواضع فرأيت منارة الجامع اشرف المطالع فبدرت ان أقصدها ونويت ان أصعدها فاذا ومرت منها فى الدرجة العليا خربت على الدنيا والسلام (وله الى ابى الفوارس الاصم) يعجبنى ان يكون الشيخ فصيح اللسان طويله حسن البيان جميله ولا يعجبنى ان يطول لسانه حتى يلحس به جبينه ويضرب به صدره ويحك به قفاه فخير الامور أوساطها وأمام الساعة أشراطها والغاية شؤم والاستقصاء لؤم فان الحمار يشب على حمارته فتارة بعض الانحراف وتارة كل الانصراف وتارة تحت الاكاف ثم يوعيه فى الغلاف ويزعم الحمار أنه لو شاء فى أول شبابه لاتى الامر من بابه واقرا الحق فى نصابه وكان هذا ظننا به ولكن لوقوف السيارة وتغيير النظارة وتحريض الحمارة فلا تكن أحمر من حمارى ولا عليك ان يبذك غيرى فان الجرم من الجرب ومن الكثار والله والله طفيلى يدب ومن النوادر ذباب يثب واللص فى بيت الذائب آمين وانما يقع فى الحريم و يحتك بحائط الجيم (وله الى الشيخ أبى الحسن الشبلى) احدى عشرة ليلة كنت حدثتك ياشيخ حديثها والضحى ان لحيتك لمن تلاه اللحى ياشؤم البقرة تردوا نالا اشعر وتصدر

فانت الذى قرت برؤيته العلا * وهنئت الدنيا بانك خالد *

قال وقد وصلت اليه هدية على يد الكمال

قبضت من الكمال نداه عفوا * بريئا من سؤال أو مطال

فيالله من عادات بر * أتتنى بالتمام وبالكمال *

وكتب الى الصاحب تقى الدين بن هلال

هنئت ما أوتيته من رتبة * حلتك فى العينين من اجلالها

فى مقلة الانسان نمت فقل لنا * أنت ابن مقلتها أم ابن هلالها

وقوله

فديناك يا ابن المحسنين مجودا * باقلامه أوجائدا بمكارمه

لخاتم عند الجود فى بطن كفه * وياقوت عند الخط فى فص خاتمه

وقوله يهنى بالعيد

تهن بعوده عيدا سعيدا * وعش ما شئت يا كهف البرايا

نحرت به جميع عداك فاخر * قرونا آخرين من الضحايا

ومنه قوله

قف بباب العلا وقل يا كابى * عن لسانى قول الخويدم حقا

أنا عبد مكاتب غير انى * لست ابغى من مالك الرق عتقا

وقال وقد أنعم عليه بنصفية سور الذكر سهات * لى نصفية علت

فبياسين عوذت * وبحاميم فصلت

وتلطف بكتابته الى من أنعم عليه بالنصفية بقوله

ياسيدى نصفيتى قد فصلت * وعجزت لما غبت عن تبطينها

ماحات فيها عن ندى نعماك يدك ولا اتخذت بطانة من دونها

وكتب الى القاضى شمس الدين البهنسى

شكر الله أياديك التى * انعشت حالى بشمس الهبات

أنت بالمعروف قد أحييته * وكذا الشمس حياة للنبات

وقال يهنئ قادما من الحجاز

قالوا سررت زائدا بقادم * حج شهابا ثم عاد بدرا

تقصد منه ماله أو جاهه * قلت نعم كلاهما وعمرا

وكتب الى من أهدى اليه تمرا ردياً غالبه نوى

أرسلت تمرا بل نوى فقبلته * بيد الوداد فما عليك عتاب

واذا تباعدت الجسوم فودنا * باق ونحن على النوى أحباب

ومنه قوله

قال فتح الدين اذ حدثنا * يتلالا فى قصة تقضى لمحى

كيف اغمار حديثى عندكم * قلت فصى والافهو فتحى

وقال يهنى ولد الامير ناصر الدين بن فضل الله العمرى بامرة عشرة

هنئتها امرة مجددة * يا ابن السراة الاكابر البرره

اقسم من ذا وذا بانكم * وجدتم من أكابر العشره

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

وأنا الا أخبرهني لا أعلم بقدومك ألم تعلم بمقامي وهبني لم ابال بسيالك أما تخاف ملامي وهبني لم أنشط للقائك ألم ترغب في سلامي والله لولا شفيع لك من القلب لربطتك مع الكلب ولكن لا حيلة وصدري حصارك وكاي انصارك والسلام (وله الى الخطيب يمازحه) المجلس اطال الله بقاء الخطيب لا يطيب الا بالمسامرة والخطيب فضيحة الدنيا ونكال الآخرة وقد حضر الخطيب كان فليحضر الخطيب الآن لنحرث على فدانين تصديقا لقول الله تعالى (٢٩٩) ومن البقر اثنين (وله أيضا الى المعدل ابن أحمد) تصبحنا الايام كل صبيحة * ببادرة تربو على أخواتها وكانت تطير الطير عن وكناتها * فصارت تزيل الهام عن سكناتها * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراجع في هبته كالراجع في قيئه ثم اختلف العلماء فمن وهب من ماله وأعطى من حلاله ثم رجع في نواله فقال أبو حنيفة مكروه قبيح وقال الشافعي حرام صريح وقلتم انه حسن مليح ولكل أصل وترجيح وتأويل الخبر صحيح يقول أبو حنيفة القيء وان كان رجيعا وكان أكله قبيحا شنيعا فليس بحرام ويقول الشافعي ورد الخبر مورد النهي ولا شيء في بابه للقي وتقولون القيء لمن قاءه لا لمن شاءه ونحن أولى به من الكلب وان ساءه ورد عليك كتاب من سلطاني بان لا تتعرض اضياعي بوجه ولا تطالب اكرتي بشيء فرأيت ان أصالحك على النصف من مال الاحداث ووجدت الصلح جائزا في مال الميراث فامضيت الصلح وأديت النصف ثم رجعت عودا على بدء تطلب ما بقي فبعثت اليك ثلاثة دنانير متقيا شرك خرس الله هذه الدنانير ورزقنا منها الكثير انها تفعل ما لا يفعل التوراة والانجيل وتغني ما لا يغني التأويل والتنزيل وتصلح ما لا يصلح جبريل وميكائيل فاما الامير والشيخ الجليل ومنشورهما الطويل فنسأل الله سترا جميلا وسبحان الله بكرة وأصيلا والسلام (وله الى الفقيه أبي الحسن الظريف) من استلام في اخوته أو قصد في مروءة فالفقيه السابق الى كل كريم من الخصال المبتهج بكل نديه من الكمال الحالي بكل مأثرة غراء انه اطل عن كل فاحشة عذراء ان ذكرا لجمال طلع بدرا او السخاء زخر

والله ما عجبي لقدرك انه * قدر على باغي مداه بعيد
الا لكونك انت تشكو وحشة * في هذه الدنيا وأنت وحيد

وكتب على شرح مختصر ابن الحاجب لشمس الدين الاصفهاني

أخا العلم ان الشمس بادضياؤها * فسر بسناها حيثما أنت سائر
وخل فتى شيراز عنك فانما * هو القطب قد دارت عليه الدوائر

ومن لطائفه قوله
وصلت الى باب المعز وظله * وفارقت ذلي اذ وصلت الى العز
وأصبحت من جند المحامد والثنا * ولا بد للجندي من طالب الخبز

وقوله في الجامع الاموي بدمشق

أرى الحسن مجموعا بجامع جلق * وفي صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى بالجوامع معشر * فقل لهم باب الزيادة مفتوح

ومن مداعبته ومجونه واعراضه ونكته اللطيفة في باب التورية قوله

يا ابر لا تركن اعاق ولا * تثق به واتركه مع نفسه
ولا ترج الود ممن يرى * انك محتاج الى فلسه

ومن مداعباته اللطيفة مع الشيخ بدر الدين حسن الزغاري مضمنا قوله

يا غائبا عن مجلس قد شاقت * ندماءه واشتعلت عليه الاكؤس
نبئت ان النار بعدك أوقدت * واستب بعدك يا كليب المجلس

ومنه قوله في مليح اسمه الياس

أفدي مليحا في البرايا لم أزل * طول الزمان عليه في وسواس
قالوا أتقطعه كثيرا قلت من * راحات قلب المرء قطع الياس

وقوله
لهفي على فرسي الذي * أضحى قريح المقلتين
يكبو وامالك رقه * فعثر في الحائتين

ومنه قوله
سافرت للساحل مستبعدا * قصدا وجدا حسن الجملة
فياله من متجر رابح * ما انفقت فيه سوى بغلتي

وقوله
بزاني العاطل الحلي * قال له الفقر قف مكانك
لا تذكر المال عند هذا * ولا تحرك به لسانك

ومنه قوله يداعب صديقا له يروم ولاية القضاء

رب ان ابن عامر هائم الفكر معنى في صبحه والمساء
يتمنى القضا فلا تعطينه * واجعل الموت سابقا للقضاء

ومثله قوله
لقد أصبحت في حال * يرق لمثلها الحجر مشيب وافتقار يد * فلا عين ولا أثر

ومنه قوله يداعب بعض اصحابه

لفلان في الديوان صورة حاضر * وكأنه من جملة الغياب
لم يدر ما مخزومه وجريده * سبحان رازقه بغير حساب

بحرا او العميد رمح صخرا أو الرأى أسفر فجرا أو الحياء رشح خمرا أو الذكاء توقد جمرا وقد وصلت كتبه تترى وما أخر الجواب عنها لعذر الاعادة كل لبسنى عليها الاخوان قبله وان لم يكونوا مثله ولم يبلغوا افضله وأرجوان يكون هذا الكتاب لما نخرقه الكل رفوا ولما جرحه التهاون أسوا وقد نهض (٣٠٠) أبو فلان وهو منى بمنزلة العين والبدين وأوصيته أن لا يغب زيارته يوما وكما أوصيته كذلك وصى الفقيه أن لا يالوه معاضدة ومراغدة انه بصدد شغل لبلاده فيجمع يده الى يده فى كل ما هو بصدده ومما أخبره به ما أجريت بحضرة الشيخ من حديثه وقرأته عليه من كتابه وشهدت عزه فيه من اصطناعه وصوبت رأيه فيه من اختياره وأبو فلان يقوم بوصفه وما أسرنى بكتابه واردا ورسوله قاصدا وحديثه جاريا وخياله طارقا فليهد منها ما استطاع ان لكل موقعا وللفقيه فيما يراه التوفيق والسداد ان شاء الله تعالى

(وله الى طاهر الداوردى يهنئه بابن له) حقا لقد أنجز الاقبال وعده ووافق الطالع سعده وان الشأن لفيما بعده وحبذا الاصل وفرعه وبورك الغيث وصوبه وأينع الروض ونوره وحبذا سماء اطلعت فرقدا وغابة أبرزت أسدا وظهر وافق سندا وذكر يبقى أبدا ومجد يسمى ولدا وشرف لحمة وسدا أنجب ايام والداه به اذ نجلاه فنعم ما نجلا

شهاب ذكاء وبدر علاء ووجداه ابن جلا * ابيض يدعو الجفلى لمثله أولى فلا * اذا الندى احتفلا ومن

(وله الى أبى المظفر فى شأن أبيه أبى الحسن البغوى) يبلغنى ان أباه دائم العبث بالحمى والتنقل بشمى وانه حسن البصيرة فى بغضى كثير التناول من عرضى ولعمر الله ان دم الصديق لا يشرب على الريق ولحم الوريد لا يصلح للقديد والولى لا يقلى ولا

ومن لطائفه قوله يهنى شارب دواء

امط بالدواء ثياب الاذى * وطب بالرواح به والغدو
وكررا حاديث بيت الخلا * ولكن على رغم انف العدو

وكتب الى صفى الدين الحلى مداعبا له

ارقعنى ودى مع هاجر * يبخل بالدرج وبالوصل
والله لا غررت من بعدها * ولا جعلت الود فى حل

ومنه قوله

وقالوا احاطت ذقنه بخدوده * ووجدك لا ينفك يذكر حسنه
فقلت نعم ضيفى بقلبى نازل * أعظم مثواه وأكرم ذقنه

وقوله

رب مايح حسن صوته * قالوا وقد أصبح ذا ذقن
لحيته قد قطعت حلقه * قلت من الاذن الى الاذن

وكتب وقد أهدى اليه بعض أصحابه ديوكا

وصلتنا ديوك برك تزهو * بوجوه جميلة مستجاده
كل عرف يروق حسنا وانى * أرتجى أن تكون عرفا وعاده

وكتب اليه فى المعنى

قل للرئيس جمال الدين لا برحت * هباته ذات تأسيس وايناس
واصل رجاى بعرف الديك مقتبلا * لن يذهب العرف بين الله والناس

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

لقد عدنا كم لما ضعفتم * فلا والله ما زافيتمونا
أقيموا فى ضنا كم أو أفيقوا * فان عدنا فانا ظالمونا

ومنه قوله وقد صرف عن مباشرته

أيا ابن نباتة جار الزمان * وزلت وزالت قوى همتك
وقد كنت ذا خدمة وانقضت * فلا أوحش الله من خدمتك

ومن نكته اللطيفة قوله فى هذا الباب

أحمد الله كم أجود فى الخلق مقالا وما يفيد المقال
كلى فى الانام سحر ولكن * أنا والدهر باطل بطال

وقوله

لقد أصبحت ذا عمر عجيب * أقضى فيه بالانكاد وقتى
من الاولاد خمس حول ام * فوا حرباه من خمس وست (ى)

ومن لطائفه قوله

قد لقبوا الراح بالعجوز وما * تحرج القابهم عن العادة
الا انت الغادة التى امتنعت * فدع أن العجوز قواده

وقال يداعب كبير الانف

أقبل عند القوم يسألنى * من أى ارض لك نات ايثارا
قلت من النيل ما رأى بصرى * خيرا ولكن رأيت منقارا

بخلجه نقلا بالقدح وعلى املائنا بالجرح أو بقصر سعيه و يتداركه وهنه فيعلم أن من أملى من مقامات الكدية اربعمائة مقامة لامناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى وهو لا يقدر منها على عشر حقيق الابهاج الكشف عيوبه والسلام (وله الى بعض اخوانه فى شأن أبى الحسن المحتسبى) بلغنى اطال الله بقاءك أن فاضلا يكنى أبا الحسن معدودا فى زمرة الكتاب وفرج أهل الفضل والآداب انتدب لملاقاتى وبينى وبينه مهامه فيح وما شككت أنا اذا وردنا نيسابور استقبلنا من احل بفضائله وتلقانا فراسخ عمائله وقد وردناها فلا أرض استقبال قطع ولا قوس نضال نزع ولا باب سؤال قرع ومازلنا ننتظر نشاطه لما أسلف حتى أخاف ونصرته لما بذل حتى خذل واهتزازه لما أقدم حتى أحجم ووفاءه لما وعد حتى قعد ووفاءه فيما قال حتى استقال واقدامه على ما نذر حتى اعتذر فهو أيده الله وان لم يستقل باللسان قوله فقد استقال باللسان فعله وان لم يعتذر فى ظاهر أمره فقد اعتذر فى باطن سره ولا أعلم ما الذى نهاه كما لا أعلم ما الذى أغراه وما أعرف السبب فى نشوزه كما لا أعرفه فى بروزه ولعل العلة فى عذره الآن كالعلة فى نذره كان ومن طاب لغير ارب هرب لغير سبب ومن شهر سيفه قبل الحرب أغمده قبل الضرب ومن حارب لغير احنة صالح بغير هدنة وما أحسن البناء على القاعده وأقبح الصاف تحت الراعده ورحم الله الجاحظ فقد ضرب حالى مع هذا الفاضل فى قالب فضة طريفة وحكاها فى معرض أعجوبة لطيفة وذكر فى كتاب طبائع الحيوان ان فأرين خرجا من نقبين فتوعد كل منهما صاحبه وجعل يهز رأسه و يرفع صدره و يخبط أرضه و يحرق نابه ثم هرب كل من صاحبه من دون اللقاء فأوى الى جحره وقد كان عجب من

ومن لطائف مجونه
أرى ايرى تكبر فى جلوسى * وفى عمرو أعطى اللؤم قومه
فامسى لا يقوم لزائريه * وان زار العزيز فنصف قومه

وقال فى صديق باع مملوكا وتزوج امرأة جميلة
لى صاحب ترك المليح وعادنى * حب المليحة من ذوى الاقدار
قد كان عبد الاشهب المنسوب فى * حسن فأضحى وهو عبد الدار

ومن لطائفه قوله فى هذا الباب
لقد أضحت سعاد تعاف ايرى * وتحوجها الضرورة أن تجامل
فتمسكه بلا قلب لديها * وتأخذه باطراف الانامل

ومنه قوله مع التضمين المخترع وهو
دنوت اليها وهو كالفرخ راقد * فيا خجلتى لما دنوت وادلالى
وقامت امسكيه بالانامل فالتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالى

ومنه قوله
محبوبتى دنيا جفت بعدما * جادت وكانت نزهة الهائم
كانت مع الاير زمان الصبا * وهكذا الدنيا مع القائم

ومن لطائفه قوله
باع صديق لجام بغلته * ليشترى الخبز منه والادما
واها عليه راحت جرايته * فهو على ذاك يعلك اللجما

ومن لطائف مجونه قوله
ياملاذى الغوث من عائلة * ليس من تكليفهم لى مهرب
طلبوا فى أرجلى شيأ وقد * نقبوا رأسى بما قد طلبوا

ومنه قوله
جنينة التين وجيرانها * قد طيبت لذاتها وقتى
وكثرت عندى ما أشتهى * فالتين من فوقى ومن تحتى

وقال يداعب صديقا له طلق زوجة تسمى دنيا
قل لابن بغلان الذى أصبحت * كربته بين الورى خاسره
ظلمت دنيا لك وفارقتها * وربحت لا دنيا ولا آخره

وقوله
تبسم الشيب بذقن الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
حسب الفتى بعد الصبا ذلة * أن يضحك الشيب على ذقنه

ومن أغراضه اللطيفة فى اهداء كتاب قوله
ارسلته نعم الجليس اذا تغيرت البشر
يبقى على سنن الوفا * ابدا ويفنى بالنظر

وقوله
لله تصنيف له رونق * كرونق الحبات فى عقدها
كادت تصانيف الورى عنده * تموت للهيبة فى جلدها

وقال وقد عتب عليه القاضى بدر الدين لامر
أهانتنى للعتب حتى لقد * لذا سمعى وهو صعب شديد
هذا ولو قطعتنى لذلى * وسرنى انى بدر شهيد

وقال يداعب جنديا من أصحابه عرض ولم يقبل

رآهما فى ذلك الفرار عقيب ذلك الضرار وذلك الهرب تلو هذا الطلب وتلك الشماسه بعد هذه الحماسه ولو شاهد هذا النفار لنسى الفار وما ألوم هذا الفاضل على بساط شرطواه وهو قد حرب احتواه لكنى ألومه على ما نواه ثم لم يبلغ هواه وأراده ثم لم يور زناده ورامه ثم لم يبلغ مرامه فاقول (٣٠٢) قد ضرب فأين الايجاع وانذر فأين الايقاع وهذى بوارقه فأين صواعقه وذاك وعيده فأين عديده وتلك بنوده فأين جنوده وهذى معاهده فأين عهوده وما أهول رعده لو أمطر بعده ولا كفران فاعله اشفق على غريب ان يظهر عواره وان طار طواره فأمسك عن معاياته وان قصد هذا القصد فقد أساء الى نفسه من حيث أحسن الى وأجحف بفضله من حيث أبقى على وأوهم الناس أنه هاب البحر أن يخوضه والاسد أن يروضه والحية أن تطوقه والسم أن يذوقه وظننت غير المظنون بفضله بعد أن شرقت بكاس الغم من أجله وهجرت الوساد من خوفه وبينا أنشد

ان جنبى عن الفراش لناب

حتى أنشدت

طاب ليلى وطاب فيه شرابى

وبينا أقول

مالقلبى كأنه ليس منى

حتى قلت

أين من كان قائلا انا أعنى

ومن وقع بما لم يكتسب نجا من حيث لم يحتسب وما أحسن منارا فى هذا الفاضل أن وجد خلف العافية فامتراه وظهر السلامة فامتطاه ومن أبى الايام قبل الليالى ومن

ظننا طوله يجدى * ليوم العرض أو يرضى

فلا والله ما أجدى * وراح الطول فى العرض

ومن لطائف مجونه قوله

يقولون شيبى ثم كدر عيشتى * فيا عجبا للشيب من كدر صافى

وصار على الاكتاف يحمل من برى * فآها له شيبا يقطع أكتافى

ومن اعراضه اللطيفه قوله كانت للفظى رقة * ضن الزمان بما استحقت

فصرفتها عن قدرتى * وقطعتها من حيث رقت

ومن لطائف مجونه قوله قالت أريد من طبيخ قدرة * وكثرت حاجاتها واوغلت

فقلت هذى قدره يا ستنا * من قبل أن تمسها النارغلت

ومن لطائف مجونه قوله دعانى صديق لحاجاته * فاوقعنى فى العذاب الاليم

كلام يزيد وما يقل * فبئس الصديق وبئس الحميم

ومنه قوله مازات أقلع شيبة نبتت بها * فسواد عقد شبابها مفسوخ

حتى غدت صفحات وجهى آية * لا ناسخ فيها ولا منسوخ

ومن مراثيه البديعه قوله يرثى الملك المؤيد صاحب حماة

ألا فى سبيل الله ملك مؤيد * كنصل غدا فى باطن الارض مغمدا

على الرغم منا ان أتى منه لامع * وجاوبنا من حول تربته الصدى

قوله وقد توفى له ولد ولم يبلغ حولا

يا راحلا من بعد ما أقبلت * مخايل الخير من جوه

لم تستكمل حولا وأورثتنى * ضعفا فلا حول ولا قوه

ومثله قوله فى ولده عبد الرحيم

يالهف قلبى على عبد الرحيم ويا * شوقى اليه ويا شجوى ويا دائى

فى شهر كانون وافاه الحمام لقد * أحرقت بالنار يا كانون أحشائى

ومنه قوله فيه آها لشمل قد وهى سلكه * وكان ذا در بعبد الرحيم

فليتنى لاقيت عنه الردى * وعاش ذاك الدر در اليتيم

وقال يرثى جارية له يقولون قد اخلقت جفنك بالبكى * نعم ان جفنى بالبكاء حقيق

دعوا الدمع للجفن القريح مؤاخيا * فانى عدمت الدمع وهو شقيق

وقال يهنى بالعشر بعد تعزية بميت

اتيتك يا ازكى البرية جامعا * لامرين فى يوم من الدهر وافد

هنا وعزا لاعيب فيه لاننى * اهنى بعشر اذ أعزى بواحد

وقال يرثى الملك الافضل صاحب حماة

مضى الافضل المرجو للبأس والندى * وصحت على رغم العداة وفاته

وما مات اذ مات بحزن نساوه * ومات باحزان البلاد حماته

عصى الزجاج أطاع العوالى ومن لم يشرب كاس السلامة هنيا سقى مجل الندامة رويا ولن يعدم طالب الملامة وقال عبوسا ولا خاطب الندامة عروسا ولئن اساء بدا لقد أحسن عودا ولئن أوعد قولا لقد أمن فعلا وبقى أن ينظم على الانصال ولا يندم على الانفصال فيما بيننا من باب المعاشرة ان لم يا تنا من باب المكاشرة ويبشرنا فى الوداد ان لم يطونا فى باب

وقال فى رثاء طفل

بدا وفى حاله توارى * فيا لها طلعة شريقه
جوهرة ما عملت الا * دموع عينى لها عقيقه

وقال فى رثاء ولده أيضا

قالوا فلان قد جفت أفكاره * نظم القريض فلا يكاد يجيبه
هيهات نظم الشعر منه بعدما * سكن التراب وليده وحبيبه

انتهى ما وقع عليه الاختيار ووعدت بايراده من غرائب الشيخ جمال الدين بن نباتة وبدائعه فى باب التورية على اختلاف أنواعها وقد تقدم قولى ان الراية الفاضلية هو عرابة مجدها * وواسطة عقدها * وقائد زمامها * ومسك ختامها * وقدمت أيضا من مشى تحت الراية الفاضلية من ابن سنا الملك الى الوداعى ولما رفع العلم النباتى كانت هذه الفرقة التى مشت تحت هذا العلم أكثر عددا وأشهر ذكرا * وأعلى رتبة نظما ونثرا * وقد عن لى أن أذكر هنا لكل من عاصره ومشى تحت علمه النباتى وتحلى بسكته الادبية نبذة من مختار مقاطيعه التى حلاوتها فى الاصل نباتية * ليظهر صدق قولى فى تفضيل الصحابة المحمدية * وأشرع بعد ذلك فى ايراد نبذة من نظم التابعين لهم باحسان * وأدير هذا الكاس بحيث يتسلسل دوره الى أهل هذا العصر والاوان * والعصابة التى مشت تحت العلم النباتى وتحلت بقطر نباته هم الشيخ صلاح الدين الصفدى والشيخ زين الدين بن الوردى والشيخ برهان الدين القيراطى ومذهبى انه أقرب الناس الى الشيخ جمال الدين نظما ونثرا والشيخ شمس الدين بن الصائغ والشيخ بدر الدين بن الصاحب والشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة والشيخ ابراهيم المعمار والشيخ بدر الدين حسن الزغارى والشيخ يحيى الخباز الحموى والشيخ شهاب الدين الحاجبى وممن أدركهم وعاصرهم المصنف وكتبوا اليه وكتب اليهم وأنشدوه وأنشدهم من أهل مصر والشام الشيخ زين الدين بن العجمى عين كتاب الانشاء الشريف بالديار المصرية والقاضى فتح الدين ابن الشهيد صاحب دواوين الانشاء الشريف بدمشق المحروسة وناظم السيرة النبوية نور الله ضريحه والشيخ عز الدين الموصلى والشيخ علاء الدين بن أيبك الدمشقى والشيخ جلال الدين بن خطيب داريا والشيخ شمس الدين الرئيس الشهير بابن المزين والصاحب فخر الدين بن مكانس وولده الجناب المخدومى المجدى وسيدى أبو الفضل بن أبى الوفا قدس الله روحه ولكن ما رأيته والشيخ شرف الدين عيسى الشهير بعويس والشيخ شهاب الدين بن العطار ولكن ما حضرته والشيخ جمال الدين ولكن ما رأيته وصاحبنا الشيخ شمس الدين المتنبى المصرى والفرقة التى أطال الله بقاءها وأمست قواعد الادب بها قائمة * وختمت بهم هذه الطريقة البديعة وأخلصوا فى العمل ففازوا فى الحالتين بحسن الخاتمة * وهم القاضى بدر الدين بن الدمامينى المالكى المخزومى فسح الله فى أجله والشيخ الامام الحافظ العلامة شهاب الدين بن حجر العسقلانى الشافعى رحمه الله تعالى والشيخ بدر الدين البشتكى رحمه الله تعالى ونبدأ بمن تقدم ذكره أولا فأولا فمن محاسن الشيخ صلاح الدين الصفدى فى باب التورية رحمه الله قوله

افديه ساجى العيون حين رنا * أصاب منى الحشا بسهمين
أعدمنى الرشد فى هواه ولا * أفلح شئ يصاب بالعين

ومثله قوله لقد شب جمر القلب من فيض عبرتى * كأن رأسى شاب من موقف البين

الجهاد اللهم الا أن يكون بنى فى صدره غرض أو فى قلبه مرض ولا يجد من امتحاننا بدا فحينئذ نسأله أن ينزع علينا ما يظهر له وليت شعرى بم أراد امتحانى ورام امتهانى فليفطن انى غفلت عما فطن واسترحت مما تعب *(وله أيضا)* اللون أعدل شاهد والعين أعرف ناقد فليحتمل منى اللون وشحوبه والقلب وخفوقه والجسم ونحوله والاجفان ودرها والانفاس وحرها والافكار وغوصها فوالله لقد تحملت وجدا لو لا فى الصخر لجابه أو الحديد أذابه أو الطفل أشابه أو الكوثر لشابه أو الموت لهابه والسلام

(وله أيضا)

لا والله لا أطأ العشرة بعدها ولا أريد كرامه لا تحتمل غرامه ولا أقبل محبه لا تساوى حبه والسلام

(وله أيضا)

الانسان يولد على الفطرة من طرفه استطرفه ومن لحه استملحه حين لا يسمى قرطبانا حتى يشقى زمانا فاذا تعب دهرا طويلا يسمى كشخانا ثقيلا والضب اذا شب كان بالخيار ان شاء سمى لحم الحوار أو كنى ابا الحمار أو لقب برد الخيار أو شبه بالجدار أو أطلال الدار وان شاء سمى برفقة الاحباب أو زينة الاتراب أو ثمرة الغراب أو دمية المحراب أو فرحة الاياب وعلى الام ان تلد البنين وتغذوهم سنين وتقيهم الماء والنار وتكنهم الليل والنهار فان خرجوا مخانيث فقد قضت ما عليها من الحديث وان قرم السرم فلغيرها الجرم وان حل الشرج ففى الاير الفرج وعلى ابنها الحرج أما الام ففى العراء وان رغمت أنوف الشعراء وما ملت من امرئ فى ضلوعها * أعق من الجانى عليه لسانيا وقد بلغنى عن فلان ما كاد يوحش وسوء الاستمساك خير من حسن الصرعة والسلام *(وله الى ابن أخته)* أنت ولدى ما دمت والعلم شانك

والمدرسة مكانك والمحبرة حليفك والدفتر اليفك فان قصرت ولا اخالك فغيرى خالك والسلام •(وله أيضا الى وارث مال)• وصلت رقعتك ياسيدى والمصاب لعمرالله كبير وأنت بالجزع جدير ولكنك بالصبر أجدر والعزاء عن الاعزة رشد كانه الغى وقدمات الميت فليحى الحى فاشدد على مالك بالخمس (٣٥٤) فانت اليوم غيرك بالامس قدكان ذلك الشيخ رحمه الله وكيلك تضحك و يبكى لك وقد مولك بما آلف بين سراه وسيره وخلفك فقيرا الى الله غنيا عن غيره وسيعجم الشيطان عودك فان استلانه رمالك بقوم يقولون خير المال ما أتلف بين الشراب والشباب وأنفق بين الحباب والاحباب والعيش بين الاقداح والقداح ولولا الاستعمال لما أريد المال فان أطعتهم فاليوم فى الشراب وغدا فى الخراب واليوم واطربا للكاس وغدا واحربا من الافلاس يامولاى ذلك الخارج من العود يسميه العاقل فقرا والجاهل نقرا وذلك المسموع من الناى هو اليوم فى الآذان زمر وغدا فى الابواب سمر والعمر مع هذه الآلات ساعه والقنطار فى هذا العمل بضاعة وان لم يجد الشيطان مغمزا فى عودك من هذا الوجه رمالك بآخرين يمثلون الفقر حذاء عينك فتجاهد قلبك وتحاسب بطنك وتناقش عينك وتمنع نفسك وتبوء فى دنياك بوزرك وتراه فى الآخرة فى ميزان غيرك لا ولكن قصدا بين الطريقين وميلا عن الفريقين لا منع ولا اسراف والبخل فقر حاضر وضير عاجل وانما يبخل المرء خيفة ما هو فيه فليكن لله فى انا مالك قسط وللمروأة قسم فصل الرحم ما استطعت وقدر اذا قطعت فلان تكون فى جانب التقدير خير لك من أن تكون فى جانب التبذير •(وله أيضا الى أبى الحسن البيهقى)• حزنى وأنا حصير يد الفضل طويلة ولسان الشكر قصير انا بالله وبهذا اللجاج بأتى

فان كنت ترضى لى مشيبى والبكى * تلقيت ما ترضاه بالرأس والعين

ومثله فى تورية العين قوله

سألتم عن منام عينى * وقد رأه جفاو بين
واليوم قد غاب حين غبتم * ولم يقع لى عليه عين

ومثله قوله

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كانهن الغوادى * لا تسل ما جرى على الخد منها

ومنه قوله

وفقيه قلت صلنى * فالبكى قرح عينى
قال لا تفخر بشئ * هو دون القلتين

ومن لطائفه قوله

قلت وقد أعرض عنى ولم * يصغ الى الشكوى ولم يقبل
لا تطمعى يانفس فى وصله * و ياد موع العين لا تسألى

ومن لطائفه قوله

ان لم تصدقنى تصدق بالكرى * ليزورنى فيه الخيال الزائل
وانظر الى فقرى لوصلك واغتنم * أجرى وقل للدمع قف ياسائل

وقوله أيضا

يقول الناس كيف يميل عنه الحبيب ويدعى صونا وعفه
أليس القد منى كل يوم * يرمع النواسم ألف عطفه

وقوله أيضا

وأحور أحوى فاتر الطرف قد غدا * به قلب صب بالجوى يتضرم
كستنى ضنى جسمى سهام جفونه * فبردسقامى فى هواه مسهم

وقوله مع حسن التضمين

مقلته السوداء أجفانها * ترشق فى وسط فؤادى نبال
و يقطع الطرق على سلوتى * حتى حسبنا فى السويدا رجال

والم الشيخ زين الدين بهذه النكتة ولكن سبكها فى غير هذا القالب بقوله

من قال بالمرد فانى امرؤ * ميلى الى النسوة ذات الجمال
مافى سويدا القلب غير النسا * ماحيلتى مافى السويدا رجال

ومنه قوله

بجفنه سيف فرى حده * قلوب قوم فى الهوى أسرى
ومن عجيب نصرا لحاظه * وجفنها المكسور قد فترا (ى)

ومنه قوله

وظبى معانيه بيان بديعها * له حار فكرى اذ رأى كل معجز
قرأت مقامات الحريرى كلها * بعارضه مشروحة للمطرزى

وتزاحم الشيخ صلاح الدين والشيخ زين الدين بن الوردى فى هذا المعنى والنكتة بقوله

شبهت خد حبيبى * تشبيه فكر مبرز
مقامة للحريرى * وشرحها للمطرز

والذى يشهد به الذوق ان تركيب الصفدى أحسن وأقعد ومنه قوله

كن كيف شئت فان قد * رك قد علا عندى وعزا
مت السلو تعيش انت اما رأيت الصبر عزا

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

قالوا حكى بدر الدجا وجه الذى * تهوى فقلت لهم قفوا وتربصوا

أيهق وهدايا ها والشيخ الفاضل ونبيه وما أحسن هذه العادة وأحسن منها الاعادة والبر في كل فصل جديد والفطام كما علمت شديد وابتداء الفضل سهل والشان في ترتيبه والاقط مطبوخا أطيب والباذنجان نضيجا أقرب ونحن الى الدعوة أحوج والصديق لا يغبن وانا لا أستزيد فتى القدر تدرك وفي أي ليلة تحضر والسلام

(٣٠٥) (وله أيضا) انا أطال الله بقاء الشيخ ان كان اللقاء أول نظرته حمقاء فعود الرحال على ارتحال والمرء كالسيف مضاه تحت شباه فمن رأى فرنده فقد عرف ما عنده (قيل لنصراني) ان المسيح يحيي الموتى فقال واحرباه كذا من أشبه آباه ولو لم استدل على فضله الا باصطناع ذلك الشيخ له لكنت خليقا ان لا اضل طريقا فهل ترى ان نشترك في خدمة ذلك الشيخ على أن نكون على مؤنها وله منها والى كلفها وله تحفها فان رأى ذلك الصواب فليحسن المناب وليعرفني لا كون الرقعة الثانية اذا رجع أو يدلني على ما أصنع فما أشوقني الى ذلك المجلس الشريف وما أحوجني الى التعريف ورأيه الموفق في ذلك ان شاء الله تعالى

(وله الى أبي علي بن مشكويه)

الاستاذ الفاضل وان كان باذلا في التجارب حنكته والايام عركته فقد يخفى على العارف وجه الامر لغموض سببه وعين الناظر أبصر من عين المناظر وليس من يدأب كمن يلعب وهذا شئ لا تحمد خاتمته

ودست لا تعمد قائمته وقد جعل الحبس بد جريدته فليجعل العفو بيت قصيدته وليكن الحلم سلطان غضبه وليرش الماء على لهبه فبالله ما أذخره وذا ولا آلوه نصحا وفقني الله قائلا ووفقه قابلا وعدا الآن الى حديث الشوق وتقسم فكري بخروجه وهذه عادة الايام معي اذا عقدت أصبعي وذلك اني لم أثق بصاحب * من الناس الا خانني ورحلا في البيت افظ

انا ما أصدق ما عليه كلفة * فاذا حكى شيأ يزيد و ينقص

ومنه قوله
من شافعي يوما الى مالك * في أمر روحي القبض والبسطا
صوب رأى الناس في حبه * وشعره في الارض قد خطا

ومنه قوله
يقول اذا أنكرته قبلة * غصبتها في زورة الطيف
هذا عذاري وجفوني فقم * واحلف على المصحف والسيف

ومنه قوله
يقولون حاكاه الهلال فلا تزغ * عن الحق واعرف ذاك ان كنت تنصف
فقلت اذا ما صار بدرا مكملا * حكاه ومع هذا عليه تكلف

وقوله
اذا قلت قد أسرفت في التيه قال لي * تقل في جمالي في الورى غير ماجرى
وابيض طرفي واقف عند حده * واسود شعري قد تواضع للثرى

وقوله
محياه له حسن بديع * غدار وض الخدود به مزهر
وعارضه رأى تلك الحواشي * مذهبة فزركها وشعر

وقوله
أقول وحر الرمل قد زاد وقده * ومالي الى شم النسيم سبيل
أظن نسيم الجو قد مات وانقضى * فعهدي به في الشام وهو عليل

النسيم العليل تلاعبوا به كثيرا ولكن قول الصفدي فعهدي به في الشام وهو عليل في غاية اللطف

ومنه قوله
كؤس المدام تحب الصفا * فكن لتصاويرها مبطلا
ودعها سواذج من نقشها * فاحسن ما ذهبت بالطلا

وقوله
قلت لما شوى اوزا حبيبي * واكتسى باللهيب ثوب ثناء
لو بعيش الجزار مات غراما * في معاني محاسن الشواء

وقوله
كأني ببدر صائغ * كالبدر في جو السماء
سكر المحب بريقه * وغدا يموه بالطلاء

ومنه قوله
شوى الاوز فاضحت * في جمرة الخد بطه
فقلت تشوى اوزا * أم كنت تشرب بطه

ومنه قوله
قل للعذول يسترح من عذلي * ما أصبح المعشوق عندي مشتهى
وارتد قلبي عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

ومن نكته البديعة قوله
اقول له ما كان خدك هكذا * ولا الصدغ حتى سال في الشفق الدجا
فمن أين هذا الحسن والظرف قال لي * تفتح وردي والعذار تخرجا

وقوله
أصبحت نابغة الغرام لصبوة * في غادة بجمالها متفرده
كم قد جلت من خدها وسيوف مقلتها الى النعمان والمتجرده

وقوله أيضا
انفقت كنز مدائحي في ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فأبى وراح تغزلي في البارد

وقوله
قالت وقد مادت كغصن النقا * أسرفت في العشق بلا فائده
فقلت مفهوم الهوى لم يكن * يشبع ان مدت له المائده

فلبثه لغرض أصبته ومعنى غيرته لشئ آثرته وهو الظرف الهمذانى فليعلم ذلك والسلام (وله الى أبى سعيد الطائى الهمذانى) أنا بما يهدى الى من أخبار الشيخ قرير العين قوى الظهر مستظهر على الدهر معتد للايام بما يوليه من حال يرضاها ومحاب يبلغها راغب الى الله تعالى فى حفظ ماخوله والزيادة (٣٠٦) فيما نحله وممن فتق سمعى بالثناء عليه وبرد صبرى بحسن القول فيه أبو فلان فقد أبدأ وأعاد وأبلغ وزاد وأحسن وأجاد ورآى الانفتال وراءه الى ماخلف من حظه بخدمته ومكانه من مجلسه وسألنى تزويده هذ الاحرف ليتخذها عنده ذريعة وتكون لديه وديعة فأنعمت له بالجواب وسيصل بمشيئة الله فلا يألوه اعزازا واهتزازا وأنا الى ما أتطلعه من سار أخباره فقير وهو بامدادى بها جدير ويسرنى له ان يصل رحم البلدية بالجواب اذلم يصلها بالافتتاح فليفعل وليهد الى من ثمرات يديه ولسانه ما أسكن اليه وأشكره عليه الشيخ أبو فلان وصف لى ظمأ فى جوار البحر وسغبا فى جنان الخلد وضيقا فى فضاء الارض على قرب الرحم وعلو السن والذنب فى ذلك لتمام الاجل وانقضاء المدة ومثل الشيخ من شال بضبع الاحرار من وهدة الادبار وكان به فضل الاستظهار على الليل والنهار فان فعل خبرا شكروان عاق عائق عذر وأنا الى ذلك الشيخ بالاشواق ثم نأكل الطعام

وقوله	سكن البدو من احب فقالوا	زاد أهل الغرام فى البعد بعدا
	قلت بالله هل سمعتم ببدر	غاب عن عاشقيه لما تبدى

ومن نكته الغريبة قوله

	سال العذار فسل سيف جفونه	حتى غدت مهج الورى افلاذا
	ياصدغه والله كافى غنى	عن ان تزال السائل الشحاذا
وقوله	أقول لقاض سهم مقلته غدا	يصيب الحشا لاتبغ قتلى ولا توذى
	وان كان قلبى عنده غير تائب	فدعه ولا تحكم عليه بتنفيذ
وقوله	أملت ان تتعطفوا بوصالكم	فرأيت من هجرانكم مالا يرى
	وعلمت أن بعادكم لابد أن	يجرى له دمعى دما وكذا جرى
وقوله	لئن سمح الدهر البخيل بقربكم	وسكن منى أنفسا وخواطرا
	جعلت ابتذال الروح شكران وصلكم	وقلت لدمع العين يعمل ماجرى
وقوله	بدا فى الخد عارضه فأضحى	عليه معنفى باللوم يغرى
	وحاول أن يرى منى سلوا	وقال لقد تعذر قلت صبرى
وقوله	نقول له الاغصان اذ ماس قده	أتزعم ان اللين عندك قد نوى
	فقم نحتكم فى الروض عند نسيمه	ليقضى على من مال منا مع الهوى
وقوله	تناءى الذى أهوى فمت صبابة	فقال عجيب كل أمرك فى الهوى
	صبرت الطرفى اذ رمتك سهامه	ولم تتصبر اذ رمتك يد النوى
وقوله	أتانى وقد أودى السهاد بناظرى	بمذق جنح الليل بارق فيه
	فناديته ياطيب الاصل هكذا	أخذت الكرى منى وعينى فيه
وقوله	بأسياف الجفون قتلت نفسا	مبرأة عن الشكوى زكيه
	فما أقوى جفونك وهى مرضى	وأقدرها على قتل البريه
وقوله	جاء بقد قد ثنته الصبا	ورنحت أعطافه السامية
	ومذ غدا فى لينه واحدا	كانت له ريح الصبا ثانيه
وقوله	وفى القلب من هاجرى لوعة	بغير تلافيه ماتندمل
	فياشعره بعض هذا الجفا	ويارد فه أنت ماتحمل
وقوله	ياقلب صبرا على الفراق ولو	روعت ممن تحب بالبين
	وأنت يادمع ان أبحت بما	تخفيه وجدا سقطت من عينى
وقوله	لولا شفاعة شعره فى صبه	ماكان زار ولا أزال سقاما
	لكن تطاول فى الشفاعة عنده	وغدا على أقدامه يترامى

وهذه النكتة تزاحم هو والشيخ زين الدين بن الوردى عليها والله أعلم من المخترع فانهما كانا متعاصرين فقال

	كيف أنسى لشعر حبى يوما	وهو كان الشفيع فى لديه
	شعر الشعر أنه رام قتلى	فرمى روحه على قدميه
وقوله	ان قلت زرنى قال لا	بحاجب ما أظلمه

ونمشى فى الاسواق حتى يفرج الله ونرتاح فتحل عقدة الحرمان ونفل أنياب الزمان والسلام (وله الى أبى القاسم الكاتب) أنا لا أحسد أحدا على ماخوله الله من نعمة ورزقه من خير ولكن هذه الكتب التى تصدر عن قلم الشيخ يجل عنها قدره لا أحب أن يصدر مثلها صدره ولا أراه بحمد الله الا موفيا على أمسه ولا أجد آثار الربيع الا آثار خمسه أعجب والله عبد الشيخ فما

الجليل وبارك الله فى السليل وماضره تلفه والشيخ الفاضل خلفه وما محاه موته مابقى صيته وصونه وأما الحواصل فانه اغير حواصل والسلام (وله الى صديق له يستدعى بقرة منه) الكد خدائية زرع ان لم يصادف ثرى ثريا من التدبير وجوا غنيا من التقدير لم يحصل بالغه ولم يجن يانعه والجلة ذا اجتمعت على معد مختلفة الاهواء متفقة الارجاء طاحنة (٣٠٧) الرحى جرت الى الاحتيال فيما يقيم الاود

ويكفى العدد وقد احتيج فى الدار الى بقرة يحاب درها فلتكن صفوفا تجمع بين قعبين فى حلبة لم تنظم بين دلوين فى شربه وليملأ العين وصفها كما يملأ اليد خلفها وليزن مشبهاسعة الذرع كما يزين درهاسعة الضرع ولتكن عوان السن بين البكر والمسن ولتكن طروح الفعل رموح الرجل وليصف لونها صفاء لبنها وليكن ثمنها كفاء سمنها ولتكن رخصة اللحم جمة الشحم كثيرة الطعم سريعة الهضم صافية كالجون فاقعة اللون واسعة البطن وطية الظهر ممتلئة اللهوه فسيحة اللهوه لا تضيق بطنها عن العلف فيؤديها الى التلف ترد الهول ولا تخافه وتشرب الرنق ولا تعافه واجهد أن تكون كبيرة الحلق لتكون فى العين أهيب ضيقة الحلق ليكون صوتها فى الاذن أطيب وأحذر ان تكون نطوحا أوسلوحا واياك ان تبعثها لوحا أو رشوحا ولتكن مطاوعة عند الحلاب لا تمنع نفسها ولا

فما يرى جوابه * الا بنون العظمه

والشيخ صلاح الدين تزاحم هو والشيخ برهان الدين القيراطى على هذه النكته وزنا وقافية والله أعلم من المخترع منهما بقوله

وتائه حدثته * فلم يفه بكلمه أجابنى بحاجب * لكن بنون العظمه

ويعجبنى قوله أضحى نسيم دمشق حياها الحيا * يمشى الهوينا فى ظلال رباها

فكأنه من مائها وهضابها * ماداس الاأعينا وجباها

ومثله قوله تقول دمشق اذ تفاخر غيرها * بجبدها الزاهى الرفيع المشيد

جرى لي باهى حسنه كل معبد * وماقصبات السبق الالمعبد (ى)

وقوله لما زها زهر الربيع بروضه * وغدا له فضل ينير لديه

قام الحمام له خطيبا بالهنا * وجرى الغدير رفغر بين يديه

وقوله قالوا على نيل مصر فى زيادته * حتى لقد بلغ الاهرام حين طمى

فقلت هذا عجيب فى بلادكم * أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

ومن أغراضه قوله رب طباخ به نضجت * مهجات غير محرومه

سلوتى عنه مزورة * أبدا والنفس مغمومه

وقوله أحببت بابا حسنه بارع * سبى من النساك ألبابا

أغلق فى وجهى باب الرضى * فهل ترانى أفتح البابا

وقوله ان اللطافة لم تزل * بين الاكار فاشيه

أرأيت عمرك فى الورى * طرفا رقيق الحاشيه

وكتب على لسان صاحب له طلب من صاحب سرجا فلم يجهزه له قوله

عجبا كيف لم تجد لى بسرج * وحده واللجام دأب النفوس

واذا لم تبعثه فى أول الامر اختيارا فابعثه بالدبوس

وكتب الى من أهدى له صحن قطائف قوله

آتانى صحن من قطائفك التى * غدت وهى روض قد تنبت بالقطر

فلا غرو ان صدقت حلو حديثها * وسكرها يروى لى عن أبى ذر

الجماعة تجار وانى هذه الحلبة وأجادوا منهم الشيخ زين الدين بن الوردى بقوله

بعثت قطائفا حلت * جناها قطرها الغمام

وسكرها أبوذر * ومرسل صحنها جابر

وأجاد الشيخ جمال الدين بن نباتة هنا وجمع بين التوريه وحسن التضمين وبديع الاكتفاء والحلاوة بقوله أقول وقد جاء الغلام بصحنه * عقيب صيام الفطر يا غاية المنى

بعيشك قل لى جاء صحن قطائف * وبح باسم من تهوى ودعنى من الكنا (فه)

وقوله مع بديع التضمين

رعى الله نعماك التى من أقلها * قطائف من قطر النبات لها قطر

أمد لها كفى فاهتز فرحة * كما انتفض العصفور بلله القطر

تكثر لمسها وداهية فى الرعى لا قرب سعى حمقاء على الحوض كالنعجة لا تأمن من البعجة ألوفة للراعى الذى يرعاها مجيبة لصوته اذا دعاها مهتدية الى المنزل بغير هاد ذاهبة الى المرعى بغير قياد ولا أظنك تجدها للهم الا ان يمسخ القاضى بقرة وهو على رأى التناسخ جائز فاجهد جهدك وابذل ما عندك واجعل اهتمامك امامك وحرصك قدامك يوفق سعيك ويحسن هديك واسعة من بابه

ويعجبني هنا قول الشيخ برهان الدين القيراطي مع بديع التضمين

لقد قطفت زهر النبات قطائف * تخيرتها فاخترت للنفس ما يحلو
تقول اسمعوا مني مدائح مرسلي * فكلي ان حدثتكم السن تتلو

وأما تورية القطر والقطر النباتي معروف فمن ذلك قوله

شكر البرك يا غيث العفاة ولا * زالت مدائحك العلياء تنتخب
قد جدت بالقطر حتى زدت في طمع * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

وقوله

لجود قاضي القضاة أشكو * عجزي عن الحلو في صيامي
والقطر أرجو ولا عجيب * القطر يرجى من الغمام

ويعجبني هنا قول أبي الحسين الجزار

أيا علم الدين الذي جود كفه * براحته قد أخجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت أرض الكنافة انني * لارجو لها من سحب راحتك القطرا

قلت الشيء بالشيء يذكر ذكرت هنا لغزا في لورنج كتب به مولانا قاضي القضاة صدر الدين بن الادمي رحمه الله الى علامة العصر القاضي بدر الدين بن الدماميني رحمهما الله

يا من له في عروض الشعر أي يد * فاق الخليل بها فضلا وتمكينا
ما اسم دوائره في لفظه ائتلفت * والثلم في صدرها مستعمل حينا
اجزاؤه من زحاف الحشو قد سلمت * وقد تقطع مطويا ومخبونا
تحريف معكوسه لفظ برادفه * يا فرد يا رحلة قوم مقيمونا
والعبد منتظر من حله فرجا * لا زال سعدك بالاقبال مقرونا

فأجابه المشار اليه بقوله

يا مرسلا من شهي النظم لي كلما * منه ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدرا من حلاوته * وجوهر النظم لم يبرح يحلينا
حليت لغزك اذ بهتته فلذا * يا فاتني رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا في دوائره * للكف قبضا يزيد العقل تمكينا
وليس اضماره مستحسنا فادم * بالكشف عنه لمن وافاك تحسينا
وكن لنا هاديا صوب الصواب ودم * فينا أمينا رشيد الرأي مأمونا

وقد آن الرجوع الى ما كافيه مما اختاره من نظم الشيخ صلاح الدين الصفدي في باب التورية فمن لطائف مجونه قوله فيمن سرق شيأ من بعض شعره

ان كان يا مولاي لابد ان * تأخذ شعري جملة كافيه
قافية البيت اطرح لفظها * وقم خذ الكل بلا قافيه

وقوله

أدر بلحيتي البيضاء كاسي * بكيس زائد مني وفطنه
ألم ترني وعفو الله راج * ومن شرهي أصفها بقطنه

وقوله

وجرة قدموها * والراح فيها كمينه
شممت طينة فيها * فرحت سكران طينه

وقوله

قلت له اذ هزلي ذقنه * ولام فيمن همت في عشقها

تعالى فانه نعم المولى ونعم المعين والسلام *(وله أيضا)* مثل الشيخ في التماس الخل مثل المكدي في التماس الخل تقدم الى الخلال فقال يا منكوح العيال صب في هذا الماء قليلا من الخل فقال له الخلال لعن الله الكسل هلا طلبت بهذا اللفظ العسل

(وله نسخة وصية)

(٣٠٨) هذا ما أوصى أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد يوصي وهو يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اليه مآبه وما تبه خلقه ولم يكن شيأ مذكورا ورزقه قدرا مقدورا وضرب له أمدا ممدودا وأمره ونهاه فأطاعه وعصاه ولم يطعه الا بتوفيق من عنده ولم يعصه اعتمادا على لطفه بعبده واتكالا على رحمته وعفوه لاجراءة على لعنته ومقته ولا معتزا بنفسه ووقته ويشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق فبلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة وأراهم الجادة وحذرهم ثنيات الطرق وأمرهم أن يأخذوا بالسنة ويعضوا عليها بالنواجذ وضمن الجنة للآخذ وخلف فيهم القرآن حبلا ممدودا وجسرا معقودا ليتخذوه اماما ولا يحلوا دونه حلالا ولا حراما ثم لحق بالرفيق الاعلى وقد خرج عن عهدة ما حمل وصدع بما أمر فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما فأوصى وهو يقول ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وأوصى وهو يدين لله تعالى بما دان به السلف الصالح والصدر الاول من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان بريء من الاهواء والبدع والرأي المخترع والافك المتسع راجيا فوق الطمع خائفا شديد الفزع حاذرا أهوال المطلع مؤمنا بعذاب القبر

تذكر

تذكر اذ غنت فنادى نعم * فقمت واشوقا الى حلقها

وقوله وعاذل بارد المقالة لا * يعي صوابا وزاد في نكدي

وقال ذقن الحبيب باردة * فقلت يا بردها على كبدي

وقوله ما كنت كابا أخلق الدهر جلده * وما أحد في دهره بمخلد

اذا عاينت كتبي الجديدة حاله * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

ومن نكت المجون التي توارد هو والشيخ جمال الدين عليها وزنا وقافية قوله

اذا ما قام ايرك في الدياجي * وعندك من تحب فلا تحابي

وملّ نحو الطواشي واعتنقه * فمثلك لا يدل على صواب

وقول الشيخ جمال الدين أرى الصواب يا ابري صفات * تحث على التعشق والتصابي

فبادره فأنت به خبير * ومثلك لا يدل على صواب

ويحسن أن نختم هذه المجونات بقول الشيخ صلاح الدين وهو

يا ساحبا ذيل الصبا في الهوى * ابليته في الغي وهو القشيب

فاغسل بدمع العين ثوب التقى * ونقه من قبل وقع المشيب

الشيخ صلاح الدين سامحه الله كان من المكثرين وكان هو والشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة رضيعان لرغبتهما في الكثرة بالاشياء الرخيصة ولم أورد للشيخ صلاح الدين هنا غير الغالي من نظمه واختياره واختياري ومن محاسن الشيخ زين الدين بن الوردي في باب التورية ومقاطيعه التي هي أحسن من مقطعات النيل * وأحلى في الاسماع من نغمات المواصيل

ان قلت قدك غصن * قالت لي الغصن ساجد

أو قلت ريقك ثلج * قالت تشبه بارد

ومن ذلك قوله

يا سائلي تصبرا * عن لثم فيه لا تسل * ما تستحي تبدلني * بالصبر عن ذاك العسل

ومن ذلك قوله * ومليح اذا النحاة رأوه * فضلوه على بديع الزمان

برضاب عن المبرد يروى * ونهود تروى عن الرماني

وقوله امام في الركوع حكى هلالا * ولكن في اعتدال كالقضيب

وقال تلوت قلت الشمس حسنا * وقال ختمت قلت على القلوب

ومن لطائفه في هذا الباب قوله

يشفع في شعره * اذ مال عن قبوله * فهو على أقدامه * ممدد بطوله

ومنه قوله عجبت في رمضان من مسحرة * بديعة الحسن الا انها ابتدعت

قامت تسحرنا ليلا فقلت لها * كيف السحور وهذي الشمس قد طلعت

ومن لطائفه قوله اذا تعذر حبي * فخله يتعذر * لجيده أصل مابي * والجيد لا يتغير

ومنه قوله وتاجر ماطلته دينه * لاجتليه قال ما أمطلك

قالت له جيدك لي أو لمن * فقال هات المال را الجيد لك

وقوله قالت اذا كنت تهوى * انسي وتخشى نفوري

وفقه عائذا بالله منهما ومنه راغبا اليه في أن يلقنه حجته ويثبته بالقول الثابت موقنا بالبعث والبحث شاهدا ان الجنة حق وحسنت مستقرا ومقاما وان النار حق وان عذابها كان غراما وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور أوصى اذا جاءه الحق وأشخصه الامر ووجد به الجد وتوفاه الموت ان لا تعقد عليه مناحة ولا يلطم خد ولا يخمش وجه ولا ينشر شعر ولا يمزق ثوب ولا يشق جيب ولا يهال نقع ولا يرفع صوت ولا يدعى ويل ولا يسود باب ولا يخرق متاع ولا يقلع غرس ولا يهدم بناء ولا يطرق الشيطان اليه طريقا ولا يمثل له امرا فمن فعل ذلك فليس من الله تعالى في حل ولا من الميت في حل وانما يفعل ذلك من لا يرى الحياة عارية ولا يرى العارية مردودة ومن علم ان الدنيا دار جهاز وان الموت جسر جواز استشعره قبل حلوله ولم يرعه وقت نزوله وان يكفن في ثلاثة أثواب بيض قباطي لا سرف فيها وحرج على من يتولى أمره أن يقرنه ثوب خيلاء من مطرز أو معلم أو ابريسيم أو منسوج بذهب انه لمحتاج أن يستكين ويتشبه بالمساكين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم وان يتولى الصلاة عليه أصحاب الحديث وأهل السنة وان يلحد ولا يبنى عليه ولا تشهد النساء فيحملهن على الصراخ والعويل

هذا آخر ما وجد من ترسلاته ومكاتباته تغمده الله برحمته والحمد لله أولا وآخرا

(تمت رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني ويليه شرح الست عائشة الباعونية على بديعيتها)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله محلي جياد الافهام بعقود مدح الشفيع ومحلي سلامة الاذواق بتكرر ذكره الرفيع ومرصع تيجان البيان بجواهر سيرته الحسنى ومزين سماء البلاغة بزواهر (٣١٠) معجزة الاسنى ومعجز العقول عن ادراك كنه صفاته ومؤنس الافكار من احصاء خصائصه وآياته وباعث الرسل مقررين لعظيم قدره ومنزل الكتب مبينة لرفيع ذكره ومعطر ارجاء الوجود بالثنا على خلقه العظيم ومشرع الوية التخصيص له بكرائم التبجيل وجلائل التكريم ومطلق السنة الاطناب في شرفه المطلق المفرد ومفرده بكمال الاصطفا فما اكماله مثل ولا احد حمدا يجمع لي بين الاماني والامان ويقتضي المزيد من مبرات الشهود والعيان وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة شافعة باتصال المدد كافلة بالخلود في جنات العرفان الى الابد وأشهد أن سيد اعيان الكونين وعين حياة الدارين محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله صلى الله عليه صلاة تصلني وذريتي واحبابي في كل نفس بنفائس صلاته وتقتضي دوام البسط بتوالي امداداته وتشفع لنا بمراحم القبول وتسعفنا بكرائم الوصول صلاة لا ينقطع لها مدد ولا ينقضي لها أمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى آل كل وصحب كل وسائر الصالحين وسلم تسليما وكرم تكريما (وبعد) فهذه قصيدة صادرة عن ذات قناع شاهدة بسلامة الطباع منقعة بحسن البيان مبنية على أساس تقوى من الله ورضوان سافرة عن وجوه البديع سامية بمدح الحبيب الشفيع مطلقة من قيود تسمية الانواع مشرقة

صف ورد خدي والا * اجور ناديت جوري

ومنه قوله

انكر حبي مدمعي * وقال هذا من هوى فقلت لا بل من فتى * اصاب عيني بنوى

ومن نكته اللطيفة في تضمين المثل السائر قوله

وسمينة كانت لها * في القلب منزلة رقت
رقت فعفت وصالها * وقطعتها من حيث رقت

وقوله

سألتها أي ناه * نهاك عن حسن نوجك
قالت نهاني زوجي * فقلت روحي بزوجك

ومن أغزاله قوله

أقول اذ قال لي حبيبي * علام فارقتني علاما
خدك كان الصفا ولكن * قد أصبح المشعر الحراما

وقوله

رامت وصالي فقلت لي شغل * عن كل خود تريد تلقاني
قالت كأن الخدود كاسدة * قلت كثير القلة القاني

وقوله

أبصروا دمعي فخافوا * قلت لا تخشوا بكائي
ما عليكم من دموعي * غير أمطار السماء

ومنه قوله

سل الله ربك من فضله * اذا عرضت حاجة مقلقه
ولا تسأل الترك في حاجة * فاعينهم أعين ضيقه

وقوله

لما شنت عيني ولم * ترفق لتوديع الفتى
أدنيتها من خده * والنار فاكهة الشتا

وقوله

ضممتها عند اللقا ضمة * منعشة للكلف الهالك
قالت تمسكت والافا * وهذا الشذى قلت باذيالك

وقوله

شكى من الخط ضعفا * وذاك منه دلال
قالت استعن بمثال * فقال مالي مثال

ومنه قوله

وأغيد سألني * ما المبتدا والخبر مثلهما لي مسرعا * فقلت أنت القمر

ومن نكته مع حسن التضمين قوله

مليح ردفه والساق منه * كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده القاني نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

ومن نكته اللطيفة قوله

مهفهف القد اذا ما انثنى * يقول لا تخش من الرد
ما أنت حلي يا كثيب النقا * ولست يا غصن النقا قدي

وقوله

لو نلت من خديه تقبيلة * تزين الريحان بالورد

وقوله

رومية الاصل لها مقلة * تركية صارمها هندي
قد فضحتني وجنتاها فقل * في وجنة فاضحة الوردي

وقوله

الطوالع فى أفق الابداع موسومة بين القصائد النبويات بمقتضى الالهام الذى هو عمدة أهل الاشارات بالفتح المبين فى مدح الامين استخرت الله تعالى بعد تمام نظمها وثبوت اسمها فى شئ يروق الطالب موارده وتعظم عند المستفيد فوائده وهوان أذكر بعد كل بيت حد النوع الذى بنيت عليه واقرشاهده فان ذلك مما (٣١١) يفتقر اليه وانحو فى ذلك سبيل الاختصار ولا أخل بواجب وانبه على مالابد منه قصدا لنفع الطالب والمسؤل من الفتاح بتأسيسها على قواعد اذن الله أن ترفع ومن مثبت رفعها بوجاهة مدح الوجيه المشفع ان يصلى ويسلم عليه ويجعلها خالصة لوجهه الكريم وسيلة لى ولوالدى ولذريتى ولاحبابى ولمن والانى خيرا الى وفور الحظ من فضله العظيم وان ينيلنا بوجاهة الممدوح لديه وبحقه عليه نهاية الامال ومالم يخطر لنا على بال من منائح الوصال ومبار الاتصال ودوام العوافى والامان وشمول العفو والرضوان انه جواد كريم رؤف رحيم ومن الله استمد وعليه اعتمد وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب (براعة المطلع) (فى حسن مطلع أقمارى بذى سلم أصبحت فى زمرة العشاق كالعلم) قال العلامة ابن حجة رحمه الله تعالى براعة المطالع عبارة عن كون أهلة المعانى واضحة فى استهلالها وان لا يتجافى جنوب الالفاظ عن مضاجع

وقوله من دو بيت
ياروضة حسن ليتها لى وحدى * الشركة فيك قد أذابت كبدى
ماضرك أن تسقى بماء فرد * والواجب أن يكون ماء الورد

ومنه قوله
هويت اعرابية ريقها * عذب ولى فيها عذاب مذاب
رأسى بنو شيبان والطرف من * نبهان والعذال فيها كلاب

وقوله
قلت وقد عانقته * عندى من الصبح قلق
قال وهل بحدنا * قلت نعم حتى انفلق

ومنه قوله
تقويم قدك مال يا من ثغره * در يقصر دونه التقويم
انى لابكى من جفاك ولى أب * والثغر يضحك منه وهو يتيم

ومن اختراعاته قوله
رام ظبى الترك وردا * قلت اقصر خاب ضدك
عندك الورد المربى * قال قانى قات خدك

وقوله
رب فلاح مليح * قال يا أهل الفتوه
كفلى اضعف خصرى * فاعينونى بقوه

وقوله
قالت لقرافرى أدعى * وزاد صدا وطال هجرا
قد فرصبرى وفرنومى * قال نعم مذ عشقت فرا

وقوله
رغيف خباز كم قد حكى * من وجهه التدوير والحمره
اذا رأى ميزانه المشترى * قال هنا الميزان والزهره

ومنه قوله فى مليح عبرى
أغيد عبرى له عمة * حكت من العشاق ألوانا
اقدسى بالنور شمس الضحى * فهل أتى من آل عمرانا

ومنه قوله
ووعدت أمس بأن تزور ولم تزر * فغدوت مسلوب الفؤاد مشتتا
لى مهجة فى النازعات وعبرة * فى المرسلات وفكرة فى هل أتى

وقوله
أعور كالبدر له مقلة * واحدة قامت مقام اثنتين
قد سرق الرقدة من ناظرى * وقال ماجئتك الا بعين

وقوله
بابى أعور عين فاتن * مثل بدر التم والتم بعين
طرفه الواحد عضب ذكر * فله فى الحسن حظ الانثيين

ومنه قوله
رأيت رشيق القد أعور فاتنا * له مقلة أغنته عن حسن ثنتين
اذا قال غصن البان أنت ابن قامتى * يناديه بدر التم أنت أخو عينى

وقوله
جنكية شاهدت عشاقها * وهم بها فى الجهد والضنك
قالت أما تعشق جنكية * قلت كذا باليتنى جنكى

وقوله
تغل عينى وجنتى * بدمعة هاملة
فوجنتى قائلة * عدوتى غاسلتى

وقوله
ناديت صالحة الى * كم أنت عنا نازحه
قالت نزحت لانكم * لا تصلحون لصالحه

الرقة وان يكون التشبيب بنسبها مرقصا عند أهل السماع وطرق السهولة متكفلة لها بالسلامة من تجشم الحزن انتهى وقال العلامة الشهاب محمود رحمه الله حد هذا النوع ان يأتى الناظم أو الناثر فى ابتداء كلامه ببيت أو قرينة تدل على مراده فى القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده انتهى وشرط وافيه تناسب قسميه بحيث لا يكون شطره الاول أجنبيا من شطره الثانى انتهى قال ابن

أبي الاصبع رحمه الله تعالى اذا وصلت الى قول البحتري في هذا الباب وصلت الى غاية لا تدرك وهو قوله
بودي لو يهوى العذول ويعشق * ويعلم أسباب الهوى كيف تعلق انتهى ومن ملح الشواهد لهذا الباب أيضا قول أبي الطيب
المتنبي أتراها لكثرة العشاق * (٣١٢) تحسب الدمع خلقة في المآقي وقوله حشاشة نفس ودعت حين ودعوا
فلم أدر أي الظاعنين أشيع
وقول أبي العلاء
ياساهر البرق أيقظ راقد السمر
لعل بالجزع أعوانا على السهر
والامثلة كثيرة وفيما ذكرت كفاية ومما يتعين التنبيه عليه انه ينبغي للناظم أن يجتنب في المطالع ما يتطير منه ويكره سماعه فانه أول شئ يقرع به الاسماع ويختار لكل شئ ما يناسبه ويتعين في غزل المديح النبوي ان يحتشم فيه ويتشبب بذكر الجهات الحجازية من سلع ورامة والبان والعلم وذي سلم وما في معناها ويطرح ذكر التغزل في الردف والخصر والقد والخد ونحو ذلك فان سلوك هذا الطريق في المدح النبوي مشعر بقلة الادب وحسب العاقل قول الله تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وقد من الله علي ببركة الممدوح صلى الله عليه وسلم في هذا المطلع بالمقصود من شروط أهل البديع في هذا النوع الذي سموه براعة المطلع وحسن الابتداء

وقوله هويت حصادا حكت قامتي * من طول ما يهجرني منجله
أقول والسنبل من حوله * مولاي أنت الشمس في السنبله
وقوله أنا في حالي نقيض * ياشموسا في البزوغ
هزم الصبر عليكم * والمنى دون البلوغ
ومن الطائفه قوله قال لي بند خصره * كم كذا ترجع البصر
قلت لا تنفرد به * لك شد ولي نظر
ومن اغراضه اللطيفة قوله في صديق له بالمعرة يقال له شمس
لي بالمعرة شمس * رضاه غير مرادي
فلا تذموه اني * أدري بشمس بلادي
وكتب اليه في زفة له ياشمس أشعلت شمعا * عليك عشر الاصابع
رغما لمن قال قبلي * الشمع في الشمس ضائع
ومنه قوله في آل النصيبي بحلب
فؤادي الى آل النصيبي مائل * وودي لهم في محضري ومغيبي
فبيني وبين القوم نوع تجانس * اذا طاب أصل الورد كان نصيبي
وقوله للمقدسي بقلبي * حب خلي الدليل
فمن يكن ذا خليل * فالمقدسي خليلي
ومن لطائف اغراضه قوله ياشيخ خل التصابي * فالزهد بالشيخ أليق
ولا تحت كميتا * فان فودك أبلق
وقوله ولي صاحب بالمدح والهجو كسبه * يقول أندري كيف أصنع بالخلق
اذا حرموا وجهي وما بيض وايدي * أزرق لهم رجلي ولو خضروا عنقي
ومثله قوله لي صاحب باسمه سراج * ما قر لي عنده قرار
لسانه محرق لقلبي * ان لسان السراج نار
ومن اغراضه اللطيفة قوله
تجادلنا اماء الزهر أزكى * أم الخلاف أم ورد القطاف
وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف
ومن لطائف مجونه يامن تولى قاضيا * هذا قضاء أم قدر
غدر ولك في بستاننا * ان القضا يعمى البصر
ومن اغراضه البديعة قوله
قد مات شيخي فاظهروا * بحر به أوسله
عيشوا بجهل بعده * فقد قضى بعلمه
ومن اغراضه البديعة قوله
لا تحملوني على انتقام * فالجاه يحكي خيال طيف
عفوت عن مذنب فقرت * عين عدوي وجفن سيفي

وفي نظر ذوي الاذواق السليمة ما يغني عن الاطناب والله أعلم * (الجناس المزيل والتام) * ومن
(أقول والدمع جار جارح مقلي * والجار جار بعذل فيه متهم) قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله تعالى في حسن التوسل المزيل
يقال له التجنيس الزائد والناقص أيضا وهو أن يجيء بكلمتين متجانستي اللفظ متفقي الحركات غير انهما يختلفان بحرف من

آخرهما وهو الجناس المزيل كقولك فلان حام حامل لاعباء الامور كاف كافل بصالح الجمهور وقال ومن النظم قول أبي تمام
يمدون من أيد عواص عواصم * تصول بأسياف قواض قواضب قال والجناس التام ان يجيء المتكلم بكلمتين متفقتين لفظا
مختلفتين معنى لاتفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما واستطرد في ذكر (٣١٣) انشواهد فاخترت منهما قول أبي نواس

عباس عباس اذا احتدم الوغا
والفضل فضل والربيع ربيع
والجناس المزيل في بيت بديعيتي ظاهر وهو جار وجارح والتام وهو في قولي والجار جار والرقة والانسجام والسهولة وغير ذلك ظاهرة في البيت بكماله
(الجناس المحرف) *
(باللهوى في الهوى روح سمعت بها
ولم أجد روح بشرى منهم
(٣٠٣))
قال العلامة ابن حجة رحمه الله الجناس المحرف هو ما اتفق ركناه في تعداد الحروف وتركيبها سواء كان من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك فان القصد اختلاف الحركات انتهى ومن أعظم الشواهد على هذا النوع قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم كما أحسنت خلقي فحسن خلقي ومن ملح الشواهد نظما قول العارف بالله سيدي شرف الدين عمر بن الفارض قدس الله روحه
هلا نهاك نهاك عن لوم امرء
لم يلف غير منعم بشقاء
وقول الآخر
لغير زكاة من جمال فان تكن

(٤٠ – خزانه) زكاة جمال فاذكر ابن سبيل الجناس المحرف في بيتي المتقدم على هذه النبذة وهو في لفظين روح وروح وفي نظر
المتبصرين في هذا الفن ما يغني عن بيان ما شمل عليه البيت بكماله والله أعلم * (الجناس المشوش) * (وفي بكائي لحال حال من عدمي
لفقت صبرا فما أجدى لمنع دمي) قال العلامة ابن حجة رحمه الله الجناس المشوش كل جناس تجاذبه طرفان من الصنعة

ومن أغراضه قوله ديار مصر هي الدنيا وساكنها * هم الانام فقابلها بتقبيل
يا من يباهي ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والشرح للنيل
ومن لطائف مجونه قوله حماكم قمه اسود * هربت منه وأنا صارخ
قد سلخت جسمي اظفاره * ياقوم هذا اسود سالخ
ومن لطائف اغراضه قوله
يا من غدا في طلاب الجد مجتهدا * لم يثنه عنه لا مال ولا ولد
لا تبسطن لتقليد القضاء يدا * أترتضي رتبة التقليد مجتهد
وكتب الى قاضي القضاة شرف الدين بن البارزي
جنبتني وأخي تكاليف القضا * وكفيتنا مرضين مختلفين
يا حي عالم دهرنا أحييتنا * فلك التصرف في دم الاخوين
وقوله مع تضمين المثل السائر
اني عدمت صديقا * قد كان يعرف قدري
دعني لقلبي ودمعي * يا صاح أحرف وأذرى
ومن لطائف اغراضه وقد ولي قضاء شيراز قوله
انما شيراز نار * وبها القاضي مخلد
قلت لا أمكث فيها * أنا من حزب محمد
ومن اغراضه قوله
مرض الفؤاد وصح ودي فيهم * وأقام تذكاري وصبري نازح
انسان عيني كم سهاد كم بكى * يا أيها الانسان انك كادح
ومن نكته البديعة مع تضمين المثل قوله في آل البيت عليهم السلام
يا آل بيت النبي من بذلت * في حبكم روحه فما غبنا
من جاء عن بيته يحدثكم * قولوا له البيت والحديث لنا
ومن نكته الغريبة قوله في محتسب
من ولي الحسبة يصبر على * تعرض الواقف والسائر
فليس يحظى بالمنى والغنى * فيهم سوى المحتسب الصابر
وقوله قد عجبنا الامير * ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فيهم * يذكر الله ويذبح
وقوله في مدينة حلب
عليك بصهوة الشهباء تلقى * بجوشنها محاربة الزمان
فلا مرفان في الفردوس ريح * يفوح شذاه من باب الجنان
ومن مجونه فيمن رتب له أربعة دراهم قوله
كل يوم رتبوا أربعة * لك فازددت علينا صعصعه
فلو استفتيت في سيدنا * قلت يستأهل قطع الاربعه

فلا يمكن اطلاق أحدهما عليه انتهى وهذا البيت تجاذبه الجناس المحرف والملفق فالمحرف من حده وشاهده كما رأيت والملفق حده ان يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين وهذا هو الفرق بينه وبين المركب فكل من الركنين فى بيت بديعيتى هذا مركب من كلمتين على الشرط لكن التحريف

حصل فى فتح اللام من الركن الثانى وكسرها من الاول وفى كسر الميم من الركن الاول وفتحها من الركن الثانى وفى فتح العين من الركن الاول وكسرها من الركن الثانى ومن شواهد هذا النوع كقول بعضهم

وكم لجباه الراغبين اليه من مجال سجود فى مجالس جود

فالسين فى الركن الاول مرفوعة وفى الثانى مكسورة

(الجناس المركب)

(ياسعد ان أبصرت عيناك كاظمة
وجئت سلعا فسل عن أهلها القدم)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله الجناس المركب ان يكون أحد الركنين مركبا من كلمتين والآخر كلمة مفردا انتهى ومن محاسن الشواهد على هذا النوع للبهاء السبكى رحمه الله عليه

كن كيف شئت عن الهوى لا انتهى
حتى تعود الى الحياة وأنت هى

والنوع واضح فى بيتى والله أعلم

(الجناس المصحف والمطلق)

(فهم أقمار تم طالعين على
طو يلع حيهم وازل بحيهم)

ومن لطائفه قوله

ناعورة مذعورة * ولهانة وحائره
الماء فوق كتفها * وهى عليه دائره

ومن نكته الغريبة قوله

زوجة مجد الدين والداها * فى أخذ عرض المجد اشبهاها
ان أباها وأبا أباها * قد بلغا فى المجد غايتاها

وقوله

مليحة مصطولة * ان لمتها فيما جرى
تقول كل ظبية * ترعى الحشيش الاخضرا

ومن اغراضه البديعة مع حسن التضمين قوله

كرهت وضوأ من قناة تساق من * دماء الرعايا أو بسخرة مسلم
ستشرق فى يوم الحساب ندامة * كما شرقت صدر القناة من الدم

ومما تخيرته هنا من تأليفى الذى وسمته بتحرير القيراطى رحمه الله تعالى قوله

البدر طلعة وجهه * وعذاره هالاته
وخفوق قلبى فى هوا * ه سعيدة حركاته

وقوله

أجريت دمعى فذا افنيت أبحره * أجريت منى باسياف الجفون دمى
ان ملت عنى برمح القد يا أملى * لتقرعن على السن من ندم

وقوله

أسدى ثم ألحم تحت طاق * له والدمع يجرى كل وقفه
وكم يوم عبرت له زقاقا * أحاول غفلة وأروم عطفه

وقوله

لما بدى قوام قامته * وحاجباه لناظر العين
رأيت موتى بسيف ناظره * من قيد رمح وقاب قوسين

وقوله

تنفس الصبح فجاءت لنا * من نحوه الانفاس مسكيه
واطربت فى العود فرية * وكيف لا اطرب عوديه

وقوله

ارتاح للاقمار وهى طوالع * وشموس راحى للمغارب تجنح
ويهزنى زجل الطيور بلحنها * والروض بالزهر النظيم موشح

وقوله

يا أميرا لجمال قل * فالمراسيم تستمع
أنا مملوكك الذى * لك قلبى غدا تبع

وقوله

فى جفنه سيف مضاربه * ياصاح اسبق لى من العذل
وبخده والردف لى خبر * قد سار بين السهل والجبل

وقوله

شبه السيف والسنان بعينى * من لقتلى بين الانام استحلا
فأبى فالسيف والسنان وقالا * حد نادون ذاك حاشى وكلا

وقوله

هويت ظباخاله نصبة * نسيرانها للقلب جنات
يكسر اجفانا اذا امارنى * لها على الارواح نصبات

وقوله

اهيم باعطاف القدود صبابة * وان هى زادتنى جفاو تباعدا
ويعجبنى بين الانام تطفلى * عليها اذا شاهدتهن موائدا

قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله التجنيس المصحف يقال له تجنيس الخط وهو ان يأتى الناظم بكلمتين متشابهتين خطا لا لفظا كقوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واستطرد العلامة فى ذكر الشواهد ومن نفائسها قول البحترى ولم يكن المعتز بالله اذ سرى * ليعجز والمعتز بالله طالبه وقول أبى نواس من بحر جودك أغترف *

وقوله

و بفضل علمك اعترف وأما الجناس المطلق فقد قال العلامة ابن حجة رحمه الله الجناس المطلق لشدة مشابهته يوهم أحد ركنيه أن اصلهما واحد وليس الامر كذلك استطرد العلامة المذكور فى ذكر الشواهد ومن اجلها قول الله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله وقوله تعالى ليريه كيف يوارى سوأة أخيه ومن ملح الشواهد نظما قوله عرب (٣١٥) تراهم اعجمين عن القرى متنزلين عن الضيوف النزل * فاقت بين الازد غير مزود * ورحلت عن خولان غير مخول وقال الشيخ الانصارى رحمه الله تعالى

تولى شبابى تولى الغرام
ولازم شيبى لزوم الغريم
ولولم يصدنى بازيه
الماصار متنى مهاة الصريم

فهذه الشواهد ليس فيها ركنان يرجعان فى المعنى الى أصل واحد كالمشتق بل جميعها أسماء أجناس والامثلة كثيرة وفى النبذة مايدل على المقصود والجناس المصحف فى بيت بديعيتى المقدم واضح فى قولى فمن افار تم والجناس المطلق فى طالعين وطوبايع وما اشتمل عليه البيت بكماله من الرقة والانسجام والسهولة وغير ذلك من أنواع البديع لا يخفى على متبصر فى هذا العلم والله اعلم

(الجناس المخالف)

(أحبة لم يزالوا منتهى أملى
وان هموبالتناءى أوجبوا المى)

قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله تعالى التجنيس المخالف هو ان يشتمل كل واحد من الركنين على حروف الاخر دون ترتيبهما كقول ابى تمام بيض الصفائح لاسود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب انتهى والجناس المخالف فى بيتى المتقدم واضح فى املى والمى فلا يحتاج الى بيان والله اعلم (الجناس اللاحق) (علوا كما لاجلوا حسنا اسبوا أمما * زادوا ولا لافى صبرى فيا سقمى) قال ابن حجة رحمه الله تعالى الجناس اللاحق ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه انتهى ومن الشواهد قوله تعالى فاما

وقوله
أباح لى نرجس الحاظه * فى مجلس مافيه مانكره
فقلت ورد الخد جدلى به * أيضا فقال الكل فى الحضره

وقوله
قال لى بالحمى غزالى لما * لم أجد من ظبا الجفون ملاذا
كيف جاءت اليك أسياف جفنى * قلت جاءت على الحمى فولاذا

وقوله
فى وصف خمر الثغر منك نوادر * تزرى بحسن نوادر ابن عتيق
واذا وصفت رشيق قدك عندما * هز القوام لنا فيا ابن رشيق

وقوله
جفنى وجفن الحب قد أحرزا * وصفين من نيلك يامصر
جفنى له يوم الوداع الجفا * وجفنه الساجى له الكسر

وقوله
خدمت بالاغزال أبوابه * لما تبدى حسنه الباهر
ولى من الدمع على خدمتى * جراية اطلقها الناظر

وقوله
الدمع والجفن فيه * لى شاهدان بحزنى
فالجفن يسقط دمعى * والدمع يجرح جفنى

وقوله
عبدك يامن جفا وصد وما * درى بصب يموت بالكمد
جرى على الخد من مدامعه * فى الحب مالا جرى على أحد

وقوله
فى خد من همت به شامة * ماالند فى نفحه ندها
والعنبر الرطب غدا قائلا * لاتدعنى الا بيا عبدها

وقوله
ومخايل نبت العذار بخده * وله مخايل بالملاحة تشهد
لمارآنى قانعا بخياله * نزل العذار بوجنتيه يسود

وقوله
مال الى الهيئة ذو هيئة * فانسة البابنا باهره
فخاله فى خده نقطة * غذاره أضحى لها دائرة

وقوله
أنظر الى سطر عذار بدت * من فوقه الشامات مثل النقط
صحت به نسخة حسن لمن * قد راحت الارواح فيه غلط

وقوله
حزت النقا فحويت لين غصونه * وكثيب واديه وجيد غزاله
وأخذت حسن البدر منه وقد بدا * فى افقه بتمامه وكماله

وقوله
ويوم توالى القطر فيه فجاءنى * بشمس الطلا بدر يفوق على البدر
فعانقت لما مال عسال قده * وقبلت معسول اللمى عدد القطر

وقوله
يامن تبرم لصبه فى عشقه * بالروح لاتبخل فعشقى زائد
بالفضل جد لى ان دمعى جعفر * والوجد يحيى والتشوق خالد

وقوله
ياهاجرا أوقعنى هجره * وصده فى حالة صعبه
أخذت قلبى بالتجنى وما * تركت لى منه ولاحبه

وقوله
قالت لمارها حسنه * على بدور التم ما أحسنك
وقالت للائم يالائمى * فى خده الناعم ما أخشنك

ومن لطائف مدائحه قوله

اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر وقولهم ورد كتابك فتناولته باليمين ووضعته مكان العقد الثمين فالقاف والنون كلاهما في الآية الكريمة من مخرج غير الآخر وكذلك الياء والثاء من قولهم والجناس اللاحق في بيتي المتقدم في جلوا وعلوا فالعين من مخرج والجيم من مخرج غيره والبيت بكماله ببركة الممدوح صلى الله عليه وسلم في غاية الرقة والانسجام والله اعلم

أوصافكم تسرى أحاديثها * مسرى النجوم الزهر في الافق
كما أحاديث الندى عندكم * تسندها الركبان من طرق

وقوله في البجانقي الموقت

شهاب الدين ذو فكر بسمت * وبالفلك المحيط غدت محيطه
غدا في العصر شيخ الوقت حقا * وفي اوضاعه ملك البسيطة

ومن اغراضه قوله قناطر الجيزة كم قادم * عليك يأتي فيك أقصى مناه
أتاك قوم لاطة فانحني * ظهرك للوط وصب المياه

وقلت في هذا المعنى

وقالوا كيف النيل يجري وقد غدا * عليه حلوق السبق قلت كذا جرى
ولكنه نحو القناطر اذ أتى * تجرى عليها معجبا فتقنطرى

ويعجبني من اغراضه اللطيفة قوله

كم عالم قد اشتكى * في الفقر طول مكثه
وكل نور سارح * زبدله في حرثه *

وكتب الى الشيخ صلاح الدين

ياصلاح العلا صفاء ودادى * لا يرى عن أبي الصفا تحويلا
فدع العتب انني لست ممن * لا يراعون في الانام خليلا

ومن لطائفه قوله فيما يكتب على طاسة

تأمل فاني طاسة صح نقشها * ووافق على نقش الغواني التي تسبي
وواصف حسني اطرب السمع قوله * كأني في الكاسات داخلة الضرب

وقلت في المعنى أنا طاسة قدرى سما وبروضتي * نهر المجرة للنجوم موارد
وتسارح القمر المنير لحسنه * فقمرته وعليه نقشي قاعد

وقلت أيضا أنا طاسة بيضت وجهي عندكم * وصفا لكم قلبي بماء رائق
عذبت موارده ببارق بهجتي * فتنزهوا بين العذيب وبارق

ومن اغراضه اللطيفة في باذهنج قوله مضمنا

روحي أفدي باذهنجا موكلا * باطفاء ما يلقاه من حرق الجوى
اذا مدحت أوصافه قال منشدا * على انني راض بان أحمل الهوى

ومن اغراضه قوله أطربنا العود الى أن غدا * مقامنا يرقص مع صحبه
فشمعنا قام على ساقه * وكاسنا دار على كعبه

وقوله مضمنا درب الحجاز لقد شرفت منازلا * قدر المنازل من سواها نازل
كم سرت فيها نحو مكة منشدا * لك يا منازل في القلوب منازل

ومما اخترته من الابيات العامرة للمعمار رحمه الله قوله

ان قام يتلو سورة الشمس المنيرة في ضحاها
ياحسنه فكأنه القمر المنير اذا تلاها (هي)

(الجناس اللفظى)

*(أحسنت ظني وان هم حاولوا تلفي
وثم سروضني فيه من شيمي)*

قال العلامة ابن حجة رحمه الله تعالى الجناس اللفظى هو ما تماثل ركناه وتجانسا خطا لكن خالف احدهما الآخر بابدال حرف فيه مناسبة لفظية كما يكتب بالضاد والظاء انتهى ومن اعظم الشواهد قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وشاهده في بيتي المتقدم في ظني وضني وكل من لفظتي الآية مفهوم وكذلك كل من لفظتي البيت والله اعلم

(الجناس المعنوى)

*(ألبحمدى وأبو تمام كل شج
عانا الغرام الى قلبي لأجلهم)*

قال العلامة ابن حجة رحمه الله ما لخصه الجناس المعنوى ضربان تجنيس اضمار وتجنيس اشارة ولم ينظم الصفي الحلي في بديعيته غير نوع الاضمار وذكر في شرحها انها نتيجة سبعين كتابا في هذا الفن وهو اصعب مسلكا من جناس الاشارة وطرفة من طرق الادب وعزيز الوجود جدا اوحده وان يضمر الناظم ركن التجنيس ويأتي في الظاهر بما يرادف المضمر للدلالة عليه فان تعذر المرادف يأتي بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمر بالمعنى كقول أبي بكر بن عبدون وقد اصطبح بخمرة أمست خلا فقال * ألا في سبيل اللهو كاس مدامة * أتتنا بطعم عهده غير ثابت ونقلت

ونقلت من تذكرة الشيخ عز الدين الموصلي بخطه بيتين للمعمار وذكر انهما خارجان عن الديوان وهما من اللطائف في هذا الباب

لما تبدى عذار الحب قلت له * رفقا ومهلا عليه أيها الجاني
ولا تخشن فما في الخد محتمل * بان يخط عليه عرق ريحان

ومن لطائفه في هذا الباب قوله

وخادم قبلت مشروطه * في خده لكن رأيت العجب
من ناعم حلو فناديته * ما أنت يا مشروط الا رطب

وقوله
تملك قلبي خادم قد هويته * من الهند معسول اللمى أهيف القد
أقول لصحبي حين يرنو بلحظه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندي

وقوله
لثمت عذار محبوبي الشرابي * فقال تركت لثم الخد عجبا
حفظت الانسيون كما سمعنا * ورحت تضيع الورد المربى

وقوله
صاد فؤادي من بني العرب فتى * له من الحسن اتصال ونسب
فصحت في الحي وقلبي طائر * يا عربا أهل ذمام وحسب
عساكم أن تنشدوا حشاشة * في حبكم ضلت وراحت يا عرب

وقوله
رحلوا عريب المنحنى * وفراقهم ما كان أصعب
أملتهم أن يرجعوا * والموت لي من ذاك أقرب
جئت الحمى لأرى الخيا * م فلم يلح في الحي مضرب

ومنه قوله واجاد
كأني بطباخ تنوع حسنه * ومزاجه للعاشقين يوافق
لكن مخافي من جفاه وكم غدت * منه قلوب في الصدور خوافق

ومنه قوله
رب جزار هواه * صار لي لحاودما
فزت بالالية منه * وامتلا قلبي شحما

وقوله
حاكمت في شرع الهوى قاتلي * ولي دم طل على خده
* فاتهم الحاكم لحظاله * تحقق الفتنة من عنده
* مال الى الحق فلما رأى * قد حبيبي مال مع قده

وقوله
أصاب قلبي خطائي * بلحظه لشقائي
فرحت من فرط دائي * اشكو الى الحكماء
قالوا أصبت بعين * فقلت من علم دائي
ان كان هذا صوابا * فتلك عين الخطائي

ومن لطائفه قوله
رحت يوم الفراق أجري دموعي * حسرة اذ قضى الزمان ببيني
قيل كم ذا تجري دموعك تعمي * أوقف الدمع قلت من بعد عيني

ومن لطائفه قوله
شكوت للعب منتهى حربي * وما الاقيه من ضنى جسدي
قال تداوي بريقتي سحرا * فقلت باردها على كبدي

ومن لطائفه قوله
قلت له لما وفى وعدي * مختفيا من حاسد معتدي

حكت بنت بسطام بن قيس صحيحة * وافضت بجسم الشنفرا بعد ثابت وبنت بسطام كان اسمها الصهباء والشنفرا هزل جسمها بعد ثابت قال الشاعر اسقنيها يا سواد بن عمرو * ان جسمي بعد خالي لخل والخل هو الرقيق المهزول فظهر من كناية الظاهر جناسان مضمران في صهباء وصهبا وخل وخل قال ومن هنا أخذ الصفي بيته فقال وكل لحظ أتى باسم ابن ذي يزن * في فتكه بالمعنى أو أبي هرم فذو يزن اسمه سيف وأبو هرم اسمه سنان قال وقد عززتهما بثالث يشير الى بيت بديعيته وهو قوله

أبو معاذ أخو الخنساء قلت لهم
يا معنوي فاهدوني بجورهم

وأبو معاذ اسمه جبل وأخو الخنساء اسمه صخر فظهر جناسان مضمران وهما جبل وجبل وصخر وصخر وقال وقف مولانا قاضي القضاة ابن حجر على هذا النوع قال هذا عزيز الوجود وانشدني فيه بعد أيام لنفسه يمدح الملك المؤيد

جمع الصفات الصالحات مليكنا
فغدا بنصر الحق منه مؤيدا
كأبي الامين برأيه وبجده
اني توجه وابن يحيى في الندا

انتهى ما تدعو اليه الضرورة من تعريف هذا النوع وقد فتح الله علي بالمقصود منه في بيتي المتقدم على هذه النبذة فان الجهدي هو منشي العروض اسمه الخليل وأبو تمام الشاعر اسمه حبيب وقد ظهر في هذا البيت جناسان مضمران وهما الخليل وخليل وحبيب وحبيب والبيت مع اشتماله على النوع بشرطه عامر بمحاسن الرقة والانسجام وكل ذلك ببركة الممدوح صلى الله عليه وسلم

(المناقضة)

(قيل اسلهم قلت ان هبت صبا سحرا * وشرق البدر تما سلخ شهرهم) * قال العلامة ابن حجة رحمه الله تعالى المناقضة هو تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل ومراد المتكلم المستحيل

دون الممكن ليؤثر التعليق عدم وقوع المشروط فكأن المتكلم ناقض نفسه فى الظاهر اذا شرط وقوع أمر بوقوع نقيضين ومثل ذلك قول النابغة الذبيانى وانك سوف تحكم أو تباهى * اذا ماشبت أوشاب الغراب فان تعليقه وقوع حكم المخاطب على شيبه ممكن وعلى شيب الغراب مستحيل (٣١٨) ومراده الثانى لا الاول لان مقصوده ان يقول انك لا تحكم والفرق بين المناقضة وبين نفى الشئ بايجابه ان المناقضة ليس فيها سلب ولا ايجاب ونفى الشئ بايجابه ليس فيه شرط انتهى وقد فتح الله على بالمقصود من هذا النوع فى بيتى المتقدم على هذه النبذة فان تعليق الشرط على الممكن والمستحيل فيه غير خاف ووضوحه مغن عن الكلام عليه والله أعلم

(الرجوع)

*(مالى رجوع عن الانعان فى واهى
بل عن سلوى رجوعى صار من لزمى)*

قال الفاضل جلال الدين القزوينى فى التلخيص والايضاح الرجوع هو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة كقول البها زهير

قف بالديار التى لم يعفها القدم
بلى وغيرها الارواح والديم

قيل لما وقف على الديار تسلطت عليه كآبة أذهلته فاخبر بما لم يتحقق فقال لم يعفها القدم ثم آب اليه عقله فتدارك فى الكلام فقال بلى وغيرها الارواح والديم فهذا نقض للكلام السابق انتهى ومن الشواهد بيت الحماسة أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكل ليس منك قليل وبيت أبى البيدا ومن ومالى انتصار ان غدا الدهر جائرا * على بلى ان كان من عندك النصر وقد فتح الله على بالمقصود من هذا النوع فى بيتى المتقدم على هذه النبذة وفى انصاف المتبحرين فى هذا الفن ما يغنى عن بث ما فيه من المحاسن والله أعلم *(الاستدراك)*

رب كافرحتنى بالوفا * أسبل على الستر ياسيدى

وقوله
وبى غضبان لا يرضيه الا * دموع ساكبات مستمره
فاعطفت عاطفه بوصل * وفى عينى بعد الهجر قطره

ومن لطائفه قوله
لو أنصفت لاشارت بالسلام على * متيم ماقضى من وصلها وطره
بأصبع انما عضت أناملها * حتى ولا واحد يصفو من العشره

ومثله قوله
لو رأى دور ثغره * عاذلى فى التبسم
ذهبت روحه كما * قيل فى دور درهم

وقوله
فى خد من أحببته * ورد بدا لم أجنه
وشامة ذقت لها * حلاوة فى صحنه

ومن لطائف قوله مع التضمين
عزمت على رقيا محاسن وجهه * بانوار آيات الضحى حين أقبلا
فلما بدا يفتر عن نظم ثغره * بدأت ببسم الله فى النظم أولا

ومن بديع مديحه قوله
لابن فضل الله فضل * غمر الفضل ووفى
كيف لا وهو على * علم السر وأخفى

وقوله
أيا بدر المحاسن حزت جودا * وفضلا شاع بين العالمينا
وكنت من الكرام فخزت خطا * فصرت من الكرام الكاتبينا

وقوله
قسما بما أوليت من احسانه * وجميله ماعشت طول زمانى
ورأيت من يثنى على عليائه * بالجود الا كنت أول ثان

ومن اغراضه قوله
مامصر الا منزل مستحسن * فاستوطنوه مشرقا أو مغربا
هذا وان كنتم على سفر به * فتيمموا منه صعيدا طيبا

وقوله
جاء الرخاء وفاض النيل وانفرجت * عنا الهموم وهان القمح ثم رمى
وراح خزانه للنيل ينظره * فاستكثر الماء فى عينيه ثم عمى

وقوله
حزن الخزان لما أن رأى * نيلنا قد عم سهلا وجبل
ورأى الارض اذا قد أخرجت * سنبلات ذات حب فاختبل
وبكى اذ رمدت أعينه * زادها الله عروقا وسبل *

وقوله
سمعت يوما بمصر يقو * ل النيل وافى زائدا عندى *
وكان هذا خبرا صادقا * فرحت أرويه عن السدى

وقوله
لائمى فى الشباب دع عنك لومى * لست ممن تروعه بالعتاب
أيها الشيخ هات بالله قل لى * أى عيش يحلو بغير الشباب

وقوله
وشادن ليس له شارب * ولا عذار بل له طره
كفايتى من ريقه شربة * واحسرتى منه على جره

*(رجونهم أن يعطفوا فضلا وقد عطفوا * لكن على تلفي من فرط عشقهم)* قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله تعالى الاستدراك على قسمين قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد له وقسم لا يتقدمه انتهى ومن شواهد القسم الاول قول بعضهم واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها (٣١٩) ولكن للاعادى * وخلتهم سهاما صائبات فكانوها ولكن فى فؤادى وقالوا قد صفت منا قلوب وقد صدقوا ولكن من ودادى وقول الارجانى غالطتنى اذ كست جسمى ضنا كسوة أعرت من الجلد العظاما ثم قالت أنت عندى فى الهوى مثل عينى صدقت لكن سقاما ومن شواهد القسم الثانى الذى لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير وتوكيد قول زهير أخو ثقة لا يهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله والاستدراك فى بيتى المتقدم على هذه النبذة من القسم الاول وهو من الوضوح غنى عن بسط الكلام عليه والله أعلم

(المطابقة)

(هان السهاد غراما فيه أقلقنى شوقى وعن الكرا وجدا فلم أنم)

قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله تعالى المطابقة هو ان يجمع بين ضدين مختلفين كالايراد والاصدار والليل والنهار والسواد

ومن لطائف مجونه قوله	شهر الصيام تولى *	فراقه يوم عيد
	فقيل شيع بست *	فقلت أيضا وسيدى
وقوله	قلت هلال الصيام ليس يرى *	فلا تصوموا وارضوا بقول ثقه
	فغالطونى وحققوا ورأوا *	وكل هذا من قوة الحدقه
وقوله	ارى مع المردخاب متجره *	مذ عاملوه معثر النصبه
	فضيعوا رأس مال حاصله *	اذ كسروه وقام بالشقبه
وقوله	ارى اذا ندبته *	لحاجة تختص بى
	قام لها بنفسه *	ما هو الاعصبى
وقوله	تأخرت لعذرها *	قلت لها تقدمى
	ارى هذا عصبى *	يدخل معك فى الدم
وقوله	لى ار فيه كبر وجفاء *	وهو منى بالقوى والى
	كلما أغضبنى أرضيته *	واذا أرضيته قام على
وقوله	ارى مغرى باللواط الذى *	يقبح لاسيما على مثله *
	أوقف حالى لا تسل ما جرى *	وصرت خلف الناس من أجله
وقوله	وبحت أرى اذ جاء ملتثما *	بذاك من غفلة فما اكترثا
	بل قال لى حين لمته قسما *	ما جزت حمام قعره عبثا *
	كيف وفيها طهارتى وبها *	أقلب ماء وارفع الحدثا *
وقوله	يا ليلة قضيتها *	فهل تراها عائده
	عمودا رى قائم *	وهى عليه قاعده
وقوله	وصغيرة كالفتها *	أيرى فقالت ويك باعد
	ماذاب يحمل ذا العمو *	د من النسا الا القواعد
ومثله	صغير نام على وجهه *	وقال حكك قلت لافائده
	قم أدخل العمود يا سيدى *	فقال لا تخرم القاعده
وقوله	عميرة قام يبتغى نكدى *	جلدته ثم قلت يا والدى *
	ها أنت فى قبضتى تطاوعنى *	وان عصانى خصاه تحت يدى
وقوله	وقحبة ذات حر يابس *	يحمل كالسندان رصعى الشديد
	تقول قم طرقه لى لا تنم *	فقلت مالى زبرة من حديد
وقوله	أطعمت ايرى كى ينا *	م وقلت قرفا استقر
	بل قام يسعى قائلا *	أنا من اذا طعم انتشر
وقوله	قد ذبت من كربى لفقد النسا *	أفور كالتنور من ناريه
	وقد طغى الماء فمن لى بأن *	أحمل بالجود على جاريه
وقوله	لو رأى فقحة حبى عاذلى *	وهى تجلى فى ثياب سندسيه
	لغدا العاذل فيها عاذرا *	وتفاصلنا على بيضا نقيه

والبياض قال ويسمونه المطابقة والطباق والتضاد والتكافؤ وشرطه ان يجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل فلا يجىء باسم

قوله عميرة هو كسفينة وقد خطر ببال هذا الشاعر غلطا أنه كناية عن الذكر وفى شرح القاموس انه كناية عن الكف والذى غره عبارة القاموس حيث قال وجلد عميرة كناية عن الاستمناء باليد ففهم منها ان عميرة كناية عن الذكر وليس كذلك اه مصحح

مع فعل ولا عكسه مثاله قوله تعالى فاليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ثم ان العلامة المذكور استطرد فى الشواهد فاكتفيت بقول جرير وباسط خير فيكم بيمينه * وقابض شر عنكم بشماليا وبقول البحترى وأمة كان قبح الجور يسخطها حينا فاصبح حسن العدل يرضيها والمطابقة فى بيتى المقدم على (٣٢٠) هذه النبذة أوضح من نار على علم والله أعلم * (التمثيل)

(وعاذل رام سلوانى فقلت له من المحال وجود الصيد فى الاجم)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله التمثيل مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ والمعنى وقال هو ان يريد المتكلم معنى فلا يدل عليه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ قريب من لفظه وانما يأتى بلفظ أبعد من لفظ الارداف يصلح ان يكون مثالا قال العلامة ابن حجة رحمه الله وأبلغ ماسمعته من الشواهد البليغة المستوفية لشروط هذا الباب قول بعض البلغاء

أخرجتموه بكره عن سجيته * والنار قد تنتضى من ناضر السلم

أوطأتموه على جمر العقوق ولو * لم تحرج الليث لم يخرج من الاجم

قال وهذا التمثيل والذى قبله غاية فى هذا الباب من بيتى المتقدم على هذه النبذة وأخرجت التمثيل فيه مخرج المثل وفى انصاف ذوى الأذواق السليمة مايغنى عن الاطناب والله أعلم

(الابهام)

وقوله
سألت وصال حبى قال دعنى * فانك فى افتقار لاتجاب
فقلت له حبيب القلب أدعى * بذى فقر وفى وسطى نصاب

وقوله
وصاحب أنزل بى صفعه * غضبت اذ ضيع لى حرمتى
فقال فى ظهرك جاءت يدى * فقلت لاوالله فى رقبتى

وقوله
سألته فى صفعة قال لى * جناية الصفعة مامنه بد
صاع من التمر احلى به * قلت له اعطيك صاعا ومد

وقوله
لج العذول ولامنى * فيمن احب وعنفا
فهممت الطم رأسه * لما بليت تأسفا
لكننى زلقت يدى * ووقعت على أصل القفا

وقوله
جئت لخل بلاطف الجرحى * قلت له ياأخا الرضا فل لى
فى عنقى دمل به ورم * قال تداو بمرهم الخل

وقوله
قالوا عشقت الشباب جهلا * فعلك هذا هو القبيح
فقلت قد قيل كل شئ * يأتى على وجهه مليح

وقوله
بدا بخد الحبيب شعر * وسفله ياأخى سالم
فكان كالخوخ اذ ينادى * عليه ذا مشعر وناعم

وقوله
ومماجن يهوى الصفا * ع ولم يكن اذ ذاك فنى
سلمته عنقى الدقيق فراح يخله بغبن
مااذنت له رضا * لكنه من خلف اذنى
لولا يد سبقت له * لامرته بالكف عنى

ومثله قوله
ومازحة تهوى المجون ولم تزل * تباسطنى لطفا بطيب مجونها
تقول وقد تاهت بلين قوامها * وقلبى مفتون بسحر عيونها
بعيشك هب لى صفعة ثم أقسمت * على صبها المضنى بنور جبينها
فلما جرى منها اليمين وأكدت * مددت قفاى فسحة ليمينها

ومن عجائبه وغرائبه قوله

(١) جاءت بخدين كاللجين * فقلت ماذا سوى لجينى
ذات حر واسع عميق * كأنه ترعة اللبينى
عليه شعر لو نسجته * لجاء مسحا لراهبين
وفاض ماء فقلت لما * عاينت منه غسلى بعينى
تقول لم لا تجر ألفا * أجبتها باسط اليدين
ان كان قصدى عليه جرا * غرقت فيه بحرتين

ومنه قوله
وان من الخدام من ليس ترتجى * مكارمه فالبعد عنه غنائم
ولاتك ممن يتهمهم بحشمة * فليس لهم بين الرجال محاشم

وقوله
فلان والجماعة عارفوه * وان أبدى التنسك والزهاده

(عذلتنى وادعيت النصح فيه فلا * برحت تسعى بلاحد الى النعم) قال العلامة ابن حجة رحمه الله الابهام يموت

(١) قوله جاءت الابيات هى من مخلع البسيط ووزنه مستفعلن فاعلن فعولن ست مرات وهى على ماتراه هكذا فى جميع النسخ وهى وان كانت للمعمار الا ان الطبقة الاولى من بيته الثالث والثانية من بيته الرابع خراب لانه حين وزنها كان ميزانه مخاعا اه مصحح

بياء موحدة هو ان يقول المتكلم كلاما مبهما يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما عن الآخر ولا يأتى فى كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد بل يقصد ابهام الامر فيهما والابهام مختص بالفنون كالمديح والهجاء وغيرهما ولكن لا يفهم من الفاظه لا مدح ولا هجاء البتة بل يكون لفظه صالحا للامرين مثاله ان بعض الشعراء (٣٢١) هنى الحسن بن سهل باتصال ابنته بوران بالمأمون مع من هناه فأثاب الناس كلهم وحرمه فكتب اليه ان تماديت على حرمانى عملت فيك بيتا لا يعلم أحد أمدحتك ام هجوتك فاستحضره وسأله عن قوله فاعترف فقال لا أعطيك أو تفعل ذلك فقال

بارك الله للحسن
ولبوران فى الختن
يا امام الهدى ظفر
ت ولكن ببنت من

فلم يعلم بقوله بنت من فى الرفعة أو فى الضعة فاستحسن الحسن منه ذلك وناشده اسمعت المعنى أم ابتكرته فقال لا والله الا أنى نقلته من شعر شاعر مطبوع كان كثير العبث بهذا النوع فاتفق أنه فصل قباء عند خياط أعور اسمه زيد فقال له الخياط على طريق العبث به سأتيك به لا تدرى أقباء هو ام ذراعة فقال الشاعر ان فعلت ذلك لأنظمن فيك بيتا لا يعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك أم دعوت عليك ففعل الخياط فقال الشاعر

خاط لى زيد قباء
ليت عينيه سواء

فاعلم أحد ان الصحيحة

تساوى السقيمة أو بالعكس فاستحسن الحسن صدقه انتهى وقد فتح الله علىّ بالمقصود من هذا النوع فى بيتى المقدم على هذه النبذة فان قولى فلا برحت تسعى بلا حد الى النعم ابهام الامر فلا يفهم ادعاء هو للعاذل أم دعاء عليه بل صالح للامرين والامر فيه منبهم لا يعلم ما المقصود به هل دعا بدوام التقلب فى النعم أم بعدم بلوغها واذا تأملت بعين الاعتبار ما أشرت

يموت على الشهادة وهو حى * الهى لا تمته على الشهاده

وقوله
لما جلوا لى عروسا لست اطلبها * قالوا ابهنك هذا العرس والزينه
فقلت لما رأيت النهد منتفشا * رمانة كتبت ياليتها تينه

وقوله
ابيت من الافلاس والفقر طاويا * لقد زهدونى العشق قهرا وسلونى
وقالوا تحب البيض والسمر قلت لا * احب من الالوان فضة اللون

وقوله فى المواليا
طرفى لمح حسن رايس قرحوا تفريج * اوسق بصدى وسمى الهجر بالتصريج
قذف لعرضى وخلانى من التبريج * دمعى انحدر والعواذل تقذفوا فى الريح

وقوله
مزحت يوما مع الحب الرشيق القد * وقلت آهى على قبله بصحن الخد
فسل سيفه من الحاظه وقتلى حد * قلت انتهى الامر ياحبى الى ذا الحد

وقوله
رمى اصاب صميم القلب زين الزين * واصبحت مضنى قلق اخشى حلول الحين
وكنت لم اشك قبل الخل وشك البين * سالم من العشق حتى صابنى بالعين

وقوله
يقل اماز وجها لا تختشى من لوم * ولا فى كل من فى الارض وانا الكوم
واتبنى واطعمينى ابق من ذا اليوم * انعس وأرقد ومثلى لا يرى فى النوم

وقوله
قلت لمن تركتنى بالجفا ناحل * وصلك بكم وارحمى ذا العاشق الناحل
قالت بميتين جمل قلت انها انا راحل * مالى جمال ولكن نخل فى الساحل

وقوله
قالت لى اخبر وروى قلبى الظامى * واصدقنى اعطيك ما خلفى وقدامى
عهدى بايرك رقيق خرط الاقلامى * وقد نما قلت ايرى لم يزل نامى

وقوله
قالوا توق الشتا كم قد صرع اعيان * بصدمك تعمى وذا شى يعرفوا العميان
انهض تحال ودع لعبك مع الصبيان * قلت يجى انى لو محنى عريان

ومن لطائف العلامة الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى رحمه الله تعالى فى باب التورية قوله
من هجر سلمى ما سلمت ومن ترى * يقوى لحمل الشوق والهجران
لا تغترر يوما بحلو رضابها * فلقد بدا من قد هامران (نى)

وقوله
وشادن ظلت غصون الربا * لما رأته مقبلا ساجده
سألته من ريقه شربة * فقال ذى مسئلة بارده

وقوله
ثنى غصنا ومد عليه فرعا * كحظى حين أطلب منه وصلا
وأسبله على الارداف منه * فلم ارمثل ذاك الفرع أصلا

وقوله
ركبت فى بحر هوا كم مركبا * قذفت فيه بيد التبريح
فانحدرت مدامعى وأقبلت * عواذلى وأقلعت فى الريح

وقوله
هجرت واحشائى توقد جمرها * هذا وليست فى المحبة فاتره
وتظل تحرقنى بنيران الجفا * ومن الذى يقوى لنار الهاجره

وقوله
قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا * فظل فى الليل مثل النجم حيرانا
راودته يستعير الصبر بعدهم * فقال انى استعرت اليوم نيرانا

وقوله يقول عذولى للدموع وقد جرت * على أثر محبوب برى مهجتى بريا
تأنى فقد لاح العذار بخده * فقالت له والله قد زدتنى جريا

وقوله قد زاد فى التفنيد لى عاذلى * على هوى من لم أطق بينها
حتى بدا من لحظها صارم * ففر لما أن رأى عينها

وقوله لا تنكروا انى تركت معذرا * أضنى الفؤاد بلوعة التبريح
لما بدا شعر بصفحة خده * قابلت ذاك الشعر بالتسريح

وقوله عارضنى العذال فى عارض * قالوا له بلطف بعدما أطنبوا
ما آن للعارض أن ينتهى * قلت ولا للشيب لا تتعبوا

وقوله قاس الورى وجه حبيبى بالقمر * لجامع بينهما وهو الخفر
قلت القياس باطل بفرقه * وبعد ذا عندى فى الوجه نظر

وقوله لما ثنى العطف ثنى مهجتى * اليه ظبى فى الهوى شارد
ناديت اذ صرنا بلا ثالث * يا ثانى العطف عسى واحد

وقوله قال العذول عندما * شاهدنى فى شغلى
عمن فتنت فى الورى * فقلت دعنى بعلى

وقوله يا باخلين بالسلام جهدهم * من ذا رأيتم له شح يوما بالكلام
لا تمنعوا عنى السلام سادتى * فأنتم قصد المعنى والسلام

وقوله يا معيار والناعنه حسنا * وقبيح ان لم يكن تم حسنا
طبت لفظا مع الرواة ولكن * ينبغى ان تكون فى الدهر معنا (معنى)

وقوله اميل اليه كى يميل فينثنى * ويعرض ابصرت القضيب اذا انثنى
ويطرحنى عن باله لا يعدنى * فيلبسنى من طرحه حلة الضنى

وقوله وليلة مرت لنا حلوة * ان رمت تشبيها بها اعيتها
بت مع المعشوق فى روضة * ونلت من خرطومه المشتهى

وقوله لست أنسى رقة العيش الذى * زاد فى الرقة حتى انقطعا
فرعى الله زمانا بالحمى * وحماه وسقاه ورعا

وقوله بدا ليل العذار بخد بدر * يفوق البدر حسنا فى الكمال
فلا تطمع عذولى فى سلوى * فعشقى لا تغيره الليالى

وقوله بروحى أفدى خاله فوق خده * ومن أنا فى الدنيا فافديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن فى ذلك الخال

وقوله راحت منى روحى فهذى مهجتى * من بعد ذا وجدا بها قد طاحت
فاترك ملامك يا عذول فانما * هى مهجة رحلت على من راحت

وقوله فى القاضى علاء الدين بن فضل الله
لقد أعطى علاء الدين مالم * توف بشكره المداح طرا

اليه علمت صحته وفى انصاف أهل الفن ما يغنى عن بسط الكلام وبالله التوفيق (الاستعاره) (كيف السلو ونارا لحب موقدة وسط الحشا وعيون الدمع كالديم) قال الشهاب محمود رحمه الله تعالى الاستعارة هى ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه مع طرح ذكر المشبه لفظا أو تقديرا وان شئت قلت هو جعل الشئ لاجل المبالغة فى التشبيه فالاول كقولك لقيت أسدا وأنت تريد الرجل الشجاع والثانى كقول لبيد

واذ أصبحت بيد الشمال زمامها *

اثبت اليد للشمال مبالغة فى تشبيهها بالقادر فى التصرف فيه انتهى وعلى الجملة فالكلام يطول ويخرج عن المقصود اذا أردنا بيان أقسامها وما يتعلق بذلك وأحسن الاستعارات ما قرب منها دون ما بعد وكلما زاد التشبيه خفاء زادت الاستعارة حسنا ومن محاسن الامثلة قول ذى الرمة

أقامت بها حتى ذوى العود فى الثرى * ولف الثريا فى ملاءته الفجر

وقول الآخر

حتى اذا بهر الاباطح والربا * نظرت اليك بأعين النوار

قال ابن حجة فنظر أعين النوار من أحسن الاستعارات وأقربها وأليقها لان النور يشبه العيون انتهى ولابن خفاجة الاندلسى

لقد نظرت شمس الاصيل الى الربا * بأضعف من طرف المريب وافترا
وصفوة مسواك الاصيل ووفى * على اعس من مسقط الشمس أسمر

(وللمجد الاربلى) نحا

اصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنكم بغير ملال لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

ولابى الوليد الحنان الشاطبى فوق ورد الخد دمع * من عيون السحب يذرف * برداء الشمس أضحى كلما سال يجفف

ولابن قرناص الحموى قدأتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندا بجمان ورأينا خواتم الزهر لما سقطت من أنامل الاغصان والامثلة كثيرة وفيما ذكرناه كفاية ووضوح الاستعارة فى بيتى المقدم على هذه النبذة الغاية فلا يحتاج الى التنبيه والله أعلم (الارداف) (ولى جفون بغير السهد ما اكتحلت (٣٢٣) ولى رسوم بغير السقم لم تسم)

يحاخو الكرام الى حتى * دخلت مبردا وخرجت فرّا

وقوله فى القاضى تقى الدين بن صالح مع بديع التضمين

بجود تقى الدين أصبح دهرنا * رقيق الحواشى معلما بالمدائح
فيا دهرنا حزت المفاخر فافتخر * اذا نحن أثنينا عليك بصالح

ومن اغراضه قوله

اعدى احتراق النيل أكباد الورى * فغدت تذوب تلهبا وتلهفا
وترايدت نيرانها من نقصه * فاذا به طاف البلاد وقد طفا

ومن نكته اللطيفة وقد أهدى له بعض الوزراء فى عيد الاضحى كبشا

وزير الملك عيد ألف عيد * فانت الصاحب الخلق الجميل
لقد منيت فى الاضحى بكبش * ملىّ بالغنى كاف كفيل

ومن لطائف مجونه قوله

وناحل أضحى بصبى وقد * حنت له راو وقحبال
سألته كاسا أطفى بها * نيران أحشائى فصفى لى

وقوله

قلت لبزاز على خلوة * واصل فتى ينسب للخرقة
وخلنى أصفق ولو صفقة * فانت ما تخسر فى صفقتى

وقوله فى العنب العاصمى

وعاصمى قد غدا طعمه * أروى من الماء لدى الحائم
أورث خلى أكله هيضة * فاعجب له من مسهل عاصم

وقوله

جاء نحوى معذر * بعد ماعز مطلبه
قلت ذا الارميت * ظل يبكى وينديه *

وقوله

تطلبت حجرا فى الظلام فلم أجد * ومن لى بمثلى حيه دأبه الحجر
فنادانى البدر الاديب الى هنا * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومن لطائف مجونه مع الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة قوله

يكذب من ينسب البغاء الى * شاعرنا المنتمى الى حجله
ماهو بغا كما يقال لنا * بل هو نوريد ور بالحجله

وقوله فى الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد

لعلاء الدين ذقن * عملاء الكف وتفضل
فاعمل المنخل منها * لدقيق العيد وانخل

ومن لطائف الشيخ بدر الدين بن الصاحب فى باب التورية قوله وتلطف ماشاء

حبيب لى طبيب لم يزرنى * سوى بالطيف فى ظلم الليالى
رآنى ناحلا من فرط شوقى * فأهدى لى مزوره الخيالى

وقوله

وعدتنى بخيال * يزور طرفى مناما
فشاب رأسى انتظارا * ومابلغت احتلاما

قال العلامة ابن حجة رحمه الله تعالى قالوا انه هو والكناية شئ واحد قال واذا كان الامر كذلك فكان الواجب اختصار أحدهما وانما أئمة البديع كقدامة وحاتم والرمانى قالوا ان الفرق بينهما ظاهر والارداف أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظ هو ردفه وتابعه كقوله تعالى واستوت على الجودى فان حقيقة ذلك استقرت على المكان فعدل عن لفظ الخاص بالمعنى الى لفظ هو ردفه لما فى الاستواء الذى هو لفظ الارداف من الاشعار بجلوس متمكن لازيغ فيه ولاميل وهذا لايحصل من لفظة جلست وقعدت انتهى ولفظ الارداف فى بيتى المتقدم فى قولى اكتحلت لما فى الكحل الذى هو لفظ الارداف من الاشعار بعمومها بالسهد وذلك لايحصل من لفظ غيره والله أعلم (الافتنان) *(تهابنى الاسد فى اجامها وظبا ثلاث الظبا قد أذلتنى لاعزهم)*

قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله الافتنان هو ان يأتى الشاعر بفنين متضادين من فنون الشعر مثل النسيب والحماسة والمديح والهجاء ونحو ذلك انتهى ومما جمع فيه بين النسيب والحماسة قول أبى دلف وروى لعبد الله بن طاهر

أحبك يا ظلوم وأنت منى * محل الروح من جسد الجبان ولو أنى أقول محل روحى لخفت عليك بادرة الزمان وقول آخر

خطرت كمياد القنا المناطر * ورنت بالحاظ الغزال الاعفر وأتتك بين تطاعن وتداعب * فى فتك قسورة وعطفة جؤذر

وقول آخر زارت وفى كل مرمى لحظ محترس * وحول كل كاس كف مفترس مهما انلى خدها الزاهى الضحى نطقت سيوف آبائها عن آية الحرس

والشواهد كثيرة وبيتى المتقدم على هذه النبذة جمعت فيه بين النسيب والحماسة وذلك واضح بين والله أعلم (مراعاة النظير)

(ازروا بشمس الضحى والبدر حين بدوا)

(وأومض البرق من تلقاء مبتسم)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله مراعات النظير الجمع بين امر وما يناسبه مع الغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة وسواء كانت المناسبة لفظا لمعنى او لفظا للفظ او معنى لمعنى اذ القصد جمع الشئ الى ما يناسبه من نوعه او يلائمه من احد الوجوه وحده شارح التلخيص نحو ذلك واستشهد عليه بقول الله تعالى والشمس والقمر بحسبان فانه سبحانه جمع الشمس والقمر وهما غير متضادين ومن الشواهد قول البحترى فى صفة الابل الانضاء الهزال

كالقسى المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار

وقول بعضهم فى آل النبى صلى الله عليه وسلم

أنتم بنو طه ون والضحى * وبنو تبارك والكتاب المحكم

وبنوا الاباطح والمشاعر والصفا * والركن والبيت العتيق وزمزم

جمع فى البيت الاول لذى هو عبارة عن مراعاة النظير بين اسماء السور وفى البيت الثانى بحسب المناسبة بين الجهات الحجازية والامثلة كثيرة وفى هذه اللمعة كفاية وقد فتح الله على بالمقصود من هذا النوع فى بيتى المتقدم ومراعاة النظير فيه واضحة وبالله التوفيق (عتاب المرء نفسه)

وقوله

ياهلالا قد تسامى * وله الصدغ عمامه
اشتهى لو نلت حظا * منك مقدار قلامه

ومن اطائفه فى هذا الباب قوله

يقبل الارض لازالت مقبلة * من بعد ثغرى بثغر الروض والزهر
ويسأل الله جمع الشمل منتظما * ودمعه قائل يا منزل المطر

وقوله

جفنى عليك ساهر * بحرقة قد ذقتها
ودمعتى جارية * ان زرتنى عتقتها

وقوله فى قيم حمام

وقيم قيم فى حسن صنعته * حاز الجمال على حسن من الترف
لو يخدم البدر أنقى البدر من كلف * لكنه لم يزل ما بى من الكلف

وقوله

فتنت بنبت من عوارض خده * فها أنا فى قيد الغرام أسير
ولا كان لى بالعشق قط تعلق * ولا بالهوى قبل العذار شعور

وقوله

اذا جلوا الى كاسى * بها حباب منظم
علمت ان زمانى * بعد القطوب تبسم

وقوله

يا أيها العاصر بادر الى * عنقودك الفاخر فى كرمه
اياك أن تتركه ساعة * يزبب النحس على أمه

وقوله

يا حابس الكاس لا تردها * من بعد حبس الدنان حمره
واغنم مزاجا لها لطيفا * أو رثه الانتظار صفره

وقوله

أطربنا مشبب * من غير جعل سأله
يا حسن موصول له * لم يفتقر الى صله

ويعجبنى قوله

غنت فاغنت عن كؤس الطلا * بالسكر من لذات تلك اللحون
فقلت اذهبنى صوتها * فى مثل ذا الحلق تروح الذقون

وقوله

يا مهدى الاقصاب من سكر * صفرا حكى طول القنا طولها
اياك أن تقطعها ساعة * فأحسن الاقصاب موصولها

وقوله

ناحت حمام البان أم ناحت أسى * لم أدر ما عناؤها من شوقها
عجماء لا تظهر حرفا من شجى * كأنها مخنوقة من طوقها

وقوله

وذات طوق على الاغصان تذكرنى * قوام حسنك فى ضمى لمعتنقك
قد سودت وجهها نوحا فقلت لها * سواد قلبى يا ورقاء فى عنقك

ويعجبنى قوله

ياليل ان الحبيب وافى * وخفت اسراع دهم خيلك
فطل وغش الصباح انى * دخلت بالليل تحت ذيلك

ومن نكته البديعة الغريبة فى الشطرين قوله

تأمل ترى الشطرنج كالدهر دولة * نهارا وليلا ثم بؤسا وأنعما
محركها باق وتفنى جميعها * وبعد الفنا تحيى وتبعث أعظما

وقوله مضمنا

أميل لشطرنج أهل النهى * واسلوه من ناقل الباطل

(يانفس ماذا الوني جدى فان يصلوا * فالقصد أولا فوتى موت محتشم) قال العلامة ابن حجة رحمه الله هذا يعني عتاب المرء نفسه لم أرفيه العتب مرتبا الاعلى من أدخله في البديع وعده من أبوابه قال ونهاية الامر صفة حال واقعة ليس تحته كبير أمر وهو من افراد ابن المعتز وعدوا من شواهده قول شاعر الحماسة (٣٢٥) أقول لنفسي في الخلاء الومها * لك الويل ماهذا التجلد والصبر

انتهى وعتاب النفس في بيتى المتقدم على هذه النبذة غاية في هذا الباب والله أعلم

(المغايرة)

(لذكرهم صار سمع العذل يطربني
من اللواحي ويلجيني لشكرهم)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله المغايرة سماها قوم المطلق وهو أن يتلطف الشاعر بتوصله الى ما كان ذمه هو أو غيره انتهى وهذا النوع تبنى عليه المفاخرات وقد أورد الحريري في المقامة الدينارية وبالغ في مدح الدينار وذمه ومن ملح الشواهد قول بعضهم في البوم وهذا مذموم عند سائر الناس فتلطف في مدحه

يابومة القبة الخضراء قد الفت
روحى بروحك اذ ينشفع البوم
زهدت في الدنيا فاسكنت الدهر
الخراب فمن يذمك مذموم

وقوله

ولقد تأملت الفراق فلم أجد
يوم الفراق على امرء بطويل
قصرت مسافته على متزود

وكم رمت تهذيب اعدابه * وتابى الطباع على الناقل

ومن اغراضه
لعبت في الشطرنج في غاية * تقصر الاوصاف عن حدها
ان صاح في الاقران لي بيدق * تموت منه الشاة في جلدها

ومن لطائف مجونه قوله

شاب الحبيب فقلت أهلا بالوفا * وازددت فيه تعشقا وتكافا
والارقام ولم يبل لمشيبه * فالراية البيضا عليه في الوفا

وقوله
كم جار صرف الدهر في حكمه * وضرني من حيث بي يعتني
البسني من شيبتى حلة * قلت له والله عزيتني

ومن اغراضه البديعة مع حسن التضمين قوله

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفوا على نهر أزاهره
وللوفاء عمود من أصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره

وقوله
النيل ألبس حلة * حمراء في تخليقه
وله أصابع زينب * قد ختمت بعقيقه

وقوله
نادى منادى الوفاء مصرا * اذ علقوا ستره علامه
من الغلا قد سلمت حقا * فبت في الستر والسلامه

وقوله
كانت لمصر سترة * بالنيل مذولى خلت
كانه زوج لها * فبعد ترملت

ومن اغراضه البديعة قوله

فاخرت الاقلام سمر القنا * والسعد في الاقسام مكتوب
فقلت للخطى لاتستطل * كلا كما للخط منسوب

وقوله
ولائم زاد لوما * في أسود اشتهيه
وقال أسود تهوى * فقلت عينك فيه

ومن لطائف اغراضه في مليح قوال قوله

أنا ابن الذي في الليل تسطع ناره * كثير رماد القدر للعب يحمل
يطوف باقداح العوانى على الورى * ويصبح بالخير الكثير يقول

ومما اخترته من نظم الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة وقد تقدم قولى انه كان يرضى بالرخيص لاجل الكثرة قوله

بي من غدا ظهرى عليه المنحنى * ولحظه لحظ ظباء رامه
كم قات من عذاره وقد بدا * لى خطه يا كاتب السلامه

وقوله
يقول لى الحبيب أرى عذارى * يدب الحسن من وجهي اليه
تكلم في وظيفة حسن خدى * وقام بنفسه يسعى اليه

وقوله
وعاذل قد زاد في لومه * وقال لما هاج بلبالى
بعارض المحبوب ماتنتهى * قلت ولا بالشيب والوالى

منه لرشن صبابة وغليل والمغايرة في بيتى المتقدم واضحة فان اللواحي مذموم عند سائر الناس فتلطفت في مدحهم اذ جعلتهم سببا الطربى وأوجبت شكرهم وأبرزت حسن هذه المغايرة في قالب الرقة والانسجام وفي انصاف ذوى الاذواق السليمة ما يغنى عن بسط الكلام والله أعلم (سلامة الاختراع) (بلغت في العشق مرمى ليس يدركه * الا الخليع صبا مثلى الى العدم) قال

العلامة الشهاب محمود رحمه الله سلامة الاختراع هو أن يخترع الشاعر معنى لم يسبق اليه ولم يتبعه أحد فيه انتهى ومن الشواهد قول بعضهم لاتنكرى عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالى وقول الآخر ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا ان السماء ترجى حين تحتجب والامثلة كثيرة وفيما ذكرناه كفاية والله يعلم بصحة دعوى سلامة الاختراع فى بيتى المتقدم على هذه النبذة وانى فيما أعلم لم أسبق الى هذا المعنى و بالله التوفيق والله أعلم

(التوشيع)

(كتمت حالى ويأبى كتمه شجنى
بحكمى الفاضحين الدمع والسقم

قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله هو من الوشيعة وهى الطريقة البرد فكان الشاعر أهمل البيت كله الا آخره فاتى فيه بطريقة تعد من المحاسن وهو عند أهل هذه الصناعة هو ان يأتى المتكلم أو الشاعر باسم مثنى فى حشو العجز ثم يأتى بعده بكلمتين مفردتين هما عين ذلك المثنى تكون الاخرى منهما قافية بيته أوسجعة كلامه كانه تفسير لما ثناه وقد جاء من ذلك فى السنة الشريفة مالا يلحق بلاغته وهو قوله صلى الله عليه وسلم يشيب المرء وتشيب فيه خصلتان الحرص وطول الامل ومن أمثلة ذلك فى الشعر قول الشاعر

أمسى وأصبح من تذكاركم قلقا * يرثى لى المشفقان الاهل والولد
وغاب عن مقلتى نومى لغيبتكم * وخاننى المسعدان الصبر والجلد
ومن لم يبق غير خفى الروح فى جسدى * فدى لك الباقيان الروح والجسد

قال ابن أبى الاصبع رحمه الله ومابشعر قلته هنا من ياس وهو

بى محنتان ملام فى هوى بهما * رثى لى القاسيان الحب والحجر لولا الشفيقان من أمنية وأسى

وقوله
ياسائلى عن حالتى ماحال من * امسى بعيد الدار فاقد الفه
بى صيرفى لايرق لحالتى * قدمت من جور الزمان وصرفه

وقوله
أصبحت مابين الورى * كالواله المصاب
من هجر ذى القبطى الذى * ما كان فى حسابى

وقوله
يقول جارى من بعد جور * وقد رأى حرقتى ونارى
دمعك ماشانه ومن ذا * عليك قد جار قلت جارى

وقوله مضمنا
أقول لصب قلبه يشتكى الاسى * هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
عذلتك فى ابن السكرى والذى أرى * محا الفتى فاختر لنفسك مايحلو

وقوله مضمنا
قل للهلال وغيم الافق يستره * حكيت طلعة من أهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ماعليك فقد * ذكرت ثم على مافيك من عوج

وقوله فى غلام يدعى مقبلا
يامن تحجب عن محب صادق * مازال عنه كل حين يسأل
من لى بيوم فيه نقبل باللقا * و يقال لى هذا حبيبك مقبل

وقوله فى جاريه تدعى حكم الهوى
حكم الهوى صدق فبت لاجل ذا * والهان من فرط الصبابة والجوى
ياعاذلى لاتلحنى فى حبها * نفذ القضا وكذا جرى حكم الهوى

و رأيت غالب مقطعات الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى الباذهنج والفانوس ولكن نختار منها مايحسن نظمه فى هذا السلك فن ذلك قوله فى فانوس مع حسن التضمين

وكانما الفانوس نجم نير * منع الظلام من الهجوم طلوعه
أوعاشق أجرى الدموع بحرقة * من حرنار تحتويه ضلوعه

وتقدمه فيه مجير الدين بن تميم فقال وأحسن التضمين

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب قلبه بدموعه * وتعد من تحت القميص ضلوعه

وقال فيه ابن أبى حجلة وأجاد مع حسن التضمين

يحكى سنا الفانوس من بعدلنا * برقا تألق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ماسمحت به اجفانه

و يعجبنى قوله مع حسن التضمين

أنا فى الدجا ألق الهوى وبمهجتى * حرق يذوب لها الفؤاد جميعه
فكأننى فى الليل صب مدنف * كتم الهوى فوشت عليه دموعه

و يعجبنى أيضا هنا قول مجير الدين بن تميم

أبدى اعتذارا لنا الفانوس حين بدا * فى حالة من هواه ليس ينكرها
رأى الهوى مضرما مابين أضلعه * نار الجوى فغدا بالثوب يسترها

أودى بى المرديان الشوق والفكر قال الشهاب محمود ويحسن ان يسمى ما فى بيته مطرف التوشيع اذ وقع المثنى فى أول كل بيت وآخره انتهى وقد فتح الله على بالمقصود من هذا النوع فى بيتى المتقدم على هذه النبذة وبالله التوفيق (المراجعة) (قالوا رعوى قلت قلبى ما يطاوعنى * قالوا انثنى قلت عهدى غير منفصم) (٣٢٧) قال العلامة ابن حجة رحمه الله المراجعة ليس تحتها كبير أمر ومنهم من سماها السؤال والجواب وهو ان يحكى المتكلم مراجعة فى القول ومحاورة فى الحديث بينه وبين غيره بأوجز عبارة وارشق سبك والطف معنى واسهل لفظ اما فى بيت واحد أو أبيات انتهى ومن ملح الشواهد قول وضاح اليمن

قالت الا لا تلجن دارنا
ان أبانا رجل غائر
قلت فانى طالب غرة
منه وسيفى صارم باتر
قالت فان البحر من دوننا
قلت فانى سابح ماهر
قالت أليس الله من فوقنا
قلت بلى وهو لنا غافر
قالت فان القصر على البنا
قلت فانى فوقه طائر
قالت لقد أعييتنا حجة فات
اذا ما هجع الساهر
واسقط علينا كسقوط الندا
ليلة لا ناه ولا آمر

والامثلة كثيرة وفيما ذكرناه كفاية وقد فتح الله على بالمقصود من هذا النوع فى بيتى المتقدم على هذه النبذة والله أعلم (القول بالموجب) *(قالوا سلوت فقلت الصبر فى كلفى قالوا ايئست فقلت السبر فى سقمى) قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله القول بالموجب ضربان الاول ان يقع صفة فى كلام مدع شيأ يعنى به نفسه فتثبت تلك الصفة لغيره من غير تصريح له بثبوتها له ولا بنفيها عنه كقوله تعالى لئن رجعنا الى المدينة

ومن نظم الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى الباذهنج قوله مع حسن التضمين

وباذهنج غدا فى الجو منظره * من فوق مخبره يبدو على سكن
فاطرف قد يسدى بالمحبوب رفعته * واستنشق الريح من تلقاء ياسكنى

وقوله

ياباذ هنجى كم كذا * تعلو على بان الحمى
أبديت حمقا زائدا * ورفعت رأسك للسما

وألطف منه قوله مع حسن التضمين

ياباذاهنجى لا برحت من الهوى * مثلى على حب الديار مولها
دارى بحبك لم تزل مشغوفة * خلعت هواك كما خلعت هوى لها

وقوله مضمنا

هجا الشعراء جهلا باذهنجى * لان نسيمه ابدا عليل
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا

ومن نكته الغريبة فى باب التورية قوله وكتب به الى ابن الزين المعروف بلبيكم

ياشاعرا قد حاز حسن بديهة * وتطبعه درر النجوم اذا نظم
وتجيبه قبل السؤال لقصده * وتقول يا ابن الزين لبيكم نعم

وقوله وقد قدم الشيخ جمال الدين الى الشام

يامعشر الادباء قد اتشبيكم * ومديحكم فيما يروق ويعذب
وافاكم ابن نباتة فتفقهوا * أقواله بسكينة وتأدبوا

وقوله من ابيات

ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * أمسيت تمشى فى المسرة راكبا
ومتى طرقت عشى آنس ديرها * لم تلق الا راغبا أو راهبا

ومن قنص شوارد التورية بحبائل فكره الشيخ بدر الدين حسن الزغارى فمن ذلك قوله

قالت وقد أنكرت سقامى * لم أرذا السقم يوم بينك
لكن اصابتك عين غيرى * فقلت لا عين بعد عينك

وقوله

حبست الدمع ثم جعلت جفنى * سياجا ماله قط انفراج
فمازلتم بجوركم الى ان * تجرى الدمع وانخرق السياج

وقوله

قيل لى اذ رأيت اقمارتم * عن بدور السماء للطرف تلهى
اى وجه أضناك قلت دعونى * فسقامى قد صح من كل وجه

وقوله

سل لحتفى كالحسام الصقيل * لحظا حديدا تحت جفن كليل
ثقيل ردف قادنى فى دجا * شعر فقواد وليل طويل

وقوله أيضا

افديه فى الالكن يرمى دائما * وسواد قلب الصب من أغراضه
أطلقت لحظى نحوه فأجابنى * سهم وما عاينت كشف بياضه

وقوله مضمنا وأجاد

يقول العاذلون نرى رمادا * على خديه من شعر العذار
فقلت لهم صدقتم غير أنى * أرى خال الرماد وميض نار

قوله فى الالكن كذا فى النسخ ولم اقف له على معنى مناسب اه

ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالاذل عن فريق المؤمنين فاثبت الله تعالى صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت الاخراج بصفة العزة ولا لنفيها والثانى حمل كلام المتكلم مع تقريره على خلاف مراده مما يحتمله بذكر (٣٢٨) متعلقه كقوله قلت ثقلت اذ أتيت مرارا قال ثقلت كاهلى بالايادى

قلت طولت قال لى بل تطولت وأبرمت قال حبل ودادى واستطرد العلامة المذكور فى تقرير شواهد أخر والكل يرجع الى معنى هذين البيتين فاكتفيت بايرادهما وقال ابن حجة رحمه الله تعالى وهذا القسم الثانى تداول بين الناس ونظمه أصحاب البديعيات انتهى وقد فتح الله على بالمقصود من هذا القسم الثانى فى بيتى المتقدم بشرطه المعتبر عند أهل البديع والله أعلم

(التهكم)

(ياعاذلى أنت معذور فلست ترى اذا بدا الصبح ماغطى غشى الظلم)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله تعالى التهكم عبارة عن الاتيان بلفظ البشارة فى محل الانذار والوعد مكان الوعيد والمدح فى معرض الاستهزاء فشاهد البشارة موضع الانذار قوله تعالى وبشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما وشاهد الوعد مكان الوعيد قوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وشاهد المدح فى معرض الاستهزاء قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم قال وهذا النوع ذكر ابن أبى الاصبع انه من مخترعاته انتهى وقد فتح الله على بالمقصود من هذا النوع من بيتى المتقدم والتهكم فيه بلفظ الوعد مكان الوعيد ووضوح ذلك لا يخفى الا على أجنبى من هذه الصناعة والله أعلم

وقوله
فتنت باسمر رحلوا اللمى * اسلوانه الصب لم يستطع
يقطع قلبى ومارق لى * ودمعى يرق وما ينقطع

ومنه قوله فى مليح بيده قوس حلقه
وبدا العشية أغيد فى كفه * قوس كانها سهام جفونه
فسألته البقيا على عشاقه * فنفوسهم مطوية بيمينه

وقوله
وانى كتابك ياخليلى بعدما * حكمت على ببعدك الايام
لكن أرى نار اشتياقى لم تكن * بردا على وفيه منك سلام

ومن نكته الغريبة قوله
أماترى النهر كالحسام غدا * ينسل بين الغصون والورق
وليس فى الجرى مثل صارمه * يشق نحوى مفارق الطرق

ومن غاياته البديعة فى هذا الباب قوله
سرت من بعيد الدار لى نفحة الصبا * وقد أصبحت حسرى من السير ظالعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب أنفاسها متتابعه

ومن لطائفه قوله
أعجب مافى مجالس اللهو جرى * من أدمع الراووق لما انسكبت
لم تزل البطة فى قهقهة * مابيننا تضحك حتى انقلبت

ومثله قوله وزاد لطافا زيادة نكتة أخرى
يامن يلوم فى التصابى خلتى * فأذنى عن الملام قد نبت
تصفية الكاسات فى شواربى * أضحكت البطة حتى انقلبت

وتلاعب بهذا المعنى وقال
أنا القليل العقل فى صرف الذى * أملكه فى كلف المشارب
ولم أنل مما أضعته سوى * تصفية الكاسات فى شواربى

ومن مجونه قوله
ياصاحبا مازال من انعامه * لثياب راجيه المؤمل رافى
قد قطعت فرجيتى حتى لقد * ظهر القطوع بها على أكتافى

وممن أتى فى دقيق التورية بخاص الخاص الشيخ يحيى الخباز الحموى فمن ذلك قوله
قال عذولى والقوم قد رحلوا * وقصده فى مقاله حينى
أطلق دموعا مازلت تحبسها * وطلق النوم قلت من عينى

وقوله
لم أنس طيفا زارنى وانثنى * عنى وقلبى بعده يخفق
وماكنى حتى دموعى غدت * من خلفه تجرى زما تلحق

وقوله مضمنا
لئن وعدت بالوصل سلمى وأخلفت * فسلها عسى العذر المبين يقوم
ولا تبدها باللوم قبل سؤالها * لعل لها عذرا وأنت تلوم

وقوله
لقد تعشقت فتى سائبا * يبدل الحاضر بالغايب
مدحته جهدى فلم يرتبط * وراح كل المدح فى السائب

وقوله
تعذر من أهواه واسود وجهه * ورام وصالى بعدمالم يكن خلق

وقال المواربة *(أبرمت عذلا ويخشى أن تجربه * لى السلو وما السلوان من شيمى)

وقال حكى صدغى نباتا اجبته * صدقت لهذا عاد يصلح للعاق

ومن لطائف نكته فى هذا الباب قوله

قلت لمن ينتف أصداغه * لا تكره الريحان حول الشقيق
واعتق شعور الذقن من نتفها * فاننى شيخ أحب العتيــق

ومن لطائف نكته فى هذا الباب قوله

أصبحت فى العالم أعجوبة * عند ذوى الالباب والفهم
جدى جوى فاسمعوا واعجبوا * وما كفى حتى أبى أمى

ومن لطائفه قوله عاطنيها من عهد كسرى سلافا * تتقد فى الكؤس كالنيران
وابن ماء السماء زوجه راحا * اذ كرتنا شقائق النعمان

ومن رقيق اغزاله قوله اضعف اجفان حبى * بالفتـك فيها عتوه
فيالها من جفــون * تزداد بالضعف قوه

ومن مجونه قوله كـبت مملوكا ومن لطفه * يسير باللطف على سيرى
سميتـه خيرا وان يدخـل الاير يكن خـيرا على خـير

ومن مماجناته مع الشيخ حسن الزغارى المذكور قوله

حسن الزغارى أحق * يابئس من يوافقه
خنقتـه هجوا وما * للكلب الا خانقه

ومثله قوله فيه نبح الزغارى عنـد نظم موشح * وكال نظمى بالسـفاهة نقصا
فضربته بعصا الهجا الماعوى * فاصبح مصرعه ولم تضع العصا

وقوله فيه قـل للزغارى الذى من جهله * أمسى باقـوال الاكابر هازى
هذا ابن قرصة قد سمعت هجاءه * من ذا يجيرك من يد الخباز

ومن لطائف الشيخ شـهاب الدين الحاجبى تغمده الله برحمته فى باب التورية ولم أظفر له الا بما قل من مقاطيعه مع انى كثير الفحص عنها فانه مايجارى فى انسجامه وسهولته ورقتـه ولطيف تركيبه فى هذا الباب قوله لها عـين لها غـزل وغزو * مكحلة ولى عين تباكت
وحاكت فى فعائلها المواضى * فيالك مقـلة غزلت وحاكت

وقوله وصفت خصره الذى * اخفاه ردف راجح
قالوا وصف جبينـه * فقلت ذاك واضح

وقوله عودر الصب بكى عليكم * ياجيرة ودعوا وساروا
فدمع عينيـه عاد بحـرا * وقلبــه ماله قـرار

وقوله لا تبعثوا غـير الصبا بتحيـة * ماطاب فى سمعى حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرا فيالله ما أذكاها

ووقفت له على قصيدة لامية امتدح بها الملك الافضل صاحب حماة كلها غرر فى باب التورية مطلعها

عماجرى من أدمعى لا تسألوا * فدامعى اخبارها تتسلسل

وما أحلى ماقال بعد المطلع

قال العلامة ابن حجة رحمه الله حقيقة المواربة ان يقول المتكلم مايتضمن ماينكر عليه فيه بسببه وتتوجه عليه المؤاخذة فاذا حصل الانكار عليه استحضر بحذقه وجها من الوجوه التى يمكن التخلص بها من تلك المؤاخذة امابتحريف كلمة أو تصحيفها أو زيادة أو نقص أو غير ذلك انتهى ومن لطيف ما اتفق ان شاعرا قال فان يك منكم كان مروان وابنه وعمـرو ومنكم هاشم وحبيب

فمنا حصين والبطين وقعنب
ومنا أمير المؤمنين شبيب

فلما بلغ الشـعر هشاما وظفر به قال أنت القائل

ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال ماقلت الا ومنا أمير المؤمنين شبيب فتخلص بفتح الراء بعـد ضمها ولما هجا أبو نواس جارية الرشيد بقوله

لقد ضاع شعرى على بابكم
كما ضاع حلى على خالصه

فلما بلغ الرشيد ذلك أنكر عليه وهدده فقال ماقلت الا

(لقد ضاء شعرى على بابكم
كما ضاء حلى على خالصـه)

فاستحسن الرشيد موار بته وقال بعض من حضر هذا بيت قلعت عيناه فأبصر وبالجملة فهذا التلويح كاف فى هذا الباب والموار بة الاولى وقعت بالتحريف والثانيـة بالحذف وأما بيتى المتقـدم على هـذه النبذة فان الموار بة فيه بالتصحيف والتحـريف وليس فى بديعية الصـفى الحلى وبديعية ابن حجـة الا المـوار بة بالتصحيف وموضع الموار بة من بيتى فى افنانـه وبخشى فان

المراد الباطل التاء المثناة لفوقية وفتحها والسـين المهملة فأتيت بالباء المثناة التحتية وضمها والشين المعجمة وتخلصت من المؤاخذة ولعمى قبل المواربة انتقل البيت من صيغة الى أخرى هذا مع اشتماله على ضروب من المحاسن البديعية والله أعلم (ضرب المثل) (اجرالامور على اذلالها نعمى * ترى بعينك رجه النصح فى كلمى) قال العلامة ابن حجة رحمه الله

تعالى ضرب المثل نوع بديعي لطيف من البديع ولم ينظمه في بديعيته غير الصفي الحلي وهو عبارة عن أن يأتي الشاعر في بعض بيت بما يجري مجرى المثل من حكمة أو نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثيل به كقوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة وقوله سبحانه وتعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وقوله تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها ومن السنة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم خير الامور أوسطها وقوله أيضا المرء مع من أحب وقوله أيضا المستشار مؤتمن ثم ان العلامة المذكور استطرد في ايراد جملة مستكثرة في معنى ذلك نظما ونثرا فمن منظومها قول بعضهم

(ولست بمستبق أخا لا تلمه
على شعث أي الرجال المهذب)

وقول الآخر

(اذا أنت لم تشرب مرارا على القذا
ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه)

وقول الآخر

(نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الاول)

والشعر الجيد في ذلك اليد الطولى وفي هذا التلويح كفاية في الدلالة على المقصود وقد وقع ارسال المثل في صدر بيتي المتقدم على هذه النبذة وهو قولي اجر الامور على اذلالها وهو من الامثال السائرة ولا يخفى حسن موقعه في هذا البيت على من له صناعة والله أعلم

(النزاهة)

وخذوا حديثا فقد ألم بمهجتي ۞ وازداد حتى أهملته العذل

منها

ثاني المعاطف كنت أول عاشق ۞ في حبه ولكل ثان أول
يرنو فيحلو للمتيم لحظه ۞ اذ ذاك لحظ بالنعاس معسل
ويميل منه شمائل لم أدر من ۞ مشمولة أو حركتها الشمأل
متلون الاوصاف سيف لحاظه ۞ ماض ولكن هجره مستقبل

منها قوله وأظنه سبق ابن نباتة الى معناه وهو

أيجود لي دهر بطيف خياله ۞ وأظنه برجوع ذلك يبخل
أم كيف يأتي الطيف جفنا بابه ۞ بالفتح من أرق الصبابة مقفل

وقول الشيخ جمال الدين

وأقسم لو جاد الخيال بزورة ۞ لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

ومن قصيدة الحاجبي قوله

ياساكنين السفح كيف حجبتم ۞ عن ناظري البدر الذي لا يأفل
وفعلتم بي مايسر عواذلي ۞ ماشئتم يا أهل بدر فافعلوا
لاتحجبوا بيني وبين غزالكم ۞ فعلى حجاز الصد مالي محمل

ومنها وهو المرقص والمطرب قوله

ياصاح عللني بكاس مدامة ۞ عن ذكره ان المحب يعلل
صهباء ان جن الفتى بخمارها ۞ فهي الشفاء وفي شذاها المندل

ومن لطائفه في هذا الباب قوله

لم أنس أيام الصبا والهوى ۞ لله أيام الحجا والنجاح
ذاك زمان مرحلو الجنى ۞ ظفرت فيه بحبيب وراح

تالله لقد عز على ان تحجب عني عرائس الحاجبي في خدور الاوراق فاني لم اظفر من منهله العذب بغير هذه النهلة ومن عروبة الشيخ زين الدين بن العجمي في باب التورية قوله

سهل الخدود عزيز وصل من يرم ۞ يوما جنى وجناته لم يستطع
كم رمت لثم الخد منه فقال لي ۞ لا تطمعن فكل سهل ممتنع

وقوله

حبي يمين في يمين الهوى ۞ فلا تثق منه بزور المقال
كم قال ماملت وولى وكم ۞ قد سلب العشاق روحا ومال

وقوله

وافي وفي كميه ورد أحمر ۞ حيابه مذ شب تحت لثامه
فرشفت حلو الراح من خرطومه ۞ وجنيت ورد الخد من اكمامه

وقوله

انظر الى الغدران كيف تجعدت ۞ أمواجها فزهت وراقت منظرا
وحكت سطورا في طروس خطها ۞ قلم النسيم بلطفه لما انبرى

ومن نكت مدائحه البديعة قوله في القاضي شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله تعالى

ياعمري الاصل أنت مالكي ۞ ونافعي بجوده دون البشر
لذا رفعت سندي في حكمكم ۞ لنافع لمالك لابن عمر

(عن ذم مثلك تبياني أنزهه ۞ اذ أنت عندي معدود من النعم) قال العلامة ابن حجة رحمه الله النزاهة ما وقال نظمها أحد في بديعيته غير الصفي الحلي وقد ذكر في شرح بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا وقد وقع من النزاهة في الكتاب العزيز قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم

ارنابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هـم الظالمون فان ألفاظ الذم المخبر عنها فى كلام الآية أتت منزهة عما يقع فى غير هـذا القسم من الفحش فى الهـجاء والمرض هنا عبارة عن ابطال الكفر والريبة ومن النزاهة البديعية فى النظم قول الشاعر ألم أقل لك ان القوم بغيتهم * فى ربة العود لافى رنة العود (٣٣١) لاتأسفن على الشاة التى عقرت فأنت غادرتها فى مسرح البيد

هذا القول فى فتية انكشف للناظم انهم كانوا ينالون منها القبيح فانظر معنى ضد هذه المعانى ونزاهة الالفاظ عن الفحش وقس على ذلك انتهى وقد فتح الله على بالمقصود من هذا النوع فى بيتى المتقدم على هذا التعريف ووقعت النزاهـة فيـه بشرطها المعتبر وفى انصاف ذوى الاذواق السليمة ما يغنى عن الاطالة فى بيان ذلك والله أعلم

(تجاهل العارف)

(الجهـل أغواك أم فى الطرف منك عمى أم غاب رشدك أم ضرب من اللمم)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله تجاهـل العارف عبارة عن سؤال المتكلم عما يعلـم سؤال مالا يعلم ليعلـم ان شـدة التشبيه الواقع بين المتناسـبين أحدثت عنـده التباس المشبه بالمشـبه به كقول بعضهم

ومذ بدا البـدر فى الظلماء قلت له أأنت يا بـدر أم مراى وجوههم وفائدته المبالغة فى المعنى والاستطراد فى الكلام ثم قال واعلم ان تجاهل العارف من حيث هو انما يأتى لنكتة من مبالغة فى مدح أو تعظيم أو تحقير أو توبيخ أو تقرير أو من مذلة فى الحب انتهى وعلى الجملة فهذا النوع لشهرته غنى عن الشواهد وقد أتى فى بيتى المتقدم بشرطه والله أعلم (الهزل الذى يراد به الجد) (أتعبت نفسك فى عذلى ومعذرة * منى اليك فسمعى عنك فى صمم) قال

وقال وقد اهدى له حلاوة سكب

لفضلك يا قاضى القضاة مزية * على السحب لاتخفى على من له لب

فاول جود الغيث قطر مبدد * وغيث نداك الجم أوله سكب

ويعجبنى من زهدياته قوله

عن طريق الذنوب قيدت خطوى * خيفة من عقاب عقبى التجرى

واذا لاح نهج برتانى * فيه امشى ابغى ثوابى واجرى

وقد عن لى ان أورد هنا نبذة له من المواليا فانه كان فارس ميدانها وقائد عنانها فمن ذلك قوله

للعب قالوا معنالك الذى اذ بلتو * جدلو بقبله فعقلو فيك خبلتو

فقال اقسم لوان البوس سبلتو * ومات للشرق مادرتو وقبلتو

ومن مخترعات معانيه قوله فيها

حشيش عارضك الاخضر بدا فى هدو * فى روض وجنتك يحدو للصبابه حدو

والوهم ماضر خدك يارخيم الشدو * الا لان حشيشو قد طلع فى بدو

وقوله شدوا المحامل فصرت ساعة التحميل * ملهوف لاحـل يغنينى ولا تحميل

والعين قد حلفت يا بدر فى التكميل * لاتكتحل بالكرى ان غبت عنها ميل

وقوله يامن على الخلق اذيال المكارم جر * وقد سلب نوم اجفانى وعنى فر

يحل لك ان قلبى ياغزير الدر * مالو قرار ودمعى البحر وأنت البر

وممن فتح له هذا الوصيد * القاضى فتح الدين بن الشهيد * رحمه الله تعالى فمنه قوله

بستان حسنك أينعت ثمراته * وازها غصن قوامك المياس

فى صدره رمان نهد زانه * حلى يوسوس فى صدور الناس

وقوله افدى التى ساقت حروب الهوى * بحسن ساقيها لمشتاقها

جادلت عذالى على حسنها * فقامت الحرب على ساقها

وقوله قال لاتخش رقيبى فلمن * حبنى فى زورتى أوفى نصيب

قلت ان زرت وحانت غفلة * فبودى وعمى عينى رقيبى

وقوله فى عين بعلبك ولقد أتيت لبعلبك فشاقنى * عين بها روض النعيم منعم

فلاهلها من أجلها أنا مكرم * ولاجل عين ألف عين تكرم

وقوله قاسوا حماة بجلق فاجبتهم * هذا قياس باطل وحياتكم

فعروس جامع جلق مامثلها * شتان بين عروسنا وحماتكم

فأجبته فى ذلك التاريخ عن ذلك بقولى

والله ان حماة شامة شامكم * وعروسها بمحاسن متزايده

ودمشقكم بعذارها النجلى قد * ولت شبيبتها وأمست بارده

ومن لطائف القاضى فتح الدين بن الشهيد قوله وقد احضر له عوادا يسمى طائر بغا بسفارة الحاجب توكل

نهارى انس كله بمنادم * على عوده يغزو الحشا بتبلبل

وكنت أراه طائرا عز طلبا * ولكننى حصلته بتوكل

العلامة ابن حجة رحمه الله هذا النوع هو أن يقصد المتكلم مدح انسان أو ذمه فيخرج من ذلك المقصد مخرج الهزل المعجب والمجون اللائق بالحال قال وهذا النوع ما يسبكه فى قوالبه الا من لطفت ذاته وكان له ملكة فى فن الادب قال لهذا الباب امرؤ القيس بقوله وقد علمت سلمى وان كان بعلها (٣٣٢) * بان الفتى يهوى وليس بفعال قال ابن أبى الاصبع رحمه الله ما رأيت أحسن من قوله ملتفتا وان كان بعلها انتهى وفى انصاف المتبحرين فى هذا الفن ما يغنى عن بسط الكلام فى محاسن بيتى المتقدم من مجىء النوع فيه بشروطه ورقته وسهولته وحسن سبكه وبروزه فى أحسن القوالب والله أعلم

(البسط)

اعدل وعف وقل ما اسطعت لا ترى الا كماشا وجدى حافظا ذممى

هذا النوع من مستخرجات ابن أبى الاصبع وهو عبارة عن بسط الكلام بشرط زيادة الفائدة وقد أتى فى هذا البيت بشرطه المعتبر عند ذوى الادب والله أعلم

(التورية)

تومنى الصبر عمن لى حلابهم جميع ما من حالات عشقهم

قال العلامة ابن حجة رحمه الله التورية هى أن يذكر المتكلم لفظا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورى عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة انه يريد القريب وليس كذلك ولاجل ذلك يسمى هذا النوع ايهاما ومثال ذلك قول أبى العلاء وحرف كنون تحت را ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره انقط قال العلامة فى شرحه لهذا البيت ما ملخصه سامع هذا البيت يتوهم انه يريد بدل ورا حرف الهجاء لانه بقدره بذكر الحرف واحمرار

وقال وقد حضر عنده من يلعب بالقانون واطربه

غنى على القانون حتى غدا * من طرب يهز عطف الجليس
داوى قلوبا من عليل الاسى * وكان فيها من هواها رسيس
فصاحت الجلاس عجبا به * يا صاحب القانون أنت الرئيس

ومن نكته اللطيفة التى هو أحق بها من غيره لكونه صاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام قوله

كانت فتاتى لنظم بيتى * قرينة برة أمينه
بكيتها او الحمام قامت * بالسجع فى ندبها معينه
من علم الورق ان سجعى * ليس يؤاتى بلا قرينه

ومن لطائفه وقد جهز لبعض أصحابه رسالة القلب وهى ما لا يستحيل بالانعكاس وجهز بعده قوالب سكر

رسالة القلب بها خدمتى * تقدمت فى الزمن الذاهب
وها أنا أرسل من بعدها * قوالب السكر فى الواجب
ليعلم المخدوم انى امرؤ * أخدمه بالقلب والقالب

وكتب على عمارة بيته قوله

بنيت على وفق المكارم والعلا * فللفتح أبوابى وصدرى للضم
سنا الملك يبدو من موشح زينتى * ومن أجل ذا دار الطراز على كمى

وكتب على الرفرف رفعتك ماشاء الترفه رفرفا * أزين سمائى بل أزين سماحى
فلا بدع ان الناس يروون بهجتى * ويمشون فى ظلى وتحت جناحى

وكتب على مجلس بيته

يا من ينزه فى حسنى نواظره * اسمع صفات بها قد فقت أمثالى
انى مقام مقر عز جانبه * ودون قدر مقامى المجلس العالى

ومن لطائف الشيخ عز الدين الموصلى فى باب التورية قوله رحمه الله تعالى

يقول وقد بدا قمرا وغصنا * حباه حسنه هيفا ولين
تنشق مسك أصداغى حلالا * فهذا الطيب من عرق الجبين

وقوله كالزرد المنظوم اصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته * فى الخد تقبيلا يفك الزرد

ويعجبنى من نكته الغريبة قوله

وحاجب فى الكاس أجرى دما * من ساق ساقينا باشفاق
لكنه خالف فى شرطه * وحكم الكاس على الساق (ى)

ولعمرى انه تلطف الى الغاية بقوله

اعدى سقام جفونه * جفنى فاعدمنى الكرى
حتى اعتللت بسرعة * مثل النسيم اذا سرى

ويعجبنى قوله فى باب التدبيج

خضرة الصدغ والسواد من العيـ * ـن بياض المشيب قد أورثانى

وانبع ذلك بالرسم والنقط وهذا هو المعنى القريب والمراد غيره وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقريب لان مراده بالحرف الناقة وبالنون تشبيه الناقة به فى التقويس وا ضمور وبالراء اسم الفاعل من دلا يدلو اذا رفق فى السير وبالرسم آثار الدار وبالنقط المطر قالت حذاق الادب تراكيب التوريه فى هذا البيت بالنسبة الى ديباجة المتأخرين وما أحقه القائل

واحمرار الدموع صفر خدى • كل ذا من تلونات الزمان

وقوله حديث عذار الحب بادوساقه • له أوجه تبدى لقلبى اشتياقه
درى اننا نسعى الى الحسن كلنا • فابدى لناذلك الحديث وساقه

وقوله يامقلة الحب مهلا • فقد أخذت بثارك
وأنت ياوجنتيه • لا تحرقينى بنارك

وقوله حديث عذار الحب فى خده جرى • كمسك على الورد الجنى مسطرا
فقبلته حتى محوت رسومه • كأن لم يكن ذاك الحديث ولا جرى

وقوله عينى أفاضت دموعى • من طول صد وبين
ووجنة الحب قالت • رأيت غسلى بعين (ى)

وقوله عاتبت حبى على تأخره • وقد رمى برجة الردف
فقال هذا الثقيل أخرنى • عن سرعتى لانقطاعه خلنى

وقوله لحديث نبت فى العذار حلاوة • وطلاوة هاجت بها العشاق
فاذا تجافى المردقات تمهلوا • فاليكم هذا الحديث بساق

وقوله هجروك البيض لما • نصل الصبغ فضرك
كشف الدهر المغطى • ياجميل الستر سترك

وقوله ذو حور أصابنى • بعينه لما نظر فليس قتل صبه • الا كلمح بالبصر

ومن لطائف مجونه قوله

وبى ناتف للعارضين يقول صف • نبات عذار زان فى الحسن منظرى
فناديت ياحلو الشمائل ما الذى • يقول لسانى فى النبات المكرر

وقوله لما جفا المحبوب ناديته • قابلت حبى منك بالبغض
فمذ هانام على وجهه • وقال وجهى منك فى الارض

وكنت أظن ان هذه النكتة اختراع الشيخ عز الدين الموصلى الى أن وقفت على الديوان الكبير من نظم الشيخ جمال الدين بن نباتة فوجدته قد أخذها منه بنصها اللهم الا أن يكون وقع حافر على حافر وقول الشيخ جمال الدين فى هذه النكتة

عاتبت محبوبى وقد نكته • بطعاء فاضحى خجلا مغضى
فقلت در بسنى وخل الحيا • فقال وجهى منك فى الارض

ومن لطائف مجون الشيخ عز الدين قوله

قد لقبوا بالزاغ ذاحنكة • كواه ذا التلقيب فى القلب داغ
وهو غراب البين فى شؤمه • لكن اذا جئنا الى الحق زاغ

وقوله فى قمع الدمشقى

وذى أدب لطيف الذات جدا • طلبت الوصل منه فما قنع
ودب لاخذ ارى قلت من ذا • فنادانى باشفاق قمع

وقوله مذنام ارى قال لى • أفه يحظى بالوصول

وما مثله الا كفارغ حمص خلى من المعنى ولكن بفرقع قال ومن التوريه قول النبى صلى الله عليه وسلم حين سئل فى مجيئه الى بدر فقيل له ولمن معه فمن أنتم فلم يردان يعلم السائل فقال من ماء أراد انا مخلوق من الماء فورى عنه بقبيلة يقال لها ماء انتهى والتوريه أربعة أنواع مجردة ومرشحة ومبينة ومهيئة فالمجردة مثل قوله صلى الله عليه وسلم المتقدم فانه لم يذكر فيها لازم من لوازم المورى به وهو المعنى القريب ولا من لوازم المورى عنه وهو المعنى البعيد فصارت مجردة بهذا الاعتبار والمرشحة هى التى ذكر فيها لازم من لوازم المورى به قبل لفظ التوريه أو بعده فمن شواهد القسم الاول وهو ماذكر لازمه قبل لفظ التوريه قول بن دانيال الحكيم

ياسائلى عن حرفتى فى الورى • وضيعتى فيهم وافلاسى
ما حال من درهم انفاقه • يأخذه من أعين الناس

الشاهد هنا من أعين الناس فانه يحتمل الحسد وضيعة العين وهذا هو المعنى القريب المورى به وقدم لازمه على جهة الترشيح وهو درهم فانه من لوازم الحسد ويحتمل العيون التى يلاطفها بالكحل وهذا هو المعنى المورى عنه ومراد الناظم الكامل ومن شواهد القسم الثانى وهو ماذكر لازمه بعد لفظ التوريه قول الشاعر أقلعت عن رشف الطلا • واللثم فى ثغر الحبب وقالت هذى راحة •

شوق للقلب المتعب الشاهد هنا الراحة فانها تحتمل الراحة التي ضد التعب وقد ذكر التعب بعدها على جهة الترشيح لها وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ومراد الناظم والمبينة هي ما ذكر فيها الازم المورى عنه قبل لفظ التورية أو بعده فمن شواهد الاول وهي التي يذكر فيها الازم المورى عنه قبل لفظ التورية قول البحتري خود بتشديد الوشاح مليه •

فقلت فيه قصر • فقال ذا شئ يطول

وممن عاصر الشيخ عز الدين الموصلي ومشى تحت علم التورية علاء الدين بن ايبك الدمشقي وكان المتعصبون على الشيخ عز الدين يناظرونه به ولعمري ان هذه المناظرة ما صدرت ممن له نظر في نكته البديعة قوله وقد اجتمع بمليح في متنزه من متنزهات دمشق يعرف بالسلطاني

سلطان حسن افتديه بناظري • واعيذه من نظرة الشيطان
يوما بزهر اللوز لما زارني • قضيت ذاك اليوم بالسلطان

وقوله

احببت من حياله وجنة • مشرقة حمراء شبه اللهب
قالوا الشهيدية اعطافه • فقلت والردف تليل الذهب

وقوله

أقول وقد ظمئت ووجه حبي • له عرق على ورد الخدود
أرى ماء وبي ظمأ شديد • ولكن لا سبيل الى الورود

ومن لطائف مجونه قوله

تلطف واحتمل مزح الغواني • وان أوجعن منك الظهر دقا
وجيدك ان يلاقي الصفع فاصبر • فان الجيد في الدنيا ملقى

ومن نظم الشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا في باب التورية قوله

شهدت جفون معذبي بملالة • مني وان وداده تكليف
لكنني لم أرض عنه لانه • خبر رواه الجفن وهو ضعيف

وقوله

تقول وقد أتتني ذات يوم • مخبرة عن الظبي الجموح
يسرك ان أروح اليه أجري • فقلت لها خذي مالي وروحي

ومن لطائف مجونه قوله

يا معشر الاصحاب قد عن لي • رأي يزيل الحمق فاستظرفوه
لا تحضروا الا بأخفافكم • ومن تثاقل بينكم خففوه

وقوله

تصفحت ديوان الصفي فلم أجد • لديه من السحر الحلال مرامي
فقلت لقلبي دونك ابن نباتة • ولا تقرب الحلي فهو حرامي

الشيخ جمال الدين رحمه الله تعالى أراد بالسحر الحلال الذي ما وجده في ديوان صفي الدين التورية لا غير وما ذاك الا ان الشيخ صفي الدين كان أجنبيا منها ولهذا لم أنظمه في سلك القوم الذين مشوا في نظم التورية تحت العلم الفاضلي والعلم النباتي وغايته انه رضي بالشعر الساذج المنسجم وتعرض للتورية في بعض المواضع ولكن سبكها في غير قالبها الا انه لم يكن في طباعه وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى ومن نظم الشيخ جلال الدين غفر الله له والمعنى في مراده ومفهوم قوله

ذكر المصطفى ثلاثين دجا • لا يجيئون في قيام الساعه
فيهم أعور وقد صح بالبر • هان أن جا كواحد من جماعه

ويعجبني قوله في آثار النبي صلى الله عليه وسلم

يا عين ان بعد الحبيب وداره • ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل • ان لم تريه فهذه آثاره

بالحسن تملح في العيون وتعذب
الشاهد في تملح فانه يحتمل ان يكون من الملاحة التي هي العذوبة وهذا هو المعنى القريب المورى به ويحتمل أن يكون من الملاحة التي هي عبارة عن الحسن وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ومراد الناظم وقدم في لوازمه على جهة التبيين مليه بالحسن ومن شواهد الثاني التي يذكر فيها الازم المورى عنه بعد لفظ التورية قول الشاعر

أرى ذنب السرحان في الافق ساطعا
فهل ممكن ان الغزالة تطلع

الشاهد في البيت في موضعين ذنب السرحان فانه يحتمل أولا ضياء الفجر وهو المعنى البعيد وهذا هو المورى عنه ومراد الناظم وقد بينه بذكر لازمه بعده بقوله تطلع ويحتمل الحيوان المعروف وهذا هو المعنى القريب المورى به والمهيئة لا تتهيأ الا باللفظ الذي قبلها أو باللفظ الذي بعدها أو تكون التورية في لفظتين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر فهي اذن ثلاثة أقسام الاول الذي تتهيأ فيه التورية بلفظة من قبلها ومن شواهده قول ثناء الملك يمدح الملك المظفر قال

وسيرك فينا سيرة عمرية • فروحت عن قلب وفرجت عن كرب
وأظهرت فينا من سميك سنة • فاظهرت ذاك الفرض في ذلك الندب

الشاهد في الفرض والندب فانهما يحتملان أن يكونا من الاحكام الشرعية وهذا هو المعنى القريب المورى به ويحتمل ان يكون الفرض

بمعنى العطاء والندب صفة الرجل السريع فى قضاء الحوائج الماضى فى الامور وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية فيهما ولا فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهما التورية الثانى الذى تتهيأ فيه التورية بلفظة من بعد وشاهده قول من قال

مت لما نأت فها انا منذو * ب فراق وحبه مفروض

الكلام على هذا الشاهد كالكلام على الذى قبله الثالث الذى تقع فيه التورية فى لفظتين لولا كل منهما لما تهيأت التورية فى الآخر وشاهده قال

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمانى

الشاهد فى الثريا وسهيل فالثريا تحتمل اسم امرأة وهى ثريا بنت على بن عبد الله بن الحرث بن أمية الاصغر وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وتحتمل النجوم المعروفة بالثريا وهذا هو المعنى القريب المورى به وكذلك سهيل يحتمل اسم الرجل وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ويحتمل النجم المعروف وهذا هو المعنى القريب المورى به فى كل واحد منهما هيئ صاحب التورية وبالجملة فالاستطراد الى ايراد شئ من محاسن التورية يخرج عن المقصود وشهرة هذا النوع تغنى عن الاكثار من الشواهد وقد حكمت التورية المرشحة فى بيتى المقدم على هذه النبذة وظهرت ظهور النهار فلا تحتاج الى دليل وبالله التوفيق (التصدير) (لم يا عذول وشاهد حسنهم فاذا * شاهدته واستطعت اللوم بعد لم) قسمه المعتز ثلاثة أقسام الاول ما وافق آخر كلمة فى البيت آخر كلمة فى صدره أو كانت مجانسة لها كقول الشاعر

يلقى اذا ما كان يوم عرمرم * فى جيش رأى لا يفل عرمرم

الثانى ما وافق أول كلمة فى البيت آخر كلمة منه

ومن لطائف شمس الدين بن المزين فى باب التورية ما أنشدنيه من لفظه لنفسه

مدير الكاس حدثنا ودعنا * بعيشك من كؤسك والخبيث
حديثك عن قديم الراح يغنى * فلا تسقى الانام سوى الحديث

وأنشدنى من لفظه لنفسه أيضا

ومليح لالاه يحكيه حسنا * فهو كالبدر فى الدجى يتلالا
قلت قصدى من الانام مليح * هكذا هكذا والا فلالا

ومن نكته اللطيفة قوله

قالت للاحدب لما * ان رأى الوجد علانى
أنا أبقى وبوجدى * فيك يا احدب فانى

وقد تقدم القول ان النكتة فى التاجر اسنفقها الشيخ جمال الدين بن نباتة على الصلاح الصفدى وعلى زين الدين الوردى وهى

وتاجر أسكرنى طرفه * والكاس فيما بيننا دائر
وقال لى سرك ذا ق اسقنى * جهرا على عينك يا تاجر

ومن نكته المخترعة قوله

شاب ورد الرياض من * ورد خدك وانفرك
فله الناس اثبتوا * وانتفى الورد للكرك

ورسم الجوبانى وهو اذ ذاك كافل المملكة الشامية لفضلاء دمشق ان ينظموا له ما يكتب على اسنة الرماح فنظم القاضى فتح الدين بن الشهيد

اذا الغبار علا فى الجو عثيره * فأظلم الجو ما للشمس أنوار
هذا سنانى نجم يستضاء به * كأنه علم فى رأسه نار
ان الرماح لاغصان وليس لها * سوى النجوم على العيدان أزهار

ونظم مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى نور الله ضريحه وكان اذ ذاك فى عنفوان شبابه ومبادى نظمه

النصر مقرون بضرب أسنة * لمعانها كوميض برق يشرق
سبكت مالتسبك كل خصم مارق * وتطرقت لمعاند يتطرق
زرق تفوق البيض فى الهيجاء اذ * يحمر من دمها العدو الازرق
ينسجن يوم الحرب كل كتيبة * تحت الغبار فنصرهن محقق

ولعمرى ان الشيخ شمس الدين بن المزين تطاول برمحه على أقرانه فى ذلك العصر بقوله

أنا أسمر والراية البيضاء لى * لا للسيوف وسل من الشجعان
لم أحل فى عيش العداة لاننى * نوديت يوم الجمع بالمران
واذا تعانقت الكماة بجحفل * كلتهم فيه بكل لسان
فقتالهم غنما نساق الى الردى * قهر المعظم سطوة الجوبانى

وكتبت من حماة المحروسة حسب ما رسم لى به قولى

أنا فى الخط ان تحمر نقطى * فكأنى مقاتل الفرسان
وقوامى اذا انثنى ففرد * ماله فى تفرق الجمع ثانى

وهو الاحسن كقول بعضهم سكران سكر هوى وسكر مدامة * فمتى يفيق فتى به سكران فان قل اللفظ اشتراكا كانه هو غاية كقول الشاعر ذوائب سود كالعناقيد أرسلت * فمن أجلها منا النفوس ذوائب والاكثر في هذا النوع ان تكون الكلمة في العجز عين الكلمة في الصدر لفظا الثالث ماوافق (٣٣٦) آخر كلمة في البيت بعض كلماته في أي موضع كان وأصحاب البديعيات مانظموا الا القسم الثاني وهو ما وافق آخر كلمة في الاول كلمة منه واتبعتهم في ذلك في بيتي المتقدم على هذا التعريف والله أعلم

(مالا يستحيل بالانعكاس)

(اني أنل عرفن فرع لنا نبأ من الملام وحشيه بوصفهم) أورد الحريري في مقاماته جملة معتبرة من هذا النوع نظما ونثرا وجاء من ذلك في الكتاب العزيز كل في فلك وربك فكبر ومن كلام الناس أرض خضرا وقول العماد وقد قدم عليه القاضي الفاضل سر فلا كبا بك الفرس فاجابه الفاضل على الفور بقوله دام علا العماد ومن كلام منثور لقاضي القضاة شرف الدين البارزي سور حماه بمحروس والذي وقع عليه الاجماع ان أبلغ الشواهد الشعرية على هذا النوع قول الارجاني

مودته تدوم لكل هول
وهل كل مودته تدوم

البيت الذي نسجت البديعيات على منواله قول بعضهم ارانا الاله هلالا أنارا وفي هذه اللمعة كفاية للمسترشد وقد فتح الله علي بالمقصود من هذا النوع في الشطر الاول من بيتي المتقدم وعلى هذا المنوال نسجوا البديعيات والله أعلم وقوله

(تألف اللفظ والمعنى) (وأمزج ملامك بالذكرى فان بها * تعللا لعليل الشوق من الم) أوضح هذا النوع ابن أبي الاصبع وقال عبارة عن هذه التسمية ان تكون ألفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى ان كان اللفظ جزلا كان

وسناني كالبرق بل صارمه * قاب سيف البروق في خفقان
رمحه للردين ينسب لكن * صاح لما علاه يا لسنان

ومن اغراض الشيخ شمس الدين المزين اللطيفة قوله

حمل الدواة فرمتها * منه مرامة عاشق
قالت اذن ما أنت يا * قلم الديار بلائق

ومن لطائف مجونه قوله

سلماني اضافنا * لبناماله ثمن
بيض الله وجهه * كلما جاء باللبن

ومن مقاطيعه التي سارت لديها الركبان قوله

أنا دواة يحك الجود من * بكار اعي جل من قدراه
دلوا على جودي من مسه * داء من الفقر فاني دواه

ومن اغراضه اللطيفة قوله

نزلنا بالقصير فرام قلبي * مليحا بالعذارى الغيد أزرى
فلما ان تعذر مال عنه * فؤادي والجوانح نحو عذرا

ومن مدائحه المخترعة ما أنشده لشيخنا ومولانا قاضي القضاة علاء الدين بن القضامي الحنفي نور الله ضريحه وقدم على دمشق متوجها الى الحجاز الشريف في محفة قوله

محفة المجلس العلائي * تنشر جدوادي في المشاهد
تقول هذا قفي وأعطى * وحج بالناس وهو قاعد

وأمر ابن المزين ان يكتب على قبره من نظمه ماقرأته على القبر وحفظته وهو قوله رحمه الله

بقارعة الطريق جعلت قبري * لاحظى بالترحم من صديقي
فيامولى الموالي انت أولى * برحمة من يموت على الطريق

ومما قررته للشيخ شرف الدين عيسى العالية في باب التورية قوله رحمه الله تعالى

لما رأوه مضاجعي تحت الدجا * حجبوه عن عيني حتى اسهرا
قبلت خالا فوق كعبة خده * قبل الوداع وما أتيت المشعرا

وقوله

ومليحة راودتها فتعللت * بالحيض وهي تقول كالمذعور
هل موضع خال فقلت لها اسكني * فواضعي ليست تعدو دوري

ومن لطائف مجونه قوله وهو حكاية حاله

قالت لي الفروة قم دفني * حتى ادفيك بقلبين
قلت لها بالله ماتشتهي * قالت غشا قلت على عيني

ومن مجونه مع الشيخ بدر الدين البشتكي

البشتكي المكدي * ذو ابنة ليس تخفى
قدمد للنيك رجلا * وللغلائق كفا

وقوله

ايا معشر الصحب مني اسمعوا * مقالي وكس أم من يشتكي
ألا فالعنوا آكلين الحشيش * وبولوا على شارب البشتكي

وقوله البشتكى البدر له لحية * كلحية الراهب مشعوره
قال أنا أشعر هذا الورى * قلنا له فاستعمل النوره

ويعجبنى من مدائحه قوله
تهنأ بنصف كم به من حلاوة * وجدلى بفضل لا يضيع ثوابه
فان لسانى صارم وفى له * قراب وأرجو أن يحلى قرابه

ومن شعر عيسى فى مؤلفه من قصيدة
صبيغ دعاويه ما تنقضى * ويخطئ فى القول لا يشعر
تفكرت فيه وفى ذقنه * فلم أدر أيهما أحمر

وقوله أيا رب الجناب الرحب جدلى * وكثر فى العطاء ولا تقلل
وما تعطيه لى من خشكنان * نهار العيد كبر أو فهلل

وقوله لفضلك يا ابن فضل الله أشكو * برأسى البرد فى يومى وأمسى
وأرجو أن يكون الشاش شمسا * أروم الفوز من برد بشمس

الشيخ شرف الدين عيسى وعصريه الشيخ شهاب الدين بن العطار الآتى ذكره رحمهما الله تعالى والشيخ بدر الدين البشتكى لم أجد فى أغزالهم من المقاطيع ما يغازل بغزله عيون التورية ولكن وقفت لهم على أغراض هى فوق الغرض فمن ذلك قول الشيخ شهاب الدين بن العطار
أصبحت بطال والاولاد أربعة * محمد ثلاث موتهم يجب
فان تحيل فى رزق بعد حكم * ابو محمد البطال لا عجب

ومن ايهامه فى هذا الباب قوله
طلبت رزقا قيل رح ناظرا * جيوش سيس قلت رأى تعيس
لو ان ذى الحكام فى سلطة * ما طلبوا انى ابقى بسيس

وقال فى الشيخ شرف الدين عيسى المذكور
عيسى ومن مدحوه * ماشمت فيهم رئيسا
وما رأيت اناسا * لكن حميرا وعيسا (وعيسى)

وقوله فى طاهر بن حبيب
تجادل شافعى مع مالكى * وهذا البحث بين الناس ظاهر
فقال الشافعى الكلب نجس * وقال المالكى الكلب طاهر

ومن لطائف مجونه قوله هيأ البلان موسى * خلوة تحيى النفوسا
قلت ما اصنع فيها * قال تستعمل موسا (موسى)

ومن محاسن الشيخ جمال الدين عبد الله السوسى فى باب التورية قوله
اهوى غزالا عليه صبرى * قد بان فى الحب وهو عذرى
قد اسرت مقلتاه قلبى * فرحت مملوكه بأسرى

وقوله تهاون شمس الدين بى وهو صاحب * وأظهر لى أضعاف ما تظهر العدا
زلت به ابغى الندى وهو طالع * وعند طلوع الشمس يرتفع الندى

وقوله زجرت النفس عن نذل لئيم * اقرعو عدى غلطا و أنكر
وقد ذكرته عنه مرارا * وهيهات المؤنث لا يذكر

وقوله تجنب اقطعا اصاحبنا * يحن الى الجناية كل ساعة
وما قطعوه بعد الوصل الا * ارادوا كفه عن ذى الصناعه

قوله فى الهامش قبله خزلان هكذا فى الاصل وصوابه جزلا اه مصححه

المعنى فخما أو رشيقا رقيقا كان المعنى غريبا انتهى وبيتى المتقدم مستوعب لما شرطه

﴿التفويف﴾

(كر وأعد اطرب ابسط ثن غن أجب قل سل جد ترنم بر من دم)

قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله اشتق التفويف من الثوب المفوف الذى فيه خطوط بيض وهو فى الصناعة عبارة عن اتيان المتكلم بمعان شتى من المدح أو الغزل أو غير ذلك من الاغراض عن كل فن فى جملة منفصلة عن أختها مع تساوى الجمل فى الوزنية ويكون بالجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة فمثال ما جاء منه بالجمل الطويلة قول النابغة الذبيانى
فلله عينا من رأى أهل قبة * أضر لمن أدعا وأكثر نافعا
وأعظم أحلاما وأكبر سيدا * وأفضل مشفوعا اليه وشافعا

ومن محاسن الصاحب فخر الدين بن مكانس فى باب التورية قوله

بابى عقيقة مرشف * برت وكانت قبل عقت
فلثمتها ورشفتها * وقطعتها من حيث رقت

ومنه قوله
يقول مفندى اذ همت وجدا * بخد دخلت فيه الشعر غلا
اتعرف خده للعشق اهلا * فقلت لهم نعم أهلا وسهلا

وقوله
زارت معطرة الشذا ملفوفة * كى تختفى فابى شذا العطر
يا معشر الادباء هذا وقتكم * فتناظموا فى اللف والنشر

وقوله
علقتها مشوقة خالها اذ عمها * اذ عمها بالحسن قد خصصا
يا وصلها الغالى ويا جسمها * لله ما أغلى وما أرخصا

وقال وأجاد

ان الهوا بين يا معشوق قد عبثا * بالروح والجسم فى سر وفى علن
فالروح تفديك بالممدود قد تلفت * والجسم حوشيت بالمقصور فى كفن

وقوله مضمنا
ومقلة ظبى برشق القلب سهمها * ولكنه رشق يزال به الهم
على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم

وقوله
عارض المحبوب من فو * ق صفاء الخدفاتن
شبه ورد زاد لطفا * حول ماء غير آسن

وقوله فى مجونه مضمنا

قلت يا لائمى على بذل مالى * فى هوى الحب دع كلام الفشار
فعلى فلس ذا ينام ويبكى * لا على درهم ولا دينار

وقوله
شكى الى اليتم اذ نكته * مراهق فيه حلا هتكى
بت أسليه على يتمه * وكلما سليته يبكى

وقوله
سكر الشيخ وطابا * واشتهى الشيخ شبابا
حسب الخمرة صابا * وجد الراح شرابا

وقوله يمازح السراج السكندرى وقد انقطع عنه

قل للسراج اذا تكبر حيث بالقوم احتمى * أنت السراج بعينه * لو شلت انفك للسما

ومثله قوله فيه

ياذا السراج اشترى ارى فانت به * أولى وذلك للحق الذى وجبا
سكندرى وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ما قام وانتصبا

وقال فى الصاحب بن النشو الوزير وقد أنشأ سبيلا بالجامع العمرى

أنشأ القطيم النشو لما ارتقى * وزارة زادته فى وزره
بالجامع العمرى سبيلا وقد * قال لنا عنه بنو مصره
هذا سبيل حاله فاسد * وزيره يرشح من قعره

ومن اغراضه البديعة قوله

لولا الزمان للمعالى قابل * ما سلسلوا واطلق كل جدول
واصبح الدولاب فى رياضه * يقول بالدور وبالتسلسل

ومن اغراضه الغريبة قوله فى ولده مجد الله بن فضل الله رحمهما الله تعالى

ومثال ما جاء بالجمل المتوسطة قول الوليد زيدون
ته احتمل واستطل اصبر وعز أهن
وول اقبل وقل أسمع ومر أطع
ومثال ما جاء منه بالجمل القصيرة قول المتنبي
أقل انل اقطع احمل عل سل أعد
زد هش بش تفضل ادن سر صل
اه تقرير العلامة المذكور ووضوح النوع فى بيتى المتقدم ظاهر والله أعلم

﴿الادماج﴾

﴿أعد حديث أحبائى فهم عرب
قد أعرب الدمع فيهم كل منعجم﴾

قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله الادماج هو أن يدمج المتكلم غرضا له فى جملة معنى من المعانى قد نحاه ليوهم السامع انه لم يقصده وانما عرض فى كلامه لتتميم معناه الذى قصده كقول عبد الله بن

اری ولدی قد زاده الله بهجة * وكمله فی الخلق والخلق مذ نشا
سأشكر ربی حيث اوتيت مثله * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ومن بدائع أمداحه قوله فی الشهيد فخر الدين نقيب الاشراف رحمه الله تعالى

جناب فخر الدين كهف الورى * دامت له النعماء لا تنقضی
فهو الشريف الحسن المرتضى * وخلقه ذاك الشريف الرضی

وقال يمدح الامام المرتضى علی بن أبی طالب كرم الله وجهه

يا ابن عم النبی ان اناسا * قد تولوك بالسعادة فازوا
أنت للعلم فی الحقيقة باب * يا اماما وما سواك مجاز

و يعجبنی من حسن خواتمه قوله

واسوأتاه اذا وقفت بموقف * ما مخلصی فيه سوى الاقرار
وسواد وجهی عند أخذ صحيفتی * وتطلعی فيها شبيه القار (ی)

ومن محاسن ولده مجد الدين بن فضل الله تغمده الله برحمته قوله

واغيد بت منه * بنار شقيه اقلی
رمی من اللحظ سهما * بغوت ونبلی (لا)

وقوله قالوا وقد عبثت بنا * قاماتهم والاعينا
ان رمت تلقانا فلج * بين السيوف والقنا

وقوله يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنّا كم المطلوب قلنا لهم منّا
فقالوا الناعو صواعلی قده وما * يحاكی اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

وقوله بحق الله دع ظلم المعنی * ومتعه كما يهوى بأنسك
وكف الصد يا مولای عمن * بيوم ملك رحت تهجره وامسك

وقوله قال خلی لحبيبی صل فتی * بك قد أضحى معنى مغرما
قال هل يولم ان واصلته * قلت ان فاز بثغر أولما

وقوله يا لائمی ان فقدت الصبر فی قمر * أصداغه سلبت أهل الهوى وسبت
كانت سيوف اصطباری عنه حين بدا * آس العذار على وجناته ونبت

وقوله من مجيری من سادة ألفوا الهجـ * ـر لعشاقهم وزادوا النفارا
سأل الدمع ان يجيروه قالوا * مثل هذا فی حينا لن يجارا (ی)

ومن اختراعاته اللطيفة

تساومنا شذى أزهار روض * تحير ناظری فيه وفكری
فقلت نبيعك الارواح حقا * بعرف طيب منه ونشر (ی)

ومن أغراضه اللطيفة قوله

سعقا الذی نظم يهجو من البغا * و يشير فی هجو الكرام عجاجا
أقصيته عنی فظل يبنی * ومنعته اری فذم وهاجا (ی)

ومن مدائحه يهنئ والده بعوده من السفر

هنئت يا ابتی بعودك سالما * و بقيت ما طرد الظلام نهار
ملئت بطون الكتب فيك مدائحا * حتى لقد عظمت بك الاسفار

وقال فيه أيضا وقد أهدى له هدية حسنة

تناهيت فی برى الى أن هديتنی * ولولاك كنت الدهر فی الغی ساريا

عبيد الله بن عبدون لعبد الله بن سليمان بن وهب حين وزر المعتضد وكان ابن عبد الله قد اختل حاله فكتب الى ابن سليمان قال

ابا دهرنا اسعافنا فی نفوسنا
واسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلنا له نعماك فيهم اتمها
ودع امرنا ان المهم المقدم

فادمج شكوى الزمان فی ضمن التهنئة وتلطف فی المسألة مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال انتهى وقد فتح الله علی بالمقصود من هذا النوع فادمجت شرح الحال فی هواهم فی التعريف بهم وابرزت ذلك فی الطف عبارة وارشق سبك وبالله التوفيق

﴿الاستخدام﴾

﴿واستوطنوا السر منی فهو منزلهم
ولم أفوه به يوما لغيرهم﴾

قال العلامة ابن حجة رحمه الله اختلاف العبارات فی الاستخدام علی طريقتين

وأهديت لى ماحير العقل حسنه * فلازلت فى الحالين للعبد هاديا

ويعجبنى من زهدياته قوله

جزى الله شيبى كل خير فانه * دعانى لما يرضى الاله وحرضا

فأقلعت عن ذنبى وأخلصت تائبا * وأمسكت لما لاح لى الخيط أبيضا

ومن كلام الشيخ أبى الفضل بن أبى الوفاء العارف الذى دخل بحسن سلوكه الى زوايا الادب فاخرج منها الخبايا وأظهر البرهان تغمده الله برحمته قوله

عبدك الصب المعنى * عرف الفقر وذاقه

فلكم فاخر محتا * جاشكا فقرا وفاقه

ومن مخترعاته فى باب التورية مع بديع التضمين قوله

ماخادم واسمه فى در مبسمه * الاغن غضيض الطرف مكحول

وريقه مع ثناياه التى انتظمت * كأنه منهل بالراح معلول (مع لولو)

ومن اختراعاته قوله

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما

حمى ورد خديه حماة عذاره * فياحسن ريحان العذار حماحما (حمى حمى)

ومثله قوله أرسلت عينى بدمعهما * بين يدى من قد تمادى جفاه

أسأله فى فمه قبلة * فلم يملاه ولم يعطفاه (يعطفاه)

ومثله قوله سألتها رشف ريق * مستعذب الطعم حلو

قالت فصفنى ارتجالا * فقلت بعد التروى

ومن لطائف نكته فى هذا الباب قوله

ازداد خدك شعرا * فازداد قلبى حبا

اذ كان وردك جرى * فيه فصار مربى

ومن لطائفه قوله

ألا لا تلومونى فلست بمقلع * اذا انحدرت من كأسها الراح فى حلقى

سأوى الى بحر من الخمر مترع * احط المراسى عنده فامل لى واسق (وسق)

وقوله ذكرك لى فى اللوم مستحسن * واللوم عندى غير مستحسن

كم قلت للمعرب فى لومه * ان جئت نحوى قط لاتلحن (نى)

ومن لطائف مجونه مع حسن التضمين

وخل سمته صفعا بمال * فقال تواز عوه ياصحابى

اذا الحمل الثقيل توازعته * اكف القوم هان على الرقاب

ومن اغراضه قوله تعنت دهر لج فينا بخطبه * وذللنا من بعد عز وأنكانا

قساوانثنى يختال فى جبروته * وجر أذيالا علينا وأردانا

وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ شمس الدين المتنبى قوله فى مليح اسمه حمزة

ترى يبدو لحمزة بعض مابى * ويرثى لى وينظر فى بلافى

واشفى بالمبرد من لماه * واجمع بين حمزة والكساء (ى)

ومن لطائف علامة الوجود فريد الدهر بدر الدين بن الدماميني المخزومى المالكى قوله

قلت له والدجا مول * ونحن فى مجلس التلافى

قدعطس الصبح ياحبيبى * فلا تشمته بالفراق

وقوله

الاولى طريقة صاحب الايضاح ومن تبعه ومشى عليه أكثر الناس وهو أن الاستخدام لفظ مشترك بين معنيين فتريد بذلك اللفظ احد المعنيين ثم تعيد عليه ضميرا تريد المعنى الآخر او تعيد عليه ضميرين تريد باحدهما احد المعنيين وبالآخر المعنى الآخر والطريقة الثانية طريقة الشيخ بدر الدين بن مالك رحمه الله فى المصباح وهو ان الاستخدام مشترك بين معنيين ثم تأتى بلفظين يفهم من احدهما احد المعنيين ومن الآخر المعنى الآخر ثم ان اللفظين قد يكونان متأخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين وقد يكون اللفظ المشترك متوسطا بينهما والطريقتان راجعتان الى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين وهذا هو الفرق بين التورية والاستخدام فان المراد من التورية هو احد المعنيين وفى الاستخدام كل من المعنيين مراد واستشهد العلامة على طريقة الايضاح بقول القائل

وقوله يقول بديوان الحجبة وردوا * محاسن حبى فهو فى الحسن مفرد
فوردت فى الديوان عامل قده * فقال وذاك الخد قلت مورد

وقوله وبى وجنة حمراء زاد صفاؤها * وأبدت صفات أبدع الحسن كونها
فدع لائمى ينهى عن الحب جهده * فما أنا بالى صفاها ولونها (نهى)

وقوله ياعذولى فى مغن مطرب * حرك الاوتار لما سفرا
كم تهز العطف منه طربا * عندما تسمع منه وترى (ا)

وقوله اذاب احشائى هوى صائغ * قلت له والقلب رهن لديه
انى على فيك أرى خاتما * فهل ترى يقعد نقشى عليه

وقد زاد النكتة حسنا بقوله

بدا وقد كان اختفى * وخاف من مراقبه
فقلت هذا قاتلى * بعينه وحاجبه

وقوله أمنيتى أنت يامليح * مامثله فى الزمان ثانى
فكيف تبدى جفاك خوفا * وأنت فى غاية الامان (نى)

وقوله وعز الجمال أوجب ذلى * وهواه على أصبح فرضا
فهو فى الحسن والجمال سماء * صرت ياصاح منه بالذل أرضا (ضى)

وقوله تناسبت أوصاف من وصله * ينفى عن القلب جميع الكرب
فى الخد تسهيل ومن ثغره * يطيب للصب ارتشاف الضرب

وقوله لاماعذاريك هما أوقعا * قلب المحب الصب فى الحين
جد له بالوصل واسمح به * ففيك قد هام بلامين

وقوله قلت لعطار به صبوتى * محمودة والصبر لا يستطاب
أسقيتنى كاس غرام به * ذبت ومن فيك ترانى الشراب

وقوله لله منه ملثم أشنب * قد طاب فيه العشق للمغرم
قلت لعذالى لاتعجبوا * طيب الهوى مازال فى الملثم

وقوله فى ليلة البدر أتى * حبى فقرت مقلتى
وقال لى يابدر قم * فقلت هذى ليلتى

وقوله قم بنا نركب طرف اللهو سبقا للمدام
واثن ياصاحى عنانى * لكميت ولجام (ى)

ومن اغراضه اللطيفة قوله

أقول لخل جن من فرط ماله * ورابى فأسق الناس كاس عذاب
صفاتك ياهذا لعمرى تناقضت * فانك ذومال وأنت ترابى *

ومن مدائحه ما كتب به الى قاضى القضاة ناصر الدين التنيسى قوله

قد نلت ياقاضى القضاة مطالبى * بكنوز جود منك أورثت الغنى
وأخافنى الدهر الظلوم فمذ رآ * نى داعيا لجناب جودك آمنا

ومن مدائحه فيه قوله وقد ولاه وظيفة العقود فى مبادى العمر

ياحاكما ليس يلفى * نظيره فى الوجود
قد زدت فى الفضل حتى * قلدتنى بالعقود

وكتب الى برهان الدين المحلى

اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا فلفظة السماء يراد بها المطر وهو أحد المعنيين والضمير فى رعيناه يراد به المعنى الآخر وهو النبات وعلى طريقة ابن مالك بقول الله تعالى لكل أجل كتاب يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فلفظة الكتاب تحتمل أن يراد بها الاجل المحتوم والكتاب المكنون وقد توسطت بين لفظة أجل واستخدمت أحد مفهوميها وهو الامد بقرينة ذكر الاجل واستخدمت المفهوم الآخر وهو الكتاب المكتوب بقرينة يمحو وعلى الضميرين بقول البحترى

فسقا الغضا والساكنيه وانهم
شبوه بين جوانحى وضلوعى

قوله فى الملثم هو فى النسخ بالثاء وبها تتم التورية والمعروف فى الريح التى تهب من ناحية الشمال النآء وعليه فلا تورية اهـ

ياسر يامعروفه ليس يحصى * ورئيساذ كابفرع وأصل
مذعـلا فى الورى محالك عزا . * قلت هـذا هو العزيز المحل (ى)

وكتب الى شهاب الدين الفارقى

قل للذى أضحى يعظم حاتما * ويقول ليس لجوده من لاحق
ان قسته بسماح أهل زماننا * اخطا قياسك مع وجود الفارق (ى)

ويعجبنى من اغراضه البديعة قوله

لئن عقدت بنت الكروم عقودها * على حل نفى الهم والهم زائد
فنحن شـهود فى المقام لعـقدها * على أولياء اللهو واللوز عاقد

ومن لطائف مجونه قوله

أمنت صـدوده فدنوت منه * على مهل بشئ زاد حسـنا
وعاجلنى الرقيب فخاف ارى * وازل اذ رأى خوفا وامنا (امنى)

ومما اختاره سيدنا الشيخ العالم العلامة أبو الفضـل أحمد بن حجر العسـقلانى روى الله من سحاب الرحمة ثراه من نظمه لنفسه رحمـه الله تعالى فى باب التورية ورسم لى ان يكون واسطة لهذا العقد وكتب ذلك بخطـه الكريم فى كراسة واتحف بها العبد لأنظمها فى عقود هذه الاسلاك وكتب فى ديباجة الكراسة قوله ياسـيدا طالعـه * ان راق معناه فجد
وافتح له باب الرضا * وان تجد عيبا فسد

وقوله سالت من لحظه وحاجبه * كالقوس والسهم موعدا حسنا
ففوق السهم من لواحظه * والقوس الحاجبان واقترنا (وقترنا)

وقوله سألوا عن عاشق فى * قربادسناه * أسقمته مقلتاه * قلت لا بل شفتاه

وقوله أتى من أحبائى رسول فقال لى * ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا * فصار عزيزا حين ذاق هوانا

وقوله ضنيت جوى فواصلنى حبيبى * وعاد الى الجفاء فعاد مابى
فقلت أعـدوصالا قال كلا * فها أنا ذيت من رد الجواب (الجوى بى)

وقوله مع بديع الاقتباس

خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما رأوا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لأصون سرهواكـم * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وقوله ياعاذلى وسـهام اللحظ ترشقنى * عن قوس حاجب بدر خدّه قبسى
ان تسـتطع لنجاتى فى الهوى سببا * فاستنبط السلم لى من أسهم وقس (قسى)

وقوله ولم أنس اذزار الحبيب بروضة * فغارت من المعشوق أعينها المرضى
ولاحت بخدا لورد حمرة خجلة * حياء رأينا طرف نرجسـها غضا

وقوله يامبدعا فى حسنه واصل انا * همته عام وماواصلتنا
فقال هل صيف فى مشـتاته * قلت نعم وفى هموم شتى

وقوله محبوبتى واصلتنى * والهم عنى تشتت
وذاب قلب حسودى * لما وفت وتفتت

وقوله احبب بوقاد كنجـم طالع * انزلتـه برضا الغرام فؤادى
وأنا الشهاب فلا تعاند عاذلى * ان ملت نحو الكوكب الوقاد

وقوله نحن أهل الهوى بلوناه قدما * بين خوف من أهله وأمان

فان لفظة الغضا محتمـلة للموضع والشجر فلما قال والـا كنيـه استعمل أحـد معـنى اللفظ وهو دلالتها بالقرينـة عـلى الشجر انتهى وقد فتح الله على بالمقصود من هـذا النوع فى بيتى المتقدم على هـذه النبذة فان لفظة السر محتمـلة القلب والكلام المستودع فلما قلت فهو منزلهم استخدمت أحـد معـنى اللفظ وهو دلالتـه بالقرينـة على القلب ولماقلت ولا أفوه استخدمت المعنى الآخر وهو دلالته بالقرينة على الكلام المستودع وبالله التوفيق

﴿المقابلة﴾

(بدا الصـدود ببعدى عن جوارهم
فعاد وصـل بقـربى من محلهم)

قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله المقابلة أعم من الطباق وذكر بعضهم انها أخص وذلك ان تضع معانى تريد الموافقة بينهـا وبين غـيرها فتأتى فى الموافق

وشربنا خمر الهوى كل حين * بكؤس قد اترعت وأوان (نى)

وقوله ورشامذ نشاوعينا التصابى * بعدما كان ذا اشتباه علينا
وجهلنا الغرام حتى أرانا * منه تحت اللثام خدا وعينا

وقوله سرت وخلفتنى غريبا * فى الربع أصلى جوى بنارك
اغث حشا احرقت غراما * فى ربعك المعتلى ودارك

وقوله وبدر تم جميل * محجب بالدلال
اذا هممت بانى * اسلوه واه بدالى

وقوله نهانى حبيبى ان اطيع عواذلى * لكى أنتهى بالوصال الذى سرا
فقلت فدتك النفس سمعا وطاعة * فلم ارنهيا منه اهنى ولا أمرا

وقوله واهيف حيانى بطيب وصاله * ومن ريقه الخمر الحرام حلالى
ادار لى الكأسين خمرا وريقة * ونزهنى عن جفوة وملال (لى)

وقوله تجرد من احب فقال لى من * يلوم واظهر الحسد المكتم
اجاد لك الحبيب بلمس جسم * له كالخز قلت نعم وأنعم

وقوله تيه فلان الدين مع فقره * اقوى دليل أنه جاهل
لثوبه بالصقل من فوقه * قعاقع ماتحتها طائل

ومن اغراضه اللطيفة قوله

اشكو الى الله مابى * وماحوته ضلوعى
قد طابق السقم جسمى * بنزلة وطلوع

وقوله وهو مما كتبه على مجموع الكرمانى

نظرت لما سطرته من فوائد * لها الفضل اذ وافت محاسنها يعزى
فلله ما سطرت منه الخاطرى * فلم يكف طرفى منه شئ ولا أجزا

وقوله قد جئت فى علم الاصول لناوفى * علم الفروع بخالص الابريز
وبرزت فى هذا وفى هذا على الر * ازى بالاحسان والتبريز (ى)

ويعجبنى من وعظياته قوله

يا أيها الشيخ المطيع هواه دع * هذى الدعاية قد اتى داعى الردى
وخيوط هذا الشيب لاتنسج بها * ثوب التصابى فهى ماخلقت سدى

وقوله خليلى ولى العمر منا ولم نتب * وننوى فعال الصالحين ولكنا
فحتى متى نبنى بيوتا مشيدة * واعمارنا منا تهد وماتبنى (تبنا)

ومن نظم الشيخ بدر الدين البشتكى رحمه الله فى هذا النوع قوله

بدا بوجه جميل * قد شرف الحسن قدره
فى شمسه كل صب * يود يبذل بدره

هذا الذى ظفرت به من اغزاله فى هذا الباب ومن مجونه قوله

وانى بذقن بعد أن * قاسيته حلوا ومرا
فقبضت لحيته وايسرى فى استه وهلم جرا

وقال من كتابه المسمى برفع شان العمشان

اقول لنا نف خديه مهلا * اترضى اللاائطين مدى الدهور
فدع نتف العوارض عنك كيما * تنالك بلحية مثل الحرير (ى)

بما وافق وفى المخالف بما خالف أو تشترط شروطا وتعد أحوالا فى المعنيين فيجب ان تأتى فى المثل بمثل ماشرطت وعدت كقوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المقابل لقوله استغنى قوله تعالى واتقى لان معناه زهد فيما عند الله واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وذلك يتضمن عدم التقوى انتهى ومن الامثلة الشعرية قول أبى الطيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وانثنى وبياض الصبح يغرى بى

قابل أزور بانثنى وسواد ببياض والليل بالصبح ويشفع بيغرى ولى بقوله بى وهذا البيت من أبلغ الشواهد على صحة المقابلة وهو من مقابلة خمسة بخمسة ويعجبنى

ومثله قوله فى الشيخ بدر الدين بن الدماميني المخزومى

تبا لقاض جار فى احكامه * حتى على المنثور والمنظوم
خان الشريعة مذ اطاع بنى وفا * وانقاد للفساق كالمخزوم (مى)

ومن مدائحه قوله

وقاس الورى بالنيل نائلك الذى * حلا وصفا والنيل يبدو من نقا
فقلت وهل ينقاس من خلقه الوفا * بمن بالوفا فى العام يوما تخلقا

وكتب اليه سيدنا ومولانا قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر العسقلانى فى رمضان

أليس عجيبا بأنا نصوم * ولا نشتكى من أذى الصوم غما
ونرغب والله فى نسكنا * اذا نحن لم نرو نثرا ونظما

فأجابه بقوله

الا يا شهابا يرقى فى العلا * فامطرنا نوءه العذب فطرا
الى فقرة منك يا فقرنا * ونستغن ان قلت نظما ونثرا (ى)

ومما فضل لى من صبابات هؤلاء الفضلاء فى مناهل التورية قولى

هو يته أعجميا فوق وجنته * لامية عوذتها أحرف القسم
فى وصفها ألسن الاقلام قد نطقت * وطال شرحى فى لامية العجم (ى)

وقولى

خال الحبيب يقول لى لما بدا * من تحت عارضه كسر غامض
أنا فارضى فى الغرام بخده * فغدا مقامى تحت ذيل العارض

وقولى

عزمت على السلو لطول هجرى * فجاءتنى عوارضه تعارض
وكان العذر يقبل فى سلوى * ولكن ما سلمت من العوارض

وقولى

دورة العارض عنى حجبت * برشقة من جفنه مشتقة
فاترك ملامى يا عذولى اننى * قتلت بين دورة ورشقة

وقولى

ولما رآنى الشعر وهو مذيل * وجانب ذاك الصدغ وهو مطرف
بدا بخمار من خمار ريقه * فقلت لهم هذا الجناس المحرف

وقولى

أقول لثغر الحب مت ولم أجد * سبيلا الى برد الحشا يا أخا الصفا
فقال ارتشف من خمر ريقى نهلة * ألم تره من برده قد تقرقفا

وقولى

لما تعذر من أحب تعذر الصبر الجميل فلم أطق ان أصبرا
قال العذول الصبر أعظم مسعد * فى العشق قلت اماتراه تعذرا

وقولى مع بديع الاقتباس

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت * تلوين دمعى بعد فرقة حبه
لكن به لما سمعت تباخلت * فغدت مطوقة بما بخلت به

وقولى فى مدح حماة

ذكرت أحبتى بالمرج يوما * فقوت أدمعى نيران وهجى
وبت أكابد الاحزان وحدى * وكل الناس فى هرج ومرج

وقولى فيه أيضا

مرج حماة بنواعيره * زاد على المقياس فى روضته
واغتاظ غرو ذدمشق لذا * فقلت لا أفكر فى غيظته

وجلست يوما فى قطاف السفرجل على عين الغيضة الموصوفة بست الشام مع جماعة من أهل العلم والادب فنظم كل منهم ما يليق بذلك المقام على قدر مقامه فنظمت قولى

تقول ست الشام لما غازلت * بعينها فانعشت حياتى
وانتقشت بمرجها وابرزت * نهدا حلا لانه نباتى

قول الشرفى مستوفى اربل على رأس عبد تاج عزيزينه وفى رجل حرقيدذل بشينه والامثلة كثيرة وفى هذا التلويح مايدل على المقصود وقد اشتمل بيتى المتقدم على هذه النبذة على النوع والمقابلة فيه واضحة فى بدا فعاد والصدود بوصل وبعدى بقربى وعن بمن وجوارهم بعدلهم وهو أيضا من مقابلة خمسة بخمسة

﴿ائتلاف اللفظ والوزن﴾

(أحبة ما لقلبى غيرهم أرب وحبهم لم يزل يربو من القدم)

قال قدامة هو ان تكون الافعال والاسماء تامة ولم يضطر الشاعر فى الوزن أيضا الى نقصها عن التشبيه ولا الى الزيادة ولا الى التقديم ولا الى التأخير ومنهم من قال هذا النوع لا مثال له بصورة معينة لانه عبارة عن أن يضطر الشاعر الى ما يلزمه من فساد صورة

خـذني بغـير ضرة فانني * بديعة في الحسن والصفات
واستجلني عروسـة يتيمة * شاميـة وعش بلا حاجة

وقولي في وادي رشعين وعينه بظاهر مدينة طرابلس

ارض وادي رشعين مفتوحة العيـن لها نقطة عـلى النـيرين
* ماحللنا هنالك الاوقات * اجلسوهم على محاجر عيني

وقولي بوادي المنافس بظاهرها أيضا

وادي المنافس من مغنى طرابلس * بطيب أنفاسـه أبدى نفائسـه
وكاد يلحق بالشـقرا وبلقها * فـلا تـلوموا اذا قوي منافسـه

وقولي برأس العين ببعلبك

ولما نزلنا بعلبك تفكهت * عيوني بأذواقي وصلت على البين
وطالبتها يوما رؤية مرجـها * وخضرته قالت على الرأس والعين

ومن اغزالي البديعة قولي

ماس في الروض وانثني * بخـــدود مورده
* فـرأينا غصونه * وهي خشب مسـنده

وقلت مورياً مقتبساً ومكتفياً

قالوا وقد فرطت في تصبري * وماري بوصله سـقاما
اصبر عسى تـحتي بما ريقه * قلت لهم ياحسرتا على ما

وقولي ارخت لنا ذوائبا من شعرها * عشراً وفرق الفجر فيهم يسري
فصرت بالفجـر لها معوذا * لما بدا بـين ليال عشر *

وقولي مورياً مع بديع التضمين

سرنا وليـل شعره منسدل * وقد غـدا بنوم نامضـفرا
فقال صبح ثغـره مبتسما * عند الصباح يحمد القوم السرى

وقولي قف واستمع طرباً فليـلى في الدجا * باتت معانقـتي ولكن في الكرى
وجرى لدمـعي رقصـة بخيالها * اترى درى هـذا الرقيب بماجرى

وقولي كم صحت في ظلمـة الليالي * ويلاه من نومي المشرد
والدمع في وجنتي ينادي * اواه من شملي المبـدد

وقولي يقول مـعذبي حسن تخـير * سواي فقلت قد عز اصطباري
وكم في الناس من حسن ولكن * عليك لشـقوتي وقع اختياري

وقولي ارشـفني ريقـه وعانقني * وخصره يلتوي من الدقـه
فصرت من خصره و ريقته * أهيم بين الفـرات والرقه

وقولي ابصر وا عند وداعي * عقد هار هو مفرط
لمتها في ذاك قالت * برح الشوق وافرط

وقولي سجـدت جفوني هيبـة لما بدا * محراب حاجبـه بغير حجاب
الله أكبر وهو يغزو مهـجتي * حرباً ولم أخرج عـن المحـراب

وقولي طلبت منـه قبـلة فقال لي * وقد بدا يشرع في الاعـراض
نسيت فعل سيف لحظي قلت لا * ياقاتلي وكيف أنسى الماضي

وقولي قيـل لي لما عرتني شـدة * وتناهى فـرج عن مده

المعـنى وذهاب رونق الفضل كقول الفرزدق
وما مثله في الناس الا مملكا
أبو أمه حي أبوه يقاربه
فان اضطرار الوزن حمله على ارادة السبك انتهـى الكلام على هذا النوع وفي انصاف ذوي الاذواق مايغني عن الاطناب في بيتي المتقـدم على هـذه النبذه والله أعلم (تأليف المعنى والوزن)

﴿لزمت صدق ولاهـم والتزمت به
فلست أسـلوه الا عن سلوهم﴾

قال العلامة ابن حجة رحمه الله هو أن تأتي المعاني صحيحة لا يضطر الشاعر في الوزن الى قلبها عن وجهها ولا اخراجها عن صحتها كقول عـروة بن الورد

فديت بنفسـه نفسي ومالي
وما الوه الا ما أطيق

فانه أراد بقـوله فـديت بنفسه نفسي ومالي فالجأته ضرورة الوزن الى قلب المعنى ومتى كان الشعر

يا أخا الاشواق ماذا تبتغى * قلت أبغى فرجا من بعد شده

وقولى مذ جفانى ممرض القلب ولم * الق فى الضعف وفى الكسر انجبارا
قلت للعارض يا آسى اذا * درت دارى ممرض القلب فدارا

وقولى طلبت تقبيل من أحب وقد * أنكرت فى الخد نقطة حسنه
فرق لى قلبه وقال اذا * قبلت خدى لا تنكر الحسنه

وقولى موريا ومضمنا
حثنت عزمى شوقا اليكم * فلم أطق مكثه بأرض
وحيث لم احظ بالتلاقى * فغايتى أن ألوم حضى

وقولى جاء بصبح ثغره مبتسما * يمشى بليل الشعر فى دلال
قلت له دمت لقلبى هكذا * مادامت الايام والليالى

وقولى مرتجلا فى جبهة دمشق من دوبيت
لما ملأ الجبهة بالانوار * لمناه على ذلك خوف العار
قال انصرفوا سمعت من بلدتكم * والجبهة من منازل الاقمار

وقولى مذ أظهر ورده لنا ريحانه * ناديت لتلك المقلة الكسلانه
قد دب عذاره على وجنته * قومى انتهى قالت أنا نعسانه

وقولى أحببته متأدبا ونظمت فى * حسن ابتدائى فيه نظم المرقص
وأشار فى حسن الختام أحبته * حسن الختام يكون بعد تخلصى

وقولى يحاضرنى بابيات ولكن * يعيرنى اذا طال اجتماعى
فان أنشدت أشعار السلام * يطارحنى بابيات الوداع (عى)

وقولى قلت للخال اذ بدا * فى نقا جيده السعيد
فزت يا عبد قال لى * انا عبد لكل جيد

وقولى قال أراك الحمى تعوض * بغصن قدى اذا جفاكا
فقلت من بعد قد حبى * والله ما اشتهى أراكا

وقولى رمت يوم العيد منه وقفة * ليرى من بعده حالى وضعفه
فطر القلب وولى قائلا * يا معنى ما العيد الفطر وقفه

وقولى قال نهد الحب صفنى مذ غدا * قاعدا فى الصدر بالتصدير يجهر
قلت اذ برز فى تحقيقه * أنت بالتحقيق والله مصدر

وقولى أسياف لحظ قاتلى * لما تعددت حدها
وعربدت من سكرها * قلت استحى فردها
وقال لى موريا * لابد أن أحدها

وقولى عاتبته ودموعى غير جارية * لان دمعى من طول البكى نشفا
فقال لم أروكف الدمع قلت له * حسبك الله يا بدر الدجا وكفا (وكفى)

وقولى قالت وقد قبلتها فى جيدها * تصبو الى غيرى وتخلص من يدى
فاجبت حين تقلدت بمدامعى * ياهند خوضى فى دمى وتقلدى

وقولى بنقطة الخال وطعم اللمى * وخضرة الشارب يا عاتبى
قدمات للنقطة بعد التقى * وقات بالمشروب والشارب

وقولى ارداف من أهواه قد تشاقلت * لما تجا فى الشعر يوم البين

سلما من مثل هذا كان من الشعر الذى ائتلف معناه ووزنه انتهى واشتمال بيتى المتقدم على النوع الذى هو تألف المعنى والوزن ظاهر فلا يخفى والله أعلم (الابداع)

﴿ حلوا بقلبى وحلى جود منهم جيدى وشكر الايادى مسمعى وفمى ﴾

قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله الابداع هو أن يأتى الشاعر فى البيت الواحد من الشعر أو القرينة الواحدة من النثر عدة ضروب من البديع ومتى لم يكن ذلك فليس بابداع انتهى وقد اشتمل بيتى المتقدم على النوع بشرطه فانه جمع بين الجناس المطلق فى حلوا وحلى والجود والجيد والمسمع والفم والتورية فى لفظة وحلى وحسن البيان والسهولة والانسجام وتالف اللفظ والوزن وتالف الوزن والمعنى والمناسبة والابسط والابداع الذى عليه

وبعد ذا وجنته تلونت • وساقه والله ذو وجهين

وقولى رامة لى ظبى • تخشى الاسود مرامه
كم هام قلبى فيه • بين العذيب ورامه

وقولى هويت غصنا لاطيار القلوب على • قوامه فى رياض الوجد تغريد
قالت لواحظه انا نسود على • بيض الظبا قلت انتم أعين سودوا (د)

وقولى قلت له ان جفن مقلته • يشبه سهما بجعبة رشقه
خفت من القتل رحت أملقه • سابقنى مدمعى جرى ملقه

وقولى فى سويداء مقلة الحب نادى • لحظه وهو يقنص الاسد صيدا
لا تقولوا امافى السويدا رجال • فانا اليوم من رجال السويدا

وقولى بروحى أفتدى ظبيا نفورا • يحق له بروحى أن يفدى
جلا لصدا قلبى فرد يوم • بوصل منه ثم جفا وصدا

وقولى مورّيا مضمنا
ومذ كانت جسمى سيوف لحاظها • شكوت اليها قصتى وهى تبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها • ولم ترقبلى ميتا يتكلم

وقولى جاد النسيم على الربا • بندى يديه وقال لى
انا ماقصرت عن ندى • وكما علمت شمائلى

وقولى رأيت مع المنثور بعض وقاحة • ولم أدر ما بين الغدير وبينه
تلوّن منه ثم مد أصابعا • الى وجهه قصدا وخضر عينه

وقولى حبابها عاصرها فى كأسها • مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا • قلت اسقنيها ياامام العصر

وقولى لما غدا حباب كأسى شاعرا • لنظم خمرياته يحرر
أوقفت ساقينا على نظامه • فقال لى والله هذا جوهر

وقولى لما غدا راحى بخيلا باليا • وكاد أن لم يلن فى الزجاج
وجاز بالماء الى بحرانه • ورق قالوا صنه بالعلاج
خننته مستقصيا اعراضه • وجدته معتدل المزاج

وقولى فى حب كأسى لامنى • من ليس يدرى حالتى
فقلت دعنى اننى • وجدت فيها راحتى

وقولى مماجنا أعنابكم ان حرموا ماءها • وحرفوا فيها على الشارب
لا تحرمونى التين انى امرؤ • أعشقه بالقلب والقالب

وقولى أدخلت ايرى فيه • أصبت منه المقاتل
فقالت كيف تراه • فقال والله داخل

وقولى العالم ابن الكوير قال معى • لطف وظرف حواهما الكرم
وقامتى بانة مهفهفة • فقلت لابانة ولا علم

وقولى قالوا صفى الدين اشعاره • ماللورى فى طرقها مشى
وهكذا انشاؤه مسكر • قلت لهم والله ماأنشا

وقولى ديوان نظمى جاء وهو محرر • برقيق نظم لفظه يستعذب
فاذا بدى لاتنقلوا نجمه • وحياتكم فيه الكثير الطيب

الناس وغير ذلك من أنواع البديع والله أعلم

{التفريع}

ما بهجة الشمس فى الآفاق مشرقة
يوما بأبهج من لألاء حسنهم

قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله التفريع هو أن يصدر المتكلم أو الشاعر كلامه باسم منفى بما خاصة ثم يصف الاسم المنفى بمعظم أوصافه اللائقة به فى الحسن أو القبح ثم يجعله أصلا يفرع منه جملة من جار ومجرور متعلق به تعلق مدح او هجاء أو فخر أو نسبة أو غير ذلك يفهم من ذلك مساواة المذكور بالاسم المنفى الموصوف انتهى ماقرره العلامة فى هذا النوع وأما الشواهد فاورد منها جملة نظما ونثرا منها قول الاعشى

ماروضة من رياض الانس معشبة
خضراء جاد عليها مسبل هطل
يوما باطيب منها طيب رائحة

انتهى ما أوردته في باب التورية من كتاب الله وحديث نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام أصحابه رضي الله عنهم أجمعين ومن نظم فحول العرب والمولدين الى أن ارتفع العلم الفاضلي وأوردت محاسنه ومحاسن من مشى تحت علمه المجدي الى أن اتصل هذا السند بأعيان أهل العصر قلت ولولا الحياء من العصابة النباتية وأتمامها لعززت العلمين من الوداعي بثالث فأوردت هنا من مطرب عطر مفرداته ما يغني عن المثاني والمثالث فانه أحد أئمة هذا المذهب واذا ذكرت التورية فهو عذيقها المرجب وعلى كل تقدير ففرسان العلمين المشهورين الفاضلي والنباتي هم الذين أبرزوا عروس التورية من خدرها وحققوا للناس من تساذج عن نقرش القاعدة وسفل عن علو قدرها ولم أخل بذكر الشهاب محمود وكان محمود الحشمة في ألفاظه على كل ناظم وناثر الا أن التورية كانت غير مذهبه ووقوعها في نظمه ونثره من النوادر وتمذهب بها القاضي شهاب الدين بن فضل الله ولكن ما تفقه في هذا المذهب ولا حرره ولا أبدر فيها بدر الدين بن حبيب وكانت لياليه سطورها بنظمه غير مقمرة وهذا أخذ مها حذاق الادب وحافظوا على الخدمة وثابروا وأنشدوا من رضي بالشعر الموزون

اذا كنت لا تدري سوى الوزن وحده * فقل أنا وازن وما أنا شاعر

قلت ومما تخيرته من نظم القاضي شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله من النكت التي وقعت له عفوا من غير كد ولا تكلف قوله

جاءوا بأنواع من الطيب لنا * تحملها معشوقة ممشوقه
قلت خذوا الطيب لكم جميعه * بشرط أن لا تأخذوا المعشوقه

ومما اخترته من نظم بدر الدين بن حبيب رحمه الله تعالى قوله

وجنته الحمراء لما اكتست * خضرة أذناب الطواويس
عابوا لفرط الحسن دينارها * فقلت خلوه على كيسي

قلت وقد عن لي أن أورد هنا نبذة من نظم من كانت التورية غير مذهبه لاجعلها في مهالك الاشكال وموانع العقادة حل مطلبه وما على ممن تأخر عصرا أو تقدم فان الغرض أن يصير عقد التورية وهو بنظم من شعر بها منظم وما خفي أن من حذاق الادب من وقعت له التورية عفوا وصار العفو محلا عند القدرة ومنهم من نقب عنها وعس عليه ظلام التكليف فلم يبرزها نيرة كالشيخ صفي الدين فانها كانت غير مذهبه وحاولها مرارا فأتى بها مغصوبة ولم يبلغ من اقتناص شواردها بحبائل فكره مطلوبه كقوله

وساق من بني الأتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
أملكه قيادي وهو رقي * وأفديه بعيني وهو ساقي

قلت لا شك ان مراده بالمعنى الواحد من التورية ساقي الراح وهو ظاهر صحيح وبالمعنى الآخر ان يكون هذا الساقي ساقا للشيخ صفي الدين وهو غير ممكن ولعمري ان هذا مسلك من ليس له في باب التورية مدخل وهذه النكتة أبرزتها معلمة الطرفين وأنا اذ ذاك مبتدئ لم أبلغ من البلاغة أشدي ولا ثبت عند قضاة الادب رشدي بقولي موريا مضمنا

يا حسن ساق يقول ان ذهبت * مدامكم تكيفوا بأحداقي
شمر عن ساقه لنا وسقى * فقامت حروب الهوى على ساق

قلت ومما عقده الشيخ صفي الدين في هذا الباب بيت بديعيته الذي نظمه شاهدا على هذا النوع وهو قوله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

خير النبيين والبرهان متضح * في الحجر عقلا ونقلا واضح اللقم

قلت ومن تواريه التي يستشهد بها على رفضه ولا بد ان الله تعالى يقابله فيها على قبح سريرته وقلة أدبه

ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل
يضاحك الشمس فيها كوكب شرق
موزر بعميم النبت مكتهل

قال العلامة وأكثر ما يقع الاصل في بيت أو أكثر والتفريع بعد ذلك اما قريب منه أو بعيد وقد وقع الاصل والفرع لابي تمام في بيت واحد في قوله

ما ربع مية معمورا يطيف به
غيلان أبهى ربا من ربعها الخرب
ولا الخدود وان أدمين من خجل
أشهى الى ناظري من خدها الترب

وعلى هذا أسس أصحاب البديعيات والتفريع واضح في بيتي المتقدم والله أعلم

﴿القسم وجوابه﴾

(لا مكنتني المعالي من سيادتها
ان لم أكن لهم من جملة الخدم

قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله هو أن يريد الشاعر الحلف على شئ فيأتي في الحلف بما يكون

قوله اذا شاهدت عيناك وجه معذبى * وقد زارنى بعد القطيعة والهجر
رأيت بقلبى من تلقيه مرحبا * وسيف على فى لحاظ أبى بكر

وكذلك الشيخ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن جابر الاندلسى ناظم البديعة كان عن نظم التورية بمعزل ولم ترض أن تنزل من أبياته بمنزل وبيت نظمه فى بديعته شاهدا على هذا النوع فى غاية العقادة والسفالة وهو قوله

لا يرفع العين للراجين منهم * بل يخفض الرأس قولا هاك فاحتكم

وهذه البديعة غالبها سافل على هذا النمط والتورية تجل عن أن تكون من مخدرات هذا البيت ولكن أورده الشيخ أبو جعفر فى شرحه الذى كتبه على بديعته ماهو منقول فى هذا الباب وهو قوله وقفت للوداع زينب لما * رحل الركب والمدامع تسكب
مسحت بالبنان دمعى وحلو * سكب دمعى على اصابع زينب

قلت ورتبة الشيخ صفى الدين بالنسبة الى ابن جابر معلوم انها عالية ولكن التورية مادخلت الى بيت من بيوته الا خرجت غير راضية ومن التوارى التى وقعت لناظمها عفوا بل سحرا من غير كد قول القائل قاسوك بالغصن فى التثنى * قياس جهل بلا انتصاف
فذاك غصن الخلاف يدعى * وأنت غصن بلا خلاف

ومن ذلك قول جلال الدين شاعر ماردين قديما

ويوم برد يد أنفاسه * تخمش الاوجه من قرصها
يوم تود الشمس من برده * لجرت النار الى قرصها

ومثله قول شرف الدين بن منقذ

ورب ليل ناه فيه نجمه * وقطعته سهرا فطال وعسعسا
وسألته عن صبحه فاجابنى * لو كان فى قيد الحياة تنفسا

ومثله قول ابن نبيه وكانت التورية غير مذهبه

تعلمت علم الكيمياء بحبه * غزال بجسمى ما بعينيه من سقم
فصعدت أنفاسى وقطرت أدمعى * فصح بذا التدبير تصفية الجسم

ومثله قول ظهير الدين بن البارزى

يا لحبة الحب التى * طال لها تلفتى
هل أنت مسك الترك او * هل أنت مسك تبت

ومثله قول أمين الدين السليمانى

اضيف الدجا معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ماخص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

ومثله قول محاسن الشواء

ولما أتانى العاذلون عدمتهم * ومامنهم الا للعمى قارض
وقد بهتوا لما رأونى ساهيا * وقالوا به عين فقلت وعارض

ومثله قول سعد الدين الفارقى

قف بى على نجد فان قبض الهوى * روحى فطالب خد ليلى بالدم
واذا دجا ليل الفراق فناده * يا كافرا أحللت قتل المسلم

ومثله قول شهاب الدين بن أبى الحوف

أقول له قد أذهل الطرف حسنه * على جيد خود وصلها كل مقصودى

مدحاله أو معايكسوه فخرا أو يكون هجاء لغيره أو وعيدا أو جاريا مجرى التغزل والترقق انتهى وأمثلة هذا النوع كثيرة منها قول مالك بن الاشتر النخعى

بقيت وفرى وانحرفت عن العلا
ولقيت أضيافى بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة
لم تخل يوما من ذهاب نفوس

وقول الآخر

ان كان لى أمل سواك أعده
فكفرت نعمتك التى لا تكفر

وقول بعضهم

جنى وتجنى والفؤاد يطيعه
فلا ذاق من يجنى عليه كما يجنى
فان لم يكن عندى كعينى ومسمعى
فلا نظرت عينى ولا سمعت أذنى

لم يصرح هذا القائل واللذان قبله بصورة قسم بحسب اللفظ وانما قوة الكلام ونحواه يدل لان

أخذت نظاماراق معنى فقال لى * ومازلت فى عمرى أدورعلى الجيد

ومثله قول ابراهيم بن عبد الله الغرناطى

يارب كأس لم تشج شموالها * فاعجب لها جسما بغيرمزاج
لما رأينا السحرمن اشكالها * جلا نسبناه الى الزجاج

ومثله قول مجير الدين بن حيان الشاطبى

تؤمون الحجاز وماءلستم * بان القلب بيتكم العتيق
والفاظى العذيب واضلعى المنحنى ودموع مقلتى العقيق

ومثله قول الشريف محمد بن قاضى الجماعة بغرناطه وهو

حدائق أنبتت فيها الغوادى * ضروب النور رائقة البهاء
فما يبدو بها النعمان الا * نسبناه الى ماء السماء

ومنه قول لسان الدين بن الخطيب

جلس المولى لتسليم الورى * ولفضل البرد فى الجو احتكام
فاذا ماسالوا عن يومنا * قلت هذا اليوم برد وسلام

ومنه قول الشيخ شمس الدين الادفوى

كم للنسيم على الربا من نعمة * وفضيلة بين الورى لن تجحدا
مازارها وشكت اليه فاقة * الاوهزلها الشمائل بالندا

ومثله فى الحسن واللطف قول الشيخ موفق الدين الحكيم

لله أيامنا والشمل مجتمع * نظما به خاطر التفريق ماشعرا
والهف قلبى على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

ومنه قول عبد العزيز الا مدى

ان الذى فى وجهه جنة * حفت بمكروه من العذل
مقلته فى وسط قلبى غدت * أرملة تأكل بالغزل

ومنه قول القائل وأجاد

ويد الشمال عشية مذ أرعشت * دلت على ضعف النسيم بخطها
كتبت سقيما فى صحيفة جدول * فيد الغمامة صححته بنقطها

ومثله فى الحسن قول علاء الدين بن البطريق ناظر الجيش ببغداد

دار السراج بديعة * فيها تصاوير بمكنه
تحكى كتاب كليلة * فترى أراها وهى دمنه

ويعجبنى فى هذا الباب قول القائل فى حمام

ان حمامك التى نحن فيها * أى ماء لها وأية نار
قد نزلنا فيها على ابن معين * ورويناعنه صحيح البخار (ى)

ومن المخترعات فى هذا الباب قول الشيخ شمس الدين الواسطى يهجوعوادا وزامرا

شبهت ذا العواد والزامر اذ * ضاقت علينا بهم المناهج
بعقرب يضرب وهو ساكت * وارقم ينفخ وهو خارج

ويعجبنى قوله من دو بيت

ان ضرمنى بجذوة التذكار * حبى ورى عظمى شكرت البارى
فالعاذل فى هواه لا عقل له * ما أبلد عاذلى وأذكى نارى

عليه وعلى هذا مشى غالب الشعراء واتبعهم فيه أصحاب البديعيات ووافقهم ووقع النوع بشرطه المعتبر عندهم فى بيتى المتقدم على هذه النبذة ونظر المتبصرين فى هذا الفن يغنى عن الاطناب والله أعلم

﴿حسن البيان﴾

(بفضلهم غمرونى من فواضلهم
بما عجزت به عن حق شكرهم)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله حسن البيان عبارة عن الابانة عما فى النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس والمراد منه اخراج المعنى الى الصورة الواضحة وايصاله الى فهم المخاطب بأسهل الطرق وقد تكون العبارة عنه تارة من طريق الايجاز وطورا من طريق الاطناب بحسب مايقتضيه الحال وهذا بعينه وصف البلاغة وحقيقتها انتهى ومن الشواهد قول الشاعر
لحظات فى خفاء سريرة

ومنه قول القاضي علاء الدين بن الجويني صاحب الديوان ببغداد

يا طيب مبيتنا بوادي السمر * في بهجة ليلة بضوء القمر
واني بفراقنا نسيم سحرا * ما أبرد ما جاء نسيم السحر

ومن الغايات في هذا الباب قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل

كم قال معاطفي حكتها الاسل * والبيض سرقن ما حوته المقل
والآن أوامري عليهم حكمت * البيض تحد والقنا تعتقل

ومثله قوله
يا غاية منيتي ويا معشوقي * من بعدك لم أمل الى مخلوق
يا خير نديم كان لي يؤنسني * من بعدك صليت على الراووق

ويعجبني من نظم المواليا في هذا الباب قول القائل

حبي ومحبوبتي مذ بان يوم البين * زاروا عشا ليلة الاثنين قبل الحين
فصرت أنظر الى زينه وأمح زين * وأقول يا قلب ما احلى ليلة الاثنين

ومثله في اللطف قول الآخر

سمعتها وهي داخل دارها في الصحن * تنشد رمل صحنت قلبي المعنى صحن
يا ليتها مع تغنيها وطيب اللحن * ترفع أجرودع يدخل على اللحن

ومثله قول الآخر

قالت لها أختها قصدي يسمعنا * ما النحو قالت لها نحن باجمعنا
للرفع والنصب أنا واتي ومن معنا * للجر والزوج حرف جاء للمعنى

ومنه قوله
ستي الكبيرة لها الخدام والحرمه * تحلف على النيل بالمصحف وبالختمه
جاها الطواشي أفشخت لو نالك من كمه * راحت بمين القواقيه على قرمه

ومثله في اللطف قول القائل

يا منيتي زدت اهواتي تنشفها * واحرمتني الشفة الحمراء ارشفها
تحب بيضا واجفانك تحشفها * بالله انظرطلا ماتي وكشفها

ويعجبني قول الشيخ حامد الحكاك

ثار الغرام الذي في مهجتي خامد * وسال دمعي الذي كنت اعهده جامد
وانا ببغداد والمحبوب في آمد * مصيبتي عظمت وانا لها حامد

وقد طال الشرح وأوردت في باب التورية من المحاسن ما يكفي قديما وحديثا وأوردت بعد ذلك ما وقع فيها من النظم عفوا وتكليفا وقد تعين علي ايراد ما وعدت به في ديباجة هذا الباب من فقه التورية والكلام على أنواعها واقسامها فان القول على اختلاف عبارات الحدود قد تقدم والكل راجع الى مقصود واحد اذ القصد من لفظ التورية أن يكون مشتركا بين معنيين أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالقريب فيوهم السامع أول وهلة انه يريد القريب وليس كذلك ولهذا سمي هذا النوع ايهاما (والتورية أربعة أنواع) مجردة ومرشحة ومبينة ومهيأة

النوع الاول التورية المجردة وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المورى به وهو المعنى القريب ولا من لوازم المورى عنه وهو المعنى البعيد وأعظم أمثلة هذا النوع قوله تعالى الرحمن على العرش استوى لان الاستواء على معنيين أحدهما الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب والثاني الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد لان الحق سبحانه منزه عن المعنى الاول ولم يذكر من لوازمه هذا شيأ ولا من لوازم ذلك فالتورية مجردة بهذا الاعتبار ومنه قول النبي صلى

اذا كرة فيها عقاب ونائل أراد مدحه بالخلافة ووصفه بالقدرة وعظم المهابة بأنه اذا نظر نظرة أو أطرق مكرا لحظه تردد الخوف والرجاء في قلوب من حضره فأبان عن هذه المعاني بأحسن بيان وهذا النوع بحمد الله قد أتى بشرطه في بيتي المتقدم وصحة ما أشرت اليه لا يحتاج الى وضوح ولا يخفى الا على أكمه لا يعرف القمر والله أعلم

﴿التوشيح﴾

(وألسوني مذ آنست نارهم
من طور حضرتهم نورا جلى ظلمي)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله اتفق علماء البديع أن التوشيح هو أن يكون أول الكلام دالا على آخره ولهذا سموه التوشيح فانه يتنزل المعنى منزلة الوشاح ويتنزل أول الكلام وآخره فيه منزلة اللفائف والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح وهذا النوع فرعه قدامة

الله عليه وسلم في خروجه الى بدر وقد قيل له ممن أنتم فلم يردان يعلم السائل فقال من ماء واراد انا مخلوقون من ماء فورى عنه بقبيلة من العرب يقال لها ماء ومن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الهجرة وقد سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل من هذا فقال هاد يهديني أراد أبو بكر هاديا يهديني الى الاسلام فورى عنه بهادي الطريق الذي هو الدليل في السفر ومنه قول القاضي عياض في سنة كان فيها اشهر كانون معتدلا فازهرت فيه الارض

كأن نيسان أهدى من ملابسه * لشهر كانون أنواعا من الحلل

أو الغزالة من طول المدى خرفت * فما تفرق بين الجدي والحمل

فالتورية هنا مجردة والشاهد في الغزالة والجدي والحمل فان الناظم لم يذكر قبل الغزالة ولا بعدها شيأ من لوازم الموري به كالاوصاف المختصة بالغزالة الوحشية من طول العنق وسرعة الالتفات وسرعة النفرة وسواد العين ولا من أوصاف الموري عنه كالاوصاف المختصة بالغزالة الشمسية من الاشراق والسمو والطلوع والغروب فان قيل ان الغزالة قد شحت بذكر الجدي والحمل وهما مرشحان بالغزالة فالجواب ان لازم التورية من شرطه ان يكون لفظه غير مشترك والغزالة هنا مشتركة وكذلك الجدي والحمل ومنه قول القاضي محيي الدين بن زيلاق وقد أهدى لصاحب الموصل حملا يا أيها المولى الذى * ببابه كل أمل * لو لم تكن بدر الما * أهدى لك الثور حمل

فالتورية وقعت بين البدر والثور والحمل ولم يذكر لواحد منهما لازما فالبدر مشترك بين اسم الممدوح وبدر السماء والثور مشترك بين الحيوان والبرج في السماء وكذلك الحمل ومنه قول بعضهم من كان وكان لو سنبله خلف ظهرو * ناظر اليها المشترى

ولو ذنب مايقارن * حتى يرى الميزان

ومنه قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر يصف واديا

وبطحاء من وادر رقت حسنه * ولاسيما ان جاد غيث مبكر

به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به العيش يحيى وهو لاشك جعفر

فالتورية وقعت هنا في الفضل والربيع ويحيى وجعفر والاشتراك في كل من الاربعة ظاهر النوع الثاني التورية المرشحة وهي التي يذكر فيها لازم الموري به سميت بذلك لتقويتها بذكر لازم الموري به ثم تارة يذكر اللازم قبل لفظ التورية وتارة بعده فهي بهذا الاعتبار قسمان فالقسم الاول منها هو ما ذكر لازمه قبل لفظ التورية وأعظم أمثلته قوله تعالى والسماء بنيناها بايد فان قوله بايد يحتمل الجارحة وهذا هو المعنى القريب الموري به وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان ويحتمل القوة وعظمة الخالق وهذا المعنى البعيد الموري عنه وهو المراد فان الله سبحانه منزه عن المعنى الاول ومنه قول يحيى بن منصور من شعراء الحماسة

فلما نأت عنا العشيرة كلها * أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر

فما أسلمتنا عند يوم كريهة * ولا نحن أغضينا الجفون على وقر

الشاهد في الجفون فانها تحتمل جفون العين وهذا هو المعنى القريب الموري به وقد تقدم لازما من لوازمه على جهة الترشيح وهو الاغضاء لانه من لوازم العين وتحتمل أن تكون جفون السيوف أي اغمادها وهذا هو المعنى البعيد الموري عنه وهو مراد الناظم ومن ألطف ما وقع في هذا القسم قول شمس الدين الحكيم بن دانيال الكحال

ياسائلي عن حرفتي في الورى * وصنعتي فيهم وافلاسي

ماحال من درهم انفاقه * ياخذه من أعين الناس

الشاهد هنا في أعين الناس فانها تحتمل الحسد وضيق العين وهو المعنى القريب الموري به وقد

من ائتلاف القافية مما يدل عليه سائر البيت وقال التوشيح هو أن يكون في أول البيت معنى اذا فهم فهمت منه قافية البيت انتهى وقال ابن أبي الاصبع من أعظم الشواهد عليه قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فان معنى اصطفاء المذكورين يعلم منه أن المفاضلة على العالمين لان المذكورين جنس من العالمين انتهى ومن الامثلة الشعرية قول الراعي النميري قال

فان وزن الحصى فوزنت قومي
وجدت حصى ضريبتهم رزينا

انتهى ومنه أيضا لبعضهم

ولو كفي اليمين بغتك خونا
لافردت اليمين على الشمال

وقول الآخر

اذا لم تستطع شيأ فدعه
وجاوزه الى ماتستطيع

وفي هذه الامثلة مايدل على اشتمال بيتي المتقدم على النوع بشرطه المعتبر

تقدم لازمه على جهة الترشيح وهو درهم الانفاق لانه من لوازم الحسد و يحتمل العيون التى يلاطفها بالكحل وهذا هو المعنى المورى عنه وهو مراد الناظم الكاحل انتهى القسم الاول من التورية المرشحة والقسم الثانى منها هو ماذكر لازمه بعد لفظ التورية ومن أمثلته اللطيفة قول الشاعر

مذ همت من وجدى فى خالها * ولم أصل منه الى اللثم
قالت قفوا واستمعوا ماجرى * خالى قد هام به عمى

الشاهد فى الخال فانه يحتمل خال النسب وهذا هو المعنى القريب المورى به وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشيح وهو العم ومنه قول الشاعر

أقلت عن رشف الطلا * واللثم فى ثغر الحبب
وقلت هذى راحة * تسوق للقلب التعب

الشاهد هنا فى الراحة التى هى ضد التعب وقد ذكر التعب بعدها على جهة الترشيح لها وهذا هو المعنى القريب المورى به و يحتمل الراحة التى هى من أسماء الخمر وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو مراد الناظم

النوع الثالث التورية المبينة وهى ماذكر فيها لازم المورى عنه قبل لفظ التورية أو بعده فهى بهذا الاعتبار أيضا قسمان فالقسم الاول هو ماذكر لازمه من قبل واستشهدوا عليه بقول البحترى

ووراء تسدية الوشاح ملية * بالحسن تملح فى القلوب وتعذب

الشاهد هنا فى تملح فانه يحتمل أن يكون من الملوحة التى هى ضد العذوبة وهذا هو المعنى القريب المورى به و يحتمل أن يكون من الملاحة التى هى عبارة عن الحسن وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو مراد الناظم وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين ملية بالحسن قلت هذا الشاهد الذى استشهدوا به من نظم البحترى فيه نظر ولكن يأتى الكلام عليه فى موضعه ومن أحسن الشواهد على هذا القسم قول الشيخ شرف الدين بن عبد العزيز شيخ شيوخ حماة رحمه الله تعالى

قالوا أما فى جلق نزهة * تنسيك من أنت به مغرى
ياعاذلى دونك من لحظه * سهما ومن عارضه سطرا (ى)

الشاهد هنا فى موضعين وهما السهم وسطرا فان المعنى البعيد هما الموضعان المشهوران بمنتزهات دمشق وذكر النزهة بجلق قبلهما هو المبين لهما وأما المعنى القريب فسهم اللحظ وسطر العارض القسم الثانى من التورية المبينة هو الذى يذكر فيه لازم المورى عنه بعد لفظ التورية ومن أمثلته البديعة قول الشاعر

أرى ذنب السرحان فى الافق ساطعا * فهل ممكن أن الغزالة تطلع

الشاهد هنا فى موضعين أحدهما ذنب السرحان فانه يحتمل أول ضوء الفجر وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو مراد الناظم وقد بينه بذكر لازمه بعده بقوله ساطعا و يحتمل ذنب الحيوان المعروف وهذا هو المعنى القريب المورى به واستشهدوا على هذا القسم بقول ابن سناء الملك وهو

أما والله لولا خوف سخطك * لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك

الشاهد هنا فى الخافقين فانه يحتمل أن يريد قلبه وقرط محبوبه وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو مراد الناظم وقد بينه بالنص عليه فانه صرح بعد الخافقين بذكر القلب والقرط و يحتمل أن يريد ملك المشرق والمغرب وهذا هو المعنى القريب المورى به

النوع الرابع التورية المهيأة وهى التى لاتقع فيها التورية ولا تتهيأ الا باللفظ الذى قبلها أو باللفظ الذى بعدها أو تكون التورية فى لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية فى الآخر فالمهيأة بهذا

عند أئمة البديع من غير اخلال وعلى ضروب من المحاسن البديعية والله أعلم

﴿المجاز﴾

وألبسونى ثياب الوصل معلمة
بقربهم وأقروا فى القرى على

قال العلامة ابن حجة رحمه الله المجاز عبارة عن تجوز الحقيقة فان المراد ان يأتى المتكلم بكلمة مستعملة فى غير ماوضعت له فى أصل اللغة هذا رأى السكاكى وأصحاب المعانى والبيان انتهى وهذا النوع لايحصره شاهد لعمومه ووقوعه فى بيتى المتقدم ظاهر والله أعلم

﴿الاستطراد﴾

(وخولونى ملكا فيه فزت ٣٠م
فوز العفاة بوافى فيض فضلهم)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله الاستطراد هو غرض من أغراض الشعر توهم انك مستوفيه ثم تخرج منه الى غيره لمناسبة

الاعتبار ثلاثة أقسام القسم الاول من التورية المهيأة وهو الذى تتهيأ فيه التورية من قبل وقد استشهدوا على ذلك بقول ابن سناء الملك يمدح الملك المظفر صاحب حماة

وسيرك فينا سيرة عمرية * فروحت عن قلب وأفرجت عن كرب
وأظهرت فينا من سميك سنة * فاظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

الشاهد هنا فى الفرض والندب وهما يحتملان أن يكونا من الاحكام الشرعية وهذا هو المعنى القريب المورى به ويحتمل أن يكون الفرض بمعنى العطاء والندب صفة الرجل السريع فى قضاء الحوائج الماضى فى الامور وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية فيهما ولا فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهما التورية * القسم الثانى من التورية المهيأة وهو الذى تتهيأ فيه التورية بلفظة من بعده ومن أمثلته نثرا قول الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى الاشعث بن قيس انه كان يحوك الشمال باليمين فالشمال يحتمل أن يكون جمع شملة وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ويحتمل أن يراد بها الشمال التى هى احدى اليدين وهذا هو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر اليمين بعد الشمال لما تنبه السامع لمعنى اليد ومنه نظما قول الشاعر

لولا التطير بالخلاف وأنهم * قالوا مريض لا يعود مريضا
لقضيت نحبا فى جنابك خدمة * لاكون مندوبا قضى مفروضا

فالمندوب هنا يحتمل الميت الذى يبكى عليه وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد ويحتمل أن يكون أحد الاحكام الشرعية وهو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر المفروض بعده لم يتنبه السامع لمعنى المندوب ولكنه لما ذكر تهيأت التورية بذكره ومثله قول أبى الحسين الجزار

ياعذولى دعنى من العذل ان النصح فى مذهب الهوى تحريض
مت لما نأى فها أنا مندو * ب فراق وحبه مفروض

الكلام على هذا الشاهد كالكلام على الذى قبله * القسم الثالث من التورية المهيأة وهو الذى تقع التورية فيه فى لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية فى الآخر واستشهدوا على ذلك بقول عمر بن أبى ربيعة المخزومى وهو

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمانى

الشاهد فى البيت الاول فى الثريا وسهيل فان الثريا يحتمل أن يكون أراد بها بنت على بن عبد الله بن الحرث بن أمية الاصغر وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد والقريب ثريا السماء وهذا هو المعنى القريب المورى به وسهيل يحتمل أيضا سهيل بن عبد الرحمن بن عوف وقيل كان رجلا مشهورا من اليمن وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ويحتمل النجم المعروف بسهيل وهذا هو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر الثريا التى هى النجم لم يتنبه السامع لسهيل وكل واحد منهما صالح للتورية والتورية هنا لا تصلح أن تكون مرشحة ولا مبينة لان الترشيح والتبيين لا يكون كل منهما الا بلازم خاص والفرق بين اللفظ الذى تتهيأ به التورية واللفظ الذى تترشح به واللفظ الذى تتبين به أن اللفظ الذى تقع به التورية مهيأة لولم يذكر لما تهيأت التورية أصلا واللفظ المرشح والمبين انما هما مقويان للتورية فلو لم يذكرا لكانت التورية موجودة وسبب نظم هذين البيتين أن سهيلا المذكور تزوج الثريا المذكورة وكان بينهما بون بعيد فى الخلق فان الثريا كانت مشهورة فى زمانها بالجمال وسهيل بالعكس وهذا مراد الناظم بقوله عمرك الله كيف يلتقيان وأيضا هى شامية الدار وسهيل يمانى انتهى الكلام على التورية المهيأة وهى آخر أنواع التورية (وهنا تنبيه فيه فائدة) وهو أن مشايخ هذا العلم قالوا ليس كل لفظ مشترك بين معنيين تتصور فيه

بينهما ولا بد من التصريح باسم المستطرد به فى آخر كلامك وهذا هو الفرق بينه وبين المخلص فان الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول وقطع الكلام بعد المستطرد به والامران معدومان فى المخلص فانه لا يرجع الى الاول ولا يقطع الكلام بل يستمر الى ما تخلص اليه انتهى ومن الشواهد على هذا النوع قول بعضهم من قصيدة

فتى شقيت أمواله بنواله
كما شقيت بكر بارماح تغلب

وقول حسان بن ثابت

ان كنت كاذبة التى حدثتنى
فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الاحبة ان يقاتل دونهم
ونجى برأس طمرة ولجام

وقول امرء القيس

عوجا على الطلل المحيل لعلنا
نبكى الديار كما بكى ابن حذام

وقول عبد المطلب فى هذا

التورية كاللغات التي تدور على الالسنة وانما تتصور حيث يكون المعنيان ظاهرين الا ان أحدهما أسبق الى الفهم من الآخر وقد عن لي ان أختم باب التورية بفائدة تكون مسك ختامها و بدر تمامها وهي ان بعض علماء هذا الفن قالوا ان التورية اذا جاءت بلازمين فتكافا ولم يترجح أحدهما على الآخر فكأنهم لم يذكرا وصار المعنى القريب والمعنى البعيد بذلك في درجة واحدة وتلحق هذه التورية بالمجردة وتعد فيها قسما ثانيا وتصير مجردة بهذا الاعتبار واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر

غدوت مفكرا في سر افق * أرانا العلم من بعد الجهاله
فما طويت له شبك الدراري * الى ان أظفرته بالغزاله

وقالوا ان الشبك من لوازم الغزالة الوحشية والدراري من لوازم الغزالة الشمسية قلت أما قوله في تقريره ان اللازمين اذا تكافا ولم يترجح أحدهما على الآخر تصير التورية كالمجردة فقريب وأما شاهده ففيه نظر فانه صدر بقوله غدوت مفكرا في سر افق فالتفكر في سر هذا الافق الذي أراه العلم من بعد الجهالة لازم خاص يرجح جانب الغزالة الشمسية وأما الشبك فاستعارة مرشحة بالحسن لنجوم الدراري وهي أيضا مما يرشح جانب الشمس عند طلبها الذي أراد به الناظم غيابها ولو كانت الشمس مجردة من الدراري ربما كان للغزالة الوحشية بعض مقاربة وعين الشمس هنا ما تغطى على الترجيح والله أعلم واستشهدوا أيضا على هذا بقول مجير الدين بن تميم

وليلة بت أسقى في غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وقالوا أيضا ان الصبح من لوازم الغزالة الشمسية والرعي من لوازم الغزالة الوحشية قلت أما الصبح فمن لوازم الغزالة الشمسية كما قالوا وأما رعي نرجس الظلم فليس من لوازم الغزالة الوحشية وانما هو استعارة مرشحة بالحسن للنجوم وهي مثل استعارة الشباك والدراري والغزالة الوحشية ليس لها هنا مرعى فانها أجنبية من رعي نرجس الظلم الذي هو عبارة عن النجوم والله أعلم وقد تقدم قولي على الشاهد الذي أورده للبحتري في التورية المبينة بذكر لازم المورى عنه من قبل وقلت فيه نظر وهو قوله

ووراء تسدية الوشاح ملية * بالحسن تملح في القلوب وتعذب

هذا الشاهد تعارض فيه اللازمان وتكافا وهو أقرب الى المجردة وما ذاك الا ان الشاهد في قوله تملح يحتمل ان يكون من الملوحة ولازمه تعذب وهو المعنى القريب و يحتمل أن يكون من الملاحة وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ولازمه ملية بالحسن وقد تعارض اللازمان وهذا هو الشاهد على هذا القسم الذي اختاروه أن يكون قسما ثانيا للتورية المجردة وأقرب منه قول الشيخ زين الدين بن الوردي

قالت اذا كنت تهوى * أنسي وتخشى نفوري
صف ورد خدي والا * أجور ناديت جوري

ومثله قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

حملت خاتم فيه فصا أزرقا * من كثرة اللثم الذي لم احصه
لولا ماعلم الرقيب فباله * من خاتم نقل الحديث بفصه

والاشباه والنظائر من هذا القسم كثير والغرض ان اللازمين اذا تعارضا وتكافا في التورية يلحق هذا القسم بالتورية المجردة انتهى الكلام على التورية وقد قدمت من نظم الجماعة الذين مشوا تحت العلمين المشهورين ماهو أشهر من الاعلام فالمتأمل اذا جمع بين طرفي هذا الباب وعرف الانواع والاقسام وضع كل شئ في محله فاني كشفت له اللثام عن وجه التورية وأما أبيات البديعيات فقد تقدم ذكرها والله أعلم بالصواب

الباب من الغايات

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة * ولو تسلت أسلناها على الاسل
لا ينزل المجد الا في منازلنا * كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

وفي هذه النبذة مايدل المسترشد على النوع وهو أوضح في بيتي المتقدم والله أعلم

﴿التهذيب والتأديب﴾

(الهم شمائل بالاحسان قد شملت * وعلمت كرم الاخلاق والشيم)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله هذا النوع ماقرروا له شاهدا يخصه لانه وصف يعم كل كلام منقح محرر وهو عبارة عن تردد النظر في الكلام بعد عمله والشروع في تهذيبه نظما كان أونثرا وتغيير مايجب تغييره وحذف ماينبغي حذفه واصلاح ماينبغي اصلاحه وكشف ماأشكل من غريبه واعرابه وتحرير مادق من معانيه

(ذكر المشاكلة)

(من اعتدى فبعدوان يشاكله * لحكمة هو فيها خير منتقم)

المشاكلة في اللغة هي المماثلة والذي تحرر في المصطلح عند علماء هذا الفن ان المشاكلة هي ذكر الشئ بغير لفظه لوقوعه في صحبته كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فالجزاء عن السيئة في الحقيقة غير سيئة والاصل وجزاء سيئة عقوبة مثلها ومثله قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك والاصل تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك فان الحق تعالى وتقدس لا يستعمل في حقه لفظ النفس الا أنها استعملت هنا مشاكلة لما تقدم من لفظ النفس ومنه قوله تعالى ومكروا ومكر الله والاصل أخذهم بمكرهم ومنه قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم أي فعاقبوه فعدل عن هذا لاجل المشاكلة اللفظية وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمل حتى تملوا الاصل فان الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا عن مسألته فوضع لا يمل موضع لا يقطع الثواب على جهة المشاكلة وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة أولا ومنه قول عمرو بن كلثوم في معلقته

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أي فنجازيه على جهله فجعل لفظة نجهل موضع فنجازيه لاجل المشاكلة ومثله قول الشاعر وتلطف ماشاء

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

أراد خيطوا فذكره بلفظ اطبخوا لوقوعه في صحبة طبخه قلت قد تقرر ان هذا النوع اعني المشاكلة اللفظية أن يأتي المتكلم في كلامه باسم من الاسماء المشتركة في موضعين فتشاكل احدى المشاكلتين اللفظيتين الاخرى في الخط واللفظ ومفهومهما مختلف ومن انشادات التبريزي في هذا الباب قول أبي سعيد المخزومي

حدق الآجال آجال * والهوى للمرء قتال

فلفظة الآجال الاولى أسراب البقر الوحشية والثانية منتهى الاعمار وبينهما مشاكلة في اللفظ والخط قال الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير هذا الشاهد وأمثاله داخل في باب التجنيس قلت قول الشيخ زكي الدين ظاهر ليس في صحته سقم وهذا البيت الذي انشده التبريزي من أحسن الشواهد على الجناس التام ولو اعتمد البديعيون على المشاكلة المعنوية لخلصوا من هذا الاعتراض وعلى كل تقدير فالمعارضة تعدت حكم الالتزام في نظم هذا النوع أعني المشاكلة اللفظية وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم

يجزى اساءة باغيهم بسيئة * ولم يكن عاديا منهم على ارم

وبيت العميان

سقاهم الغيث ماء اذ سقى ذهبا * فغير كفيه ان أمحلت لا تشم

وبيت الشيخ عز الدين

يجزى بسيئة للضد سيئة * معنى مشاكلة من خير منتقم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

من اعتدى فبعدوان يشاكله * لحكمة هو فيها خير منتقم

(ذكر الجمع مع التقسيم)

(جمع الاعادي بتقسيم يفرقه * فالحي للاسر والاموات للضرم)

هذا النوع أعني الجمع مع التقسيم هو ان يجمع الناظم بين شيئين فأكثر ثم يقسم كقول أبي الطيب المتنبي

الدهر معتذر والسيف منتظر * وأرضهم لك مصطاف ومرتبع

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

(ذكر المشاكلة)

واطراح ما تجافى عن مضاجع الرقة من ألفاظه انتهى وما أحسن ما أشار اليه أبو تمام من التهذيب بقوله

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى * والليل اسود رقعة الجلباب

خص تهذيب الفكر بالدجى لكونه سكنا تهدأ فيه الاصوات وتسكن الحركات فيكون الفكر مجتمعا والتهذيب بمنة الله قد شمل بيتي المتقدم مع القصيدة بتمامها فلا يخفى الا على أجنبي والله أعلم

(الانسجام)

ولي عوائد منهم بالجميل لها * بهم اتصال غير منحسم

قال العلامة ابن حجة رحمه الله الانسجام هو ما خلا من الكلام من العقادة وكان كانسجام الماء في انحداره ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه ان يسيل رقة وأهل الطرق الغرامية بدور

(ذكر الجمع مع التقسيم)

وقد يتقدم التقسيم ويتأخر كقول حسان بن ثابت

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أوحاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع

فالاول أحسن وأوقع فى القلوب وعليه مشى أصحاب البديعيات وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

أبادهم فلبيت المال ماجمعوا * والروح للسيف والاجساد للرخم

الشيخ صفى الدين مسخ فى هذا الباب قول أبى الطيب فى بيته وبيت العميان فى بديعيتهم

والمال والماء فى كفيه قد جريا * هذا الراج وذا للعيش حين ظمى

وبيت الشيخ عزالدين فى بديعيته قوله

علم ومال على جمع تقسمه * هذا لغمر وهذا نفع مغترم

وبيت بديعيتى جمع الاعادى بتقسيم يفرقه * فالحى للاسر والاموات للضرم

(ذكر الجمع مع التفريق)

(سناه كالبرق ان أبدوا ظلام وغى * والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم)

هذا النوع أعنى الجمع مع التفريق هو ان يجمع الشاعر بين شيئين فى حكم واحد ثم يفرق بينهما فى ذلك الحكم كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فكأنه يقول الشمس والقمر كوكبان فهذا نهارى وهذا ليلى فجمع بينهما اذ هما كوكبان ثم فرق بان هذا يضىء نهارا وهذا يضىء ليلا فوقع الفرق فى الشئ الذى وقع به الجمع واستشهدوا على هذا النوع بقول الفخر عيسى

تشابه دمعانا غداة فراقنا * مشابهة فى قصة دون قصة

فوجنتها تكسو المدامع حمرة * ودمعى يكسو حمرة اللون وجنتى

هذا الناظم جمع بين الدمعين فى الشبه ثم فرق بينهما بان دمعها أبيض فاذا جرى على خدها صار أحمر بسبب احمرار خدها وان دمعه أحمر لانه يبكى دما وجسده من النحول أصفر فاذا جرى عليه الدمع حمره ومنه قول البحترى

ولما التقينا والنقا موعد لنا * تعجب رائى الدر منا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وبيت الصفى الحلى سناه كالبرق يجلو كل مظلمة * والعزم كالنار يفنى كل مجترم

وبيت العميان فى تركيبه فاق حيث قالوا

فالذ بين كفه والبحر ما افترقا * الا بكف وبحر فى كلامهم

وبيت الشيخ عزالدين شن فيه الغارة على بيت الشيخ صفى الدين الحلى بقوله

وعزمه النار فى جمع يفرقه * ووجهه النور يجلو ظلمة الغشم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

سناه كالبرق ان ابدوا ظلام وغى * والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم

(ذكر الاشارة)

(ومن اشارته فى الحرب كم فهم الانصار معنى به فازوا بنصرهم)

هذا النوع أعنى الاشارة مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه بأن قال هو أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكثير بايماء ولمحة تدل عليه كما قيل فى صفة البلاغة هى لمحة دالة وتلخيص هذا الشرح انه اشارة المتكلم الى المعانى الكثيرة بلفظ يشبه لقلته واختصاره باشارة

مطالعه وسكان مرابعه انتهى ومن محاسن هذا النوع قول امرء القيس

أغرك منى ان حبك قاتلى
وانك مهما تأمرى القلب يفعل

وقوله

اجارتنا انا غريبان ههنا
وكل غريب للغريب نسيب

وقول لبيد

فاقنع بما قسم المليك فانما
قسم الخلائق بيننا علامها

واذا الامانة قسمت فى معشر
أوفى باعظم حظنا قسامها

وقول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا
كانك تعطيه الذى أنت نائله

وقول حسان

أصون عرضى بمالى لا أدنسه
لا بارك الله بعد العرض فى المال

أحتال للمال ان أودى فاكسبه
ولست للعرض ان أودى بمحتال

وقول كعب بن زهير

وما تمسك بالعهد الذى وعدت

اليد فان المشير بيده يشير دفعة واحدة الى أشياء لو عبر عنها بلفظ لاحتاج الى ألفاظ كثيرة ولابد فى الاشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان مع الاختصار لان المشير بيده ان لم يفهم المشار اليه معناه فاشارته معدودة من العبث وكان النبى صلى الله عليه وسلم سهل الاشارة كما كان سهل العبارة وهذا ضرب من البلاغة يمتدح به والاشارة قسمان قسم للسان وقسم لليد ومن شواهد الاشارة فى الكتاب العزيز قوله وغيض الماء فانه سبحانه أشار بهاتين اللفظتين الى انقطاع مادة الماء من نبع الارض ومطر السماء وذهاب الماء الذى كان حاصلا على وجه الارض قبل الاخبار ولو لم يكن كذلك لما غاض الماء ومنه قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فالمح أيها المتأمل كل ماتميل النفوس اليه من اختلاف الشهوات * وملاذ الاعين فى اختلاف المرئيات * لتعلم ان بلاغة هذا اللفظ القليل جدا * عبرت عن المعانى التى لا تحصر عدا * ومنه قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى ومن المنظوم قول زهير فى هذا النوع

فانى لو لقيتك فاتجهنا * لكان لكل منكرة لقاء

يعنى قابلت كل منكرة بمثلها ومن أمثلة هذا النوع قول امرئ القيس

بعزهم عززت فان يذلوا * فذلهم أنالك ما أنالا

فانظر كم تحت قوله أنالك ما أنالا من أنواع الذل ومثله قوله

فلأشكرن غريب نعمته * حتى أموت وفضله الفضل

أنت الشجاع اذا هم نزلوا * عند المضيق وفعلك الفعل

فالحظ كم تحت قوله وفضله الفضل بعد اخباره بانه يشكر غريب نعمته حتى يموت من أصناف المدح وترجيح فضله على الشكر وفى قوله غريب نعمته غاية المدح اذ جعل نعمته غريبة لم يقع مثلها فى الوجود وكم تحت قوله وفعلك الفعل بعد اخباره بنزول القوم عند المضيق الدال على صبرهم وشجاعتهم ومافى ذلك من ترجيح شجاعته عليهم ومنه قوله فى صفة الفرس

على هيكل يعطيك قبل سؤاله * أفانين جرى غير كز ولاوانى

فانه أشار بقوله أفانين الى جمع صنوف عدو الخيل المحمودة والذى يدل على ذلك قوله قبل سؤاله فان الافانين المحمودة كانت منه عفوا من غير طلب ولاحث وهذا كمال الوصف ولو عدت هذه المعانى بالفاظها الموضوعة لها لاحتاجت فى العبارة الى ألفاظ كثيرة وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته

يولى الموالين من جدوى شفاعته * ملكا كبيرا عدا امانى نفوسهم

والعميان ماتظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

ماتشتهى النفس يهدى فى اشارته * يعطى فنونا بلامن ولاسأم

وبيت بديعيتى ومن اشارته فى الحرب كم فهم الانصار معنى به فازوا بنصرهم

(ذكر التوليد)

(توليد نصرتهم يبدو بطلعته * ما السبعة الشهب ماتوليد رملهم)

قلت هذا النوع أعنى التوليد ليس تحته كبير أمر وهو على ضربين من الالفاظ والمعانى فالذى من الالفاظ تركه أولى من استعماله لانه سرقة ظاهرة وماذاك الا ان الناظم يستعذب لفظه من شعر غيره فيقتضبها او يضمنها غيره معناها الاول فى شعره كقول امرئ القيس فى وصف الفرس

وقد أغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل

فاستعذب أبو تمام قيد الاوابد فنقلها الى الغزل فقال

لها منظر قيد الاوابد لم يزل * يروح ويغدو فى خفارته الحب

والتوليد من المعانى هو الاجل والاستر وهو الغرض ههنا وذلك ان الشاعر ينظر الى معنى من معانى

الا كما غيض الماء
الغرابيل
وقول العباس بن الاحنف
لولا محبتكم لما عاتبتكم
ولكنتم عندى كبعض
الناس
وقول الطغرائى من
لاميته
ان العلا حدثتنى وهى
صادقة
فيما تحدث ان العز فى
النقل
لو كان فى شرف المأوى
بلوغ منى
لم تبرح الشمس يوما دارة
الحمل
وقول كثير عزة
ولما قضينا من منى كل
حاجة
ومسح بالاركان من هو
ماسح
أخذنا باطراف الاحاديث
بيننا
وسالت باعناق المطى
الاباطح
وقول العباس بن الاحنف
أفدى الذين اذا قونى
مودتهم

من تقدمه ويكون محتاجا الى استعماله فى بيت من قصيدله فيورده ويولد منه معنى آخر كقول القطامى قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل
وقال من بعده ونقص الالفاظ وزاد تمثيلا وتوكيدا وتذييلا
عليك بالصبر فيما أنت طالبه * ان التخلق يأتى دونه الخلق
فمعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطامى بكماله ومعنى عجزه نوع التذييل وما تقدم ذكره وهو مولد
قال ابن أبى الاصبع فى تحرير التحبير أغرب ما سمعت فى التوليد قول بعض العجم
كأن عذاره فى الخد لام * ومبسمه الشهى العذب صاد
وطرة شعره ليل بهيم * فلا عجب اذا سرق الرقاد
فان هذا الشاعر ولد من تشبيه العذار باللام وتشبيه الفم بالصاد لاصا وولد من معناه ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النوم فحصل فى البيت توليد واغراب وادماج وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على هذا النوع
من سبق لا يرى سوط اهاسملا * ولا جديد من الارسان واللجم
بيت صفى الدين هنا غير صالح للتجريد وقد تكرر عليه هذا النقد فى كثير من الابيات فان بيته لم يظهر له معنى ان لم ينشد البيت الذى قبله وهذا العيب سماه علماء هذا الفن التضمين ويأتى الكلام عليه فى موضعه ولكن هو أقبح ما يكون فى البديعيات لان المراد من بيت البديعيات أن يكون بمجرده شاهدا على النوع المذكور ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده وبيت صفى الدين مولد من قول أبى عبد الله بن الحجاج
خرقت صفوفهم بأقب نهد * مراح السوط متعوب العنان
والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين
مالى بتوليد مدحى فى سواه هدى * لمعشر شبهوا الهندى بالحلم
وبيت عز الدين هنا صالح للتجريد فان ضميره عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم وأما قوله لمعشر شبهوا الهندى بالحلم فانه ذكر فى شرحه أنه ولده من قول أبى الطيب المتنبى
فالعيس أعقل من قوم رأيتهم * عما أراه من الاحسان عميانا
ثم قال فى الشرح ما شبه السيف بالمقص الا عمى قلت ومن أين لنا ان تشبيه السيف بالحلم مولد من بيت المتنبى وألفاظها ومعانيها ظاهرة للمتأمل وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم
توليد نصرتهم يبدو بطلعته * ما السبعة الشهب ما توليد رملهم
معنى هذا البيت ولدته من قول أبى تمام
والنصر من شهب الارماح لامعة * بين الخميس علا فى السبعة الشهب
ولكن ذكر التوليد هنا وهو اسم النوع البديعى مع النصرة لا تخفى محاسنه على حذاق الادب فانه التوليد فى التوليد وذكر الرمل هنا توليد آخر وقد جمعت فى صدر هذا البيت وعجزه بين التوليد الذى هو المراد من التورية فى تسمية النوع وبين التذييل بقولى بعد تمة الفائدة ما توليد رملهم وبين مراعاة النظير بذكر التوليد والرمل والسبعة الشهب والنصرة وجمعت بين قسمى التوليد فى اللفظ والمعنى والذى بينهما من توليد المحاسن الظاهرة الزائدة على بيت أبى تمام غير خاف على المتأمل المنصف والله أعلم

(ذكر الكناية)

(قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم * لناره ألسن تكنى عن الكرم)

الكناية هى الارداف بعينه عند علماء البيان وانما علماء البديع أفردوا الارداف عنها والكناية

حتى اذا أيقظونى فى الهوى رقدوا
واستنهضونى فلما قمت منتصبا
بثقل ما حملونى منهم قعدوا
وقول الشريف الرضى
خذى نفسى ياريح من جانب الحمى
فلاقى بها ليلا نسيم ربا نجد
فان بذاك الحى الفا عهدته
وبالرغم منى ان يطول به وحدى
ولولا تداوى القلب من ألم الجوى
بذكر تلاقينا قضيت من الوجد
وقول الارجوانى
عوجا عليهم أيها الركب
لاعار ان يتساعد الصحب
قد كان لى قلب ولا ألم
واليوم لى ألم ولا قلب
وبالجملة فالاكثار يوجب الاملال وفيما قررته كفاية تدل على المقصود ولا يخفى اشتمال بيتى المتقدم بل القصيدة بكمالها على هذا النوع

هى أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعانى فلايذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة ولكن يجىء الى معنى هو ردفه فى الوجود فيومئ اليه ويجعله دليلا عليه مثال ذلك قولهم طويل النجاد كثير الرماد يعنون بذلك أنه طويل القامة كثير القرى فلم يذكروا المراد بذكر الخاص به ولكن توصلوا اليه بمعنى آخر هو رديفه فى الوجود ألا ترى أن القامة اذا طالت طال النجاد واذا كثر القرى كثر الرماد ومن أحسن الامثلة على هذا النوع قول الشاعر

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

أراد أن يذكر طول جيدها فأتى بتابعه وهو بعد مهوى القرط ومثله قول ليلى الاخيلية

ومخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما

كنت عن الافراط فى الجود بخرق القميص لجذب العفاة له عند ازدحامهم عليه لاخذ العطاء والابلغ فى هذا الباب والابدع أن يكنى المتكلم عن اللفظ القبيح باللفظ الحسن والمعجز فى ذلك قوله تعالى كانا يأكلان الطعام كناية عن الحدث وقوله جل جلاله وقد أفضى بعضكم الى بعض يريد بذلك مايكون بين الزوجين وعلى الجملة لاتجد معنى من هذه المعانى فى الكتاب العزيز الا بلفظ الكناية لان المعنى الفاحش متى عبر المتكلم عنه بلفظه الموضوع له كان الكلام معيبا من جهة فحش المعنى ولهذا عاب قدامة على امرئ القيس قوله

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فألهيتها عن ذى تمائم محول

اذا مابكى من تحتها انصرفت له * بشق وتحتى شقها لم يحول

قال أعنى قدامة عيب هذا الشعر من جهة فحش المعنى والقرآن منزه عن ذلك ولو استعار امرؤ القيس لمعناه الفاحش لفظ الكناية لسلم من العيب وهذا القدر ينتقد على مثله وفى السنة النبوية من الكنايات مالايحصى كقوله صلى الله عليه وسلم لايضع العصا عن عاتقه كناية عن الضرب أو كثرة السفر وحكى ابن المعتز أن العرب كانت تقول لمن به ابنة أنت تحت العصا وأنشد

زوجك زوج صالح * لكنه تحت العصا

ومن نخوة العرب وغيرتهم كانت كنايتهم عن حرائر النساء بالبيض وقد جاء القرآن العزيز بذلك فقال سبحانه كأنهن بيض مكنون وقال امرؤ القيس فى معلقته

وبيضة خدر لايرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

أى بيضة خدر يعنى امرأة كالبيضة فى صيانتها لايرام خباؤها لعزتها ومن لطائف الكنايات قول بعض العرب

ألايانخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

سألت الناس عنك فخبرونى * هناة ذاك تكرهه الكرام

وليس بما أحل الله بأس * اذا هو لم يخالطه الحرام

فان هذا الشاعر كنى بالنخلة عن المرأة وبالهناة عن الرفث فان العرب كانت تكنى بها عن مثل ذلك وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن الطف الكنايات وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته عن الكناية قوله

كل طويل نجاد السيف يطربه * وقع الصوارم كالأوتار والنغم

والعميان ماناظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

داع كثير رماد القدر إن وصفت * كناية بطنها واظهر بالدسم

قول الشيخ عز الدين كثير رماد القدر معلوم أنه أراد بذلك الكرم وأما تتمة البيت فالدسم الظاهر من القدر فى ظاهرها تعافه النفس ولفظة الدسم سافلة بعيدة عن حشمة الالفاظ وبيت بديعيتى

الاعلى جاهل بالفن والله أعلم

(التشريع)

(وقالوا فاراق عيش المستهام بهم * فلاجفا بعد ماجادوا بوصلهم)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله التشريع هو أن يأتى الناظم ببيته على وزنين من أوزان العروض وقافيتين فاذا أسقط من أجزاء البيت جزء أوجزآن صار ذلك البيت من وزن آخر غير الاول انتهى ومن محاسن الشواهد قول بعضهم

قل للامير أخى الندا والنائل اا

يطال للشعراء والقصاد

لازالت تخترم العدا بالذابل اا

مال فى الاحشاء والاكباد

وقد فتح الله على بالمقصود من هذا النوع وخرج من بيتى بيت بقافية أخرى من منهوك الرجز وهو وفا الوفا فلاجفا وصار باقى

قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم * لناره ألسن تكنى عن الكرم

تقدم القول ان الناس كنوا بطول النجاد عن طول القامة وبكثرة الرماد عن كثرة القرى ولكن الكناية بألسن النار عن كثرة الكرم والقرى لا تخفى استعارتها التى كادت تقوم مقام الحقيقة من المحاسن الظاهرة والله أعلم بالصواب

﴿ذكر الجمع﴾

(آدابه وعطاياه ورأفتــه * سجية ضمن جمع فيه ملتئم)

هذا النوع أعنى الجمع هو أن يجمع المتكلم بين شيئين فاكثر فى حكم واحد كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا جمع سبحانه وتعالى المال والبنون فى الزينة ومنه قوله تعالى الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فجمع بين الشمس والقمر فى الحسبان وجمع بين النجم والشجر فى السجود ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من أصبح آمنا فى سربه معافا فى بدنه ويروى فى جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها فجمع الامن ومعافاة البدن وقوت اليوم فى حوز الدنيا بحذافيرها وهى النواحى والواحد حذفار ومنه قول الشاعر

ان الشباب والفراغ والجدة * مفسدة للمرء أى مفسدة

فجمع بين الشباب والفراغ والجدة فى المفسدة وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى الجمع قوله

آراؤه وعطاياه ونقمته * وعفوه رحمة للناس كلهم

وبيت العميان فى بديعيتهم

قد أحرز السبق والاحسان فى نسق * والعلم والحلم قبل الدرك للعلم

وبيت الشيخ عز الدين

للفضل والفضل والالطاف منه يرى * والعلم والحلم جمع غير منخرم

قلت حشو لفظة يرى فى بيت الموصلى اذهب طلاوة الانسجام وبيت بديعيتى

آدابه وعطاياه ورأفتــه * سجية ضمن جمع فيه ملتئم

﴿ذكر السلب والايجاب﴾

(ايجابه بالعطايا ليس يسلبه * ويسلب المن منه سلب محتشم)

هذا النوع أعنى السلب والايجاب ذكر ابن أبى الاصبع فى تحرير التحبير انه من مستخرجاته ولكن رأيت لابى هلال العسكرى تقريرا حسنا على هذا النوع وهو أن يبنى المتكلم كلامه على نفى شئ من جهة واثباته من جهة أخرى والذى قرره ابن أبى الاصبع هو أن يقصد المادح افراد ممدوحه بصفة لا يشركه فيها غيره فينفيها فى أول كلامه عن جميع الناس ويثبتها الممدوحه بعد ذلك كقول الخنساء فى أخيها

وما بلغت كف امرء متطاولا * من المجد الا والذى نلت أطول

ولا بلغ المهدون للناس مدحة * وان أطنبوا الا الذى فيك أفضل

قال الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع ويروى متناولا ونصبها على انها مفعول به وما هنا أبلغ وعلى هذه الرواية ومعناها هذا الشاهد وأخذ أبو نواس معنى البيت الثانى ولكن لم يتمكن منه الا فى بيتين ومع ذلك قصر عنه تقصيرا زائدا فقال

اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فانت كما نثنى وفوق الذى نثنى

وان جرت الالفاظ منا بمدحة * لغيرك انسانا فانت الذى نعنى

هذا كله عين كلام الخنساء ولكن فاته وان أطنبوا فى بيت الخنساء وقولها وما بلغ المهدون وكل هذه المبالغات قصر عنها أبو نواس والفرق بين فأنت الذى نعنى وبين الذى فيك أفضل ظاهر وأعظم

﴿ذكر الجمع﴾

البيت بدون الجزئين الاولين

راق عيش المستهام بهم

بعد ما جادوا بوصلهم

وهذا البيت من العروض الثالثة المحذوفة المخبونة من المديد وشاهده

للفتى عقل يعيش به

حيث تهدى ساقه قدمه

والسابق الى هذا التأسيس الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته واقتفى أثره فيه العلامة ابن حجة وقال شارح بديعيته لقد برز الشيخ عز الدين فى ذلك على متقدميه فان الشيخ صفى الدين لم يحصل له بيان فى البيت الاول ولا الاندلسى ولكن قال الشيخ عز الدين فى شرحه ان هذا لفظ ما وقع للمتقدمين وهو معجز وليس للاديب عليه قدرة وبسط الدعوى بسببه فأردت ان لا أنسج الا على منواله قال العلامة فقلت

طاب اللقا لذ تشريع الشمو لنا

على النقا فنعمنا فى ظلالهم

فيخرج من بيتى طاب اللقا على النقا وصار بافى بيتى

﴿ذكر السلب والايجاب﴾

الشواهد على هذا النوع قوله تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ومنه قول امرئ القيس

هضيم الحشا لاءملء الكف خصرها * ويملأ منها كل حجل ودملج

وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع

أغرّ لا يمنع الراجين ماطلبوا * ويمنع الجار من ضيم ومن حرم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

لم ينف ذما بإيجاب المديح فتى * الا وعاقدت فيه الدهر بالسلم

وبيت بديعيتى إيجابه بالعطايا ليس يسلبه * ويسلب المن منه سلب محتشم

(ذكر التقسيم)

(هداه تقسيمه حالى به صلحت * حياوميتا ومبعوثا مع الامم)

التقسيم أول أبواب قدامة وهو فى اللغة مصدر قسمت الشئ اذا جزأته وفى الاصطلاح اختلفت فيه العبارات والكل راجع الى مقصود واحد وهو ذكر متعدد ثم اضافة ما لكل اليه على التعيين ليخرج اللف والنشر هذه عبارة صاحب التلخيص وذكر بعضها فى الايضاح وقال السكاكى هو أن يذكر المتكلم شيأ ذا جزأين أو أكثر ثم يضيف الى كل واحد من أجزائه ما هو له عنده ومنهم من قال هو أن يريد المتكلم متعددا أو ما هو فى حكم المتعدد ثم يذكر لكل واحد من المتعددات حكمه على التعيين ويعجبنى بلاغة زكى الدين بن أبى الاصبع فانه قال التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذى هو آخذ فيه ومثل ذلك قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا ليس فى رؤية البرق غير الخوف من الصواعق والطمع فى الامطار ولا ثالث لهذين القسمين ومن لطيف ما وقع فى هذه الجملة من البلاغة تقديم الخوف على الطمع اذ كانت الصواعق لا يحصل فيها المطر فى أول برقة ولا يحصل الا بعد تواتر البرقات فان تواترها لا يكاد يكذب ولهذا كانت العرب تعد سبعين برقة ثم تنتجع فلا تخطئ الغيث والكلأ والى هذا المعنى أشار المتنبى بقوله

وقد أرد المياه بغير هاد * سوى عدى لها برق الغمام

فلما كان الامر المخوف من البرق يقع فى أول برقة أتى ذكر الخوف فى الآية الكريمة أولا ولما كان الامر المطمع انما يقع من البرق بعد الامر المخوف أتى ذكر الطمع فى الآية الكريمة ثانيا ليكون الطمع ناسخا للخوف لمجئ الفرج بعد الشدة ومنه قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاستوفت الآية الكريمة جميع الهيآت الممكنات ومنه قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فاستوفت الآية الكريمة جميع الاقسام التى يمكن وجودها فان العالم جميعه لا يخلو من هذه الاقسام الثلاثة ومنه قوله تعالى له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك فالآية الشريفة جامعة لاقسام الزمان الثلاثة ولا رابع لها والمراد الحال والماضى والمستقبل فله ما بين أيدينا المراد به المستقبل وما خلفنا المراد به الماضى وما بين ذلك الحال وفى الحديث النبوى قوله صلى الله عليه وسلم مالك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا فانه صلوات الله عليه استوعب الوصف الذى من الدرجات العليا والوسطى والسفلى ومنه قول على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنعم على من شئت تكن أميره واستغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره فانه استوعب أقسام الدرجات وأقسام أحوال الانسان بين الفضل والكفاف والنقص ويحكى ان بعض وفود العرب قدم على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

وكان

(ذكر التقسيم)

بدون الجزئين الاولين لذ تشريع الشعور لنا فنعمنا فى ظلالهم قال ولكن شتان بين قولى طاب اللقا على النقا وبين قول الشيخ عز الدين وفى الهوى وكم هوى لان بيته هذا لا تتم به الفائدة ولا يحسن السكوت عليه انتهى وبيت الشيخ عز الدين فى هذا النوع

وفا الهوى لذ تشريع العذول لنا * وكم هوى فى مقام ذل من حكم

وقد طال الكلام على هذا النوع وبالله التوفيق

(الالتفات)

(حلوا بقلبى فيا قلبى تهن بهم * وافرح ولا تلتفت عنهم لغيرهم)

قال ابن المعتز الالتفات انصراف المتكلم من الاخبار الى المخاطبة ومثاله من القرآن العزيز الاخبار بان الحمد لله رب العالمين ثم قال اياك نعبد واياك نستعين وقوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم

وكان فيهم شاب فقام وتقدم فى المجلس وقال يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة أنقت العظم وفى أيديكم فضول أموال فان كانت لنا فلا تمنعوناوان كانت لله ففرقوها على عباده وان كانت لكم فتصدقوا ان الله يجزى المتصدقين فقال عمر بن عبد العزيز ماترك لنا الاعرابى فى واحدة عذرا ووقف اعرابى على حلقة الحسن البصرى فقال رحم الله من تصدق من فضله أوواسى من كفاف أوآثر من قوت قال الحسن ماترك الاعرابى فى واحدة عذرا ومن النظم قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته

واعلم مافى اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم مافى غد عم

ونقل أبو نواس جدزهير الى الهزل فقال

أمر غد أنت منه فى لبس * وامس قد فات فاله عن أمس
فانما الشأن شأن يومك ذا * فبا كر الشمس بابنة الشمس

وقال ابن حيوس واجاد فى تقسيمه

ثمانية لم يفترقن جميعها * فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر
ضميرك والتقوى وكفك والندى * ولفظك والمعنى وسيفك والنصر

ومنه قول الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض قدس الله روحه

يقولون لى صفها فأنت بوصفها * خبيرأجل عندى بأوصافها علم
صفاء ولاماء ولطف ولاهوى * ونور ولا نار وروح ولا جسم

وأنشد سيبويه بيتا بديعا على هذا الباب وهو قوله

فقال فريق القوم لاوفريقهم * نعم وفريق أيمن الله ماندرى

ويعجبنى قول الحماسى فى هذا الباب

وهبها كشئ لم يكن أوكنازح * عن الدار أومن غيبته المقابر

ويعجبنى قول أبى تمام فى مجوسى أحرق بالنار

صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار

ومنه قول عمرو بن الاهتم

اشربا ماشربتما فهذيل * من قتيل أوهارب أوأسير

وبيت صفى الدين الحلى مأخوذ من قول عمرو بن الاهتم

افنى جيوش العدا غزوا فلست ترى * سوى قتيل ومأسور ومنهزم

وبيت العميان فى بديعيتهم

غيثان أما الذى من فيض أنمله * فدائم والذى للمزن لم يدم

وبيت الشيخ عزالدين

تقسيمه الدهر يوما أمسه كغد * فى الحلم والجود والايفا للذمم

قلت قد تقدم شرح هذا النوع وتقرران الاثنين فى التقسيم لايمكن ان يكون لهما ثالث والثلاثة لايجوز أن يكون لها رابع وقد تقدم فى الاثنين قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وليس فى رؤية البرق الا الخوف من الصواعق والطمع فى المطر وتقدم فى تقسيم الثلاثة قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الاما أكلت فأفنيت أولبست فأبليت أوتصدقت فأبقيت ولارابع لهذه الثلاثة ورأيت باب الزيادة فى بيت الشيخ عزالدين مفتوحا فانه يحتمل الحلم والجود وايفاء الذمم والشجاعة والصبر والقناعة والدين وهلم جرا وتقدم ان بيت صفى الدين الحلى مأخوذ من بيت عمرو بن الاهتم اشربا ماشربتما فهذيل * من قتيل أوهارب أوأسير

يمكن لكم وقوله تعالى ان أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ومثاله من الشعر قول جرير

متى كان الخيام بذى طلوح
سقيت الغيث أيتها الخيام

أوانصراف المتكلم من الخطاب الى الاخبار وهو عكس الاول كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة ومثال ذلك من الشعر قول عنتر

ولقد نزلت فلا تظنى غيره
منى بمنزلة المحب المكرم

ثم قال يخبر عنها فى البيت الثانى

كيف المزار وقد تربع أهلها
بعنيزتين وأهلنا بالغيلم

أوانصراف المتكلم من الاخبار الى التكلم كقوله تعالى والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت أوانصراف المتكلم من التكلم الى الاخبار كقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق

فهذه الثلاثة لا تحتمل رابعا وكذلك بيت صفي الدين فانه مأخوذ من هنا وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

هداه تقدمه حالي به صلحت * حيا وميتا ومبعوثا مع الامم

وهذه الثلاثة أيضا لا يمكن أن يكون لها رابع وهذا النوع ليس في تحصيله على واضعه مشقة زائدة على حذاق الادب لاسيما مثل الشيخ عز الدين والذي أقوله انه لم تضق عليه المسالك الا بالتزام التورية في تسمية النوع والله أعلم

﴿ذكر الايجاز﴾

(أوجز وسل أول الابيات عن مدح * فيه وسل مكة يا قاصد الحرم)

هذا النوع أعني الايجاز اعتنت به فصحاء العرب وبالغوا كثيرا فانهم كانوا اذا قصدوا الايجاز أتوا بالفاظ استغنوا بواحدها عن ألفاظ كثيرة كأدوات الاستفهام والشروط وغير ذلك فقولك أين زيد مغن عن قولك أزيد في الدار أم في المسجد الى أن تستغرق جميع الاماكن وقولك من يقم أقم معه مغن عن ان يقم زيد أو عمرو أقم معه وما بالدار من أحد مغن عن قولك ليس فيها زيد ولا عمرو وغالب كلام العرب مبني على الايجاز والاختصار واداء المقصود من الكلام باقل عبارة وهذا النوع على ضربين ايجاز قصر وايجاز حذف فايجاز القصر اختصار الالفاظ وهو كقوله تعالى ولكم في القصاص حياة فهذا اللفظ الوجيز المعجز المختصر غاية في الايجاز والايضاح والاشارة والكناية والطباق وحسن البيان والابداع ومنه قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وعظ في ذلك بالطف موعظة وذكر بالطف تذكرة واستوعب جميع أقسام المعروف والمنكر وأتى بالطباق اللفظي والمعنوي وحسن النسق والتسهيم وحسن البيان والايجاز وائتلاف اللفظ ومعناه والمساواة وصحة المقابلة وتمكين الفاصلة ومن ذلك قول الشاعر

يا أيها المتحلي دون شيمته * ان التخلق يأتي دونه الخلق

وايجاز الحذف عبارة عن حذف بعض لفظه لدلالة الباقي عليه كقوله تعالى واسأل القرية التي كنا فيها وكقول الشاعر ورأيت زوجك في الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

أي ومعتقلا رمحا ومثله قول الشاعر * علفتها تبنا وماء باردا *

أي وسقيتها ماء باردا وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على الايجاز

واستخدم الموت ينهاه ويأمره * بعزم مغتنم في زي مغترم

تقديره بعزم رجل مغتنم ومثله في زي مغترم ولكنه ما تحته في بلاغة الايجاز كبير أمر والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وقول الشيخ عز الدين

وسل زمانك تلف الكتب راوية * ايجاز معنى طويل الذكر مرتسم

الشيخ عز الدين ايجازه وسل زمانك أي أهل زمانك وأما بقية البيت فلا أفهم له معنى فان البيت الذي قبله متعلق بمدح النبي صلى الله عليه وسلم ماش في أثر الابيات التي قبله وأما رواية الكتب لايجاز هذا المعنى الطويل المرتسم فانه نوع من المعميات والله أعلم وأما بيت بديعيتي فهو قولي عن النبي صلى الله عليه وسلم

أوجز وسل أول الابيات عن مدح * فيه وسل مكة يا قاصد الحرم

الضمير في لفظة فيه عائد الى النبي صلى الله عليه وسلم والايجاز البديع البليغ الغريب في قولي وسل أول الابيات فانه اشارة الى أول بيت وضع للناس والايجاز الثاني في قولي وسل مكة أي

﴿ذكر الايجاز﴾

جديد وما ذلك على الله بعزيز انتهى والالتفات واضح في بيتي المتقدم وهو من القسم الاول الذي هو انصراف المتكلم من الاخبار الى المخاطبة والله أعلم

﴿الاحتراس﴾

(قد طال شوقي وقلبي منزل لهم

الى الطلول التي تسموا باسمهم)

قال العلامة ابن حجة الاحتراس هو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيفطن له فيأتي بما يخلصه من ذلك ومثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فالاحتراس في قوله تعالى من غير سوء عن امكان ان يدخل في البرص أو البهق وغير ذلك ومثاله من الشعر قول بعضهم

وسقى ديارك غير مفسدها صوب الغمام وديمة تهمي

فقوله غير مفسدها احتراس من محو معالمها انتهى وقولي في بيتي المتقدم

وسل أهل مكة فهذا البيت المبارك فيه ايجاز ان بلغان وفيه التورية بتسمية النوع وفيه المناسبة البديعة بين مكة والبيت والحرم ومراعاة النظير أيضا بين الايجاز والمدح والاثبات وفى الابيات تورية أخرى ونوع التمكين فى القافية ظاهر

(ذكر المشاركة)

(بالحجر ساد فلا ند يشاركه * حجر الكتاب المبين الواضح اللقم)

هذا النوع أعنى الاشتراك جعله ابن رشيق وابن أبى الاصبع ثلاثة أقسام قسمان منها من العيوب والسرقات وقسم من المحاسن وهو ان يأتى الناظم فى بيته بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا أو فرعيا فيسبق ذهن سامعها الى المعنى الذى لم يرده الناظم فيأتى فى آخر البيت بما يؤكد ان المقصود غير ما توهمه السامع كقول كثير عزة

وأنت الذى حببت كل قصيرة * الى ولم تعلم بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطا شر النساء البحاتر

فانه أثبت فى البيت الثانى ما أزال به وهم السامع من انه أراد القصار مطلقا وقد يلتبس الاشتراك بالتوهيم على من لا يحققه والفرق بينهما ان الاشتراك لا يكون الا باللفظة المشتركة والتوهيم يكون بها وبغيرها من تحريف أو تصحيف أو تذييل والفرق بينه وبين الايضاح ان الايضاح فى المعانى خاصة لا تعلق له بالالفاظ وهذا نوع اشتراك اللفظة وبيت الشيخ صفى الدين على هذا النوع قوله

شيب المفارق يروى الضرب من دمهم * ذوائب البيض بيض الهند لا اللمم

هذا البيت الاشتراك فيه بين البيض فلولا بيض الهند التى ترشح بها جانب السيوف بذكر الهند لسبق ذهن السامع الى انه أراد الذوائب البيض ولكن بيت الشيخ صفى الدين لم يخل من بعض عقادة والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

وللغزالة تسليم به اشتركت * مع التى هى ترعى نرجس الظلم

هذا البيت يصلح ان يعد من باب الاشارة فى الجناس المعنوى فان الشيخ عز الدين أضمر أحد الركنين وأظهر الآخر وهذا أحد جناس الاشارة من المعنوى فانه ذكر الغزالة فى أول البيت وأضمر الغزالة الشمسية فى الشطر الثانى وهذا النوع تقدم تقريره ولو صرح الشيخ عز الدين فى الشطر الثانى بلفظة الغزالة وذكر معها الاشراق والنور بحيث يزيل وهم السامع أن المراد الغزالة الوحشية ويحقق ان المراد الغزالة الشمسية أو بالعكس كان نوع الاشتراك فى بيته خالصا مع ما فيه من النظر وهو ان كلا من الغزالتين سلم على النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه أظهر لفظ الغزالة الثانية فحتم انه صار جناسا معنويا ولعمرى انه أحسن من بيته الذى استشهد فيه على الجناس المعنوى فى أول بديعيته

وكافر نعم الاحسان فى عذل * كظلمة الليل عن ذا المعنوى عمى

فانه أظهر فى أول البيت لفظة كافر والليل يسمى كافرا فاضمر لفظة كافر الذى هو الليل وتالله ان بيته الذى نظمه شاهدا على نوع الاشتراك يستحق الجناس المعنوى استحقاقا ذوقيا وهو أسجم من هذا البيت وأرق للمعنى وأوقع فى الاسماع وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بالحجر ساد فلا ند يشاركه * حجر الكتاب المبين الواضح اللقم

هذا البيت يجب ان يعتمد عليه فى هذا النوع ولا يخفى على أهل الذوق السليم ما فى تركيبه والعميان ما نظموه فى بديعيتهم وبيت عز الدين تقرر ان الجناس المعنوى أحق به واشتراك بيتى فى لفظة الحجر فانى قلت فى أول بيتى بالحجر ساد وهذه اللفظة مشتركة بين العقل وسورة الحجر فلما قلت فى الشطر الثانى حجر الكتاب المبين زال الالتباس عن السامع وعلم المراد وترشح عنده جانب

﴿ذكر المشاركة﴾

وقلبى منزل لهم احتراس من توهم خلو القلب منهم اذا فهم شدة شوقى الى ديارهم فلما قلت وقلبى منزل لهم وأزلت التوهم وأعلمت ان ذلك الشوق شوق البصر الى رؤية معاهدهم وأما البصيرة فهى معمورة بهم لا يحتجبون عنها طرفة عين والله أعلم

﴿ائتلاف اللفظ باللفظ﴾

فليت شعرى هل حالى بمنتظم
قبل الفوات وهل شملى بملتئم

قال العلامة ابن حجة رحمه الله هذا النوع هو أن يكون فى الكلام معنى يصح معه واحدة من معان فيختار منها لفظة بينها وبين بعض الكلام ائتلاف انتهى وهذا النوع فى البيت ظاهر من قولى منتظم وملتئم فلا يحتاج الى الوضوح والله أعلم

﴿التكرار﴾

نعم نعم حدثتنى وهى صادقة
ظنون سرى حديثا غير
متهم

السورة المنزلة على الممدوح فيه صلى الله عليه وسلم

(ذكر التصريع)

(تصريع أبواب عدن يوم بعثهم * يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم)

هذا النوع أعنى التصريع هو عبارة عن استواء آخر جزء فى صدر البيت وآخر جزء فى عجزه فى الوزن والروى والاعراب وهو أليق ما يكون بمطالع القصائد وفى وسطها ربما تمجه الاذواق والاسماع وهذا وقع فى معلقة امرئ القيس فانه صرع المطلع بقوله

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقال فى اثناء هذه القصيدة

ألا أيها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بامثل

قلت وعلى كل تقدير ليس فى نوع التصريع كبير أمر حتى يعد من أنواع البديع ولكن القوم كلما تغالوا فى الرخص رغبوا فى الكثرة وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

لاقاهم بكماة عند كرهم * على الجسوم دروع من قلوبهم

والعميان ما نظموه وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

لازال بالعزمات الغر والهمم * يصرع الضد بالتشطير فى القمم

وبيت بديعيتى أشير فيه الى النبى صلى الله عليه وسلم

تصريع أبواب عدن يوم بعثهم * يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم

انظر أيها المتأمل المنصف الى بديع التورية وترشيحها عند ذكر الابواب بالفتح هو فتوح فى هذا الباب مع سهولة التركيب وحسن الانسجام وتمكين القافية

(ذكر الاعتراض)

(فلا اعتراض علينا فى محبته * وهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم)

هذا النوع أعنى الاعتراض هو عبارة عن جملة تعترض بين الكلامين تفيد زيادة فى معنى غرض المتكلم ومنهم من سماه الحشو وقالوا فى المقبول منه حشو اللوزنيج وليس بصحيح والفرق بينهما ظاهر وهو ان الاعتراض يفيد زيادة فى غرض المتكلم والناظم والحشو انما يأتى لاقامة الوزن لا غير وفى الاعتراض من المحاسن المكملة للمعانى المقصودة ما يتميز به على أنواع كثيرة ومن معجزه فى القرآن فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ومنه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ومن الشواهد الشعرية قول بعضهم

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان

فقوله وبلغتها من الاعتراضات التى زادت المعنى فائدة فى غرض الشاعر وهو الدعاء للمخاطب وأمثلته كثيرة وبيت الشيخ صفى الدين الحلى يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

فان من أنفذ الرحمن دعوته * وأنت ذاك لديه الجار لم يضم

فقوله وأنت ذاك هو الاعتراض بعينه فانه زاد المعنى وسماه قدامة التفاتا وهو قريب والعميان ما نظموه وبيت الشيخ عز الدين

فلا اعتراض علينا فى السؤال به * أعنى الرسول لكى نجو من الضرم

فقول الشيخ عز الدين أعنى الرسول هو الاعتراض الذى أراده وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض علينا فى محبته * وهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم

فقولى بين الكلامين هو الشفيع هو الاعتراض البديع المتمكن فان فى قول عز الدين أعنى الرسول ركة تدل على ضعف التركيب وكذلك قول الشاعر فى مخلص مديحه أعنى فلانا يدل على

ضعف

(ذكر التصريع)

قال العلامة تاج الدين بن عبد الباقى القرشى اليمانى التكرار عبارة عن اعادة اللفظ لتقرير المعنى واستطرد فى ذكر القبيح منه والحسن ثم قال ولقد جاء فى السنة منه قوله صلى الله عليه وسلم ان بنى هاشم بن المغيرة استأذنوا أن ينكحوا ابنتهم عليا فلا آذن فلا آذن فلا آذن الا أن تطلق ابنتى وتنكح ابنتهم فكرره صلى الله عليه وسلم لتقرير المعنى انتهى وشواهد هذا النوع كثيرة ومن محاسنها قول بعضهم يقلن وقد قيل انى هممت عسى ان يلم بروحى الخيال حقيقا وجدت بهذا السلو فقلت اهن محال محال وفى هذه اللمعة كفاية والتكرار واضح فى صدر بيتى والله أعلم

(المناسبة)

عن جودهم عن نداهم عن فواضلهم
عن منهم عن وفاهم نيل برهم

ذكر الشهاب محمود رحمه الله ان المناسبة فى هذا

ضعف رويته وقلة تصرفه فانهم عدوا ذلك من الخصائص الواهية ولم يجنح اليه الاعوام أهل الادب ومثل الشيخ عز الدين ينتقد عليه ذلك والله أعلم

(ذكر الرجوع)

(ومالنا من رجوع عن حماه بلى * لنا رجوع عن الاوطان والحشم)

هذا النوع أعني الرجوع ذكره ابن المعتز وأبو هلال العسكري وسماه بعضهم استدراكا واعتراضا وليس بصحيح قال القاضي جلال الدين القزويني في التلخيص والايضاح هو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة كقول زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

والنكتة فيه كأنه لما وقف بالديار عرته روعة ذهل بها عن رؤية ما حصل لها من التغير فقال لم يعفها القدم ثم رجع الى عقله وتحقق ما هي عليه من الدروس فقال بلى عفت وعليه بيت الحماسة

أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكل ليس منك قليل

ويعجبني هنا قول أبي البيداء

ومالي انتصار ان غدا الدهر جائرا * على بلى ان كان من عندك النصر

وأما من سمى هذا النوع استدراكا واعتراضا فتسميته غير صحيحة والذي أقول ان هذا الرجوع لافرق فيه بين السلب والايجاب وقد تقدم قول أبي هلال العسكري ان السلب والايجاب هو أن يبني المتكلم كلامه على نفي شئ من جهة واثباته من جهة أخرى وقال القاضي جلال الدين الرجوع هو العود على الكلام السابق بالنقض وكل من التقريرين لائق بالنوعين وللمتأمل أن ينظر في ذلك ليحسن ذوقه وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

أطلتها ضمن تقصيري فقام بها * عذري وهيهات ان العذر لم يقم

وبيت العميان قلوا ابدر ففلوا اغرب شانئهم * به وما قل جمع بالرسول حمى

وبيت الشيخ عز الدين

رمت الرجوع عن الامداح أنظمها * سوى مديح سديد القول محترم

قلت ليس في بيت الشيخ عز الدين رجوع الا عن حشمة الالفاظ وفخامتها في مديح النبي صلى الله عليه وسلم فان قوله سديد القول دون من أنزل الله القرآن في أوصافه ويعجبني قول ابن نباتة في لاميته

ماذا عسى الشعراء اليوم مادحة * من بعد ما مدحت حم تنزيل

وأيضا فانه كان يجب على الشيخ عز الدين ان يقول في النوع البديعي الذي هو الرجوع رجعت عن الامداح حتى يصح النقض في الشطر الثاني وانما قال رمت كأنه يرى أن يرجع وعلى الجملة فالبيت قاصر من كل وجه وبيت بديعيتي أشير فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم بقولي ومالنا من رجوع عن حماه بلى * لنا رجوع عن الاوطان والحشم

هذا البيت لم يحتج الى اطلاق عنان القلم في ميادين الطروس بوصف ما فيه من المحاسن اذ في مدح أهل الذوق من علماء هذا الفن ما يغني عن ذلك والله أعلم

(ذكر الترتيب)

(ترتب الحيوانات السلام له * والنبت حتى جماد الصخر في الاكم)

هذا النوع أعني الترتيب من استخراجات التيفاشي ذكره في كتابه وسماه بهذا الاسم وقال هو أن يجنح الشاعر الى أوصاف شتى في موضوع واحد أو في بيت وما بعده على الترتيب ويكون ترتيبها في الخلقة الطبيعية ولا يدخل الناظم فيها أوصافا زائدا عما يوجد علمه في الذهن أو في العيان كقول مسلم بن الوليد هيفاء في فرعها ليل على قمر * على قضيب على حقف النقا الدهس

(ذكر الرجوع)

الفن حسن التوسل وقررها على ضربين مناسبة في المعاني ومناسبة في الالفاظ فالمعنوية هي ان يريد المتكلم معنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ واستشهد بقول ابن الرشيق القيرواني

أصح وأقوى ما رويناه في الندا
من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويها السيول عن الحيا
عن البحر عن جود الامير تميم

واللفظية هي الاتيان بكلمات متزنات وهي على ضربين تامة وهي ان تكون الكلمات مع الاتزان مقفات كقوله عليه الصلاة والسلام فيما رقى به الحسن والحسين أعيذكما بكلمات الله التامه من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه فقال صلى الله عليه وسلم لامة ولم يقل ملمة وهي القياس لمكان المناسبة اللفظية التامة وغير التامة لانها في الزنة دون التقفية ومن شواهدها قول النبي

(ذكر الترتيب)

فان الاوصاف الاربعة على ترتيب خلقة الانسان من الاعلى الى الاسفل وبيت صفى الدين الحلى

كالنار منه رياح الموت ان عصفت * روى صرى مائه أرض الوغى بدم

ترتيب بيت صفى الدين على العناصر الاربعة وهى الماء والنار والهواء والتراب والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

له الملائك والانسان أجمعهم * والجن والوحش فى الترتيب كالخدم

هذا البيت ذكر الشيخ عز الدين فى شرحه أنه على ترتيب المخلوقات الملائك والانس والجن والوحش ولكن وضع هذا الترتيب غير منتظم على ماقرره التيفاشى وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ترتب الحيوانات السلام له * والنبت حتى جماد الصخر فى الاكم

معلوم ان الموجودات ثلاثة وهى حيوان ونبات وجماد والثلاثة على ترتيب خلقة الانسان من الاعلى الى الاسفل فاذا قلنا جسم نام خرج الجماد لانه لا ينمو واذا قلنا جسم نام متحرك بارادته خرج النبات واذا قلنا جسم نام متحرك بارادته ناطق خرج باقى الحيوان وبقى الانسان وهذا حده والله أعلم بالصواب

(ذكر الاشتقاق)

(محمد أحمد المحمود مبعثه * كل من الحمد تبيين اشتقاقهم)

هذا النوع أعنى الاشتقاق استخرجه الامام أبو هلال العسكرى وذكره فى آخر أنواع البديع من كتابه المعروف بالصناعتين وعرفه بان قال هو أن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى فى غرض يقصده من مدح أو هجاء أو غيره كقول ابن دريد فى نفطويه

لو أوحى النحو الى نفطويه * ما كان هذا العلم يعزى اليه

أحرقه الله بنصف اسمه * وصير الباقى صياحا عليه

وهذا النوع ما ذكره القاضى جلال الدين القزوينى فى التلخيص ولا فى الايضاح ولا ذكره الشهاب محمود فى حسن التوسل ولا نظمه العميان ولا غيرهم من أصحاب البديعيات غير الشيخ صفى الدين الحلى وبيت بديعيته التى ذكر أنه جمعها من سبعين كتابا قوله

لم يلق مرحب منه مرحبا ورأى * ضد اسمه عند هد الحصن والاطم

الشيخ صفى الدين اشتق من اسم مرحب الترحاب حتى يقابله بضده وهذا هو الغرض الذى أراده الناظم وبيت الشيخ عز الدين فى المعارضة قوله

ميم وحاء اشتقاق الاسم محو عدا * والميم والدال مد الخير للامم

هذا البيت يشق على ان أشرح اشتقاقه واذكر ما فيه من التعسف والزيادة وعدم القبول للتجريد فانه أراد أن يمشى على طريق ابن دريد فى الاشتقاق فلم يأت بغير الشقاق وماذاك الا أن اسم نفطويه سداسى قسمه الناظم فى الاشتقاق نصفين جعل النصف الاول نفطا والثانى صياحا وهذا الاشتقاق صحيح على هذا التفصيل وقالوا هو فى محمد رباعى من أين للشيخ عز الدين غفر الله له هذا حتى تصح معه لفظة محو مع انى راجعت شرحه فوجدته قال الميم والحاء من اسم محمد صلى الله عليه وسلم فيهما محو لاعدائه وأيضا فلم نجد أحدا استشهد فى بيت من بيوت بديعيته وصدر بيته بقوله ميم وحاء اشتقاق الاسم محو عدا الا الشيخ عز الدين فان المراد من بيت البديعية أن يكون صالحا للتجريد خاليا من العقادة ليصح الاستشهاد به على ذلك النوع وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم

محمد أحمد المحمود مبعثه * كل من الحمد تبيين اشتقاقهم

قد تقدم تقرير أبى هلال العسكرى فى هذا النوع وهو ان يشتق المتكلم معنى لغرض يقصده

(ذكر الاشراق)

صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأحبكم الى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة محاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الحديث انتهى ومن الغايات فى المناسبة المعنوية التى اشتمل عليها بيتى المتقدم مخلص موشح للعلامة ابن حجة مدح به قاضى القضاة علاء الدين القضامى رحمه الله

رقم السوالف يروى لى بسنده
من رقتى حبهم يا طيب مورده
وثغرها قد روى لى قبل ما انصحت
عن رد ذاك النقا أيام معهده

وقال

والريق برء عن المبرد
يروى حديث الغريب مسند

وقال

عن الصفاهن مذاق
الشهد عن عسل
عن ذوق سيدنا قاضى القضاة على

والمناسبة المعنوية كمانبه

والغرض هنا ان كلا من محمد وأحمد وصفتهما المحمودة مشتق من الحمد وشرف هذا المدح ظاهر والله أعلم

(ذكر الاتفاق)

(ووصفه لابنه قدجاء تسمية * فانه حسن حسب اتفاقهم)

الاتفاق عزيز الوقوع جدا وهو أن يتفق للشاعر واقعة وأسماء مطابقة لتلك الواقعة تعلمه العمل فى نفسها اما بالمشاهدة أو بالسماع فان السبق الى معانى الوقائع يشترك الناس فى مشاهدتها وفى سماعها فاضل لا يجحد وان حصل للشاعر فى ذلك قران سعادة سارت الركبان بقوله وترنم الحادى والملاح به كما اتفق للرضى بن ابى حصينة المصرى فى حسام الدين لؤلؤ صاحب الملك الناصر يوسف حين غزا الفرنج الذين قصدوا الحجاز من بحر القلزم فظفر الحاجب بهم فقال ابن أبى حصينا يخاطب الفرنج

عدوكم لؤلؤ والبحر مسكنه * والدر فى البحر لا يخشى من الغير

واحسن من ذلك وأبدع ما اتفق للشيخ شمس الدين الكوفى الواعظ فى الوزير مؤيد الدين العلقمى حيث قال

ياعصبة الاسلام نوحى والطمى * حزنا على ماحل بالمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقمى

فاتفق ان المذكورين كانا وزيرين وان المورى بهما نهران معروفان وقد طابق الناظم بينهما بالفرات الحلو والعلقم المر ومنه قول ابن الساعاتى وقد حضر الملك الناصر بيت يعقوب من حصون الشام يخاطب الفرنج * دعوا بيت يعقوب فقد جاء يوسف * ومنه قول ابن أبى الاصبع وقد اجتمع الملك الاشرف موسى بالملك الظاهر وهو الخضر بن يوسف بن أيوب

غدا مجمع البحرين شاطى فراتنا * ألم تر موسى فيه قد لقى الخضرا

واتفق لى مع الملك ما يناسب هذه الاتفاقات البديعة فانى أنشدته وقد كسر النيل فى شهر مسرى وبلغه فى يوم الكسر ان نوروز قد وصل من الشام الى غزة وقصد الديار المصرية فقلت

أيا ملكا بالله أضحى مؤيدا * ومنتصبا فى ملكه نصب تمييز
كسرت بمسرى نيل مصر وتنقضى * وحقك بعد الكسر أيام نيروز

الاتفاق البديع الغريب فى هذا البيت ان كسر نوروز بعد كسر مسرى ويسمونه المصريون الكسر النيروزى ولم يبق بعده كسر واتفق لى نظير ذلك بالحضرة المؤيدية وهو ان المقر التاجى نائب السلطنة الشريفة نقل عنه الى المسامع الشريفة كلام فثبت فيه برائته فأنشدته الحضرة الشريفة المؤيدية ما حصل به للخواطر الشريفة الرضا الزائد وهو قولى

سبع وجوه لتاج مصر * تقول مافى الوجوه شبهى
وعند ذو الوجوه يهجى * وأنت تاج بفرد وجه

وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع

ومن غدا اسم أمه نعتا لامته * فتلك آمنة من سائر النقم

اتفاق هذا البيت فى اشتراك لفظى آمنة وآمنة والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

محمد واسمه بالاتفاق له * وصف يشاكه فى اسمه العلم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم واذكر فيه وصفه الشريف لابنه الحسن رضى الله عنه

ووصفه لابنه قد جاء تسمية * فانه حسن حسب اتفاقهم

اتفاق هذا البيت فى اشتراك لفظى حسن وحسن الوصف هو أن النبى صلى الله عليه وسلم أشار الى الحسن رضى الله عنه وقال ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين اه

(ذكر الاتفاق)

عليها واضحة فى بيتى المتقدم فلا تحتاج الى ايضاح وبالله التوفيق

﴿حسن النسق﴾

(سادوا فجودهم جم وبذلهم حتم وموردهم غنم لكل ظمى)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله حسن النسق من محاسن الكلام وهو أن يأتى المتكلم بالكلمات من النثر والابيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليما لا معيبا مستهجنا وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية اذا أفرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه كقول بعضهم

جاور عليا ولا تحفل بحادثة
اذا ادرعت فلا تسأل عن الاسل
سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد
ملء المسامع والافواه والمقل

فالحظ حسن النسق وصحة هذا الترتيب فيه قال

﴿ذكر الابداع﴾

(ابداع أخلاقه ابداع خالقه * فى زخرف الشعر افا سجع بها وهم)

الابداع هو أن يأتى الشاعر فى البيت الواحد بعدة أنواع أو فى القرينة الواحدة من النثر وبما كان فى الكلمة الواحدة ضربان من البديع ومتى لم يكن كذلك فليس بابداع كقوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين هذه الآية الشريفة استخرج منها زكى الدين بن أبى الاصبع أنواعا كثيرة من البديع منها * المناسبة * التامة بين ابلعى وأقلعى * والمطابقة * اللطيفة بين الارض والسماء * والمجاز * فى قوله ويا سماء ومراده مطر السماء * والاستعارة * فى قوله أقلعى * والاشارة * فى قوله تعالى وغيض الماء فانه بهاتين اللفظتين عبر عن معان كثيرة * والتمثيل * فى قوله تعالى وقضى الامر فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بغير لفظ الموضوع له * والارداف * فى قوله تعالى واستوت على الجودى فانه عبر عن استقرارها فى المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى * والتعليل * لان قوله تعالى غيض الماء علة الاستواء * وصحة التقسيم * اذ قد استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه * والاحتراس * فى قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين اذ الدعاء عليهم مشعر بأنهم مستحقون الهلاك احتراسا من ضعيف يتوهم ان الهلاك شمل من يستحق ومن لا يستحق فأكد بالدعاء على المستحقين * والمساواة * لان لفظ الآية الشريفة لا يزيد على معناها * وحسن النسق * لانه سبحانه وتعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن ترتيب * وائتلاف المعنى * لان كل لفظة لا يصلح معها غيرها * والايجاز * لانه سبحانه وتعالى قص القصة بأقصر عبارة * والتسهيم * لانه من أول الآية الى قوله أقلعى يقتضى آخرها * والتهذيب * لان مرادات الالفاظ موصوفة بصفات الحسن وعليها رونق الفصاحة لسلامتها من التعقيد والتقديم والتأخير * والتمكين * لان الفاصلة مستقرة فى قرارها مطمئنة فى مكانها * والانسجام * وهو تحدر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء وباقى مجموع الآية الشريفة هو * الابداع * الذى هو المراد هنا مع تكرار الانواع البديعية وسهوت عن تقديم حسن البيان وهو أن السامع لا يتوقف فى معرفة معنى الكلام ولا يشكل عليه شئ من هذه النظائر وهذا الكلام تعجز عنه قدرة البشر وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على الابداع قوله ذل النضار كما عز النظير لهم * بالفضل والبذل فى علم وفى كرم

الشيخ صفى الدين فى بيته من أنواع البديع التجنيس والتسجيع واللف والنشر والكناية عن الكرم فى قوله ذل النضار وائتلاف المعنى مع المعنى والعميان ما نظموا هذا فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى ذكر فيه ستة عشر نوعا ما أمكن العبد استيعابها وتركته لحذاق الادب وهو قوله

كم ابدعوا روض عدل بعد طولهم * وارعوا حوض فضل قبل قولهم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ابداع أخلاقه ابداع خالقه * فى زخرف الشعر افا سجع بها وهم

الشطر الاول من هذا البيت مشتمل على التورية وعلى جناس التصحيف وعلى الجناس المطلق وعلى الترصيع والمماثلة والتسجيع وائتلاف المعنى مع المعنى والسهولة والشطر الثانى فيه التورية ومراعاة النظير والاعتراض والانسجام ظاهر فى البيت بكماله والابداع الذى هو المراد هنا والله أعلم

﴿ذكر المماثلة﴾

(فالخير ماثله والعفو جاوره * والعدل جانسه فى الحكم والحكم)

هذا النوع أعنى المماثلة هو أن تتماثل ألفاظ الكلام أو بعضها فى الزنة دون التقفية كقوله

(ذكر الابداع)

ومنه قول أبى نواس

واذا جلست الى المدام وشربها
فاجعل حديثك كله فى الكاس
واذا نزعت عن الغواية فليكن
لله ذاك النزع لا للناس

وحسن النسق بمن الله تعالى ثم ببركة الممدوح صلى الله عليه وسلم كظهور النهار فلا يحتاج الى دليل والله أعلم

﴿الايجاز﴾

ياسعدان ساعد الاسعاد واجتمعت
لك الامانى وجئت الحى عن ألم

قال العلامة ابن حجة رحمه الله الايجاز اعتنت به فصحاء العرب وبلغاؤها كثيرا قال وهو على ضربين ايجاز قصر وايجاز حذف فايجاز القصر اختصار الالفاظ وهو كقوله تعالى ولكم فى القصاص حياة فهذا اللفظ الوجيز المعجز هو الايجاز والايضاح والاشارة والكناية والارداف والطباق وحسن البيان والابداع وايجاز

(ذكر المماثلة)

تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ وقد تأتى بعض ألفاظ المماثلة مقفاة من غير قصد لان التقفية فى هذا الباب غير لازمة كقول امرئ القيس كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر القطر

وأما الشاهد الذى هو على أصل هذا الباب فى الزنة دون التقفية فكقول الشاعر

صفوح صبور كريم رزين * اذا ما العقول بدا طيشها

والفرق بين المماثلة والمناسبة توالى الكلمات المتزنة وتفرقها فى المناسبة قلت هذا النوع أعنى المماثلة ما تستحق عقود أنواع البديع بسموها أن ينتظم النوع السافل فى اسلاكها وما أعلم وجه الابداع فيه ماهو ولا نرى من استخراجه وعده بدائعا غير الكثرة وقد حسن أن أنشده هنا

* وكم فار ثابت ولو شاء قللا * و بالله ما اختلج فى فكرى من حين تأدبت أن أرصعه فى قصيدة من قصائدى ولكن حكم المعارضة أوجب ذلك * و بيت الشيخ صفى الدين الحلى

سهل خلائقه صعب عرائكه * جم غرائبه فى الحكم والحكم

والعميان ما نظموا و بيت الشيخ عز الدين الموصلى

يبدى مماثلة يعطى مناسبة * يجزى مجانسة فى الكلم والكلم

و بيت بديعيتى فالخير ماثله والعفو جاوره * والعدل جانسه فى الحكم والحكم

﴿ ذكر حصر الجزئى والحاقه بالكلى ﴾

(الحق بحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلى للعظم)

هذا النوع الغريب اخترعه الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع وهو أن يأتى المتكلم الى نوع فيجعله بالتعظيم له جنسا بعد حصر أقسام الانواع فيه والاجناس كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو و يعلم ما فى البر والبحر فانه سبحانه وتعالى يعلم ما فى البر والبحر من أصناف الحيوانات والجماد حاصر الجزئيات المولدات فرأى الاقتصار على ذلك لا يكمل به التمدح لاحتمال أن يظن ضعيف أنه جل جلاله يعلم الكليات دون الجزئيات فان المولدات وان كانت جزئيات بالنسبة الى جملة العالم فكل واحد منها كلى بالنسبة الى ما تحته من الاجناس والانواع والاصناف فقال لكمال التمدح وما تسقط من ورقة الا يعلمها وعلم سبحانه وتعالى ان علم ذلك يشاركه فيه كل ذى ادراك فتمدح بما لا يشاركه فيه أحد فقال عز من قائل ولا حبة فى ظلمات الارض ثم الحق هذه الجزئيات بالكليات فقال ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وأمثاله من النظم قول الشاعر

اليك طوى عرض البسيطة جاعل * قصارى المطايا أن يلوح لها القصر

فكنت وعزمى فى الظلام وصارمى * ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر

فبشرت آمالى بملك هو الورى * ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

المراد من النوع البيت الثالث فان الشاعر قصد تعظيم الممدوح وتفخيم أمر داره التى قصده فيها ومدح يومه الذى لقيه فيه فجعل الممدوح جميع الورى و جعل داره الدنيا و يومه الدهر فجعل الجزء كليا بعد حصر أقسام الجزئى اما جعله الجزئى كليا فلان الممدوح جزء من الورى والدار جزء من الدنيا واليوم جزء من الدهر وأما حصر أقسام الجزئى فلان العالم عبارة عن أجسام وظروف زمان وظروف مكان وقد حصر ذلك وهذا النوع صعب المسالك فى نظمه عزيز الوقوع والتحصيل وقد فر العميان من نظمه و بيت الشيخ صفى الدين الحلى فيه

شخص هو العالم الكلى فى شرف * ونفسه الجوهر القدسى فى عظم

الشيخ صفى الدين جعل الجزئى كليا فقط وهو القسم الاول لكون الواحد لا يسع جميع القيود و بيت الشيخ عز الدين فألحق الجزء بالكلى منحصرا * اذ دينه الجنس للاديان كلهم

﴿ ذكر حصر الجزئى والحاقه بالكلى ﴾

الحذف عبارة عن حذف بعض لفظة لدلالة الباقى عليه كقوله تعالى واسئل القرية يريد أهل القرية وكقول الشاعر

علفتها تبنا وماء باردا
حتى غدت همالة عيناها

أى وسقيتها ماء باردا انتهى والايجاز فى بيتى المتقدم ظاهر فان تقديره باسعد ان ساعدت الاقدار بالاسعاد واجتمعت لك جميع الامانى وجئت ذلك الحى فحذفت بعض هذه الالفاظ لدلالة الباقى عليها وحصول النوع فى البيت بشرطه المقيد عند أهله والله أعلم

﴿ التتميم ﴾

عرج على قاعة الوعساء منعطفا
على العقيق على الجرعاء من اضم

سماه ابن المعتز اعتراض كلام فى كلام لم يتم معناه ثم يعود المتكلم فيتممه وهو على ضربين معنوى ولفظى فالذى فى المعانى هو تتميم المعنى والذى فى الالفاظ هو تتميم الوزن

هذا البيت ما وجدت فيه للكلام فسحة لامور و بيت بديعيتي

أالحق يحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلي للعظم

النبي صلى الله عليه وسلم صالح أن يكون هنا كليا العلو مقداره وعظمه فقولي عن الانبياء فالجزء يلحق بالكلي للعظم لا يخفى مافيه من المبالغة والمغالاة في وصف الممدوح صلى الله عليه وسلم هذا مع تحرير هذا النوع الذي يدق عن افهام كثيرة وايضاحه مع التورية باسمه وسهولة تركيبه وانسجامه وما أعلم له في هذا الباب نظيرا وما أوضحه و زاده طلاوة وحسنا الا تشريفه بالمديح النبوي

(ذكر الفرائد)

(وشم وميض بروق من فرائده * وانظم حنانيك عقدا غير منفصم)

الفرائد نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة لان المراد منه أن يأتي الناظم أو الناثر بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تتنزل من الكلام منزلة الفرائد من العقد وتدل على فصاحة المتكلم بها بحيث ان تلك اللفظة لو سقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها كقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم قوله تعالى الرفث فريدة لا يقوم غيرها مقامها وكقوله تعالى هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي فقوله سبحانه وتعالى أهش بها على غنمي فريدة يعز على الفصحاء أن يأتوا بمثلها في مكانها ومنه قول عنترة في معلقته

يادار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

فعمي صباحا فريدة في مكانها وروي أن أبا ذر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عم صباحا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد أبدلني ماهو خير منها فقال ماهي قال السلام و بيت الشيخ صفي الدين الحلي ومن له جاور الجزع اليبيس ومن * بكفه أورقت عجزا ذي سلم (١)

الفريدة في بيت الحلي هي العجزاء والعجزاء هي العصا المعقدة والعميان ما نظموا هذا النوع و بيت الشيخ عز الدين

كم حصحص الحق اذ وافت فرائده * وفي الوطيس بدا ثبتا بلا برم

الفريدة في بيت الشيخ عز الدين هي لفظة الوطيس وأما رم فما أبرم فيها أمرا و بيت بديعيتي أقول فيه وأنا مستمر على خطابي لمن رام مديح النبي صلى الله عليه وسلم فاني قلت في البيت الذي قبله

الحق يحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلي للعظم

وقلت بعده في الفرائد

وشم وميض بروق من فرائده * وانظم حنانيك عقدا غير منفصم

الفرائد في هذا البيت ثلاثة وهي شم وحنانيك ومنفصم والوميض صالح لذا والله أعلم بالصواب

(ذكر الترشيح)

(يس زادت على لقمان حكمته * وبان ترشيحه في نون والقلم)

هذا النوع أعني الترشيح هو أن يأتي المتكلم بكلمة لا تصلح لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة ترشحها وتؤهلها لذلك كقول التهامي في مرثيته المشهورة

واذا رجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفير هار

فلولا ذكر الشفير لما كان في الرجاء تورية برجا البئر ولكان من رجوت الامر لقوله أولا واذا رجوت المستحيل قلت وهذا النوع تقدم ذكره في باب التورية المرشحة وقد تقدم أيضا ان التورية أربعة أنواع مجردة ومرشحة ومهيأة ومبينة فالمرشحة هي التي يذكر فيها لازم من لوازم المورى به قبل لفظ التورية أو بعده وسميت مرشحة لترشيحها وتقويتها بذكر لازم المورى به وتقدم

(ذكر الفرائد)

فمن شواهد المعنوي قول بعضهم

أناس اذا لم يقبل الحق منهم * و يعطوه عادوا بالسيوف القواضب

ومن شواهد اللفظي قول أبي تمام

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجا * والليل أسود رقعة الجلباب

فقوله والليل الخ لا يحتاج الى المعنى لان قوله في الدجا يقوم مقامه ومثله قول ديك الجن

تنفست في البيت اذ مزجت * بالماء واستلت سنا اللهب

فذكره المزج والماء زيادة لانه لا يحتاج اليهما في غير اقامة الوزن انتهى والتميم واضح في بيتي المتقدم في قولي منعطفا فان البيت صحيح المعنى بدون هذه اللفظة ولكن بمجيئها فيه تتميم معنوي فان البيت مشتمل على دلالة سعد على طريق القصد بالتعريج على قاعة الوعساء وفي مجيء الامر له بالانعطاف زيادة في الدلالة لا تخفى محاسنها و بها صح النوع في البيت

(ذكر الترشيح)

(١) قوله ذي سلم في نسخة من سلم اه

هذا فى باب التورية المرشحة ولكن ذكروا فى تكرير الترشيح هنا فائدة لم يكن لمكررها حلاوة وهى اذا قيل ما الفرق بين التورية والترشيح وقد جعلت مثاليهما واحدا قلت الفرق بينهما من وجهين أحدهما من أنواع البديع ما لا يحتاج الى ترشيح وهى التورية المجردة المحضة والثانى ان الترشيح لا يختص بالتورية دون بقية الابواب بل يعم المطابقة والاستعارة وغيرهما فى كثير من الابواب ألا ترى الى قول أبى الطيب المتنبى

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * ياجنتى لرأيت فيه جهنما

فان قوله ياجنتى رشحت لفظة جهنم للمطابقة ولو قال مكانها يامنيتى لم يكن فى البيت مطابقة البتة وأما ترشيح الاستعارة فكقول بعض العرب

اذا ما رأيت النسر عزى ابن دأية * وعشش فى وكريه طارت له نفسى

فانه شبه الشيب بالنسر لاشتراكهما فى البياض وشبه الشعر الاسود بابن دأية وهو الغراب لاشتراكهما فى السواد واستعار التعشش من الطائر للشيب لما سماه نسرا ورشح به الى ذكر الطيران الذى استعاره لنفسه من الطائر فقد ترشح باستعارة الى استعارة ولولا خشية الاطالة لذكرت ترشيح التشبيه وترشيح غيره من الانواع وبيت الشيخ صفى الدين الحلى يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان حل أرض اناس شد أزرهم * بما أباح لهم من حط وزرهم

لفظة شد فى البيت للشيخ صفى الدين رشحت لفظة حل للمطابقة ولو أبقاها على حالها فى معنى الحلول لم يكن فى البيت مطابقة البتة والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله فى الفتح ضم من الانصار شملهم * جبر الكسر بترشيح من الرحم

الترشيح فى بيت الشيخ عز الدين ظاهر فانه رشح الفتح للتورية بصريح الضم ورشح الضم للتورية بذكر الكسر وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

يس زادت على لقمان حكمته * وبان ترشيحه فى نون والقلم

فذكر لقمان رشح يس للتورية وذكر نون والقلم رشح لقمان للتورية والفرق بين قولى وبان ترشيحه فى نون والقلم وبين قول الشيخ عز الدين بترشيح من الرحم ظاهر وأما سهولة التركيب وعذوبة الانسجام وتمكين القافية فلم احتج معهما الى اقامة دليل والله تعالى أعلم

(ذكر العنوان)

(بها لصبا أثرت عزا لصاحبها * موسى وكم قد محت عنوان سحرهم)

هذا النوع أعنى العنوان هو أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو ذم أو عتاب أو غير ذلك ثم يأتى القصد لتكميله بالفاظ تكون عنوانا لاخبار متقدمة وقصص مبالغة كقول أبى تمام لاحمد بن أبى دواد

تثبت ان قولا كان زورا * أتى النعمان قبلك عن زياد
فأثر بين حى بنى جلاح * لدى حرب وبين بنى مصاد
وغادر فى صدور الدهر قتلى * بنى بدر على ذات الاصاد

فأتى بعنوان يشير الى قصة النابغة حين وشى به الواشون الى النعمان فجر ذلك حروبا انطوت عليها قطعة من الدهر وذكر فى البيت الثالث عنوانا آخر أشار فيه الى ما جرى بين بنى عبس وبين بنى بدر على غدير ذات الاصاد وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

والعاقب الحبر فى نجران لاح له * يوم التباهل عقبى زلة القدم

الشيخ صفى الدين أشار بعنوانه الى عبد المسيح عالم النصارى حين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم التباهل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله

(ذكر العنوان)

بشرطه والله أعلم

﴿التجريد﴾

(واقصد مصلى به باب السلام وقف لدى المقام وقبل موطئ القدم)

قال صاحب التلخيص هو ان ينتزع من أمر ذى صفة الى آخر مثله وفائدته المبالغة فى تلك الصفة كقولك مررت بالرجل الكريم والنعمة المباركة فجرد من الرجل الكريم النعمة المباركة وعطف عليه كانه غيره ومن الامثلة الشعرية قول الشاعر

اعانق غصن البان من لين قدها
وأجنى جنى الورد من وجناتها

فانه جرد من قدها غصنا ومن وجناتها وردا انتهى والتجريد واضح فى بيتى المتقدم فانى جردت من المصلى مقاما ومن المقام موطئ القدم فصح فيه التجريد بشرطه وتجريد التجريد زيادة عليه وبالله التوفيق

على الكاذبين وكان قد خرج النبى صلى الله عليه وسلم محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن عليهما السلام وفاطمة تمشى خلفهما سلام الله عليهم أجمعين فحين رآهم العاقب قال للنصارى لا تباهلوا محمدا فانى أرى معه وجوها لو أقسم على الله ان يزيل بها الجبال لازالها فانصرفوا وقبلوا الجزية والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

بشرى المسيح أتت عنوان دعوته * وقبله كل هاد صادق القدم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

به العصا أثمرت عز الصاحبها * موسى وكم قد محت عنوان سحرهم

هذا البيت عنوانه ظاهر لم يحتج فيه الى شرح ولكن التورية فى العنوان وترشيحها بلفظة محت لا يخفى ما فيها من المحاسن لان اسم النوع الذى هو القصد هنا وأما قولى به العصا أثمرت فهى مناسبة ليس لها فى الحسن مناسب

(ذكر التسهيم)

(كذا الخليل بتسهيم الدعاء به * أصابهم ونجا من حر نارهم)

هذا النوع مأخوذ من الثوب المسهم وهو الذى يدل احد سهامه على الآخر الذى قبله لكون لونه يقتضى ان يليه لون مخصوص به لمجاورة اللون الذى قبله ومن المؤلفين من جعل التسهيم والترشيح شيأ واحدا والفرق بينهما أن الترشيح لا يدل على غير القافية والتسهيم تارة يدل على عجز البيت وتارة يدل على ما دون العجز وتعريفه أن يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ كابيات أخت عمرو ذى الكلب فان الحذاق بمعانى الشعر وتأليفه يعلمون معنى قولها

* فاقسم يا عمرو لو نبهاك * يقتضى أن يكون تمامه * اذا نبها منك داء عضالا * دون غيره من القوافى لانه لو قال مكان داء عضالا ليثا غضوبا أو أفعى قتولا أو ما ناسب ذلك لكان الداء العضال ابلغ اذ كل منهما يمكن مغالبته والتوقى منه والداء العضال لا دواء له هذا مما يعرف بالمعنى وأما ما يدل على الثانى دلالة لفظية فهو قولها بعده

اذا نبها ليث عريسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا

وكذلك قولها وخرق تجاوزت مجهولة * بوجناء حرف تشكى الكلالا

* فكنت النهار به شمسه *

يقتضى ان يتلوه * وكنت دجا الليل فيه الهلالا * ومنه قول البحترى

أحلت دمى من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامى

* فليس الذى قد حللته بمحلل *

ومن هنا يعرف المتأدب ان تمامه * وليس الذى قد حرمت بحرام * وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

كذاك يونس ناجى ربه فنجى * من بطن حوت له فى اليم ملتقم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

تسهيمه فى الوغى حسم لمتصل * تسليمه فى الرضا وصل لمحتشم

قلت الشيخ عز الدين رماه التسهيم فى العكس فتشوش اذ صار كل من النوعين يتجاذبه وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

كذا الخليل بتسهيم الدعاء به * أصابهم ونجا من حر نارهم

لفظة التسهيم فى هذا البيت انحصر فيها ثلاثة انواع أحدها تسمية النوع والثانى الاستعارة

(ذكر التسهيم)

(التمكين)

(فلى فؤاد بذاك الحى مرتهن سلا السلو وعانى وجده بهم)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله التمكين هو ان يمهد الناثر لسجعة فقرته أو الناظم لقافية بيته تمهيدا تأتى فيه القافية متمكنة فى مكانها مستقرة فى قرارها غير نافرة ولا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه بحيث ان منشد البيت اذا سكت دون القافية كملها السامع بطباعه بدلالة من اللفظ عليها والتمكين بهذا التعريف قد وضح فى بيتى المتقدم بل فى القصيدة بكمالها والله أعلم

(الحذف)

(ناشدته الله والانوار مشرقة تعلو المعالم من سكانها القدم)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله تعالى الحذف عبارة عن أن يحذف المتكلم من كلامه حرفا من حروف

البديعية والثالث التورية المرشحة فان لفظة التسهيم رشحت التورية بذكر الاصابة وتحرير النوع ظاهر فى دلالة الاول على الثانى

(ذكر التطريز)

(شملى بتطريز مدحى فيه منتظم * ياطيب منتظم ياطيب منتظم)

هذا النوع أعنى التطريز هو ان يبتدئ المتكلم أو الشاعر بذكر جمل من الذوات غير منفصلة ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذى قرره وقدره فى تلك الجملة الاولى وعدد الجمل التى وصفت بالذوات عدد تكرر واتحاد لا عدد تغير كقول ابن الرومى

قرون فى رؤس فى وجوه * صلاب فى صلاب فى صلاب

ومثله قوله كان الكأس فى يدها وفيها * عقيق فى عقيق فى عقيق

ومثله قول ابن المعتز فثوبى والمدام ولون خدى * شقيق فى شقيق فى شقيق

وابدع من الجميع والطف قولى من قصيدتى المصغرة

افظيلك والمقيلة مع نظمى * سحير فى سحير فى سحير

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على التطريز

فالجيش والنقع تحت الظل من تكم * فى ظل من تكم فى ظل من تكم

قلت هذا البيت لا يخلو أن يكون للعقادة فيه بعض تراكم والعميان ليس فى بديعيتهم تطريز وبيت الشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله تعالى فى بديعيته قوله

الدين والنقع تطريز لمحترم * فى نصر محترم فى نصر محترم

هذا البيت لم أفهم منه غير لفظة التطريز الذى هو اسم النوع وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

شملى بتطريز مدحى فيه منتظم * ياطيب منتظم ياطيب منتظم

هذا البيت بهجة التطريز ظاهرة على أركانه وقد جمع فيه بين التطريز الذى هو المراد والتورية واللف والنشر والترشيح والاستعارة ومراعاة النظير والسهولة والانسجام والجناس التام والله أعلم

(ذكر التنكيت)

وآله البحر آل أن يقس بندى * كفوفهم فافهموا تنكيت مدحهم

هذا النوع أعنى التنكيت يستحق لغرابته ان ينتظم فى اسلاك البديع ويغار عليه أن يعد مع المماثلة والموازنة ومع التطريز والترصيع وقد تقدم الكلام على سفالة هذه الانواع والتنكيت عبارة عن ان يقصد المتكلم شيأ بالذكر دون أشياء كلها تسد مسده لولا نكتة فى ذلك الشئ المقصود ترجح اختصاصه بالذكر وعلماء هذا الفن أجمعوا على انه لولا تلك النكتة التى انفرد بها لكان القصد اليه دون غيره خطأ ظاهرا عند أهل النقد وجاء من ذلك فى الكتاب العزيز قوله تعالى وأنه هو رب الشعرى فانه سبحانه خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو رب كل شئ لان من العرب من عبد الشعرى وكان يعرف بابن أبى كبشة ودعا خلقا الى عبادتها فأنزل الله تعالى وانه هو رب الشعرى التى ادعيت فيها الربوبية دون سائر النجوم وفى النجوم ماهو أعظم منها ومنه قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فانه سبحانه وتعالى خص تفقهون دون تعلمون لما فى الفقه من الزيادة على العلم والمراد الذى يقتضيه معنى هذا الكلام الفقه فى معرفة كنه التسبيح من الحيوان البهيمى والنبات والجماد الذى تسبيحه بمجرد وجوده الدال على قدرة موجده ومخترعه ومن الامثلة الشعرية قول الخنساء

يذكرنى طلوع الشمس صخرا * واذكره بكل غروب شمس

(ذكر التطريز)
(ذكر التنكيت)

الهجاء أو جميع الحروف المعجمة او جميع الحروف المهملة بشرط عدم التكلف والتعسف وهذا هو الغاية فى هذا الباب كما فعل الحريرى فى بديعية مقاماته بالخطبة المهملة وقد نحوت سبيل العلامة المذكور فى بديعيته فانه حذف الاحرف التى تنقط من تحت فنسجت على منواله بيتى المتقدم والله أعلم

(الاقتباس)

انت الكريم وهذا طور حضرتهم
أقبل ولا تخف الواشين بالكلم

قال العلامة ابن حجة رحمه الله الاقتباس هو ان يضمن المتكلم كلامه آية أو آيات من الكتاب العزيز خاصة هذا هو الاجماع انتهى ومن محاسن هذا النوع قول شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله

خاض العواذل فى حديث مدامعى
لما جرى كالبحر سرعة سيره
فحبسته لاصون سرها كم

نخصت هذين الوقتين بالذكر وان كانت تذكره كل وقت لما فى هذين الوقتين من النكتة المتضمنة للمبالغة فى وصفه بالشجاعة والكرم لان طلوع الشمس وقت الغارات على العدا وغروبها وقت وقود النيران للقرى وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على التنكيت

وآله أمناء الله من شهدت * لقدرهم سورة الاحزاب بالعظم

الشيخ صفى الدين خصص سورة الاحزاب هنا بالذكر لان فيها تصريحا بمدح آل البيت عليهم السلام بقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ولولا هذا الاختصاص كانت كغيرها من السور والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله

ففى براءة تنكيت بمدحته * معناه فى الشرح يشفى داء ذى البكم

ذكر الشيخ عز الدين فى شرحه ان النكتة المقصودة فى بيته فى سورة براءة هى قوله تعالى ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وبيت بديعيتى أشير فيه الى النبى صلى الله عليه وسلم وآله البحر آل ان يقس بندى * كفوفهم فافهموا تنكيت مدحهم

التنكيت فى هذا البيت بديع وغريب فى بابه فانى خصصت الندى بالذكر عند مقايسته بالبحر فى قولى ان البحر عند ندى كفوفهم كالآل والآل هو الذى يحسبه الظمآن ماء ولو قلت انهار كفوفهم أو جداول كفوفهم لسد كل واحد منهما مسده بزيادة زائدة ولكن فى الندا نكتة ليست فيهما وهى الغلو فى ان البحر يصير عند هذا الندى سرابا وهذا الذى أوجب تخصيص الندى بالذكر دون غيره وقد اجتمع فى هذا البيت التنكيت الذى هو القصد هنا والتورية والغلو ومراعاة النظير والجناس والله أعلم

﴿ذكر الارداف﴾

(وفى الوغى رادفوا السن القنا سككا * من العدا فى محل النطق بالكلم)

نوع الارداف قالوا انه هو والكناية شئ واحد قلت واذا كان الامر كذلك كان الواجب اختصارهما وانما ائمة البديع كقدامة والحاتمى والرمانى قالوا ان الفرق بينهما ظاهر والارداف هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظ هو رديفه وتابعه كقوله تعالى واستوت على الجودى فان حقيقة ذلك جلست على المكان فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى الى لفظ هو رديفه وانما عدل عن لفظ الحقيقة لما فى الاستواء الذى هو لفظ الارداف من الاشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل وهذا لا يحصل من لفظ جلست وقعدت ومن الامثلة الشعرية على الارداف قول أبى عبادة البحترى يصف طعنة

فأوجرته أخرى فأحللت نصلها * بحيث يكون اللب والرعب والحقد

ومراده القلب فذكره بلفظ الارداف والفرق بين الارداف وبين الكناية ان الارداف قد تقرر انه عبارة عن تبديل الكلمة بردفها والكناية هى العدول عن التصريح بذكر الشئ الى ما يلزم لان الارداف ليس فيه انتقال من لازم الى ملزوم والمراد بذلك انتقال المذكور الى المتروك كما يقال فلان كثير الرماد ومراده نقله الى ملزومه وهى كثرة الطبخ للاضياف وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله تعالى على الارداف قوله

بقية اسكنوا أطراف سمرهم * من الكماة محل الضغن والاضم

الشيخ صفى الدين زاحم البحترى فى بيته الى ان نزع قلبه من صدره بل جل قصده فى اردافه هنا القلب وكان الواجب العدول عنه لشهرته فى هذا الباب عند أهل البديع والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

للطعن

(ذكر الارداف)

حتى يخوضوا فى حديث غيره

وقول عمى شيخ الاسلام برهان الدين الباعونى رحمه الله قالوا الحيا شراب للانس والبسط جاءت فقلت رداعليهم بئس الشراب وساءت

وفى هذه النبذة ما يدل على المقصود والاقتباس فى بيتى المتقدم واضح والله أعلم

(النوادر)

وشاهد الحسن والاحسان جزؤهم
ولا تدع مثل جزأ غير مقتسم

قال العلامة ابن حجة رحمه الله النوادر سماها بعضهم الاغراب والطرفة وهو أن يأتى الشاعر بمعنى مستغرب لقلة استعماله لا لانه لم يسمع بمثله وهذا مما اختاره قدامة ولكن علماء البديع اختاروا غير مارأى قدامة فانهم قالوا لا يكون المعنى غريبا الا اذا لم يسمع بمثله اه

ومن شواهد هذا النوع قول أبى نواس
هبت انا ريح شمالية

للطعن والضرب ارداف يحل به * فى موضع العقل بحكيه ذو والحكم

و بيت بديعى قلت قبله عن آل النبى صلى الله عليه وسلم مشيرا الى الغلو فى كرمهم

وآله البحر آل ان يقس بندى * كفوفهم فافهموا انكيت مدحهم

وأردفته بقولى فى الشجاعة

وفى الوغى رادفوا السن القنا سكنا * من العدا فى محل النطق بالكلم

انظر أيها المتأمل فى بديع هذا الارداف الغريب الذى ميزته على أقرانه من البحترى الى الشيخ عز الدين بحسن مراعاة النظير الذى أسكنت به الالسنة بالافواه بقولى فى محل النطق بالكلم مع التورية بتسمية النوع والله سبحانه أعلم

(ذكر الايداع)

واودعوا للثرى أجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

هذا النوع أعنى الايداع يغلب عليه التضمين والتضمين غيره فانه معدود من العيوب والعيب المسمى بالتضمين هو أن يكون البيت متوقفا فى معناه على البيت الذى بعده كقول النابغة

وهم وردوا الجفار على تميم * وهم أصحاب يوم عكاظ انى

شهدت لهم مواطن صادقات * انبئهم بود الصدر منى

والايداع الذى نحن بصدده هو ان يودع الناظم شعره بيتا من شعر غيره أو نصف بيت أو ربع بيت بعد أن يوطئ له توطئة تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع ان البيت باجمعه له وأحسن الايداع ما صرف عن معنى غرض الناظم الاول ويجوز عكس البيت المضمن بأن يجعل عجزه صدرا أو صدره عجزا وقد تحذف صدور قصيدة بكمالها و ينظم لها المودع صدورا والغرض اختاره وبالعكس وقد تقدم وتقرر ان الاحسن فى هذا الباب ان يصرف الشاعر ما أودعه فى شعره عن معناه الذى قصده صاحبه الاول و يجوز تضمين البيتين بشرط أن ينقلهما من معناهما الاول الى صيغة أخرى كما حكى ان الحيص بيص قتل جرو كلب وهو سكران فأخذ بعض الشعراء كلبة وعلق فى رقبتها قصة وأطلقها عند باب الوزير فاذا فيها مكتوب

يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى * بخزية ألبسته العار فى البلد

أبدى شجاعته بالليل مجترئا * على جرى ضعيف البطش والجلد

فأنشدت أمه من بعد ما احتسبت * دم الابلق عند الواحد الاحد

أقول للنفس تاساء وتعزية * احدى يدى أصابتنى ولم ترد

كلاهما خلف من بعد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

البيتان الاخيران لامرأة من العرب قتل أخوها ابنها فقالت ذلك تسلية ومنهم من أودع شعره بيتين وكل بيت منهما لشاعر كقول القاضى شهاب الدين محمود

وبتنا على حكم الصبابة مطعمى * زفيرى واشجانى وشربى المدامع

وخلى يعاطينى كؤس ملامة * وينشدنى والهم للقلب صادع

اتطمع من ليلى بوصل وانما * تقطع أعناق الرجال المطامع

فبت كانى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع

البيت الاخير للنابغة قالت غاية الاوائل ان ينقلوا المعنى الاول فى الايداع الى معنى آخر ان كان فى بيتين أو بيت واحد او نصف بيت ولكن الفرقة التى مشت تحت العلم الفاضلى وتحلت بالقطر النباتى وهلم جرا لم يرضوا بنقله مجردا من التورية أو ما يناسبها من أنواع البديع ومما يؤيد قولى هذا قول القاضى جلال الدين القزوينى فى التلخيص وأحسنه ما زاد على الاصل بنكتة كالتورية

(ذكر الايداع)

مشت الى القلب باسباب
أدت رسالات الهوى بيننا
عرفتها من بين أصحابى
فخاراه المجيد الخياط بقوله
يانسيم الصبا الولوع بوجدى
حبذا أنت لو مررت بهند
ولقد رابنى شذاك فبالله
متى عهده باطلال نجد
بين قول الاول عرفتها من بين أصحابى وقول الثانى رابنى شذاك فرق مثل الصبح ظاهر وبالجملة فلطائف هذا النوع كثيرة وهذه اللمعة كافية فى المراد وصحة هذا النوع فى بيتى لا تخفى الا على اجنبى من هذا العلم والله أعلم

(الكناية)

ولا يصدك عن بذل الوجوه لهم
نصح اللواحى وما صاغوا بنطقهم

قال العلامة ابن حجة رحمه الله الكناية اثبات معنى من المعانى فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة ولكن يجىء الى معنى هو ردفه فى الوجود فيومى اليه و يجعله دليلا عليه قال والابدع

والتشبيه وممن أبدع فى نقـله الى التورية علامة هذا الفن الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى بقوله أتانى على البانياسى منشدا * فيالك من شعر ثقيل مطوّل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

ومثله قوله فى مليح اسمه حبيب وهو

حبيب حبيب القلب أخلى منزلا * به كان فى عـرس المسرة يجـلى
فيا صاحبى الذكر قد لذ بالبكا * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

ومايشك من عنده ذوق ان المقطوعين فى الابداع تميزا لمحاسن التورية وغريب النقل الى غرض كل من الناظمين وكذلك تقطيع أعناق الرجال فى ابداع الشهاب محمود فانهم نقلوه الى الصفع وجاءت توريته فى غاية الحسن وهذا هو المذهب الذى انتهت غايات المتأخرين اليه ومن ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا وهو

أقول لمعشر جلدوا ولاطوا * وباتوا عاكفين على الملاح
الستم خير من ركب المطايا * واندى العالمين بطون راح

وقولى ومذ كلمت قلبى سيوف لحاظها * شكوت اليها قصتى وهى تبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم تر قبلى ميتا يتكلم

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

دنوت اليها وهو كالفرخ راقد * فيا خجلتى لما دنوت واذلالى
فقلت امعكيه بالانامل فالتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالى

وقولى طاول الليل بالذؤابة قيس * وتثنى عجبا بلطف وكيس
فلالى السهاد مذ طال ليلى * ياخليلى من ذؤابة قيس

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

تصدى الى ابرى فقلت له اتئد * وحقك لو عاينته وهو ثائر
رأيت الذى لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وأنشدنى ٣ من لفظه لنفسه الكريمة مولانا المقر الاشرف المرحومى القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة كان تغمده الله برحمته ٣ ما اختلف هو والشيخ جمال الدين بن نباتة فى ابداعه واتفقا فى معناه والمعنى فى البيتين المذكورين قبل واما الترشيح فعندى ان التورية فى بيتى المقر الناصرى أرجح وهما قوله

أقول وقد أبى عن أخذ ابرى * وسالت من محاجره دموع
اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

الذى ترجح عندى ان قوله وجاوزه اقعد من قول الشيخ جمال الدين لا كله والذى أقوله ان كلا منهما فى بابه بديع وغريب وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

لم انس موقفنا بكاظمة * والعيش مثل الدار مسود
والدمع ينشد فى مسائله * هل بالطلول لسائل رد

ومثله قولى قف واستمع طربا فليلى فى الدجا * باتت معانقتى ولكن فى الكرى
وجرى لدمعى رقصة بخيالها * اترى درى ذاك الرقيب بما جرى

ومن ابداعاتى الغريبة قولى من اعجاز الملحة

تنكر الحال علينا عندما * سال عليه العارض المسلسل

والابلغ فى هذا الباب ان يكنى المتكلم عن اللفظ القبيح باللفظ الحسن والمعجز فى ذلك قوله تعالى كانا يأكلان الطعام كناية عن الحدث وقوله تعالى وقد أفضى بعضكم الى بعض ويريد بذلك ما بين الزوجين قال وفى السنة النبوية من الكناية مالا يحصى وقوله صلى الله عليه وسلم لا يضع العصا عن كتفه كناية عن كثرة الضرب أو كثرة السفر انتهى ومن شواهد هذا النوع قوله

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

يشير الى طرف العنق وتمام الخلقة ومن ذلك قول الاخطل

أسيلة مجرى الدمع اما وشاحها * فجار وأما الحجل منها فما يجرى

الكناية فى هذا البيت فى ثلاثة مواضع وهى صفة الخد بالسهولة والخصر بالرقة والساق بالغلظ

فعنه سلني ان ترد تعريفه * فانه منكر يارجل

ومما انفرد به الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى تضمين أعجاز الملحة والذى يؤيد انفراده حسن تخلصه من الغزل وهو ماش على التضمين الى مدح قاضى القضاة ولم يزل مستمرا على غرر المدائح اللائقة بالقاضى الى حسن الختام وضمن الشيخ زين الدين بن الوردى نبذة من أعجاز الملحة ولم يفرغها فى غير قوالب الغزل فان التخلص من الغزل الى المدح من المستحيلات فى هذا الباب ولكن الشيخ جمال الدين بن نباتة كان فى ذلك العصر نسيج وحده ومن المعلوم ان الجماعة مثل الشيخ زين الدين بن الوردى والشيخ صلاح الدين الصفدى والشيخ برهان الدين القيراطى وغيرهم ممن عاصره ما منهم الا من تطفل على موائد حلاوته النباتية وقد عن لى ان أورد هنا نبذة من التضمين للشيخين واجعل كلا من أبيات الشيخين وقفا محبسا على أصحاب الذوق السليم قال الشيخ جمال الدين فى المطلع

صرفت فعلى فى الاسى وقولى * بحمد ذى الطول الشديد الحول

وقال الشيخ زين الدين رحمه الله تعالى فى المطلع

ياسائلى عن الكلام المنتظم * هو الذى فى لفظ من أهوى قسم

هذا المطلع من الابداع الذى قصر فيه باع الشيخ زين الدين بن الوردى فانه صدر مطلعه بالصدر وهو جائز ولكنه غير المراد فان الشيخ جمال الدين تقدمه بتضمين الاعجاز ونسج ابداعه على هذا المنوال ومن أغزال الشيخ جمال الدين البديعة فى هذا الباب قوله

أفدى غزالا مثلوا جماله * فى مثل قد أقبلت الغزاله
ماقال مذ ملك قلبى واسترق * كقولهم رب غلام لى ابق
للقمرين وجهه مطالع * فهى ثلاث مالهن رابع
لأحرف الحسن على خديه خط * وقال قوم انها اللام فقط
منفرد بالوصل فى دار الهنا * مثاله الدار وزيد وأنا
لا يختشى تلاعب الظنون * والامر مبنى على السكون
فى خده التبرى هان نشبى * وقيمة الفضة دون الذهب
فاصرف عليه ثروة تسام * فما على صارفها ملام
وان رأيت قده العالى فصف * وقف على المنصوب منه بالالف
والعارض النونى ما أنصفته * وان تكن باللام قد عرفته
واهاله من حرف نون قد عرف * كمثل ما تكتبه لا يختلف
يأتى بنقط الخال فى الاعجام * وتارة يأتى بمعنى اللام
للحظه المسكر فعل يطرب * مفعوله نحو سقى ويشرب
ولا تلم فيه عويشقا تلف * ولا سكيران الذى لا ينصرف
جسمى وذاك الخصر والجفن الدنف * هن حروف الاعتلال المكتنف
فياليحاعنه أخرت القمر * اما لا هوان واما اصغر
كررفما أحلى بسمعى السامى * قولك ياغلام ياغلامى
وارفق بعضنالك فاسوى اسمه * ولا تغير مابقى من رسمه
وقد حكى العذار فى الوقوف * فاعطف على سائلك الضعيف
وافخر بمعنى لحظك المعشوق * فى كل ما أنيثه حقيقى
* يالك لحظا بعاد أزرى * وجاء فى الوزن مثال سكرى

ومثله قول ليلة الاخيلية
ومخرق عنه القميص تخاله
وسط البيوت من الحياء سقيما
كنت بخرق القميص عن الافراط فى الجود لخرق العفاة له عند ازدحامهم عليه لاخذ العطا والامثلة كثيرة وفيما ذكرت كفاية والنوع ببركة الممدوح صلى الله عليه وسلم واضح فى بيتى المتقدم فانى كنيت عن اقرار اللواحى بزعمهم النصح بالصباغة فصح النوع بشرطه والله أعلم

(التخلص)

*(هم المفاليس ماذاقوا الغرام ولا
أمواجى خير خلق الله كلهم)*

قال العلامة ابن حجة رحمه الله حسن التخلص هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى الى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع فى الثانى لشدة الممازجة

يا ناصبا أوصاف ذيالك الصبي * تم الكلام عنده فلتنصب
هيهات بل دع عنك ما أضنى وما * وعاص أسباب الهوى لتسلما
وكرر الامداح فى على * قاضى القضاة الطاهر النقى
بكل معنى قد تناهى واستوى * فى كلم شتى رواها من روى
بادر بناذاك الحمى العالى وصف * اذا اندرجت قائلا ولا تقف
دونك والمدح زكيا معجبا * نحو لقيت القاضى المهذبا
فالجود والعلم عليه أرسى * وهكذا أصبح ثم أمسى
* واهرع الى قارقراه نافع * وافزع الى حام حماه مانع
يقول للضيف نداه جب وجل * ومثله ادخل وانبسط واشرب وكل
* وان ظفرت عنده بوعد * تقول كم مال أفادته يدى
* لله ما ألينه عند العطا * وما أحد سيفه اذا سطا
ان قال قولا بين الغرانبا * وقام قس فى عكاظ خاطبا
وان سخا أتى على ذى العدد * والكيل والوزن ومذروع اليد
معطل السمع عن العذال * فماله مغير بحال *
الفضل جنس بيته المهنا * ونوعه الذى عليه يبنى
سام به أهل العلا جميعا * وارفع ولا رد ولا تقريعا
وان ذكرت افق بيت قدما * فانصب وقل كم كوكب تحوى السما
بيت عظيم المجد والعلاء * عند جميع العرب العرباء
* اذا اجتليت فى العطا جبينه * أو استترت للرجا عينه

منها والبيت مضمن بكماله

تقول قد خلت الهلال لائحا * وقد وجدت المستشار ناصحا
كم بالغنى عنه تولى راجل * وواقف بالباب أضحى سائل
قال له الشرع امض ما تحاوله * واقض قضاء لا يرد قائله
وأنت يا قاصده سر فى جدد * واسع الى الخيرات لقيت الرشد
ولا تقل كان غماما ورحل * كان وما انفك الفتى ولم يزل
باب سواها هجر عداك عيب * وصغر الباب وقل بويب
جود به أنسى أحاديث المطر * فليس يحتاج لها الى خبر
خذ بحر شعر جبته للذكر * وغصت فى البحر ابتغاء الدر
حتى ملا عينى نداه عينا * وطبت نفسا اذ قضيت الدينا
دونكها معمولة الآداب * ممزوجة بملحة الاعراب
مضى بها الليل مضى الانجم * وبات زيد ساهرا لم ينم
فافتح لها باب القبول تجتلى * وان تجد عيبا فسد الخللا
لا زلت مسموع الثنا ذا منن * جائلة دائرة فى الالسن
ما العدا لك راية تقام * فليس الا الكسر والسلام

وقال الشيخ زين الدين بن الوردى

فى صدغه للحسن آيات تخط * وقال قوم انها اللام فقط

قالت الشيخ جمال الدين تقدمه فى هذا البيت بالابداع وهنا بحث لطيف أبحثه مع حذاق الادب

والالتئام بينهما حتى كأنهما أفرغا فى قالب واحد انتهى وقال تاج الدين عبد الباقى القرشى اليمانى رحمه الله حسن التخلص من التغزل الى المدح مما يدل على براعة الشاعر وحسن تصرفه وكمال اقتداره وهو قليل فى اشعار المتقدمين كثير فى اشعار المتأخرين انتهى قال ابن حجة رحمه الله هذا النوع اعتنى به المتأخرون دون العرب ومن جرى مجراهم من المخضرمين ولكنه لم يفتهم واستشهد بجملة مستكثرة من كلام المتقدمين والمتأخرين فمن ذلك قول أبى نواس من قصيدة

دعينى اكثر حاسديك برحلة
الى بلد فيه الخصيب أمير

وقوله

واذا أردت مديح قوم لم تمن
فى مدحهم فامدح بنى
العباس

وقول أبى تمام

ما زالت عن سنن الوفاء ولا
غدت
نفسى على النسوال تحوم

قال

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة (لاحرف الحسن على خده خط) ومراده بذكر الحرف هنا مخالفة القوم له على انها البيت باحرف وانما هي حرف اللام فقط وقال الشيخ زين الدين (في خده للحسن آيات تخط) فلم يبق اقول من خالفه بقوله وقال قوم انها اللام فقط موضع ولا محل واين الآيات التي تخط من اللام ولعمري ان هذا الابداع على هذا التقدير يصير بينه وبين العجز من بيت الملحة بعض مباينة وكان الاليق للشيخ زين الدين الاعراض عن ابداع هذا البيت بعد الشيخ جمال الدين فانه لم يترك لغيره مجالا فيه والله أعلم وقال الشيخ زين الدين بن الوردي رحمه الله تعالى

زمانه غض فلا يخشى فرط * اذا الف الوصل متى يدرج سقط

بسيف جفنه قتلت نفسي * فانه ماض بغير لبس

فيا غزال ان ابنت ما اعتدى * فأسقط الحرف الاخير أبدا

قلت لمذكر لحى خل الفند * واسع الى الخيرات لقيت الرشد

وهذا الابداع أيضا نسخه الشيخ زين الدين من قول الشيخ جمال الدين وسبكه في غير قالبه وأين هذا من قول الشيخ جمال الدين في اشاراته الى قاصد ممدوحه

وأنت يا قاصده سر في جدد * واسع الى الخيرات لقيت الرشد

قال الشيخ زين الدين

وان يكن عدلك في المؤنث * فقل لها خافي رجال العبث

منها وأجاد الى الغاية

قوامه أشبه شئ بالالف * كمثل ما تكتبه لا يختلف

ومثله في الحسن قوله

يا خصره من ردفه فز بالمنى * ولا تسل أخف وزنا أم رجح

تركيب هذا البيت غاية في هذا الباب لانه قدم ذكر الالف في الاول وقال في عجز بيت الملحة كمثل ما تكتبه لا يختلف بخلاف قوله في ذلك البيت آيات وقوله في عجز بيت الملحة وقال قوم انها اللام فقط

وقال عذاره الرقيم فز بلثمه * ولا تغير ما بقى من رسمه

ولكن مرسوم الشيخ جمال الدين أمثل وأين قول الشيخ جمال الدين * وارفق بفضلك فما سوى اسمه * حتى يقول بعد التوطئة * ولا تغير ما بقى من رسمه * من قول الشيخ زين الدين * عذاره الرقيم فز بلثمه * وقال الشيخ زين الدين بعد بيته الاول

تقول فيه خصرة يسيره * كما تقول ناره منيره *

دينار وجهه به شغفت * وكم دنينير به سمعت

باليته يعطف بالوصال * والعطف قد يدخل في الافعال

لا ما حلا لي في هواه العذل * اشبهه الفعل الذي يستقبل

منها وأجاد عيناه أفنت أكثر العشاق * وهكذا تفعل في البواقي

* في ثغره جواهر غوالي * جلوتها منظومة اللآلي

صورته كالبدر فوق الغصن * فانظر اليها نظر المستحسن

وخل عنك يا عذول العذلا * وان تجد عيبا فسد الخللا

وهذا البيت أيضا منسوخ من ابداع الشيخ جمال الدين والبون بينهما بعيد فان الشيخ جمال الدين اعتذر للممدوح في آخر القصيدة في التقصير كما جرت عادة الشعراء بقوله

فافتح لها باب القبول تجتلي * وان تجد عيبا فسد الخللا

هذا مع مطابقة الفتح بالسد في هذا الباب وهذا غاية وأما اعتذار الشيخ زين الدين للعاذل وقوله له

لا والذي هو عالم ان النوى
مر وان أبا الحسين كريم

وقول المتنبي

خليلي انى لا أرى غير شاعر
فكم منهم الدعوى ومني القصائد
فلا تعجبا ان السيوف كثيرة
ولكن سيف الدولة اليوم واحد

وقول أبي المغيرة

أرح عينك مما أنت معتقل
أمضى الاسنة ما قولاذه الكحل
ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما
ضاءت بوجه عبيد الظاهر الدول

وقول بعضهم

وقسم الشعر فاجعل في محاسنه
شذر القلائد واهد الدر للتاج

وبالجملة فالخالص البديعية كثيرة وفيما أشرنا اليه كفاية وانصاف ذوي الاذواق السليمة يشهد بصحة النوع بشرطه المعتبر عند أهله في بيتي المتقدم والله أعلم

عن محبوبه وان تجد عيبا فسد الخلا فالمحبوب عند محبه أجل من هذا القدر والله أعلم وختام الشيخ زين الدين بن الوردي رحمه الله قوله

حتى رثى لى وآلان القولا * والحمد لله على ما أولى

ولعمري انى اختصرت من ايداع الشيخ زين الدين بن الوردي جانبا لم أرضه له ومن الايداعات التى برز فيها الشيخ زين الدين بن الوردي قصيدته التى امتدح بها النبى صلى الله عليه وسلم وضمن فيها اعجاز قصيدة أبى العلاء المعرى وبعض صدورها وهى القصيدة الرائية التى امتدح بها أبو العلاء المعرى ابن القصيصى ونقلها الشيخ زين الدين بن الوردي الى مستحقها صلى الله عليه وسلم وقد عن لى ان أجمع هنا بين الاصل والفرع لتظهر مزية الشيخ زين الدين فانه أظهر فى ايداعه العجائب وأتى بالغرائب ومطلع الشيخ زين الدين خال من الايداع وهو

أدر أحاديث سلع والحمى أدر * والهج بذكر اللوى أو بانه العطر

ومطلع الشيخ أبى العلاء المعرى

ياساهر البرق أيقظ راقد السمر * لعل بالجزع أعوانا على السهر

قال الشيخ زين الدين بعد المطلع

وقف على الجزع واذكرنى اساكنه * لعل بالجزع اعوانا على السهر

وقال فى ايداع صدر مطلع أبى العلاء

اذا تبسم ليلا قل لمبسمه * ياساهر البرق أيقظ راقد السمر

قال أبو العلاء يخاطب البرق

وان بخلت على الاحياء كلهم * فاسق المواطر حيا من بنى مطر

وقال أبو العلاء فى قصر الليل على العاشق ليلة الوصل

يود أن ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح وأجاد الى الغاية بقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم

تشرف الركن اذ قبلت أسوده * وزيد فيه سواد القلب والبصر

قال أبو العلاء

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

فنقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوى فقال يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم

عذبت وردا فلم تهجر على خصر * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

قال أبو العلاء يخاطب محبوبته

قلدت كل مهاة عقد غانية * وفزت بالشكر فى الآرام والعفر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوى وما أحق المادح والممدوح به فقال

ان الغزالة لما ان شفعت نجت * وفزت بالشكر فى الآرام والعفر

قال الشيخ أبو العلاء

أقول والوحش ترمينى باعينها * والطير تعجب منى كيف لم أطر

نقله الشيخ زين الدين وقال

ضمنت مدح رسول الله مبتهجا * والطير تعجب منى كيف لم أطر

قال أبو العلاء

فى بلدة مثل ظهر الضب بت بها * كاننى فوق روق الظبى من حذر

نقله الشيخ زين الدين وقال

(الاطراد)

(محمد المصطفى بن الذبيح أبو الزهراء جد أميرى فتية الكرم)

قال الشيخ صفى الدين الحلى فى شرح بديعيته ان الاطراد كناية عن الاتيان باسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة له واسم من أمكن من أبيه وجده ليزداد الممدوح تعريفا انتهى وشرطه أن يكون فى بيت واحد مستوف غير منقطع من غير ظهور كلفة كاطراد الماء لسهولته وانسجامه وأما غير الصفى الحلى فانهم لم يزيدوا على اسم الممدوح واسم من أمكن من أبيه ومن الشواهد المؤدية له لمذهب الصفى فى بديعيته التى هى نتيجة سبعين كتابا فى هذا العلم قول بعضهم مؤيد الدين أبو جعفر محمد بن العلقمى الوزير وقول بعضهم عبد العظيم الذكى بن أبى الاصـ

بع رب القريض والخطب

ولى ذنوب متى أذكرسوالفها * كاننى فوق روق الظبى من حذر
قال أبو العلاء يخاطب صاحبيه
لا تطويا السير عنى يوم نائبة * فان ذلك ذنب غير مغتفر
قال الشيخ زين الدين بعد قوله ولى ذنوب
ومطمعى انها الاشرك يشركها * فان ذلك ذنب غير مغتفر
قال أبو العلاء يا روع الله سوطى كم أروع به * فؤاد وجناء مثل الطائر الحذر
نقله الشيخ زين الدين وقال
ولى فؤاد متى تفخر سوى مضر * فؤاد وجناء مثل الطائر الحذر
قال أبو العلاء فى المخلص بعد روع الوجناء
باهت بمهرة عدنا نافقلت لها * لولا القصيصى كان المجد فى مضر
قال الشيخ زين الدين لله دره
والله لو أن أهل الارض قاطبة * مثل القصيصى كان المجد فى مضر
قال أبو العلاء مشيرا الى ممدوحه وأساء الادب
وقد تبين قدرى ان معرفتى * من تعلمين سيرضينى عن القدر
نقله الشيخ زين الدين بن الوردى الى المديح النبوى صلى الله عليه وسلم وقال بحق
يا نفس لا تياسى يوم المعاد فلى * من تعلمين سيرضينى عن القدر
قال ابو العلاء وكذب عن القصيصى فى قوله
ولو تقدم فى عصر مضى نزلت * فى وصفه معجز الآيات والسور
نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوى وقال رحمه الله حيث قال
وأين شعرى من الهادى الذى نزلت * فى وصفه معجزات الآى والسور
قال الشيخ أبو العلاء يخاطب ممدوحه
وافقتهم فى اختلاف من زمانكم * والبدر فى الوهن مثل البدر فى السحر
نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوى وقال يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم وسبى العقول بقوله
وانت فى القبر حى ما اعتراك بلى * والبدر فى الوهن مثل البدر فى السحر
قال ابو العلاء يخاطب ممدوحه
اعاذ مجدك عبد الله خالقه * من اعين الشهب لا من اعين البشر
والبيت نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوى بكماله ولكن كان فارس ميدانه وقائد عنانه وكأنه كان معد القصيدته حتى يبرزه فى محله من مديح النبى صلى الله عليه وسلم وهو
لله قولى لعبد الله والده * قولا الى فص علياه على قدر
اعاذ مجدك عبد الله خالقه * من اعين الشهب لا من اعين البشر
قال أبو العلاء يخاطب ممدوحه
سافرت عنا فظل الناس كلهم * يراقبون اياب العيد من سفر
نقله الشيخ زين الدين الى المديح فقال يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم
كم راقبت امم منك القدوم كما * يراقبون اياب العيد من سفر
قال أبو العلاء يخاطب الممدوح
لو غبت شهرك موصولا بتابعه * وابت لا نتقل الاضحى الى صفر
قال الشيخ زين الدين يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم

وعلى هذا المنوال نسجت بيتى المتقدم فحصل النوع فيه بشرطه من غير تعسف ولا تكلف ولم نطاعن بالفاظ أجنبية والله أعلم

(التكرار)

﴿الوافر العظم بن الوافر العظم ابن الوافر العظم بن الوافر العظم﴾

قال قدم النوع فى بيتى المتقدم من قصيدتى هذه وقرر الكلام عليه وأتى به هنا ما يجب هنا من التسوية بذكر آبائه من النبيين عليهم وعليه الصلاة والسلام

(التكميل)

﴿المرتضى المجتبى المخصوص أحمد من اختاره الله قبل اللوح والقلم﴾

قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله التكميل هو أن يأتى المتكلم أو الشاعر بمعنى من مدح أو غيره من فنون الكلام وأغراضه ثم يرى مدحه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل لكن أراد مدح

سل تعطوا شفع تشفع ماترده يكن * لوشئت لانتقل الاضحى الى صفر

قال أبو العلاء فى ختام قصيدته

ولازال بك الايام ممتعة * بالآل والحال والعلياء والعمر

قال الشيخ زين الدين فى ختامه

وارتجى بك من ذى العرش عافية * فى الآل والحال والعلياء والعمر

رحم الله الشيخ زين الدين هذه القصيدة معدودة من محاسنه ولولا خشية الاطالة لاستوعبتها بكمالها فانها بديعة فى باب الابداع انتهى وأما اعجاز قصيدة امرئ القيس اللامية المعلقة فان جماعة من اهل الادب ثابروا على تضمينها وتضمين البعض منها وسبكوها فى قوالب مختلفة الانواع كتب الى مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى الحنفى سقى الله ثراه من دمشق المحروسة الى حماة المحروسة فى صدر رسالته

احن الى تلك السجايا وان نأت * حنين اخى ذكرى حبيب ومنزل

واهدى اليها من سلامى معطرا * بمسك سحيق لاريا القرنفل

وأذكر ليلات بكم قد تصرمت * بدار حبيب لابدارة جلجل

شكوت الى صبرى اشتياقى فقال لى * ترفق ولاتهلك اسى وتجمل

وقالت له ابى عليك معول * وهل عند رسم دارس من معول

فاجبته وصدرت الرسالة بقولى

سرت نسمة منكم الى كانها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فقلت لليلى مذ بدا صبح طرسها * الا ايها الليل الطويل الا انجلى

جنت ماحلا ذوقا فقلت تقربى * ولا تبعدينا عن جناك المعلل

ورقت فاشعار امرء القيس عندها * كجلمود صخر حطه السيل من عل

فقلت قفا نضحك لرقتها على * قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

وتطارح الشيخ جمال الدين والشيخ صلاح الدين قبلنا فى جانب كثير منها ولكن الشيخ جمال الدين تنازل فيها الى الغاية فقال

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى * قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

واما الشيخ صلاح الدين فانه كتب الى الشيخ جمال الدين فى معنى العتب المفرط

افى كل يوم منك عتب يسوءنى * كجلمود صخر حطه السيل من عل

وترمى على طول المدى متجنبا * بسهميك فى اعشار قلب مقتل

فأمسى بليل طال جنح ظلامه * على بانواع الهموم ليبتلى

واغدو كأن القلب من وقدة الجوى * اذا جاش فيه حميه غلى مرجل

تطير شظاياه بصدرى كأنها * بارجائه القصوى اناييش عنصل

وسالت دموعى من همومى ولوعتى * على النحر حتى بل دمعى محملى

اذا عاين الاخوان مابى من الاسى * يقولون لاتهلك أسى وتجمل

ترفق ولاتجزع على فائت الوفا * فما عند رسم دارس من معول

ولى فيك ود طال ماقد شددته * بامراس كتان الى صم جندل

ولى خطرات فيك منها اجتنى * صبحن سلافا من رحيق مفلفل

كان امانيها كؤوس مدامة * غداها نمير الماء غير محلل

انسان بشجاعة مثلا ثم رأى أن الاقتصار عليها دون مدحه بالكرم غير كامل أو بالباس دون الحلم انتهى ومن شواهد هذا النوع قول كثير عزة

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى
فى الحسن عند موفق لقضالها
وسعى الى بلوم عزة نسوة
جعل الاله خدودهن نعالها

فى قوله موفق تكميل اذليس كل من يحاكم اليه موفق ومنها قول الشاعر

لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم
بما احتكمت من الدنيا لما حادا

التكميل فى قوله بما احتكمت من الدنيا وفى هذه النبذة مايدل على المقصود والتكميل فى بيتى واضح وهو قولى أحمد من اختاره الله فليعلم ذلك

(الترتيب)

خير النبيين والبرهان متضح
عقلا ونقلا فلم ترتب ولم تهم

قال العلامة ابن حجة رحمه الله الترتيب من استخراجات التيفاشي وهو أن يجنح الشاعر الى أوصاف لا يدخل فيها وصفا زائدا عما يوجد عليه في الذهن أو العيان اه والترتيب في بيتي هو في ذكر العقل والنقل ولا ثالث لهما في الحجة والله أعلم

﴿التسميط﴾

﴿أسناهم نسبا أزكاهم حسبا
أعلاهم قربا من بارئ النسم﴾

قال العلامة ابن حجة رحمه الله التسميط هو أن يجعل المتكلم مقاطيع أجزاء البيت أو القرينة على سجع يخالف قافية البيت أو آخر القافية كقول مروان بن أبي حفصة

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا
أجابوا وان أعطوا أصابوا وأجزلوا

فان أجزاء البيت مسجعة على خلاف قافيته فتكون القافية بمنزلة السمط والاجزاء المسجعة بمنزلة حب العقد انتهى

سلوت غوايات الشبيبة والصبا * وليس فؤادي عن هواها بمنسلي
واجلو محيا الود فيك لاهله * متى مارق العين فيه بسهل
فكر على جيش الجناية عائدا * بمجرد قيد الاوابد هيكل
تجد خفرات الانس منها كواعبا * ترائبها مصقولة كالسجنجل
وخل الجفا وارجع الى معهد الوفا * وان كنت قد أزمعت صرمي فاجمل
حلا ودك الماضي وان لم تعد أعد * لدى سمرات الحي ناقف حنظل

فاجابه الشيخ جمال الدين متهكما في المطلع والتهكم فيه غاية لا تكاد تخفى على حذاق الادب بقوله

فطمت ولائي ثم أقلبت عاتبا * أفاطم مهلا بعض هذا التدلل
بروحي ألفاظ تعرض عتبها * تعرض اثنا الوشاح المفصل
فاحييت ودا كان كالرسم عافيا * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تعفى رياح العذر منك رقومه * لما نسجتها من جنوب وشمأل
نعم قوضت منك المودة وانقضت * فيا عجبا من رحلها المتحمل
أمولاي لا تسلك من الظلم والجفا * بناطن خبت ذي قفاف عقنقل
ولا تنس مني صحبة تصدع الدجا * بصبح وما الاصباح منك بامثل
صحبتك لا الوي على صاحب عطا * بجيد معم في العشيرة مخول
وحاولت من ادناء ودك ما نأى * فازلت فيه العصم في كل منزل
بقلب لي وجدي به سوط سائق * وارخاء سرحان وتقريب تتفل
وكم خدمة تجلتها ومحبة * تمتعت من لهو بها غير معجل
وكم أسطر مني ومنك كأنها * عذارى دراري في ملاء مذيل
وقلب خليل ينشد الود همه * الا أيها الليل الطويل الا انجلي
وكم ناصح كذبت دعواه اذ غدت * على وآلت حلفة لم تحلل
ولحية لاح غاظها ضحكي على * أثيث كقنو النخلة المتعثكل
ترى بعر الآرام في عرصاتها * وقيعانها كانه حب فلفل
نزعت لسكري ساحبا من صبابتي * على اثرها اذيال مرط مرحل
الى أن تبدى عذره متمطيا * وأردف اعجازا وناء بكلكل
فلاطفته في حالتيه ولم أقل * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
وضن باسطار كان يراعها * أساريع ظبي أو مساويك اسحل
ويقرع سمعي من معاريض لفظه * مداك عروس أو صلاية حنظل
وعدنا لود ما لأ القلب عوده * بشحم كهداب الدمقس المفتل
أعدت صلاح الدين عهد مودة * بكل مغار الفتل شدت بيذبل
فدونك عتبي اللفظ ليس بفاحش * اذا هي نصته ولا بمعطل
وعادات حب هن أشهر فيك من * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

والذي أقوله المهيع الذي اخترعه الصاحب فخر الدين بن مكانس ومشى عليه في تضمين هذه المعلقة بعد من المعلقات في بابه * فانه ضمنها في مداعبة رجل من أصحابه * كان كبير الانف وأتى بما الا اختلج في صدر متأدب * ولا سمع بعده المرقص والمطرب * وهو قوله

تأنف عن وصف الغزال تغزلي * بلحية أنف ذي عقاص ومرسل

أنظر أيها المتأدب ما ألطف تأنف هنا وألطف منه قوله بلحية أنف فان العقاص جمع عقيصة

وهو ماجمع من الشعر والمرسل الشعر المسرح ومراده ان لحية هذا الانف غزيرة الشعر مسرحة وقال مشيرا اليها

من البق فيها جلة قد تعرضت * تعرض اثناء الوشاح المفصل
فياقبح شعر فوق أنف معرقص * أثيث كقنو النخلة المتعشكل

الاثيث الكثير والمتعشكل الذى دخل بعضه فى بعض لكثرته وتدلى وهكذا قنو النخلة الذى شبه به الصاحب فخر الدين هذا الانف ولعمرى ان هذا الابداع من السحر فى نقله الى هذه الصفة الغريبة وقال بعده

وقالوا اختبا فى شعره فكأنه * كبير اناس فى بجاد مزمل

هذا التشبيه بالنسبة الى كبر الانف نوع من الغلو وهو من المخترعات فى بابه فان امرأ القيس شبه به جبل ثبير فقال كأن ثبيرا فى عرانين وبله * كبير اناس فى بجاد مزمل والعرانين جمع عرنين وهو الانف والوبل ماعظم من المطر والبجاد كساء مخطط من الشعر الابيض والاسود فنقله الصاحب فخر الدين فى ابداعه الى الانف لما فيه من الشعر الابيض والاسود الذى انتسج فى أنفه كالبجاد وشبهه لما اختفى فى ذلك الشعر بكبير اناس فى بجاد مزمل أى ملتف وقد تقدم قولى انه من المخترعات

مقلص كلتا الجانبين كأنه * لدى سمرات الحى ناقف حنظل

وهذا التشبيه أيضا من العجائب فان هذا الانف لم يبرح سائلا فشبهه الصاحب برجل ناقف حنظل فان ناقف الحنظل كثير الدمع لشدة حرارته وقال

ترى القمل والصيبان فى عرصاته * وقيعانه كأنه حب فلفل
وفى جوفه شعر طويل كأنه * بارجائه القصوى انابيش عنصل
فيالك شعرا فوق انف معظم * يلوح كهداب الدمقس المفتل
وكم قلت اذ أرخى ذوائب أنفه * على بانواع الهموم ليبتلى
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بامثل

الصاحب فخر الدين رحمه الله ضمن هنا عجزا وبيتا كاملا بنصف بيت واحد وفى هذا من الروية والقوة مايزيد على الوصف واماقوله بعدما أرخى هذا الرجل ذوائب انفه الا ايها الليل الطويل ألا انجلى فان هذا نوع من السحر بل السحر بعينه ومن المبالغة المفرطة فى هذا الباب قوله

كأن الفسا ان قيس مع ريح انفه * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
ترى شعرات الانف سدت خدوده * لما نسجتها من جنوب وشمأل
وقد درست بالانف آثار وجهه * فهل عند رسم دارس من معول
كأنى غداة البين يوم تحملوا * ...

كأنى بمولانا على وصف انفه * تولى باعجازونا بكلكل
وجرد شعر الانف منه وجاءنا * بمجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

هذا الذى وقع عليه الاختيار من اختراع الصاحب فخر الدين تغمده الله برحمته ورضوانه ولعمرى انه من الاختراع الذى لم يسبق اليه * ولا حام فكر من قبله عليه * انتهى وكان الامير مجير الدين ابن تميم يجنح الى نوع الابداع كثيرا وأتى فيه بالعجائب والغرائب وقال من شغفه بالتضمين

أطالع كل ديوان أراه * ولم أزجر عن التضمين طيرى
اضمن كل بيت فيه معنى * فشعرى نصفه من شعر غيرى

ومن تضامينه

والتسميط ظاهر فى بيتى فلا يحتاج الى الايضاح والله أعلم

﴿السهولة﴾

طه المنادى بألقاب العلا شرفا
وغيره بالاسامى ضمن كتبهم

قال السهولة ذكرها التيفاشى مضافة الى باب الطرفة وشركها غيره بالانسجام وذكرها غيره بالانسجام وذكرها ابن سنان الخفاجى فى كتاب الفصاحة وقال هى خلو اللفظ من التكليف والتعقيد والتعسف فى السبك وقال التيفاشى هى ان يأتى الشاعر بألفاظ سهلة تتميز على سواها عند من له أدنى ذوق فى الادب وهى ممايدل على رقة الحاشية وسلامة الطبع وحسن الروية انتهى ومن الشواهد لبعضهم

ألست وعدتنى ياقلب انى
اذا ماتبت من ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى
فمالك كلما ذكرت تذوب

وللبهاء زهير

ومدام من رضاب
بحباب من ثنايا
كان ما كان ومنه
بعد فى النفس بقايا

اقـدى الذى اهوى بفيـه شاربا * من بركة راقت وطابت مشرعا
ابدت لعيـنى وجهـــه وخياله * فأرتنى القـمرين فى وقت معا

وله أيضا
وشبابة قد كنت أهوى سماعها * وقد صرت منها بعد ماتبت انفر
وها أنا قـد فارقتها غـير نادم * وكم مثلها فارقتها وهى تصـفر

وأورد العميان فى شرح بديعيتهم بيتين ذكروا ان تضمينهما لبعض المتقدمين من المغاربة وهـما على طريقتهم ولكن اعجبانى وهما

وفـرع كان يوعــدنى بأسر * وكان القلب ليس له قـرار
فنادى وجهـه لا خوف فاسكن * كلام الليـل يمحوه النهار

ومن التضامين البديعة قول زكى الدين بن أبى الاصبع وقد جعل مطلع أبى الطيب عجز بيتين فلم يلحق فيهما فانه نقلهما من فخامة التحمس الى زخارف الغزل بقوله

اذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها * تذكرت مابين العذيب وبارق
ويذكرنى من قـدها ومـدامعى * مجرعوالينا ومجرى السوابق

ومن تضامين ابن تميم

عاينت فى الحمام أسـود واثبا * من فوق أبيض كالهلال المسفر
فـكانما هو زورق من فضـــة * قـد أثقلتـه حمولة من عنـبر

وقال فى الفانوس

* يقول لى الفانوس حين أتوابه * وفى قلبـه نار من الوجـد تسـعر
خذوا بيدى ثم اكشفوا الثوب تنظروا * ضـنى جسـدى لكننى أتسـتر

وله
أزهر اللوز أنت لكل زهر * من الازهار يأتينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك فى فم الدهر ابتسـام

وقال
لو كنت اذ أبصرتها فـوارة * للشمس فى أمواهـها الا لاء
لرأيت أعجب ماترى مـن بركة * سال النضار بها وقام الماء

وقال غيره وسبكه فى غير هذا القالب

لو كنت فى الحمام والحناء على * اعطافه وجسمـه لا لاء
لرأيت ماسبيك منـــه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

وقال
يامن يقـول بان رشـف لمى الحبائب لم يرق
وغـــدا يعنفـنى به * دع عنك تعنيفى وذق

وقال
لما رأيت البـدر فى ساعدى * ونرجس الانجـم قـد صوحا
افنيت رشـفا فيـه ريق الدجا * من قبل أن ترشف شمس الضحا

وقوله
صهباء ريقتـه رشفت سـلافها * وتغلبت فعجزت ان أتكلما
واذا سـئلت أقل لمن هو سائل * انى لا اعـلم ماتقول وانما

ومن محاسن الشيخ سراج الدين الوراق قوله

توارت من الواشى بليل ذوائب * له من جبين واضح تحته فجر
فـدل عليها شـعرها بظلامه * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

نقله الشيخ شمس الدين بن الصائغ الى المداعبة وزاده تورية بقوله

تطلبت جرانى الظلام فلم أجـد * ومن يك مثلى حية دأبه الجحر
فنادانى البدر الاديب الى هنا * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

ولـه قال
ان امرى لعجيب
مارى أعجب منه
كل يوم لى فيه
غائب أسال عنه

والامثلة كثيرة فى هـذا النـوع وفيما ذكرته كفاية والنوع واضح فى بيتى المتقدم وبالله التوفيق

﴿المماثلة﴾

(عزت جـلالتـه جلت مكانته
عمت هـدايته للخـلق بالنعم)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله المماثلة هو ان يتماثل ألفاظ الكلام فى الزنة دون التقفية كقوله تعالى وماأدراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ وقد تأتى بعض ألفاظ المماثلة مقفاة من غير قصد لان التقفية فى هـذا البـاب غـير لازمة كقول امرئ القيس

كان المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر العطر أوالزهر

الشاهد على هـذا الباب فى الزنة دون التقفيـة قول الشاعر

صفوح كريم رزين اذا رأين العقول لدى طيشها

انتهى والنوع أيضا واضح

ويعجبني من تضمين ابن أبي الاصبع قوله وهو منقول من الحماسة الى الغزل

له من ودادى مثل كفيه صافيا * ولى منه ماضمت عليه الانامل
ومن قده الزاهى ونبت عذاره * صدور رماح أشرعت وسلاسل

وقوله

هذا الذى أنا قد سمعت بحبه * كرما بلؤلؤ دمعى المنتظم
* لا تحرمونى ضم اسمر قده * ليس الكريم على القنا بمحرم

ومن تضامين الشيخ محمود البديعة قوله

من حاتم عد عنه واطرح فيه * فى الجود لا بسواه يضرب المثل
لو مثل الجود سرحا قال حاتمهم * لا ناقة لى فى هذا ولا جمل

ومن محاسن تضامين شمس الدين محمد بن العفيف البديعة قوله

قالوا غدا تندم عن لثمه * فى خده اذ يغلب السكر
فقال لى مبسمه دعهم * اليوم خمر وغدا أمر

وقال

جلا ثغرا واطلع لى ثنايا * يسوق بها المحب الى المنايا
وأنشد ثغره يبغى افتخارا * انا ابن جلا وطلاع الثنايا

ومن تضامين مجير الدين بن تميم التى تطفل الناس عليها بعده قوله

ان تاه ثغر الاقاحى اذ تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عند ما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ومن تضامين القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر البديعة قوله

وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عندها وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومن تضامين الشيخ صلاح الدين الصفدى قوله

ملكت كتابا أخلق الدهر رسمه * وما أحد فى دهره بمخلد
اذا عاينت عينى الجديدة جلده * يقولون لا تهلك اسى وتجلد

وقال

قل للرقيب يستريح من عذلى * ما أصبح المعشوق عندى مشتهى
وارتد قلبى عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

وقال مضمنا ومكتفيا

رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لى صبر
وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر

ومن تضامين الشيخ عز الدين الموصلى

وعلق يرى للترك فيه تحمس * يقود عليه احدب ويعاشره
اذا جاءه اللوطى يطلب وصله * ثنى طرفه نحو الحسام يشاوره

وله أيضا

جادلنا كالشادن الربيب * لحظته بالنظر المريب
فقال فى السكرة عند نومه * يارب سلمها من الدبيب

وقال

نادمته ومالاخلاق لهم ولا * ميل الى طرب ولا سمار
يستيقظون الى نهيق حميرهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

وقال

لحديث نبت فى العذار حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهانى المرد قلت تمهلوا * فاليكم هذا الحديث يساق

ومن تضامين الشيخ برهان الدين المعمار التى اجاد فيها قوله

عرمت على رقيى محاسن وجهه * بأنوار آيات الضحى حين اقبلا

فى بيتى المتقدم فلا يحتاج الى تنبيه والله أعلم

﴿الاعتراض﴾

(أعظم به من نبى مرسل نزلت
فى مدحه محكم الآيات من حكم)

قال العلامة تاج الدين عبد الباقى القرشى اليمانى رحمه الله هو أن يأتى فى أثناء الكلام بما لو سقط لبقى الاول على تركيبه لافادة نوع خصوصية الاعتناء به كرفع الشك والاغناء عن السؤال أو تقرير المعنى وتمكينه ونحو ذلك بحسب المقصد انتهى وقد يؤتى به مفردا مثاله قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون وجملة ومثاله قول كثير عزة لوان الباخلين وأنت منهم رأوك تعلموا منك المطالا وقد يؤتى به لرفع الشك والاغناء عن السؤال كقول نصيب
وكدت ولم أخلق من الطير ان بدا

فلما بدا يفتر عن نظم ثغره * بدأت بيسم الله فى النظم أوّلا

وكتب الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى الى الشيخ سيف الدين الآمدى

لئن تقدم قوم عصر سيدنا * فكم تقدم خير المرسلين نبى
وان يكن علمه فرعا لعلمهم * فان فى الخمر معنى ليس فى العنب
وان أتت قبله كتب مؤلفة * فالسيف أصدق انباء من الكتب

ومن الغايات فى هذا الباب قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب

لله يوم الوفاء والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر ازاهره
وللوفاء عمود من أصابعه * مخلق تملا الدنيا بشائره

ومما جاد به الشيخ برهان الدين القيراطى فى تضمينه

قل فى اخضرار عذاره وقوامه * خلع الربيع على غصون البان
وانثر من الاغزال فى اردافه * حللا فواصلها على الكثبان

ومن غايات الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى هذا الباب قوله

قل للهلال وغيم الافق يستره * حكيت طلعة من أهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

ومن تضامين علاء الدين بن ايبك الدمشقى البديعة قوله

أقول وقد ظمئت ووجه حبى * له عرق على ورد الخدود
أرى ماء وبى ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

ومن تضامين القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر قوله

لقد قال لى اذ رحت من خمر ريقه * أحث كؤسا من ألذ مقبل
بلثم شفاهى بعد تقبيل مبسمى * تنقل فلذات الهوى فى التنقل

وظريف فى هذا الباب قول الشيخ بدر الدين بن المنجى

ولما خلونا والمسرة بيننا * وقد عز شرب الراح فينا عن الشرب
تعوض كل بالحشيش عن الطلا * ومن لم يجد ماء تيمم بالترب

ومن تضامين شهاب الدين بن أبى حجلة البديعة قوله

يحكى سنا الفانوس من بعد لنا * برقا تألق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به اجفانه

وقال فيه

أنا فى الدجا ألقى الهوى وبهجتى * حرق يذوب لها الفؤاد جميعه
وكأننى فى الليل صب مغرم * كتم الهوى فوشت عليه دموعه

وقال وأجاد

ياصاح قد حضر الشراب ومنيتى * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقنى * واجعل حديثك كله فى الكاس

ومن تضامين الشيخ برهان الدين القيراطى

تجمعت من نطف ذاته * حتى بدا فى قالب فاسد
وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

وقال مضمنا فى قطائف

لقد نطقت زهر الثنا بقطائف * تخيرتها فاختر لنفسك ما يحلو
تقول اسمعوا منى مدائح مرسلى * وكلى ان حدثتكم ألسن تتلو

وله فى باذهنج وأجاد

(ى)

سنا بارق نحو الحجاز أطير وقد يؤتى به لتقرير المعنى ويؤكده ما فى قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وقد يجىء للاستعطاف كقول الشاعر

فمن لى بالعين التى كنت مرة * الى بها نفسى فداؤك تنظر

وقد يؤتى به للدعاء كقول أبى الشيص

ان الثمانين وبلغتها * قد احوجت سمعى الى ترجمان

وقد يؤتى به للتنبيه كما فى قول الشاعر

اعلم فعلم المرء ينفعه * ان سوف يأتى كل ما قدرا

وبالجملة فمجيئه فى أثناء الكلام تكاد معانيه ان لا تنحصر ادراكا بحسب القصد وحصرها لهذا الوجه متعذر والاعتراض فى بيتى المتقدم جاء مفردا للتوكيد ولتقرير المعنى فى لفظة مرسل اذ ليس كل نبى رسولا ولو سقطت من البيت لبقى على تركيبه

روحى افـدى باذهنجاموكلا * باطفاء ما ألقاه من حرق الجـوى
اذا فتحت فى الحر منـه طوابق * أتانى هواها قبل ان أعرف الهوى

وقال فيه
ايا باذهنجاصح فيـه لنا الهوا * صفاتك ما وفى بهـن خطاب
وما شئت الا ان أدل عـواذلى * على ان عشقى فى هواك صواب

وقال فيه الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة وأجاد
هجا الشعراء جهلا باذهنجى * لان نسيمه أبدا عليـل *
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا

ويعجبنى من قصائد الشيخ برهان الدين القيراطى قوله
وموسوس عند الطهارة لم يزل * أبدا على الماء الكثير مواظبا
يستصغر البحر الكبير لذقنه * ويظن دجلة ليس تكفى شاربا

ومن غاياته فى هذا الباب قوله
ولما بدا والليـل أسود فاحم * وقد انتشرت فى الخافقين غياهبه
اضاء بدر الثغر عند ابتسامه * دجا الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وقال بدر الدين حسن الزغارى وأجاد
وبى سامرى مر بى فى عمامة * قد اكتسبت من وجنتيه احمرارها
موردة دارت بوجـه كانما * تناولها من خـده فأدارها

ومثله قول الشيخ عز الدين الموصلى
وسامرى أعار البدر منه سنا * سموه نجما وهذا النجم غرار
تهتز قامتـه من تحت عمته * كأنه علم فى رأسه نار

ومن تضامين محيى الدين بن قرناص الحموى
افديه أغيـد زارنى تحت الدجا * وعليه من فرعيه ليـل ساجى
والفرق بين الشعر فوق جبينه * عريان يمشى فى الدجا بسراج

وقال أيضا
سقى الله روضا قد تبدى لناظرى * به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيـه ينضح

وقوله فى كاحل
دعوا الشمس من كل الجفون فكفه * تسوق الى الطرف الصحيح الدواهيا
فكم أذهبت من ناظر بسواده * وخلت بياضا خلفها ومآقيا

وقال الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة
ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * أمسيت تمشى فى المسرة راكبا
ومتى طرقت عشى آنس ديرها * لم تلق الا راغبا أو راهبا

وقال ابن الوردى تعجبت من اشتهار بيتين ما أحكمهما بانيهما ولا اعتنى بمعانيهما وهما
مقامات الغريب بكل أرض * كبنيان القصور على الثلوج
يذوب الثلج تنهـدم البنايا * وقد عزم الغريب على الخروج

فخلصتهما من مقامات الغريب بكل أرض وأوقدت فكرتى فذاب الثلج وانهدمت البنايا المستحقة للنقض وجعلتهما اسمى من السماء ونقلتهما من كثافة الارض فقلت
مليح ردفـه والساق منـه * كبنيان القصور على الثلوج
خـذوا من خده القانى نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

ولكن مجيئها فيـه لافادة التوكيد وتقرير المعنى وبالله التوفيق

(الايداع)

يثنى مفصلها عن عزم ثنية من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

قال العلامة ابن حجة رحمه الله هو ان يودع الناظم شعره بيتا من شعر غيره او نصف بيت او بعض نصف بيت بعد أن يوطئ له توطئة تناسبه بروابط ملاءمة بحيث يظن السامع أن البيت باجمعه له ويجوز عكس البيت المضمن بان يجعل صدره عجزا أو عجزه صدرا انتهى وهذا النوع شهرته تغنى عن ذكر الشواهد وبيتى المتقدم ضمنت فيه الشطرة الثانية من ميمية الابوصيرى الموسومة بالبردة تيمنا بابقاء آثار ناظمها أعاد الله علينا من بركته وبالله التوفيق

(الاشارة)

تبارك الله من أوحى اليه بما

قلت وقد سألني بعض حذاق الادب عن بيت ابن مطروح الذي لم تصل أفواه البلغاء الى لثم اعتابه * ولا الحضور الى جنابه * ولا وجدوا طاقة للدخول من بابه * فضمنته تضمينا لو سمعه ابن مطروح لطرح نفسه خاضعا * وسلم الى مفاتيح بيته طائعا * وهو قوله

لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

فقلت

ولما خلعنا العذار * فككنا طوق الخجل

لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

ومن تضامين الشيخ زين الدين بن الوردي ما ذكره في ديوانه انه كان له صاحب يدعى بالمجد حصل له أذية مفرطة من زوجته وأبيها وجدها فكتب اليه الشيخ

زوجة مجد الدين والداها * في ثلب عرض المجد اشبهاها

ان اباها وأبا اباها * قد بلغا في المجد غايتاها

ومن تضميني الذي ما حام فكر من ضمن اعجاز الملحة عليه * ولا سبقني جواد من فحول العربية اليه قولي مداعبا

نصبت أري اذ نحوت نيكه * وهو يريد رفعها الى ابتدا

و بعد ذا للجر قد أضفته * وفي المضاف ما يجر أبدا

وأنشدني من لفظه الكريم قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر من هذا الباب بيتين كان مولانا قاضي القضاة علاء الدين يترنم بهما

تيه فلان الدين مع فقره * أقوى دليل انه جاهل

اشو به بالصقل من فوقه * فعاقع ما تحتها طائل

وقال أيضا في المجون

وشاعر فاسق أتى امرأة * من خلف اذ امه المليح قلي

وقال اذا عاتبوه معتذرا * تلجي الضرورات في الامور الى

ومن تضاميني الغريبة

حشت عزمي شوقا اليكم * فلم أطق مكثة بارض

وحيث لم أحظ بالتلاقي * فغايتي ان ألوم حظي

وقولي

يقول معذبي حسن تخير * سواي فقلت قد عز اصطباري

وكم في الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتي وقع اختياري

وأنشد المقر المرحومي محمد بن منهال ناصر الدين عين الموقعين بدمشق المحروسة بيتين لابن الوردي والاصل للعريري صاحب المقامات

لوجنة صيادكم نسخة * حريرية ملحة في الملح

يقول لنبت العذار اجتهد * ومد الشباك وصد من سنح

فنظمت في ذلك المجلس بيتين اعترفت لهما القصور العوالي بالقصر * وما شك أحد ان أبا بكر مقدم على عمر

غدا طير أفراحنا سانحا * يحوم على ورد عذب القدح

فقلنا الدر الحباب اجتهد * ومد الشباك وصد من سنح

ومن تضاميني الغريبة ما ضمنته قول عنترة في معلقته

واذا سكرت فانني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم

واذا صحوت فما اقصر عن ندى * وكما علمت شمائلي وتكرمي

فقلت

جاد النسيم على الربا * بندى يديه وقال لي

أوحى وخصصه بالمنتهى العظم)

الاشارة مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ والمعنى وشرحه فقال هو ان يكون اللفظ القليل يشتمل على المعنى الكثير بايماء ولمحة تدل عليه كما قيل في صفة البلاغة هي لمحة دلالة انتهى وقال العلامة ابن حجة رحمه الله تلخيص هذا الشرح انه اشارة المتكلم الى المعاني الكثيرة بلفظ يشبه بقلته واختصاره باشارة فان المشير بيده يشير دفعة واحدة الى أشياء ولو عبر عنها باللفظ لاحتاج الى ألفاظ كثيرة ولا بد في الاشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان مع الاختصار لان المشير بيده ان لم يفهم المشار اليه بمعناه كانت اشارته معدودة من العبث وكان صلى الله عليه وسلم سهل الاشارة كما كان سهل العبارة انتهى واستشهد العلامة بقوله تعالى وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ

أنا ما اقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى

وبيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع

اذا رآه الاعادى قال قائلهم * حتام نحن نسارى النجم فى الظلم

الشيخ صفى الدين ضمن فى بيته الشطر الاول من مطلع المتنبى وشطره الثانى * وماسراه على خف ولا قدم * وبيت العميان

واسمح بنفسك وابذل فى زيارته * كرائم المال من خيل ومن نعم

والعميان ضمنوا الشطر الثانى من بيت الشريف الرضى وشطره الاول * ماض من العيش لو يفدى بذلت له * وبيت الشيخ عز الدين

ابداعه الفضل فى الاصحاب شرفهم * بين الرجال وان كانوا ذوى رحم

والشيخ عز الدين ضمن الشطر الثانى من بيت المتنبى من قصيدته التى ضمن فيها الشيخ صفى الدين الشطر الاول وهو قوله

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة * بين الرجال وان كانوا ذوى رحم

وبيت بديعيتى أنا مستمر فيه على المديح النبوى تابع لقولى وهو

وآله البحر آل ان يقس بندى * كفوفهم فافهموا انكيت مدحهم

وفى الوغى رادفوا السن القنا سكنا * من العدا فى محل النطق بالكلم

واودعوا الثرى أجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وأنا أيضا ضمنت فى بيتى شطرا ثانيا من ميمية المتنبى والشطر الاول * ولا تشك الى خلق فتشمته * ووجه الاستحقاق هنا سافر لمستجلى محاسن هذا النوع والله أعلم

(ذكر التوهيم)

(والبعض ماتوا من التوهيم واطرحوا * والسمر قد قبلتهم عند موتهم)

قلت هذا النوع أعنى التوهيم وتقدمه باب الترشيح كان الاليق بهما ان ينتظما فى سلك باب التورية ويذكر التوهيم مع ايهامها والترشيح مع المرشحة وقد تقرر كل من النوعين وتقدم فى بابه والذى مشى عليه الشيخ صفى الدين هنا هو ايهام التورية وهو قوله

حتى اذا صدروا والخيل صائمة * من بعد ماصلت الاسياف فى القمم

فذكر صيام الخيل هنا أوهم السامع ان السيوف صلت من الصلاة ومراده الصليل وهو صوت الحديد وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان بعد قوله الشمس والقمر بحسبان فان ذكر الشمس والقمر هنا أوهم السامع ان المراد بالنجم احد النجوم والمراد به النبت الذى لاساق له قال ابن أبى الاصبع وقد يأتى التوهيم للمطابقة كقول أبى تمام رحمه الله تعالى

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى * لها الليل الاوهى من سندس خضر

فانه أوهم بالمطابقة بين الاحمر والاخضر وليس يطابق اذا الاحمر لا يطابق الاخضر وفرع منه ضربا آخر فقال هو أن يأتى المتكلم بكلمة توهم بما بعدها من الكلام أن المتكلم أراد تصحيفها ومراده خلاف ذلك كقول أبى الطيب

وان الفئام التى حوله * لتحسد أرجلها الارؤس

فان الارجل أوهمت السامع ان لفظة الفئام بالقاف ومراد الشاعر الفئام بالفاء وهى الجماعات الكثيرة هكذا روى هذا البيت والمبالغة تقتضيه فان القيام بالقاف يصدق عليه أقل الجمع انتهى وبيت عز الدين الموصلى

(ذكر التوهيم)

الاعين وقال المحج أيها المتأمل كلما تميل النفوس اليه من اختلاف الشهوات وملاذ الاعين فى اختلاف المرئيات لتعلم ان بلاغة هذا اللفظ القليل جدا عبرت عن المعانى التى لا تنحصر عدا ومن المنظوم بقول زهير

فانى لو لقيتك فاتجهنا * لكان لكل منكرة لقاء

يعنى قابلت كل منكرة بكفئها وفى هذه اللمعة مايدل على النوع وهو واضح فى بيتى المتقدم فلا يخفى الاعلى أجنبى من هذا العلم والله أعلم

(التفسير)

برتبة القاب بالادنا بخطوته برؤية الله بالايناس بالكلم

التفسير من مستخرجات قدامة قال العلامة ابن حجة رحمه الله هو أن يأتى المتكلم أو الشاعر فى بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره امافى البيت الآخر أوفى بقية

ياسائرامفردا أعربت لحنا فى * توهيم منع رضاع الشاء من حلم

قلت هذا البيت المبارك عجزت عن حل معناه اذ ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده ولا بمدح النبي صلى الله عليه وسلم ولم أزل فى حيرة الى أن وقفت على شرح المصنف فوجدته قد قال الحلم مشتق من الحلمة وهى رأس الثدى ويحصل فى جلد الشاة دودة تقول العرب حلمت وحلم أديمها أى وجد الدود فى جلدها ثم قال ومعنى البيت انى أخاطب سائرا فى الطريق منفردا بنفسه عن الناس لا رغب فى مرافقة أحد فقلت له وأنت تتوهم بترك اجتماعك بالناس معنى لا تظهره كما يوهم الراعى بمنع رضاع الشاء ان جلودها حامت وحلم بين حلم الشاة وحلم الاديب قلت والله ما ازددت الا حيرة فى تفسير هذا الشرح والذى أقوله ان الشرح والنظم فى العقادة وعدم الفائدة كفرسى رهان وبيت بديعيتى تقدم قبله وهو وأودعوا الثرى أجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وقلت بعده فى التوهيم

والبعض ماتوا من التوهيم واطرحوا * والسمر قد قبلتهم عنده وتهم

فذكر الموت فى البيت يوهم السامع ان نساءهم السمر قد ادارتهم الى جهة القبلة كما هو المعهود والتوهيم هنا فى التقبيل وفى السمر والمراد بالسمر الرماح وبالتقبيل الطعن فى الافواه التى تنزل هذا منزلة التقبيل واستعارة التقبيل للرماح فى غاية الحسن فانهم شبهوا سنان الرمح باللسان وشبهوا مواقع الطعن بالثغور ويعجبنى هنا قول ابن المزين فى الرمح

أنا أسمر والراية البيضاء لى * لا بالسيوف وسل من الشجعان

لم يحل بى عيش الغداة لانى * نوديت يوم الجمع بالمران

واذا تفاخرت الكماة بجحفل * كلمتهم فيه بكل لسان

(ذكر الالغاز)

(وكل ما ألغزوه حله لسن * مذ طال تعقيده ازرى بفهمهم)

هذا النوع أعنى الالغاز يسمى المحاجاة والتعمية وهى أعم أسمائه وهو أن يأتى المتكلم بعدة ألفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف ويأتى بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه وابدع ما فيه أنه لم يسفر فى أفق الحلى غير وجه التورية وأما تعسف الفرقة التى ليس لها المام بالتورية فى الالغاز فأمرهم مسلم اليهم وأما علماء هذا الفن فانهم ماقرروا غير ماقررناه فمن ذلك قول أبى العلاء فى ابرة سعت ذات سم فى قميص فغادرت * به أثرا والله شاف من السم *

كست قيصرا ثوب الجمال وتبعا * وكسرى وعادت وهى عارية الجسم

وقول ابن حراز فى خيمة

ومضروبة من غير ذنب أتت به * اذا ما هدى الله الانام أظلت

قلت لغز أبى العلاء ولغز محيى الدين لم تسفر فيهما الوجوه الحسان الا من وراء ستور التورية ومنه قول ابن حراز فيمن اسمه عثمان

حروفه معدودة خمسة * اذا مضى حرف تبقى ثمان

ومن ألطف الالغاز فى القلم

وذى خضوع راكع ساجد * ودمعه من جفنه جارى

مواظب الخمس لاوقاتها * منقطع فى خدمة البارى

وقول ابن عبد الظاهر فى شربه فى كوز الوزير

وذى أذن بلا سمع * له قلب بلا قلب *

اذا استولى على حب * فقل ما شئت فى الصب

(ذكر الالغاز)

البيت ان كان الكلام يحتاج الى التفسير فى اوله والتفسير يأتى بعد الشرط وما هو فى معناه وبعد الجار والمجرور وبعد المبتدأ الذى يكون تفسيره خبره بشرط ان يكون المفسر مجملا والمفسر مفصلا فمن بديع التفسير الذى وقع فى بيت واحد قول بعض المغاربة

صالوا وجادوا واضاؤا واحتبوا فهم
اسد ومزن واقمار واجبال

قال العلامة لقد أحسن الترتيب فى عجز البيت كله وجعل المفسر فى الصدر بحيث أتى بكل قسم مستقل بنفسه انتهى وفى هذه اللمعة ما يدل على النوع وصحته فى بيتى المتقدم واضحة فان الترتيب فى عجزه والمفسر فى صدره وكل قسم مستقل بنفسه كما هو المشروط والله أعلم

(التوشيح)

دنا ونال فلا ثان يشاركه فيما حواه من التخصيص والكرم

ومن لطائف ماوقع فى باب الالغاز ان شيخ الشيوخ بحماة كتب الى والده ملغزا فى باب بقوله

ماواقف بالمخرج * يذهب طورا ويجى
لست أخاف شره * مالم يكن بمرتج

فكتب اليه والده فى الكتاب

ذهاب ومجىء وخوف وشره هذا باب خصومة والسلام * وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ملغزا فى باب

أى شئ تراه فى الدور والكتب مجازا هذا وذاك محقق
هو زوج وتارة هو فرد * وهو فى أكثر الاحايين يطرق
وطليق فى نشأتيه ولكن * بعد بد من بعد ذلك يوثق
وهو فى القلب يستوى وتراه * بان تصحيفه لمن يترمق
فاجبنى عنه بقيت مطاعا * لست فى حلبة الفضائل تسبق

وقال الشيخ برهان الدين القيراطى فى باذهنج وأجاد

أهواؤنا المختلفه * قد أصبحت مؤتلفه
فى شامخ بأنفه * على العوالى أنفه
وذى جناح لم يطر * وكل طير الفه
جناحه طول المدا * يبدى علينا رفرفه
فى الريح ضاع قول من * على هواه عنفه
عليله الصحيح كم * شفى قلوبا دنفه
وروحه لطيفة * وذاته منحرفه
عن قبلة الدين أرى * حب الهوا قد صرفه
ولم تكن مع الهوا * أعطافه منعطفه
هواه تحت طوعه * كيف يشاء صرفه
مازال غير شاكر * ساكنه مذ الفه
وكلما أسرف فى * بذل شكرنا سرفه
أنفاسه كم أودعت * مجلسنا تلطفه
كم رنحت من غصن * وقامة مهفهفه
معتله هو الصحيح عند من قد عرفه

وقال محيى الدين ملغزا فى قرى

مامعمى ورأسه * فى عداد المطير
كم له من مترجم * كم له من معبر
كم خواف له بدت * لالتماع المبصر
كله مجرم وان * زال بعض اسمه قرى

وقال المقر المرحومى الامينى صاحب دواوين الانشاء الشريف بدمشق المحروسة ملغزا فى فاختة

وماطائر يهوى الرياض تنزها * ويسرح فى أفنانها ويغرد
هجاء اسمه خمس حروف تعدها * وخمساه حرف ان تأملت مفرد
وبعدهما تصحيف باقيه ان ترد * بيانا له افهم تبين وتشهد
وفيه أخ ان تهت عنه فأخته * تدل على ماقد عنيت وترشد

قال العلامة ابن حجة رحمه الله التوشيح هو أن يكون معنى أول الكلام دالا على آخره ولهذا سموه التوشيح فانه يتنزل المعنى فيه منزلة الوشاح ويتنزل أول الكلام وآخره فيه منزلة العاتق والكشح اللذين يحول عليهما الوشاح وهذا النوع مما فرعه قدامة انتهى ومن الامثلة قول الراعى النميرى

فان وزن الحصى فوزنت قومى
وجدت عصا ضربتهم رزينا

وقول الآخر

ولو كفى اليمين بغتك خوفا
لافردت اليمين عن الشمال

وقول الآخر

اذا لم تستطع شيأ فدعه
وجاوزه الى ماتستطيع

وفى هذه النبذة مايحصل به المقصود من معرفة النوع وهو بحمد الله قد حصل بشرطه فى بيتى المتقدم والله أعلم

(العنوان)

(أتى وكان نبيا عند خالقه

هذا اللغز ورد الى الديار المصرية وحله بقية السلف الشيخ زين الدين بن العجمي واجاب عنه بقوله

ايا من له مجد اثيل وسودد * غدا دون مرقاه سماك وفرقد
تفيد يسار المقترين يمينه * ويسراه من يمنى الغمامة أجود
سؤالك عن انثى طروب ولم تزل * على عودها فى الروض تشدو وتنشد
وتجذبنى بالطوق عند نشيدها * لنحو التصابى لا أطيق افند
ومذبان منها الطرف امست لعكسها * تخاف الردى ممن لها يترصد
وان حذفت ثانى الاخير فانه * على العكس خاف بل يلوح ويشهد
فأولها مع مايليه وحرفها * لنافاه بالمعنى الذى فيه يقصد
وحرفان منها فرد حرف لناطق * واف لمن بالعكس فى ذاك يجهد
بقيت بقاء الدهر عزك باذخ * وفى مفرق الجوزا لواؤك يعقد

وقال ملغزا فى درة

أى شئ من الجمادات يلفى * وتراه من بعد ذا حيوانا
وترى ذلك الجماد عزيزا * غاليا منه رصعوا تيجانا
وترى الروح منه فى حيوان * ذى جناح و يألف الطيرانا
واذا ماشدا على العود يوما * فوق دف يحرك الاغصانا
او بدا فى مقفص فابن رد * عند اسجاعه يصير مهانا
كله طائر وفى ثانيه * لك ذو اربع مع العكس بانا
* كله عاطل به تحلى * كل خود وتستقل الجمانا
وتراه عند الملوك عظيما * وبتصحيفه حقيرا مهانا
عكسه فى تصحيفه زد بنقص * فالمعمى هنا فكن يقظانا
واذا لم تدر التصاحيف ذره * للذى فيه فهو يدرى البيانا
وبتحريفه تؤدب من شئت اذا كان يجهل العرفانا
* ثلثاه در نفيس وفى فيه اذا جاء يحسب المرجانا
لكن الثلث عنده نصف وحش * ذب عنا تصحيفه ما اعترانا
وهو فى البر نافر واذا ما * حضروه قد يألف الانسانا
فافترسه بالحل ان كنت ليثا * فهو لغز عن فضله قد ابانا

وعلى ذكر القمرى والفاختة اوردت هنا ما الغزته فى القفص وهو قولى

اى مغنى اعواده يتشدو * مرقص مطرب وبالقلب صفق
ولمجموعه النباتى حسن * فزت من بعضه بسجع المطوق

ونقل الشيخ جمال الدين الدميرى فى كتابه حياة الحيوان لغزا فى عجع

ماطائر فى قلبه * يلوح للناس عجب
منقاره فى وسطه * والعين منه فى الذنب

وكتب علامة العصر الشيخ بدر الدين الدماميني الى المجدى فضل الله بن مكانس ملغزا فى قدح فقال ما اسم حبيب الى النفوس * شبيه بالبدر حليف للشموس * ان قلب كان لقلبه من العين مكان المناسبه * أو سقط قلبه مع الفعل كان ضد اللاقوال الكاذبه * وان صحف بعد العكس أنبأ عن الذكا وهذا غاية الشرح * وان غير ثانيا علم رب الكلام المحرر انه دال على الطرح * حاشيتاه مع التصحيف آلة للصيد * معينة على المكر والكيد * وان قطع طرفه كان صراحا باقيه

قدما وآدم طينا بعد لم يقم)
قال العلامة ابن حجة رحمه الله العنوان هو أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف أو فخر أو ذم أو عتاب أو غير ذلك ثم يأتى لقصد تكميله بالفاظ تكون عنوانا لاخبار متقدمة وقصص سالفة انتهى وهذا النوع لا تحصره الشواهد وعنوان بيتى المتقدم يشير الى اصطفائيته صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء فى الازل بدليل قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفى رواية انى عبد الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته فاشتمل البيت على عنوان هذا الخبر الصادق والله أعلم

(التسهيم)

(ذو الجاه حيث يضم الخلق محشرهم
ولا يرى غيره فى الكشف للغمم)
قال الشهاب محمود رحمه الله من أهل البديع من

قواما * وان عكس على الطرف صار بتصحيفه مداما * وان زال أوله كان العكس عقابا للمتعاطى اثمه * أو صحف اشتاقت الشفاه الى تقبيله ولثمه * وربما كان الحد عند تصحيفه الآخر منافيا لاسمه * مباينا فى الحقيقة لحده ورسمه * فكتب الجناب المجدى الجواب والغزفى ورد بقوله يقبل الارض التى أطالت بالجفاء حرمانه * وتداركته بعد اجراء دموعه فعظمت فى الحالين شانه * وانتهى المملوك الى اللغز الذى تمتع بمجه * وشرب بقدحه * فابتهل شكرا * ومالت اعطافه بالقدح الفارغ سكرا * فوجده كما قال مولانا حبيبا الى النفوس * مجتهدا فى التوصل بما حازه الى الرؤس * وكتب فى الجواب لغزا * وخالف نفسه اذ قالت لا ينبغى مجاراة هذا الجواد لزا (وهو) ما عاطل يحلى به المجالس * ويتفكه به فى المجالس * تحمر وجناته من الشرب * وتحمد آثاره فى البعد والقرب * ان قلبته وجدته تاجا * وان تركته على حاله زادك ابتهاجا * يعذب بالنار وغيره الجانى * ويريك ان بدلت أوله برد الامانى * يستخرج وهو داخل * ويرى دمعه من نار قلبه هاطل * لا تبرح به فى غبطه * ولا تجد فيه مع انهماله نقطه * فان حذفت أوله وحرفت باقيه وجدته أمرا بالشراب * وان فعلت كذا فى ثانيه رأيت ما بقى مولد اللمحبة بين الاحباب * وزان حذفت آخره كمن ورى * وغص فى بحر الفكر على عكس ثلثيه لتستخرج درا * والمملوك يسأل الصفح فانه لولا المحبة ما جاب * ولا طرق بعد فقدابيه هذا الباب * فكتب اليه الشيخ بدر الدين الجواب يقبل الارض وينهى ورود الجواب الذى شفى القلوب بوروده * واللغز الذى نسى بوروده بان الحمى وطيب وروده * فوجده روض بلاغة عدم العاتب والعائب * وترعرع زهره حيث امطرته من الانامل المجدية خمس سحائب * فلو شاهده ابن الوردى لاحمر خجلا * اوصاحب زهر الادب لتلون وجلا * ثم تأمل حل اللغز فوجده قد كشف المشكل وجلى * واعترف انه لم يمر بذوقه اطيب من ذلك الحل ولا احلى * وتحقق ان مولانا اوسع المملوك فى مقام الادب بفضله ايناسا * وتناول منه قدحا اعاده بالفاظه المسكرة كاسا * وانتهى المملوك الى اللغز المخدومى فقال

مولاى مجد الله يامن فضله * يروى وجود كفوفه يروى الصدى
الغزت فى اسم عاطل حليته * فينا بدر اللفظ اوقطر الندى
ان اورد التحريف فى اثنائه * قد كان للثانى هلا كما اوردى

وقال مجيبا له ايضا عن الورد

لله لغزك يامولى فضائله * قد عطر الكون منها طيب انفاس
اتى بورد خيالى على قدحى * به وابهجنى مابين جلاسى
وقد اساجرح كسرى حين أقبل لى * روحى الفداء لذكر الورد والآس (ى)

فاستحلى المملوك بالتحريف ورده * وودلو اقتطف من اغصان حروفه ورده * ورده الى ذل القصو رعاريا عن ملابس عزه * وانشد قول ابن قلاقس وقد تقلى بنار عجزه *

اذا امتنعت اشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

فراح على بهرج هذا الراى الكاسد * واقتنع بالشميم على رغم انف الحاسد * وعلم ان تلك الورود لا تخرج الا من تلك الحضره * وان هذه الفاكهة لا تخرجها الا اغصان اقلام لها باليد المخدومية بهجة ونضره * وتمشى المملوك من هذا اللغز فى بساتين الوزير على الحقيقه * ورأى كل ورقة فاخرت الوجنات الحمر فتحير أهى وردة ام شقيقه * وتفكه به معجبا بثمار غرسه * منشدا لمن كرر النظر فى صحيفتى طرسه

ان كنت تزعم ما فى خده عجبا * فانظر الى الورد فى خديه منثورا

يجعل التسهيم والتوشيح شيأ واحدا او يشرك بينهما بالسوية والفرق ان التوشيح لا يدل أوله الا على القافية فحسب والتسهيم تارة يدل على عجز البيت وتارة ما دون العجز وتعريفه هو ان يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ انتهى ومن الشواهد قول الشاعر

أحلت دمى من غير جرم وحرمت
بلا سبب يوم اللقاء كلامى
فليس الذى قد حلات بمحلل
وليس الذى قد حرمت بحرام

وهو مأخوذ من البرد المسهم وهو المخطط الذى لا يتعارف ولا يختلف وقد صح هذا النوع فى بيتى المتقدم بشرطه فانك اذا سمعت شطره الاول عرفت انه تمامه ولا يرى غيره فى الكشف فى الغمم وبالله التوفيق

(حصر الجزئى والحاقه بالكلى)

فلقد ظفرت من نفسه الوردى بالعنبر الورد * وعوّذته عند تبديل الثلاثة بالواحد الفرد * وتأملت بقصور راحتى نكتة برد الامانى * فانعقد لسحر البيان لسانى * وتيقنت أنه لا يقوى على فهم هذا البرد الا كل حديد النظر * ووجدت تحصيف هذه الكلمة * ياشمس الفضائل للعقول قمر وعلمت ان الفكر لا يجارى من بديهته من بحر الفضائل رويه * وان الخاطر لا يقوى على سلطان هذا اللغز لان شوكته قويه * وقلت للذهن رد بعضه لتنتهل شرابا سائغا * وزد تصحيفه ليكون فى التعريف بمعناه مبالغا * وتمتعت من ورده بالمشموم * ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم * فاستقطر البين ماء الورد من حدقى ولولا نا الصفح عن مقابلة هذا الدر بالسقط * وتمرهجر بهذا الحشف المتقط * قلت وعلى ذكر القدح والورد حسن ان نورد هنا الغزا فى المدام وقفت عليه للشيخ صلاح الدين الصفدى بخطه

وما شئ حشاه فيه داء * واوله وآخره سواء
اذا ما زال آخره فجمع * يكون الحد فيه والمضاء
وان اهملت اوله ففعل * له بالرفع والنصب اعتناء

قلت لابد للمدام من ماء من حيث الممازجة و وقفت بالديار المصرية على لغز للشيخ زين الدين بن العجمى ألغزه فى الماء فاعجبنى وهو قوله سألتك اعزك الله عن سائل لا حظ له فى الصدقة ولم يكن متصل النسب بالاشراف * وتراه كثير الرجفان من غير أن يخاف * كم رد سائله نهرا * وعفر وجه قاصده فى التراب قسرا * مذكر كثير الحيض * لطيف الانبساط سريع الفيض * مطلق التصرف وعليه الحجر * وطال ماقبل العشاء أبدى لنا الفجر * يتشعب ويتكسر * ويتعوج ويتدور * وتبدو له خسون عينا واكثر * يحمل القناطير المقنطره * ويعجز عن حمل ابره * سريع الاستحاله * قل ان يثبت على حاله * بعيد الغوص ليس له قرار * ويعاجل صفاء وراده بالاكدار * ويسكن فى تخوم الغبرا * وينم على احوال السماء نثرا * بعيد الغوص رقيق القلب على كل عديم * وكيف لا وهو المولى الحميم * يجود بالخر الحلى * ولا يرد من نداه مؤملا * كم عمر سبيلا * وقطع طريقا وأخاف سبيلا * وكم طغى واحترق * واظهر الجفاء وهو كثير الملق * صقيل يجلو الصدا * ويظهر على شدة البرد تجلدا * قد جمع فيه الخوف والرجا * والكدر والصفا * فسبحان من جمع فيه هذه الاضداد * وارسله رحمة للعباد * ويعجبنى فيه قول ابى الفضل بن الخازن

وخل صفاء زرته بعد هجعة * فالفيت شخصى فى حشاه مصورا
واودعته سرى فافشاه للورى * فيا حسن ما افشى الغداة واظهرا
ابوه حليف للثريا وامه * به حامل فى بطن منخفض الثرى
سطيح له جسم بغير جوارح * يبارى الرياح الذاريات اذا جرى
تزعايه الريح نوباما وردا * وتكسوه شهب الليل نوبا مدنرا

قلت وعلى ذكر الماء يحسن ان نورد هنا الغزا فى القربة كتب الشيخ بدر الدين الدمامينى الى المقر الامينى امين الدين الحمصى كاتم السر بدمشق صاحب ديوان الانشاء بالشام الغازا فى قربة تزاحم سرب الادب على الشرب منها * ولو عاش صريع الدلاء ودّ أن يكون راوية عنها وهو قوله

اكاتب سر الملك والفاضل الذى * ثناه على الافكار فرض مرتب
يحدث عن سهل رواة كلامه * اذا ما أتاه اللغز وهو مصعب
فديتك ماذات أطالعكم بها * و يبحث فى الاسفار عنها وتطلب
تشد و كم فى الارض قارأمالها * وصدق اذا ما قيل تملى وتكتب
وماهى فى التحقيق راوية وكم * لها خبر فى الذوق يحلو ويعذب

﴿ذو المجد حيث أهيل المجد قاطبة
تسير تحت لواه يوم حشرهم﴾
وهو جعل الجنس نوعا والفرد جمعا تعظيما له اختاره ابن أبى الاصبع فقال هو ان يأتى المتكلم الى نوع فيجعله بالتعظيم له جنسا بعد حصر اقسام الانواع منه والاجناس واستشهد عليه بقول الشاعر
الى المطوى عرض البسيطة جاعل
قصارى المطايا ان يلوح لها القصر
فكنت وعزمى فى الظلام وصارمى
ثلاثة أشياء كما اجتمع النسر
وبشرت آمالى بملك هو الورى
ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر
قال العلامة ابن حجة قصد تعظيم الممدوح وتفخيم امر داره التى قصده لها ومدح اليوم الذى لقيه فيه

مليحة شكل يألف الحب صبها * زمانا وفى وقت لها يتجنب *
وتبلغ منها للعياض حقيقة * ولكن رأينا قلبها وهو طيب
يزيد من بدوها اذا ما تصوفت * ويشكرها أهل الزوايا ويطنبوا
لها اربع لكن بساق رأيتها * على السعى فى الاحياء بالنفع تدأب
ومانال اثانى تعاطيه بعدما * رأيناه من ثالث العتيقة يشرب
وشم فها المفتوح كم راح سائلا * ومانطقت حرفا عن القصد يعرب
وترضع احيانا وماحان رضعها * وكم من فتى فى حملها راح يرغب
وتحمل ما فيه الحياة لربها * فيا حبذا منها البسيط المركب
وترسله فاعجب له من مسلسل * غدا من سلاعنه الرواية تعجب
وكم من خليع شمته اذ تعتقت * عدا اليها الراح لهوا ويطرب *
وكم قد تعبد نا بتحريف لفظها * ولم أر بالتحريف من يتقرب *
وتصحيفها يا جبهة الدهر بلدة * حواها من الاقطار شرق ومغرب
وتوجد فى الافلاك عالية لها * ويألفها بعض الجوارى ويصحب
ويا من لرق الفضل اصبح مالكا * فمالى الا نحو علياه مذهب
تلفت للغز نحو بابك قد أتى * وكل غدا من ظرفه يتعجب

قال بعضهم ملغزا فى قربة السباحة

وذات فم طورا تسبح ربها * ولم تكتسب اجرا بتسبيحها قط
معانقة الصبيان مضمرة الهوى * كأن بقايا قوم لوط لها رهط

قلت أما لغز الشيخ بدر الدين فى القربة فنسيج وحده وماذاك الا أنه لم يجنح فيه الى عقادة من تمذهب بغير مذهبنا لم يسبكه فى غير قوالب التورية وقد أذكرنى لغزا ألغزته فى قصب السكر بطرابلس المحروسة وقد انشدنى بعض الخاديم وهو المقر المرحومى الشهابى الدنيسرى لغزا فى قصب السكر ايضا وهو

* وحاملة دراحكى الخرلاذة * ونشرا يروى شربه ويقوت
تعيش اذا لم يبد منها فان بدا * فهجتها فى اثر ذاك تفوت
فلم تر عينى مرضعا فى مثالها * من الخلق تسقى درها وتموت

وقال بعد الانشاد ولا أعلم فى هذا الباب مثل هذا اللغز لانه سالم من التعقيد والتصحيف والتحريف والعكس والحذف والابدال فنظمت هذا اللغز فى يوم الانشاد وهو

وعسالة تبدو بغير أسنة * ولا طعن فيها وهى داخلة الصدر
ممشقة هيفاء حلو مذاقها * به يطرح المران فى المهمه القفر
منعمة لفاء مهضومة الحشا * تكاد بأن تنقد من رقة الخصر
وتحلو على البيض الرشاق شمائلا * اذا ما تثنت فى غلائلها الخضر
بالتقبيل العصر فى الظهر رشفها * وبرد لماها من أليم الجوى يبرى
وان سقيت ماء سقتك سلافة * بطيب مزاج وهى طيبة النشر
وينبت حلو الثغر حلو نباتها * فيرشف أريا فاألذ من الخمر
وان لمعت فى ثغرها وتبلجت * دع ابن جلا يقرع ثناياه فى الثغر
على عودها كم للرباب مواقع * وموصولها يغنى عن الناى والزمر
وان قطعوا موصولها شبت به * أولو الذوق تشبيبا شفى غلة الصدر
وترفع بعد النصب والكسر جرها * فتجزم ما للفارسى من الذكر

فجعل الممدوح كل الورى وجعل داره الدنيا ويومه الدهر فجعل الجزئى كليا فلأن الممدوح جزء من الورى والدار جزء من الدنيا واليوم جزء من الدهر واما حصر اقسام الجزئى فلان العالم عبارة عن اجسام وظروف ومكان وقد حصل ذلك وهذا النوع صعب المسلك فى نظمه عزيز الوقوع جدا انتهى ولما اورد العلامة ابن حجة فى بديعيته بيته فى هذا النوع قال

الحق بحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلى للعظم

قال العلامة ابن حجة النبى صلى الله عليه وسلم صالح ان يكون هنا كليا لعلو مقداره وعظمه وقولى فيه عن الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه والجزء يلحق بالكلى للعظم لا يخفى ما فيه من المبالغة والمغالاة فى وصف الممدوح صلى الله عليه وسلم هذا مع تحرير هذا النوع الذى يدل على افهام كثيرة

وهمزاتها

وهمزاتها همزات وصل وقطعها * اذا ما أميلت جائزلك يامقرى
وفى أول الاعراف تروى من الظما * وتضرم نيران الجوى وهى فى العصر
ومن حلها ان أفرغت فى قوالب * يقول الورى هذا هو السكر المصرى
ومن أجل ذا عنها ابن سكرة روى * وأما النباتى قال من ههنا قطرى
كذا ابن الحلاوى قلبه معهايرى * كسيرا وكم قد أوردته لظى الجمر
فيامن حلا ذوقا وحل بدائعى * وفى عقد الالغاز يانافث السحر
تأملت بعد الحل كيف تنوعت * حلاوتها حتى رقت منبر الشكر
بنية فكر من حماة تغربت * وغربتها والله قد أشغلت فكرى
ومن شط ذاك النهر يابحر قد أتت * فلا تنهروها فهى فى جيرة البحر
سعت من أبى بكر لاحمد خدمة * واحمد من أولى الورى بابى بكر
فلا زلت فى حل وظعن مؤملا * لكل غريب جاء حتى من الشعر

قلت و بعد قصب السكر يحلو أن نورد هنا شيأ مما ألغزوه فى العسل فمن ذلك ما كتب به الشيخ شرف الدين عيسى العالية الى سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة بدر الدين بن الدماميني وهو

يا أيها المولى الرئيس ومن له * ألفت مدحا كالجواهر نظمه
اسمع سمعت الخير أمرا محكما * عمى على الالغاز جمعا حكمه
قالوا من الاطيار حقا أصله * أكرم به لغزا يروقك طعمه
لكنه ماحاز منقارا ولا * ريشا واجنحة وات اذمه
من أين يعرف ما اسم شئ ربما * أكلته فى بعض الجماعة أمه

فاجابه الشيخ بدر الدين بقوله

يافاضلا نثر المحاسن نظمه * وللغزه قد ذل عجزا خصمه
وتطرزت حلل البديع بمنطق * منه علا بين الافاضل رسمه
شرف لاعراض البدائع سابق * ومن الفضائل قد توفر قسمه
الغزت فى اسم عاطل حليته * بنفيس در صح فيناينمه
فاذا أضفت القلب منه لاصله * قلنا بهذا الفعل قد وضح اسمه
واذا عكست الاصل منه فهوان * أعربت لحن ليس يجهل حكمه
قد كانت الاذهان منه خلية * فحوت به شهدا لذيذا طعمه
ورأى ابن سكرة حلاوة طعمه * فقضى بتقطير المرارة وهمه
ورأى بعين اغزك الحلوا لجنى * حلو المذاق فخار فيه فهمه
واعاذه بعلى أمير النحل اذ * اضحى عليا فى الفصاحة نظمه
فاصفح بفضلك عن جواب سافل * ياطالعا فى خير أفق نجمه

قلت وعلى ذكر العسل يحلو أيضا ان نورد هنا ما ألغزه مولانا المقر المرحومى القاضى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى فى سكر نبات وكتب به الى وهو

ياقاضى الادب احكم لى فذا أدبى * حلا مذاقا ووقع لى بتحسين
واقبل شهادة ما أهديته ترمن * تصحيف معكوسه ثان يزكينى

ورسم لى بحل اللغز والجواب فالغزت مع الحل لغزا زائد الحلاوة فى قطر وهو

أهديت لغزا حلا ذوقا مكرره * فانحل مدخل فى قلبى بتمكين
وفزت منه بشكر فى مصحفه * وجاء منه بثان قلت يكفينى

وبسط الكلام فى مدح هذا البيت وقد فتح الله على بالمقصود من هذا النوع فى بيتى المتقدم على هذه النبذة واحسنت اتباع العلامة ابن حجة فى بيته فانه اتى بالنوع لفظيا واتيت به معنويا وفى نظر المتبصرين مايغنى عن بسط الكلام والله أعلم

﴿الاكتفا﴾

ذو المعجزات التى منها الكتاب فيا
بشرى لمقتبس منه بكل جم

قال العلامة ابن حجة رحمه الله الاكتفاء ان يأتى الشاعر ببيت من الشعر وقافيه متعلقة بمحذوف فلم يفتقر الى ذكر المحذوف لدلالة باقى لفظ البيت عليه ويكتفى بما هو معلوم فى الذهن بما يقتضى تمام المعنى وهو نوع ظريف ينقسم الى قسمين قسم يكون بجميع الكلمة وقسم يكون ببعضها والاكتفاء بالبعض أصعب

تصحيف معكوسه من غير تزكية * وحكمه ثابت عندي بتبيين
حماة منبتـه لكن بمصرله * مزية تزدري نبت الرياحين
خـل منه انا الغـزا مجانسـه * يحل احشاء أرضينا فيرضيني
يرادف اسم رباب فهو يطربني * هذا وتصحيفه في العيد يأتيني
حـلو رقيق بلا حشو لذائقه * لان قطر النباتي عنه يسليني
فلا برحت برغم الكسر تجبرني * وكلما مر لي عيش تحليني

قلت وعلى ذكر القطر يحلو أن نورد هنا شيأ من بديع ما الغزوه في الكنافة والقطائف فمن ذلك ما ألغزه الشيخ برهان الدين ابراهيم القيراطي في النوعين وهو قوله

هـذان لغزان قد حلا ببابك يا * قاضي البرية ماهذان خصمان
اسمان كل خماسي اذا كتبت * حروفـه فهـما الاشكل حرفان
تباينا في الورى شكلا اذا نظرا * وصورة وهما في الاصل مثلان
هما الى الصين منسوب مقرهما * ان أحضرا في مكان بين اخوان
لذا كني وهو بين الناس ليس له * من كنية ما تحي في ذلك اثنان
في البر يلفي وان فتشت عنه تجد * في لجة البحر ملتي خمسه الثاني
نبت أرى النار قد أبدت له ورقا * فاعجب له ورقا يمـو بنـيران
يحيا اذا ماسقاه القطر وابله * وجاده بسحاب منه هتان *
ذو رقة فاذا صحفته ظهرت * كنافة منه فاستره بكتمان *
هذا وكم من بدور فيه قد طلعت * في آخر الشهر لم تمحق بنقصان
فقـدها خيط فجر أبيض يحل * بالبرق سطو عليها سطوة الجاني
واللغز الآخر في اسم ذات ألسنة * لم يبـد منها النابالنطق حرفان
ياحسنها ألسنا أضحت حلاوتها * يحـلو المديح لها من كل ملسان
بالطي والنشر في حال قد اتصفت * والطي والنشر فيما قيل ضدان
كم سكرت ففتحنا بالدخول بها * أبوابها فتلقتنا باحسان *
حسناء أجمع أهل العقد كلهم * والحـل منها عليها بعد عرفان
وصالها حل بالاجماع في زمن * فيه الوصال حرام عند اعيان
ثلثا ثلاثة أخماس لها وجدا * شـيأ يجـيء بايضاح وتبيان
وماذكرت من الاخماس قد نطقت * صدقا بذكر اسمها من غير بهتان
وخمـسها جبل لكن بقيتها * في مكة يرتجي فوزا بغفران
مامل راو من القالي أماليه * عنها وماخاطر القالي لها شاني
في الجوف منها قلوب جمة جمعت * ولا يكون بجوف الشخص قلبان
كم ظل يطرحها من ليس ذا شرف * جهـرا وبوصف مع هذا باتقان
بالحل أنعم سقي القطر المواطئ من * اقدام سعيك من ارواء ظمآن

وكتب مولانا قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي الحنفي رحمه الله الى عـلامة العصر سيـدنا ومولانا الشيخ بدر الدين بن الدماميني رحمه الله ملغزا في لوزنيج واجاد الى الغاية وهو

يامن له في عـلوم النظـم أي يد * فاق الخليـل بها فضـلا وتمكينا
ما اسم دوائره في نظمها ائتلفت * والثلم في صدرها مستعمل حينا
اجزاؤه من زحاف الحشو قد سلمت * هـذا ويقطـع مطويا ومخبونا

مسلكا لكنه أحلى موقعا ولم أره في كتب البـديع ولا في شـعر المتقدمـين انتهى فمن شواهد هـذا الاكتفاء بجميع الكلمة قول ابن مطروح

لا أنتهي لا أنثني لا أرعوي مادمت في قيد الحياة ولا اذا

وقول العارف بالله شرف الدين عمـر بن الفارض قدس الله روحه

ماللهوى ذنب ومن اهوى معي
ان غاب عن انسان عيني فهو في

ومن شواهـد الاكتفاء بالبعض قول سناء الملك

اهوى الغـزالة والغزال وربما
نهنهت نفسي عفة وتدينا
ولقد كففت عنان عيني جاهدا
حـتى اذا اعييت اطلقت العنا

وقول شيخ الشيوخ بحماة

تصحيف معكوسه لفظ رادفه * يافرد يارحلة قوم مقيمونا
والعبد منتظر من حله فرجا * لازال سعدك بالاقبال مقرونا

فحله المشار اليه رحمه الله وأجاد الى الغايه والجواب

يامرسلا من شهى النظم لى كلما * منها ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدرا من حلاوته * وجوهرا النظم لم يبرح يحلينا
حليت لغزك اذ أبهمته فلذا * يافاتنى رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا فى دوائره * للكف قبضا زيد العقل تمكينا
وليس اضماره مستحسنا فأبن * بالكشف عنه لمن وافاك تحسينا
وكن لناهاديا ياصوب الصواب ودم * فينا أمينا رشيد العقل مامونا

والله تعالى يمن على أفواه شاكريه بما هو اشهى من اللوزينج وأحلى * ويحلى اعناق المتادبين من كلمه بما هو انفس من الدر وأغلى * وكتب الشيخ بدر الدين المشار اليه ايضا الغزا فى دواة وجهزه الى المقر المرحوى الامينى المقدم ذكره وهو هذا

كتبت وأعذارى اليك تقرر * ونظمى بها ياكاتب السر يجهر
اتتك بابيات المعانى فرضتها * وحكت حبيرا اللفظ وهو محرر
وحليت أهل العصر اذ كنت خاتما * لهم فعليك الآن يعقد خنصر
وما أنت الا البحر جاش عبابه * ولكن رأينا منك علما يحسر
فما كلمة افديك دام اعتلالها * وفيها دواء ان عراها تغير
ويحفظها ذو السر وهى التى وشت * وذلك من عاداتها ليس ينكر
ومامسها الاوجادت بنفسها * وصحف ترى المقصود بالنفس يظهر
وتحمل سمر الخط رايات ملكها * على الرأس عباسية حين تخطر
كحيلة طرف تعشق العين شكلها * ويحسن مرآها اذا ما تحبر
مؤنثة كم ذكرتنا بلونها * عهود الصبا والشئ بالشئ يذكر
وكم قد أرانا ريقها من مسلسل * يلذ به فى الذوق ورد ومصدر
وكم لاقت الاحبار منها محاسنا * فعادت لها الجهال بالعى تحصر
مسودة ان ترض فالعيش أخضر * وان غضبت فالموت لاشك أحمر
و يعذب للسمر الرقاق رضابها * فتنهل منها مورد الاي يكدر
لقد أحكمت والنسخ مازال دأبها * بذلك قد جاء الكتاب المسطر
وماهى الا ذات مترية غدت * وكم ذى غنى عن قصدها ليس يفتر
واسنارها غير سائلة ولم * تفه بسؤال فاعترانا التحير
فانعم بحل اللغز ياخير منعم * فأنت به والله أجدى وأجدر
فلازالت الاقلام تسعى لشكركم * على رأسها طول المدى لاتقصر

فكتب المقر المرحوى الامينى الجواب بعد أيام وهو قوله

مواقع أقلام لها الفضل ينشر * وروضة آداب بها القلب يجبر
تحرر معنى حسنه نسج وحده * فياحبذا الاسكندرى المحرر
نشق على الافهام شقة شأوها * فكم من بليغ عن مداها يقصر
أتت سهلة الالفاظ ممنوعة الذرا * حماها من العلياء لايتسور
تشير الى الحبلى التى عز وضعها * فاحشاؤها فيها الاجنة تقبر

اليكم هجرتى وقصدى
وفيكم الموت والحياة
أمنت ان توحشوا فوادى
فآنسوا مقلتى ولاتو(حشوا)
وقول فخر الدين بن مكانس
لله ظبى زارنى فى الدجا
مستوفزا ممتطيا للخطر
فلم يقم الا بقدر أن
قلت له أهلا وسهلا
ومر(حبا)
وهذا النوع واضح فى بيتى
المتقدم والله أعلم

﴿التوليد﴾

يتلى ويحلو ولا يبلى وليس له
مبدل وهو حبل الله فاعتصم
قال العلامة ابن حجة رحمه
الله هذا النوع ليس تحته
كبير أمر وذلك ان نظر
الشاعر الى معنى من معانى
من تقدمه ويكون محتاجا
الى استعماله فى بيت من
قصيدة له فيورده و يولد
بينهما معنى آخر كقول
القطامى
قد يدرك المتأنى بعض حاجته

ينامون لا تغشاهم سنة الكرى * فان هب فرد ظل يسعى ويحضر
وان أرشفته من زلال رضابها * تهادى بها نشوان يمشى ويعثر
وأما اذا اعتموا السواد فكلهم * خطيب له فوق الانامل منبر
وينطق عن علم وطول نباهة * وعما رآه فى المنام يعبر
تطاول سمر الخط انى تشامخت * سموا ومع هذا على الطول تقصر
وكل بنى الآداب تلفى بيوتهم * تقام بها بين الانام وتعمر
فأكرم بما قد ولدته وانشات * وربت ويكفيها بذلك مفخر
نجية وجهى ان جلت ووجهها * تجاهى وجاهى عندها اليس يحقر
وقد فتحت فاها فقالت وقصرت * وأنى استقالت فهى فى ذاك تعذر
فلا زلتم أهل الجمال وخيركم * لدى النقص مثلى فهو حظ موفر
بمد حكم الاقلام يفحل سنها * بحق وأفواه الدواة تقطر

ويعجبنى من الالغاز فى التورية قول شهاب الدين الغزاوى فى قوس وهو

ما عجوز كبيرة بلغت سنا طويلا وتتقيها الرجال
ولها فى البنين سهم وقسم * وبنوها كبار قدر نبال

ومن غريب ما أعجبنى فى هذا الباب قول القائل فى كون وهو

يا أيها العطار اعرب لنا * عن اسم شئ قل فى سومك
تنظره بالعين فى يقظة * كما ترى بالقلب فى نومك

ومثله قول شمس الدين الهيتى فى ورق وهو

وشئ بلا جرم يصلب تارة * ويقطع حينا فى حضور واسفار
ومن قدم قد بيض الله وجهه * على انه ما انفك يوما عن القار (ى)

ومن لطائف الشيخ شمس الدين بن الصاحب فى هذا الباب قوله فى مهم

لله مملوك اذا * ما قام فى الشغل اعترض لكنه فى لحظة * يحصل لك الغرض

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله ملغزا فى قلم

مولاى ما اسم لناحل دنف * ومابه علة ولا سقم
لسان قوم فان حذفت وان * صحفت بعض الحروف فهو فم

وقال ملغزا فى على

امولاى ما اسم جلى اذا * تعوض عن حرفه الاول
لك الوصف من شخصه سالما * وان قلعت عينه فهو لى

ويعجبنى فى هذا الباب قول ابن المرجانى ملغزا فى مشط وهو

يا اماما سألته حل لغز * شط منه مزار أهل الذكاء
اهمل الثلث باعتناء وقلب * تره جاء قائد الشعراء

ويعجبنى قول الشيخ صلاح الدين ملغزا فى قريشة

أى شئ يروق للناس اكلا * ذو بياض واصله من حشيشه
خمسه أثقل الجمادات وزنا * فتعجب له وباقيه ريشه

ويعجبنى لغز ابن منقذ فى الضرس وهو

وصاحب لا أمل الدهر صحبته * يسعى لنفعى ويسعى سعى مجتهد

وقد يكون مع المستعجل الزلل
فقال من بعده ونقص الالفاظ وزاده تمثيلا وتوليدا
عليك بالقصد فيما أنت قاصده
ان التخلف يأتى دونه الخلف
فمعنى صدر البيت معنى بيت القطامى بكماله ومعنى عجزه نوع التذييل وما تقدم ذكره وهو مولدا انتهى
وبيتى المتقدم ولدت معناه من قول البوصيرى صاحب البردة
فلا تعد ولا تحصى عجائبها
ولا تسام على الاكثار بالسأم
وفى انصاف ذوى الاذواق مايغنى عن الاطناب فيه والله أعلم

(التفصيل)

قل للذى ينتهى عما يحاوله
من حصر معجزه الطاهر الشيم
قال العلامة ابن حجة رحمه الله التفصيل بصاد مهملة نوع رخيص بالنسبة الى فن البديع والمغالاة فى نظمه كالتصدير وعتاب المرء نفسه وتشابه الاطراف وما أشبه ذلك وهو ان يأتى

لم ألقه مذ تصاحبنا فمذ وقعت * عينى عليه تفارقنا الى الابد

ومن الغايات التى لم تدرك فى هذا الباب قول القاضى صدر الدين بن الآدمى رحمه الله ملغزا فى كشتوان

ما رفيق وصاحب لك تلقا * ه معينا على بلوغ المرام
هو للعين واضح وجلى * وتراه فى غاية الابهام

واستظرف قول بعض مواليا ملغزا فى بدرة

محبوبتى وجهها يغنى عن المقباس * واسمها ينقذ العاشق من الافلاس
ان تعكسوا تجدوا ضدين فى الاجناس * هذا نفور وهذا يقبل الايناس

وسألنى جماعة من فضلاء أهل الادب بالديار المصرية ان انظم لهم لغزا فى كرمة واطلق لهم عنان القلم فى ذلك فقلت

أخبرونى عن فاضل باصول * وفروع يسمو على كل فاضل
اسبغ الله ظله فهو ظل * سابغ وافر مديد وكامل
وأبو محجن يقول ادفنونى * تحته ان أتانى الموت عاجل
كم الينا قد مد كفا نديا * صير العيش أخضرا فى المنازل
نقط الطل فوقه وضحته * عند توقيعها به وهو عاطل
ما تبدى لنا بعين ولكن * حرفته وصحفته الافاضل
فرأينا للترك فيه اسم عين * بفتور الاجفان جاءت تغازل
ان تذكره أحرف الكل تبدى * كرما والندى من الكف هاطل
أو تؤنثه يقبل الهاء فى الحا * ل ومن بعد ذا ترى وهو حامل
ويقل شطره لمن عابه مه * لك هم بالعكس عندى حاصل
هو حلو وفيه مر لك يبدو * عند تحريف عكسه المتماثل
وبلا أول ترى فعل أمر * واقلب الفعل منه فالامر حاصل
وهو خشب مسندات ولكن * حاز نجلا يبدو رقيق الغلائل
ومن العز جسمه الغض يدمى * وتراه من بعد ذا وهو ذابل
واذا ما فرطت فيه تراه * لم يحل عنك وهو نعم الخصائل
ذو بياض وحمرة ولدالى * فرحا راح ساريا فى المفاصل
فتراه يوما عقود بحش * نظمت سلكها بغير أنامل
وتراه يبدو عقود جمان * ما لها غير ثغر حبى مماثل
وتراه طورا سلافة راح * ولدرا الحباب فيها تواصل
وعلى عوده يغنى علينا * أعجمى به تهيج البلابل
لك منه فواكه وشراب * كل غض اليك تلقاه واصل
وحلاوته بها كل قلب * كسروه والكسر للقلب حامل
وترى وصله بمصر قليلا * وهو بالشام لا يزال يواصل
وتراه بذات عرق مقيما * فى نعيم وظله غير زائل
واذا قلت فى المخيم بالغو * ر رأيناك فيه اصدق قائل
ولقد جاءنا بعتب لطيف * عند تصحيفه لمن هو هازل
كيف لا والكتاب عن جنتيه * قد أتى مخبرا بكل الفضائل
فتفكه من حله بقطوف * دانيات لكل آت وراحل

الشاعر بصدر بيت له متقدم صدرا كان أو عجزا ليفصل به كلامه بعد حسن التعريف فى التوطئة الملاءمة انتهى وقد فتح الله على بالمقصود من هذا النوع فى بيتى المتقدم وعجزه تقدم لى فى بيت من قصيدة نبوية والله أعلم (١) معدود من الانسجام والسهولة قولى بعد البيت المتقدم فيما يحاوله من حصر معجزاته المعجزة لجميع الحكماء كلهم

﴿الموارده﴾

كم أعقبت راحة باللمس راحته
وكم محى محنة ريق له بفم

قال العلامة ابن حجة رحمه الله الموارده هو أن يتوارد الشاعران على بيت أو بعض بيت بلفظه أو بمعناه فان كان أحدهما أقدم من الآخر وأعلى رتبة فى النظم حكم له بالسبق والا فلكل منهما ما نظمه كما جرى لامرئ القيس ولطرفة بن العبد فى البيتين اللذين فى معلقتيهما

قال امرؤ القيس

وقوفا بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمل

(١) قوله معدود من الانسجام الخ هكذا بالاصل الذى بأيدينا

واقسم تحت ظله فهو لغز * ظله ظاهر على كل قائل
ثم دم للالغاز في الحل والعقد غنيا اذا أتى اللغز سائل

قلت ومما الحقوه بالالغاز ما حكى عن بعض ولاة الطوف ببغداد جاؤا اليه بغلامين غلب عليهما السكر فقال لاحدهما من أبوك فقال

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس افواجا الى ضوء ناره * فنهم قيام حولها وقعود

فاطلقه وعظم فى عينه وقال هذا أبوه من بيت كبير وقال للآخر من أبوك فقال

انا ابن من دانت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه بالرغم وهى صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها

فقال الوالى ما أشك ان هذا أبوه كان ملكا شجاعا فامر باطلاقهما فلما انصرفا كان فى المجلس رجل نبيه فقال للوالى الشاب الاول كان ابوه فوالا والثانى كان ابوه حجاما فاعجب الوالى منه ذلك فقال

كن ابن من شئت واكتسب ادبا * يغنيك مضمونه عن النسب
ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

وبيت الشيخ صفى الدين على الالغاز فى بديعيته

حران ينقع حر الكر غلته * حتى اذا ضمه برد المقيل ظمى

الشيخ صفى الدين ألغز هنا فى السيف فانه روى فى حر الكر بالدماء واذا دخل القراب الذى كنى به عن برد المقيل كان ظامئا والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته ان المنافق لغز قلبه زغل * وهو المعمى كمثل الارزة الرزم

قلت الشيخ عز الدين غفر الله له لم يأت فى بيته بغير الجناس المقلوب فى لغز وزغل واما التعمية بالارزة الرزم فتأملت ما المراد منهما حتى نظرت فى شرحه فوجدته قد قال الرزم القائم والارزة شجرة الصنوبر فما ازددت فى التعمية غير تعمية وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم وكما ألغزوه حله لسن * مذ طال تعقيده ازرى بفهمهم

قد تقدم وتقرر ان احسن التعمية فى اللغز ما أسفر بعد الحل عن تورية بديعة فى بابها وهذا البيت أيضا بديع فى هذا الباب فان اللغز فى الرمح والتورية فى لسن لان لسان الرمح لسان القائل فى التورية للتكليم وفى التعقيد المشترك بين تعقيد اللغز وتعقيد الرمح واما المناسبة بين الحل والتعقيد والازراء بالفهم بعد ذكر الالغاز فمحاسنها لا تخفى على حذاق الادب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(ذكر سلامة الاختراع)

(وقده باختراع سالم الف * يبدو بتروبسه من رأس كل كمى)

هذا النوع اعنى سلامة الاختراع هو ان يخترع الشاعر معنى لم يسبق اليه كقول عنترة فى وصف الذباب وخلا الذباب بها فليس ببارح * غردا كفعل الشارب المترنم

هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم

هذا المعنى اذا تأمله المتأدب وتخيله فى فكره يجده غريبا فى بابه فانه قال ان هذا الذباب لما خلا بهذه الروضة التى اعاد الضمير اليها فى قوله بها صار هزجا مترنما يحك ذراعه بذراعه من الطرب الذى اعتراه فشبهه عنترة برجل أجذم قاعد يقدح زنادا بذراعيه والاجذم المقطوع اليدو التقدير فى البيت قدح الاجذم المكب على الزناد انتهى ومنه قول ابن الرقاع فى تشبيه قرن الخشف

(ذكر سلامة الاختراع)

وقال طرفة وقوفا بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجلد
فلا تنافى فى ذلك احضر طرفة بن العبد خطوط أهل بلده فى أى يوم نظم البيت فكان اليوم الذى نظما فيه واحدا وقد يقع مثل ذلك أودونه فى بيت يخالف وزن البيت الاصلى انتهى وقد فتح الله على بالمقصود من هذا النوع فى بيتى المتقدم وقصدت المواردة بشهادة الله تعالى انى لما نظمت هذا البيت تذكرت بعد فراغه بيت الشيخ العلامة البوصيرى رحمه الله تعالى قال

كم أبرأت وصبا باللمس راحته
وأطلقت أربا من ربقة اللمم

فربيتى وقد تواردت أنا وهو على هذا المعنى ولا يخفى ما فى البيت من المحاسن والله أعلم

(التقسيم)

والنيران أطاعاه فتلك بدت
بعد الافول وهذا شق فى الظلم

يزجى اغن كان ابره روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

وعدوا قول ابن الرومى من المخترعات التى لم يسبق اليها فانه قال فى تشبيه الرقاقة حين يبسطها الخباز

لم أنس بالامس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

وأجمعوا على أن قول أبى الطيب من الاختراعات التى لم يسبق اليها وهو قوله

حلفت وفيا ان رددت الى الصبا * لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

قلت اما أبو الطيب فانه شن الغارات على معانى المتقدمين كثيرا وما خفى ما أورده عليه الحاتمى فى الحاتمية وكان قد عن لى أن أورد فى هذا الشرح المبارك له ولمن تقدمه ولمن تأخر عنه جملة مستكثرة مما وقع لهم من معانيهم من سلامة الاختراع بالنسبة الى اطلاعى وخفت أن يقع اختيارى على معنى أعده لصاحبه من سلامة الاختراع فيأتى من تبحر فى اطلاعه على معنى له لغيره ممن تقدمه فأضربت عن ذلك وجنحت الى ذكر ما وقع لى فى نظمى من سلامة الاختراع التى لم أسبق اليها ولا حام طائر فكر غيرى عليها فمن ذلك قولى من قصيدة رائية

وحمرة الخد أبدت خيط عارضه * فخلت كأس مدام وهو مشعور
ومذ بدت نسمات الثغر باردة * بدا باغضاء ذاك الجفن تكسير

وقلت منها فى وصف القلم

له يراع سعيد فى تقلبه * ان خط خطا أطاعته المقادير

ومنها

وأشقر يده البيضاء غرته * له الى الرزق فوق الطرس تيسير
بل أسمر عينه السوداء يلحظها * وهدب أجفانها تلك المشاعير

ومثله قولى من القصيدة

كذا محابره سود العيون فان * دنت أياديه فهى الاعين الحور

ومنه قولى من قصيدة ميمية

حين قابلت خده بدموعى * أثرت خلت ثوب خز منمنم

ومنه قولى فى وصف حماة من قصيدة طائية

ينظم بالشطين در ثمارها * عقود الها العاصى رأيناه كالسمط
وقد مد ذاك النهر ساقا مدملجا * وراح بنقش النبت يمشى على بسط
لوينا خلاخيل النواعير فالتوت * وأبدت انادورا على ساقة الشط

وقلت من قصيدة أخرى

وعاص رحيب الصدر قد خر طائعا * ودولابه كالقلب يخفق فى الصدر

وقلت من قصيدة أخرى

وهززت فيه كل عود أراكة * أضحى بها تيك الثغور مطيبا

والمعنى المخترع قولى بعده

ودخلت كل خباء زهر قد غدا * بدموع أجفان الغمام مطنبا

ومن اختراعاتى التى لم أسبق اليها وسارت الركبان بها قولى فى المدائح المؤيدية

فرج على المجنون نظم عسكرا * وأطاعه فى النظم بحر وافر
فانبت منه زحافه فى وقعة * يا من بأحوال الوقائع شاعر

قال العلامة زكى الدين بن أبى الاصبع رحمه الله التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم اقسام المعنى الذى هو آخذ فيه وذلك مثل قوله تعالى وهو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وليس فى رؤية البرق غير الخوف من الصواعق والطمع فى الامطار ولا ثالث لهذين القسمين انتهى ومن الشواهد الشعرية

واعلم ما فى اليوم والامس قبله
ولكننى عن علم ما فى غد عمى

والنوع واضح فى بيتى المتقدم والله اعلم

﴿الجمع مع التقسيم﴾

والماء من أصبعيه فاض فيض ندى
كفيه مردود هذا معدم العدم

قال العلامة ابن حجة رحمه الله هو ان يجمع الناظم بين شيئين أو أكثر ثم يقسم كقول أبى الطيب

الدهر معتذر والسيف منتظر

وجميع هاتيك البغاة باسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر

والمعنى المخترع فيها قولى

وعلى ظهور الخيل ماتواخيفة * فكان هاتيك السروج مقابر

ومنها فى سلامة الاختراع قولى

واذا مددت يراع رمحك ماله * الا القلوب الدارعين محابر

ونعال خيلك كالعيون ومالها * الا الجماجم من قتلت محاجر

ومنه قولى متغزلا فى مليح مشطوب

بالصدغ أبدى شطبة * من شكله محوط

سألته عن أمرها * فقال زاد اللغط

فلم تم بدا لى عارض * مشكل منقط

جئت شطبت فوقه * وقلت هذ اغلاط

ولى من قصيدة بديعة مشتملة على وصف متنزهات حماة المحروسة

والنبت يضبطها بشكل معرب * لما يزيد الطير فى التلحين

والمعنى المخترع قولى بعده

والغصن يحكى النون فى ميلانه * وخياله فى الماء كالتنوين

وقلت فى مطلع قصيد

الف القد مدها لى بعزه * وعليها من عطفة الصدغ همزه

وقلت من قصيدة فائية

وعارضه فى الوضع لام وصدغه * اذا مدها من فوقه تتكوف

ولعمرى ان الشرح قد طال ولولا خشية الاطالة لذكرت من هذا الباب قدرا وافيا بالنسبة الى ما أدى اليه اجتهادى وقلت انى مخترعه وبشهادة الله انى ما تطفلت بالنسبة الى على على معنى لغيرى اللهم الا أن تكون احكام الموارد قد حكمت على فالحكم لله العلى الكبير وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على سلامة الاختراع قوله

كادت حوافرها تدمى جحافلها * حتى تشابهت الاحجال بالرثم

جحفلة الفرس شفته العليا والرثم بياض شفتيه وكأنه يقول ان هذه الفرس لسرعة جريانها اتصلت أحجالها الى شفتها فتشابها فى البياض والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله فى بديعيته قوله

سلامة لاختراعى فى علاهم مى * اسمى وفعلى كحرف عند رسمهم

وقال فى الشرح اسمى علا وفعلى علا والحرف المشبه بهما على هذا المعنى على الذى هو معدود من حروف الجر قلت لو ألحق الشيخ عز الدين ما قاله هنا بالالغاز لكان أقرب وأليق فان سلامة الاختراع وغرابة المعنى عنه بمعزل وبيت بديعيتى تقدمه قولى فى الالغاز بالرمح بقولى

وكلما ألغزوه حله لسن * مذ طال تعقيده ازرى بفهمهم

ولم أخرج عن الرمح بل قلت مخترعا فيه اختراعا بعد من المرقص والمطرب بعد بيت الالغاز وهو

وقده باختراع سالم ألف * يبدو بترويسه من رأس كل كمى

تقدم قولى أنه كان عن لى ان أوردهنا من سلامة الاختراع للمتقدمين والمتأخرين جملة مستكثرة ولم يصدنى عن ذلك الا الخيفة ممن تبحر على فى المطالعة فيورد ما أثبت من المعنى المخترع لى بدانه مسبوق اليه من عمرو فاردت ان أخلص من هذا الاعتراض وأوردهنا نبذة من مخترعات ابن حجاج

وأرضهم لك مصطاف وما ارتبعوا
للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا
والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا
وقد يتقدم التقسيم ويتأخر الجمع كقول حسان رضى الله عنه
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم
وحاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة
ان الخلائق فاعلم شرها البدع
قال ابن حجة الاول أحسن موقعا وعليه مشى أصحاب البديعيات انتهى وقد فتح الله على بالمقصود من هذا النوع فى بيتى المتقدم وهو فى الوضوح كالصبح لذى عينين والله أعلم

﴿الجمع﴾

فريد حسن تسامى عن مماثله
فى الخلق والخلق والاحكام والحكم
قال العلامة ابن حجة

فانه منوال مانسج عليه غيره • وقد تقدم قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى ديباجة كتابه المسمى بتلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج • وأما أشعار أبى عبد الله الحسينى بن حجاج فانه أمة غريبة تبعث وحدها وذرية تبلغ باتقان اللهو رشدها فمن ذلك قوله

يا دعة الصفع صبى • على قفا المتنبى
وأنت يا ريح بطنى • على غداريه هبى
ويا قفاه تقدم • واقعد قليلا بجنبى
وان صفعتك ألفا • فلا تقولن حسبى
وقد تعشقت معنى • طرطورك المتعبى
بالجبة هى عن جهل شيخنا النذل تنبى
قومى ادخلى جوف بطنى • فقد وقعت بقلبى
وانت عندى مكان السواد من عين صلبى

ومنه قوله
كأنما باب سور مبعرها • عنقود كرم من زبب العنب
كأنما الاير فوق عصعصها • راكب حمارة على قتب

ومنه قوله
جارية قد سمطت فيشتى • بوهج حمى سرمها الصالب
أخذت فى الليل مجس استها الشعاعى وقد نامت الى جانبى
أوجب اخراج دم فاسد • من عين قيفال استها الضارب
لبظرها الاسود دنية • تصلح للقاضى أبى السائب
خطبت بالامس عليها استها • فأنعمت للخاطب الراغب
وبات ايرى رافضى الخصى • يعطى قفا مبعرها الناصب

وقال أيضا
قوموا افتحوا باب سرمها ولجوا • فكل عضو من استها شرج
قوموا فعين است الرؤيتكم • بالليل فوق الفراش تختلج
ان لم يسعكم مر عصعصها • فثم بالطول تحته ازج
• وفى استها خاتم للولبه • طوق محلى وفصه سبج
اذا الخصى صافح استها خريت • تحتى وبالبيض تعمل العجج

وقال أيضا
بابى من تمكنت من فؤادى • فانا الدهر كله فى اجتهاد
قدها فى القياس من قوم يأجو • ج ولكن بظرها قوم عاد
وقفت لى فبستها من قعود • بوسة بردت غليل فؤادى
ولها شعرة ولا زبد البحر بياضا وعصعص كالمداد
وحراشيط العذار بن الحى • فيه سمت النساك والعباد
بظرها فوقه كدنية الحا • كم يوم انحداره فى السواد
ما توهمته وحقك الا • بعض أصحابنا بنى حماد
• يوم حاملتها فلما أحست • فى خراها بمثل شرط الفصاد
جذبت لحيتى وقالت أيا شيخ ترى أنت كافر بالمعاد
أنت ممن يبغى خلافا على الله ويسعى فى أرضه بالفساد
قلت لكنى انا وجدنا على هذا أبو الآباء والاجداد
عرفينى وخبرينى متى كا • نت سيوف الخصى بلا أغماد

ومن غاياته فى هذا الباب قوله

رحمه الله هو ان يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر فى حكم واحد كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقوله تعالى والشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فجمع بين الشمس والقمر فى الحسبان والنجم والشجر فى السجود انتهى ومن الشواهد الشعرية قول الشاعر

ان الشباب والفراغ والجده
مفسدة للعقل أى مفسده

جمع بين عدة الاشياء الثلاث فى المفسدة ووضوح النوع فى بيتى المتقدم لا يحتاج الى بسط الكلام عليه والله أعلم

(القلب)

*(بدر الكمال كمال البدر مكتسب
من نوره وضياء الشمس فاعتلم)*

قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله هو ان يتقدم فى الكلام أحد جزئيه ثم يؤخر ويقع على وجوه منها ان يقع فى طرفى الجملة كقول بعضهم عادات السادات سادات العادات ومنها ان يقع بين متعلقى فعلين

مولاى يدعوك شيخ لاوقارله * حتى القيامة سكران ومخمور
مافيه للشيب اكرام فيزجره * عن الخمور ولالسن توقير
يقول بالامرد المصقول عارضه * مقسما فيه تأنيث وتذكير
وبالفتاة التى تنور مدخلها * بعد العثالشوى الخصيان مسجور
وبالعجوز التى فى أصل عنبلها * غداة بعث الخاصى ينفخ الصور
زبال زرع استها يسقى بدالية * وبظرها واقف فى الزرع ناطور
الها حراشمط قد شاب مفرقه * عليه بظر طويل فيه تدوير
كانه شاعر قد جاء من حلب * شيخ على رأسه المحلوق طرطور

هذا الاستطراد فى البيت الاخير استطرد فيه الى أبى الطيب وهو فى غاية اللطف والظرف وقد تقدمت اشارته الى طرطوره فى الابيات المتقدمة البائية ومن اختراعاته فى هذا الباب قوله

أحب من الكس تقبيله * اذا كان فى شفتيه لعس
ويعجبنى منه انى اذا * نقرت انفه بقمدى عطس
وواسعة السرم تشكو استها * اذا مسها النيك ضيق النفس
فتاة لدرب استها حارس * يعلق من خصيتيه جرس

ويعجبنى قوله من قصيدة

فى استها سدرة اذا نفضوها * جعوالى من تحتها كف نبق
وهو نبق بلانوى اسود اللو * ن اذا كنته تحمض شدقى

(ذكر التفسير)

(وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى * كم فسروا من بدور فى دجى الظلم)

هذا النوع أعنى التفسير من مستخرجات قدامة وسماه قوم التبيين وهو ان يأتى المتكلم أو الشاعر فى بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره امافى البيت الآخر أوفى بقية البيت ان كان الكلام يحتاج الى التفسير فى أوله والتفسير يأتى بعد الشرط وماهو فى معناه و بعد الجار والمجرور و بعد المبتدا الذى يكون تفسيره خبره بشرط أن يكون المفسر مجملا والمفسر مفصلا * فن بديع التفسير الذى وقع فى بيت واحد قول بعض المغاربة

صالوا وجادوا وضاؤا واحتبوا فهم * أسد ومزن واقمار وأجبال

فانه أحسن الترتيب فى عجز البيت كله وجعل المفسر فى الصدر بحيث أتى كل قسم مستقلا بنفسه ومثال ماوقع من التفسير بعد الحروف المتضمنة معنى الشرط قول الفرزدق

لقد جئت قوما لو لجأت اليهم * طريد دم أو حاملا ثقل مغرم
لالفيت منهم معطيا ومطاعنا * وراءك شزرا بالوشيج المقوم

والفرزدق ماراعى حسن الترتيب فى بيته فان عندهم عدم الترتيب مع حسن الجوار وقرب الملائم لاينقص حسن الكلام البليغ ألا ترى الى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك وأما الذين ابيضت وجوههم ومن الامثلة الواقعة بعد الجار والمجرور فى باب التفسير قول شرف الدين القيروانى

لمختلفى الحاجات جمع ببابه * فهذا له فن وهذا له فن
فللخامل العليا وللمعدم الغنى * وللمذنب العقبى وللخائف الامن

ومما جاء من التفسير بعد المبتدى قول ابن الرومى

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات اذا دجون نجوم

من جملتين كقوله تعالى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومنه قول بعضهم

رمى الحدثان نسوة آل حرب * بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

ومنها أن يقع كلمتان فى طرف جملتين كقوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ومن النظم قول المتنبى

ولا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

انتهى ومن محاسن هذا النوع قول الرشيدى

لسانى كتوم لاسراركم * ولكن دمعى بسرى مذيع
فلولا دموعى كتمت الهوى * ولولا الهوى لم يكن لى دموع

وقول الصاحب ابن عباد

رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها وتشاكل الامر

منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

قالوا ان هذا أبلغ ماوقع فى التفسير من الامثلة الشعرية فانه راعى فيه الترتيب أحسن مراعاة * ومن بديع هذا النوع قول محمد بن وهيب فى المعتصم

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

ومثله فى الحسن قول محمد بن شمس الخلافة

شيا آن حدث بالقساوة عنهما * قلب الذى يهواه قلبى والحجر

وثلاثة بالجود حدث عنهم * البحر والملك المعظم والمطر

ومن معجز التفسير ماجاء فى الكتاب العزيز وهو قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع فذكر سبحانه الجنس الاعلى أولا حيث قال كل دابة فاستغرق أجناس كل مادب ودرج ثم فسر سبحانه هذا الجنس بعد ذلك بالاجناس المتوسطة والانواع حيث قال فنهم ومنهم ومنهم مراعيا للترتيب وذلك انه قدم مايمشى على غير آلة لكون الآية سيقت لبيان القدرة وتعجب السامع ومايمشى بغير آلة أعجب مما يمشى بآلة فلذلك كان تقديمه ملائما للمقصود الآية الشريفة ثم ثنى بالافضل فأتى بما يمشى على رجلين وهو الآدمى والطير لتمام خلق الانسان وكمال صورته ولما فى الطير من عجيب الطيران الدال على الخفة مع مافيه من الكثافة الارضية وثلث بما يمشى على أربع لانه أحسن الحيوان البهيمى واقواه فتضمنت هذه الكلمات التى هى بعض آية عدة من المحاسن وهى صحة التفسير وصحة التقسيم مع مراعاة الترتيب والاشارة وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن النسق والفرق بين التفسير والايضاح ان التفسير تفصيل الاجمال والايضاح رفع الاشكال لان المفسر من الكلام لا يكون فيه اشكال * وبيت صفى الدين على التفسير قوله

هم النجوم بهم يهدى الانام * ويتجاب الظلام ويهمى صيب الديم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

ذكر الامام وابنيه يفسره * على والحسنان اكرم بذكرهم

الشيخ عز الدين ماأفادنا فى التفسير هنا شيأ * وبيت بديعيتى أقول فيه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى * كم فسروا من بدر فى دجى الظلم

هذا هو التفسير الذى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه فى الشطر الاول من البيت الا بتفسيره من الشطر الثانى على الترتيب * وأما ذكر الامام على كرم الله وجهه وذكر ولديه عليهما السلام فى بيت الشيخ عز الدين رحمه الله فانه غير محتاج الى تفسير والله أعلم

(ذكر حسن الاتباع)

(ذكراه يطربهم والسيف ينهل من * أجسامهم لم يشن حسن اتباعهم)

هذا النوع أعنى حسن الاتباع هو ان يأتى المتكلم الى معنى اخترعه الغير فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحق بوجه من الوجوه الزائدة التى توجب للمتأخرين استحقاق معنى المتقدم امابا حتصار لفظه أوقصر موزن أو عذوبة لفظ أو تمكين قافية أو تتميم نقص أو تحلية من البديع توجب الاستحقاق كاتباع أبى نواس جريرا فى قوله

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

فنقل أبو نواس المعنى من الفخر الى المدح بقوله

وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

فزاد على جرير زيادات منها قصر الوزن وحسن السبك واخراج كلامه من الظن الى اليقين وأيضا

(ذكر حسن الاتباع)

فكأنما خمر ولا قدح
وكأنما قدح ولا خمر

وقول الآخر

ألست ترى أطباق ورد وحولها
من النرجس الغض الطرى قدود
فتلك خدود ماعليهن أعين
وتلك عيون مالهن خدود

(تنسيق الصفات)

(أعظم به من نبى سيد سند
هاد سراج منير صفوة القدم)

هذا النوع هو ذكر الشئ وتعقيبه بتعديد صفاته فاستشهدوا عليه بقوله تعالى هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الى آخر السورة ومن الشواهد الشعرية قول المتنبى

ندأبى غن واف فتى ثقة
جعد سرى به ندب رض ندس

فان ذكر العالم أعم من ذكر الناس فى بيت جرير * وعدوا من الشواهد الحسنة فى حسن الاتباع قول منصور النميرى فى زينب أخت الحجاج واتراماوهو

وهن اللواتى ان برزن قتلننى * وان غبن قطعن الحشا حسرات

فاحسن اتباعه ابن الرومى بقوله

و يلاه ان نظرت وان هى أعرضت * وقع السهام ونزعهن أليم

قلت وقع السهام ونزعهن بعد و يلاه فى بيت ابن الرومى تركت بيت النميرى اطلالا بالية وقال أبو عبادة البحترى أخجلتنى بندى يديك فسودت * مابيننا تلك اليد البيضاء

صلة غدت فى الناس وهى قطيعة * عجبا وبر راح وهو جفاء

وأحسن أبو العلاء وقال

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

لانه استوعب معنى البيتين فى صدر بيته وأخرج العجز مخرج المثل السائر مع الايجاز والايضاح وحسن البيان وقال عنترة

انى امرؤ من خير عبس منصبا * شطرى وأحمى سائرى بالمنصل

فاحسن اتباعه منصور الفقير فى شريف نسبه وكان شرفه من جهة أبيه لا من جهة أمه بقوله

ان فاتنى بأبيه * فلم يفتنى بأمه * ورام شتمى ظلما * سكت عن نصف شتمه

فان هذا الفقيه أحسن غاية الاحسان من وجوه أحدها الايجاز فانه عمل معنى عنترة الذى جاء به فى بيت تام من الكامل فى بيت من المجتث وأتى بالمطابقة المعنوية فأما قوله سكت عن نصف شتمه ففيه من التأدب الدينى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاحتراس ما يزيد على الوصف وقال ابن الرومى تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا * نبال العداعنى فكنتم نصالها

وكنت أرجى منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها

فان كنتم لا تحفظون مودتى * ذماما فكونوا الاعليها ولا لها

قفوا وقفة المعذور عنى بمعزل * وخلوا نبالى للعدا ونبالها

فاحسن ابن سنان الخفاجى اتباعه بقوله

أعددتكم لدفاع كل ملمة * عونا فكنتم عون كل ملمة

وتخذتكم لى جنة فكأنما * نظر العدو ومقاتلى من جنتى

فلا نفضن يدى يأسا منكم * نفض الأنامل من تراب الميت

و يعجبنى هنا قول القائل

واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادى

وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى

وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادى

وقال ابن الرومى سد السداد فمى عما يريبكم * لكن فم الحال عنى غير مسدود

وأحسن زكى الدين بن أبى الاصبع اتباعه فقال

هبنى سكت فما لسان ضرورتى * أهجى لكل مقصر عن منطق

وقال سليك بن سلكة

وتبسم عن ألمى اللثاة مفلج * خليق الثنايا بالعذوبة والبرد

وما ذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم برق فى السحابة من بعد

وقال نصيب كان على أنيابها الخمر شجها * بماء الندى فى آخر الليل عابق

وقال الحريرى فى المقامة المعروفة بالرقطا

مخلف متلف اغر فريد * نائه فاضل زكى أنوف

وقد اتضحت بهذه النبذة صحة هذا النوع فى بيتى المتقدم والله أعلم

(التشطير)

(بالحق مشتغل فى الخلق مكتمل * بالبر معتصم بالبر ملتزم)

قال العلامة الشهاب محمود رحمه الله هو أن يقسم الشاعر بيته شطرين ثم يصرع كل شطر من الشطرين ولكنه يأتى بكل شطر من بيته مخالفا لقافية الآخر كقول مسلم ابن الوليد

موف على مهج فى يوم ذى رهج * كانه أجل يسعى الى أمل

وقول أبى تمام

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتغب فى الله مرتقب

انتهى والنوع فى بيتى المتقدم واضح والله أعلم

﴿السجع﴾

(للبذل مغتنم بالبشر متسم * يسمو بمبتسم كالدر منتظم)

وماذقتـه الا بعينى تفرسا * كما شيم فى أعلى السحابة بارق

واحسن بشار بن برد اتباعهما بايجازه وقال

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك

وقال السموأل يقـرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهـه آجالهـم فتطول

فأحسن بشار اتباعه بزيادة محاسن فقال * أفناهم الصبر اذ أبقاهم الجزع * وقال الاسود ابن يعفر يسعى بها ذو تومين كأنما * قنأت أنامله من الفرصاد

وأحسن أبو نواس اتباعه بزيادة من المحاسن وقال

تبكى فتذرى الدمع من نرجس * وتلطم الورد بعناب

استوفى أبو نواس المعنى فى نصف بيت وأخذه الواوا الدمشقى من أبى نواس وزاد عليه زيادة عجيبة بقوله وامطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وقال مسلم بن الوليد

تجرى محبتها فى قلب عاشقها * مجرى المعافاة فى اعضاء منتكس

فاحسن أبو نواس اتباعه فقال

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

وجميع ذلك مأخوذ من قول بعض الملوك باليمن

منع البقاء تقلب الشمس * وطلوعها مـن حيث لا تمسى

تجرى على كبد السماء كما * يجرى حمام الموت فى النفس

نقل أبو هلال العسكرى فى الصناعتين عن الصولى انه قال حدثنى أبو بكر بن هارون بن عبد الله المهلبى قال كنا فى حلقة دعبل الشاعر فجرى ذكر أبى تمام فقال دعبل كان يتبع معانى فيأخذها فقال له رجل فى مجلسه مثل ماذا أعزك الله فقال قلت

وان امرأ أسدى الى بشافع * اليه ويرجو الشكر منى لاحمق

فأخذه أبو تمام وقال

واذا امرؤ أسدى اليك صنيعة * من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل أحسن والله فقال دعبل كذبت والله قبحك الله فقال الرجل ان كان سبقك بهذا المعنى وتبعته فما أحسنت وان كان أخذه منك فقد أجاد فصار أولى به منك على الحالين فغضب دعبل وقام

وقال بشار من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فأحسن اتباعه سلم الخاسر وقال

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

فلما سمع بشار هـذا البيت قال قد ذهب ابن الفاعلة ببيتى وممن زاد على المتقدمين بحسن سبكه وعذوبة لفظه ابن المعتز رحمه الله بقوله

ولاح ضوء هلال كاد يفضحه * مثل القلامة قد قدت من الظفر

وهو مأخوذ من قول الاول

كأن ابن ليلته جانح * الى مسقط الافق من خنصر

وقال أبو العتاهية كم نعمة لا تستقل بشكرها * لله فى طى المكاره كامنـه

فاحسن أبو تمام اتباعه فقال

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلى الله أدنى القوم بالنعم

فزاد عليـه الا انه أتى بعكس المعنى وما يعرف للمتقدمين معنى شريف الا نازعهـم اياه المتأخرون

قال العلامة ابن حجة رحمه الله السجع مأخوذ من سجع الحمام وينقسم الى أربعة أقسام المطرف والموازى والمشطر والمرصع انتهى حد المشطر الذى هو التشطير فى الكلام على البيت الذى قبل هذا وأما هـذا البيت فهو المطرف وشرطه أن يكون روى الاسجاع روى القافية ومن أجل الشواهد قوله تعالى لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ومن الشواهد الشعرية قول الشاعر

تحلى به رشدى وأثرت به يدى
وفاض به ثمدى وأورى به زندى

﴿الترصيع﴾

(محمد الذكر فى الفرقان بالحكم
محمد الامر فى التبيان من حكم)

قال العلامة تاج الدين عبد الباقى القرشى اليمانى رحمه الله مأخوذ من ترصيع العقد وهو ان يكون فى أحد جانبيه من

وطلبوا الشركة معهم فيه الاقول عنترة * وخلا الذباب بها فليس ببازج * فانه مانوزع فى هذا المعنى على جودته وقد رامه بعض المجتهدين فافتضح وتقرر ذلك فى بيت سلامة الاختراع * وبيت الشيخ صفى الدين الحلى على حسن الاتباع قوله

ينازع السمع فيها الطرف حين جرت * فيرجعان الى الآثار فى الاكم

بيت الشيخ صفى الدين مأخوذ من قول القائل

وطرف يفوت الطرف فى جريانه * ولكن للاسماع فيه نصيب

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

والجزع حن اليه بعد فرقته * حسن اتباع اتلاث الاربع الحرم

ذكر الشيخ عز الدين فى شرحه انه اتبع الفرزدق فى قوله فى مديح الامام زين العابدين على بن الحسين بن على عليهما السلام وهو هذا

هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته * والركن يعرفه والبيت والحرم

وبيت بديعيتى تقدمه قولى فى حق الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى * كم قد سروا من بدور فى دجى الظلم

ثم انى قلت بعده فى حسن الاتباع عن الصحابة

ذكراه يطربهم والسيف ينهل من * أجسامهم لم يشن حسن اتباعهم

هذا المعنى سبقنى اليه الشيخ شرف الدين بن الفارض وكنت فى صغرى أترنم به وهو قوله

فلى ذكرها يحلو على كل صيغة * ولو مزجوه عذلى بخصام

الشيخ شرف الدين قرران ذكر محبوبه يحلو ولو كان فى محل خصام من العذال وقولى أبلغ فى حق الصحابة رضى الله عنهم لان ذكر النبى صلى الله عليه وسلم يطربهم والسيوف تنهل من أجسامهم وأين الطرب فى هذا المقام من يحلو فى ذلك المقام وأين الخاصمة بالالسن من التكليم بالسنة السيوف والزيادة التى ماعلى حسنها من مزيد قولى لم يشن حسن اتباعهم فان شدة الحرب وتكليم النفوس ماشان حسن السيوف وذهاب الانفس ماشان حسن اتباعهم للنبى صلى الله عليه وسلم يوما من الايام والتورية فى حسن الاتباع الذى هو المراد من تسمية النوع محاسنها لا تخفى على المنصفين من أهل الادب والله أعلم

﴿ذكر الموارده﴾

كأنما الهام احداق مسهدة * ونومها واردته فى سيوفهم

هذا النوع أعنى الموارده هو أن يتوارد الشاعران على بيت أو بعض بيت بلفظه ومعناه فان كان أحدهما أقدم من الآخر واعلى رتبة فى النظم حكم له بالسبق والافلكل منهما ما نظمه كما جرى لامرئ القيس وطرفة بن العبد فى معلقتيهما وهو قول امرئ القيس

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتحمل

قال طرفة أسى وتجلد فلما تنافسا فى ذلك وأحضر طرفة بن العبد خطوط أهل بلده فى أى يوم نظم هذا البيت كان اليوم الذى نظمافيه واحدا وقد يقع مثل ذلك أودونه فى بيت يخالف وزن البيت الاصلى وبيت الشيخ صفى الدين على الموارده قوله

تهوى الرقاب مواضيهم فتحسبها * حديدها كان اغلالا من القدم

وبيت الشيخ صفى الدين ذكر فى شرحه أنه نظم بيتا من جملة أبيات وهو

تهوى مواضيك الرقاب كأنما * من قبل كان حديدها اغلالا

ثم ذكر انه سمع بعد ذلك بيتا لا يعلم قائله وهو

(ذكر الموارده)

الحباب مثل مافى الآخر انتهى ومن الشواهد قول الشاعر

ومكارم أوليتها متبرعا
وجرائم الفيتها متورعا

وقول الآخر

خفريق جمرة سيفه للمعتدى
ورحيق خمرة سيبه للمعتفى

وقول الآخر

يروح اليهم جالب الحمد وافيا
ويغدو عليهم طالب الرفد عافيا

وفى هذه النبذة مايدل على النوع وهو واضح فى بيتى المتقدم والله أعلم

﴿اللف والنشر﴾

جمال صورته عنوان سيرته
هذا بديع وهذى آية الامم

فشهرة هذا النوع تغنى عن ذكر حده وشواهده

﴿الاغراق﴾

(ولو غدا البحر حبرا والغضا ورقا
فى حصر أوصافه ضاقا بعضهم)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله هو فوق المبالغة ودون الغلو وهو افراط وصف الشئ بالممكن البعيد وقوعه عادة ومن الشواهد قول المتنبى

تهوى الرقاب مواضيه فتحسبها * تود لو أصبحت اغلالا من أمرا

فاسقط البيت الذى له فلما تعددت عليه الانواع فى نظم البديعية ووصل الى المواردة الجأته الضرورة الى نظمها ليكون البيت المنظوم منتظما فى سلك شواهد بديعيته بحيث لا تخلو من هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

ليت المدائح تستوفى علاه ولو * تواردت فى مديح غير منصرم

الشطر الاول من هذا البيت ذكر الشيخ عز الدين فى شرحه أنه توارد هو وأبو الطيب المتنبى عليه والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم ومعنى المواردة فى بيت بديعيتى انى كنت مدحت عمر بغاء الافضلى الشهير بمنطاش ورياحين الشبيبة غضة ونشوة الابتداء تحث على دوركاسات الادب وكان المشار اليه اذذاك كافل المملكة الحموية بقصيدة رائية سارت ببديع محاسنها الركبان واحتوت على معان لم أسبق اليها وتمثلت فى غصون نظمها بين يدى شيخى وهو مولانا قاضى القضاة علاء الدين أبو الحسن على القضامى الحنفى رحمه الله وقد علق بخاطرى منها أبيات فانشدته فى ذلك الوقت ما علق بخاطرى وهو قولى منها

له مطالعة فى الحرب حين يرى * دم العدا فوق طرس الارض قد سطرا
ان راسل القوم انشا فى رسائله * سجعات ضرب بها الهامات قد نثرا
كاتبه السيف والخطى له قلم * والرسل أسهم حتف توضح الخبرا
ان كان قد نظم الاعدا مكيدتهم * فقل لهم انه من قبلهم شعرا
لانه ببديع الحسن لف لنا * شملا ولكن لأرقاب العدا نشرا
وخط من فوق ألواح الصدور لهم * بابا من الخوف فى احشائهم وقرا
وصار يكتب بالهندى ويعجم بالخطى فعل شجاع قد قرا ودرى
تراه بالرمح بدرا حام لاغصننا * وبالتريسة غصنا حام لاقمرا
ان جس عود الضرب مال سامعه * والخيل يرقصها ان حرك الوترا

وصرت كلما أنشدته بيتا من هذه الابيات يترنم كثيرا ويرسم لى باعادته حتى انتهيت الى قولى

كأنما الهام أحداق أضر بها * سهد وأسيافه فى الحرب طيب كرى

فلما سمع هذا البيت لم يترنم كما ترنم للابيات التى قبله وقال أبو الطيب هو أبو عذرة هذا المعنى ولكن أحسنت الاتباع بقولك أضر بها سهد وبقولك فى الشطر الثانى طيب كرى فان فيهما زيادتين حسنتين فالتزمت له بيمين انى ما ملكت ديوان المتنبى يوما من الايام ولا طالعته عند الغير وما كنت فى ذلك الوقت أطالع غير ديوان الشيخ جمال الدين بن نباتة وديوان الشيخ صفى الدين الحلى فتعجب مولانا قاضى القضاة من ذلك وبالغ فى الجبر والثناء ولكنى اسقطت البيت من القصيد خوفا من قدح حاسد فلما وصلت ببديعيتى الى نوع المواردة الجأت الضرورة الى نظمه فى سلك أنواعها * وبيت المتنبى الذى حصلت المواردة به قوله

كأن الهام فى الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد

وبيت بديعيتى كأنما الهام احداق مسهدة * ونومها اوردته فى سيوفهم

والترشيح أيضا هنا ظاهر فى قولى مسهدة والترشيح فى توريته المواردة بتسمية النوع وزيادة المعنى غير خاف على أهل الادب

﴿ذكر الايضاح﴾

(هذا وتزداد ايضاحا مخافتهم * فى كل معترك من بطش ربهم)

هذا النوع أعنى الايضاح هو أن يذكر المتكلم كلاما فى ظاهره لبس فلا يفهم من أول وهلة حتى

(ذكر الايضاح)

كفى بجسمى نحولا اننى رجل
لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

وقول العارف بالله سيدى شرف الدين سيدى عمر ابن الفارض رحمه الله

كانى هلال الشك لولا تأوهى
خفيت فلم تهد العيون لرؤيتى

وفى هذه اللمعة ما يدل على النوع ووضوحه فى بيتى لا يخفى الا على اجنبى والله أعلم

(الغلو)

﴿وذكره كاد لولا سنة سبقت
اذا تذكر يحيى بالى الرمم﴾

قال العلامة ابن حجة رحمه الله الغلو هو الافراط فى وصف الشئ بالمستحيل عقلا وعادة انتهى وهو قسمان مقبول وغير مقبول فالمقبول لابد ان يقرن باداة التقريب اللهم الا أن يكون المديح نبويا فلا غلو ومن الشواهد قوله تعالى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار فان اضاءة الزيت من غير مس النار مستحيلة عقلا ولكن مادة التقريب صارت مقبولة فصار مقبولا ومن

يوضحه فى بقية كلامه كقول الشاعر

يذكرنيك الخير والشر كله * وقيل الخنى والحلم والعلم والجهل
فالقاك عن مكروهها متنزها * والقاك فى محبوبها ولك الفضل

معنى البيت الاول ملتبس وماذاك الا انه يقتضى المدح والذم ولكنه أوضحه بقوله

فالقاك عن مكروهها متنزها * والقاك فى محبوبها ولك الفضل

وقد يكون الايضاح فى الوصف الذى لا يتعلق به مدح ولا هجاء وذلك أن يخبر المتكلم بخبر واحد عن شئ واحد يحصل فيه الاشكال فيوضح ذلك الاشكال بما يفهم منه كشف اللبس عن الحد الاول كقول ابن حيوس

ومقرطق يغنى النديم بوجهه * عن كأسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

فانه لو اقتصر على البيت الاول أشكل الامر من جهة الوجه فانه وان كان حسنا لا يغنى النديم عن الخمر فأزال اللبس فى البيت الثانى وأوضحه وقد تقدم وتقرر الفرق بين الايضاح والتفسير وبيت الشيخ صفى الدين قوله

قادوا الشوازب كالاجبال حاملة * أمثالها ثابتة فى كل مصطدم

العميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

للخير والشر ايضاحا به فبذا * أمر وعن ذاك نهى حب نصحهم

والذى أقوله أن الشيخ عز الدين غفر الله له لم يتضح فى بيته غير الاشكال وبيت بديعيتى تقدم قولى قبله فى وصف الصحابة رضى الله عنهم أجمعين بحسن الاتباع والصبر والاقدام الى أن قلت فى الموارده

كانما الهام أحداق مسهدة * ونومها واردته فى سيوفهم

ثم ان قلت بعده فى الايضاح

هذا وتزداد ايضاحا مخافتهم * فى كل معترك من بطش ربهم

الاطناب والمبالغة فى وصف الصحابة رضى الله عنهم قد تقدم بالشجاعة التى هى فوق الوصف فلما قلت فى هذا البيت ان مخافتهم تزداد ايضاحا فى كل معترك ظهر اللبس فأوضحته بقولى من بطش ربهم والتورية بتسمية النوع الذى هو المطلوب هنا محاسنها لم تفتقر الى الايضاح والله الموفق

﴿ذكر التفريع﴾

(ما العودان فاح نشرا أو شدا طربا * يوما باطرب من تفريع وصفهم)

هذا النوع أعنى التفريع وهو ضد التأصيل هو أن يصدر الشاعر أو المتكلم كلامه باسم منفى بما خاصة ثم يصف ذلك الاسم المنفى بأحسن أوصافه المناسبة للمقام اما فى الحسن واما فى القبح ثم يجعله أصلا يفرع منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك ثم يخبر عن ذلك الاسم بافعل التفضيل ثم يدخل من على المقصود بالمدح أو الذم أو غيرهما ويعلق المجرور بافعل التفضيل فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بمن وبين الاسم الداخل عليه ما النافية لان حرف النفى قد نفى الافضلية فتبقى المساواة بيان ذلك أن تقول ما الزهر اذا بكى الغمام فضحك باحسن من أخلاق زيد فالمساواة بين الزهر والاخلاق ههنا ثابتة بالشروط المذكورة ومن الامثلة الشعرية قول الاعشى

ما روضة من رياض الحسن معشبة * غناء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الزهر منها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما باطيب منها طيب رائحة * ولا باحسن منها اذ دنا الاصل

(ذكر التفريع)
الامثلة الشعرية قول بعضهم
ويكاد يخرج سرعة من ظله
لو كان يرغب فى فراق فريق
ومن شواهد هذا القسم الذى هو غير مقبول قول أبى نواس
وأخفت أهل الشرك حتى انه
لتخافك النطف التى لم تخلق
وفى هذه النبذة ما يدل على المقصود من هذا النوع وهو واضح فى بيتى المتقدم والله أعلم

(المبالغة)

﴿علا عن المثل والتشبيه ممتنع
فى وصفه وقصور العقل كالعلم﴾

قال العلامة ابن حجة رحمه الله هذا النوع معدود من محاسن هذا الفن عند الجمهور انتهى وسماه ابن المعتز الافراط فى الصفة وقد فتح الله على بالمقصود من هذا النوع فى بيتى المتقدم وأتى على

وقد يجيء الفرع والاصل فى بيت واحد كقول أبى تمام

مار بع مية معمور ايطيف به * غيلان أبهى ربا من ربعها الخرب
ولا الخدود وان أدمين من خجل * أشهى الى ناظرى من خدها الترب

فذكر فى البيت الاول الاصل والفرع وكذلك فى البيت الثانى فالاصل هو الاسم المنفى مع ماذكر من أوصافه والفرع هو أفعل التفضيل مع ما يتعلق به ويعجبنى فى هذا الباب قول ابراهيم بن سهل الاشبيلى من قصيد وهو

وما وجد اعرابية بان دارها * وحنت الى بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بورده
وان أوقدوا المصباح ظنوه بارقا * يحيى فهشت للسلام ورده
باعظم من وجدى بموسى وانما * يرى أننى أذنبت ذنبا الوده

ومن انشاء القاضى شهاب الدين محمود فى هذا الباب قوله وما أم طفل قذفها الزمن العنيد فى بعض البيد فى أرض موحشة المسالك قليلة السالك قد لمع سرابها وتوقدت هضابها وصرخ بومها ونفر ظليمها وحضر سمومها وغاب نسيمها فلما خافت على ولدها من الظما الهلاك أجلسته الى جنب كثيب هنالك ثم ذهبت فى طلب الماء للغلام لئلا يقضى عليه الاوام فانتهى بها المسير الى روضة وغدير وآثار مطى بوارك تدل على أن الطريق هنالك فعادت الى ولدها مسرعه وكل أعضائها اليه عيون متطلعه فلما اشارفت جنب الكثيب رأت ولدها فى فم الذيب

بأكثر منى حسرة وتلهفا * وأعظم منى حرقة وتأسفا
وأغزر دمعا عندما قيل لى الذى * كلفت به أضحى على البعد مزمعا

وذكر صاحب الايضاح للتفريع قسما ثانيا لم يذكره غيره ولا نسج على منواله أصحاب البديعيات فألغيته أيضا والشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع اخترع قسما ثالثا ولكن وجدت هذا النوع الذى نحن بصدده أحلى فى الاذواق وأوقع فى القلوب وعلى سننه مشى أصحاب البديعيات فألغيت أيضا ما اخترعه ابن أبى الاصبع رحمه الله وبيت الشيخ صفى الدين الحلى على هذا النوع فى وصف الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

ما روضة وشع الوسمى بردتها * يوما بأحسن من آثار سعيهم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

ما الدوح تفريعه بالزهر متسق * نظما بأطيب من تعريف ذكرهم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

ما العودان فاح نشرا أوشدا طربا * يوما باطيب من تفريع وصفهم

هذا البيت فيه نوع التفريع الذى هو القصد هنا والتورية بتسميته والاستخدام ومراعاة النظير وفيه الانسجام والتمكين والله أعلم

﴿ذكر حسن النسق﴾

(من ذا يناسقهم من ذا يطابقهم * من ذا يسابقهم فى حلبة الكرم)

هذا النوع أعنى حسن النسق ويسمى التنسيق من محاسن الكلام وهو أن يأتى المتكلم بالكلمات من النثر والابيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا مستبهجا وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية اذا أفرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه كقول شرف الدين القيروانى

جاور عليا ولا تحفل بحادثة * اذا ادرعت فلا تسأل عن الاسل

(ذكر حسن النسق)

الوجه اللائق بالمدح النبوى وبالجملة فكل مبالغة فى هذا المقام ممكنة غير مستحيلة فى معجزات الممدوح صلى الله عليه وسلم وعظم قدره وبالله التوفيق

(الاتفاق)

﴿محمد اسمه نعت لجلة ما فى الذكر من مدحه فى نون والقلم﴾

قال العلامة ابن حجة رحمه الله تعالى الاتفاق عزيز الوقوع جدا وهو ان يتفق للشاعر واقعة واسماء مطابقة لتلك الواقعة تعلمه العمل فى نفسها اما بالمشاهدة واما بالسماع انتهى فن بديع الاتفاق قول الزكى بن أبى الاصبع وقد اجتمع الملك الاشرف موسى بالملك الظاهر وهو الخضر بن يوسف بن أيوب

غدا مجمع البحرين شاطى فراتنا
الم تر موسى فيه قد لاقى الخضرا

والاتفاق فى بيتى المتقدم ببركة الممدوح صلى الله عليه وسلم ظاهر فان اسمه

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل

فالحظ حسن النسق وصحة هذا التركيب فيه واستيعاب هذا التقسيم ووضوح هذا التفسير ومنه قول أبي نواس واذا جلست الى المدام وشربها * فاجعل حديثك كله في الكاس

واذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس

حسن النسق هنا لامرين بين فنين متضادين في هذين البيتين وهما المجون والزهد حتى صارا كانهما فن واحد وبيت الشيخ صفي الدين الحلي قوله

والذئب سلم والجنى أسلم والـ * ـشعبان كلم والاموات في الرحم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

فالضيق أذهب والتوفيق سبب والتـ * ـنسيق رتب في تصديق حكمهم

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على وصف الصحابة رضوان الله عليهم بقولي

من ذا يناسقهم من ذا يطابقهم * من ذا يسابقهم في حلبة الكرم

﴿ذكر التعديد﴾

(تعديد فضلهم يبدى لسامعه * علما وذوقا وشوقا عند ذكرهم)

هذا النوع أعني التعديد ذكره الامام فخر الدين الرازي وغيره وسماه قوم الاعداد وهو عبارة عن ايقاع أسماء منفردة على سياق واحد فان روعي في ذلك ازدواج أو مطابقة أو تجنيس أو مقابلة فذلك الغاية في حسن النسق مثاله قوله تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ومن الامثلة الشعرية قول أبي الطيب المتنبي

الخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع قوله

ياخاتم الرسل يامن علمه علم * والعدل والفضل والايفاء للذمم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت عز الدين في بديعيته قوله

تعديد أوصافهم في المدح يعجزنا * أهل التقى والنقا والجد والهمم

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بقولي

تعديد أوصافهم يبدى لسامعه * علما وذوقا وشوقا عند ذكرهم

﴿ذكر التعليل﴾

(نعم وقد طاب تعليل النسيم لنا * لانه مر في آثار زرهم)

هذا النوع أعني التعليل هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه لكون رتبة العلة تتقدم على المعلول كقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فسبق الكتاب من الله تعالى علة النجاة من العذاب وكقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة فخوف المشقة على الامة هو علة في التخفيف عنهم من الامر بالسواك عند كل صلاة ومن أمثلته الشعرية قول البحتري

ولو لم تكن ساخطا لم أكن * اذم الزمان وأشكو الخطوبا

فوجود سخط الممدوح هو علة في شكوى الشاعر * ومنه قول ابن هانئ الاندلسي

ولو لم تصافح رجلها صفحة الثرى * لما صح عندي علة للتيمم

وفي رواية لما كنت أدري وعلى كلا الروايتين في الغلو قبح واساءة أدب كيف انه لم يدر علة للتيمم الا ماذكر وقد علمت صحة التيمم من نص الكتاب والسنة * ولقد أحسن ابن رشيق القيرواني في تعليل قوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا حيث قال

(ذكر التعديد)
(ذكر التعليل)

الشريف محمد اسم علم لمن كثرت اخلاقه الحميدة فمدمرة بعد مرة فهو محمد وقد مدح في ن بقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فطابق اسمه على مدحه وظاهر الاتفاق الذي هو النوع في البيت المذكور وبيت ابن حجة في هذا النوع لاباس بايراده ليتضح ما اشرت به اليه وهو قوله

و وصفه لابنه قد جاء تسمية * فانه حسن حسب اتفاقهم

(الجمع مع التفريق)

﴿علاه كالشمس لايخفى على بصر * والوجه كالبدر يجلو حالك الظلم

قال العلامة ابن حجة رحمه الله هو ان يجمع الشاعر بين شيئين في حكم واحد ثم يفرق بينهما في ذلك الحكم كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة يقول الشمس والقمر كوكبان فهذا نهاري وهذا ليلي فجمع بينهما اذهما كوكبان ثم فرق بان هذا يضيء

سالت الارض لم جعلت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا

فقالت غير ناطقة لانى * حويت لكل انسان حبيبا

فتخلص مما وقع فيه ابن هانئ لكونه سأل الارض عن العلة وتلطف فى استخراج علة مناسبة لاحرج عليه فى ايرادها وقد يتقدم المعلول على العلة فى هذا الباب وعلى هذا المنوال نسج ابن رشيق وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على التعليل قوله

لهم أسام سوام غير خافية * من أجلها صار يدعى الاسم بالعلم

وبيت العميان

لم تبرق السحب الا أنها فرحت * اذ ظلته فأبدت حسن مبتسم

وبيت الشيخ عز الدين قوله

تعليل طيب نسيم الروض حين سرى * بأنه نال بعضا من تنائهم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن الصحابة

نعم وقد طاب تعليل النسيم لنا * لانه مر فى آثار تربهم

(ذكر التعطف)

(تعطف الخير كم أبدو المذنبهم * والخير مازال فى أبواب صفحهم)

التعطف شبيه بالترديد فى اعادة اللفظة بعينها فى البيت والفرق بينهما ان التعطف شرطه أن تكون احدى كلمتيه فى مصراع والاخرى فى مصراع آخر قلت وهذا النوع أيضا من الانواع التى تقدمت وقررت ان ليس تحتها كبير أمر وان رتبة البديع أعلى من هذه الانواع السافلة ولكن تقدم قولى ان القوم كلما طلبوا الكثرة تغالوا فى الرخيص والشروع فى المعارضة ملزم وقد استشهدوا على هذا النوع أعنى التعطف بقول أبى الطيب المتنبى

فساق الى العرف غير مكدر * وسقت اليه المدح غير مذمم

وبيت الشيخ صفى الدين على هذا النوع الرخيص قوله

وصحبه من لهم فخر اذا افتخروا * ما ان يقصر عن غايات فضلهم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

تعطفوا برضا أحبابهم وعلى * أعدائهم عطفوا بالصارم الخذم

وبيت بديعيتى أنا مستمر فيه على وصف الصحابة رضى الله عنهم بقولى

تعطف الخير كم أبدو المذنبهم * والخير مازال فى أبواب صفحهم

وقلت بعده مشيرا اليهم

(ذكر الاستتباع)

يحمون مستتبعين العفو ان ظفروا * ويحفظون وفاهم حفظ دينهم

الاستتباع هو استفعال من تتبع الرجل اذا اقتفى أثره وفى الاصطلاح هو أن يذكر الناظم أو الناثر معنى مدح أو ذم أو غرض من أغراض الشعر فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضى زيادة فى وصف ذلك الفن كقول أبى الطيب المتنبى

نهبت من الاعمار مالو حويته * لهنئت الدنيا بانك خالد

فانه مدحه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لاصلاح الدنيا حيث جعلها مهنأة بخلوده ومثله قوله

الى كم ترد الرسل فيما أتوا به * كانهم فيما وهبت ملام

قدحه بالشجاعة ايماء وألغز فى رد الرسل عما أتوا به وصدهم عن مطلوبهم والتهاون برسلهم واستتبع فى آخر البيت مدحه بالكرم لعصيان الملام فى الهبات ويعجبنى هنا قول أبى بكر

(ذكر التعطف)
(ذكر الاستتباع)

نهارا وهذا يضىء ليلا فوقع الفرق فى الشئ الذى وقع به الجمع واستشهدوا على هذا النوع بقول الفخر عيسى

تشابه دمعانا غداة فراقنا
مشابهة فى قصة دون قصة

فوجنتها تكسو المدامع حمرة
ودمعى يكسو حمرة اللون وجنتى

هذا الناظم جمع بين الدمعين فى تشبيه ثم فرق بينهما بان دمعها أبيض فاذا جرى على خدها صار أحمر بسبب حمرة خدها ودمعه أحمر لانه يبكى دما وخده من النحول أصفر فاذا جرى عليه الدمع صيره أحمر ومنه قول البحترى

ولما التقينا والنقا موعد لنا
تعجب رائى الدر مناولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها
ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

الخوارزمي سمح البديهة ليس يمسك لفظه * فكأنما ألفاظه من ماله
فانه مدحه بذلاقة اللسان على وجه استتبع الكرم وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع قوله الباذلو النفس بذل الزاد يوم قرى * والصائنو العرض صون الجار والحرم
وبيت العميان
تجري دماء الاعادي من سيوفهم * مثل المواهب تجري من كفوفهم
وبيت الشيخ عز الدين
يستتبعون ببذل العلم بذل ندى * ويحفظون المعالي حفظ عرضهم
وبيت بديعيتي
يحمون مستتبعين العفو ان ظفروا * ويحفظون وفاهم حفظ دينهم

(ذكر الطاعة والعصيان)

(طاعاتهم تقهر العصيان قدرهم * له العلو فجانسه بمدحهم)

هذا النوع أعني الطاعة والعصيان استنبطه أبو العلاء المعري في شرحه الذي سماه معجز أحمد عند نظره في شعر أبي الطيب وهو قوله
يرديد اعن نومها وهو قادر * ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد
وسماه الطاعة والعصيان وقال انما أراد أبو الطيب ان يقول يرديد اعن نومها وهو مستيقظ بحيث تطيعه المطابقة في قافية البيت بقوله راقد فلم يطعه الوزن في ذلك ولما عصاه الوزن عدل الى لفظة قادر وجعلها مكان مستيقظ لما فيها من معنى اليقظة وزيادة فأطاعه التجنيس المقلوب بين قادر وراقد وعصته المطابقة بين راقد ومستيقظ فلم يخل بيته عن معنى بديعي وقيل ان هذا النوع لم يسمع له مثال قبل أبي العلاء ولا بعده في سائر كتب البديع لقلة وقوعه وتعذر اتفاقه وانما وقع للمتنبي نادرا قلت أنا تابع في هذا النوع مذهب علامة هذا العلم وهو الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع تغمده الله برحمته ورضوانه فانه كشف عن وجه الاشكال وأرشد من كان متعلقا بحبال المحال فان القوم أضربوا عن هذا النوع وهو ظاهر لان الشيخ زكي الدين قال اضرابهم عن النظر فيه اما لحسن ظنهم بالمعري وموضعه من الادب واعتقادهم فيه العصمة من الخطا والسهو واما أن يكون مر عليهم ما مر عليه في هذا البيت اذ ليس في البيت شئ أطاع الشاعر ولا شئ عصاه ودليل ذلك قول المعري ان المتنبي أراد مستيقظا ليحصل بينها وبين لفظة راقد طباقا فعصته لفظة مستيقظ لامتناعها من الدخول في هذا الوزن وهذا محال لان المتنبي لو أراد أن يقول يرديد اعن نومها وهو ساهر لحصل له غرضه من الطباق ولم يعصه الوزن وانما المتنبي قصد أن يكون في بيته طباق وجناس فعدل عن لفظة ساهر الى قادر لان القادر ساهر وزيادة وحصل بين راقد وقادر الطباق المعنوي وجناس العكس لان الطباق أنواع منه المعنوي كما ان الجناس أنواع منه العكس ومذهب المتنبي ترجيح المعاني على الالفاظ ولاسيما وبالعدول عن الطباق اللفظي حصل في البيت الطباق والجناس معا وما كان فيه الطباق والجناس معا أفضل مما ليس فيه سوى الطباق ولو عدل المتنبي الى ماذكره المعري لفاته هذا الفضل والله أعلم وقد ثبت من هذا البحث ان بيت المتنبي لا يصلح أن يكون شاهدا على هذا الباب لانه لم يعصه فيه شئ ولم يطعه غيره وكذلك بيت الشيخ صفي الدين في بديعيته وهو قوله
لهم تهلل وجه بالحياء كما * مقصوره مستهل من أكفهم
فانه ذكر في شرحه أنه أراد الجناس بين الحياء والحيا ولما عصاه الوزن وتعذر التجنيس عدل الى لفظة مقصوره وهو ردف لفظة الحيا فأطاعه الجناس المعنوي باشارة ردفه اليه اه قلت والذي

انتهى تقرير العلامة ومن الشواهد أيضا قول الشاعر
قد اسود كالمسك صدغا
وقد طاب كالمسك خلقا
وقول الآخر
فوجهك كالنار في ضوئها
وقلبي كالنار في حرها
وفي هذه النبذة ما يدل على المقصود وينبه على هذا النوع في بيتي المتقدم والله أعلم

(ذكر الطاعة والعصيان)

(التشبيه)

(لو كان ثم مثيل قلت طلعته
كالبدر حاش تعالى كامل العظم)
التشبيه معلوم على سبيل الاجمال واما على سبيل التفصيل فتعذر لانه يحتاج الى بسط الكلام وذلك يخرج عن المقصود الذي هو الاختصار واما على الانموذج الذي سلكته في هذا البيت فهو مما ينبغي في مثل هذا المقام وما

قرره الشيخ صفى الدين أيضا محال ولو قال

لهم تهلل وجه بالحياء كما * لنا الحيا مستهل من أكفهم

لحصل له ما أراد من الجناس وخلص من ثقل مقصوره وحصل لبيته طلاوة فى الاذواق وخلا من العقادة وتحقق المتأمل ان عصيان الوزن هنا محال وكذلك بيت الشيخ عز الدين وهو

أطاعه وعصاه المؤمنون ومن * ناواه ذا الفرق بين الانس والنعم

فانه ذكر فى شرحه انه أراد الطباق بين المؤمنين والكافرين فعصاه الوزن وتعذرت المطابقة فأتى بلفظة ناوى فأطاعته المطابقة وعصاه الوزن قلت والذى قرره الشيخ عز الدين أيضا ههنا محال ولو قال

أطاعه وعصاه المؤمنون وجم * ـع الكافرين ولم يحفل بجمعهم

لحصل له ما أراد من المطابقة بين المؤمنين والكافرين وخلص من ثقل ناوى وتجشم الانس والنعم التى زلزلت أركان بيته وأما قوله أطاعه وعصاه فهذه المطابقة تحصيل الحاصل لانهما تسمية النوع الذى هو المراد هنا وحل القصد ان عصيان الوزن فى بيت أبى الطيب وبيت الشيخ صفى الدين وبيت الشيخ عز الدين محال وبيت بديعيتى أقول فيه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

طاعاتهم تقهر العصيان قدرهم * له العلو فجانسه بمدحهم

هذا البيت أردت أن أجانس فيه بين العلو والغلو فلم يطع فيهما الوزن فلما عصى ذلك عدلت الى لفظة جانسه فحصل الجناس المعنوى باشارة ردفه اليه فهذا البيت مشتمل على الطاعة والعصيان حقيقة فان الناظم أراد فيه جناس التصحيف فعصاه الوزن وأطاعه الجناس المعنوى والعميان ما نظموه فى بديعيتهم والله أعلم

﴿ذكر المدح فى معرض الذم﴾

(فى معرض الذم ان رمت المديح فقل * لا عيب فيهم سوى اكرام وفدهم)

هذا النوع أعنى المدح فى معرض الذم من أنواع ابن المعتز وهو أن ينفى صفة ذم ثم يستثنى صفة مدح كقولك لا عيب فى زيد سوى أنه يكرم الضيف وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما ومن الشواهد الشعرية قول النابغة الذبيانى

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ومنه قول الشاعر

ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم * تعاب بنسيان الاحبة والوطن

ومنه أيضا قول الشاعر

ولا عيب فى هذا الرشا غير أنه * له معطف لدن وخد منعم

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم * يسلو عن الاهل والاوطان والحشم

وبيت العميان فى بديعيتهم

لا عيب فيهم سوى أن لا ترى لهم * ضيفا يجوع ولا جارا يهتضم

قلت بين قول الشيخ صفى الدين عن الضيف انه يسلو عن الاهل والاوطان والحشم وبين قول العميان عن الضيف انه لا يجوع بون بعيد وبيت الشيخ عز الدين

فى معرض الذم ان رمت المديح فهم * لا عيب فيهم سوى الاعدام للنعم

وبيت بديعيتى

(ذكر المدح فى معرض الذم)

أعد لذلك بل كلما منحته من الله تعالى امداد من الممدوح صلى الله عليه وسلم

﴿التفريق﴾

(قالوا هو الغيث قلت الغيث آونة يهمى وغيث نداه لا يزال همى)

قال العلامة تاج الدين عبد الباقى القرشى اليمانى رحمه الله التفريق هو ان يعمد الى شيئين من نوع فيقع بينهما تباين فى مدح أو غيره اما فى المدح فكقول الشاعر

ما نوال الغمام يوم ربيع * كنوال الامير يوم سخاء
فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

وقول الآخر

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شيئين

فى معرض الذم ان رمت المديح فقل * لاعيب فيهم سوى اكرام وفدهم

﴿ذكر البسط﴾

(هم معشر بسطوا جودا سقاه حيا * فأخضر العيش فى أكناف أرضهم)

هذا النوع أعنى البسط من مستخرجات ابن أبى الاصبع والبسط بخلاف الايجاز لكونه عبارة عن بسط الكلام لكن شروطه زيادة الفائدة كقول النبى صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة فقيل لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولنبيه ولائمة المسلمين وعامتهم فبسط هذه اللفظة الجامعة ليفرد الائمة بالذكر من جملة المسلمين ولم يكن الاقتصار على الائمة لاجل نقص المعنى اذ تمامه لايكون الا بذكر عامة المسلمين فأتى بذلك البسط ليفيد تميم المعنى بعد تخصيص من يجب تخصيصه بالذكر ومن الامثلة الشعرية المستحسنة على البسط قول البحترى فى الخيرى وهو المنثور الاصفر

قد نفض العاشقون ماصنع الـهجر بألوانهم على ورقه

فان حاصل هذا الكلام الاخبار بصفرة الخيرى فبسط اللفظ الذى لو اقتصر عليه لما حصل به المراد لما فى البسط من حسن ادماج الغزل فى الوصف بغير لفظ التشبيه ولاقرينة اذ مفهوم اللفظ ان صفرة المنثور تشبه ألوان المهجورين وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

سهل الخلائق سمح الكف باسطها * منزه قوله عن لاوان ولم

والعميان مانظموه فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

ذو بسط كف وخلق زانه خلق * أثنى عليه اله العرش بالعظم

وبيت بديعيتى أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

هم معشر بسطوا جودا سقاه حيا * فاخضر العيش فى أكناف أرضهم

﴿ذكر الاتساع﴾

(نور القبائل ذو النورين ثالثهم * وللمعالى اتساع فى عليهم)

هذا النوع أعنى الاتساع يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظم فيه وبحسب ماتحتمل ألفاظه من المعانى كقول امرئ القيس

اذا قامتا تضوع المسك منهما * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فان هذا البيت اتسع النقد فى تأويله فمن قائل تضوع المسك منهما بنسيم الصبا ومن قائل تضوع المسك منهما تضوع نسيم الصبا ومن قائل تضوع المسك منهما بفتح الميم يعنى الجلد بنسيم الصبا وهو أضعف الوجوه والوجه الثانى مذهب ابن أبى الاصبع وهو أنور الوجوه ومن ذلك فواتح السور التى أقسم الله بها فانهم اتسعوا فى تأويلها ولم يترجح من ذلك الا أنها أسماء للسور وبيت الحلى فى بديعيته قوله

بيض المفارق لاعار يدنسهم * شم الانوف طوال الباع والامم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

بان اتساع المعالى فى الصحابة كالـفاروق ثم شهيد الدار ذى الحرم

وبيت بديعيتى أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

نور القبائل ذو النورين ثالثهم * وللمعالى اتساع فى عليهم

﴿ذكر جمع المؤتلف والمختلف﴾

﴿جمعت مؤتلفا فيهم ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم﴾

هذا النوع أعنى جمع المؤتلف والمختلف ذكر المؤلفون فيه أقوالا كثيرة غير سديدة ومثلوه بامثلة غير مطابقة ولم يحرروه ويطابقوه بالامثلة الصحيحة اللائقة غير الشيخ زكى الدين بن أبى

الاصبع

(ذكر البسط)
(ذكر الاتساع)
(ذكر جمع المؤتلف والمختلف)

أنت اذا جدت ضاحك أبدا
وهو اذا جاد هامل العين
وأما فى غير المدح فكقول الآخر
حسبت جماله بدرا منيرا
وأين البدر من ذاك الجمال
وفى هذه اللمعة مايدل على المقصود وينبه على صحة النوع فى بيتى المتقدم والله أعلم

(صحة الاقسام)

(يعطى العفاة أمانيهم فلست ترى
فى جيه غير ممنوح ومغتنم
قدم ذكر حده وشاهده فى التقسيم وهو بعينه وقد فتح الله على بالمقصود فى هذا البيت بصحة هذا النوع فان الممدوح هو الذى امتلأ من العطاء فلم يبق له حاجة والمغتنم

الاصبع والذى تحرر عندهان هذا النوع عبارة عن ان يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين فيأتى بمعان مؤتلفة فى مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر فيأتى لاجل الترجيح بمعان تخالف معنى التسوية كقوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فحصلت المساواة فى الحكم والعلم فساوى بينهما فى أهلية الحكم ثم رجح سليمان فقال ففهمناها سليمان ثم راعى حق الوالد فقال وكلا آتينا حكما وعلما فحصلت المساواة فى الحكم والعلم وكقول الخنساء فى أخيها وقد أرادت مساواته بابيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة مدح لا ينقص به حق الولد

جارى أباه فاقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الفخر
وهما وقد برزا كانهما * صقران قد حطا على وكر
حتى اذا نزت القلوب وقد * لزت هناك العذر بالعذر
وعلا طباق الارض ايهما * قال المجيب هناك لا أدرى
برقت صفيحة وجه والده * ومضى على غلوائه يجرى
أولى فاولى أن يساويه * لولا جلال السن والكبر

و بيت الشيخ صفى الدين الحلى رحمه الله فى بديعته قوله

هم هم فى جميع الفضل ما عدموا * سوى الاخاء ونص الذكر والرحم

قلت الحلى اساء الادب فى نظم هذا البيت وكان يجب ان يؤدب على نظمه فانه بخس فيه حق صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب فى الثلاثة التى استثناها وقال ان الصحابة رضى الله عنهم عدموها وقوله هم هم فى جميع الفضل لا يفهم منه مدح لانه سلبهم الفضل فى الشطر الثانى من البيت ولهذا قال الشيخ عز الدين فى بديعته مشيرا الى هذا البيت

هم هم فى جميع الفضل ما عدموا * ما قاله الرافضى النذل فى الكلم

وعلى هذا الترتيب الفاسد فما اجتمع فى بيت الصفى غير المختلف لان المؤتلف عنه بمعزل والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم و بيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

جمع المؤتلف فيهم ومختلف * فى العلم والحلم مع تقديم ذى قدم

و بيت بديعيتى يجب ان لا يستشهد على هذا النوع بغيره فانى قلت فيه عن الصحابة رضى الله عنهم

جمعت مؤتلفا فيهم ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم

﴿ذكر التعريض﴾

*(تعريض مدح أبى بكر يقدمنى * فى سبق حلبهم مع موصليهم)*

هذا النوع أعنى التعريض نوع لطيف فى بابه وهو عبارة عن ان يكنى المتكلم بشئ عن آخر لا يصرح به ليأخذه السامع لنفسه و يعلم المقصود منه كقول القائل ما أقبح البخل فيعلم انك أردت أن تقول له أنت بخيل وكقول بعضهم للآخر لم تكن أمى زانية يعرض بان أمه زانية والتعريض نوع من الكناية ومن امثلته الشعرية قول الحجاج يعرض بمن تقدمه من الامراء

لست براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

والشواهد على هذا النوع كثيرة ولكن أردت أن أجعل العمدة فيه على بيتى المنتظم فى سلك بديعيتى فانه من الامثلة البديعة وليس فى هذا النوع له مثال ولكن نبدأ ببيت الشيخ صفى الدين رحمه الله لاجل الترتيب وهو

ومن أتى ساجدا لله ساعته * ولم يكن ساجدا فى العمر للصنم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم و بيت الشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله قوله

﴿ذكر التعريض﴾

هو الذى أعطى ولم يبلغ مبلغ من امتلا فهو يغتنم منائح الجود حتى يساويه ولا ثالث لهذين القسمين فى حضرة المعطى الاشرف الذى هو النبى صلى الله عليه وسلم فانه لا يكون فيها محروم ولا يائس واشتمل البيت على النوع بشرطه

(الاشتراك)

فى النور لاح علاه لا نظير له
نور القران قرانا من لدن حكم

قال العلامة ابن حجة رحمه الله الاشتراك هو ان يأتى الناظم فى بيته بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا أو فرعيا فيسبق ذهن السامع الى المعنى الذى لم يرده الناظم فيأتى فى آخر البيت بما يؤكد ان المقصود غير ما توهمه كقول الشاعر

وانت الذى حببت كل قصيرة
الى ولم تعلم بذاك القصائر

تطويل تعريض شانئهم بعظمهم * والرفض أقبح شئ موجب الاضم
وبيتي الذى اطنبت فى وصفه هو قولى بعد

جمعت مؤتلفا فيه ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم
تعريض مدح أبى بكر بقدمنى * فى سبق حلبهم مع موصليهم

(ذكر الترصيع)

*(نعم ترصع شعرى واعتلت هممى * وكم ترفع قدرى وانجلت غممى)*

هذا النوع أعنى الترصيع هو عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت أو فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها وهو مأخوذ من مقابلة ترصيع العقد ومن أمثلته الشريفة فى الكتاب العزيز قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم ومثله قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ومنه قول الحريرى فى المقامات يطبع الاسجاع بجواهر لفظه و يقرع الاسماع بزواجر وعظه وان كان مع الترصيع زيادة بديع كطباق أو مقابلة أو جناس كان ذلك زيادة حسنة ومن أمثلته الشعرية قول أبى فراس

وأفعالنا للراغبين كرامة * وأموالنا للطالبين نهاب

ومنه قول الشاعر

فيا يومها كم من مناف منافق * ويا ليلها كم من مواف موافق

والمبرز فى هذا النوع هو الذى يخلى نظم بيته من الحشو والحشو فيه عبارة عن تكرار الالفاظ التى ليست من الترصيع بحيث لا يأتى فى صدر بيته بلفظة الا ولها أخت تقابلها فى العجز حتى فى العروض والضرب كقول ابن النبيه

فحريق جمرة سيفه للمعتدى * ورحيق خمرة سيبه للمعتفى

فهذا البيت وقع الترصيع فى جميع ألفاظه فان المقابلة فيه حاصلة بين حريق ورحيق وبين جمرة وخمرة وبين سيفه وسيبه وبين المعتدى والمعتفى وأبو فراس بيته خال من ترصيع العروض والضرب والشاهد الثانى كرر فيه ناظمه حرف النداء فدخل عليه الحشو وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى الترصيع قوله

من حاسر بغرار العضب ملتحف * وسافر بغبار الحرب ملتثم

صفى الدين فانه فى هذا البيت ترصيع العروض والضرب وقد تسامحوا فيهما ولكن الغاية ما قررته فى نظم هذا النوع وأيضا فان الشيخ صفى الدين غير عاجز عن ذلك فانه أتى فى بيته بالحشو مع عدم ترصيع العروض والضرب وناهيك ان العميان تبصروا له ونظموه فى بديعيتهم وهو

فهجر ربعى لذاك الربع مغتنمى * ونثر جمعى لذاك الجمع معتصمى

هذا البيت استشهد به العميان على الترصيع الواقع فى جميع ألفاظ البيت ولكن ذاك فى مقابلة ذاك اعتذر عنهما الشيخ شهاب الدين أبو جعفر الشارح وقال ان معناهما مختلف فان الاشارة الاولى للربع والثانية للجمع وعلى كل تقدير فللنظر فيهما مجال وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله كم رصعوا كلما من درلفظهم * كم ابدعوا حكما فى سر علمهم

الشيخ عز الدين رصع حتى فى العروض والضرب ولكن كرر فى بيته لفظة كم ودخل عليه الحشو وهو من وفى والكمال لله وبيت بديعيتى أقول فيه بعد قولى فى بيت التعريض

نعم ترصع شعرى واعتلت هممى * وكم ترفع قدرى وانجلت غممى

التنبيه على محاسن هذا البيت كالتنبيه على محاسن بيت ابن النبيه فان ناظمه وفى حقوق هذا النوع فى نظمه وأما الجماعة المذكورون معه فما منهم الا من بخسه بعض حقه لما أدخله فى بيته

(ذكر الترصيع)

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد
قصار الخطا شر النساء البحاتر

فانه اثبت فى البيت ما ازال به وهم السامع بانه اراد القصار مطلقا انتهى والنوع واضح فى بيتى المتقدم والله أعلم

(التلميح)

*(حاز الجمال فما فى حسن متصف
بشطره بعض ما فى سيد الامم)*

قال العلامة ابن حجة رحمه الله تعالى هو ان يشير الناظم فى بيته الى قصة معلومة أو نكتة مشهورة أو بيت شعر حفظ لتواتره أو الى مثل سائر يجريه فى كلامه ومن الشواهد قول ابن المعتز

اترى الجيرة الذين تداعوا
عند سير الحبيب وقت الزوال
علموا اننى مقيم وقلبى
راحل فيهم امام الجمال

وقد تميز بيتي على بيت ابن النبيه أيضا في ترصيع نظمه بزيادة جوهرتين فاني قابلت فيه خمسة بخمسة وابن النبيه و بقية القوم قابلوا أربعة بأربعة والزيادة على ابن النبيه أيضا في تسمية النوع الذي هو الترصيع ولعمري انها تورية مارصع في العقود نظيرها وهذا البيت مشتمل على الترصيع والتورية والجناس اللاحق واللزوم والتمكين والترصيع والموازنة ومراعاة النظير والسهولة والانسجام والله أعلم

﴿ذكر السجع﴾

﴿سجعي ومنتظمي قد أظهرا حكمي * وصرت كالعلم في العرب والعجم﴾

السجع مأخوذ من سجع الحمام واختلف فيه هل يقال في فواصل القرآن اسجاع أولا فنهم من منعه ومنهم من أجازه والذي منع تمسك بقوله تعالى كتاب فصلت آياته فقال قد سماه فواصل وليس لنا أن نتجاوز ذلك والسجع ينقسم أربعة أقسام المطرف والموازي والمشطر والمرصع القسم الاول المطرف وعلى منواله نسج نظام البديعيات وهو ان يأتي المتكلم في أجزاء كلامه أو في بعضها باسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة في عدد معين بشرط أن يكون روي الاسجاع روي القافية كقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا وكقولهم جنابه محط الرحال ومخيم الآمال ومن الامثلة الشعرية قول أبي تمام

تجلى به رشدي وأثرت به يدي * وفاض به ثمدي وأورى به زندي

الثاني الموازي وهو ان تتفق اللفظة الاخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي كقوله تعالى سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا ومنه قول الحريري في المقامات الجاني حكم دهر قاسط الى ان انتجع أرض واسط وقوله وأودى بي الناطق والصامت ورثى لي الحاسد والشامت ومن أمثلته الشعرية قول أبي الطيب المتنبي

فنحن في جذل والروم في وجل * والبر في شغل والبحر في خجل

القسم الثالث المشطر وهو ان يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتي النصف الاخير وهذا القسم مختص بالنظم كقول أبي تمام

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب في الله مرتعب

الرابع المرصع وقد تقدم الكلام عليه قلت واذ كنت منشئ ديوان الانشاء الشريف انشأت جميع ما يحتاجون اليه من الفوائد التي أخذتها عن علماء هذا الفن فان قصر الفقرات يدل على قوة المنشئ وأقل ما يكون من كلمتين كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر وأمثال ذلك كثيرة في القرآن العزيز لكن الزائد على ذلك هو الاكثر وكان بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله كميت نهد كأن راكبه في مهد يلطم الارض بزبر وينزل من السماء بخبر لكن قالوا التذاذ السامع بما زاد على ذلك أكثر لتشوقه الى ما ورد منه متزايدا على سمعه وأما الفقر المختلفة فالاحسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى بقدر غير كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة وان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوي القرينتين الاوليين وان زادت الثانية على الاولى يسيرا والثالثة على الثانية فلا بأس ولا يكون أكثر من المثل ولا بد من الزيادة في آخر القرائن مثاله في القرينتين وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فالثانية أطول من الاولى ومثاله في الثالثة قوله تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ومن قواعد الانشاء أن تكون كل فاصلة

(ذكر السجع)

مثل صاع العزيز في ارحل القوم ولا يعلمون ما في الرحال

هذا التلميح اشارة الى قصة سيدنا يوسف النبي صلى الله عليه وسلم حين جعل الصاع في رحل أخيه واخوته لم يشعروا بذلك والتلميح في بيتي المتقدم مشيرا الى معنى الاثر المشهور من أن النبي صلى الله عليه وسلم أوتي الحسن كله وأوتي يوسف صلاة الله عليه شطره والله أعلم ومعدود من السهولة والانسجام وغير ذلك من أنواع مرت أبياتها والكلام عليها قبل

وكل معنى بديع دون رتبة من سما على الخلق عند الحق في القدم

﴿المذهب الكلامي﴾

(هو الحبيب من الرحمن رحمته للعالمين بايجاد من العدم)

مخالفة لنظيرتها فى المعنى لان اللفظ اذا كان من القرينة بمعنى نظيره من الاخرى كان معيبا كقول الصاحب بن عباد يصف منهزمين طاروا واقين بظهورهم صدورهم وباصلابهم نحورهم فالظهور بمعنى الاصلاب والصدور بمعنى النحور ومنه قول الصابى يسافر رأيه وهو لا يبرح ويسير وهو ثاو لا ينزح ويبرح وينزح بمعنى واحد ويسافر ويسير كذلك ومن فوائد الانشاء التى يطول بها باع المنشئ ان السجع مبنى على الوقف وكلمات الاسجاع موضوعة على ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لان الغرض ان يجانس المنشئ بين القرائن ويزاوج ولا يتم له ذلك الا بالوقف اذ لو ظهر الاعراب لفات ذلك الغرض وضاق ذلك المجال على قاصده ألا ترى انهم لو بينوا الاعراب مثل قولك ما أبعد مافات وما أقرب ماهو آت للزم ان تكون التاء الاولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض الاتفاق ومن ذلك ان السجع مبنى على التغيير فيجوز ان تغير لفظة الفاصلة لتوافق أختها فيجوز فيها حالة الازدواج مالا يجوز فيها حالة الانفراد فمن ذلك الامالة فقد يكون فى الفواصل ماهو من ذوات الياء وماهو من ذوات الواو فتمال التى هى من ذوات الواو وتكتب بالياء حملا على ماهو من ذوات الياء لاجل الموافقة نحو قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى أميلت والضحى وكتبت بالياء حملا على ماهى من ذوات الياء لاجل الموافقة وكذلك والشمس وضحاها أميلت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملا على ماهى من ذوات الياء ومن ذلك حذف المفعول نحو قوله تعالى ماودعك ربك وماقلى الاصل وماقلاك حذفت الكاف لتوافق الفواصل ومن ذلك صرف مالا ينصرف كقوله تعالى قوارير اقوارير اصرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل السورة الكريمة ولو تتبع المتأمل ذلك فى الكتاب العزيز لوجده كثيرا ومما جاء من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اعيذه من الهامة والسامه ومن كل عين لامه والاصل عين ملمة لانه من ألم ولكنه لاجل الموافقة قيل لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ارجعن مأزورات غير مأجورات الاصل موزورات بالواو لانه من الوزر ولكن ليوافق مأجورات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم دعوا الحبشة ماودعوكم واتركوا الترك ماتركوكم الاصل ماوادعوكم ولكن حذف الالف ليحصل الاتفاق مع تركوكم وسمعت ان بعض علماء الانشاء صنع مؤلفا فى أحكام الفواصل ومن ذلك ان المراد من علم الانشاء البلاغة فى المقاصد والبلاغة هى ان يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال واطالة من غير املال والفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ فيقال لفظ فصيح ومعنى بليغ والفصاحة خاصة تقع فى المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة وأنت تريد المفرد فانه يقال للقصيدة كلمة كما قالوا كلمة لبيد ففصاحة المفرد خلوصه من تنافر الحروف والفصاحة أعم من البلاغة لان الفصاحة تكون صفة للكلمة والكلام يقال كلمة فصيحة وكلام فصيح والبلاغة لا يوصف بها الا الكلام فيقال كلام بليغ ولا يقال كلمة بليغة واشتركا فى وصف المتكلم بهما فيقال متكلم فصيح بليغ * فمن الانشاء الفصيح البليغ قول ابن عباد وقد قيل له ما أحسن السجع فقال ماخف على السمع فقيل مثل ماذا فقال مثل هذا ومنه ما كتب به عبد الحميد عند ظهور الخراسانية بشعار السواد فانبنوا بشما تنجلى به هذه الغمره وتمحو هذه السكره فينصب السيل وتمحى آية الليل ومنه قول أبى نصر العتبى دب الفشل فى تضاعيف أحشائهم وسرى الوشل فى تفاريق أعضائهم فجيوب الاقطار عنهم مزروره وذيول الخذلان عليهم مجروره ومنه قول الصابى نزغ به شيطانه وامتدت فى الغى أشطانه ومنه قول بديع الزمان كتابى الى البحر وان لم أره فقد سمعت خبره والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره ومنه قول القاضى الفاضل رحمه الله ووافينا قلعة نجم وهى نجم فى سحاب وعقاب فى عقاب وهامة لها الغمامة عمامه وأنملة اذا

قال العلامة تاج الدين عبد الباقى القرشى اليمانى رحمه الله المذهب الكلامى هو ان يورد مع الحكم ردا لمنكر حجة صحيحة انتهى والنوع واضح فى البيت وضوح الشمس فلا يحتاج الى دليل

﴿الالتزام﴾

(غوث الورى كعبة الآمال ملتزمى
فى حبه بالتفاتى صارمن لزمى)

قال العلامة تاج الدين عبد الباقى القرشى اليمانى رحمه الله الالتزام هو ان يلتزم فى السجع أو التقفية قبل حروف الروى مالا يلزم من مجىء حرف بعينه أو حرفين فصاعدا وهو أصعب توابع الفصاحة لاصحابه يلزم مالا يلزمه ولا يحمد منه الا ما عدم الكلفة انتهى ومن شواهده فى القرآن والطور وكتاب مسطور وقوله تعالى والليل

خضبتها أيدى الاصيل كان الهلال لها قلامه ويعجبنى فى هذا الباب من انشاء الشهاب محمود قوله فى وصف مقدم سريه لا زال فى مقاصده أخف من وطأة ضيف وفى مطالبه أخفى من زورة طيف وفى تنقله أسرع من سحابة صيف وأروع للعدا من سلة سيف ومثله فى الحسن قوله فى صدر مثال شريف سلطانى أصدرناها والسيوف قد أنفت من الغمود ونفرت من قربها والاسنة قد ظمئت الى موارد القلوب وتشوقت الى الارتواء من قلبها والسيوف قد أضرمت الحمية للدين نار غضبها وعداها حر الاشفاق على ثغور المسلمين فاعرضت عن برد الثغور وطيب شنبها والحماة مامنهم الامن استظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال مافيهم من يسأل عن عدد العدو بل عن مكانه قلت ماأوردت كثيرا من الانشاء ههنا الا لان يطيب للمتأمل تنقله من شطوط البحور الى التنزه فى رياض المنثور فمن ذلك ماأنشأته فى تقليده ولانا المقر الاشرف المرحومى القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الشافعى بصحابة دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة وهو قولى وقد أوصلناه الى رتبة استحقاقه من رتب المعالى ورقيناه الى درجات الكمال علما ان الكمال ماخرج عن بيته العالى فانه المنشئ الذى ماللصاحب دخول الى ديوانه ولا لابن عبد الظاهر بلاغته وقوة سلطانه ولا للشهاب محمود ان يباهى كماله فى طارفه وتليده ولا للقاضى الفاضل شرف البارزى وتمييزه ولو بالغ فى كثرة شهوده ماشرفى كام طرسه زهره الا وأرانا ذبول زهر المنثور ولا قرع أبواب المصطلح الا فتحت ودخل بيتها بغير دستور ولا تسنم منبر الا أجاد بالفاظ كان مزاجها من تسنيم وقالت البلغاء للفصاحة المحمدية ماثم الا الرضا والتسليم ومنه ماأنشأته فى تقليد ولده وهو مولانا المقر الاشرف الكمالى عظم الله شأنه بصحابة دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة وهو قولى فانه من البيت الذى وهبه الله شرف العلم ورحم منه كل ميت فقل لكل من مشايخ الاسلام ناشدتك الله هل تنكر هبة الله لهذا البيت وماخفى ان امامكم الاعظم أول من راعى حقوقه وبادر الى رفع مثاله وشرع فى رفع قواعده وتشييد كماله وألهم هذا الفرع الذى زكت أصوله وسقيناه ماء القرب فاثمر وقد أنبته الله نباتا حسنا والنبات الحموى حسنه لا ينكر غاب نيره الاكبر فابدر بعده وهذا البدر فى كماله ماأبهاه ولجأ الى الله ثم الينا فزاده الله كمالا وعلمنا ان الكمال لله وسلكناه فى حياة والده فكان لمشيختنا الشريفة نعم المريد وأخذ عنا الادب فجاد نظمه وهاهو فى البيوت البارزية بيت القصيد والكتابة دون كماله ومحاسنه تجل أن تقابل بمثال وان كان الكمال زها بحاشيته فحاشيتنا زهت بهذا الكمال وكان والده عقدا فرط فيه الزمان ولكن استدرك فارطه وقد نظمناه فى عقد سلكنا الشريف الى أن صار به نعم الواسطه وامتدت ألسن الاقلام الى ثغور المحابر فقبلتها وانشرحت صدور الاوراق وعلق فيها عنابر سطور فحملتها وقالت لحمر أقلامه أهلا بالعربيات التى ليس لها الا الايدى الجهينية غرر ومرحبا بعد النوبة بقهوة الانشاء فان شباب الزمان قد عاد وزهر المنثور قد زهر وجاء الامام الذى ان كتب تقليدا قالت البلغاء هذا الامام الذى يجب تقليده وهذا هو الخليفة على السر الشريف وأمينه ومأمونه ورشيده ان تحمس فى انشائه قال الجبان لاأقعد الجبن عن الهيجا أو استطرد الى وصف روض ممرج زاده رجا ومرجا أو ترسل غراميا فحديقة زهير عند زهر منثوره أو كتب عنا تهديدا سال جامد الصخر ولو سمعت الجوزاء حديثه لسقطت مع الحصى عند خريره فانه المنشئ الذى مااعتقل رمح قلمه بيمينه وهزه هزه الا قال كل منشئ دخلت أصبع قلمى من دواتى تحت رزه ولا حرك من دوح أقلامه فرعا الا تساقط بين الاوراق ثمرات شهيه فلو أدركها الصاحب لقدمها وأخر الفواكه البدريه ولو ناسبه الفتح لقابله المؤمنون بالقتال وكان والده قد اعترف بكماله وهذا التقليد لثبوت ذلك الاعتراف اسجال فانه الامين الذى ان تصرف فى مزررتنا الشريفة فقد ثبت أن توثيق

وماوسق والقمر اذا اتسق وقوله أيضا فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ومن شواهده فى الآثار قوله صلى الله عليه وسلم اللهم بك أحاول وبك أصاول وقوله أيضا عليه الصلاة والسلام زرغبا تزدد حبا ومن شواهده الشعرية قول طرفة

ألم تر أن المال يكسب أهله
فضوحا اذا لم يعط منه نوابه
أرى كل مال لامحالة ذاهبا
وأفضله ماورث الحمد كاسبه

وفى هذه النبذة توضيح صحة النوع فى بيتى المتقدم والله أعلم

(التوجيه)

(جرت حجى له من كل مفسدة
ولم تزل بالصفا تسعى له قدمى)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله هو أن يحتمل الكلام

العرالبيته العالى أو أملى فى ديواننا الشريف كانت أماليه أمالى المحب لا أمالى القالى ولولا خشية
الاطالة لأوردت هذا التقليد الشريف بكماله لانه فى صناعة الانشاء لنسيج وحده * ومنه
ماأنشأته عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه من غيث الرحمة جوابا عن مكاتبة الملك
الناصر صاحب اليمن وهو لازال جناس مجده سعيد الحركة بين اليمن واليمن وسيفه اليمانى لم يرض
بمجانسة سيف بن ذى يزن والامة باجدها تهنأ بجنات عدن فى عدن ولا برحت صنائعه بصنعاء
محبرة حتى فى سطور الطروس وأقلام الثناء سود اللمم بمدحه ولو تركت لاعتراها شيب الرؤس
وتحياته المكرمة مخصوصة منا بشرف التسليم وبدور مودته سافرة فى ليالى سطورها بين يدى
التكميل والتتميم أصدرناها وشاهد المودة قد وضع رسم شهادته وكتب وأثبت مقدمات الاخلاص
فحكم له قاضى المحبة بالموجب وأودعناها من السلام ماتممه رحمة الله وبركاته ومن طيب الثناء
ما يتأرج بين أدراج ذلك المندل الرطب نفحاته ومن خالص المودة ما يضم به بعد حسن الخلاص من
طيب اعرافه حسن الختام ومن سجعات الاشواق كل مصونة ليس لها غير سواد النقس لثام
وتبدى لعلمه ورود المثال العالى بطيب تلك المعادن التى ود النسيم أن يقيدها ويحتبس واقدر افقها
الاكتساب اللطيف ولكن سرق من طيب عرفها وتكلم بنفس فأكرم به مثالا أرانا خفر الملك
على كل قرينة لها من حجب البلاغة ستور وخدامها من سود سطورها وبيض طروسها عنبر
وكافور وردت صحف الصفاء صقيلة فتمثل فيها وأظهر من أوراقه ثمرات المودة ونحن بيد القبول
نجتنيها وقدم من ذلك الحرم الاحمدى فكان أكرم وافد قوبل منا بالاكرام وفتح أبواب الدخول
الى السلام فسلمنا وقلنا لخواصنا ادخلوها بسلام ولقد ثملنا بكاس انشائه وهو بحضرتنا الشريفة
دائر وعلمنا ان هذا الانشاء لا يصدر الا من فاضل والفاضل لا ينسب الا الى الناصر وتغزلنا فى
محاسنه بحيرة اليمن بعد تغزلنا بجيرة العلم وراعنا تحمس بلاغته فقلنا هذا لا يصدر الا من رب
سيف وقلم وود كل دوح أن يملأ طروس أوراقه بريحان سطوره وتطفل كل روض أريض عند
وروده على زهر منثوره وقالت فصاحته وتلك البلاغة التى جاءت بسحر البيان هل بقى لنا
بصدق المحبة فقال لهما القلب قضى الامر الذى فيه تستفتيان فهذا نفس طيب عرفنا معدن
طيبه فلم نقل من أين وهذه سلافة انشاء دارت سلطانياتها فانشأت أهل الخافقين وهذا سحر
صدقت عزائمه فى العطف والقبول بين الملكين وابطل هذا السحر الحلال ما حرم ببابل من سحر
الملكين واشتمل على نظم ونثر رأينا شعار السلطنة عليهما اعيانا كأن البلاغة قالت لهما قديما
سنجعل لكما سلطانا فياله من مثال تدرع زرد مبانيه فقلنا لا طعن فيك لطاعن وتشرع طباق بديعه
فكانت على أكتاف النيل من أثره مساكن وأطرب بانفاس علمنا أنها من يراع ما برح بالسعادة
موصولا وطاف فى حضرتنا الشريفة بكاس يمانية كان مزاجها زنجبيلا ولقد أكثر هذا المقال
فى كتابه المبين من ايناس الخطاب وقضت به الوحشة أجلها فقلنا لكل أجل كتاب وهذا الجواب
أيضا لولا خشية الاطالة لاستوعبته بكماله فان اليمن ما دخل اليها من الديار المصرية نظيره والله أعلم
* ومنه ما أنشأته عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه جوابا عن مكاتبة وردت من
صاحب تونس وهو المتوكل على الله أبو فارس عبد العزيز رحمه الله وهو لازالت سيوف عزائمه
فى الجهاد ماضية الضرب ولا برح جوده واقدامه متطابقين فى السلم والحرب نخصه بسلام هو لنا
والشوق برد وسلام وسقاية وداد ماء زمزم تسنيم قبولها الا تعالى ذلك المقام وتحيات تنطق بها عند
مواظبة الخمس ألسنة الاقلام وثناء يقلد بخالص عقود جيد الزمان وينسى قلائد العقيان
ومحبة يقمر صدقها فى ذلك الافق الغربى ويشمس وتزيل وحشة من سلا عن غيرها فى المغرب
وتونس (منها) واستطردت مفاوضتكم الى الوصية بحاج المغرب فبادرنا الى قبول ذلك فان هذا قد

وجهين من المعنى احتمالا
مطلقا من غير تقييد بمدح
أو غيره انتهى وهذا
لا تحصره الشواهد فانه
يأتى فى معان عديدة فما
أتى فيه من قواعد الفقه
لابن النهم

أحج الى الزهر لتحظى به
وارم جمارا لهم مستنفرا
من لم يطف بالزهر فى وقفة
من قبل أن يحلق قد قصرا

ومن التوجيه فى علم
الحديث للاندلسى صاحب
البديعية

قالت أعندك من أهل الهوى خبر
فقلت انى بذاك العلم معروف
تسلسل الدمع من عينى ومرسله
على مديحى لذاك موقوف

ومن التوجيه فى علم
العروض لنصر الدين بن
الفقيه المصرى

وبقلبى من الهموم مديد
وبسيط ووافر وطويل
لم أكن عالما بذاك الى ان
قطع القلب بالفراق الخليل

وفيما أوردته كفاية تامة فى
الدلالة على صحة النوع فى

يتبرك من النجب السائرة به بالمبارك وقد اعدناه مصحوبا بالسلامة وحداته تطرب بنغمتها الحجازيه وتهيم اشتياقا عند تشبيهها بذكر الطلعة المتوكليه واعدنا جواب ذلك على يد رسولكم الذى لم يقابل منا بغير القبول ليكون خالص ودنا متمسكا بالكتاب والرسول * ومنه ما كتبته جوابا عن مكاتبة وردت من الجناب العالى الناصرى محمد بن أبى يزيد بن عثمان وهو لا زالت تحياته مخصوصة منا بشرف التسليم وسيره العثمانى محفوظا فى بيعة المودة بالتقديم وشعراء الاخلاص فى كل بيت من معانى محبته تهيم وفروض الجهاد بسيوفه المسنونة فى كل وقت تقام وبلاده الاسلامية محروسة بالجناب المحمدى عليه السلام وهمزات عوامله بصدور الكفار موصوله وألسن سيوفه بثغور بلادهم من رشف أرياق دمائهم مبلولة ولا برح يجاهد فى سبيل الله برا ويتخذ فى البحر سبيله فانه من الذى علا بمحمد مقامه وانسجم بالخلف العثمانى نظامه واقتدى بمشيختنا المؤيدية والنجح فى هذا الاقتداء له شريك وساعدته توريه السعادة لما تمسك بقول من قال ولا بد من شيخ يريك ولم يبق بعد الاقتداء بهذه المشيخة الا الفتوحات المقبوله والمشاركة فى القبول على ما رضى الله ورسوله صدرت هذه المفاوضة الى الجناب المحمدى تتأرج بطيب السلام عليه وتنسم نسمات القبول من أخبارها الطيبة ما ننقله اليه وحملناها ثناء أطلقنا عنان كميت القلم وهو غرة فى جبهته وتوجهت رؤس الاقلام قبل ركوعها الى قبلته (ومن الانشاء الملوكى ما أطلق به فصيح القلم لسانه وخضر الشباب على عوارض نفسه ومحاسن سجعاته وقال الفاضل الناصر هذا الانشاء الذى ما خرس لسان قلمه ولا شابت لمة دواته) وتبدى لعلمه الكريم ورود ما أهداه من ثمرات المودة يانعا فى أوراقه مختالا فى شعار الاخلاص فعلمنا انه عنوان لعهده وميثاقه وقد تحقق من نبات الايناس ما غرس بأكاف النيل خلا نباته ودنت قطوف انسه وظهر فى فروع المحبة ثمراته فاقتطفنا زهر المنثور من رياضه عند الورود ونغزلنا فى رقم سطوره على بياض طروسه بين العوارض والخدود وطالعنا مجموع محاسنه الذى لم ينس فعلمنا انه للملوك تذكرة وتبصرنا فيما أدهش من حكمه فرأينا المدهش فى التبصرة وقلنا هذه لمعة لو أدركها السراج لقصر لسانه وقال سراج الملوك حرمته قويه أو القاضى السعيد لقال ما لسناء الملك بهجة عند هذه الانوار المحمدية (منها) وقد تيقظت عيون عزمنا الشريف للجهاد وعن قريب تهجر مقل السيوف أجفانها وتتجرد لقتال المشركين وقد تمكنى لها النصر بأبيه فأيد سلطانها واذا قدحت سيوف الدولتين فى عباب البحر على الكفار نارا تلا لسان النصر لا تذر على الارض من الكافرين ديارا (ومن انشاء الفاضل عن الناصر هنا ما يحسن أن يشنف به سمعه الكريم فانه عن أبى الفتوحات الذى مشى على هذا الصراط المستقيم) وهو اذا كان الله قد أعطانا البلاد وهى آلة المقيم الراتب وأعطاهم المراكب وهى آلة الظاعن الهارب فقد علمنا لمن عقبى الدار ومن ينقله الله تعالى انتقال قوم نوح من الماء الى النار فالجناب يوطن نفسه على حسن المآل فى الحالين ويعلم انه من المكرمين فى الدارين وقد تلمظت ألسن سيوفنا شوقا لحلاوة نصره وتحركت عيدان رماحنا طربا عند سماع ذكره ونفضت جوارح سهامنا ريش أجنحتها الاقتناص تلك الغربان وهامت فرساننا المؤيدية الى منازل الاحباب لتريه من أعدائه مقاتل الفرسان فانه المجاهد الذى حظ بنى الاصفر فى البحر الازرق من بيض سيوفه اسود وكم أذاقهم الموت الاحمر وكال التدبيج يقول أهلا بعيش أخضر يتجدد وتتولد نصرة اعنده برفع راية الفرح فى كل وقت عليه مبارك ويتأيد بعز نصرنا المؤيدى حتى يقول له لسان الحال أعز الله أنصارك فتقدمه العثمانى من جهة الاستحقاق قد ثبت عندنا وتقرر وهو اليوم امام المجاهدين الذى ما صلت سيوفه فى محراب القتال الا قال مرقى النصر الله أكبر والله يجريه على أجمل العوائد من هذا النصر ليصير الكافرون فى زلزلة من قارعة سيوفه بهذا العصر (ومنه) ما كتبته جوابا

بيتى المتقدم والله أعلم

﴿الترديد﴾

(بحر الوفاء دعانى بالوفاء الى نيل الوفاء ورواني من النعم) قال الشهاب محمود رحمه الله الترديد هو أن يعلق لفظة فى البيت بمعنى ثم يرددها فيه بعينها او يعلقها بمعنى آخر قال زهير

من يلق يوما على علاته هرما
يلق السماحة منه والندا خلقا

وقول الآخر

واحفظ مالى فى الحقوق وانه
لجم وان الدهر جم عجائبه

وكقول أبى نواس

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها
لو مسها حجر مسته سراء

وبايراد هذه النبذة يعلم صحة هذا النوع فى بيتى المتقدم والله أعلم

(التجزئة)

عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله عهده عن مثال كريم ورد من قرا يوسف صاحب العراقين وهو أعز الله أنصار المقر الكريم العالى الجمالى اليوسفى لا زالت زوراء العراق فى أيامه القويمة مستقيمة الجانبين وحلتها الفيحاء عالية المنار وشمل الدين بها مجتمعا فى الجامعين وعراق العرب والعجم بارزين من محاسنه اليوسفية فى حلتين قلامية العرب تقول

ولولا اجتناب الذم لم يلف مشرب * يعاش به الالدى ومأكل

ولامية العجم تقول

حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت * بشدة البأس منه رقة الغزل

فأكرم بهما الامين دارا على وجنات الطروس لكمال المحاسن اليوسفية وفتحت لها الميمات أفواه الشكر لانها من الاحرف المؤيدية أصدرناها الى المقر وسواجعها تغرد بالثنا بين أوراقها والسن الاقلام قد أودعت صدور طروسها سر أشواقنا عند انطلاقها فانها الصدور التى تعرب من نفثاتها عن ضمائر الاشواق واذا أطلقت من فض الختم خففت اجنحتها بذلك الثناء على الاطلاق ونبدى لكريم علمه ورود البشير بالقرب اليوسفى وقد حل بالاسماع قبل رؤيته تشنف وهبت نسمات قبوله فاطفأت ما فى القلوب من التلهف وضاع نشرها اليوسفى فقال شوقنا اليعقوبى انى لاجد ريح يوسف وتأملنا كريم مثاله فوجدناه قد مد اطناب المحبة وخيم على معانى المودة وحام عليه صادى الاشواق فوجده منهلا قد أعذب الله فى مناهل الصفاء ورده وأومض البرق فى الظلمات من رقم سطوره فما شككنا انه نظم برده فهو مثال يوسفى ولكن ظهر السر الداودى من فصل خطابه وصدقنا رسوله لما جاءنا بكريم كتابه والتفتت من كاس سطوره آرام الايناس فاقتنصنا منها ما هو عن العين شارد وانفت القلوب على الولاء فضربت الاعداء من جماد الجسد فى حديد بارد وامست الدجلة والنيل لامتزاجهما بسلاف المحبة كالماء الراكد وهذه الفة خولتنا فى نعم الله وزمام الاخوة منقادا الينا وقد تعين على المقران يقول أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا وسرتنا الاشارة الكريمة بالتمكين من أرض الاعداء ومطابقة الطول بالعرض وعلمنا ان هذا الاسم الكريم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وأما قراعثمان فقل سيوفنا ما غمضت عنه فى اجفانها وأنامل أسنتنا ما ذكرت نوبته الا شرعت فى جس عيدانها وجوارح سهامنا ما برحت تنفض ريش أجنحتها للطيران اليه وان كان معنى سافلا فلا بد لاجل الغرض اليوسفى ان نخيم عليه ونترل سلطان قهرنا بارضه ونغرس فيها عوامل المران وان كانت من الاسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان ولم يهمل الالاشتغال الدولتين بالدخول فى تطهير الارض من الخوارج وايقاع الضرب الداخل بعد جس العيدان فى كل خارج وقد آن سله لئلا يكون بين المحب والمحبوب رقيبا ولا بد أن يجانسه العكس ويرى ذلك قريبا ويدهمه من أبى النصر ابناء حرب شرف فى انساب الوقائع جدهم وردا الجموع الصحيحة الى التكسير فردهم واذا كثرت الحدود وتوردت بالدماء غردت بورق الحديد الاخضر مردهم واذا امتدوا الى أمد تلا لهم حصنهم سورة الفتح قبل القتال فانهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة الفتوح والاقبال واذا صرفوا الهمم المؤيدية لم تكن لهم حصونهم عند ذلك الصرف مانعة ولم يدع لسا كنها مجادلة اذا اصطدموا بالحديد وتلك الحصون الواقعة وان كانت المنايا غابت عنه مدة كلمته ألسنة سيوفهم وقالت حصرت واذا طرق بروجه منهم طارق رأى سماء تلك البروج قد انفطرت وما خفى عن كريم علمه ما جمعه الناصر من الجموع التى مزقها الله أيدى سبا وكم سائل سأل وقدرأهم فى النازعات عن ذلك النبا وقد أشار بعض شعراء دولتنا الشريفة الى ذلك بقصيد كامل بحره ما مديد ولكن القصد هنا من أبيات تلك القصيد

(بلغت ما أروم منهم فلم أرم عمن جلى غممى بالعزم والهمم)

قال ابن حجة هوان يأتى المتكلم ببيت ويجزئه اجزاء عروضية ويسجعها كلها ولا بأس بايراد بيت العلامة هنا لعلم صحة النوع فى بيتى المتقدم ويليه المشار اليه قال

وريت فى كلمى جزأت فى قسمى
أبديت فى حكمى جليت كل عمى

ما آل الامر الانسجام والسهولة وحسن البيان وغير ذلك من أنواع مرت أبياتها والكلام عليها

صحح عزيمة صدق فى محبته
ونل مرادك وابلغ كلما ترم

(الايضاح)

(وافرده بالمدح واستثنى بعد حلمن حازوا علا الفضل من فازوا بسبقهم)

قال العلامة الشهاب محمود

يا حامى الحرمين والاقصى ومن * لولاه لم يسمر بمكة سامر
* والله ان الله نحولك ناظر * هذا ومافى العالمين مناظر
فرج على اللعون نظم عسكرا * وأطاعه فى النظم بحر وافر
فانبت منه زحافه فى وقعة * يامن باحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة باسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر
وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة * فكان هاتيك السروج مقابر

وماخفى عن علمه الكريم أمر الذين نقضوا بيعتنا بعد الناصر فاشتروا الضلالة بالهدى ودعوا سيوفهم الصقيلة لما حاق بهم المكر السيئ فأجابهم الصدا ولم يكن لحرارة عزمنا الشريف عند عصيانهم البارد فتره حتى أظهرنا تلون الشام من دمائهم على تدبيج الدروع ألوان النصرة وأخذوا سريعا اشيبان حرب ماشابت عوارضهم الا بغبار الوقائع وحكم برشدهم ولم يخرجوا من تحت حجر المقامع وقد أسبغ الله ظلال الملك وخيم به على الدولتين ولم يظهر لمحراب بهجة الاسلام بين القبيلتين واوصلت السيوف لغيرهما ماقبلت أوصرفت العوامل للاعراب عن سواهما اماعملت وقد فهمنا كريم الالتفات الى ان تدار كؤس الانشاء بيننا ممزوجة بصافى المودة وعلمنا انها أحكام صحيحة فى شرع الاخوة وهذه الاحكام عندنا عمدة وتالله لقد سابق القصد اليوسفى بسهام مراده الى الغرض وقضى حاجة فى نفس يعقوب ليس عنها عوض ولم يبق الاتصال شمل الاوصال بكل رسالة سطور الاخوة فى رقاعها محققه وتصديق مايقصه فى الجواب فان القصة اليوسفية مابرحت مصدقه والله تعالى يمتع الاسماع والابصار بمشاهدة أمثلته وطيب أخباره ويفكهنا من بين أوراقها باشهى ثماره (ومما) انشأته بالديار المصرية وحصل اجماع الامة على انه من الافراد تقليد مولانا قاضى القضاة جلال الدين شيخ الاسلام البلقينى نور الله ضريحه بعد عزل الهروى ويوم قراءته بالجامع المؤيدى أرخه المؤرخون وذكروا أنه لم يتفق بملك مصر يوم نظيره وهو الحمد لله الذى أبان فضل العرب على العجم فى الكتاب والسنة وأظهر جلال سراجهم المنير فاوضح بحسن تدريبه طريق الجنة وأزال ظلم الجهل بنور هذا الجلال فله الحمد على هذه المنة ونكرر حمده على نصرة أصحاب الشافعى وعود جيرته الى منازلها العالية ونشكره على نيل الغرض بسهام ابن ادريس فمن جهل أحكام القضاء أمست عليه قاضية ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نستعين بحسن ادائها على القضاء والقدر ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى من قابل شريعته المطهرة بدنس الجهل فقد كفر صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أزالوا بفصاحتهم العربية كل عجمه وتميزوا على العجم بقوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا وهذا التمييز نصبه مرفوع على كل أمه صلاة نسن بها سيوف السنة على من تسربل بدروع ضلاله ونقيم حدودها على من بدل حديث النبى صلى الله عليه وسلم وجهل أسماء رجاله وسلم تسليما كثيرا أما بعد فالهناء بنصرة هذا الدين القيم بين هذه الامة مشترك وكيف لا وقد ظهر جلاله مقمرا وأنشدوا

يا ليل طل أو لا تطل * فليس نرعى قمرك

وقد حلا مكررا الحمد بنشر الاعلام المؤيدية على أئمتنا الاعلام وحلت أيضا مواقع التوريه بنصرة شيخ الاسلام فهو الليث الذى كان لظما العلماء الى امامهم نعم الغوث والغيث حتى تأيدوا بمؤيدهم وأعز الله انصارهم بالشافعى والليث جبناه عن غيوم العزل وقلنا وقد ساعد نار أينا الشريف فى اظهاره

اصالة الرأى صانتنى عن الخطل * وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

وولى غيره فانشد كل عالم أظلم ضوء نهاره

رحمه الله الايضاح هو أن يذكر المتكلم كلاما مبهما فى ظاهره لبس ثم يوضحه فى بقية كلامه انتهى ومن الشواهد قول الشاعر

يذكرنيك الخير والشر كله * وقيل الخنا والعلم والحلم والجهل
فالقاك عن مكروهها متنزها * وألقاك فى محبوبها ولك الفضل

لو اقتصر الناظم على البيت الاول لاشكل على السامع ولكنه أزال اللبس بذكره البيت الثانى والنوع واضح فى بيتى فانى لما قلت وأستتى بمدحك من حازوا علا الفضل لم يعلم من هم المقصودون بالمدح فلما قلت من فازوا بسبقهم زال اللبس واتضح انهم الصحابة رضى الله عنهم وعنا بهم بمنه وكرمه والله أعلم (الاستتباع)

﴿الباذلو النفس بذل المال من يدهم * والحافظو الجار حفظ العهد والذمم﴾

ما كنت أوثر ان يمتد بي زمني * حتى أرى دولة الانذال والسفل
واعتلت كتب العلم فقالت وعيون سطورها باكية
لعل المامة بالجذع ثانية * يدب منها نسيم البرء في عللى
وأنشد لسان حال شيخ الاسلام وقطوف قربه دانية
تقدمتني رجال كان شوطهم * وراء خطوى لو أمشي على مهل
وأشار الينا وقال وخواطرنا الشريفة باشارته راضية
لعله ان بدا فضلي ونقصهم * لعينه نام عنهم أو تنبه لى
فتنبهنا له وقلنا الضد وقد اهبطناه من تلك الرتبة العالية
فان جنحت اليه فاتخذ نفقا * فى الارض أو سلما فى الجو فاعتزل
وكيف يطلب من نار خامدة هدى أو يجعل السراب ماء * واذا دعونا الرى جاوبنا الصدى *
ويابى الله أن يطابق سحبان بباقل أو يجارى فارس العلم براجل
ومن يقل للمسك أين الشذى * كذبه فى الحال من شما
وتالله لقد زادنا بحجبه فى غيوم العزل علما بعلومة داره وكان عزلا أظلمت بسببه الدنيا الى أن من الله على المسلمين بابداره وقالت الامة ذلك ما كنا نبغي واستوفى كل عالم شروط المحبة واستوعب وعلمنا ان الحكم العدل حكم بتقديم هذا الامام بالموجب انلنا وظيفته غيره فزلزلت الارض زلزالها وقلنا يخف على قلبنا فاخرجت الارض أثقالها وأظهرنا جلال العرب فاطلقوا أعنة بلاغتهم فى ميادين الفصاحة وما أحقهم هنا بقول الفاضل وتناجدت أهل نجد فكل صاح باصباحه وعلمنا ان هذا فضل رفل به ابناء العرب فى حلل التقديم وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وامتلأ صحن جامع القلعة بحلاوة هذه البشرى وهلل مؤذنوه وذكروا طلعته الجلالية فكبروا وأنشدوا
لو ان مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لسعى اليك المنبر
وازهرت هذه البشرى فى ربيع ولكنه ربيع الابرار الذى نزه الله روحه وريحانه عن كل غمام وصان فيه المسلمين ممن يأكل أموال الناس بالباطل ويدلى بها الى الحكام ونشر الله اعلام كتب العلم وزاده الله بالسيف المؤيدى اسعافها وكانت ستور الجهل قد اسبلت على التفاسير فاظهر السر للآتي كشافها أما القراآت فهى فى قرى شيخ الاسلام وفضله فيها عاصم من الجهل ونافع وأما الحديث فهو مجلى مبهماته بنور جلاله الساطع وأما العربية فقد ظهر بعد وعر العجم تسهيلها وشرعت بيوت العرب لشواهدها وأكرم نزيلها وأما المعانى فقد أظهر الله بيانها وجليت بها عروس الافراح واهتدينا بنور جلالها ففتحت لنا أبوابها بغير مفتاح وأما المنطق فقدمات منطقه العذب أرتنا نتائجه يقينا وأما العقليات فما رأينا لمن ناظره فيها فى هذه المدة عقلا ولولا الحياء لقلنا ولا دينا وها هو قد نبه الفقه من سنة الغفلة بعد ما أمرض الجهل عيونه وأرمد * والحاوى أظهر ما حواه من العلم بعد ما كان هلك أسى وتجلد والروضة أزهرت فى حدائق هذه المسرة بين أوراقها فاينعت ومدت الشافعية أصول دوحتها فتفرعت وظهرت رفعة الرافعى فى افق كماله ونور الله ضريح الشافعى بنور سراجه وبهجة جلاله (ولما كان) الجناب الكريم الجلالى هو الذى ناظرناه بالغير فقال نور الشريعة وهو أشهر من نار على علم
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم
فعلمنا انه حجة للشافعى الذى منه الاستقصاء واليه منتهى السؤال وما أبدر فى أفق درس الأزال ظلم الشك بأنواره واسفر ابداره عن التتمة والاكمال وهو أبو العلماء الذى ولد من الام افراحهم

قال العلامة ابن حجة رحمه الله هو ان يذكر الناظم أو الناثر معنى مدح أو ذم أو غرض من أغراض الشعر فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضى زيادة فى وصف ذلك الفن كقول المتنبي
نهبت من الاعمار مالو ملكته
لهنئت الدنيا بانك خالد
فانه مدحه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا حيث جعلها مهناة بخلوده انتهى والنوع واضح فى بيتى المتقدم والله أعلم

(السلب والايجاب)

﴿لا يسلبون بفضل الله ما وهبوا
ويسلبوا ضر الاملاق والعدم﴾
هذا النوع من مستخرجات ابن أبى الاصبع وحده فقال هو ان يقصد المادح افراد ممدوح بصفة فينفيها فى أول الكلام عن جميع الناس ويثبتها لممدوحه بعد ذلك انتهى وهذا الحد عندى فيه نظر

وابو المهمات الذى شهر من العدة الكاملة فى ميدان الفرسان سلاحهم واليه انتهت الغاية فانه مابرح يأتينا فى وجيز تقريبه بالعجاب ويغنينا عن موضح القشيرى فانه يغذينا فى ابانته باللباب اقتضت آراؤنا الشريفة ان نعيده الى منازل شرفه بعد التحجب وها هو قد ظهر ويتسلسل فى أيامنا الشريفة عند الرواة حديث ابن عمر فلذلك رسم بالامر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى المؤيدى السيفى لازالت الشافعية فى أيامه الشريفة بجلالهم فى ترشيح بهجة وابتهاج وثبت الله القواعد وأقامها فى ملكه على التحرير ومشى الرعية فيها على أوضح منهاج ان تفوض الى الجناب المشار اليه وظيفة كذا وكذا وقد وقع التمويه فى الفروق بينه وبين الغير عند أهل التبصرة والهداية وهو نهاية المطلب وعيون المسائل وتاج رؤسها والمذهب الذى تهذيبه فى أدب القاضى كفاية وهو البحر الذى مادخلنا بسيطه المبسوط الاقالت التورية انه فى البسيط كامل ولا نظرنا الى حليته الجلالية الا غنينا عن المصباح بنوره الشامل وقد ميزناه على مناظريه لما أقر واله بالتعجيز وقرت عيون ابن البارزى نور الله ضريحه بهذا التمييز وألغينا ذكر علوم يجل قدره عن نسبتها اليه ولكن ثغور سيناتها تبسم عند ذكره وأفواه ميماتها تكثر الثناء عليه فليتلق ذلك فانه العزيز عندنا والمنتقى لهذا التشريف الذى هو ديباجة رقه واذا ذكرنا الاصول فاصوله محفوظة وهو المعتمد عليه فى التمهيد والمستصفى ببديع علمه ولو عاش ابن الحاجب ما تغزل فى رفع حاجبه وخفض له جانبه وعلم ان جلا لناعين الاسلام فلم نرفع على العين حاجبه والوصايا كثيرة ولكن جواهر ذخائرنا تلتقط من املائه وأماليه وهو جامع مختصراتها ومظهر زوائدها ببيانه ومعانيه لازال حديث فضله يتسلسل مع الرواة ويسند ولا برح أجل من أوضح الرسالة فى مسند محمد وأحمد (ورسم) لى فى الايام الشريفة المؤيدية سنة تسع عشرة وثمانمائة أن أنشئ رسالة بوفاء النيل المبارك لم أسبق اليها ولا حام طائر فكر عليها وأحضر مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تغمده الله بالرحمة والرضوان قطعة من انشاء القاضى الفاضل بوفاء النيل وقرئت على المسامع الشريفة المؤيدية وحذرت من التعرض الى شئ من ألفاظها ومعانيها فانشأت رسالة حكم لابى بكر بها على كل فاضل بالتقديم وان كان لسان القلم قد طال فانا أقطه ههنا تأدبا مع عبد الرحيم وقد وصلناها ههنا شمل القطعتين ليتفكه المتأمل فى جنى الجنتين ويتنزه نظره فى حدائق الروضتين ويطرب لسجع حمام الدوحتين (قال القاضى الفاضل) نعم الله سبحانه وتعالى من أصوبها نزوعا وأصفاها سبوغا وأصفاها ينبوعا وأسناها منفوعا وأمدها بحر مواهب وأضمنها حسن عواقب النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الآمال ويقبضها مده وجزره ويربى النبات نجره ويجرى على سواد الارض بفضته البيضا ويهنأ بيده الخضيبة نقب الجرب من الجربى ويحيى عطاءه أنواع الحيوان ويجنى ثمرات الارض صنوان وغير صنوان وينشر مطوى حريرها وينشر مواتها ويوضح معنى قوله تعالى وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك فى تاريخ كذا وكذا فاسفر وجه الارض وان كان قد تنقب وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب فرأينا الابانة عن لطائف الله سبحانه وتعالى وقد حققت الظنون ووفت بالرزق المضمون ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقد أعلمناك لتوفى حقه من الاذاعه وتبعده من الاضاعه وتتصرف فيه على ما يصرفك من الطاعه وتشهر ما أورده البشير من البشرى بابانته وتمده بايصال رسمه اليه على عادته (فقلت بعد الفاضل) ونبدى لعلمه ظهور آية النيل المبارك الذى عاملنا الله فيه بالحسنى وزياده وأجراه لنا فى طرق الوفاء على أجمل عاده وحلق أصابعه ليزيل الابهام فاعلن المسلمون بالشهاده كسر بعسرى فاصبح كل قلب بهذا الكسر

فان الشواهد توهيه ورأيت بعضهم ذكر ما ملخصه أن هذا النوع هو نفى واثبات وفيهما اعتباران تأكيد ومعرفة بالامر والنهى واستدل بقوله تعالى فلا تخشوا الناس واخشونى وصححه العلامة الشهاب محمود رحمه الله فقال السلب والايجاب هو أن يقع الكلام على نفى شئ من جهة واثباته من جهة أخرى فلله دره فلقد كشف القناع واعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ومنه قول امرئ القيس

هضيم الحشا لايملأ الكف خصرها
ويملأ منها كل حجل ودملج

وقول السموءل

وننكر ان شئنا على الناس قولهم
ولا ينكرون القول حين نقول

وفى هذا البيت ما يدل على النوع وصحته فى بيتى المتقدم والله أعلم

(التدبيج)

مجبورا واتبعناه بنو روز وما برح هذا الاسم بالسعد المؤيدى مكسورا دق قفا السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه وقبل ثغور الاسلام وأرشف هاريقه الحلو فمالت باعطاف غصونها اليه وشبب خريره فى الصعيد بالقصب ومد سبائكه الذهبية الى جزيرة الذهب فضرب الناصرية واتصل بام دينار وقلنا انه صبغ بقوة لما جاء وعليه الاحمرار وأطال الله عمر زيادته فتردد الناس على الآثار وعمته البركة فاحرى سواقى مكة الى ان غدت جنة تجرى من تحتها الانهار وحصن مشتهى الروضة فى صدره وحنى عليه حنو المرضعات على الفطيم

وأرشفه على ظما زلالا ۞ الذمن المدامة للنديم

وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الابيات وسقى الارض سلافته الجرية فغذمته بحلو النبات وأدخله الى جنات النخيل والاعناب فالق النوى والحب فارضع جنين النبت وأحيى لها أمهات العصف والاب وصافحته كفوف الموز فختمها بخواتمه العقيقية ولبس الورد تشريفه وقال أرجوان تكون شوكتى فى أيامه قوية ونسى الزهرى بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به الشقراء فارخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوا واستوفت الاشجار ما كان لها فى ذمة الرى من الديون ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب اليه الكباد وامتد ولكن قوى قوسه لما حظى منه بنصيب سهم لا يرد ولبس شربوش الاترج وترفع الى ان لبس بعده التاج وفتح منشور الارض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناول معالم الشنبر وعلم باقلامها ورسم لمحبوس كل سد بالافراج وسرح بطائق السفن فخفقت بخلق بشائره وأشار بأصابعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره وحظى بالمعشوق وبلغ من كل أمنية مناه فلا سكن على البحر الا تحرك ساكنه للمطالبة بعد ما تفقه واتقن باب المياه ومد شفاه أمواجه الى تقبيل فم الحور وزاد بسرعته فاستحلى المصريون زائده على الفور ونزل بركة الحبش فدخل التكرور تحت طاعته وحل على الجهات البحرية بكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر فى مسجد الخضر عين الحياة فاقر الله عينه وصار أهل دمياط فى برزخ بين المالح وبينه وطلب المالح رده بالصدر وطعن فى حلاوة شمائله فاشعر الاوقد ركب عليه ونزل فى ساحله وأمست واوات دوائره على وجنات الارض عاطفه وثقلت اردافه على خصور الجوارى فاضطربت كالخائفة ومال اليه باسق النخل فلثم طلعه وقبل سوالفه وأمست سود السفن كالحسنات فى جمره وجناته وكلما ازداد زاد الله فى حسناته فلافقير سد الاوحصل له من فيض نعمائه الفتوح ولاميت خليج الاعاش به ردت فيه الروح ولكنه اجرت عيونه على الناس بزيادة وترفع فقال له المقياس عندى قبالة كل عين أصبع فنشر النيل اعلام قلوعه وحل وله من ذلك الحر برزجره ورام ان يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزمنا المؤيدى وكسره وقد آثرنا المقر بهذه البشرى التى عم فضلها براو بحرا وحدثناه عن البحر ولاحرج وشرحناله حالا وصدرا ليأخذ حظه من هذه البشرى البحرية بالزيادة الوافره وينشق من طيها نشر افقه حملت له من طيبات ذلك النسيم انفاسا عاطره والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة لسمعه الكريم ليصير بها فى كل وقت مشنفا ولابرح من نيلنا المبارك وانعامنا الشريف على كلا الحالين فى وفا (ومما انفردت بانشائه رسالة السكين) فان الشيخ جمال الدين بن نباتة سبق الى رسالة السيف والقلم وتقدمه أبو طاهر اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهانى الى رسالة القوس وكتاب الانشاء لا بد لهم من سكين فقلت وينهى وصول السكين التى قطع المملوك بها أوصال الجفاء وأضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفاء وتالله ما غابت الاوصلت الاقلام من تعثرها الى الجفاء رزقا كم ظهر للبيض منها الوان خرساء ومن العجائب انها لسان كل عنوان ماشاهدها موسى الاسجد فى محراب النصاب وذل بعد ان خضعت له الرؤس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعد ما خط وعلى الحقيقة ماروى مثلها قط وكم

(سود الوقائع حمر البيض فى حرب
خضر المرابع بيض الفعل والشيم)

هذا النوع من مستخرجات ابن أبى الاصبع وهو أن يذكر الناظم أو الناثر ألوانا يقصد الكناية بها أو التورية بذكرها من وصف أو مدح أو غيرهما ومن الشواهد قول ابن حيوس

بياض عرض واحمرار صوارم
وسواد نقع واخضرار حباب

ومن محاسن هذا التدبيج قول الشيخ عز الدين

خضرة الصدغ والسواد من العيـ
ـن بياض المشيب قد أورثانى
واحمرار الدموع صفر خدى
كل ذا من تلونات الزمان

وبهذه اللمعة ظهرت صحة النوع فى بيتى المتقدم والله أعلم

(تشبيه شيئين بشيئين)

وجدبها الصاحب فى المضائق نفعا وحكم بحسن صحبتها قطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين لانها بالناب والنصاب معلمة الطرفين واغلة صبح تقمعت بسواد الدجى فعوذتها بالضحى والليل اذا سجى ولسان برق امتد فى ظلمات الليل فتنكرت اشعة الانجم وماعرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزون اذلم يتجاوز فى عروض ضربها الحد ومعلوم ان السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد من أجل ذا تدخل فى مضائق ليس للسيف فيها قط مدخل وكما تفعله ترجزه والرمح فى تقييده مطول ان هجعت بجفنها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف تنسى حلاوة العسال فلا نظير لطوله طائل وتغنى عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها الحلى تركت المعادن عاطله ولم يسمع للعديد فى هذه الواقعة مجادله شهد الرمح بعدالته انها أقرب منه الى الصواب وحكم لها بصحة ذلك قبل ان تستكمل النصاب ماطال فى رأس القلم شعرة الاسمر حتها باحسان ولا طاعت كابالا أزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لانها عدة وعده وتالله ماوقعت فى قبضة الا أطالت لسانها وتكلمت بحده ان ادخلت الى القراب كانت قد سبكت على الدخول أو أبرزت من غيمه كان على طلعتها قبول تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب صار بها جدول السيف فى بحر غمده كالغريق ولو سمع بها قبل ضربه ماحل التطريق فلو عارضها أبو طاهر لعرك من قوسه الاذنين وقال له جحدت رسالتك ياذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها وكان لك بد تمتد وصلت السكين الى العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى هذا الحد وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم الا ماحملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ولو لمحها الفاضل لحقق قوله ان خاطر سكينه كل أو أدركها ابن نباتة ما أقر برسالة السيف وفل وقال القلم رسالته أطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لباريك ومقاصد المملوك الايجاز فى رسالة السكين ونظمها الا لتكون مختصرة كحجمها لازالت صدقات مهديها تتحف بما يذبح بحر فقرى وتأتى بما يشفى وايهام التورية يقول ويبرى (قلت) الذى أوردته ههنا من انشائى وانشاء الغير كان من الواجب لان الباب الذى تحتم على شرحه وبيانه وايضاحه باب التسجيع وهو عبارة عن علم الانشاء وقد تقدم تقرير السجع وأقسامه وعلم انها أربعة أقسام وهى المطرف والموازى والمشطر والمرصع وذكرت فيه الفوائد التى منها أحكام الفواصل وأوردت المباحث فى الانشاء الذى فيه نظر بالنسبة الى الحالة التى هى المطلوب وأوردت من بديع الانشاء وغريبه هذه النبذة التى هى من انشائى وانشاء الغير ولولا خشية الاطالة لاوردت من ذلك مايذبل عنده زهر المنثور ويقرط فى قلائد النحور ومن أراد البحث عن صحة ذلك فعليه بمصنفى المسمى بقهوة الانشاء فانه خمس مجلدات منها مجلد أنشأته بالبلاد الشامية قبل أن أستقر منشى دواوين الانشاء الشريف بالديار المصرية والممالك الاسلامية وثلاث مجلدات أنشأتها عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه ومجلد أنشأته عن الملك المظفر والملك الظاهر والملك الصالح وعن مولانا السلطان الملك الاشرف وعن مولانا أمير المؤمنين المعتضد بالله زاده الله شرفا وتعظيما انتهى والفرق بين التسجيع والتجزئة اختلاف زنة اجزائه ومجيئه على قافية واحدة من غير عدد معين محصور وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على التسجيع قوله

فعال منتظم الاحوال مقتحم الاحوال ملتزم بالله معتصم

وبيت العميان

من لى بمستلم للبد معتصم * بالعبس لا مستم يوما ولا سئم

وبيت الشيخ عزالدين الموصلى قوله

كم قائل بصميم الجمع مقتحم * وقائل لنظيم السجع ملتزم

قلت الذى يظهر لى أن الشيخ عزالدين لم يمش فى نظم بديعيته مشى محقق لانه تقرر عنده وعند

كأنهم فى عجاج النقع حين بدوا
بدور تم بدت فى حندس الظلم

هذا النوع غنى عن الحد لشهرته وبالله التوفيق

(التنكيت)

للجمع فلوا ومافلت عزائمهم
وهى المواضى على استئصال كل عم

قال العلامة ابن حجة رحمه الله هو أن يقصد المتكلم شيأ بالذكر دون أشياء كلها تسد مسده لولا نكتة

الجماعة فى شروحهم أن التسجيع هو أن يأتى المتكلم فى اجزاء بيته أو كلامه أو فى بعضها باسجاع غير متزنة والشيخ أتى فى شطر بيته الاول باسجاع قابل كلا منها فى الشطر الثانى بوزنه مثل قائل وقائل وصميم ونظيم وجع وسجع ومقتحم وملتزم وهذا هو الترصيع بعينه فان الترصيع من شرطه ان تقابل كل لفظة من البيت بوزنها ورويها ولية نقل هذا البيت الى الترصيع فان بيته فى الترصيع ناقص بالذى أظهره مع قصر باعه فيه من الحشو وهو

كم رصعوا كلما من درّ لفظهم * كم أبدعوا حكما فى سر علمهم

مع انه نظر فى بيت الشيخ صفى الدين الحلى وهو

فعال منتظم الاحوال مقتحما لا هوال ملتزم بالله معتصم

ورأى اختلاف الوزن بين ملتزم ومعتصم وبيت بديعيتى أقول فيه

سجعى ومنتظمى قد أظهرا حكمى * وصرت كالعلم فى العرب والعجم

(ذكر التسميط)

(تسميط جوهره يلفى بابحره * ورشف كوثره روى لكل ظمى)

هذا النوع أعنى التسميط هو ان يجعل الشاعر كل بيت بسمطه أربعة أقسام ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف قافية البيت كقول مروان بن أبى حفصة

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

والفرق بين التسميط والتسجيع كون أجزاء التسميط غير ملتزم ان تكون على روى البيت وكون أجزائه متزنة فيكون عددها محصورا والفرق بين التفويف وبينه تسجيع بيت التسميط قال ابن أبى الاصبع ماخالفوا بين قافية البيت واسجاع التسميط الا لتكون القافية كالسمط والاجزاء المسجعة بمنزلة حب العقد لان السمط يجمع حب العقد والمراد بأجزاء التسميط بعض اجزاء التقطيع ويسمى تسميط التبعيض ومن التسميط نوع آخر يسمى تسميط التقطيع وهو ان تسجع جميع اجزاء التفعيل على روى يخالف القافية كقول ابن أبى الاصبع

وأسمر مثمر من مزهر نضر * من مقمر مسفر عن منظر حسن

فجاءت جميع اجزاء التفعيل من هذا البيت من سباعيها وخماسيها مسجعة على خلاف سجعة الجزء الذى هو قافية البيت وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على التسميط

فالحق فى أفق والشرك فى نفق * والكفر فى فرق والدين فى حرم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

تسميط ذى أدب تنظيم ذى ارب * تحقيق ذى غلب بالنصر ملتزم

وبيت بديعيتى أشرت فيه الى نظمى ونثرى ترفعا بمدح النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته رضى الله عنهم بقولى سجعى ومنتظمى قد أظهرا حكمى * وصرت كالعلم فى العرب والعجم وقلت بعده مشيرا الى النظم

تسميط جوهره يلفى بابحره * ورشف كوثره روى لكل ظمى

التورية فى التسميط هنا منتظمة فى سلك الجواهر وقد تقرران السمط هو الذى يجمع حب العقد ولهذا قلت تسميط جوهره والمناسبة البديعية حاصلة بقولى يلفى بابحره فمحاسنه غير خافية بعد ذكر الجوهر ومثل ذلك الرشف للكوثر والرى للظامئ وتمكين القافية ظاهر والله أعلم

(ذكر الالتزام)

(لأن مدح رسول الله ملتزمى * فيه ومدح سواه ليس من لزمى)

هذا النوع الذى سماه قوم الالتزام ولزوم مالا يلزم ومنهم من سماه الاعنات والتضييق وهو فى

(ذكر التسميط)

(ذكر الالتزام)

فى ذلك الشئ ترجح اختصاصه بالذكر انتهى ومن الامثلة قول الخنساء

يذكرنى طلوع الشمس صخرا
واذكره لكل غروب شمس

خصت هذين الوقتين لان وقت طلوع الشمس وقت الغارات وغروبها وقت وقود النيران للقرى والنوع واضح فى بيتى فانى خصصت الاستئصال بالذكر لمفهومه وهو محق دولة الكفر وحسم مواد أصله ولو قلت غير هذه

الاصطلاح ان يلتزم الناثر فى نثره أو الناظم فى نظمه بحرف قبل حرف الروى أو با كثر من حرف بالنسبة الى قدرته مع عدم التكلف وقد جاء فى الكتاب العزيز فى مواضع تجل عن الوصف كقوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس وكقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون ومثله قوله تعالى والليل وما وسق والقمر اذا اتسق وأما الشعراء فابو العلاء كان أكثرهم فى هذا النوع التزاما حتى انه صنع كتابا وسماه اللزوميات جاء فيه باشياء بديعة الا ان فيه من عثرات لسانه كثيرا كقوله

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة • وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
يحطمنا صرف الزمان كاننا • زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

ومنه قوله

لا تطلبن بآلة لك رفعة • قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السما كان السماء كلاهما • هذا له رمح وهذا أعزل

ومنه قوله

يقولون فى البستان للعين لذة • وفى الراح والماء الذى غير آسن
اذا شئت ان تلقى المحاسن كلها • ففى وجه من تهوى جميع المحاسن

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى على لزوم ما لا يلزم قوله

من كل مبتدر للموت مقتحم • فى مارق بغبار الحرب ملتحم

وبيت العميان

وميل سمعى لنيل القرب من شيمى • وسيل دمعى بذيل الترب كالديم

وبيت الشيخ عز الدين قوله

لى التزام بمدحى خير معتصم • به وارتباط غير منفصم

وبيت بديعيتى أقول فيه

لان مدح رسول الله ملتزمى • فيه ومدح سواه ليس من لزمى

•(ذكر المزاوجة)•

(اذا تزاوج ذنبى وانفردت له • بالمدح من ونجانى من النقم)

هذا النوع سموه المزاوجة والازدواج وهو فى اللغة مصدر زاوج بين الشيئين اذا قارب بينهما وفى الاصطلاح قال السكاكى ومن تبعه هو ان يزاوج المتكلم بين معنيين فى الشرط والجزاء كقول البحترى

اذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى • أصاخت الى الواشى فلج بها الهجر

ومنه قوله

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها • تذكرت القربى ففاضت دموعها

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

ومن اذا خفت فى حشرى فكان له • مدحى نجوت وكان المدح معتصمى

وبيت العميان

اذا تبسم فى حرب وصاح بهم • يبكى الاسود ويرمى اللسن بالبكم

وبيت الشيخ عز الدين

اذا تزاوج خوف الذنب فى خلدى • ذكرت أن نجاتى فى مديحهم

وبيت بديعيتى أقول فيه

اذا تزاوج ذنبى وانفردت له • بالمدح من ونجانى من النقم

•(ذكر التجزئة)•

وزينت فى كلمى حزيت من قسمى • ابديت من حكمى جليت كل عمى

التجزئة هى ان يأتى المتكلم ببيت ويجزئه جميعه اجزاء عروضية ويسجعها كلها على زنين مختلفين جزأ بجزء أحدهما على روى يخالف روى البيت والثانى على روى البيت كقول الشاعر

•(ذكر المزاوجة)•
•(ذكر التجزئة)•

اللفظة لسدمسدها ولكن فى الاستئصال نكتة ليست فى غيره وهى ماذكرته وكذا فى قولى كل عم فلو قلت محتم اسد ولكن كان يفوتنى معنى الاطلاق هذا مع اشتمال البيت المذكور مع تحرير النوع فيه على المناسبة البديعية بين الماضى والفلول وحسن الكناية عن صحة العزائم الى غير ذلك من الانواع والله أعلم وهذا

هندية لحظاتها خطية • خطراتها دارية نفحاتها

و بيت الشيخ صفى الدين

ببارق خذم فى مارق أمم • أوسابق عرم فى شاهق علم

والعميان ماظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين قوله

ذى فضل اندية ذى عدل تجزئة • فالذئب فى ظلم يمشى مع الغنم

الشيخ عزالدين سها فى هذا البيت عن رتبة التجزئة فى الشطر الثانى بالنسبة الى التقرير فى شرط الرتبة وبيت بديعيتى أشير فيه الى ما أبديته من المحاسن فى المديح النبوى بقولى

وريت فى كلمى حزيت من قسمى • أبديت من حكمى جليت كل عمى

•(ذكر التجريد)•

(لى فى المعانى جنود فى البديع وقد • جردت منها المدحى فيه كل كمى)

التجريد عرفه صاحب التلخيص بأن قال هو أن ينتزع من أمر ذى صفة آخر مثله وفائدته المبالغة فى تلك الصفة كقولك مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة فجردت من الرجل نسمة متصفة بالبركة وعطفتها عليه كأنها غيره وهى هو ومن أمثلته الشعرية قول الشاعر

اعانق غصن البان من لين قدها • وأجنى جنى الورد من وجناتها

فانه جرد من قدها غصنا ومن وجنتيها وردا وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته قوله

شوس ترى منهم فى كل معترك • أسد العرين اذا احر الوطيس حمى

الشيخ صفى الدين جرد فى بيته اسد العرين من الشوس وبيت العميان فى بديعيتهم

من وجه أحمد لى بدر ومن يده • بحر ومن لفظه در لمنتظم

وبيت الشيخ عزالدين الموصلى قوله

من لفظه واعظ بالنصح جرد لى • يانفس توبى وللتجريد فالتزمى

وبيت بديعيتى فى المديح النبوى قولى

لى فى المعانى جنود فى البديع وقد • جردت منها المدحى فيه كل كمى

•(ذكر المجاز)•

(وهو المجاز الى الجنات ان عمرت • أبياته بقبول سابغ النعم)

المجاز هو عبارة عن تجوز الحقيقة فان المراد منه ان يأتى المتكلم بكلمة يستعملها فى غير ما وضعت له فى الحقيقة فى أصل اللغة هذا رأى السكاكى وأصحاب المعانى والبيان وقال البديعيون المجاز عبارة عن تجوز الحقيقة بحيث يأتى المتكلم الى اسم موضوع لمعنى فيخصه اما ان يجعله مفردا بعد أن كان مركبا أو غير ذلك من وجوه الاختصاص والمجاز جنس يشتمل على أنواع كثيرة كالاستعارة والمبالغة والارداف والتمثيل والتشبيه وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد وهذه الانواع وان كانت من المجاز فكونها متعددة لخلوها عن معنى زائد عن تجوز الحقيقة كالاستعارة والتشبيه وبقية ما ذكره من الانواع فلما لم يكن له غير تجوز الحقيقة اختصارا أفرد باسم المجاز اذ لا يليق به غيره وعمل الشريف الرضى كتابا سماه مجاز القرآن ومات قبل استيفائه ومن أمثلته الشعرية قول العتابى

ياليلة لى بحوارين ساهرة • حتى تكلم فى الصبح العصافير

قوله ساهرة مجاز وبيت الشيخ صفى الدين قوله

صالوا فنالوا الامانى من مرادهم • ببارق فى سوى الهيجاء لم يشم

المجاز فى بيت الشيخ صفى الدين فى لفظة بارق والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ

•(ذكر التجريد)•
•(ذكر المجاز)•

البيت معدود من باب الكناية وقد مر ذكرها قال

بضرب أبيض ماض فى ابتغاء شفا

عليله بالتروى من عدوهم

(المساواة)

هم النجوم فما أسنى مطالعهم

فى أفق ملته البيضا بهديهم

هذا النوع مما فرعه قدامة وقال هو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى بحيث لا يزاد عليه ولا ينقص

عز الدين قوله أحيي فؤادي مجازي نحو حجرته * وقد دهشت لجمع فيه مزدحم

و بيت بديعيتي تقدمه قولي اني تجردت لمدح النبي صلى الله عليه وسلم وقلت بعده في المجاز

وهو المجاز الى الجنات ان عمرت * أبياته بقبول سابغ النعم

(ذكر ائتلاف اللفظ مع المعنى)

تألف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندي بغير الروح لم يقم

هذا النوع ذكره قدامة أعني ائتلاف اللفظ مع المعنى وترجمه منفردا ولم يبين معناه وشرحه الآمدي وأطال ولم توف عبارته بايضاحه وأوضحه ابن أبي الاصبع وقال مختصر عبارة هذه التسمية ان تكون ألفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى ان كان اللفظ جزلا كان المعنى فخما أو رشيقا رقيقا كان المعنى غريبا كقول زهير بن أبي سلمى

أثافي سفعا في معرس مرجل * ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم

فلما عرفت الدار قلت لربعها * الا انعم صباحا أيها الربع واسلم

فان زهيرا قصد تركيب البيت الاول من ألفاظ تدل على معنى غريب لكن المعنى غير غريب فركبه من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال ولما جنح في البيت الثاني الى معنى أبين من الاول وأغرب ركبه من ألفاظ مستعملة معروفة و بيت الحلي في بديعيته قوله

كانما حلق السعدي منتثرا * على الثرى بين منقض ومنقصم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم و بيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله

تؤلف اللفظ والمعنى فصاحته * تبارك الله منشي الدر في الكلم

بيت الشيخ عز الدين في هذا النوع عامر و بيت الشيخ صفي الدين خراب لانه غير صالح للتجريد ولم يظهر له معنى حتى يأتي بالمشبه به في البيت وعلى هذا التقدير لم يحصل في بيته ائتلاف بين اللفظ والمعنى و بيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

تالف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندي بغير الروح لم يقم

(ذكر ائتلاف اللفظ مع الوزن)

(واللفظ والوزن في أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحي غير منسجم

هذا النوع أعني ائتلاف اللفظ مع الوزن قال قدامة هو أن تكون الاسماء والافعال تامة لم يضطر الشاعر في الوزن الى نقصها في البنية ولا الى الزيادة ولا الى التقديم والتأخير ومنهم من قال هذا النوع لا مثال له بصورة معينة لانه عبارة عن انه لا يضطر الى ما لا يلزمه منه فساد صورة المعنى وذهاب رونق اللفظ كقول الفرزدق

وما مثله في الناس الا مملكا * أبو أمه حي ابوه يقاربه

وفي رواية اخو امه فان اضطرار الوزن حمله على رداءة السبك فحصل في الكلام تعقيد يمنع من فهم معناه بسرعة ولو قال وما مثله الا مملك أبوه يقارب خاله لسهل مأخذه وقرب تناوله و بيت الشيخ صفي الدين في بديعيته قوله

في ظل أبلج منصور اللواء له * عدل يؤلف بين الذئب والغنم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم و بيت الشيخ عز الدين الموصلي قوله

أؤلف اللفظ مع وزن بمدحته و * لا نأوذم عدو بين الثلم

قلت ثقل الهمزة في لفظة أؤلف والوقوف لتحرير الوزن عند قوله بمدحه مولانا كان سببا في عدم ائتلاف اللفظ مع الوزن في بيت الشيخ عز الدين و بيت بديعيتي قلت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد قولي فيه في ائتلاف اللفظ مع المعنى

عنه قال العلامة ابن حجة رحمه الله وهذا من البلاغة التي وصفها بها بعض الوصاف بعض البلغاء فقال كان ألفاظه قوالب لمعانيه ومن الشواهد لبعضهم

ومهما يكن عند امرئ من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

والطرفة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
و يأتيك بالاخبار من لم تزود

وفي انصاف ذوي الذوق

تألف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندى بغير الروح لم يقم

وقلت بعده والفظ والوزن فى أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحى غير منسجم

(ذكر ائتلاف المعنى مع الوزن)

(والوزن صح مع المعنى تألفه * فى مدحه فأتى بالدر فى الكلم)

هذا النوع أعنى ائتلاف المعنى مع الوزن هو أن تأتى المعانى فى الشعر صحيحة لا يضطر الشاعر فى الوزن الى قلبها عن وجهها ولا الى خروجها عن صحتها كقول عروة بن الورد

فانى لو شهدت أبا سعاد * غداة غدا بمهجته يفوق

فديت بنفسه نفسى ومالى * وما آلوه الا ما يطيق

فانه أراد أن يقول فديت نفسه بنفسى ومالى فألجأته ضرورة الوزن الى قلب المعنى ومهما كان الشعر سليما من مثل هذا كان الشعر الذى ائتلف معناه مع وزنه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله من مثله وذراع الشاة حذره * عن سمه بلسان صادق الرتم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

توالف اللفظ والمعنى مدائحه * فللمعانى ترى الالفاظ كالخدم

قلت بيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع قاصر عن بيت الشيخ عز الدين فان الشيخ عز الدين أتى اولا بالانسجام والسهولة مع التورية بتسمية النوع وتمكين القافية فان لفظة رتم فى بيت الشيخ صفى الدين غير ممكنة وأيضا فان الوزن والمعنى فى بيت الموصلى فى غاية الائتلاف وبيت بديعيتى قلت فيه

واللفظ والوزن فى أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحى غير منسجم

وقلت بعده فى ائتلاف المعنى مع الوزن

والوزن صح مع المعنى تألفه * فى مدحه فأتى بالدر فى الكلم

(ذكر ائتلاف اللفظ مع اللفظ)

(واللفظ باللفظ فى التأسيس مؤتلف * فى كل بيت بسكان البديع حمى)

هذا النوع أعنى ائتلاف اللفظ مع اللفظ هو أن يكون فى الكلام معنى يصح معه هذا النوع ويأخذ عدة معان فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف كقول البحترى فى الابل النحيلة

كالقسى المعطفات بل الاسـ * ـهم مبرية بل الاوتار

فان تشبيه الابل بالقسى كناية عن هزالها فلو شبهها بغير ذلك كالعرجون والدال جاز لكن المناسبة والائتلاف بين الاسهم والاوتار والقسى حسنت التشبيه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

خاضوا عباب الوغى والخيل سابحة * فى بحر حرب بموج الموت ملتطم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الموصلى فى بديعيته

سار واوجدوا النوى واللفظ مؤتلف * من اسن دمعى بلفظ خد منسجم

الذى فهمته من هذا النوع معنى الشطر الاول وأما الشطر الثانى فما حصل بينه وبين هذا النوع ائتلاف وبيت بديعيتى قلت قبله

والوزن صح مع المعنى تألفه * فى مدحه فأتى بالدر فى الكلم

وقلت بعده فى ائتلاف اللفظ مع اللفظ

واللفظ باللفظ فى التأسيس مؤتلف * فى كل بيت بسكان البديع حمى

(ذكر التمكين)

(تمكين سقمى بدا من خيفة حصلت * لكن مدائحه قد أبرأت سقمى)

هذا النوع أعنى التمكين وهو ائتلاف القافية منهم من سماه بالتمكين ومنهم من سماه ائتلاف

القافية

ما يغنى عن الدلالة على صحة هذا النوع فى بيتى والله أعلم

(نفى الشئ بايجابه)

(لا يعزج الشك منهم صفو معتقد

ولا يشين التقى باللمم واللمم)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله هو أن يثبت المتكلم شيأ فى ظاهر كلامه وينفى ما هو من سببه مجازا والمنفى فى باطن الكلام حقيقة هو الذى اثبته كقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فان ظاهر الكلام نفى الذى يطاع

القافية وهو أن يمهد الناثر لسجعه فقرة أو الناظم لقافية بيته تمهيدا تأتي به القافية متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها غير نافرة ولا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه بحيث ان منشد البيت اذا سكت دون القافية كملها السامع بطباعه بدلالة من اللفظ عليها وأكثر فواصل القرآن على هذه الصورة والذي عقد البديعيون عليه الخناصر في هذا الباب قول أبي الطيب

يامن يعز علينا ان نفارقهم * وجداننا كل شئ بعدكم عدم

وقال ابن أبي الاصبع لم نسمع لمتقدم شعرا متمكنا في قافية أشد من تمكين النابغة الذبياني حيث قال

كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليـــه وأسفله ندى

زعـم الغـمام ولم أذقـه بانه * يروى بريقته من العطش الصدى

قلت ويعجبني هنا قول صدر الدين بن عبد الحق ولعمري انه أمكن والطف واظرف وهو

ورب ظبي آنس * حشاشتي ملكته * أسقيته أسكرته * حركتـه نبهتـه

نادمته أعجبته * حدثته أطربته * مددته كشفته * بلا طويل نكته

وبيت الحلي على تمكين القافية قوله

به استغاث خليل الله حين دعا * رب العباد فنال البرد في الضرم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

تمكين حبك في قلبي نسخت به * محبة الكل من عرب ومن عجم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

تمكين سقمي بدا من خيفة حصلت * لكن مدائحه قد أبرأت سقمي

(ذكر الحذف)

(وقد أمنت بزال الخوف منحذفا * نحو العدو ولم أحقر ولم أضم)

هذا النوع اعني الحذف عبارة عن أن يحذف المتكلم من كلامه حرفا من حروف الهجاء أو جميع الحروف المهملة بشرط عدم التكلف والتعسف وهذا هو الغاية كما فعل الحريري في المقامة السمرقندية بالخطبة المهملة التي أجمع الناس على انها نسيج وحدها * و واسطة عقدها (وقد عن لي) ان أوردها ههنا بكمالها * واورد معها مانسج المتأخرون على منوالها * وهي قوله * الحمد لله الممدوح الاسماء * المحمود الآلاء * الواسع العطاء * المدعو لحسم اللاواء * مالك الامم * ومصور الرمم * وأهل السماح والكرم * ومهلك عاد وارم * أدرك كل سر علمه * ووسع كل مصر حلمه * وعم كل عالم طوله * وهد كل مارد حوله * أحمده حمد موحد مسلم * وادعوه دعاء مؤمل مسلم * وهو الله لا اله الا هو الواحد الصمد * لا والد له ولا ولد * أرسل محمدا للاسلام ممهدا * وللملة موطدا * ولادلة الرسل مؤكدا * وللاسود والاحمر مسددا * وصل الارحام * وعلم الاحكام * ووسم الحلال والحرام * ورسم الاحلال والاحرام * كرم الله محله * وكمل الصلاة والسلام له * ورحم آله الكرماء * وأهله الرحماء * ماهمر ركام * وهدر حمام * وسرح سوام * وسطا حسام * اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء * واكدحوا للمعاد كدح الاصحاء * واردعوا أهواءكم ردع الاعداء * واعدوا للرحلة اعداد السعداء * وادرعوا حلل الورع * وداووا علل الطمع * وسووا أود العمل * وعاصوا وساوس الأمل * وصوروا لاوهامكم حؤول الاحوال * وحلول الاهوال * ومساورة الاعلال * ومصارمة المال والآل * واذكروا الحمام وسرعة مصرعه * والرمس وهول مطلعه * واللحد ووحدة مودعه * والملك وروعة سؤاله ومطلعه * والمحوا الدهر ولؤم كره * وسوء محاله ومكره * كم طمس معلما * وأمر مطعما * وطحطح عرمرما * ودمر ملكا مكرما * همه سك المسامع * وسح المدامع *

(ذكر الحذف)

من الشفعاء والمراد نفي الشفيع مطلقا وكقوله تعالى لا يسألون الناس الحافا فان ظاهر الكلام نفي الالحاف في المسئلة والباطن نفي المسألة بتة وعليه اجماع المفسرين وهو منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذا الحد هو الذي قرره ابن رشيق في العمدة فقال نفي الشئ بايجابه اذا تأملته وجدت باطنه نفيا وظاهره ايجابا انتهى واستشهدوا

واكداء المطامع * وارداء المسمع والسامع * عم حكمه المملوك والرعاع * والمسود والمطاع والمحسود والحساد * والاساود والآساد * ماموّل الامال * وعكس الآمال * ولا وصل الاوصال * وكلم الاوصال * ولا سر الاوسا * ولوم وأسا * ولا أصح الاولد الداء * وروّع الاوداء * الله الله * رعاكم الله * الى م مداومة اللهو * ومواصلة السهو * وطول الاصرار * وحمل الاصار * واطراح كلام الحكماء * ومعاصاة اله السماء أما الهرم حصادكم والمدر مهادكم أما الحمام مدرككم والصراط مسلككم أما الساعة موعدكم والساهرة موردكم أما أهوال الطامة لكم مرصده أما دار العصاة الحطمة المؤصده حارسهم مالك وروأوهم حالك وطعامهم السموم وهواؤهم السموم لا مال أسعدهم ولا ولد ولا عدد حماهم ولا عدد ألا رحمه الله امرأ ملك هواه وأم مسالك هداه وأحكم طاعة مولاه وكدح لروح مأواه وعمل ما دام العمل مطاوعا والعمر موادعا والصحة كامله والسلامة حاصله ولا دهمه عدم المرام وحصر الكلام والمام الآلام وحموم الحمام وهدوء الحواس ومراس الارماس آها لها حسرة ألمها مؤكد وأمدها سرمد وممارسها مكمد مالوله حاسم ولا لسدمه راحم ولا له مما عراه عاصم الهمكم الله أحمد الالهام وردأكم رداء الاكرام وأحلكم دار السلام وأسأله الرحمة لكم ولاهل ملة الاسلام وهو أسمح الكرام والمسلم والسلام (قلت) رحم الله أبا القاسم الحريري أتى في عاطل هذه الخطبة بالسهل الممتنع ولكن ألجأته ضرورة العاطل في مواضع الى الاتيان بالفاظ تفتقر الى الحل وقد تعين هنا تفسيرها لئلا يتعذر على الطالب مرام ولا يحصل هذا الاشكال في مرآة الافهام فاللاواة الشدة والاحمر والاسود العرب والعجم ووسم بمعنى علم وهمر بمعنى صب والركام السحاب المتراكم والكدح عمل الانسان من الخير والشر والاود المعوّج والمساورة المواثبة وطعطع بمعنى هد وهلك والسكك ضيق الصماخ والرعاع السفلة والاساود الحيات والآصار جمع اصر وهو الثقل والساهرة قيل انها عرصات القيامة وقيل انها وجه الارض انتهى (وأوقفني) رجل من طلبة العلم بحلب المحروسة يقال له الشيخ بدر الدين بن محمد بن الضعيف سنة أربع عشرة وثمانمائة على رسالة مشتملة على حكم ومواعظ على طريق الفقهاء لا على طريق الادباء وسألني الكتابة عليها فامتنعت من ذلك فتوصل الى أن رسم لي مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية روح الله روحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه أن أكتب له على رسالته العاطلة تقريظا عاطلا فقلت هذا النوع من المستحيلات فان الخطب والوعظيات ثمرات ألفاظها دانية القطوف وأما التقريظ فالتوصل الى تحصيل ألفاظه العاطلة غير ممكن لان كف المتناول من ذلك صفر والطريق مخوف فلم يحصل عن المرسوم رجوع وعلمت أن الصرف الى غير الامتثال ممنوع (فكتبت) هذا التقريظ الذي ما سبقني أحد اليه ولا حام طائر فكره عليه وهو طالع المملوك رسالة محمد وسلم وأحكم السمع والطاعة لكلامها المحكم والله ما سمعها عالم الاوهام ولا ردع سحرها الحلال مسلما الا كره الحرام وعاد عاملا وأعد للصلاح حواصله وصار له مع الله معامله ما أحلى ساكر عاطلها المحلى وأهلا لسهولة مسلكها وسهلا ما ولد ساعة سعد احكامها ولا أهل العصر سكر الا ما أدار كاس مدامها ولا لعمارة عامر صرحها ورهطه ولا للصدر كالؤلؤها وسمطه ولا لولد مطروح مع طرحها المحرر مطارحه ولا صار لولادة رسالة مسموعة ولا لسرحها آرام سارحه ولا مسارح الماء الحلو لمحها الا كالآل وما عامر ما أسه المعمار الا اطلال وما المطاعم الحلوة معها الا مالحه وما صوادح الكلام الصادح الاحول دوحها صادحه وما الطعم الراح مع حلاوة وردها راحه ولا لسلسل الورد معها طلاوة ولو كال الطل أدواحه ولا لسلوك الدرد رسلوكها ولا للمسوالك العاطرة عطر مسوكها ولم لا ومحكمها حرسه الله صار ملكا والحكمه

عليه بقول زهير
بارض خلاء لا يسد وصيدها
علي ومعروف بها غير منكر
ومراده في الباطن ان
ليس لها وصيد فيسد قال
العلامة ابن حجة رحمه الله
وألطف ما رأيت من شواهده
قول مسلم بن الوليد
لا يعبق الطيب خديه
ومفرقه
ولا يمسح عينيه من الكحل
فان ظاهر الكلام نفي عبق
الطيب ومسح الكحل
والمراد نفي الطيب
والكحل مطلقا انتهى

أحكام وكلام الملوك ملوك الكلام لا اله الا الله ما أسرار ولد آدم الا حكمه وما كلام الحكماء وما أحكموه الا حرمه وما أمه رسول الملك العلام الاسادة الامم وما سما صدورهم الا مطالع أهل الحكم أطال الله عمره وما ملها سامع وأطلع هلال دالها وسعد السعود لها طالع وحصل للعالم لما هل هلالها سرور وأكرموا محالها وأحلوها الصدور أحكامها عمدة لامة محمد وما أعادها السامع الا صار العود أحمد سلسلوا دورها السمع كساه ۞ درها وهو عاطل كل حله

لاسماع الا اهال الا كلام ۞ لسواها كرره كرره الله

وع ما حكاه ولد همام أورواه واسمع مسامرة همام صعد طور الحكم وساعده الله وحسم كل كلامه مادة العواطل وسلسل اطروسه وسطوره سلاسل الدر وردور السلاسل ولوسمه املاك العواطل امال رؤس رماحه وكل حد سلاحه وسع معالم العلم وعاهده صدره وأدر لاهل الموارد الحلوة ولله دره ما للكمال أصول سطوره الكامله ولا ورد مع رسول كرسالة محمد مراسله رحم الله امرأ أطاع أوامر حكمها وسمع مرسوم رسمها ودارس ما أحكمه عهدها واملاه أمد الله عمره والحمد لله

۞ والحلي بنى بيت بديعيته فى باب الحذف على العاطل وهو

آل الرسول محل العلم ما حكموا ۞ لله الا وعدوا أعدل الامم

والعميان ما نظموا نوع الحذف فى بديعيتهم وأنا والشيخ عز الدين تعذر علينا نظم الحذف عاطلا لاجل تسمية النوع فى البيت اذ فيه الذال والفاء ولا بد من التورية بتسمية النوع كما شرط أولا فكل منا جنح فى باب الحذف الى جهة أما الشيخ عز الدين فانه ذكر انه نظم بيته من الحروف النورانية المقطعة وسمى الحذف فى بيته اسقاطا فقال

أروم اسقاط ذنبي بالصلاة على ۞ محمد وعلى صديقه العلم

وبيت بديعيتي حذفت منه الاحرف التى تنقط من تحت وهو الذى نظمته بعد قولي

تمكين سقمى بدا من خيفة حصلت ۞ لكن مدائحه قد أبرأت سقمى

فقلت

وقد أمنت وزال الخوف منحذفا ۞ نحو العدو ولم أحقر ولم أضم

﴿ذكر التدبيج﴾

(واخضر اسود عيشى حين دبجه ۞ بياض حظى ومن زرق العداة حمى)

نوع التدبيج من مستخرجات ابن أبى الاصبع وهو عبارة عن أن يذكر الناظم أو الناثر ألوانا يقصد بها التورية والكناية بذكرها عن أشياء من تشبيب أو مدح أو وصف أو غير ذلك من الاغراض فمن التدبيج على طريق التورية قول الحريرى فى المقامة الزورائية فذا غبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومى الابيض وابيض فودى الاسود حتى رثا لى العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر ومنه ما كتبت به جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد رحمه الله الى الجناب العالى الناصرى محمد بن أبى يزيد بن عثمان فانه المجاهد الذى جعل حظ بنى الاصفر فى البحر الازرق من بيض سيوفه اسود فاذاقهم الله به الموت الاحمر وكمال التدبيج يقول أهلا بعيش اخضر يتجدد ومن الامثلة الشعرية فى باب التدبيج قول ابن حيوس

ان ترد خبر حالهم عن يقين ۞ فالقهم فى منازل أو نزال

تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

ومثله قوله

بياض عزم واحمرار صوارم ۞ وسواد نقع واخضرار رحاب

وظريف هنا قول الشيخ زين الدين بن الوردى من ابيات

ولى صاحب بالمدح والهجو كسبه ۞ يقول اذ ادرى كيف أصنع بالخلق

اذا احمر واجهى وما بيضوا يدى ۞ ازرقاهم رجلى ولو خضروا عنقى

﴿ذكر التدبيج﴾

والنوع واضح فى بيتى فلا يحتاج الى دليل والله أعلم

﴿جمع المؤتلف والمختلف﴾

(بالسبق فاز وبالتخصيص تقدمهم فيه خليفته الصديق ذو القدم)

قال العلامة زكى الدين بن أبى الاصبع رحمه الله هذا النوع عبارة عن أن يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين فيأتى بمعان مؤتلفة فى مدحهما ويريد

ويعجبنى قول الشيخ عز الدين فى هذا الباب

خضرة الصدغ والسواد من العيـ ـن بياض المشيب قد اوثانى
واحمرار الدموع صفر خدى * كل ذا من تلونات الزمان

قلت تلونات الزمان فى باب التدبيج غاية فى الحسن وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى التدبيج قوله

خضر المرابع حمر السمر يوم وغى * سود الوقائع بيض الفعل والشيم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

خضر المرابع حمر البيض سود ردى * بيض الثنا فاستمع تدبيج وصفهم

قلت ما يليق بالشيخ عز الدين ما اعتمده فى بيت الشيخ صفى الدين من أخذ لفظه ومعناه والحق انه تلون فى باب التدبيج على الصفى وتحرم على الحلى وبيت بديعيتى قولى

واخضر اسود عيشى حين دبجه * بياض خطى ومن زرق العداة حمى

*(ذكر الاقتباس)

(وقلت باليت قومى يعلمون بما * قد نلت كى يحظونى باقتباسهم)

الاقتباس هو ان يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من آيات كتاب الله خاصة هذا هو الاجماع والاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام مقبول ومباح ومردود فالاول ما كان فى الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبى صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك والثانى ما كان فى الغزل والرسائل والقصص والثالث على ضربين أحدهما ما نسبه الله تعالى الى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله الى نفسه كما قيل عن أحد بنى مروان انه وقع على مطالعة فيها شكاية من عماله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم والآخر تضمين آية كريمة فى معنى هزل ونعوذ بالله من ذلك كقول القائل

أوحى الى عشاقه طرفه * هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه * لمثل ذا فليعمل العاملون

ومن الاقتباسات التى هى غير مقبولة قول ابن النبيه فى مدح الفاضل

قمت ليل الصدود الا قليلا * ثم رتلت ذكركم ترتيلا
ووصلت السهاد أقبح وصل * وهجرت الرقاد هجرا جميلا
مسمعى كل عن سماع عذول * حين ألقى عليه قولا ثقيلا
وفؤادى قد كان بين ضلوعى * أخذته الاحباب أخذا وبيلا
قل لراقى الجفون ان لعينى * فى بحار الدموع سبحا طويلا
ماس عجبا كانه ما رأى غصـ ـنا طليحا ولا كثيبا مهيلا
وحمى عن محبه كاس ثغر * كان منه مزاجها زنجبيلا
بان عنى فصحت فى اثر العيـ ـس ارحمونى ومهلوهم قليلا
أنا عبد للفاضل بن على * قد تبتلت بالثنا تبتيلا
لا تسمه وعدا بغير نوال * انه كان وعده مفعولا

ونعوذ بالله من قوله بعد ذلك

جل عن سائر الخلائق فضلا * فاخترعنا فى مدحه التنزيلا

واعلم ان الاقتباس على نوعين نوع لا يخرج به المقتبس عن معناه كقول الحريرى فلم يكن الا كلمح البصر أو أقرب حتى أنشد فأغرب فان الحريرى كنى به عن شدة القرب وكذلك هو فى الآية الشريفة ونوع يخرج به المقتبس عن معناه كقول ابن الرومى

لئن أخطأت فى مدحيـ ـك ما أخطأت فى منعى

﴿ذكر الاقتباس﴾

بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر فبأنى لاجل الترجيح بمعان تخالف معنى التسوية كقوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما انتهى ومن الشواهد على هذا النوع من الشعر قول زهير وهو أول من سبق

لقد أنزلت حاجاتى * بواد غير ذى زرع

فان الشاعر كنى به عن الرجل الذى لا يرجى نفعه والمراد به فى الآية الكريمة أرض مكة شرفها الله وعظمها ثم اعلم انه يجوز أن يغير لفظ المقتبس منه بزيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو ابدال الظاهر من المضمر أو غير ذلك فالزيادة وابدال الظاهر من المضمر كقول الشاعر

كان الذى خفت ان يكونا * انا الى الله راجعونا

فزاد الالف فى راجعون على جهة الاشباع وأتى بالظاهر مكان المضمر فى قوله انا الى الله ومراده آية التعزية فى المصيبة وهى قوله تعالى انا لله وانا اليه راجعون والنقصان ما تقدم من قول الحريرى فلم يكن الا كلمح البصر أو أقرب فانه أسقط لفظة هو اذ الآية الكريمة لفظها كلمح البصر أو هو أقرب والتقديم والتأخير كقول الشاعر

قال لى ان رقيبى * سيئ الخلق فداره

قلت دعنى وجهك الجنة حفت بالمكاره

هذا الاقتباس من الحديث فانه تقدم ان الاجماع على جواز الاقتباس من القرآن ومنهم من عد المضمن فى الكلام من الحديث النبوى اقتباسا وزاد هنا الطيبى فى الاقتباس من مسائل الفقه والشاعر قدم فى لفظ الحديث وأخر لان لفظ الحديث حفت الجنة بالمكاره ومن هنا يتبين لك قطع نظرهم فى الاقتباس عن كونه نفس المقتبس منه ولولا ذلك للزمهم الكفر فى لفظ القرآن والنقص منه ولكنهم يأتون به على انه لفظ القرآن ومن أمثلته الشعرية قول الحمامى

اذا رمت عنها سلوة قال شافع * من الحب ميعاد السلو المقابر

سيبقى لها فى مضمر الحب والحشى * سرائر تبقى يوم تبلى السرائر

ومنه أهدى اليكم على بعد تحيته * حيوا باحسن منها أو فردوها

ويعجبنى هنا قول ابن سناء الملك فى بعض مطالعه

رحلوا فلست مسائلا عن دارهم * أنا باخع نفسى على آثارهم

ومن لطائف هذا الباب قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى معشوقه المسمى بالنسيم

ان كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا

فانا الذى أتلوا لهم ياليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومثله فى الحسن قول شيخ شيوخ حماة المحروسة رحمه الله تعالى

يا نظرة ما جلت لى حسن طلعته * حتى انقضت وأدامتنى على وجل

عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

ومثله ان دمعت عينى فمن أجلها * بكى على حالى من لا بكى

أوقعنى انسانها فى الهوى * يا أيها الانسان ما غركا

ومثله قسما بشمس جبينه وضحاها * ونهار مبسمه اذا جلاها

وبنار خديه المشعشع نورها * وبليل صدغيه اذا يغشاها

لقد ادعيت دعاوبا فى حبه * صدقت وافلح من بذاز كاها

فنفوس عذالى عليه وعذرى * قد ألهمت بفجورها تقواها

فالعذر أسعدها مقيم دليله * والعذل منبعث له أشقاها

ومنه قول القاضى محيى الدين بن قرناص

ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين باصره

انزلتهم فى مقلتى * فاذاهم بالساهره

الى هذا المعنى قال هو الجواد فان يلحق بشأوهما على تكاليفه فمثله لحقا أو يسبقاه على ما كان من مهل فمثل ما قدما من صالح سبقا

﴿المدح فى معرض الذم﴾

(لا عيب فيهم سوى أن لا يضام لهم وفد ولا يبخلوا بالرفد فى العدم)

هذا النوع ضربان الاول وهو أفضلهما كاحده

ومنه قول الشيخ جمال الدين بن نباته رحمه الله تعالى

وأغيد جارت فى القلوب لحاظه * واسهرت الاجفان أجفانه الوسنى

أجل نظرا فى حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

ومنه قول الشيخ زين الدين بن الوردى رحمه الله تعالى

رب فلاح مليح * قال يا أهل الفتوه

كفلى أضعف خصرى * فأعينونى بقوة

ومنه قول المعمار

ابن الجمالى مات حقا * برّح بى موته وآذى

ورحت أقرا عليه جهرا * ياليتنى مت قبل هذا

ويعجبنى فى هذا الباب قول سيدنا الامام القدوة الحافظ الشيخ شهاب الدين بن حجر العسقلانى الشافعى تغمده الله برحمته وهو

خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما جرى كالبحر سرعة سيره

فحبسته لاصون سر هواكم * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وقال

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت * تلوين دمعى بعد فرقة حبه

لكن به لما سمعت تباخلت * فغدت مطوقة بما بخلت به

وهنا فائدة يتعين ذكرها فى هذا الباب وهى أن العلماء فى هذا الباب قالوا ان الشاعر لا يقتبس بل يعقد و يضمن وأما الناثر فهو الذى يقتبس كالمنشئ والخطيب فمن ذلك قول الحريرى فطوبى لمن سمع ووعى وحقق ما ادّعى ونهى النفس عن الهوى وعلم ان الفائز من ارعوى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى وقوله انا انبئكم بتأويله وأميز صحيح القول من عليله وكقول ابن نباتة الخطيب فى الخطب التى فى ديوانه أما أنتم بهذا الحديث تصدقون مالكم لا تشفقون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون قلت وأما عبد المؤمن الاصفهانى صاحب أطباق الذهب فانه عنوان هذا الكتاب وامام هذا المحراب فمن قوله فى الاطباق فمن عاين تلوين الليل والنهار لا يغتر بدهره ومن علم ان بطن الثرى مضجعه لايمرح على ظهره فياقوم لا تركضوا خيل الخيلاء فى ميدان العرض أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض وقوله ولو علم الجذل صولة النجار وعضة المنشار لما تطاول شبرا ولا تخايل كبرا وسيقول البلبل المعتقل ليتنى كنت غرابا ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا وقوله

لله تحت قباب العز طائفة * أخفاهم فى رداء الفقر اجلالا

هم السلاطين فى أطمار مسكنة * استعبدوا من ملوك الارض أقيالا

هذى المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

هم الذين جبلوا براء من التكلف يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف (وقوله) أهل التسبيح والتقديس لا يؤمنون بالتربيع والتسديس والانسان بعد علو النفس يجل عن ملاحظة السعد والنحس وان فى الدين القويم لشغلا عن الزيج والتقويم الايمان بالكهانه باب من أبواب المهانه فأعرض عن الفلاسفه وغض بصرك عن تلك الوجوه الكاسفه فأكثرهم عبدة الطبع وحرسة الكواكب السبع فما للمنجم الغبى وما للكاهن الاجنبى وسر حجب عن غير النبى وهل ينخدع بالفال الا قلوب الاطفال وان امرأ أجهل حال قومه وما الذى يجرى عليه فى يومه كيف يعرف حال الغد و بعده ونحس الفلك وسعده وان قوما يأكلون من قرصة الشمس

لمهزولون

الشهاب محمود ان يستثنى من صفة ذم منفية عن الشئ صفة مدح بتقدير دخولها فيه نحو قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما قال فالتأكيد فيه من جهة أنه كدعوى الشئ ببينة ومن جهة أن الاصل فى الاستثناء الاتصال فذكر أداته قبل ذكر ما بعدها يوهم اخراج شئ مما قبلها فاذا وليها صفة مدح جاء التوكيد والثانى

لمهزولون وانهم عن السمع لمعزولون ما السموات الامجاهـل والكواكب ضواها وما النجوم الاهيا كل سبعة ومن الله قواها كل يدرى لأمر معمى وكل يجرى لاجل مسمى (وقوله) الحرص يسبل على وجوه الظلمة براقعا والظلم يدع الديار بلاقعا يرضون طيب الحياة وينسون يوم النشور ويفتكون فتك البزاة ويؤملون عمر النسور فلا تغرنك من الظلمة كثرة الجيوش والانصار انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار (وقوله) اغتنم فودك الفاحم قبل ان يبيض فانما الدنيا جدار يريد أن ينقض فلا يغرنك قطفها النضيج هو غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج (وقوله) فى آخر مقالة من الاطباق تلك أمة قد خلت ذكروا الله فى الخلوات فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات (وقوله) أصدق الارواح روحان ممتزجان وأخلص القلوب قلبان يزدوجان يتصاحبون قياما وقعودا وعلى جنوبهم وآخرون يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم وقوله لله دره فياهذا لاتحسد المتنعم على ترفه ولا تغبط المتكبر على شرفه وقل له اذا برزت الجحيم وقدم له الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم (وقوله) أليس من الخسران جزار يأكل الميت ومكى لايزور البيت فلا تكن كالجمل الطليح يحمل لغيره أسفارا ولا تك كالحمار يحمل أسفارا (قلت) هذا القدر الذى أوردته هنا كاف فى الاقتباسات التى تليق بمواعظ الخطب فيتعلم بليغ الخطباء منها سلوك الادب ولم يبق الا اظهار نور الاقتباس من مشكاة نور المترسلين فانهم ملوك هذا الشأن ومن استضاء بسحر اقتباسهم قال ان هذا الاسحر مبين (ومن ذلك) قول مالك ازمة هذا الفن القاضى الفاضل من تقريظ ورأيت كل معتاض غيره لصناعة البديع لاهجا بالبدعه خارجا عن الشرعه دارجا فى غير عشه مخرجا ميت القول من طرسه على نعشه فهى المدام ومادون فهم عنها قدام ووفود بلاغة لو وجهت الى الجنة لقال رضوانها ادخلوها بسلام وكل ابنة فكر ماطالعت فكره الاصاح لسان طربه يابشراى هذا غلام وكل غصن ألف وكل همزة حمام وفيها وفيها وأخاف ان أقول ولا أوفيها وليت هذه المحاسن وليت الاسماع وألقت القناع وفى العمر مستمتع وفى قوس الشبيبة منزع ولكن ضاق فتر عن مسير وجاء فضلها الاول فى الزمن الاخير وقد حان أن تخيب فى البلاغة القدحان وأنى وانه قضى الامر الذى فيه تستفتيان (وقوله) لازالت الملوك تنزل لركوبه والسيوف تضحك لقطوبه واسبغ عليه نعمه باطنة وظاهره وكتب له فى الدنيا حسنة وفى الآخره وغض عيون أعدائه فاذاهم بالساهره (وقوله) وقف الخادم على الكتاب فارتقى الى سماء المكرمات وكانت سطوره درجا وأضاءت فى خاطره فما استمدت مدادا ولكن اذكت سرجا ونهجت له طريق السعادة فلله من كتاب لولا الغلو لقلنا من كتاب لم يجعل له عوجا (وقوله) ورد على الخادم الكتاب الكريم فشكره وقربه نجيا ورفعه مكانا عليا وأعاد عليه عصر الشباب وقد بلغ من الكبر عتيا (وقوله) كتبها الخادم وقد أخرجت السماء أثقالها وفتحت من العزالى أقفالها وركضت الرعود لابسة من الغيم جلالها وثوب الليل بالغمام غسيل وسبح الظلام بسيف البروق قتيل وقد زادت السيول الى ان صارت الخيام عليها فواقع وهمهم الرعد قارئا فاستقبلت قبابها بين ساجد وراكع وكأن الصباح قد ذاب فى الليل قطرا وكأن البرق لما ساوى الغمام بين صدفى الليل والنهار قال آتونى أفرغ عليه قطرا (وقوله) ونفذت بلاغته بسلطانها ونفثت بسحر بيانها وصلى القلم بيده فى محراب ومن طرسه على سجادة وجاء منه كتاب لو كان البحر مدادا لما زاده وكم كتاب لايساوى مداده وأخذت الارض زخرفها وحملت من الاسلحة أحرفها وشنت الغارة على السمع والبصر فسلم لها من أسلم وبهت الذى كفر (وقوله) النوبة البغدادية الحديث فيها زائد وناقص والخبر عنها مشوب وخالص وابن أبى عصرون قوم يقولون قد وزر وقوم يقولون كلا لاوزر (وقوله) وقفت على تلك الالفاظ المجنسة التى هى ذرية بعضها

أن يثبت لشئ صفة مدح ويعقب باداة الاستثناء تليها صفة مدح آخر كقوله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش وأصل الاستثناء فى هذا الضرب أن يكون منقطعا لكنه باق على حاله لم يقدر متصلا فلا يفيد التأكيد الامن الوجه الثانى من الوجهين الاولين فلهذا كان الاول أفضل ومن أمثلة الاول قول النابغة الذبيانى قال

من بعض وثمرات الجنة فكلما رزقت منها رزقا قلت كقول أهلها الحمد لله الذي أورثنا الارض (وقوله) ومما يجب ان يعانيه تربية الحمام التي سكنت في البروج فهي أنجم وأعدت كأنها للعاجات فهي أسهم وقد كادت ان تكون من الملائكة فاذا نيطت بها الرقاع صارت أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع (وقوله) وعملوا الابرجة الخشبيه وزحفوا بها الى الابراج الحجريه وخصوصا الى برج يعرف بالذباب ولكن حماه ذباب السيف الاسلامي من الذباب فلم يقدروا ان يستنقذوه وضعفوا عنه فسلبهم أرواحهم وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه (وقوله) والاسلام مد الى ترابه باعا طويلا والى عليه الشرك من ألسنة السيوف قولا ثقيلا وحصون العدو قامت قيامتها فالها اليوم كيوم تكون الجبال كثيبا مهيلا (وقوله) مما كتب به عن السلطان الملك الناصر الى أمير المؤمنين المستضيء بالله وهو سلام قولا من رب رحيم وروح وريحان وجنة نعيم مملوك العتبات الشريفة وعبدها ومن اشتمل على خاطره ولاؤها وودها ينهي أن الله سبحانه شرف ملة الاسلام على الملل ودولة أمير المؤمنين على الدول وقد أقام سيفه حساب الكفرة فاظهر تحريف حسابها ونقلها من ظهور رأسرتها الى بطون ترابها فهل ترى لهم من باقيه أو تسمع لهم من لاغيه وظلت أقعاف بني حام تحت غربان الفلاة غربانا وشوهدت ظلمات بعضها فوق بعض أفعالا وألوانا وعزت سيوف الاسلام فظلت أعناقهم لها خاضعين وعوتبت منهم الانفس والرؤس فقالتا أتينا طائعين (ومن اقتباسات القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر البديعة قوله) من رسالة التي كتبها عن السلطان الملك الظاهر الى شمس الدين آق سنقر الفارقاني جوابا عن كتابه الذي أرسله بفتوح النوبة لما توجه اليها من الديار المصرية (وهو) أدام الله نعمة المجلس ولا زالت عزائمه مرهوبه وغنائمه مجلوبة ومحبوبه وسطاه وخطاه هذي تكفي الذوب وهذه تفتح أرض النوبه ولا برحت وطأته على الكفار مشتده وآمالها الهلاك الاعداء كرماحه ممتده ولا عدمت الدولة بيض سيوفه التي يرى بها الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة صدرت هذه المكاتبة الى المجلس تثني على عزائمه التي دلت على كل أمر رشيد وأتت على كل جبار عنيد وحكمت بعدل السيف في كل عبد سوء وما ربك بظلام للعبيد والله يشكر تفاصيل همم المجلس وجملها وآخر غزواته وأولها واذا انسلخ نهار سيفه من ليل هذا العدو يعود سالما الى مستقره والشمس تجري لمستقرلها (وقوله) في وصية العهد الشريف الذي انشأه للسلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل عن والده الملك المنصور قلاوون الصالحي رحمه الله وهو والشرع الشريف هو قانون الحق المتبع ومامون الامر المستمع به يتمسك من يمتار ويمتاز وهو جنة والباطل نار فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (ومن ذلك) اقتباس العلامة أبي طاهر اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهاني في رسالة القوس وهو صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم (ومن ذلك) ما أورده الشيخ جمال الدين بن نباتة من الاقتباسات البديعة في رسالة السيف والقلم فرقي الانامل على أعواده وقام خطيبا بمحاسنه في خلعة سواده والتفت الى السيف فقال بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون الحمد لله الذي علم بالقلم وشرفه بالقسم وخط به ما قدر وقسم وصلى الله على سيدنا محمد القائل جف القلم بما هو كائن وعلى آله وصحبه ذوي المجد البين وكل مجد بائن صلاة واضحة السطور رافحة أدراج الصدور ما نقلت عن صحائف البحار غواديها وكتبت أقلام النور على مهارق الرياض حكمة باريها أما بعد فان القلم منار الدين والدنيا وقصبة سباق ذوي الدرجة العليا ومفتاح باب اليمن المجرب اذا أعيي وسفير الملك المحجب وعذيق الملك المرجب وزمام أموره السائره وقادمة أجنحته الطائره وأعلة الهدى المشيرة الى ذخائر الدنيا

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب
ومن أمثلة الضرب الثاني قول النابغة الجعدي
فتى كملت أوصافه غير أنه
جواد فما يبقى على المال باقيا
انتهى والنوع واضح في بيتي وهو من الضرب الاول والله أعلم وبالله التوفيق وهذا البيت معدود من الانسجام والله أعلم

والآخرة

والآخره به رقم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التى تهذب الخواطر الخواطل فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنه وحسبه ماجرى على يده الشريفة من منه ان نظمت فرائد العلوم فالقلم سلكها وان علت أسرة الكتب فانما هو ملكها هذا وهو الجارى بما أمر الله به من العدل والاحسان والمسود الناظر فكانما هو لعين الرأى انسان طالما قاتل على البعد والصوارم فى القرب وأوتى من المعجزات نوعا من النصر والرعب لا يعاديه الا من سفه نفسه ولبس لبسه وطبع على قلبه وفل الجدال من غربه وكيف يعادى من اذا كرع من نقسه فقل انا أعطيناك الكوثر واذا كرشانئه فقل ان شانئك هو الابتر فعندذلك نهض السيف مجلا وتلمظ لسانه للقول مرتجلا وقال بسم الله الرحمن الرحيم وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرع حدها فى ذوى العصيان فاغصتهم بماء الحتوف وشيد بهام اتب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وعقد مرصوف وصلى الله على سيدنا محمد هازم الالوف وعلى آله وأصحابه الذين طالما محوا بربق الصوارم من سطور الصفوف وسلم أما بعد فان السيف زند الحق القوى وزنده الورى به أظهر الله الاسلام وقد جنح خفاء وجلا شخص الدين الحنيفى وقد جمح جفاء وأجرى سيوله بالاباطح فاما الحق فمكث وأما الباطل فذهب جفاء وحملته اليد الشريفة النبويه وخصته على الاقلام بهذه المزيه وأطلعته فى ليالى النقع والشك سراجا وهاجا وفتح باب الدين الى أن دخلت فيه الناس أفواجا فهو ذو العزم الثاقب وسماء المجد الذى زينت آثاره بزينة الكواكب والحد الذى كانه ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب تحسم به ادواء الفتن المضلة وتحذف همه الجازمة حروف العله ويجى من سماء القتام بالضرب فقل يسألونك عن الاهله يجاس على رؤس الاعداء قهرا ويصرع ابناء الشجاعة قائلا للقلم ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا وهل يفاخر من وقف الموت على بابه وعضت الحرب الضروس بنابه وقذف شياطين القراع بشهبه ومنح آيات شريفة منها طلوع الشمس من غربه ومنها ان الله أنشأ برقه وكان للمارد مصرعا وللرائد مرتعا ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا فقام القلم فى دواته وقعد واضطرب على وجه القرطاس وارتعد وانحرف الى السيف وقال أيها المضمر بطبعه المغر بجمعه الناقض حبل الانس بقطعه الناسخ بهجره من ظلال العيش فيأ السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ الحبيس الذى طالما عادت عليه عوائد شره الكمين الابليس الذى لو أمر لى بالسجود لقال خلقتنى من نار وخلقته من طين فاقطع عنك أسباب المفاخره واستر من نابك فى هذه المكاثره فما يحسن بالصامت محاورة المفصح والله يعلم المفسد من المصلح أولست الذى قيل فيه

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة • ويستحل دم الحجاج فى الحرم

فدع عنك هذا الفخر المديد وتأمل قدرى اذا كشف عنك الغطاء فبصرك اليوم حديد قلت ولولا خشية الاطالة لاوردت هنا رسالة السيف والقلم بكمالها ولكن فى هذا القدر من نور اقتباسه مايهتدى به الاعشى ويستغنى بانشائه عن سلافة الانشاء ومن غريب اقتباسات الشيخ جمال الدين أيضا ما كتب به مع منقد نحاس (وهو قوله فيه) طالما جددت معاشرته ولذت فى الليالى مسامرته وأطلع من أفقه نجوما سعيدة القران وتلا على الريح والنلج يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران (ومن ذلك) بديع الاقتباس للشيخ زين الدين بن الوردى فى خطبته فى الكلام على المائة غلام (وهو) لعمرى ما أنصفنى من أساء بى الظن وقال انى رضيت مع درجة العلم بهذا الفن والصحابة كانوا ينظمون وينثرون ونعوذ بالله من قوم لا يشعرون (ومن ذلك) قوله فى

سادوا المعالى بخير الخلق فى أزل
حازوا الامانى بأوفى الناس للذمم

*(الازدواج)
(طه الذى ان أخف ذنبى ولذت به
آمنت خوفى ونجانى من النقم)

قال السكاكى ومن تبعه هو أن يزاوج المتكلم بين معنيين فى الشرط والجزاء كقول البحترى
اذا ما نهى الناهى ولج بى الهوى

توقيع عدالة بعض الشهود بحلب المحروسة (وهو) الحمد لله الذي شاد رتبة العدالة وحماها وجعلها همة من شرفت نفسه فزكت وقد أفلح من زكاها وعصمة من فرقة فى قلوب الحكام من نار تلد ليسهم وقود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (ومن ذلك) ما كتب به عنه وعن أخيه يوسف واذا عنى الصاحب بالاخ رفقا واحسانا تلوناهذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا والله يعلينا بعلوك ويبلغنا مرجونا ببلوغ مرجوك حتى يقول أولاد الصاحب عنا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا (ومن ذلك) ما كتب به بقية السلف الشيخ زين الدين أبو بكر العجمى على قصيدتى الكافية البرهانية تقريظا أشرقت أقطار الادب بنور اقتباسه والاقتباس فى التقريظ فياله من قصيد ردعيون أعيان هذه الصناعة من الحياء مطرقه تائبة على من قاسها بامرئ القيس فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقه (ومن ذلك) ما كتب به الشيخ برهان الدين القيراطى الى الشيخ جمال الدين بن نباتة يقبل الارض التى سقت السماء نباتها وعمر الله بمعانى الحسن أبياتها (منها) فلا غرو ان فضح بديع الزمان بلفظه البديع وأزهرت الاوراق بمنثور رسائله التى كل فصل منها ربيع وخجلت صفحة الخد المنمنمة بطراز العذار المرقوم وقالت الكئوس حين شبهت فى امالة الاعطاف بالفاظه وما منا الا له مقام معلوم (منها) فسبحان من أسرى بها فى ارسل نقسها الى المحل الاقصى وحباها بالفضل الذى لا يحصى وأنبت دوحتها فى رياض الفصاحه وغمق حدائقها التى لو فتح النرجس عينه فى عينها انسب الى الوقاحه فتبارك الذى جعل فى سماء دوحته لشمس بلاغته بروجا وأعلى هممه التى لا ترضى الشهب جيادا والاهلة سروجا حتى أقام براع قلمه لسوق الادب قصبه وشاد من قصائده كل بيت اذا م الحاسد ببابه قبل العتبه وسارت كالسبعة السيارة مصنفاته وعلت من قصره المشيد بسينات سطوره شرفاته وفديت بالمباسم والقدود ميماته وألفاته وزهت امداحه المؤيدية فاصبحت بيوته المرفوعة ذات العماد وراقت محاسنها التى لم يخلق مثلها فى البلاد وفضحت لسهلها الممتنع أدباء العصر الذين جابوا الصخر بالواد (منها) طالما سرح الناظر فى بستانها منظره ورام ابن سكرة فتح الابواب لمعارضة قطرها النباتى فوجدها مسكره وعلم المتنبى ان هذا خاتم الادباء لا محاله والمترسل الذى نهض دونه باعباء كل رساله وأقام بتقدمها على غيرها براهين الاحتجاج وقال المحبى عند ما قابل بحرها الحلو بحره هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن ذلك ما نقلته من خط الصاحب فخر الدين بن مكانس تغمده الله برحمته (وهو) ورد علينا شخص من أهل القير وان ضرير يسمى عبد الله الزغبى يتعاطى نظم الشعر المقفى الموزون الخالى عن المعانى فتردد الى فى مجالس متفرقة ثم بلغنى انه وشى الى صاحبنا الشيخ زين الدين بن أبى بكر العجمى عين كتاب الانشاء الشريف بانى اهتضمت جانبه وانتقصته وغضضت منه بالنسبة الى الادب وانه يستعين بكلام الغير كثيرا فتأذى من ذلك وتأذيت من كذب الناقل فكتبت ليس على الاعمى حرج بلغنى ٣ بلغ الله سيدنا ومولانا الامام العالم العلامة الاديب الشاعر الناظم الناثر المحقق الأمه الكاتب الحجة زين الدنيا والدين قرة عين الكرام الكاتبين أقصى ماينتهى اليه تنافس المتنافس وتبتهج به صدور الاولياء والرؤساء والمجالس ولا زال زينة يحلى به العاطل ويظل تحت جناح أدبه القائل من غيبة ذلك الضرير ٣ ما لا اخشى الله فيه بظهر الغيب ونقل الى المسامع الكريمة ما لا يحتاج للاعتذار عنه لما فيه من الريب ولكن لا غنى لسيف ذهن المملوك الكليل من التنصل ولا بد من نهلة اعتذار على سبيل التعلل وكان المملوك يترقب سببا للمطارحة فهذا المغتاب الآن صار عنده محمودا اذ كان السبب لحسن التوسل الى صناعة الترسل (منها) فلو اختلف الادباء على امام لاهل هذه الصناعة مطهر من الارجاس لقال لهم لسان البلاغة مروا أبا بكر فليصل بالناس فكيف يسوغ للمملوك ان يدعى غير هذا وكيف ولم

أصاخت الى الواشى فلج بها الهجر
وكقول الآخر
اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعها
وبهذا التنبيه علم المقصود من هذا النوع وهو واضح فى بيتى والله أعلم
(التصريع)
(ولا طمعت الى شئ من الكرم
الا وبلغنى فوق الذى أرم)
قال العلامة ابن حجة رحمه

ولماذا أحسد اعلى الادب فما أهجرني له من حصر الصبا بحمد الله وما أغناني أو تفاخرا بالنظم فما أشغلني عنه بتدبير الممالك بما اعناني نعم وان كان جوهر الالفاظ مما يحسد عليه فما أزهدني والله في هذا العرض الفاني (منها) والمسؤل من احسانه أمران (أحدهما) الجواب فانه يقوم عند المملوك مقام الفرج من هذه الشده والآخر دكل فاسق عن الباب العالي فان أبا بكر أول من تصلب في الرده وبلغ المملوك ان هذا الضرير قصد بعض الاصحاب برمية كهذه فاصمى وتردد اليه مرة أخرى فعبس وتولى أن جاءه الاعمى (ومن ذلك) ما كتب به الى المقر الصاحبي الفخري المشار اليه بعد توجهي من خدمته الى دمشق المحروسة ومشاهدتي ما قدر الله عليها من الحريق والحصار من قبل الملك الظاهر سنة احدى وتسعين وسبعمائة وهذه الرسالة التي سارت بها الركبان وجاء لبديع الاقتباس في معانيها بيان (وهي) يقبل الارض التي من عمها أو تيمم بترابها حصل له الفخر والمجد فلا برح هيام الوفود الى أبوابها أكثر من هيمان العرب الى ربا نجد ولا زالت فحول الشعراء تطلق أعنة ألفاظها وتركض في ذلك المضمار وتهيم بواديها الذي يجب ان ترفع فيه على أعمدة المدائح بيوت الاشعار وينهي بعد أشواق أمست العين بها في مجاري العين معثره ولولم يقرانسانها برسلات الدمع لقلت في حقه قتل الانسان ما أكفره وصول المملوك الى دمشق المحروسة فيا ليته قبض قبل ان يكتب عليه ذلك الوصول ودخوله اليها والله لقد تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول (منها) وتطرقت بعد ذلك الى الحدادين ولقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد آتوني زبر الحديد ولقد كان يوم حريقها يوما عبوسا قمطريرا ضج المسلمون فيه من الخيفة وقد رأوا اسلاسلا وأغلالا وسعيرا يا مولاي لقد ابست دمشق في هذه المآتم السواد وطبخت قلوب أهلها وسلقوا من الاسنة بالسنة حداد ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستنشقوا فلم ينشقوا رائحة الغاديه وكم رؤى في ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حاميه وكم رجل تلا عند لهيب بيته تبت يدى أبي لهب وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب (منها) ونظرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا أزفت الآزفه وستروا بروجها من الطارق بتلك الستائر وهم يقولون ليس لها من دون الله كاشفه (منها) وتطاولت الى السور المشرف وقد فضل في علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات فلو وقفنا على باب الاوحد نالم يترك خلفه لصاحب المفتاح تلخيصا لما أبداه من المشكلات فلو رأيتك لو نظرته يوم الحرب وقد تصاعدت فيه أنفاس الرجال لقلت ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد والى المحاصرين وقد جاؤا فارسا وراجلا ليشهدوا القتال لقلت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والى كواكب الاسنة وقد انتثرت والى قبور الشهداء وهي من تحت أرجل الخيل قد بعثرت والى كر الفوارس وفرها لقلت علمت نفس ما قدمت وأخرت (منها) وتصفحت بعد ذلك فاتحة باب النصر فعوذته بالاخلاص وزدت لله شكرا وحمدا وتأملت أهل الباب وهم يتلون لاهل البلد سورة الفتح وللمحاصرين وجعلنا من بين أيديهم سدا وكم طلبوا فتحه ولم يجدوا لهم طاقة وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب (منها) هذا وكم من مؤمن قوم خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطاب الفرار وكلما دعاه قوم لما اعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار يا قوم ما لي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار (منها) فاعيذ ما بقي من السبعة بالسبع المثاني والقرآن العظيم فكم رأينا بها يعقوب حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم (منها) وتوصلت الى ظاهر كيسان فانفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الازهار والدراهم ربا ها وكابرت الى أطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها (منها) هذا وكم خائف قبل اليوم آوينا ها الى ربوة ذات قرار وكم كان بها مطرب طير خرج بعدما كان

الله التصريع عبارة عن استواء آخر جزء في صدر البيت وآخر جزء في عجزه في الوزن والروى والاعراب وهو أليق ما يكون بمطالع القصائد وفي وسطها وربما عمه الاسماع وهذا وقع في معلقة امرئ القيس فانه صرع المطلع فقال

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

بطرب على عود وطار وأضحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيرة ولقد كان أهلها فى ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة (ومن ذلك) ماأنشأته قديما فى توقيع لمولانا قاضى القضاة علاء الدين عالم المسلمين أبى الحسن على الحنبلى جمل الله الوجود بوجوده بنظر البيمارستان النورى بحماة المحروسة والذى أوردته فى التوقيع من الاقتباسات البديعة قولى وصفت مشارب الصفاء بعد الكدر وسقاهم ربهم شرابا طهورا وتلا من سعى لهم فى ذلك وجزى بالخيرات ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ودار شراب العافية على أهل تلك الحضرة بالطاس والكاس وحصل لهم البرء من تلك البرانى التى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وتمشت الصحة فى مفاصل ضعفائه وقيل لهم جوزيتم بما صبرتم وامتدت مقاصيرهم وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم (ومن ذلك) مااقتبسته فى ديباجة عهد مولانا أمير المؤمنين المعتضد بالله زاده الله شرفا وتعظيما وهو الحمد لله الذى شد عضد هذه الامة بمن أمسى به معتضدا واسعفنا من البيت النبوى بخليفة مابرح شيخ الملوك فى تقديم بيته الشريف مجتهدا وأقام العلم العباسى بعد أبى مسلم بابى النصر فاكرم بحسن الختام وحسن الابتدا ونكرر حمده على سلطان مؤيد أنجب به العلماء الاعلام وظهر جلالهم فى أيامه الزاهرة بهجة فقال هذا زمان مشايخ الاسلام نحمده على حكمته التى اقتضت ان تكون الخلافة عمدة الاحكام يزول بها الالتباس وهو القائل تعالى ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس (ومن ذلك) مااقتبسته فى عهد مولانا السلطان الملك الظاهر ططر بقولى منه فان البغاة بنت لاحتجاب السلطنة عنه سدا أسسته على الطغيان فقيل لاهل البيعة قد فتح الله لابى الفتح فانفذوا الا تنفذون الا بسلطان (ومن ذلك) مااقتبسته فى مثال شريف مؤيدى كان جوابا للقرا يوسف ونبدى لعلمه الشريف ورود البشير بالقرب اليوسفى وقد حل بالاسماع قبل رؤيته تشنف وهبت نسمات قبوله فاطفأت مافى القلوب من التلهف وضاع نشرها اليوسفى فقال شوقنا اليعقوبى انى لاجد ريح يوسف وهذه الفة خولتنا فى نعم الله وزمام الاخوة منقاد الينا وقد تعين على المقر أن يقول أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا (واتفق لى) فى تقليد قاضى القضاة ولى الدين العراقى اقتباسات بديعة (منها) وكم قال هذا المنصب رب قد اضعفنى اليتم وصار الباطل قويا فهب لى من لدنك وليا (ومنها) واعاذنا الله من ولاية قوم يسمعون بينة الحق واذا اجتمعوا على الرشوات تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات (ومن ذلك) ماكتبته على ديوان المقر البارعى الكاملى الادبى العمادى اسمعيل بن الصائغ الحلبى أحد أعيان كتاب الانشاء الشريف الذى عارض به ديوان الصبابة للشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة رحمه الله وهو وقفت على هذا الكتاب الذى رفع عماد الادب فى هذا الجيل وشرعت فى ذكر محاسنه فقال لسان القلم واذكر فى الكتاب اسمعيل (ومنه) واما ابن حجة فقد ندب الى الوقفة على عرفات هذا الفضل المعروف والامتثال هنا واجب ولكن الكف صفر والطريق مخوف هذا وقد ذوت من حدائق فكرى زهرة الشباب واختفى لسانى كما قال ابن نباتة واغلق عليه من شفتيه مصراعى باب وخد جر القريحة وجمد ذلك الذهن السيال ونأى عن خدمتى كافور الطروس وعنبر المداد وصواب المقال ولكن هبت على نسمات الشبيبة من دوحة هذا المصنف الجليل فقلت وقد شبت نار القريحة وأملت على هذا الوصف الجميل الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل وهذا القدر الذى أوردته كاف هنا فى الاقتباس من القرآن فانى أخشى باب الملالة ولكن عن لى ان أفرد كتابا واسميه رفع الالتباس عن بديع الاقتباس وقد تقدم وتقرر أيضا انه ان جاء فى المنظوم فهو عقد وتضمين وان كان فى المنثور فهو اقتباس وقد أوسع بعض علماء هذا الفن المجال فى ذلك

وقال فى أثنائها
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى
بصبح وماالاصباح منك بامثل
قال العلامة ابن حجة رحمه الله هذا النوع ليس فيه كبير أمر ولكن القوم لما رغبوا فى الكثرة تغالوا فى الرخص انتهى والنوع واضح فى بيتى والله أعلم

فذكر

فذكر ان الاقتباس يكون فى مسائل الفقه وقال بعضهم اذا قلنا بذلك فلا معنى للاقتصار على مسائل الفقه بل يكون فى غيره من العلوم وعلى هذا التقدير تعين ان نورد هنا ماوقع من الاقتباس فى الحديث النبوى وبقية العلوم بحيث لا يخلو هذا الشرح الغريب من الغرائب فان الظاهر من كلامهم ان الاقتباس مقصور على القرآن والحديث فمما وقع من الحديث النبوى قول الصاحب بن عباد

أقول وقد رأيت له سحابا * من الهجران مقبلة الينا
وقد سحت غواديها بهطل * حوالينا الصدود ولا علينا

الصاحب اقتبس من قوله عليه الصلاة والسلام حين استسقى وحصل نزول مطر عظيم اللهم حوالينا ولا علينا (ومنه) قول أبى الحسن على بن المفرج المنجم لما احترقت دار الوجيه بن صورة بمصر

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها مارج يتضرم
كذا كل مال أصله من نهاوش * فعما قليل فى نهابر يعدم
وماهو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم من أصاب مالا من نهاوش أهلكه الله فى نهابر النهاوش بالنون المظالم والنهابر المهالك الواحد نهبور (ومنه) قول شمس الدين محمد بن عبد الكريم الموصلى

ومنكر قتل شهيد الهوى * ووجهه ينبئ عن حاله
اللون لون الدم من خده * والريح ريح المسك من خاله

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم فى وصف دم الشهيد اللون لون الدم والريح ريح المسك ومن اقتباسات الحديث فى النثر قول الحريرى فى المقامات انما الاعمال بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات ومنه قوله شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وقد رمى الكفار بكف من الحصى شاهت الوجوه ويعجبنى من المنظوم هذا قول الشيخ شهاب الدين أبى جعفر بن مالك الاندلسى الغرناطى

لا تعاد الناس فى أوطانهم * قلما يرعى غريب فى الوطن
واذا ماشئت عيشا بينهم * خالق الناس بخلق ذى حسن

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم لابى ذر اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وهذا الحديث حديث صحيح ومن الاقتباس فى مسائل الفقه فى المنظوم قول بعضهم

أقول لشادن فى الحسن اضحى * يصيد بلحظه قلب الكمى
ملكت الحسن اجمع فى نصاب * فادز كاة منظرك البهى
فقال أبو حنيفة لى امام * يرى ان لا زكاة على الصبى
وان تك مالكى الرأى أومن * يرى رأى الامام الشافعى
فلا تك طالبا منى زكاة * فاخراج الزكاة على الولى

ومثله قول أبى العلاء أحمد بن سليمان المعرى

اياجارة البيت الممنع جاره * غدوت ومن لى عندكم بمقيل
لغيرى زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكرى ابن سبيل

ومما ينسب الى الامام الشافعى رحمه الله

خذوا بدمى هذا الغزال فانه * رمانى بسهمى مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه اننى انا عبده * وفى مذهبى لا يقتل الحر بالعبد

ومنه قول القاضى عبد الوهاب المالكى

يزرع وردا ناضرا ناظرى * فى وجنة كالقمر الطالع

(الفرائد)

﴿ماهبت الريح الاشمت برق وفا لى فيه وبل عطا من ديمة النعم﴾

قال العلامة ابن حجة رحمه الله الفرائد نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة لان المراد منه أن يأتى الناظم أو الناثر بلفظة فصيحة من كلام

فلم حرمتم شفتى قطفها * والحكم ان الزرع للزارع

وله أيضا ونائمـة قبلتها فانتبهـت * وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد

فقلت لها انى فديتك غاصب * وما حكموا فى غاصب بسوى الرد

ومنه قول أبى الطيب المتنبى

بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه

قفى تغرمى الاولى من اللحظ مهجتى * بثانيـة والمتلف الشئ غارمه

المعنى ان النظرة الاولى اتلفت مهجتى فلزم غرمها بنظرة ثانية لانه من أتلف شيأ حكم عليه بغرمه ولكن فى التركيب قلق وعقادة (ومنه) قول شمس الدين محمد بن جابر الاندلسى رحمه الله تعالى

طلبت زكاة الحسن منها لخاوبت * اليك فهذا اليس تدركه منى

على ديون للعيون فـلا ترم * زكاة فان الدين يسقطها عنى

ومنه قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل

ياسيدى ان جرى من مدمعى ودمى * للعين والقلب مسفوح ومسفول

لا تخش من قود يقتص منك به * فاعين جارية والقلب مملول

ومن الاقتباسات فى علم المنطق قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى

للمنطقيين اشتكى أبدا * عين رقيب فليته هجعا

صادرها من أحبه فأبى * ان تختلى ساعة ونجتمعا

كيف غدت دائما وما انفصلت * مانعة الجمع والخلو معا

وهذه الابيات فى غاية الحسن ولكن أورد بعضهم ايرادا وقال ظاهر كلامه التعجب من هذه القضية والمراد فى مثل هذا ان يتعجب مما خرج عن القواعد وهذه القضية موجودة مستعملة وذلك قولهم العدد اما زوج واما فرد فهذه القضيـة مانعة الجمع فان الزوجية والفردية لا يجتمعان ومانعة الخلو فان العدد لا يخلو من أحدهما فلا معنى للتعجب ومنه قول بعضهم

مقدمات الرقيب كيف غدت * عند لقاء الحبيب متصله

تمنعنا الجمع والخلو معا * وانما ذاك حكم منفصله

هذا تعجب مما يسوغ التعجب منه لان منع الجمع لا يكون فى المتصلة وانما هو فى حكم المنفصلة وأما الاقتباس فى علم الجدل فمنه قول شمس الدين بن العفيف

وما بال برهان العـذار مسلما * ويلزمـه دور وفيه تسلسل

وعندى ان الشمس بالصحو آذنت * وسكرى أراه من محيالك يقبل

وأما الاقتباس من علم النحو فقد اتسع مجالهم فيـه حتى غلب على غالبهم التوجيه فمنه قول أبى الطيب حولى بكل مكان منهم حلق * تخطى اذا جئت فى استفهامها بمن

أبو الطيب يقول اذا استفهمت عن مثل هؤلاء الاقوام لا تستفهم بمن لان من لمن يعقل وهؤلاء عندى بمنزلة ما لا يعقل فحقهم ان يستفهم عنهم بما ومنه قوله

اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

يقول اذا هم بفعل أوقعه قبل ان يمنع وينهى عنه ويقال له لا تفعل أو ينفى فيقال لم يفعل ومنه قول ابن عنين فى معزول

فلا تغضبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفه

ومنه قول ابن أبى الاصبع فى ذلك

أيا قمرا من حسن وجنته لنا * وظل عذاريه الضحى والاصائل

العرب العرباء تنزل من الكلام منزلة الفريدة من العقد تدل على فصاحة المتكلم بحيث لو سقطت تلك اللفظة من الكلام لم يسد غيرها مسدها كقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم قوله تعالى الرفث فريدة لا يقوم غيرها مقامها وكقوله تعالى هى

جملتك للتمييز نصبا الناظرى * فهلا رفعت الهجر فالهجر فاعل

قلت ومن أغرب ما وقع فى هذا الباب أن شرف الدين محمد بن عنين مرض فكتب الى الملك المعظم هذين البيتين

انظر الىّ بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى

انا كالذى أحتاج ما يحتاجه * فاغنم ثنائى والدعاء الوافى

فجاءه الملك المعظم يعوده ومعه ألف دينار وقال له أنت الذى وانا العائد وهذه الصلة ومنه قول البهاء زهير

يا الف امن قده أقبلت * بالله كونى ألف الوصل

ومنه قول الامير امين الدين على السليمانى

أضيف الدجا معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ماخص بالجر

وحاجبه نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

ومنه قول شمس الدين بن العفيف

يا ساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواه ثانى

لاىّ معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

أما البيتان فانهما فى غاية اللطف ولكن أوردوا عليهما أيضا ايرادا حسنا وهو أن الساكنين اذا اجتمعا كسر أحدهما وهو الاول وكلامه فى البيتين أن المكسور غير الاثنين ومنه قول ابن الوردى

شاعر أخرج نصفا زغلا * عند خباز فلما أن عرف

قال لم تصرف هذا قال مه * يصرف الشاعر ما لا ينصرف

قلت قد أتيت فى معنى هذه النكتة بما هو أبدع من بيت زين الدين بن الوردى وما ذاك الا أن مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف رحمه الله أحالنى على شهاب الدين الذهبى بخمسين دينارا ومطل بها مدة فكتبت اليه

قد منعتم صرف الدنانير عنى * ولكم فى الورى هبات كثيره

وانا شاعر وفى شرع نظمى * صرفها جائز لاجل الضروره

ويعجبنى فى هذا الباب الى الغاية قول الشيخ زين الدين بن الوردى رحمه الله تعالى

وأغيد يسألنى * ما المبتدا والخبر

مثلهما لى مسرعا * فقلت أنت القمر

وحكى أنه كان بالعراق غلامان أحدهما اسمه عمر والآخر أحمد فعزل عمر عن عمله وولى أحمد مكانه بسبب مال وزنه فقال بعض الشعراء فى ذلك

أيا عمر استعد لغير هذا * فأحمد فى الولاية مطمئن

وكل منكما كف كريم * ومنع الصرف فيه كما يظن

فيصدق فيك معرفة وعدل * وأحمد فيه معرفة ووزن

ومنه قول الفاضل

لى عندكم دين ولكن هل له * من طالب وفؤادى المرهون

فكأننى ألف ولام فى الهوى * وكان موعد وصلك التنوين

ويعجبنى فى الاقتباس من علم العروض قول القائل

وبقلبى من الجفاء مديد * وبسيط ووافر وطويل

لم أكن عالما بذاك الى أن * قطع القلب بالفراق الخليل

عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى فقوله سبحانه وتعالى أهش فريدة يعز على الفصحاء الاتيان بمثلها مكانها ومن النظم قول عنترة فى معلقته

يا دار عبلة بالجواء تكلمى وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

فقوله وعمى صباحا فريدة فى بابها انتهى والفريدة فى

وهذا القدر كاف فى الاقتباس من القرآن والحديث النبوى ومسائل الفقه والمنطق وعلم العربية والعروض وغيره وقد تقدم ان الاقتباس مقصور على القرآن والحديث فى النثر وأما فى النظم فهو عبارة عن عقد وتضمين ونظام البديعيات لم يقتبسوا من غير القرآن * وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

هذى عصاى التى فيها مآرب لى * وقد أهش بها طورا على غنمى

وبيت العميان

ذو مرة فاستوى حتى دنا فرأى * وقيل سل تعط قد خيرت فاحتكم

وبيت الشيخ عز الدين

فاصبحوا لاترى الامساكنهم * ولا اقتباس برى من هذه الاطم

وبيت بديعيتى قولى

وقلت ياليت قومى يعلمون بما * قد نلت كى يحظونى باقتباسهم

﴿ذكر السهولة﴾

يارب سهل طريقى فى زيارته * من قبل ان تعتريني شدة الهرم

السهولة ذكرها التيفاشى مضافة الى باب الظرافة وشركها قوم بالانسجام وذكرها ابن سنان الخفاجى فى كتاب سر الفصاحة فقال فى مجمل كلامه هو خلوص اللفظ من التكلف والتعقيد والتعسف أى السبك وقال التيفاشى السهولة ان يأتى الشاعر بالفاظ سهلة تتميز على ماسواها عند من له دنى ذوق من أهل الادب وهى تدل على رقة الحاشية وحسن الطبع وسلامة الروية ومن ألطف الامثلة قول الشاعر

أليس وعدتنى ياقلب أنى * اذا ماتبت عن ليلى تتوب

فها أنا تائب عن حب ليلى * فمالك كلما ذكرت تذوب

ومنه قول أبى العتاهية

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

ومذهبى ان البهاء زهير قائد عنان هذا النوع وفارس ميدانه فمن ذلك قوله

ومدام من رضاب * بحباب من ثنايا

كان ما كان ومنه * بعد فى النفس بقايا

ومثله قوله

ان أمرى لعجيب * مارى أعجب منه

كل أرض لى فيها * غائب أسأل عنه

ومثله قوله

شوقى اليك شديد * كما علمت وأزيد

وكيف تنكر شيأ * به ضميرك يشهد

ومثله قوله

أوحشتنى والله يامالكى * قطعت يومى كله لم أرك

هذا جفاء منك ما اعتدته * فليتنى أعرف من غيرك

ومثله قوله

سيدى قلبى عندك * سيدى أوحشت عبدك

أترى تذكر عهدى * مثل ما أذكر عهدك

أترى تحفظ ودى * مثل ما أحفظ ودك

قم بنا ان شئت عندى * مسرعا أوشئت عندك

أنا فى دارى وحدى * فتفضل أنت وحدك

(ذكر السهولة)
بيتى لفظة شمت والله أعلم

﴿براعة المطلب﴾

(يا أكرم الرسل سؤلى فيك غير خف
وأنت أكرم مدعو الى الكرم)

هذا النوع من مستخرجات الشيخ عز الدين الزنجانى فى كتابه المعيار وهو ان يلوح الطالب بالطلب

ومنه قوله
هـذا كتاب محب * قد زادفيك غرامه
أضناه فرط اشتياق * فرق حتى كلامه
أماترى كيف أضحى * مثل النسيم سلامه

ومنه قوله
كأنى والمدام فى فمه * قد نفدت من حباب مبسمه
وماس كالغصن فى غمايله * سكران يشتط فى تحكمه
بالله يابرق هل تحدثه * عن ناروجدى وعن تضرمه
وهل نسيم سرى يبلغه * رسالة من فمى الى فمه
عجبت من بخله على وما * يذكره الناس من تكرمه
هم علموه فصار يهجرنى * رب خذا الحق من معلمه

وقال ويكاد يسيل رقة وسهولة وهو
كتبت اليك أشكوفى كتابى * أمورا من فراقك أشتكيها
وفى سوق الهوان عرضت نفسى * رخيصا لم أجد من يشتريها
فهل وعد الى سنة فان لم * يكن فيها يكن فيما يليها
وقد أنهيت من شوقى فصولا * لمولانا علو الرأى فيها

ومثله فى الرقة والسهولة قوله
ملكتمونى رخيصا * فانحط قدرى لديكم
فاغلق الله بابا * دخلت منه اليكم
حتى ولا كيف أنتم * ولا السلام عليكم

والطف منه قوله
أنا أدرى بأننى * قل قسمى لديكم
فالى كم تطلعى * والتفاتى اليكم
كان ما كان بيننا * وسلام عليكم

والطف منه قوله
اما تقررانا * فلم تأخرت عنا
وما الذى كان حتى * حلت ماقدعقدنا
ولم يكن لك عذر * ولو يكون علمنا
فلا تلمنا فانا * قلنا وقلنا وقلنا

ومنه قوله
قال ما ترجع عنى قلت لا * قال ما تطلب منى قلت شى
فانثنى يحمرمنى خجلا * وثناه التيه عنى لا الى
كدت بين الناس أن ألثمه * آه لو أفعل ما كان على

ومنه قوله
قالوا كبرت عن الصبا * وقطعت تلك الناحيه
فدع الصبا لرجاله * واخلع ثياب العاريه
ونعم كبرت وانما * تلك الشمائل باقيه
ويميلنى نحو الصبا * قلب رقيق الحاشيه
فيه من الطرب القديـ * ـم بقيه فى الزاويه

وقال وزنا وقافية وسال رقته
من لى بقلب أشتريـ * ـه من القلوب القاسيه
واليك يامالك الملا * ح وقفت أشكو حاليه
انى لاطلب حاجة * ايست عليك بخافيه

بالفاظ عذبة منقحة
مقترنة بتعظيم الممدوح
خالية من الالحاف والتصريح
بل يشعربها فى النفس
دون كشفه كقول المتنبى
وفى النفس حاجات وفيك
فطانة
سكوتى بيان عندها
وخطاب
ولا يخفى على ذوى الاذواق
السليمة وقوع هذا النوع

انعم على بقبلة * هبة والاعاريه
وأعيدها لك لاعدمت بعينها وكما هيه
واذا أردت زيادة * خذها ونفسي راضيه

ومنه قوله

ان شكا القلب هجركم * مهد الحب عذركم
لو أمرتم بما عسى * ماتعديت أمركم
قصروا عمر ذا الجفا * طول الله عمركم
شرفونى بزورة * شرف الله قدركم
كنت أرجو بأنكم * شهركم لى ودهركم
قد نسيتم وانما * أنالم أنس ذكركم
لو رأيتم محلكم * من فؤادى اسركم
لو وصلتم محبكم * ماالذى كان ضركم

ومن المرقص فى هذا الباب قوله

تعيش أنت وتبقى * أنا الذى مت عشقا
حاشاك يانور عينى * تلقى الذى أنا ألقى
ولم أجد بين موتى * وبين هجرك فرقا
ياأنعم الناس بالا * الى متى فيك أشقى
سمعت عنك حديثا * يارب لا كان صدقا
وما عهدتك الا * من اكرم الناس خلقا
لك الحياة فانى * أموت لاشك حقا
باالف مولاى مهلا * ياالف مولاى رفقا
قدكان ما كان منى * والله خير وأبقى

وبيت الشيخ صفى الدين فى السهولة قوله

وقلت هذا قبول جاءنى سلفا * ماناله أحد قبلى من الامم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم ولا وجدته فى بديعية الشيخ عز الدين الموصلى الا أن يكون فى نسخة غير التى نقلت منها وعلى كل تقدير فالشيخ عز الدين قدم العقادة فى بيته على السهولة وبيت بديعيتى

يارب سهل طريقى فى زيارته * من قبل ان تعترينى شدة الهرم

﴿وقلت بعده فى حسن البيان﴾

(حتى يبث بديعى فى محاسنه * حسن البيان وأشدو فى حجازهم)

حسن البيان قالوا هو عبارة عن الابانة عما فى النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس اذ المراد منه اخراج المعنى الى الصورة الواضحة وايصاله الى فهم المخاطب باسهل الطرق وقد تكون العبارة عنه تارة من طريق الايجاز وطورا من طريق الاطناب بحسب مايقتضيه الحال وهذا بعينه هو البلاغة وحقيقتها * وفى البيان الاقبح والاوسط والاحسن * فالاقبح كبيان باقل وقد سئل عن ثمن ظبى فى يده فأراد أن يقول أحد عشر فأدركه العى حتى فرق أصابعه وأدلع لسانه فأفات الظبى ومن هنا يعلم أنه ليس كل ايجاز بلاغة ولا كل اطالة عيا فانه لا ايجاز فى الافهام أوجز من بيان باقل لان المخاطب فهم عنه بمجرد نظرة واحدة وقد ضرب به المثل بالعى فى بيانه وكان الاحسن أن يقول احد عشر * والاوسط أن يقول ستة وخمسة أو عشرة وواحد والنور المبين فى هذا الباب بيان القرآن

الكريم

بشروطه المعتبرة عند أهله فى بيتى المتقدم والله أعلم

(العقد)

(حسبى بحبك أن المرء يحشر مع أحبابه فهنائى غير منحسم)

قال العلامة ابن حجة رحمه الله العقد ضد الحل لان العقد نظم المنثور والحل نثر المنظوم ومن شرائط العقد أن يؤخذ المنثور

الكريم كقوله تعالى وقد أراد أن يحذر من الاغترار بالنعم كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين وكقوله سبحانه وتعالى وقد أراد أن يبين عن الوعدان المتقين في مقام أمين وكقوله سبحانه وقد أراد أن يبين عن الوعيدان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين وكقوله تعالى في الاحتجاج القاطع للخصم وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم وكقوله تعالى وقد أراد أن يبين عن العدل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وامثال هذا الباب كثيرة لمن يتتبعها في القرآن ومما جاء من ذلك في الشعر قول أبي العتاهية

يضطرب الخوف والرجاء اذا * حرك موسى القضيب أو فكرا

وكقول الآخر له لحظات في خفايا سريرة * اذا كرها فيها عتاب ونائل

فان هذين الشاعرين أرادا مدح هذين الممدوحين بالخلافة ووصفهما بالقدرة المطلقة وعظم المهابة بعد الله سبحانه وتعالى فاذا نظر أحدهما نظرة أو حرك القضيب مرة أو أطرق مفكرا اضطرب الخوف والرجاء في قلوب الناس فابانا عن هذه المعاني باحسن ابانة وبيت الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى وعدتني في منامي ما وثقت به * مع التقاضي بمدح فيك منتظم والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

حسن البيان بحمد الله بين لي * هدى النبي الرضي الواضح اللقم

وبيت بديعيتي قلت قبله في السهولة

يارب سهل طريقي في زيارته * من قبل أن تعتريني شدة الهرم

وقلت بعده في حسن البيان

حتى يبث بديعي في محاسنه * حسن البيان وأشدو في حجازهم

﴿وقلت بعده في الادماج﴾

قد عز ادماج شوقي والدموع لها * على بهار خدودي صبغة العنم

هذا النوع أعني الادماج هو أن يدمج المتكلم غرضا له في ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني ليوهم السامع انه لم يقصده وانما عرض في كلامه لتتمة معناه الذي قصده كقول عبد الله بن عبيد الله لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد وكان ابن عبيد الله قد اختلت حاله فكتب لابن سليمان

أبى دهرنا اسعافنا في نفوسنا * وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم أتمها * ودع أمرنا ان المهم المقدم

فادمج شكوى الزمان وشرح ما هو عليه من الاختلال في ضمن التهنئة وتلطف في التلويح ورقق التحيل لبلوغ الغرض مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال لا جرم أن ابن سليمان فطن لذلك ووصله واستعمله ومن لطيف الادماج قول ابن نباتة السعدي

ولا بد لي من جهلة في وصاله * فهل من حليم أودع الحلم عنده

ابن نباتة ادمج الفخر في الغزل فانه جعل حلمه لا يفارقه البتة ولا رغب عنه بنفسه جملة وانما عزم على ان يودعه اذ كان لا بد له من وصل هذا المحبوب لان الودائع تستعاد ثم استفهم عن الخل الصالح الذي يصلح لهذه الوداعة استفهاما انكاريا فيكون مفهوم الخطاب بقيا حلمه لعدم من يصلح للوداعة ثم أدمج في ضمن الفخر الذي أدمجه في الغزل شكوى الزمان لقلة الاخوان بحيث انه لم يبق منهم من يصلح لهذا الشان ومنه قول ابن المعتز في وصف الخيري

قد نقض العاشقون ما صنع الصد * هر بالوانهم على ورقه

قصد وصف الخيري بالصفرة وأدمج فيه وصف ألوان العشاق وبيت الحلي في الادماج قوله

بجملة لفظه أو بعظمه فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر ومتى أخذ معنى المنثور دون لفظه كان ذلك نوعا من أنواع السرقات ولا يسمى عقدا الا اذا أخذ الناظم المنثور برمته وان غير منه شيأ بطريق من الطرق التي قدمناها كان المتبقي منه أكثر من

لصدق قولك لو حب امرؤ بحرا * لكان فى الحشر عن مثواهم برم

هذا البيت فيه ادماج سؤاله حسن المحشر فى زمرة النبى صلى الله عليه وسلم فى طى تصديقه الحديث المأثور عنه وبيت العميان

لهم أحاديث مجد كالرياض اذا * أهدت نواسم أحيت دارس السلم

قال الشيخ أبو جعفر الشارح ان الناظم جعل لهم أولا أحاديث مجد طيبة وأدمج فى ذلك وصف الرياض وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

أدمجت شكواى من ذنبى بمدحته * عساك تشفع لى ياشافع الامم

الشيخ عز الدين ذكر انه أدمج الشكوى من ذنبه لكن نوع الادماج البديعى لا أعلم أين أدمجه والله أعلم وبيت بديعيتى

قد عز ادماج شوقى والدموع لها * على بهار خدود صبغة العنم

هذا البيت أبدع من بيت ابن المعتز وفيه زيادة وادماج آخر فان ابن المعتز غاية قصده وصف الخيرى بالصفرة وأدمج فيه ألوان العشاق وأنا قصدت شرح الحال فى غرة ادماج الشوق بواسطة جريان الدمع وأدمجت فى ذلك صفرة اللون وحمرة الدموع هذا ومحاسن التورية بتسمية النوع غير خافية على أهل الانصاف من حذاق الادب والله أعلم

﴿ذكر الاحتراس﴾

فان أقف غير مطرود بحجرته * لم أحترس بعدها من كيد مختصم

الاحتراس هو أن يأتى المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيفطن له فيأتى بما يخلصه من ذلك ومثاله فى كتاب الله عز وجل اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فاحترس بقوله سبحانه وتعالى من غير سوء عن امكان ان تدخل فى البرص والبهق وغير ذلك ومثال ذلك فى الشعر قول طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الغمام وديمة تهمى

فقوله غير مفسدها احتراس من مقابله وهو محوها معالمها والفرق بين الاحتراس والتتميم والتكميل ان المعنى قبل التكميل صحيح تام ثم يأتى التكميل بزيادة تكمل حسنه اما بفن زائد ومعنى والتتميم يأتى لتتميم نقص المعنى ونقص الوزن معا والاحتراس انما هو لدخل يتطرق الى المعنى وان كان تاما كاملا ووزن الشعر صحيحا وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

فوفنى غير مأمور وعودك لى * فليس رؤياك أضغاثا من الحلم

احتراس الشيخ صفى الدين فى قوله غير مأمور فان لفظة وفنى فى البيت فعل أمر ومرتبة الآمر فوق مرتبة المأمور فاحترس بقوله غير مأمور والعميان ما نظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين

حبى له يتمشى فى المفاصل قل * بالاحتراس تمشى البرء فى السقم

قلت الشيخ صفى الدين احترس فى بيته بقوله غير مأمور واحتراس الشيخ عز الدين عجزت عن تحقيقه بل عن تحقيق معناه فان هذا البيت مأخوذ من قول أبى نواس فى وصف الخمرة

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

وبيت بديعيتى فان أقف غير مطرود بحجرته * لم أحترس بعدها من كيد مختصم

فقولى غير مطرود هو الاحتراس الذى يليق بمقام المادح بالنسبة الى مقام النبى صلى الله عليه وسلم والتورية باسم النوع فى قولى لم أحترس بعدها محاسنها تورى والتكميل بقولى من كيد مختصم هو الذى زاد محاسنها بهجة وكمالا

(وقلت فى براعة الطلب)

(وفى براعة ما أرجوه من طلب * ان لم أصرح فلم أحتج الى الكلم)

﴿ذكر الاحتراس﴾

المغير بحيث يعرف من البقية صورة الجميع انتهى ولم أر على هذا النوع شيأ من الشواهد الا ابياتا بديعيات وهى بيت الصفى قال

ماشب من خصلتى حرصى ومن أملى
سوى مديحك فى شيبى وفى هرمى

المقصود من هذا البيت من

هـذا النوع من مستخرجات الشيخ عز الدين الزنجاني فى كتاب المعيار وهو أن يلوح الطالب بالطلب بألفاظ عذبة مهذبة منقحة مقترنة بتعظيم الممدوح خالية من الالحاف والتصريح بل يشعر بما فى النفس دون كشفه كقول أبى الطيب المتنبى

وفى النفس حاجات وفيك فطانة * سكوتى بيان عندها وخطاب

والفرق بين براعة الطلب وبين الادماج أن الادماج أن يقدر معنى من المعانى ثم يدمج غرضه ضمنه ويوهم انه لم يقصده وهذا مقصور على الطلب فقط وهو أيضا فرق بينه وبين الكناية وبيت الشيخ صفى الدين قوله وقد علمت بما فى النفس من أرب * وأنت أكرم من ذكرى له بفمى

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله قوله

براعة بان فيها منتهى طلبى * وأنت أكرم من نطق بلا ولم

وبيت بديعيتى وفى براعة ما أرجوه من طلب * ان لم أصرح فلم أحتج الى الكلم

(وقلت بعده فى العقد)

(قد صح عقد بيانى فى مناقبه * وان منه لسحرا غير سحرهم)

العقد ضد الحل لان العقد نظم المنثور والحل نثر المنظوم ومن شرائط العقد ان يؤخذ المنثور بجملة لفظه أو بمعظمه فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل فى وزن الشعر ومتى أخذ بعض معنى المنثور دون لفظه كان ذلك نوعا من أنواع السرقات ولا يسمى عقدا الا اذا أخذ الناظم المنثور برمته وان غير منه طريقا من الطرق التى قدمناها كان المتبقى منه أكثر من المغير بحيث يعرف من البقية صورة الجميع كما فعل أبو تمام فى كلام عزى به الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه الاشعث بن قيس فى ولده وهو ان صبرت صبر الاحرار والا سلوت سلو البهائم فعقده أبو تمام شعرا فقال

وقال على فى التعازى لاشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم

أتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

وبيت الشيخ صفى الدين قوله

ماشب من خصلتى حرصى ومن أملى * سوى مديحك فى شيبى وفى هرمى

المقصود فى هذا البيت من العقد قول النبى صلى الله عليه وسلم يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله عقد اليقين صلاتى والسلام على * محمد دائما منى بلا سأم

قلت أما الشيخ صفى الدين فانى لم أصادف فى بيته من عقد الحديث النبوى محلا ولكن ذكر فيه حكاية حاله وأما الشيخ عز الدين غفر الله له فانه ذكر فى شرحه أن الصحابة رضى الله عنهم قالوا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وفى حديث آخر قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم وفى الحديث أكثروا من الصلاة على ومنه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وذكر انه عقد الآية والحديث ولم يظهر لى حل هذا العقد فى أى موضع هو من البيت وبيت بديعيتى

قد صح عقد بيانى فى مناقبه * وان منه لسحرا غير سحرهم

العقد هنا قوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا والله أعلم

(ذكر المساواة)

(تمت مساواة أنواع البديع به * لكن يزيد على ما فى بديعهم)

هذا النوع أعنى المساواة مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه بأن قال هو أن

﴿ذكر المساواة﴾

العقد قول النبى صلى الله عليه وسلم يشيب المرء ويشب معه خصلتان الحرص وطول الامل

وبيت الموصلى

عقد اليقين صلاتى والسلام على

محمد دائما منى بلا سأم

ذكر الناظم فى الشرح ان الصحابة رضى الله عنهم قالوا يا رسول الله قد علمنا

يكون اللفظ مساو بالمعنى بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وهذا من البلاغة التي وصف بها بعض الوصاف بعض البلغاء فقال كأن ألفاظه قوالب لمعانيه ومعظم آيات الكتاب العزيز كذلك * واعلم ان البلاغة قسمان ايجاز واطناب والمساواة معتبرة في القسمين معا فاما الايجاز فكقوله تعالى ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب والاطناب في هذا المعنى كقوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل وقال سبحانه وتعالى في قسم الايجاز من غير هذا المعنى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال عز من قائل في الاطناب ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية ولا بد من الاتيان بهذا الفصل لئلا يتوهم المتأمل ان الاطناب لا يوصف بالمساواة ومن الشواهد على المساواة قول امرئ القيس

فان تكتموا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نقعد
وان تقتلونا نقتلكم * وان تقصدوا الدم لا نقصد

وقول زهير ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم
وقول طرفة ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود
وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله

وقد مدحت بما تم البديع به * مع حسن مفتتح منه ومختتم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

خطت مساواة معناه وصورته * في الحسن شاهده في نون والقلم

وبيت بديعيتي في المساواة قولي

تمت مساواة أنواع البديع به * لكن يزيد على ما في بديعهم

(وقلت بعده في حسن الختام)

(حسن ابتدائي به أرجو التخلص من * نار الجحيم وهذا حسن مختتمي)

هذا النوع ذكر ابن أبي الاصبع انه من مستخرجاته وهو موجود في كتب غيره بغير هذا الاسم فان التيفاشي سماه حسن المقطع وسماه ابن أبي الاصبع حسن الخاتمة وهذا النوع الذي يجب على الناظم والناثر ان يجعلاه خاتمة لكلامهما مع أنهما لا بد ان يحسنا فيه غاية الاحسان فانه آخر ما يبقى في الاسماع وربما حفظ من دون سائر الكلام في غالب الاحوال فلا يحسن السكوت على غيره وغاية الغايات في ذلك مقاطع الكتاب العزيز في خواتم السور الكريمة فمن المعجز في ذلك قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بان ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره انظر أيها المتدبر هذه البلاغة المعجزة فان السورة الكريمة بدئت بأهوال يوم القيامة وختمت بقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (ومثله) قوله تعالى في سورة عبس يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة ومن ذلك قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين (ومن كلام أمير المؤمنين) علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه وهو المقدم في فنون البلاغة على بلغاء البدو والحضر في ختام جواب كتاب كتب به الى معاوية ثم ذكرت ان ليس لي ولا صحابي عندك الا السيف فلقد أضحكت بعد استعبار واني مرقل اليك بجحفل من المهاجرين والانصار وقد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وما هي من الظالمين ببعيد وأجمعوا بعد

كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وفي حديث اكثروا من الصلاة علي ومنه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما انتهى قال ابن حجة ذكر انه عقد الآية والحديث ولم يظهر لي حل هذا العقد

ذلك على ان فواصل المقامات يقوم غالبها مقام المثل السائر وحسن خواتمها تعقد عليه الخناصر (وقد عن لى) ان أورد هنا مقامة كاملة فاذا نظر المتأمل الى براعة استهلالها وفهم ما قصد الذى جنح اليه الحريرى عرف مقدار حسن الختام الذى تمت به الفائدة وحسن السكوت عليه (وقد اخترت المقامة الثالثة عشرة) وهى الزورائية لانه ثبت عن القاضى الفاضل انه شرع فى معارضة المقامات وعارض منها كل فصل بفصل أحسن منه الى أن وصل الى فصل هذه المقامة الذى سيأتى وأنبه عليه فى موضعه والمقامة الموعود بايرادها هى قوله (حكى الحرث بن همام) قال ندوت بضواحى الزوراء مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم مبار بغبار ولا يجرى معهم ممار فى مضمار فأفضنا فى حديث يفضح الازهار الى أن نصفنا النهار فلما غاض در الافكار وصبت النفوس الى الاوكار لمحنا عجوزا تقبل من البعد وتحضر احضار الجرد وقد استتلت صبية أنحف من المغازل وأضعف من الجوازل فما كذبت اذ رأتنا أن عرتنا حتى اذا ما حضرتنا قالت حيا الله المعارف وان لم يكن معارف اعلموا ياما آل الآمل وثمال الارامل انى من سروات القبائل وسريات العقائل (والفصل الذى عجز الفاضل عنه هو) لم يزل أهلى وبعلى يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح الاكباد وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين ونفدت الراحة وصلد الزند ووهت اليمين وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب (قلت وهذا الفصل الذى أحجم القاضى عن معارضته قلت فى معناه وكتبت الى سيدنا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى نور الله ضريحه رسالة مجمده مشتملة على ذلك جيده راعيت فيها النظير لاجل الصدر من الرأس الى القدم ولم أخرج فيها عن حسن الختام الذى ما ختمت رسالة بنظيره والتزمت فيها السجع الذى فر الحريرى منه فى فصله (وقد عن لى) ان أثبت الرسالة هنا بكمالها وأرجع الى ما كافيه من حسن الختام فى المقامة الحريرية (وهى)

يقبل أرضا بالعلا قد تجسدت • بأرواح أهل العلم روضة مشتهى
وهبت بانفاس العلوم قبولها • ولازال صدر الدين منشرحا بها

وينهى أن الصدر رأس العلوم وكم له من فرق دق على الافهام وهو كالغرة فى جباه الايام لازال الجد له حاجبا مقرونا بسعده الشامل ولا برح بعلمه عينا لوجوه المسائل فلله أهداب معانيه التى هى أسحر من عيون الغزلان وأمضى من السيوف اذا برزت من الاجفان واصداغ فضائله التى هى عاطفة على وجنات الوجود لانها كالعوارض الماطرة وكم أنست عند ذكره من سالفة وكم لها فى قلوب الاعداء من خدود وندى جوده الذى اذا جاءه الشارب وجد عنده شفاه وحلاوة نظمه الذى انسانا ذكر العذيب وثناياه وعنق مكارمه التى الفت من البديع الالتفات وأوصافه التى غدت على خد الدهر شامات حتى تبدلت سيآته حسنات كف عنا تعب الفقر بكرم راحته المتزايد من غير أن يقال له ساعد وشهدنا بأن أياديه بحر يفيض بصنائعه فأشار النيل الى قبول هذه الشهادة بأصابعه فلله ندى يمينه الذى لم يزل المملوك به فى بلاد الشام مكفى وكم فاض منه قلب النيل وجهدان يوفيه بالباع والذراع فما وفى جبلت على محبته القلوب فصار حبه ظاهرا فى كل باطن وحنت اليه الجوارح لما سارت مناقبه الى كل جانب فحركت كل ساكن ورفع المملوك أدعيته التى هى ان شاء الله تعالى نعيم للبدن الكريم واعتدال للطيف ذلك المزاج وأثنيته التى هى كالمناطق على خصور الحسان وبها لكل قلب ابتهاج لكن تناقلت عليه أرداف النوى وأسكنت فى وسط قلبه الجوى وقده الانقطاع بسيفه الذى زاد فى حده ولكن جار فى قده ولو حصر المملوك ما ساق اليه البعد من الاشتياق الى تقبيل الاقدام لم تسعه قائمه وهو

فى أى موضع وبيت العلامة ابن حجة
قد صح عقد بيانى فى محبته
وان منه لسحرا غير سحرهم
عقده ظاهر وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وبيتى المتقدم أيضا عقده ظاهر والمقصود فيه من العقد قول النبى صلى الله عليه وسلم يحشر المرء مع من أحب وفى رواية المرء مع من أحب والله أعلم

﴿حسن الختام﴾

بعد القلب بالصبر ولكن كذ كركعب عن مواعيد عرقوب فنسأل الله حسن الخاتمة (رجع) الى ما كافيه من تكملة المقامة الحريرية والتنبيه على حسن ختامها قال بعد الفصل المجسد الذى آخره ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ اغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومى الابيض وابيض فودى الاسود حتى رثى لى العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر وتلوى من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره قصوى بغية أحدهم ثرده وقصارى امنيته برده وكنت آليت ان لا أبذل الحر الا للحر ولو أنى مت من الضر وقد ناجتنى القرونه بأن توجد عندكم المعونه وآذنتنى فراسة الحوباء بانكم ينابيع الحباء فنضر الله امرأ أبر قسمى وصدق توسمى ونظر الى بعين يقذيها الجود ويقذيه الجود (قال الحرث بن همام) فهمنا لبراعة عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف الحامك فقالت يفجر الصخر ولا فخر فقلنا لها ان جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت لأرينكم أولا شعارى ثم لاروينكم أشعارى فأبرزت ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز درديبس وانشأت تقول

أشكو الى الله اشتكاء المريض * جور الزمان المتعدى البغيض
ياقوم انى من أناس غنوا * دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع * وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا اذا ما نجعة أعوزت * فى السنة الشهباء روضا أريض
تشب للسارين نيرانهم * ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبا * ولا لروع قال حال الجريض
فغيضت منهم صروف الردى * بحار جود لم أخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى * أسد التحامى وأساة المريض
فمحملى بعد المطايا المطا * وموطنى بعد اليفاع الحضيض
وافرخى ما تأتلى تشتكى * بؤساله فى كل يوم وميض
اذا دعا القانت فى ليله * مولاه نادوه بدمع يفيض
يارازق النعاب فى عشه * وجابر العظم الكسير المهيض
اتح لنا اللهم من عرضه * من دنس اللؤم نقى رحيض
يطفئ نار الجوع عنا ولو * بمذقة من جازر أو مخيض
فهل فتى يكشف ما نابهم * ويغنم الشكر الطويل العريض
فوالذى تعنو النواصى له * يوم وجوه الجمع سود وبيض
لولاهم لم تبدلى صفحة * ولا تصديت لنظم القريض

(قال الراوى) فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم تخله يرتاح فلما افعوعم جيبها تبرا وأولاها كل منا برا تولت يتلوها الاصاغر وفوها باشكر فاغر فاشرأبت الجماعة بعد ممرها الى سبرها لتبلو مواقع برها فكفلت لهم باستنباط السر المرموز ونهضت أقفو اثر العجوز حتى انتهت الى سوق مغتصة بالانام مختصة بالزحام فانغمست فى الغمار واملست من الصبية الاغمار ثم عاجت بخلو بال الى مسجد خال فاماطت الجلباب ونضت النقاب وانا المحها من خصاص الباب وأرقب ما سيبدو من العجاب فلما انسرت أهبة الخفر رأيت محيا أبى زيد قد سفر فهممت بأن أهجم عليه لاعنفه على ما أجرى اليه فاستلقى استلقاء المتمردين ثم رفع عقيرة المغردين واندفع ينشد

ياليت شعرى أدهرى * أحاط علما بقدرى

(مدحت مجدت والاخلاص ملتزمى
فيه وحسن امتداحى فيك مختتمى
ذكر ابن أبى الاصبع رحمه الله انه من مستخرجاته وهو موجود فى كتب غيره بغير هذا الاسم فان التيفاشى سماه حسن المقطع وسماه الشهاب محمود براعة المقطع وقال الشهاب محمود رحمه الله هو ان يكون آخر الكلام الذى يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعذبا يبقى لذته فى الاسماع وقال العلامة

وهل درى كنه غورى * فى الخدع أم ليس يدرى
كم قد قرت بنيه * بحيلتى وبمكرى
وكم برزت بعرف * عليهم وبنكر
اصطاد قوما بوعظ * وآخرين بشعر
واستفز بخل * عقلا وعقلا بخمر
وتارة أنا صخر * وتارة أخت صخر
ولو سلكت سبيلا * مألوفة طول عمرى
لخاب قدحى وقدحى * ودام عسرى وخسرى
فقل لمن لام هذا * عذرى فدونك عذرى

(قال الحرث بن همام) فلما ظهرت على جلية أمره وبديعة أمره ومازخرف فى شعره من عذره علمت ان شيطانه المريد لايسمع التفنيد ولايفعل الامايريد فثنيت الى أصحابى عنانى وأبثثتهم ماأثبته عيانى فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز (قلت) قد علمت أيها المتأمل أن هذه المقامة البديعة بنيت على ترهات هذه العجوز ومازخرفته من الباطل فى نظمها ونثرها الذى خلب كل منهما القلوب وسلب عقول السامعين الى ان بالغوافى اكرامها فلما كشف لهم الغطاء عن جميع مالفقته وتحققوا أنه بنى على الباطل كانت الخاتمة فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز (قلت) والالفاظ المحتاجة الى الحل فى هذه المقامة هى قوله ندوت أى حضرت النادى والجوازل فراخ الحمام واحدها جوزل وعرتنا قصدتنا يقال عراه واعتراه والمعارف الوجوه والمعارف الثانية من المعرفة وغال القوم من يقول بأمرهم وسروات القبائل السرو وهو السخاء والمروأة واحد السروات سراة لايجوز أن يكون سراة بالضم وسريات جمع سرية وهى العقيلة السخية والقلب هنا قلب العسكر وعطون الظهر أى يحملون المنقطع ويولون اليد أى النعمة وأردى أهلك والاعضاد جمع عضد وهو ماعسك الشئ ويقويه والجوارح هنا الاعضاء التى تجرح وقوله وانقلب ظهر البطن المراد به عكس الحال ونبا ارتفع والحاجب صاحب الامير وصلد الزند أى لم يور ووهت أى ضعفت واليمين القوة والثنية الناقة التى لهاستة أعوام والناب المسنة واغبر العيش أى تكدر وازور مال والمحبوب الاصفر هو الدينار وفودى صدغى والموت الاحمر كناية عن الفقر والعدو الازرق الشديد العداوة والاصل فيه العطش وبه فسر قوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا أى عطاشا وتلوى تابعى وعينه فراره أى عيانه يغنيك عن اختباره وفى المثل ان الجواد عينه فراره أى عيانه وقصارى أمره أى آخر أمره وآليت أى حلفت وأبذل الحر أى الوجه والقرونة النفس والحوباء النفس أيضا ونضر بمعنى حسن ويقذيها يلقى فيها القذى والجود الامساك ويقذيها الجود يخرج عنها القذى والحامك بمعنى نظمك الشعر والشعار الثوب الذى يلى الجسد والدثار مافوقه والردن الكم ودردبيس من أسماء الداهية والسنة الشهباء المجدبة وتشب توقد وغريض طرى وساغب جائع والجريض الغصص والاساة الاطباء والمطايا الابل والمطا الظهر واليفاع التل المشرف والحضيض القرار من الارض تأتلى تترك والنعاب فرخ الغراب والمهيض الذى كسر بعد جبر وأنح وفق ورحيض مغسول وبعدقة أى بجرعة واعشار القلوب أى قطع القلوب وحتى ماحها من دينه الامتياح أى أعطاها من عادته يعطى وافعوعم امتلأ وفاغر مفتوح فاشرأبت تطلعت وسبرها اختبارها واستنباط استخراج والمرموز المبهم والغمار الزحام والاغمار البله وعاجت عطفت وأماطت الجلباب باعدته وهو الرداء ونضت

ابن حجة رحمه الله يجب على الناظم أو الناثر أن يحسن فيه غاية الاحسان فانه آخر مايبقى فى الاسماع وربما حفظ من سائر الكلام فى غالب الاحوال ولا يحسن السكوت على غيره وغاية العناية فى ذلك مقاطع الكتاب العزيز فى خواتم السور الكريمة انتهى ومن أمثلة هذا النوع قول أبى نواس

وانى جدير اذ رجوتك بالغنى
وأنت بما أملت منك جدير
فان تولنى منك الجميل فاهله
والا فانى عاذر وشكور

جردت وخصاص جمع خصاصة وهو الثقب فى الباب وكذلك الصير وفى الحديث من نظر الى قوم من صير باب ففقئت عينه وانسرت انكشفت والخفر الحياء وسفر انكشف وأسفر أضاء وأجرى قصدوا استلقى رقد على ظهره ورفع رجلا على رجل والمغرد بن المطر بين والعقيرة الصوت وكنه غورى حقيقة أمرى والخل والخمر هنا كنايتان عن الخير والشر وقدحى سهمى وقدحى استخراجى أمره العجيب والمريد العاتى والمرادة العتو وجوا أى سكتوا اه تفسير الالفاظ المحتاجة الى البيان من هذه المقامة (ومن صناعات القاضى الفاضل فى حسن الخواتم قوله) فى حسن خاتمة رسالة كتب بها الى الديوان العزيز الخليفى وهو لابرحت راياته السود سويدات قلوب العساكر وأجنحة الدعاء المحلق الى السماء من أفق المنابر ومثله قوله لابرحت الاقدار له جنودا والجديدان يسوقان اليه فى أيامهما رقيقهما اماء وعبيدا ومثله قوله والله تعالى يرده رد السحب الهاطلة الى الامكنة الجدوب والمغفرة الشاملة الى مواقع الذنوب والمسرة الى مستقرها من مطالع القلوب (ومن ذلك) قوله فى ختام جواب كتاب ناصرى ولازال كالئا للاسلام بسيفه الذى جفنه بجفنه ساهر ولا أخلى الله منه الدين بقوة منه ولا ناصر (ومنه قوله) والله تعالى يغنى عن المكاتبات بلقائه كما أغنى عن بقية الخلق ببقائه (ومن ذلك قول العلامة الشهاب محمود فى ختام رسالة) والله تعالى يجعل الآمال منوطة به وقد فعل ويجعله كهفا للاولياء وقد جعل (وصرع) ابن الصاحب أمين الدين مرزما وهو من أصناف الطير الجليل ومن طيور الواجب وسأل الشيخ جمال الدين فى انشاء مطالعة الى الحضرة الشريفة المقدسة الخليفية يسأل فيها القبول فيما صرعه من الواجب فانشأ الشيخ جمال الدين بن نباتة رسالة بديعة فى هذا المعنى وحسن ختامها أبدع (وهو) والله المسؤل سبحانه ان يمتع المملوك فى ولاء المواقف المقدسة باتباع طرقه وان ينفعه بالانتماء اذ ألزمته الدنيا طائره فى يديه وألزمته الآخرة طائره فى عنقه (ومن ذلك) حسن ختام العهد الذى انشأه القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر عن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون لولده الملك الاشرف صلاح الدين خليل (وهو) والله تعالى يجعل استخلافه هذا للمتقين اماما وللمعتدين انفصاما ويطفئ بما سيوفه نار كل حطب حتى تصبح كما أصبحت نار سميه بردا وسلاما (ومن ذلك) حسن ختام رسالتى التى تقدم ذكرها فى باب الاقتباس المشتملة على الكائنة التى قدرها الله تعالى على دمشق المحروسة من الحريق وغيره (وهو) فوصل المملوك الى البلاد وقد ودّ يومه لو تبدل بالامس ولم يسلم له فى وقعة الحرب غير الفرس والنفس فأعاد الله مولانا وبلاده من هذه القيامة القائمة وبدأ فى الدنيا ببراعة الامن وفى الآخرة بحسن الخاتمة (ومن أبدع الامثلة التى ليس لها مثال فى حسن الختام قولى فى تقليد بالاشارة الشريفة) والوصايا كثيرة ولكن لايهدى تمر الى هجر فانا الى مشورته أحوج من المبتدا الى الخبر والله تعالى يديمه ركنا لهذا البيت الشريف الذى تطوف الناس حوله ويسعى اليه ولابرح كلامه فى المشورة لفظا ومعنى تتم الفائدة به ويحسن السكوت عليه (وقلت فى خاتمة تقليد بنظر الكسوة) فليباشر ذلك علما أنه من تقرب الى الله بخدمة بيوته فقد فاز ولا بد أن يصير لديباجة هذا البيت بحسن توشيعه دار الطراز فقد أسعده الله وظهر له فى توشيع هذا البيت نظم مفيد ولا ينكر حسن هذا التوشيع للقاضى السعيد والله تعالى يكرم مثواه فى الآخرة بتشييد هذا البيت وقيام شعاره ولا زالت أنامل بره تختم بخواتيم الخير وتنقل أحاديث المحاسن بفصها فى أخباره (ومثله قولى) فى تقريظ كتبته لاقضى القضاة ولى الدين القرشى على كتابه المسمى بعمدة المناسك (وهو) والله تعالى يزيد صناعة هذا الذيل بهجة على كل ناظم ويجعله لاعماله الصالحة المقبولة من أحسن الخواتم (وتقدم لى بالديار المصرية) بشارة بوضع المقر الاشرف سيدى موسى ولد المقام الشريف المؤيدى

وقول أبى الطيب المتنبى
فلاحطت لك الهيجاء سرجا
ولاذاقت لك الدنيا فراقا
وقول ابن سنا الملك
بقيت حتى تقول الناس
قاطبة
هذا أبو الياس أو هذا أبو
الخضر
وقول ابن النبيه
دمتم بنى أيوب فى نعمة
تجوز فى التخليد حد الزمان
والله لازلتم ملوك الورى
شرقا وغربا وعلى الضمان
تم القصائد النبوية للقيراطى

سقى الله من غيث الرحمة ثراه من رأس القلم بالحضرة الشريفة جاءت تسبح وحدها وواسطة عقدها (منها) حملت به أمه وأبرزته كشمس الحمل بهجة ونورا وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ولكن ملأ الدنيا سرورا (وتوجهت) بعد ذلك التاريخ الى ثغر الاسكندرية المحروسة فى مهم شريف فورد على نائب الثغر المحروس بشارة شريفة بمولد سيدى المقر الاشرف الناصرى محمد ولد المقام الشريف المؤيدى نور الله ضريحه فركب نائب السلطنة الشريفة بالثغر المحروس الى أن جاء عندى وسألنى الجواب فكتبت تهنئة بديعة وحسن ختامها أبدع منها (وهو) أكرم بها صحيفة محمدية أمسى بها كل قلب مأنوسا وتلت مسرتها من تقدم قبلها من الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فالحمد لله على تواتر هذه التهانى التى اتهم بها كل حاد وأنجد وعمت بركتها بابراهيم وموسى ومحمد والله تعالى يوصل أحاديث التهانى المؤيدية ليتسلسل كل حديث بسنده ولابرحت الخواطر الشريفة مسرورة بمحمد وحديثه ومولده (ومن ذلك) قولى فى ختام تقليد قاضى القضاة ولى الدين العراقى بقضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية والممالك الاسلامية (وهو) والله تعالى يطلق له أعنة الاقبال وينيله من نعمه مالا يخطر قبل وقوعه ببال ويحلى به جيد الدهر وقد تحلى بعد ماذهب رونقه وزال وكما أحسن له فى البداية أن يحسن اليه فى النهاية حتى يقول الحمد لله على كل حال (ومثله) فى الحسن ختام تقليد قاضى القضاة أبى البقاء علم الدين صالح البلقينى (وهو) والله يرفع علم علمه على كل غاد ورائح ويجعل كلا من عمله وحكمه واسمه الكريم صالحا فى صالح (وقد عن لى) أن أختم ما تقدم لى من الامثلة فى حسن الخواتم بختام كتاب المسك من أقل عبيده ويود منثور الدر أن ينتظم فى سلك عقوده وذلك انى كتبت للمقر المرحومى الفتحى فتح الله صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان على لسان قاضى القضاة شرف الدين مسعود الشافعى وأعيان طرابلس المحروسة وقد وصلوا الى الديار المصرية فى البحر قسرا ماعاينوه من أهوال تلك المحنة المشهورة التى قدرها الله تعالى على طرابلس المحروسة وحسن الختام فى القصة المذكورة قولى والقوم يا نظام الملك قد دهمهم من لم يفرق بين التحليل والتحريم الى أن صرحوا بالطلاق ووقعوا فى التغابن وشمت المنافقون ومنعوا فى الجمعة الصف وأمست فرقتهم الممتحنة فى الحشر ولم يسمع لهم مجادلة لما فزعوا بالحديد فى هذه الواقعة ولكن من الرحمن وطلع قمر الامن ولاحظهم نجم السعد وصعدوا طور النجاة وكفكفوا ذاريات الدموع وطردت عنهم العداة الى قاف لما دخلوا حجرات مصر وحظوا من مولانا السلطان بعد سد المذاهب بالفتح (قلت) هذا الختام جعلته خاتمة للامثلة المنثورة فى هذا الباب وأما الامثلة الشعرية فمن المجيدين فيها أبو نواس حيث قال فى خاتمة قصيدة مدح بها الخصيب

وانى جدير اذ بلغتك بالمنى * وأنت بما أملت منك جدير
فان تولنى منك الجميل فأهله * والا فانى عاذر وشكور

ومنه قول أبى تمام معتذرا فى آخر قصيدة

فان يك ذنب عن أو تك هفوة * على خطإ منى فعذرى على عمد

ومنه قول أبى الطيب فى ختام قصيدة

فلا حطت لك الهيجاء سرجا * ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وقال أبو العلاء من ختام قصيدة

ولا زال بك الدنيا ممتعة * بالأهل والحال والعلياء والعمر

وقول الارجانى فى ختام قصيدة

بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشحا * فانك فى هذا الزمان فريد

يا امام الهدى عليك صلاة
وسلام فى الصبح ثم العشاء
ما صبا فى أصائل قلب صب
ذكر الملتقى على الصفراء
ولابن حجة
عليك سلام نشره كلما بدى
به يتغالى الطيب والمسك يختم

علاك سوار والممالك معصم • وجودك طوق والبرية جيد

وقول ابن نبيه فى ختام قصيدة أشرفية

دمتم بنى أيوب فى نعمة • تجوز فى التخليد حد الزمان
والله لازلتم ملوك الورى • شرقا وغربا وعلى الضمان

وقال شيخ شيوخ حماة فى ختام مديح مظفرى

فلازلت ذا ملك جديد مؤيد • تدين لك الدنيا وتصفو لك الاخرى
ولازال للايام طول على الورى • وما الطول الا أن يطيل لك العمرا

وقال ابن سنا الملك فى ختام مديح عادلى

بقيت حتى يقول الناس قاطبة • هذا أبو الياس أوهذا أبو الخضر

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله فى ختام مديح مؤيدى

فابق عالى المقام دانى العطايا • قاهر الباس ظاهر الانباء
يتمنى عدوك العيش حتى • أتمنى له امتداد البقاء

وقال الشيخ برهان الدين القيراطى رحمه الله تعالى فى ختام مديح نبوى

يا امام الهدى عليك صلاة • وسلام فى الصبح ثم العشاء
ما صبا فى أصائل قلب صب • ذكر الملتقى على الصفراء

ومثله قول الشيخ زين الدين عمر بن الوردى فى ختام قصيد نبوى

صلى عليك الله يا خير الورى • ما نار نور من ضريحك فى الدجى

ومثلهما قولى فى ختام مديح نبوى ولكن مسك هذا الختام أضوع من ختامهما فى المديح النبوى وهو

عسى وقفة أو قعدة لابن حجة • على بابكم يسمى بها وهو محرم
فقد جاء يشكو من ذنوب تعاظمت • وقدرك فى يوم الشفاعة أعظم
وقد ناله فى عنفوان شبابه • هموم وسيف الهم للظهر يقصم
وعارضه قد شاب فى زمن الصبا • عسى بك من ذا العارض الصعب يسلم
فما وردنا الصافى طيور قلوبنا • عليك اذا ما نابها الضيم حوم

وقلت بعده فى حسن الختام

عليك سلام نشره كلما بدا • به يتغالى الطيب والمسك يختم

وبيت الشيخ صفى الدين فى حسن الختام

فان سعدت فمدحى فيك موجبه • وان شقيت فذنبى موجب النقم

وبيت العميان فيه

لكن وان طال مدحى لا أفى أبدا • فاجعل العذر والاقرار مختتمى

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

فاجعل له مخلصا من قبح زلته • فى حسن مفتتح منه ومختتم

وبيت العميان فى حسن الختام أبدع من بيت الشيخ صفى الدين الحلى فى حسن ختامه وموجب ذلك التورية بتسمية النوع وتمكين القافية فى آخر البيت وبيت الشيخ عز الدين أبدع من بيت العميان اذ فيه الترشيح بذكر التخلص والافتتاح والمختتم ولكن فاته الترتيب فانه قدم ذكر التخلص على الافتتاح وبيت بديعيتى

حسن ابتدائى به أرجوا التخلص من • نار الجحيم وهذا حسن مختتمى

هذا البيت العامر بمدح النبى صلى الله عليه وسلم ختامه مسك لكونه جاء خاتمة لما وصلت اليه

وللعارف بالله سيدى على وفا

سلام على أنوار طلعتك التى
أعيش بها سكرا وأفنى بها وجدا

وله أيضا

حسبى على أن أكون عبدا
أنت له السيد الممجد

القدرة من الاوصاف النبوية واجتمع فيه حسن الابتداء مورى به مع حسن التخلص وحسن الختام على الترتيب ولو قال الشيخ عز الدين فى بيته بحسن مبتدا اساعدته التورية بتسمية النوع الذى هو حسن الابتداء قال المؤلف رحمه الله تعالى هذا المصنف المبارك أعنى البديعية وشرحها اذا املكه متأدب شرفت نفسه عن النظر فى غيره من تذاكر الآداب فانى ماتركت نوعا من أنواع البديع الا أطلقت عنان القلم فى ميادين الطروس مستطردا الى استيعاب ماوقع من جيده ورديئه ونصبت فيه البحث بين المقصرين والمجيدين بيد أنى أقول وبالله المستعان أن العميان اختصروا جانبا كبيرا من البديع وما أجادوا النظم فيما وقع اختيارهم عليه والشيخ صفى الدين الحلى أجاد فى الغالب لخلاصه من التورية فى تسمية النوع ولكنه قصر فى مواضع نبهت عليها فى مظانها والشيخ عز الدين رحمه الله قصر فى غالب بديعيته لالتزامه بتسمية النوع البديعى ومراعاة التورية والبحث مقرر مع كل منهم فى اجادته وتقصيره عند ايراد بيته على ذلك النوع الوارد وقد تقدم الاطناب فى تقرير حسن الابتداء وبراعة الاستهلال وفى الفرق بينهما وأوردت فى حسن التخلص ماوقع من غريبه وبديعه وما تقرر من البحث مع المقصر فى نظمه ومايتفرق به شمل مجاميع الادب وينسى تذاكره وقد انتهت الغاية بحمد الله الى حسن الختام وأوردت فيه مالاخفيت محاسنه على المتأمل ولا ضمه صدر كتاب وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة ببركة الممدوح عليه أفضل الصلاة وأتم السلام قال المصنف رحمه الله فرغت من تأليف هذا الكتاب فى شهر ذى الحجة الحرام سنة ست وعشرين وثمانمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم واستغفر الله العظيم وأتوب اليه وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

وبالجملة فمحاسن هذا النوع لاتدخل تحت دائرة الحصر وفى هذا التلويح كفاية فى الدلالة على صحة النوع فى بيتى المتقدم وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين

﴿ يقول المتوسل بالنبى العربى المقر بتقصيره أحمد المكتبى ﴾

حمدا لمن كمل الأدباء بمحاسن اللطائف فافصحوا عن بديع المعانى باحاسن الالفاظ وطرائف التنائف وصلاة وسلاما على نبينا محمد كامل البراعة كعبة المادحين وعلى آله وصحابته والتابعين فى كل وقت وحين ﴿أما بعد﴾ فقد تم طبع كتاب خزانة الادب وغاية الارب للعالم الأديب والاوذعى الاريب الشيخ تقى الدين بن حجة الحموى رحمه الله محلى هامشها بكتابين جليلين أحدهما رسائل أبى الفضل الهمذانى المعروف ببديع الزمان والثانى شرح بديعية الست عائشة الباعونية رحمهما الله تعالى وذلك بالمطبعة الجديدة المسماة بالخيريه المنشأة بحوش عطى بجمالية مصر المحميه ذات الادوات الفائقه والحروف المتناسقه على ذمة الامجدين صاحبى المطبعة المذكورة عاليى الجناب حضرة الشيخ محمد عبد الواحد الطوبى وحضرة السيد عمر حسين الخشاب كان الله لهما عونا وذخرا وأعلى لهما فى الخافقين ذكرا وكان تمام طبعه فى جمادى الثانية سنة ١٣٠٤ هجريه على صاحبها أفضل صلاة وأبهى تحيه